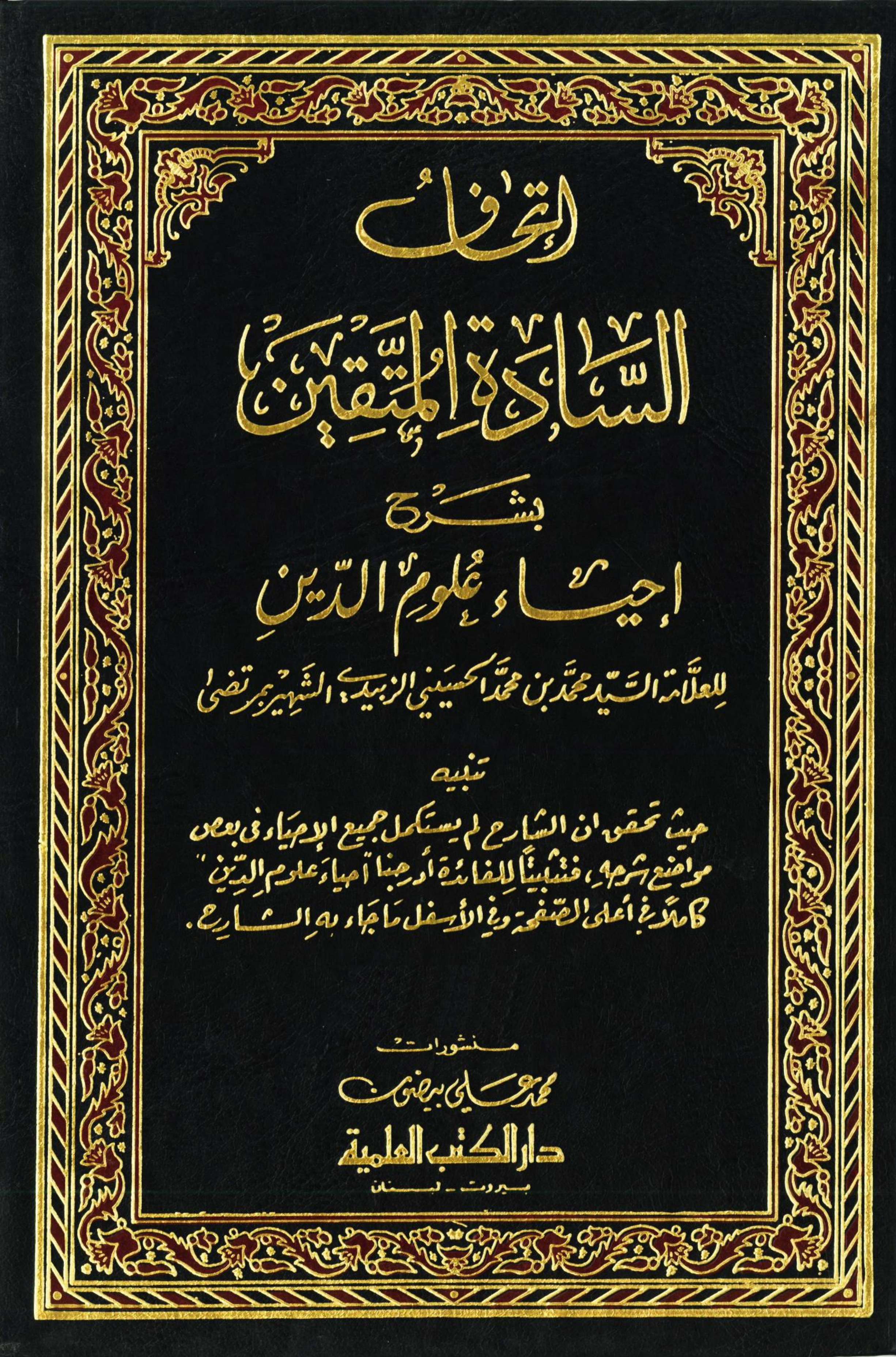


اتحاف
السادة المتقين
بشرح
إحياء علوم الدين
للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
تنبيه
حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض مواضع شرحه، فتثبيتاً للفائدة أدرجنا "إحياء علوم الدين" كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح.
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

إتحاف السادة المتقين

بشرح

إحياء علوم الدين

تصنيف

العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي
الشهير بمرتضى
المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض مواضع شرحه فتتميماً للفائدة أدرجنا إحياء علوم الدين كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح

الجزء الرابع عشر

كتاب ذكر الموت وما بعده.

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

كتاب ذكر الموت وما بعده
وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات
وبه اختتام كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر

الحمد لله مقدر الموت على العباد، ومحذر الفوت لينتهزوا فرصة الاجتهاد، وجاعل موت المسلمين وسيلة إلى لقائه، ومدخلاً في دار إحسانه وحسن جزائه، ومعرجا تعرج به أرواحهم إلى حضرة القدس، ومخرجاً يتروحون فيه من غموم الدنيا بنفحات القرب والأنس، أحمده على حسن بلائه لنا في الموت والحياة وأشكره على توفيقه لشهود حسن اختياره للمؤمنين في كل ما قدره وامضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه بالتفضيل على سائر خلقه واجتباه، وجعله إماماً لأهل أعصار الدنيا ثم نقله إلى الآخرة ليأتم به أهل تقواه، ولقد خيره سبحانه بين الدنيا وبين ما عنده وارتضاه، لا جرم أنه نقله إلى الرفيق الأعلى وجعل أعلى الفردوس مثواه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الثقاة الهداة وسلم كثيراً وأدام ذلك بمدد لا يدرك منتهاه، وبعد فهذا شرح:

كتاب ذكر الموت وما بعده

وهو الأربعون الموفى لكتب إحياء العلوم للإمام الهمام مقتدى الخاص والعام، حجة الإسلام، وقطب رحا دائرة الأعلام، مولى الموالي أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، روى الله ضريحه بملث غيث رحمته الموالي، وأهدى إلى روحه الزكية تحالف غفرانه الغوالي، وقد طالعت عليه زيادة على ما سلف ذكره في مقدمة كتاب العلم من الكتب الغريبة كتاب المتفجعين لأبي العباس محمود بن محمد بن الفضل الأديب، وكتاب الثبات عند المات للحافظ أبي الفرج بن الجوزي، وحادي القلوب إلى لقاء المحبوب للشيخ ناصر الدين محمد بن الميلق الشاذلي، وشرح الصدور في أحوال الموتى والقبور، وأمالي الدرة الفاخرة كلاهما للحافظ جلال الدين السيوطي رحمهم الله تعالى، فدونك شرحاً للمقاصد محرراً، وللراغب في الآخرة منبهاً ومذكراً، جمع الفوائد فأوعى واستوعب المهمات نوعاً فنوعاً، ولما رأيت مسارعة الموت حائلة بين المؤمل والآمال انتهزت الفرصة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة، حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة، فنقلوا من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجواري والغلمان ومقاساة الهوام والديدان، ومن التنعم بالطعام والشراب

بالاختصار والإجمال وكتبت ما تبادر في استحضاري أولاً فأولاً، ولم أتفرغ لإراحة العنان لكوني مستعجلاً، وبالله توكلي وبه أستعين إنه هو المعين في أمور الدنيا والدين وهذا أوان شروع المقصود، بعون الملك المعبود.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

(**الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة**) القصم كسر الشيء حتى يبين، وقولهم في الدعاء قصمه الله معناه أذله وأهانه وهذه المعاني الثلاثة محتملة هنا، والرقاب جمع الرقبة محركة العنق، وقيل أصل مؤخره ويجمع أيضاً على رقب وأرقب ورقبات، والجبابرة جمع جبار وهو فعال من الجبر بمعنى القهر والاذلال. يقال: جبره السلطان إذا قهره وسامه الخسف وأجبره لغة فيه. قال الأزهري: هما جيدتان، وقال ابن دريد في باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة مما تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت جبرت الرجل على الشيء وأجبرته، (**وكسر به ظهور الأكاسرة**) جمع كسرى بفتح الكاف وكسرها لغتان مشهورتان وحكى الفتح عن الأصمعي والكسر عن غيره، (**وقصر به آمال القياصرة**) جمع قيصر. قال المطرزي وابن خالويه: كل من ملك الروم قيصر، ومن ملك الفرس كسرى، وقد جاء ذكرهما في الحديث. رواه الترمذي عن أبي هريرة: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وفي كل من الجملتين جناس الاشتقاق، وفي الثانية فقط براعة الاستهلال. (**الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق**) الذي هو الموت فإنه حتم في رقاب العباد، (**فأرداهم**) أي أوقعهم (**في الحافرة**) أي المحفورة، والمراد بها القبر، وأما قوله تعالى: ﴿**أئنّا لمردودون في الحافرة**﴾ [النازعات: ١٠] فالمعنى إلى أمرنا الأول وهو الحياة. وقال مجاهد: أي خلقاً جديداً. وقال ابن الاعرابي: أي إلى الدنيا كما كنا يقال عاد إلى حافرته. أي رجع إلى حالته الأولى، (**فنقلوا من أعالي القصور إلى أسافل القبور. ومن خباء المهود**) جمع المهد بمعنى الممهود وهو الفرش المهيأ للاضطجاع (**إلى ظلمة اللحود**) جمع اللحد وهو القبر الملحود، (**ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مصاحبة**) وفي نسخة مقاساة (**الهوام والديدان، ومن التنعم بالشراب إلى**

إلى التمرغ في التراب، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل، فانظر هل وجدوا من الموت حصناً وعزاً واتخذوا من دونه حجاباً وحرزاً، وانظر ﴿هَلْ تَحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أو تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ [مريم: ٩٨] فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر باستحقاق البقاء، وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء، ثم جعل الموت مخلصاً للأتقياء وموعداً في حقهم للقاء، وجعل القبر سجناً للأشقياء وحبساً ضيقاً عليهم إلى يوم الفصل والقضاء، فله الأنعام بالنعم المتظاهرة، وله الانتقام بالنقم القاهرة، وله الشكر في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة، والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره وبطن الأرض مستقره والقيامة موعده، والجنة أو النار

التمرغ في التراب، ومن أنس العشرة) بكسر العين وسكون الشين الجماعة المعاشرون **(إلى وحشة الوحدة)** وبين كل من الضياء والظلمة والأنس والوحدة وحسن المقابلة، **(ومن المضجع الوثير)** أي اللين **(إلى المصرع الوبيل)** أي الوخم، **(فانظر هل وجدوا من الموت حصناً)** يمنعهم منه **(أو اتخذوا من دونه حجاباً وحرزاً)** يدفعهم عنه، **(وانظر: ﴿هل تحس منهم من أحد﴾)** أي هل تشعر بأحد منهم أو تراه **(﴿أو تسمع لهم ركزاً﴾)** أي صوتاً خفياً. **(فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء)** أي الغلبة **(واستأثر)** أي اختص **(باستحقاق البقاء)** بنفسه لا إلى عمدة ولم يصح عليه الفناء، **(وأذل أصناف الخلق)** أي أنواع المخلوقات **(بما كتب عليهم من الفناء)** وهذا هو البقاء بغيره مما سواه سبحانه، فإنه يصح عليه الفناء، **(ثم جعل الموت مخلصاً)** من الحبس **(للاتقياء) أي للمؤمنين** الموصوفين بالتقوى، **(وموعداً في حقهم للقاء)** يشير إلى قوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقا الله فإن أجل الله لآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥] **(وجعل القبر سجناً للأشقياء وحبساً ضيقاً عليهم إلى يوم الفصل والقضاء)** كما وردت بذلك الأخبار وسيأتي ذكرها، **(فله الإنعام بالنعم المتظاهرة)** أي العديدة المعاونة بعضها بعضاً، **(وله الانتقام بالنقم القاهرة)** أي الغالبة، **(وله الشكر في السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة والصلاة على)** سيدنا **(محمد ذي المعجزات الظاهرة)** أي المعلومة **(والآيات الباهرة)** وتقدم الكلام على المعجزة والآية وذكر الفرق بينهما، **(وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً)**.

(أما بعد: فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة والنار

مورده أن لا يكون له فكر إلا في الموت ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا تطلع إلا إليه، ولا تعريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا حول إلا حوله، ولا انتظار وتربص إلا له، وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ويراها في أصحاب القبور، فإن كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت، وقد قال ﷺ: « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت »، ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب، ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه. ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار، ليكون ذلك مستحثاً على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقي من العمر إلا القليل والخلق عنه غافلون ﴿اقتَرَبَ للناس حِسَابُهُمْ وَهُمْ في غَفْلَةٍ مُعْرِضُوْنَ﴾ [الأنبياء: ١] ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين:

مورده أن لا يكون له فكر إلا في الموت) فإنه السبب الموصل لهذه الأهوال المذكورة، والباب الفاتح لها، **(ولا ذكر إلا له ولا استعداد إلا لأجله ولا تدبير إلا فيه ولا تطلع إلا إليه ولا تعرج إلا عليه)** والتعريج الوقفة اليسيرة، **(ولا اهتمام إلا به، ولا حوم إلا حوله، ولا انتظار وتربص إلا له، وحقيق بأنه يعد نفسه من)** جلة **(الموتى ويراها في)** جلة **(أصحاب القبور)** يشير إلى حديث ابن عمر الآتي ذكره، **(فإن كل ما هو آتٍ قريب)** رواه القضاعي من حديث عبد الله بن مصعب بن خالد الجهني عن أبيه عن جده زيد قال: تلقفت هذه الخطبة من في رسول الله ﷺ فذكرها، وفيها هذه الجملة **(« والبعيد ما ليس بآت »)** وهو الذي انقرض ومضى، ومنه قول الشاعر:

فلا زال ما تهواه أقرب من غدٍ ... ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

(وقد قال ﷺ: « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى ». رواه الترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم مراراً. **(ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب، ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه، ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه)** ومتمماته **(وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بدّ للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار، ليكون ذلك مستحثاً على الاستعداد، فقد قرب الرحيل لما بعد الموت فما بقي من العمر إلا القليل والخلق غافلون)** قال الله تعالى: (**﴿اقترب للناس حسابهم﴾**) أي بالإضافة إلى ما مضى أو عند الله أو لان كل ما هو آت قريب(**﴿وهم في غفلة معرضون﴾**) عن التفكر فيه **(ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين:**

الشطر الأول: في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور، وفيه ثمانية أبواب:

الباب الأول: في فضل ذكر الموت والترغيب فيه.

الباب الثاني: في ذكر طول الأمل وقصره.

الباب الثالث: في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عند الموت.

الباب الرابع: في وفاة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده.

الباب الخامس: في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين.

الباب السادس: في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور.

الباب السابع: في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور.

الباب الثامن: فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام.

الشطر الأوّل

في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور فيه ثمانية أبواب

الباب الأول: في فضل ذكر الموت والترغيب فيه.

الباب الثاني: في ذكر طول الأمل وقصره) وفيه بيان فضل قصره والسبب في طوله وعلاجه، وبيان مراتب الناس في كل منهما والمبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير.

(الباب الثالث: في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأهوال عند الموت) وفيه بيان دواهي الموت والحسرة ومنه لقاء ملك الموت.

(الباب الرابع: في وفاة رسول الله ﷺ) وما جرى عندها، (و) وفاة **(الخلفاء الراشدين)** رضي الله عنهم **(بعده)** وما جرى لهم عندها.

(الباب الخامس: في كلام المحتضرين) أي المشرفين على الموت. يقال: حضره الموت واحتضر أشرف عليه فهو في النزع وهو محضور ومحتضر بالفتح **(من الخلفاء والأمراء والصالحين)**.

(الباب السادس: في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور).

(الباب السابع: في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور.

(الباب الثامن: فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام) فهذه ثمانية أبواب على عدد أبواب الجنان.

الباب الأول
في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره

اعلم أن المنهمك في الدنيا المنكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت، فلا يذكره. وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال فيهم: ﴿قلْ إن الموت الذي تفرون منهُ فإنَّه ملاقِيكمْ ثم تردونَ إلى عالم الغيبِ والشهادةِ فينبئُكم بما كنتُم تعملونْ﴾ [الجمعة: ٨]، ثم الناس: إما منهمك، وإما تائب مبتدىء، أو عارف منته. أما المنهمك: فلا يذكر الموت، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه

الباب الأول
في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره

(**اعلم**) وفقك الله تعالى أن المقامات التسع التي ذكرها المصنف ليست على رتبة واحدة، بل بعضها مقصودة لذاتها كالمحبة والرضا فإنها أعلى المقامات، وبعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر، إذ التوبة رجوع عن طريق البعد وإقبال على طريق القرب، والزهد ترك التشاغل عن القرب، والخوف سوط يسوق إلى ترك الشواغل، والصبر جهاد مع الشهوات القاطعة لطريق القرب، وكل ذلك غير مطلوب لذاته، بل المطلوب القرب والمحبة، والمعرفة مطلوبة لذاتها لا لغيرها، ولكن لا يتم إلا بقطع حب غير الله من القلب فاحتيج إلى الخوف والصبر والزهد لذلك من الأمور العظيمة النفع فيه ذكر الموت، فلذلك أورده آخراً، ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره إذ به ينقص حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها، وإذا فهمت ذلك فاعلم (**أن المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره**) بلسانه وبقلبه، (**وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه**) وتخافون أن تتمنوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم (**فإنّه ملاقيكم**) لا تفرون منه لاحق بكم (**ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾**) بأن يجازيكم عليه، وما قبل هذه الآية: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون النّاس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين★ ولا يتمنونه أبداً بما قدَّمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ [الجمعة: ٦، ٧] (**ثم الناس إما منهمك**) في حب الدنيا (**وإما تائب مبتدىء أو عارف منتهي**) قد انتهى في سيره، (**أما المنهمك فلا يذكر الموت**) أصلاً لاشتغاله بما ينفره عنه (**وإن ذكره**) يوماً (**فيذكره للتأسف على دنياه**) أي على ما يفوته منها (**ويشتغل**

ويشتغل بمذمته، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعداً. وأما التائب؛ فإنه يذكر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد، وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه»، فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره، وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارهاً للقائه وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا، وأما العارف؛ فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد للقائه لحبيبه، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، وهذا في غالب الأمر يستبطىء مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين. كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم؛ اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة والموت أحب إلي من العيش فسهل علي الموت حتى ألقاك. فإذاً التائب

بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعداً، وأما التائب) المبتدىء **(فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة، وربما يكره الموت)** في بعض الأحيان **(خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد)** وتهيئته **(وهو معذور في كراهة الموت)** من هذا الوجه، **(ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه»)** هو شطر حديث أوله: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله». الخ. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: هو متفق عليه من حديث عائشة، ومن حديث أبي موسى، ومن رواية أنس عن عبادة بن الصامت. وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم فقط والنسائي وسيأتي ذكره.

(فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره، وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه) ويحبه **(فلا يعد كارهاً للقاء)** بهذا المعنى. **(وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه، وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا، وأما العارف المنتهي فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد لقائه لحبيبه، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، وهذا في غالب الأمر يستبطىء مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين، كما روي عن حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنهما **(أنه لما حضرته الوفاة قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إليّ من الغنى والسقم أحب إليّ من الصحة والموت أحب إلي من العيش فسهّل علي الموت حتى ألقاك)** رواه أبو نعيم

معذور في كراهة الموت، وهذا معذور في حب الموت وتمنيه، وأعلى منهما رتبة من فوّض أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتاً ولا حياة، بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه. فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية

في الحلية فقال: حدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا محمد بن سليم، عن إسماعيل بن كثير، عن زياد مولى ابن عياش قال: حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال: لولا أني أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به. اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة. حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ثم مات رحمه الله تعالى.

وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات، عن محمد بن القاسم أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أحمد ابن عبد الله الأصبهاني هو صاحب الحلية فذكره.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا عبد الرحمٰن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق المخرمي، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال: لما حضر حذيفة الموت قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم، الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين: حدثني الربيع بن تغلب، حدثني فرج بن فضالة، عن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه قيل له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: فما تشتكي؟ قال: الذنوب. قالوا: أفلا ندعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني لقد عشت فيكم على خلال ثلاث: الفقير فيكم أحب إلي من الغني، والضعة فيكم أحب إلي من الشرف، وإن من حمدني منكم ومن لامني في الحق سواء، ثم قال: أصبحنا. قالوا: نعم. قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح النار. حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم.

وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات عن إسماعيل بن أحمد، أخبرنا محمد بن هبة الله، أخبرنا علي بن محمد بن بشران، حدثنا ابن صفوان، حدثنا أبو بكر القرشي هو ابن أبي الدنيا فذكره. وقد رويت هذه المقالة أيضاً عن معاذ بن جبل أنه لما طعن كفه قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم. رواه ابن عساكر عن عبد الرحمٰن بن غنم عنه.

(**فإذاً التائب معذور في كراهة الموت، وهذا معذور في حب الموت وتمنيه، وأعلى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتاً ولا حياة**) ولا نفعاً ولا ضراً، (**بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه**) كما روي ذلك عن عدة من السلف وتقدم في كتاب المحبة والرضا؛ (**فهذا قد انتهى بفرط الحب إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى**) لأنه لا يتصور وقوع ذلك إلا بعد كمال المحبة فلو تمنى أهل النهي من أولي الألباب غاية الأماني فكونت لهم على ما تمنوا لكان رضاهم عن الله في تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره خيراً لهم

والمنتهى. وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك أيضاً يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا إذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته. وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة.

بيان فضل ذكر الموت كيفما كان:

من تحري أمانيهم، وأفضل لهم عند الله من قبل أن الله أحكم الحاكمين، (**وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك أيضاً يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا، إذ يتنغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته، وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة**).

بيان فضيلة ذكر الموت كيفما كان:

ولنقدم أولاً ما يتعلق ببدو الموت، ثم بما ورد في النهي عن تمنيه، ثم بما ورد في فضل طول الحياة في طاعة الله تعالى، ثم نتبعه بذكر فضيلته فأقول: روى أبو نعيم في الحلية عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ قال: ما بين الموت والبعث. وقال أحمد في الزهد، وابن أبي شيبة في المصنف معاً: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال: لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: إن الأرض لا تسعهم، فقال: إني جاعل موتاً. قالوا: إذاً لا يهنأهم العيش. قال: إني جاعل أملاً. وفي الحلية عن مجاهد قال: لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض قال له ربه: ابن للخراب ولد للموت. وروى البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة: إن ملكاً ينادي يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب، ومن حديث الزبير: ما من صباح يصبح على العباد إلا وصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب. وروى أحمد في الزهد من طريق عبد الواحد بن زيد قال، قال عيسى ابن مريم عليه السلام: يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم، وروى الثعلبي في التفسير عن كعب قال: صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال: أتدرون ما يقول هذا. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: يقول لدوا للموت وابنوا للخراب.

فصل

فيما ورد في النهي عن تمني الموت والدعاء به لضر ينزل في المال والجسد:

روى الباوردي والطبراني والحاكم من حديث الحكم بن عمرو الغفاري، وأحمد من حديث عبس الغفاري، وأحمد أيضاً والطبراني وأبو نعيم في الحلية من حديث خباب «لا يتمنين أحدكم الموت». ورواه الشيخان من حديث أنس بزيادة «لضر نزل به فإن كان ولا بد متمنياً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي». ورواه بهذه الزيادة أيضاً الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي وابن ماجه

وأبو عوانة وابن حبان. ورواه ابن أبي شيبة وابن حبان بزيادة بعد قوله « نزل به في الدنيا » ولكن ليقل وساقاه، وفيه في آخره بعد قوله « خيراً لي وأفضل ». ورواه الشيخان من حديث أبي هريرة بلفظ: « لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به قبل أن يأتيه أنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً ». ورواه ابن عساكر بلفظ « لا يتمنين أحدكم الموت حتى يثق بعمله ». ورواه أحمد والبخاري والنسائي بلفظ « إما محسناً فلعله يزداد وإما مسيئاً فلعله يستعتب ». ورواه النسائي وحده بلفظ « إما محسناً فلعله أن يعيش يزداد خيراً وهو خير له وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب ». ورواه الخطيب من حديث ابن عباس بلفظ « فإنه لا يدري ما قدم لنفسه ». وروى أحمد والبزار وأبو يعلى والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث جابر « لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة ». وروى الشيخان من حديث أنس قال: « لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن نتمنى الموت لتمنيناه ». وروى البخاري عن قيس بن أبي حازم قال: « دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال: لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعونا به ». وروى المروزي عن القاسم مولى معاوية أن سعد بن أبي وقاص تمنى الموت ورسول الله ﷺ يسمع، فقال ﷺ « لا تتمن الموت فإن كنت من أهل الجنة فالبقاء خير لك وإن كنت من أهل النار فما يعجلك إليها ». وروى أبو يعلى والطبراني والحاكم عن أم الفضل أن رسول الله ﷺ دخل عليهم وعمه العباس يشتكي فتمنى الموت فقال له: « يا عم لا تتمن الموت فإن كنت محسناً فإن تؤخر تزداد إحساناً إلى إحسانك خير لك وإن كنت مسيئاً فإن تؤخر تستعتب من إساءتك خير لك فلا تتمن الموت ».

فصل

في فضل طول الحياة في طاعة الله تعالى:

روى أحمد والترمذي وصححه والحاكم من حديث أبي بكرة أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال « من طال عمره وحسن عمله » قال: فأي الناس شر؟ قال « من طال عمره وساء عمله ». وروى الحاكم من حديث جابر « خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً ». ورواه أحمد من حديث أبي هريرة. وروى الطبراني من حديث عبادة بن الصامت « ألا أنبئكم بخياركم »؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « أطولكم أعماراً في الإسلام إذا سددوا ». وروي أيضاً من حديث عوف بن مالك « كلما طال عمر المسلم كان له خير ». وروى أحمد من حديث أبي هريرة قال: كان رجلان من بني حي من قضاعة أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة. قال طلحة بن عبيدالله: فرأيت الجنة فرأيت المؤخر منهما أدخل قبل الشهيد فعجب لذلك فأصبحت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: « أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة ». وروى أحمد والبزار من حديث طلحة « ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله ». وروى صاحب الحلية عن سعيد بن جبير قال: « إن بقاء المسلم

كل يوم غنيمة لأداء الفرائض والصلاة وما يرزقه الله من ذكره». وروى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم ابن أبي عبلة قال: «بلغني أن المؤمن إذا مات تمنى الرجعة إلى الدنيا ليس ذلك إلا ليكبر تكبيرة أو يهلل تهليلة أو يسبح تسبيحة».

فصل

في جواز تمني الموت والدعاء به لخوف الفتنة في الدين:

روى مالك من حديث أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني كنت مكانه». وروى مالك والبزار عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بالناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون». وروى مالك عن عمر أنه قال: «اللهم قد ضعفت قوتي وكبر سني وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مقصر فما جاوز ذلك إلا الشهر حتى قبض». وروى أحمد والطبراني في الكبير والخرائطي في مساوىء الأخلاق عن عليم الكندي قال: كنت مع عبس الغفاري على سطح فرأى قوماً يتحملون من الطاعون فقال: يا طاعون خذني إليك قالها ثلاثاً، فقال عليم: لم تقول هذا ألم يقل رسول الله ﷺ: «لا يتمنى أحدكم الموت فإنه عند ذلك انقطاع عمله ولا يرد فيستعتب». فقال عبس: أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بادروا بالموت ستة: أمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفاف بالدم، وقطيعة الرحم، ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل يغنيهم بالقرآن وإن كان أقلهم فقهاً» قال في الصحاح تحمل بمعنى ارتحل. وروى الحاكم عن الحسن قال: قال الحكم ابن عمرو: يا طاعون خذني إليك فقيل له: لم تقول هذا؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتمنين أحدكم الموت». قال: قد سمعت ما سمعتم، ولكني أبادر ستاً: بيع الحكم، وكثرة الشرط، وإمارة الصبيان، وسفك الدماء، وقطيعة الرحم، ونشوا يكون في آخر الزمان يتخذون القرآن مزامير». وروى ابن سعد في الطبقات عن حبيب بن أبي فضالة: أن أبا هريرة ذكر الموت فكأنه تمناه فقال بعض أصحابه: وكيف تتمنى الموت بعد قول رسول الله ﷺ: «ليس لأحد أن يتمنى الموت لا بر ولا فاجر إما بر فيزداد براً وإما فاجر فيستعتب». فقال: وكيف لا أتمنى الموت وإنما أخاف أن تدركني ستة: التهاون بالذنب وبيع الحكم وتقاطع الأرحام وكثرة الشرط ونشو يتخذون القرآن مزامير. وروى الطبراني من حديث عمرو بن عبسة «لا يتمنى أحدكم الموت إلا أن يثق بعمله فإن رأيتم ست خصال فتمنوا الموت وإن كانت نفسك في يدك فارسلها إضاعة الدم، وإمارة الصبيان، وكثرة الشرط، وإمارة السفهاء، وبيع الحكم ونشو يتخذون القرآن مزامير». وروى صاحب الحلية من حديث ابن مسعود: «لا يخرج الدجال حتى لا يكون شيء أحب إلى المؤمن من خروج نفسه». وروى ابن أبي الدنيا عن سفيان قال: «يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى قراء العلم ذلك الزمان من الذهب الأحمر». وعن أبي هريرة قال: «يوشك أن يكون الموت أحب إلى المؤمن من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه». وعن أبي ذر قال: «ليأتين على الناس زمان

....

تمر الجنازة بهم فيقول الرجل: ليت أني مكانها ». وروى ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: مرض أبو هريرة فأتيت أعوده فقلت: اللهم أشف أبا هريرة. فقال: اللهم لا ترجعها. قال: « يوشك يا أبا مسلم أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر، ويوشك يا أبا سلمة إن بقيت إلى قريب يأتي الرجل القبر فيقول يا ليتني مكانك ». وروى المروزي في الجنائز عن مرة الهمداني قال: « تمنى عبدالله لنفسه ولأهله الموت فقيل له: تمنيت لأهلك فلم تتمناه لنفسك؟ فقال: لو أني أعلم أنكم تسلمون على حالكم هذه لتمنيت أن أعيش فيكم عشرين سنة ». وروي عن أبي عثمان قال: بينما ابن مسعود ذات يوم في صفة له وتحته فلانة وفلانة امرأتان ذواتا منصب وجمال وله منهما ولد كأحسن الولد إذ شقشق على رأسه عصفور ثم قذف ذا بطنه فنكته بيده ثم قال: « لأن يموت آل عبدالله ثم يتبعهم أحب إلي من أن يموت هذا العصفور ». ورواه صاحب الحلية كذلك. وروى المروزي عن قيس قال: كان صبيان لعبدالله يشتدون بين يديه فقال: « ترون هؤلاء لهم أهون علي موتاً من عدتهم من الجعلان ». وروى صاحب الحلية من طريق الحسن: حدثنا أبو الأحوص قال: دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون ثلاثة كأمثال الدنانير فجعلنا ننظر إليهم ففطن بنا فقال: كانكم تغبطونني بهم. قلنا: وهل يغبط الرجل إلا بمثل هؤلاء؟ فرفع رأسه إلى سقف بيت له قصير قد عشش فيه خطاف. فقال: لأن أكون نفضت يدي من تراب قبورهم أحب إلي من أن يقع بيض هذا الخطاف فينكسر. وروى المروزي عن الحسن قال: كان في مصر كم هذا رجل عابد فخرج من المسجد فلما وضع رجله في الركاب أتاه ملك الموت فقال: مرحباً لقد كنت إليك بالأشواق فقبض روحه. وروى ابن سعد والمروزي عن خالد بن معدان قال: ما من دابة في بر ولا بحر يسرني أن تفديني من الموت، ولو كان الموت علماً يستبق الناس إليه ما سبقني إليه أحد إلا رجل يغلبني بفضل قوته. وروى صاحب الحلية عنه قال: والله لو كان الموت في مكان موضوعاً لكنت أول من سبق إليه. وروي أيضاً عن عبد ربه بن صالح أنه دخل على مكحول في مرض موته فقال له: عافاك الله تعالى. فقال: كلا اللحوق بمن يرجى عفوه خير مع البقاء مع من لا يؤمن شره شياطين الأنس وإبليس وجنوده. وروى ابن عساكر عن ابن مسهر قال: سمعت رجلاً قال لسعيد ابن عبد العزيز التنوخي: أطال الله تعالى بقاءك فغضب وقال: بل عجل الله بي إلى رحمته. وروى صاحب الحلية عن عبيدة بن المهاجر قال: لو قيل من مس هذا العود مات لقمت حتى أمسه. وروي أيضاً عن عبد الرحمن الصنابحي قال: الدنيا تدعو إلى فتنة والشيطان يدعو إلى خطيئة ولقاء الله خير من المقام معهما. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن عمرو بن ميمون أنه كان لا يتمنى الموت قال: إني أصلي كل يوم كذا وكذا صلاة حتى أرسل إليه يزيد بن مسلم فتعنته ولقي منه فكان يقول: اللهم الحقني بالأخيار ولا تخلفني مع الأشرار. وروي أيضاً عن أم الدرداء قالت: كان أبو الدرداء إذا مات الرجل على الحال الصالحة قال: هنيئاً لك يا ليتني كنت مكانك، فقالت أم الدرداء له في ذلك، فقال: هل تعلمين يا حمق أن الرجل يصبح مؤمناً ويمسي منافقاً يسلب إيمانه وهو لا يشعر فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصيام. وروى ابن أبي شيبة في المصنف، وابن أبي الدنيا عن أبي جحيفة قال: ما من نفس تسرني أن تفديني من الموت ولا نفس

قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » ؛ معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى وقال ﷺ : « لو تعلم من البهائم الموت ما

ذبابة. وروى ابن أبي الدنيا، والخطيب، وابن عساكر عن أبي بكرة قال: والله ما من نفس تخرج أحب إلي من نفسي هذه ولا نفس هذا الذباب الطائر ففزع القوم فقالوا: لم؟ فقال: إني أخشى أن أدرك زماناً لا أستطيع أن آمر بمعروف ولا أنهى عن منكر وما خير يومئذ. وروى ابن أبي شيبة وابن سعد والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة أنه مر به رجل فقال: أين تريد؟ قال: السوق. قال: إن استطعت أن تشتري الموت قبل أن ترجع فافعل. وروى ابن أبي الدنيا، والطبراني في الكبير، وابن عساكر من طريق عروة بن رويم عن العرباض بن سارية، وكان شيخاً من أصحاب النبي ﷺ ، وكان يحب أن يقبض فكان يدعو: اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك. قال: فبينما أنا يوماً في مسجد دمشق وأنا أصلي وأدعو أن أقبض إذ أنا بفتى شاب من أجمل الرجال وعليه دراج أخضر فقال: ما هذا الذي تدعو به؟ قلت: وكيف أدعو يا ابن أخي؟ قال: قل اللهم حسن العمل وبلغ الأجل. قلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا رتائيل الذي يسل الحزن من صدور المؤمنين ثم التفت فلم أر أحداً.

فصل

وأما فضيلة ذكر الموت فقد أورد المصنف في هذا الفصل ما يدل على فضيلة الموت وما يدل على فضيلة ذكره، ونحن ننبه على كل منها فمما يدل على فضيلة ذكره ما (**قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر هادم اللذات »**) الموت، وهادم: روي بالدال المهملة وبالمعجمة، والهذم: القطع ومنه سيف هذام، واللذات هي الشهوات فإن كان بالدال المهملة فالمعنى مزيلها من أصلها، وأنكره السهيلي في الروض وقال: ليس مراداً ههنا، وتعقبه الحافظ ابن حجر وقال في ذا النفي نظر، وسياق المصنف يشعر أنها بالذال المعجمة حيث قال: (**معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم**) أي ميلكم وسكونكم (**إليها فتقبلوا على الله تعالى**). وسياق الطيبي يشعر بأنها بالدال المهملة حيث قال: شبه اللذات الفانية والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم بصدمات هائلة، ثم أمر المنهمك فيها بذكر الهادم لئلا يستمر على الركون إليها ويشتغل بما عليه من التزود إلى القرار. قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم انتهى.

قلت: لفظ الترمذي « أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت». ورواه كذلك هو وأحمد والنسائي وابن ماجه من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به مرفوعاً. وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر، وأعله الدارقطني بالإرسال، وقد رواه كذلك العسكري في الأمثال والبيهقي في الشعب، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عمر، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم أيضاً والبيهقي والضياء من حديث أنس. وقوله: الموت بجره عطف بيان وبرفعه خبر مبتدأ

يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سميناً » ، وقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله هل يحشر مع الشهدء أحد ؟ قال : « نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة » . وإنما سبب

محذوف وبنصبه بتقدير أعني . وقد جاء بعض في بعض الروايات يعني الموت فتعين النصب ، وقد روي هذا الحديث بزيادات يأتي ذكرها قريباً .

(وقال ﷺ : « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم) منه وفي لفظ بنو آدم (ما أكلتم منها سميناً ») لأن تذكره ينغص النعمة ويكدر صفو اللذة وذلك مهزل لا محالة .

قال الشيخ الأكبر قدس سره : حقيقة الكشف اطلاع على ظاهر من علم باطن يستجليه إدراك باطن حس من الحواس يحاذي به المطلع حذو مدركات ظاهر حسه ، والخطاب في أمره يختص بمن وقع له في مطالعته حظ كشأن الحواس الظاهرة وبركة الكشف في الحس بمثابة بركة العلم في أمر العلم ينال به واجده غيباً عن ظاهر العين والسمع وسائر الحواس ، فكان من لا كشف له من الناس بمنزلة أعجم الحيوان الذي لا يتقدم بين يدي ظاهر أمره مثل ما ذكره ﷺ في هذا الحديث ، وكذلك من لا كشف له لما سمنت جبلته وضخمت طبيعته تشبث بدنياه قلبه ولم يجد الزهد في متاع دنياه مساغاً انتهى .

قال العراقي : رواه البيهقي في الشعب من حديث أم صبية الجهنية وقد تقدم انتهى .

قلت : هي بضم الصاد المهملة وفتح الموحدة وتشديد التحتية مصغراً صحابية اسمها خولة بنت قيس على الأصح جدة خارجة بن الحرث ، وزعم ابن منده أنها خولة بنت قيس بن فهد ، والصواب الأول وقد رواه أيضاً القضاعي في مسند الشهاب ، وفيه عبدالله بن أسلم ضعفه الدارقطني ورواه الحاكم والبيهقي والديلمي بسند فيه ضعفاء عن أبي سعيد الخدري ، وذكروا فيه قصة أنه مر رسول الله ﷺ بظبية مربوطة إلى خباء فقالت : يا رسول الله حلني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم أرجع فقال : « صيد قوم وربيطة قوم » ثم أخذ عليها فحلها فلم يكن إلا قليلاً حتى رجعت وقد نفضت ضرعها ، فربطها رسول الله ﷺ ، ثم جاء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له يعني فأطلقها ثم قال : « لو تعلم الحديث » ولفظ الديلمي « لو علمت البهائم من الموت ما أكلتم منها لحماً سميناً » . وعنده من حديث أنس بلا سند « لو أن البهائم التي تأكلون لحومها علمت ما تريدون بها ما سمنت وكيف تسمن أنت يا ابن آدم والموت أمامك » .

(وقالت عائشة رضي الله عنها) قلت : (يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال : « نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة »

قلت : تقدم هذا للمصنف في آخر كتاب التوحيد والتوكل أنه من حديث أنس وعائشة ولفظه : قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟ فقال « نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة » . وتقدم هناك أن العراقي قال : لم أقف على إسناده . وذكرنا أن حديث عائشة رواه الطبراني في الأوسط نحوه وفيه « من قال في يوم خمسة وعشرين مرة اللهم بارك في الموت وفيما بعد الموت

هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة، والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا. وقال ﷺ: « تحفة المؤمن الموت »، وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه، فالموت إطلاق له من هذا العذاب، والإطلاق تحفة في حقه. وقال ﷺ: « الموت كفارة لكل مسلم ». وأراد بهذا: المسلم حقاً

ثم مات على فراشه أعطاه الله أجر شهيد ». وعزاه السيوطي في شرح الصدور للطبراني من حديث عمار بلفظ المصنف: (**وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور**) أي البعد عنها، (**ويتقاضى الاستعداد للآخرة**) أي يطالب، (**والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا**) والإكباب عليها.

(**وقال ﷺ: « تحفة المؤمن الموت »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، والطبراني والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن المبارك في الزهد، والبيهقي في الشعب. ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث جابر.

(**وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن**) كما رواه مسلم من حديث أبي هريرة (**إذ لا يزال فيها في عناء**) أي تعب (**من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه، فالموت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تحفة في حقه**)، فقد روى أحمد من حديث ابن عمرو « الدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة. ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ: الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها ». ورواه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فإذا مات المؤمن يخلي سربه حيث شاء ». والسرب بالفتح الطريق كما في الصحاح. وروى ابن أبي شيبة في المصنف، والمروزي في الجنائز، والطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود قال: « ذهب صفو الدنيا فلم يبق إلا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم ».

(**وقال ﷺ: « الموت كفارة لكل مسلم »**) أي لما يلقاه من الآلام والأوجاع، وفي رواية « لكل ذنب ». وقال ابن الجوزي: وفي بعض طرق الحديث ما يفهم المراد بالموت الطاعون فإنهم كانوا في الصدر الأول يطلقون الموت ويريدونه به اهـ.

وكأنه يشير إلى خبر البخاري « الطاعون كفارة لكل مسلم». قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب، والخطيب في التاريخ من حديث أنس. قال ابن العربي في سراج المريدين: إنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزي وقد جمعت طرقه في جزء اهـ.

قلت: وكذلك رواه القضاعي في مسند الشهاب كلهم من طريق يزيد بن هارون عن عاصم الأحول عن أنس به. وقال العراقي في أماليه: إنه ورد من طرق يبلغ بها رتبة الحسن، ولم يصب

المؤمن صدقاً الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا باللمم والصغائر، فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامته الفرائض، قال عطاء الخراساني: مر رسول الله ﷺ بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال: «شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات»، قالوا: وما مكدر اللذات؟

ابن الجوزي والصغاني في ذكرهما له في الموضوعات. وقال الحافظ ابن حجر: إنه لم يتهيأ الحكم عليه بالوضع مع وجود هذه الطرق. قال: ومع ذلك فليس هو على ظاهره بل هو محمول على موت مخصوص إن ثبت الحديث اهـ.

ولهذا المعنى احتاج المصنف إلى تأويله فقال: **(وأراد بهذا المسلم حقاً المؤمن صدقاً)** أي الكامل في إسلامه وإيمانه، **(الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده)**. وقد روى الحاكم من حديث جابر «أكمل المؤمنين من سلم المسلمون من لسانه ويده» وروى ابن النجار من حديث علي «وإنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». **(وتتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا باللمم والصغائر، فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامة الفرائض)**.

وقال العامري في شرح الشهاب: معنى الحديث إن الله تعالى يتكرم على عبده المسلم بتطهيره للقائه بتكفير ذنوبه مما يلاقي غصص الموت وسكراته كما كفرت الأمراض والمصائب عنه ذنوباً أخر قبل موته. وروى أبو نعيم في الحلية عن الأوزاعي قال قال عمر بن عبد العزيز ما أحب أن يهون علي سكرات الموت إنه آخر ما يكفر به المسلم.

(وقال عطاء الخراساني) هو عطاء بن أبي مسلم كنيته أبو أيوب، ويقال أبو عثمان، ويقال أبو محمد، ويقال أبو صالح البلخي نزيل الشام مولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي واسم أبيه أبي مسلم عبدالله، ويقال: ميسرة. روى عن ابن عباس، وعنه ابن جريج ثقة صدوق. وقال الدارقطني: إلا أنه لم يلق ابن عباس مات سنة خمس وثلاثين ومائة، وكانت ولادته سنة خمسين ودفن ببيت المقدس روى له مسلم والأربعة، وقيل: بل روى له البخاري أيضاً. وقال الحافظ ابن حجر لم يثبت.

(مر رسول الله ﷺ بمجلس قد استعلاه الضحك فقال: «شوبوا) أي اخلطوا **(مجلسكم بذكر مكدر اللذات» قالوا: وما مكدر اللذات؟ قال: «الموت»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا مرسلاً. ورويناه في أمالي الخلال من حديث أنس ولا يصح اهـ.

قلت: ورواه البيهقي من حديث أنس أنه ﷺ مر بقوم يضحكون ويمزحون فقال: «اكثروا ذكر هاذم اللذات». وروى العسكري في الأمثال من حديث أبي هريرة: مر رسول الله ﷺ بمجلس من مجالس الأنصار وهم يمزحون ويضحكون فقال: «اكثروا من ذكر هاذم اللذات فإنه لم يذكر في كثير إلا قلله ولا في قليل إلا كثره ولا في ضيق إلا وسعه ولا في سعة إلا ضيقها». وروى البيهقي من حديث أبي سعيد دخل رسول الله ﷺ فرأى ناساً يكثرون فقال: «لو أكثرتم

قال: الموت ». وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا ». وقال ﷺ: « كفى بالموت مفرقاً »، وقال عليه السلام: « كفى بالموت واعظاً »، وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون

ذكر هاذم اللذات الموت وإنه لم يأت على القبر يوم إلا وهو يقول: أنا بيت الوحدة وبيت الغربة أنا بيت التراب أنا بيت الدود ». ولفظه عند العسكري دخل النبي ﷺ مصلى فرأى ناساً يكثرون فقال: « أما أنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات فأكثروا ذكر هاذم اللذات ».

(**وقال أنس**) رضي الله عنه قال: (**قال رسول الله ﷺ: « أكثروا من ذكر الموت فإنه**) أي إكثاره (**يمحص الذنوب**) أي يزيلها (**ويزهد في الدنيا »**) أي يقللها في أعينكم وهو كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص لذته الحاضرة وزهده فيما كان يؤمل، لكن النفوس الذاكرة والقلوب العاطلة تحتاج إلى تطويل الوعظ وتزويق الألفاظ. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف جداً اهـ.

قلت: وتمامه عند ابن أبي الدنيا: فإن ذكرتموه عند الغنى هذمه وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم، وهو في مكارم الأخلاق لابن لال بلفظ « اكثروا ذكر الموت فإن ذلك تمحيص للذنوب وتزهيد في الدنيا الموت القيامة والموت المقيمة ».

(**وقال ﷺ: « كفى بالموت مفرقاً »**) قال العراقي: رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف. ورواه ابن المبارك في البر والصلة من رواية أبي عبد الرحمن الجيلي مرسلاً اهـ.

قلت: كذا هو في النسخ ابن المبارك ولعله ابن أبي الدنيا فإنه الذي رواه في البر والصلة. وأما حديث أنس: فرواه ابن السني في عمل يوم وليلة، والعسكري في الأمثال بلفظ: « كفى بالدهر واعظاً وبالموت مف[illegible] ذكرا له قصة تقدم ذكرها. وروى سعيد بن منصور في سننه، عن أبي الدرداء قال: « موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظاً كفى بالدهر مفرقاً اليوم في الدور وغداً في القبور ».

(**وقال ﷺ: « كفى بالموت واعظاً »**). قال العراقي: رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف، وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد اهـ.

قلت: لفظ الطبراني: « كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين غنى » ورواه العسكري في الأمثال، والطبراني أيضاً، والقضاعي والبيهقي في الشعب بلفظ: « كفى بالموت واعظاً وكفى بالموت غنى وكفى بالعبادة شغلاً ». ورواه من طريق يونس بن عبيد عن الحسن، عن عمار وتقدم قريباً من قول أبي الدرداء رواه سعيد بن منصور.

ويضحكون، فقال: «اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، وذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنوا الثناء عليه، فقال: «كيف ذكر صاحبكم للموت؟» قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت! قال: «فإن صاحبكم ليس هنالك»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: أتيت النبي ﷺ ـ عاشر عشرة ـ فقال رجل من الأنصار: من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله؟ فقال: «أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة».

(وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال: «اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: هذا الشطر الأخير: «لو تعلمون ما أعلم». الخ متفق عليه من حديث أنس وعائشة. وفي الباب عن أبي هريرة وجماعة تقدم ذكره، وقد روى البيهقي في الشعب عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً «أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لا يكون في كثير إلا قلله ولا في قليل إلا كثرة».

(وذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال: «كيف كان ذكر صاحبكم للموت». قالوا: ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت. قال: «فإن صاحبكم ليس هناك») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الموت من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك في الزهد قال: أنبأنا مالك بن مغول فذكره بلاغاً بزيادة فيه اهـ.

قلت: وكذلك رواه البزار من حديث أنس. وروى ابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد في الزهد عن ابن سابط قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل فأثنى عليه فقال ﷺ: «كيف ذكره للموت» فلم يذكر ذلك منه. فقال: «ما هو كما تذكرون» وأخرجه الطبراني عن سهل بن سعد نحوه.

(وقال ابن عمر) رضي الله عنهما. **(أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار: من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله؟ فقال: «أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه مختصراً، وابن أبي الدنيا في الموت بكماله بإسناد جيد اهـ.

قلت: ورواه الطبراني والحاكم عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً قبل نزول الموت أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة». ورواه ابن المبارك في الزهد، وأبو بكر في الغيلانيات من طريق يحيى بن أيوب، عن عبيد بن زهر، عن سعد بن مسعود الكندي له صحبة، وقيل: إنه تابعي قال: سئل رسول الله ﷺ أي المؤمنين أكيس؟ فقال: «اكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً».

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحربي، حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن العلاء بن عتبة، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال: قام فتى فقال: يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: « اكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً قبل أن ينزل به أولئك الأكياس ». ثم قال رواه أبو سهيل بن مالك، وحفص بن غيلان، ويزيد بن مالك، وقرة بن قيس، ومعاوية بن عبد الرحمن عن عطاء مثله. ورواه مجاهد عن ابن عمر نحوه اهـ.

ومما يحسن إيراده من الأخبار في فضل الموت: روى الديلمي من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما: « الموت ريحانة المؤمن ». وروى البيهقي في الشعب وضعفه، والديلمي من حديث عائشة: « الموت غنيمة والمعصية مصيبة والفقر راحة والغنى عقوبة والعقل هدية من الله والجهل ضلالة والظلم ندامة والطاعة قرة العين والبكاء من خشية الله النجاة من النار والضحك هلاك البدن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ». وروى أحمد وسعيد بن منصور في سننه بإسناد صحيح من حديث محمود بن لبيد: « اثنان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب ». وروى ابن السكن، وأبو موسى في المعرفة، والبيهقي في الشعب من حديث زرعة بن عبدالله الانصاري: « يحب الإنسان الحياة والموت خير لنفسه، ويحب الإنسان كثرة المال وقلة المال أقل للحساب ». وهو مرسل لأن زرعة تابعي وقيل: هو صحابي وهو بضم الزاي ثم راء، وقيل براء ثم زاي ساكنة. وروى الشيخان من حديث أبي قتادة قال: مرّ على النبي ﷺ بجنازة فقال: « مستريح أو مستراح منه ». قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: « العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب ». وروى أبو نعيم من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: « يا أبا ذر إن الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره، يا أبا ذر إن الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره ». وروى النسائي والطبراني وابن أبي الدنيا من حديث عبادة بن الصامت: « ما على الأرض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يحب أن يرجع فيقتل مرة أخرى لما يرى من ثواب الله له ». وروى الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: « اللهم حبب الموت إلى من يعلم أني رسولك ». وروى الأصبهاني في الترغيب عن أنس أن النبي ﷺ قال له: « إن حفظت وصيتي فلا يكونن شيء أحب إليك من الموت ». وروى ابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا في الموت، والبيهقي في الشعب من حديث الربيع بن أنس مرسلاً « كفى بالموت مزهداً في الدنيا مرغباً في الآخرة ». وروى الديلمي من حديث أبي هريرة: « اكثروا ذكر الموت فما من عبد أكثر من ذكره إلا أحيا الله قلبه وهوّن عليه الموت ». وروى ابن عساكر من حديث أبي الدرداء: « لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً ». وروى ابن المبارك في الزهد من مرسل محمد بن عبد الرحمن بن نوفل: « لو تعلمين علم الموت يا بنت زمعة

وأما الآثار؛ فقد قال الحسن رحمه الله تعالى: **فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً.** وقال الربيع بن خيثم: ما غائب ينتظره المؤمن خيراً له من الموت. وكان يقول: لا تشعروا بي أحداً وسلوني إلى ربي سلاً. وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه: يا

لعلمت أنه أشد مما تقدرين عليه» وقد رواه الطبراني عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن سودة بنت زمعة موصولاً.

ومما يحسن إيراده في ذكر فضيلة ذكر الموت والاستعداد له من الأخبار: روى ابن أبي الدنيا عن سفيان قال: حدثنا شيخ أن رسول الله ﷺ أوصى رجلاً فقال: «اكثر ذكر الموت يسليك عما سواه». وروى أبو نعيم من حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله مالي لا أحب الموت؟ قال: «لك مال»؟ قال: نعم. قال: «قدمه فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحق به وإن أخره أحب أن يتأخر معه». وروى الطبراني عن طارق المحاربي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا طارق اسعد للموت قبل الموت». وروى الديلمي من حديث أنس: «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة التفكر فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياضة الجنة». وروى الترمذي من حديث أبي هريرة: «ما من أحد يموت إلا ندم» قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع».

(**وأما الآثار: فقد قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً**) لأن ذا اللب يراها ببصيرته زائلة والموت واقعاً فلا يفرح بشيء من زهرتها. (**وقال**) أبو يزيد (**الربيع بن خيثم**) الثوري الكوفي العابد أحد الزهاد الثمانية: (**ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت**). ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، وابن المبارك في الزهد، والمروزي في الجنائز.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا وكيع، عن سفيان عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم فذكره.

وحدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا جعفر بن الصباغ، حدثنا يعقوب الدورقي، حدثنا الأشجعي، سمعت سفيان يقول: قال الربيع بن خيثم ارتدوا هذا الخير بالله تنالوه لا بغيره، واكثروا ذكر هذا الموت الذي لم تذوقوا مثله فإن الغائب إذا طالت غيبته رجيت جيئته وانتظره أهله وأوشك أن يقدم عليهم.

وحدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا أبو بكر، حدثنا سعيد بن عبدالله ابن نسير عن بكر بن ماعز قال: كان الربيع يقول: اكثروا ذكر هذا الموت الذي لم تذوقوا قبله مثله.

(**وكان يقول: لا تشعروا بي أحداً وسلوني إلى ربي سلاً**) رواه أبو نعيم في الحلية. ورواه

أخي أحذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده. وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه. وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة. وقال ابراهيم التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا: ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل. وقال كعب: من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها. وقال

صاحب كتاب المتفجعين عن الفريابي قال: حدثنا سفيان، عن ابن حيان أن الربيع بن خيثم قال عند موته: لا تعلموا بي أحداً وسلوني إلى ربي مرسلاً.

(**وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه: يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده**). رواه ابن أبي الدنيا. (**وكان أبو بكر محمد بن سيرين**) رحمه الله تعالى (**إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه**). رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا الحميدي ح.

وحدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا إسحاق بن إسماعيل ومحمد بن عباد قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثني دهين الأقطع قال: كان محمد بن سيرين إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته. ورواه صاحب كتاب المتفجعين، عن عبدالله بن إبراهيم بن العباس، عن عثمان بن قرزاذ، عن إبراهيم بن بشار عن ابن عيينة وفيه: على حياله بدل على حدته.

(**وكان عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**يجمع كل ليلة الفقهاء**) عنده (**فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة وما فيها من الأهوال**) والشدائد، (**ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة**) رواه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال**) أبو إسحاق (**إبراهيم**) بن يزيد بن شريك (**التيمي**) الكوفي وكان من العباد: (**شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا: ذكر الموت، والوقوف بين يدي الله عز وجل**) رواه ابن أبي الدنيا في الموت.

(**وقال كعب**) الأحبار رحمه الله تعالى: (**من عرف الموت هانت عليه المصائب**) رواه ابن أبي الدنيا بلفظ: مصائب الدنيا وغمومها. رواه عن محمد بن الحسين قال: حدثنا الحرث بن خليفة، حدثنا ذريد أبو سليمان، عن إبراهيم بن أبي عبدالله الشامي، عن كعب فذكره. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه.

(**وقال أبو بكر مطرف**) بن معقل التميمي الشقري بالشين المعجمة والقاف محركة منسوب إلى شقرة قبيلة من تميم وهو لقب معاوية بن الحرث بن تميم، ومطرف هذا روى عن ابن سيرين

مطرف: رأيت فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول ـ في وسط مسجد البصرة ـ **قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين. وقال أشعث: كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت. وقالت صفية رضي الله عنها: إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت: أكثري ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها. وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دماً. وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة**

والحسن والشعبي، وعنه النضر بن شميل وأبو داود والطيالسي: **(رأيت فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول في وسط مسجد البصرة: قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين)**. رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عبد العزيز بن سليمان فقال: حدثنا أبو بكر المؤذن، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبيد، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا أبو عقيل زيد بن عقيل قال: سمعت مطرفاً الشقري يقول لعبد العزيز بن سليمان. رأيت فيما يرى النائم فذكره. وفي آخره: فخرَّ عبد العزيز مغشياً عليه.

(وقال أبو) هانيء **(أشعث)** بن عبد الملك الحمراني البصري منسوب إلى حمران مولى عثمان بن عفان. قال يحي بن سعيد: لم ألق أحداً يحدث عن الحسن أثبت منه وكان عالماً بمسائل الحسن الرقاق. قال شعبة: عامة ما روى يونس في الرقائق كنا نرى أنها عنه. وقال ابن سعد: كان الحسن إذا رأى الأشعث قال: هات يا أبا هانيء ما عندك. وفي طريق آخر: أنشر بزك أي هات مسائلك. وقال الدارقطني: هم ثلاثة يروون عن الحسن جميعاً أحدهم الحمراني ثقة، وأشعث الحداني يعتبر به، وابن سواد الكوفي يعتبر به وهو أضعفهم، روى له البخاري تعليقاً والباقون سوى مسلم: **(كنا ندخل على الحسن)** البصري **(فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت)** رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقالت صفية) بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدرية تابعية جليلة لها رواية وأكثر حديثها عن عائشة. **(إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت: أكثري من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دماً) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وروى ابن عساكر عن الشعبي قال: كان عيسى إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول: لا ينبغي لابن مريم أن يذكر عنده الساعة فيسكت. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي طارق التبان قال: كان عبد العزيز بن سليمان إذا ذكر القيامة والموت صرخ كما تصرخ الثكلى ويصرخ الخائفون من جوانب البحر. قال: وربما رفع الميت والميتان من جوانب مجلسه.

(وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله، فإذا

يبكي حتى تنخلع أوصاله، فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه. وقال الحسن: ما رأيت عاقلاً قط إلا أصبته من الموت حذراً وعليه حزيناً. وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء: عظني؛ فقال: أنت أوّل خليفة تموت. قال: زدني، قال: ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك، فبكى عمر لذلك. وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبراً في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد. وقال مطرف بن عبدالله بن الشخير: إن

ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في الموت عن ثابت بـن صفوان عن عروة قال: كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله لا يشدها إلا الله، فإذا ذكر رحمته تراجعت. وروى أحمد في الزهد عن أبي العالية قال: كان دعاء داود عليه السلام: سبحانك إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ردتّ إليَّ روحي سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا لي خطيئتي فكلهم عليك يدلني.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(ما رأيت عاقلاً إلا أصبته حذراً من الموت وعليه حزيناً)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي مروان بشر الرحال عن الحسن قال يحق لمن يعلم أن الموت مورده وأن الساعة موعده وأن القيامة بين يدي الله مشهده أن يطول حزنه.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(لبعض العلماء. عظني. فقال: أنت أوّل خليفة تموت. قال: زدني. قال: ليس من آبائك أحد إلى آدم إلاّ ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق فضيل بن عياض، عن السري بن يحي، عن عمر بن عبد العزيز قال: والله إن رجلاً ليس بينه وبين آدم إلا أب له قدمات لمعرق له في الموت. وروى أيضاً في ترجمة عبد العزيز بن سلمان من طريق محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال: كنت أسمع أبي يقول: عجبت ممن عرف الموت كيف تقرّ عينه في الدنيا، أم كيف تطيب بها نفسه، أم كيف لا ينصدع فيها قلبه. قال: ثم يصرخ هاه هاه حتى يخر مغشياً عليه.

(وكان الربيع بن خيثم) الثوري الكوفي الزاهد **(قد حفر قبراً في داره، فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت، وكان يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وروى أبو نعيم في الحلية عن الحسن هو ابن صالح قال: قيل للربيع بن خيثم: يا أبا عبدالله لو جالستنا. قال: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة فسد عليّ..

(وقال مطرف بن عبدالله بن الشخير) الحرشي العامري البصري التابعي الزاهد: **(إن هذا**

هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فأَطلبوا نعيماً لا موت فيه. وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة: أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك. وقال أبو سليمان الداراني: قلت لأم هارون، أتحبين الموت؟ قالت: لا، قلت: لم؟ قالت: لو عصيت آدمياً ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته.

الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه) رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا أبو كريب، حدثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي جعفر الرازي، عن قتادة، عن مطرف قال: فساقه.

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**لعنبسة**) بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية أبي خالد الأموي أخي عمرو الأشدق ثقة، وكان عند الحجاج بالكوفة، مات على رأس المائة، روى له البخاري ومسلم وأبو داود: (**أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك، وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك**). قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا الحسن بن محمد بن كيسان، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا ابن أبي بكر، حدثنا سعيد بن عامر، عن أسماء بن عبيد قال: دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطون عطايا منعتناها ولي عيال وضيعة افتأذن لي أخرج إلى ضيعتي وما يصلح عيالي؟ فقال عمر: أحبكم إلينا من كفانا مؤنته، فخرج من عنده، فلما صار عند الباب قال عمر: أبا خالد أبا خالد فرجع، فقال: أكثر من ذكر الموت فإن كنت في ضيق من العيش وسعه عليك وإن كنت في سعة من العيش ضيقه عليك.

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن يحيى المروزي، حدثنا خالد بن خراش، حدثنا حماد بن زيد، عن محمد بن عمر قال: قال عنبسة بن سعيد: دخلت على عمر فذكر نحوه.

(**وقال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**قلت لأم هارون**) وكانت من العارفات: (**أتحبين الموت؟ قالت: لا. قلت: لم؟ قالت: لو عصيت آدمياً ما اشتهيت لقاءه، فكيف أحب لقاءه وقد عصيته**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

ومما يحسن إيراده من ذكر الآثار في فضل الموت: روى المروزي في الجنائز، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال: حبذا المكروهان الفقر والموت.

وروى ابن أبي شيبة، والمروزي عن طاوس قال: لا يحزن دين المرء إلا حفرته.

وروى ابن أبي الدنيا عن مالك بن مغول قال: بلغني أن أول سرور يدخل على المؤمن الموت لما يرى من كرامة الله تعالى وثوابه.

وروى أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله.

وروى سعيد بن منصور وابن جرير عن أبي الدرداء قال: ما من مؤمن إلا الموت خير له، وما

من كافر إلا الموت خير له، فمن لم يصدقني فإن الله يقول: ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ [آل عمران: ١٩٨] ﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير﴾ [آل عمران: ١٧٨] الآية.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف، وعبد الرزاق في تفسيره، والحاكم في المستدرك، والطبراني والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال: ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة إن كان براً فقد قال الله تعالى: ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ وإن كان فاجراً فقد قال الله: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم﴾ الآية.

وروى ابن المبارك، وأحمد في الزهد عن حيان بن جبلة أن أبا ذر أو أبا الدرداء قال: لا حبذا المكروهات الثلاث: الموت والمرض والفقر.

وروى ابن أبي الدنيا عن جعفر الأحمر قال: من لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة.

وروى ابن سعد في الطبقات، والبيهقي في الشعب، عن أبي الدرداء قال: أحب الفقر تواضعاً لربي، وأحب الموت اشتياقاً لربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي.

وروى أبو نعيم في الحلية عن سفيان الثوري أنه كان إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياماً، فإن سئل عن شيء قال: لا أدري لا أدري.

وروى ابن سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، عن أبي الدرداء أنه قيل له: ما تحب لمن تحب؟ قال: الموت. قالوا: فإن لم يمت. قال: يقل ماله وولده.

وروى ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت قال: أتمنى لحبيبي أن يقل ماله ويعجل موته.

وروى أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا، عن أبي الدرداء قال: ما اهدى إلي أخ صالح هدية أحب إلي من السلام ولا بلغني خبر أعجب لي من موته.

وروى ابن أبي الدنيا، عن محمد بن عبد العزيز التيمي قال: قيل لعبد الأعلى التيمي: ما تشتهي لنفسك ولمن تحب من أهلك؟ قال: الموت. وقال سهل بن عبدالله التستري: لا يتمنى الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى، أو مشتاق محب للقاء الله تعالى. وقال حيان بن الأسود: الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب. وقال أبو عثمان: علامة الشوق حب الموت مع الراحة. وقال بعضهم: إن المشتاقين يحسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من أن روح الوصول أحلى من الشهد.

وروى ابن عساكر عن ذي النون المصري قال: الشوق أعلى الدرجات أو أعلى المقامات إذا بلغها العبد استبطأ الموت شوقاً إلى ربه وحباً للقائه والنظر إليه.

وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عبد ربه أنه قال لمكحول: أتحب الجنة؟ قال: ومن لا يحب الجنة. قال: فأحب الموت فإنك لن ترى الجنة حتى تموت.

وروي عن عبدالله بن أبي زكريا أنه كان يقول: لو خيرت بين أن أعمر مائة سنة في طاعة الله تعالى وأن أقبض يومي هذا أو في ساعتي هذه لاخترت أن أقبض في يومي هذا أوفي ساعتي هذه شوقاً إلى الله ورسوله وإلى الصالحين من عباده.

وروى أبو نعيم، وابن عساكر عن أحمد بن الحواري قال: سمعت أبا عبدالله النباجي يقول: لو خيرت بين أن تكون لي الدنيا منذ يوم خلقت أتنعم فيها حلالاً لا أسأل عنها يوم القيامة، وبين أن تخرج نفسي الساعة لاخترت أن تخرج نفسي الساعة، أما تحب أن تلقى من تطيع.

وروى ابن المبارك في الزهد، وابن أبي الدنيا عن مسروق قال: ما غبطت شيئاً بشيء كمؤمن في لحده قد أمن من عذاب الله واستراح من أذى الدنيا. ورواه ابن أبي شيبة بلفظ: ما من شيء خير للمؤمن من لحد قد استراح من هموم الدنيا وأمن من عذاب الله.

وروى ابن المبارك في الزهد عن الهيثم بن مالك قال: كنا نتحدث عند أيفع بن عبدة وعنده أبو عطية المذبوح فتذكروا النعيم فقال: من أنعم الناس؟ قالوا: فلان وفلان. فقال: ما تقول يا أبا عطية؟ فقال أنا أخبركم عمن هو أنعم منه جسد في لحد أمن من العذاب.

وروي عن محارب بن دثار قال: قال لي خيثمة: أيسرك الموت؟ قال: لا. قال: ما أعلم أحداً لا يسره الموت إلا منقوص وهو عند عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد بلفظ فقال: إن هذا بك لنقص كبير.

وروي عن أبي عبد الرحمن أن رجلاً قال في مجلس أبي الأعور السلمي والله ما خلق الله شيئاً أحب إلي من الموت. فقال أبو الأعور: لأن أكون مثلك أحب إلي من حمر النعم.

وروي ابن أبي الدنيا عن صفوان بن سليم قال: في الموت راحة للمؤمن من شدائد الدنيا؟ وإن كان الموت ذا غصص وكرب.

وروي عن محمد بن زياد قال: حدثت عن بعض الحكماء أنه قال: للموت أهون على العاقل من زلة عالم غافل.

وروي عن سفيان قال: كان يقال الموت راحة العابدين.

ومن الآثار التي يناسب إيرادها في فضل ذكر الموت والاستعداد له ما قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ [القصص: ٧٧] هو الكفن فهو وعظ متصل بما تقدم من قوله: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ [القصص: ٧٧] أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا بصرفها فيما يوصل إليها، ولا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن كما قيل:

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءان تلوى فيهما وحنوط

وقال حامد اللفاف: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب،

....

ونشاط العبادة. ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة. وقال بعضهم: لا يدخل ذكر الموت بيتاً إلا رضي أهله بما قسم لهم، قال أبو نواس:

ألا أيـن الذيـن فنـوا ومـاتـوا أمـا والله مـا مـاتـوا لتبقـى

وقال أبو حمزة الخراساني: من أكثر ذكر الموت حبب إليه كل باق وبغض إليه كل فان.

وروى ابن أبي الدنيا عن رجاء بن حيوة قال: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا ترك الفرح والحسد.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد في الزهد عن أبي الدرداء قال: من أكثر ذكر الموت قل حسده وقل فرحه.

وروى ابن أبي شيبة عن عون بن عبدالله قال: ما أحد ينزل الموت حق منزلته إلا عبداً عد غداً ليس من أجله كم من مستقبل يوماً لا يستكمله وراج غداً لا يبلغه. إنك لو ترى الأجل ومسيره لأبغضت الأمل وغروره.

وروي عن أبي حازم قال: كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت.

وروى أبو نعيم في الحلية، عن أبي عمران قال: قال عمر بن عبد العزيز: من قرب الموت من قلبه استكثر ما في يديه.

وروي عن القداح قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير ويبكي حتى تجري دموعه على لحيته. وعن عبد الوهاب عن عطاء، عن سعيد قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله. وعن عمر بن ذر قال: قال عمر بن عبد العزيز ما أحب أن يهوّن علي الموت لأنه آخر ما يؤجر عليه المؤمن وعن الأوزاعي قال: قال عمر فذكر نحوه.

وروي عن جابر بن نوح قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته أما بعد؛ فإنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك بغض إليك كل فانٍ وحبب إليك كل باقٍ والسلام.

وروى عن مجمع التيمي قال: ذكر الموت غنى، وعن سميط قال: من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها.

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن قال: ما الزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عنده وهان عليه جميع ما فيها. وعن قتادة قال: كان يقال طوبي لمن ذكر ساعة الموت. وعن مالك بن دينار قال، قال حكيم كفى بذكر الموت للقلوب حياة للعمل. وعن أبي حازم قال: يا ابن آدم بعد الموت يأتيك الخبر، ويروى عن علي رضي الله عنه قال: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، وقد نظم هذا المعنى الحافظ العراقي فقال:

وإنما النـاس نيـام مـن يمت منهـم أزال الموت عنـه وسنـه

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب:

اعلم إن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه. فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه، كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه، فإذا باشر ذكر الموت قلبه. فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم،

وروى أبو نعيم في الحلية أن عمر بن عبد العزيز قال لميمون بن مهران: يا ميمون ما أرى القبر إلا زيارة ولا بدّ للزائر أن يرجع إلى منزله يعني إلى الجنة أو النار. وعن رجاء بن حيوة قال: ذكر عمر بن عبد العزيز الموت يوماً فقال يتمثل:

ألم تــر أن الموت أدرك مــن مضى ... فلم ينـج منـه ذو جنـاح ولا ظفــر

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب

(**اعلم**) بصرك الله تعالى (**أن الموت هائل**) فظيع (**وخطره عظيم، و**) إنما (**غفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه**) فلا يخطر لهم ببال (**و**) لقلة (**ذكرهم له**) على ألسنتهم، (**ومن يذكره**) قليلاً أو كثيراً (**ليس يذكره بقلب فارغ**) عن الشواغل، (**بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا**) معلق بها (**فلا ينجع ذكر الموت في قلبه**) لأجل ذلك (**فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه**) عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي (**يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو**) يريد أن (**يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه**) إن قام أو قعد، (**فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه، وعند ذلك**) أي إذا تحقق التأثير فمن علاماته أنه (**يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه**) منها فلا يكون له في باطنه ميل إليها أصلاً، (**وأوقع طريق فيه**) أي أكثره وقعاً في القلب (**أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه**) ولداته (**الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم**) الجميلة (**في مناصبهم وأحوالهم**) التي كانوا يتقلبون فيها، (**ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا نساءهم**) أي تركوهن أرامل بلا أزواج، (**وأيتموا أولادهم**) أي تركوهم يتامى (**وضيعوا أموالهم وخلت منهم**

وانقطعت آثارهم. فمهما تذكر رجلاً رجلاً وفصل في قلبه حاله، وكيفية موته وتوهم صورته، وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء، ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب، وركونه إلى القوة والشباب، وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع، وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدّمت رجلاه ومفاصله. وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه. وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه ـ إلى عشر سنين ـ في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به، حتى جاء الموت في وقت لم يحتسبه، فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء، إما بالجنة أو بالنار؛ فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا ذكرت الموتى فعدّ نفسك كأحدهم. وقال ابن

مساجدهم) ومدارسهم **(ومجالسهم، وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلاً رجلاً وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمؤاتاة الأسباب)** أي موافقتها، **(وركونه إلى القوة والثبات وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع، وأنه كيف يتردد، والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق و)** الآن **(قد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك، و)** الآن **(قد أكل التراب أسنانه وأنه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلاّ شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه، فانكشف له صورة الملك)** القابض للروح وهو عزرائيل عليه السلام، **(وقرع سمعه النداء. إما بالجنة أو بالنار)** يشير إلى ما أخرجه الطبراني في الكبير عن عبدالله بن عمرو: إذا توفى الله المؤمن أتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي إلى روح الله فتخرج كأطيب ريح المسك، وأما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي إلى غضب الله فتخرج كانتن جيفة، وقد رواه أبو بكر المروزي في الجنائز من حديث أبي هريرة نحوه وسيأتي.

(فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم. قال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم)** رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبدالله بن مرة قال: قال أبو الدرداء: أعبدوا الله كأنكم ترونه وعدوا أنفسكم من الموتى واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم.

مسعود رضي الله عنه: السعيد من وعظ بغيره. وقال عمر بن عبد العزيز: ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب.

فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدّد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه، فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور، وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه، ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال، أنه لا بدّ له من مفارقته، نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال:

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**السعيد من وعظ بغيره**). رواه مسلم من طريق عمرو بن الحرث عن أبي الزبير المكي عن عامر بن واثلة عنه بزيادة: والشقي من شقي في بطن أمه، وهو عند العسكري في الأمثال من طريق عون عن أبي وائل، وعند القضاعي من طريق إدريس بن يزيد الأودى عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص كلاهما عن ابن مسعود مرفوعاً. ورواه العسكري أيضاً من طريق عبدالله بن مصعب بن خالد بن زيد عن أبيه عن جده زيد بن خالد رفعه بلفظ المصنف. ورواه القضاعي من هذا الوجه بتمامه. ويروى من حديث عبدالله بن مصعب عن أبيه أيضاً فقال: عن عقبة بن عامر بدل زيد وهما ضعيفان، ولذا قال ابن الجوزي: لا يثبت كذلك مرفوعاً.

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى في خطبته: (**ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل تضعونه في صدع من الأرض**) أي شق منها (**قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب**). هكذا أورده هنا مختصراً وسيأتي بتمامه في آخر الباب الذي يليه. أخرجه أبو نعيم في الحلية مطوّلاً كما سنذكره.

(**فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى**) وأهل البلاء (**هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه، فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور، وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان**) أي طرفه (**قليل الجدوى**) أي الفائدة (**في التحذير والتنبيه**) وسيأتي ذكر الخطب التي فيها مجال أفكار المعتبرين من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ومن كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في آخر الباب الذي يليه. (**ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بدّ له من مفارقته**).

(**نظر ابن مطيع**) هو عبدالله بن مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن

والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ، ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته .

عريج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي المدني، ولد في حياة النبي ﷺ ولأبيه صحبة، كان من رجال قريش جلداً وشجاعة، كان على قريش يوم الحرة، وقتل مع ابن الزبير بمكة، وكان قد استعمله على الكوفة، وروى له مسلم حديثاً واحداً (**ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال: والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، والله الموفق.

الباب الثاني
في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل، وسبب طوله وكيفية معالجته

فضيلة قصر الأمل:

قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن عمر: « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك، فإنك يا عبدالله لا تدري ما اسمك غداً ». وروى علي كرّم الله وجهه أنه ﷺ قال: « إن أشد

الباب الثاني
في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل، وسبب طوله وكيفية معالجته

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول

في فضيلة قصر الأمل:

اعلم أن الأمل هو توقع حصول الشيء وأكثر ما يستعمل فيما يبعد حصوله فمن عزم على سفر إلى بلد بعيد يقول أملت الوصول ولا يقول طمعت إلا أن قرب منها، فإن الطمع ليس إلا في القريب والرجاء بين الأمل والطمع، فإن الراجي قد يخاف أن لا يحصل مأموله ويقال لما في القلب مما ينال من الخير أمل، ومن الخوف إيجاش، ولما لا يكون لصاحبه ولا عليه خطر، ومن الشر وما لا خير فيه وسواس وقصره حبس النفس عنه يقال: قصرت نفسي على هذا الأمر إذا لم يطمح إلى غيره، وقصرت من طرفي لم أرفعه إلى مكروه. (**قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن عمر**) بن الخطاب رضي الله عنهما: (**« إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبدالله لا تدري ما اسمك غداً »**) قال العراقي: رواه ابن حبان، ورواه البخاري من قول ابن عمر في آخر حديث: « كن في الدنيا كأنك غريب ». اهـ.

قلت: ورواه البخاري من طريق الأعمش عن مجاهد عنه به إلى قوله: « عابر سبيل » مرفوعاً من حديث ابن عمر، وما سوى ذلك فإنه من قوله لمجاهد. وروى ابن المبارك في الزهد، وأحمد

ما أخاف عليكم خصلتان: اتباع الهوى وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا» ثم قال: «ألا إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض، وإذا أحب عبداً أعطاه الإيمان، ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون

والترمذي وابن ماجه والبيهقي في الشعب والعسكري في الأمثال من طريق سفيان عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «يا عبدالله بن عمر كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور».

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا إسحاق ابن عيسى الطباع، حدثنا حماد بن زيد ح.

وحدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا يوسف القاضي، حدثنا عمرو بن مرزوق، حدثنا زائدة ح.

وحدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان البصري، حدثنا عبدالله بن أحمد الدورقي، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير ح.

وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان واللفظ له قالوا: عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال لي: «وأحب في الله وأبغض في الله ووال في الله وعاد في الله فإنك لا تنال ولاية الله إلا بذلك ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وصارت موافاة الناس في أمر الدنيا وأن ذلك لا يجزي عن أهله شيئاً. قال: وقال لي: «يا ابن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك فإنك يا عبدالله بن عمر لا تدري ما اسمك غداً» قال وأخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «كن في الدنيا غريباً أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور». قال أبو نعيم: ولم يذكر خلاد وزهير وزائدة. قوله في الموالاة ووافقوه في الباقي. ورواه الحسن بن الحر وفضيل بن عياض وجرير وأبو معاوية في آخرين عن ليث. ورواه الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر نحوه.

(وروي عن علي كرم الله وجهه أنه ﷺ قال: «إن أشد ما أخاف عليكم خصلتين) كذا في النسخ قال العراقي: صوابه خصلتان: **(اتباع الهوى وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى فأن يصد)** أي يمنع **(عن الحق)** أي عن قبوله، وفي لفظ: «يضل» بدل «يصد» **(وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا» ثم قال: «ألا إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض، وإذا أحب عبداً أعطاه الإيمان ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية)** أي مدبرة إلى دارها، **(ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة)** بوجهها. **(ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون في**

في يوم حساب ليس فيه عمل، وقالت أم المنذر: اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلى النـاس فقال: « أيها الناس أما تستحيون من الله » قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: « تجمعون مـا لا تأكلون وتؤملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون ». وقال أبو سعيد الخدري اشترى

يوم حساب ليس فيه عمل») قال العراقي: رواه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل، ورواه أيضاً من حديث جابر بنحوه وكلاهما ضعيف اهـ.

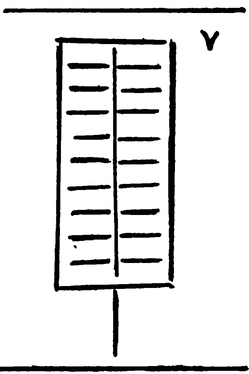
قلت: روى ابن عدي من حديث جابر: « أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل » ورواه ابن النجار من حديثه بلفظ: « أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى فأما اتباع الهوى فيضل عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة والآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل ». قال العقيلي: فيه يحيى بن مسلمة بن قعنب حدث بالمناكير، وقد رواه ابن عساكر في التاريخ من حديث علي موقوفاً، وذكره الشريف الموسوي في نهج البلاغة في جملة خطبه ولفظه: أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ولت فداء فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء اصطبها صابها، ألا وإن الآخرة قد أقبلت ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة، وأن اليوم عمل لا حساب وغداً حساب ولا عمل ». ورواه الحاكم في التاريخ والديلمي من حديث جابر بلفظ: « إن أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل فأما الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة وهذه الآخرة مقبلة صادقة، ولكل واحدة منهما بنون فإن استطعتم أن تكونوا من بني الآخرة ولا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا فإنكم اليوم في دار عمل ولا حساب وأنتم غداً في دار حساب ولا عمل ». وروى ابن النجار من حديث علي: « إن أشد ما أتخوف عليكم خصلتان: اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فإنه يعدل عن الحق، وأما طول الأمل فالحب للدنيا ».

(وقالت أم المنذر) الأنصارية رضي الله عنها: **(اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلى الناس فقال: « أيها الناس أما تستحيون من الله » قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: « تجمعون ما لا تأكلون وتؤملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون »)**. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم اهـ.

قلت: الذي تقدم أنه من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب ذكرها الدارقطني في الأخوة وقال: روى حديثها الطبراني وفيها نظر اهـ.

قال الحافظ في الإصابة: حديثها أنها قالت: اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية فقال: « أيها الناس ألا تستحيون » قالوا: مم ذاك يا رسول الله؟ قال: « تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا

أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار - إلى شهر - فسمعت رسول الله ﷺ يقول: « ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر، إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض، ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت » ثم قال: « يا ابن آدم إن كنتم تعقلون فعدّوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ﴿إن ما توعدونَ لآتٍ وما أنتم بمعجزين﴾ » [الأنعام: ١٣٤]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يخرج



تعمرون وتؤملون ما لا تدركون ». أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، عن الوازع بن نافع، عن سالم بن عبدالله بن عمر عنها . وقال ابن منده: ورواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن ثابت عن الوازع بن نافع نحوه. قال الحافظ: والطريقان ضعيفان.

(**وقال أبو سعيد الخدري**) رضي الله عنه: (**اشترى أسامة بن زيد**) الكعبي رضي الله عنهما حب رسول الله وابن حب رسول الله ﷺ (**من زيد بن ثابت**) الأنصاري رضي الله عنه (**وليدة**) أي جارية (**بمائة دينار إلى شهر**) قال (**فسمعت رسول الله ﷺ يقول: « ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري**) بضم الشين المعجمة وسكون الفاء وهو حرف الجفن الذي ينبت عليه الهدب والجمع أشفار. (**لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت» ثم قال: « يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، والطبراني في مسند الشاميين، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن عساكر في التاريخ

(**وعن ابن عباس**) رضي الله عنه (**أن رسول الله ﷺ كان يخرج**) أي إلى

يهريق الماء فيتمسح بالتراب، فأقول له: يا رسول الله إن الماء عنك قريب فيقول: « ما يدريني لعلي لا أبلغه »، وروي أنه ﷺ أخذ ثلاثة أعواد فغرز عوداً بين يديه، والآخر إلى جنبه، وأما الثالث فأبعده، فقال: « هل تدرون ما هذا ؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « هذا الإنسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل »، وقال عليه السلام: « مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم »، قال ابن مسعود: هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع إليه، والهرم وراء الحتوف، والأمل وراء الهرم، فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به أخذه. فإن أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الأمل. وقال عبدالله-خط لنا رسول

الخلاء (**يهريق الماء فيتمسح بالتراب**) أي يتيمم به (**فأقول له يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول: « ما يدريني لعلي لا أبلغه »**) قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل، والبزار بسند ضعيف. (**وروي أنه ﷺ أخذ ثلاثة أعواد فغرز عوداً بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الآخر فأبعده، فقال: « هل تدرون ما هذا » . قالوا: الله ورسوله اعلم . قال: « هذا الإنسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل »**) قال العراقي: رواه أحمد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له والرامهرمزي في الأمثال من رواية أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري وإسناده حسن ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا من رواية أبي المتوكل مرسلاً اهـ.

قلت: لفظ ابن المبارك عن أبي المتوكل الناجي هو الذي ساقه المصنف هنا، وأما لفظ أحمد عن أبي سعيد أن النبي ﷺ غرز عوداً ثم غرز إلى جنبه آخر ثم غرز الثالث فأبعده قال: « هل تدرون ما هذا ؟ هذا الإنسان وهذا أجله وهذا أمله يتعاطى الأمل فيختلجه الأجل دون ذلك ». وروى ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، والديلمي من حديث أنس: « مثل الإنسان والأمل والآجل فمثل الأجل إلى جانبه والأمل أمامه فبينما هو يطلب الأمل أمامه إذ أتاه الآجل فاختلجه ».

(**وقال ﷺ: « مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم »**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عبدالله بن الشخير وقال: حسن اهـ.

قلت: هو هكذا في السنن بزيادة حتى يموت وقال: حسن غريب، ورواه كذلك الطبراني والبيهقي والضياء كلهم من طريق مطرف بن عبدالله بن الشخير عن أبيه. ورواه أبو نعيم في الحلية عن الطبراني، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا محمد بن فراس، حدثنا سليم بن قتيبة، حدثنا عمر، عن قتادة، عن مطرف به فذكره.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**هذا المرء وهذه الحتوف**) أي المنايا المهلكة (**حوله شوارع إليه**) أي بارزة إليه مشرعة نحوه (**والهرم وراء الحتوف والأمل وراء الهرم فهو يؤمل، وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به أخذه فإن أخطأته الحتوف**) ولم تصبه (**قتله**

الله ﷺ خطاً مربعاً، وخط وسطه خطاً، وخط خطوطاً إلى جنب الخط، وخط خطاً خارجاً وقال: «أتدرون ما هذا؟» قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «هذا الإنسان ـ للخط الذي في الوسط ـ وهذا الأجل محيط به، وهذه الأعراض ـ للخطوط التي حوله ـ تنهشه إن أخطأه هذا، نهشه هذا، وذاك الأمل ـ يعني الخط الخارج ـ»، وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل». وفي رواية: «وتشب معه

الهرم وهو ينتظر الأمل. وقال عبدالله) بن مسعود رضي الله عنه: **(خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً مربعاً وخط وسطه خطاً وخط خطوطاً إلى جنب الخط وخط خطاً خارجاً وقال: «أتدرون ما هذا»؟ قلنا: الله ورسوله اعلم. قال: «هذا الإنسان للخط الذي في الوسط، وهذا الأجل محيط به، وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا، وذاك الأمل يعني الخط الخارج»)** قال العراقي: رواه البخاري.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ح.

وحدثنا سليمان، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا قبيصة بن عقبة قالا: حدثنا سفيان ح.

وحدثنا أبو إسحاق بن حمزة، حدثنا أحمد بن الحسن الصوفي، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يحي ابن سعيد، عن سفيان عن أبيه، عن أبي يعلى منذر الثوري عن الربيع بن خيثم، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه خط خطاً مربعاً وجعل في وسط الخط خطاً وجعل خطاً خارجاً من المربعة دارة وجعل حوله حروفاً وخط حولها خطوطاً فقال: «المربع الأجل والخط الوسط الإنسان وهذه الدارة الخارجة الأمل وهذه الحروف الأعراض والأعراض تصيبه من كل مكان كلما انفلت من واحدة أخذت واحدة، والأجل قد حال دون الأمل». لفظ سليمان، وقال يحي بن سعيد: هذه الخطوط التي إلى جنبه الأعراض تنهشه من كل مكان إن أخطاه هذا أصابه هذا، والخط المربع الأجل المحيط به، والخط الخارج الأمل. قال الشيخ أبو نعيم: حديث صحيح متفق على صحته لم يروه عن الربيع إلا منذر.

(وقال أنس) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: «يهرم)** أي يكبر **(ابن آدم ويبقى منه)** خصلتان **(اثنتان)** استعارة يعني تستحكم في قلب الشيخ كاستحكام قوّة الشاب في شبابه: **(الحرص والأمل»)** فالحرص فقره ولو ملك الدنيا، والأمل همه وتعبه وإنما لم تكبر هاتان لأن المرء جبل على حب الشهوات، وإنما تنال هي بالمال والعمر. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بإسناد صحيح اهـ.

قلت: بل رواه بهذا اللفظ أحمد والشيخان تعليقاً والنسائي كلهم من طريق شعبة عن قتادة عن أنس وفي لفظ للبخاري يكبر بدل يهرم.

اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر ». وقال رسول الله ﷺ: « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل » وقيل: بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض، فقال عيسى: اللهم انزع منه الأمل، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة، فقال عيسى: اللهم اردد إليه الأمل، فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير! فألقيت المسحات واضطجعت ثم قالت لي نفسي: والله لا بدّ لك من عيش ما بقيت، فقمت إلى مسحاتي. وقال الحسن: قال رسول الله ﷺ:

(وفي رواية) « يهرم ابن آدم **(وتشب معه اثنتان: الحرص على المال والحرص على العمر »)** قال العراقي: رواه مسلم بهذا اللفظ.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي والترمذي وابن ماجه وابن حبان كلهم من طريق هشام عن قتادة عن أنس، ولفظ الطيالسي « يكبر » ومن طريقه رواه أبو نعيم في الحلية ورواه الطبراني من حديث سمرة، وفي المقاصد للسخاوي وفي لفظ: « يشيب ابن آدم وتشب منه اثنتان » وذكر صاحب البستان عن أبي عثمان النهدي قال: بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة وما من شيء إلا وقد أنكرته إلا أملي فإني أجده كما هو.

(وقال ﷺ: « نجا أوّل هذه الأمة) وهم الصحب والتابعون بإحسان ومن داناهم من السلف **(باليقين والزهد)** أي بالثقة بالله في أمورهم والتجافي عن الدنيا بالزهد فيها **(ويهلك)** أي يكاد يهلك **(آخر هذه الأمة بالبخل والأمل »)** أي بالإسترسال فيهما، والمراد من ذلك أن الصدر الأوّل قد تحلوا باليقين والزهد وتخلوا عن البخل والأمل، وذلك من أسباب النجاة من العقاب، وفي آخر الزمان ينعكس الحال، وذلك من الأسباب المؤدية للهلاك. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده اهـ.

وكذلك رواه أبو بكر بن لال في مساوىء الأخلاق، والخطيب في كتاب البخلاء، وابن لهيعة لا يحتج به، ثم إن المذموم من ذلك الاسترسال فيه لا قطع أصله وإليه أشار المصنف بقوله.

(وقيل: بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة) بكسر الميم آلة من حديد **(يثير بها الأرض)** أي يخدمها، **(فقال عيسى)** عليه السلام في نفسه: **(اللهم انزع منه الأمل)** فاستجيب له، **(فوضع الشيخ المسحاة)** وترك الشغل **(واضطجع)** على جنبه يستريح، **(فلبث ساعة)** على ذلك **(فقال)** عيسى عليه السلام في نفسه: **(اللهم اردد إليه الأمل)** فاستجيب له، **(فقام)** الشيخ **(فجعل يعمل)** في الأرض، **(فسأله عيسى عليه السلام عن ذلك. فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير؟ فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لي نفسي: والله لا بدّ لك من عيش ما بقيت فقمت إلى مسحاتي)**. رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

« أكلكم يحب أن يدخل الجنة؟ » قالوا: نعم يا رسول الله قال: « **قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء** »، وكان ﷺ **يقول في دعائه**: « اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ».

الآثار: قال مطرف بن عبدالله لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي؟ ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنأوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق. وقال الحسن: السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى، **(قال رسول الله ﷺ: « أكلكم يحب أن يدخل الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: « قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل هكذا من حديث الحسن مرسلاً اهـ.

قلت: والشطر الأخير رواه أحمد والترمذي من حديث ابن مسعود، والخرائطي من حديث عائشة والطبراني في الأوسط من حديث الحكم بن عمير.

(وكان ﷺ يقول في دعائه: « اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، أعوذ بك من حياة تمنع خير الممات، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من رواية حوشب، عن النبي ﷺ وفي إسناده ضعف وجهالة ولا أدري من حوشب اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا أيضاً في كتاب اليقين، ووجدت بخط الشيخ شمس الدين الداودي ما نصه: هو تابعي صغير، وله رواية عن الحسن في كتاب ابن أبي الدنيا أيضاً اهـ.

قلت: هذا التابعي الذي ذكره له ذكر في الحلية في ترجمة محمد بن واسع من طريق عبد الواحد ابن زياد قال: سمعت مالك بن دينار يقول لحوشب: لا تبت وأنت شبعان ودع الطعام وأنت تشتهيه، فقال حوشب: هذا وصف أطباء أهل الدنيا. قال: ومحمد بن واسع يسمع كلامهما. فقال: نعم ووصف أطباء أهل الآخرة. فقال: مالك بخ بخ دواء للدين والدنيا، وفي الصحابة اثنان يقال لهما حوشب كل منهما غير منسوب لأحدهما رواية في مسند أحمد، وللثاني في مسند الحسن بن سفيان والنوادر للحكيم فليحرر، والله أعلم.

(الآثار: قال مطرف بن عبدالله) بن الشخير رحمه الله تعالى: **(لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق)**. رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: وجدت الغفلة التي

المسلمون في الطرق. وقال الثوري: بلغني أن الإنسان خلق أحمق ولولا ذلك لم يهنأه العيش: وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن: انما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها، وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني، مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس يغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض، وثلاث أحزنتني حتى أبكتني: فراق الأحبة ـ محمد وحزبه ـ وهول المطلع والوقوف بين يدي الله ولا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار.

وقال بعضهم: رأيت زرارة بن أبي أوفى بعد موته في المنام قلت: أي الأعمال أبلغ عندكم؟ قال: التوكل وقصر الأمل. وقال الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس

ألقاها على خلقه رحمة رحمهم بها ولو ألقى في قلوبهم الخوف على قدر معرفتهم به ما تهنأ لهم العيش.

(وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى: **(السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطريق)** رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال) سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(بلغني أن الإنسان خلق أحمق)** أي قليل العقل، **(ولولا ذلك لم يهنه العيش)**. رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال) أبو عبدالله **(سعيد بن عبد الرحمن)** بن عبدالله بن جميل بن عامر بن خديم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن حج القرشي الجمحي المدني قاضي بغداد زمن الرشيد، روى عن هشام بن عروة. قال ابن معين: ثقة مات سنة ست وسبعين ومائة، روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه: **(إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها)** رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

(وقال سلمان الفارسي) رضي الله عنه: **(ثلاث أعجبتني حتى أضحكنني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس يغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض. وثلاث أحزنني حتى أبكينني: فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي ربي لا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار)** رواه أحمد في الزهد. ومن طريقه أبو نعيم في الحلية قال: وحدثنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان قال: بلغنا أن سلمان الفارسي كان يقول. أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث: ضحكت من مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ولا يغفل عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أمسخط ربه أم مرضيه، وأبكاني ثلاث: فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي رب العالمين حين لا أدري إلى النار انصرافي أم إلى الجنة.

(وقال بعضهم: رأيت زرارة بن أبي أوفى) العامري الحرشي البصري العابد رحمه الله تعالى **(بعد موته في المنام فقلت: أي الأعمال أبلغ عندكم؟ قال: التوكل وقصر الأمل)**. رواه ابن

بأكل الغليظ ولا لبس العباء. وسأل المفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب، ثم دعا ربه فرد عليه الأمل، فرجع إلى الطعام والشراب، وقيل للحسن: يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك؟ فقال: الأمر أعجل من ذلك. وقال الحسن: الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم. وقال بعضهم: أنا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه. وقال داود الطائي: لو أملت أن أعيش

أبي الدنيا في قصر الأمل. وروى أبو نعيم في الحلية قال: لقي سلمان عبدالله بن سلام فقال: إن مت قبلي فأخبرني ما تلقى وإن مت قبلك فاخبرك. قال: فمات سلمان فرآه عبدالله بن سلام فقال: كيف أنت يا أبا عبدالله؟ قال: بخير. قال: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: وجدت التوكل شيئاً عجيباً.

(وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى: (الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولبس العباء) رواه أبو نعيم في الحلية عن سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبيد بن آدم العسقلاني، حدثنا أبو عمر بن النحاس، حدثنا وكيع قال: قال سفيان فذكره.

قال: وحدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا العباس بن إسماعيل، حدثنا سهل، حدثنا وكيع قال: قال سفيان: ليس الزهد في الدنيا بأكل الجشب ولبس الخشن إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل.

وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا الأحوص بن الفضل بن غسان الغلابي، حدثنا إبراهيم بن سعد الجوهري، سمعت الحسن بن عبد الملك يقول: قال الثوري: ليس الزهد في الدنيا بلبس الخشن ولا أكل الجشب إنما الزهد قصر الأمل. وحدثنا أبو بكر الطلحي، حدثنا الحسين بن جعفر، حدثنا إسماعيل الطلحي قال: قال وكيع: كان سفيان يقول: الزهد في الدنيا قصر الأمل. (وسأل) أبو مالك (المفضل بن فضالة) بن أبي أمية البصري روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه. (ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام، والشراب، ثم دعا ربه فرد عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب) . رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وفيه إشارة إلى أن المذموم منه إنما هو الاسترسال فيه لا أصله. (وقيل للحسن) البصري: (يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك؟ فقال : الأمر أعجل من ذلك) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد، حدثنا سعدويه وإسحاق بن إبراهيم قالا: حدثنا أبو معاوية عن الحسن قال: قيل يا أبا سعيد فذكره. (وقال الحسن) البصري: (الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم) . رواه أبو نعيم في الحلية من طريق فضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال: إنكم أصبحتم في أجل منقوص وعمل محفوظ والموت في رقابكم والنار بين أيديكم، وما ترون والله ذاهب فتوقعوا قضاء الله في يوم وليلة، ولينظر امرؤ ما قدم لنفسه. (وقال بعضهم: أنا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه. وقال داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى: (لو أملت أن أعيش شهراً

شهراً لرأيتني قد أتيت عظيماً، وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار.

وحكي إنه جاء شقيق البلخي إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم الرماني ـ وفي طرف كسائه شيء مصرور ـ فقال له أستاذه: إيش هذا معك؟ فقال: لوزات دفعها إلي أخ لي وقال: أحب أن تفطر عليها، فقال يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً قال: فأغلق في وجهي الباب ودخل.

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: إن لكل سفر زاداً لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً، وإنما تقرعين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى، وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة فأما من لا يداوي كلماً إلا أصابه

لرأيتني قد أتيت عظيماً، وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع) أي بغتات المصائب **(تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار)** رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

(وحكي أنه جاء شقيق البلخي) رحمه الله تعالى **(إلى أستاذ له يقال له: أبو هاشم الرماني)** كان ينزل قصر الرمان بواسط اسمه يحي بن دينار، وقيل يحي بن الأسود رأى أنس بن مالك. قال أبو حاتم: وكان فقيهاً صدوقاً مات سنة ١٢٢، وقيل: سنة ١٤٥ روى له الجماعة. **(وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له أستاذه: ايش هذا معك؟ قال: لوزات دفعها إلي أخ لي وقال: أحب أن تفطر عليها. فقال)** أستاذه: **(يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلي الليل لا كلمتك أبداً. قال: فأغلق في وجهي الباب ودخل)**. رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(في خطبته: إن لكل سفر زاداً لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى)** يشير إلى قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ [البقرة: ١٩٧] **(وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا)** فيه لف ونشر مرتب، **(ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم)** يشير إلى قوله تعالى: ﴿طال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ [الحديد: ١٦] **(وتنقادوا لعدوكم)** أي إبليس **(فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً، وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة**

جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح؟ أعوذ بالله من أن آمركم بما لا أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة، لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الأرض لتشققت. أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم سائرون إلى إحداهما.

وكتب رجل إلى أخ له: أما بعد؛ فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام والسلام. وكتب آخر إلى أخ له: إن الحزن على الدنيا طويل والموت من الإنسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب، وللبلاء في جسمه دبيب فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام. وقال الحسن: كان آدم عليه السلام ـ قبل أن يخطىء ـ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه

فأما من لا يداوي كلماً) أي جرحاً **(إلا أصابه جرح من ناحية أخرى، فكيف يفرح؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي ويظهر عيبتي)** كذا في النسخ ولفظ الحلية عيلتي. **(وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة. لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشققت. أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون إلى إحداهما)**. رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبي ومحمد بن أحمد قالا: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبيد، حدثني أبو عبد الرحمن حاتم بن عبدالله الأزدي، عن الحسين بن محمد الخزاعي، عن رجل من ولد عثمان أن عمر بن عبد العزيز قال في بعض خطبته فذكره سواء بسواء.

(وكتب رجل إلى أخ له أما بعد؛ فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام والسلام) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل. **(وكتب آخر إلى أخ له إن الحزن على الدنيا طويل والموت من الإنسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب، وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام)** رواه أبو نعيم في الحلية قال: كتب عمر بن المنهال القرشي إلى إبراهيم بن أدهم وهو بالرملة أن عظني موعظة أحفظها عنك، فكتب إليه: أما بعد؛ فإن الحزن على الدنيا طويل فذكره. وفيه بعد قوله بالرحيل واجتهد بدار الممر قبل الانتقال إلى دار المقر.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(كان آدم عليه السلام قبل أن يخطىء أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه، فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف**

وأجله خلف ظهره. وقال عبيدالله بن شميط: سمعت أبي يقول: أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم، أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قط من غير عدة، إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون، أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترئون؟ إن ملك الموت إذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط، ثم يقال رحم الله عبداً عمل لما بعد الموت، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت، وقال أبو زكريا التيمي: بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتي بحجر منقور، فطلب من يقرأه، فأتي بوهب بن منبه فإذا فيه: ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة

ظهره). رواه أحمد في الزهد قال: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا هشام هو الدستوائي عن الحسن قال: كان آدم عليه السلام قبل أن يصيب الخطيئة فذكره. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه.

(وقال عبيدالله بن شميط) بن عجلان الشيباني البصري ثقة مات سنة إحدى وثمانين ومائة، روى عن أبيه وعمه الأخضر بن عجلان، وعنه عبد الرحمن بن مهدي وسيار وعبدالله بن عيسى الطفاوي وأبو داود الطيالسي ومحمد بن عبيد بن حساب روى له الترمذي: **(سمعت أبي)** هو أبو هشام شميط بالمعجمة مصغراً أخو الأخضر. روى عن أبي بكر الحنفي وزهير العامري وعطاء وابن عمر. وعنه ابنه المذكور وجعفر بن سليمان الضبعي، وعبد الرحمن بن مهدي، ورياح بن عمر، والقيسي، وأبو عاصم عبدالله بن عبيدالله العباداني، وإبراهيم بن عبد الملك، والصعق بن حزن **(يقول: أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم؟ أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قط من غير عدة؟ إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك. أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون، أم الموت تأمنون، أم على ملك الموت تجترئون؟ إن ملك الموت إذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط، ثم يقول: رحم الله عبداً عمل لما بعد الموت، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت)**. رواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد قال: أخبرت عن سيار عن عبيدالله بن شميط قال: سمعت أبي يقول فساق نحو ذلك.

(وقال أبو زكريا) يحي بن طلحة بن عبيدالله **(التيمي)** المدني ثقة، روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه: **(بينما سليمان بن عبد الملك)** بن مروان **(في المسجد الحرام إذ أتي بحجر منقور فطلب من يقرأه فأتي بوهب بن منبه)** اليماني، **(فإذا فيه: ابن آدم إنك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت**

من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غداً ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة. فبكى سليمان بكاء شديداً.

وقال بعضهم: رأيت كتاباً من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف، سلام عليك فإني أحمد الله إليك لا إله إلا هو أما بعد، فإني أحذرك متحولك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك، فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها، فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فإن يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة، وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع، ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها فباحت الأسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين، فكم من مفتضح ومستور، وكم من هالك وناج، وكم من معذب ومرحوم، فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي

من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غداً ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة. فبكى سليمان بكاء شديداً). رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبان، حدثنا أبي، حدثنا عبدالله بن عبيد، حدثنا أبو عبدالله بن إدريس، عن أبي زكريا التيمي قال: بينا سليمان بن عبد الملك فساقه.

(قال بعضهم: رأيت كتاباً من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف) صورته: (سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد؛ فإني أحذرك متحولك من دار مهلكتك) وهي الدنيا (إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك) وهي دار الآخرة، (فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك) ويسألانك (وينتهرانك فإن يكن الله معك) بأن هداك للجواب (فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة، وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع) أي في لحدك، (ثم تبلغك صيحة الحشر من القبور ونفخ الصور وقيام الجبار) جل جلاله (لفصل قضاء الخلائق وجلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها) يوم يقول: ﴿لمن الملك اليوم﴾ [غافر: ١٦] (فباحت الأسرار) أي ظهر ما كان مخفياً منها، (وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد رب العالمين. فكم من مفتضح ومستور، وكم من هالك وناج، وكم من معذب ومرحوم. فياليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي

هذا ما هدم اللذات وأسلى عن الشهوات وقصر عن الأمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين، أعاننا الله وإياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين، فإنما نحن به وله السلام.

وخطب عمر بن عبد العزيز، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي غداً عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والأرض، وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف واتقى وباع قليلاً بكثير وفانياً بباق وشقوة بسعادة ألا ترون أنكم في اسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون. ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب، وأيم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي، ولكنها سنن من الله عادلة أمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن معصيته واستغفر الله، ووضع كمه على وجهه وجعل يبكي حتى بلت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه حتى مات.

هذا ما هدم اللذات وسلا عن الشهوات وقصر عن الأمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين. أعاننا وإياكم على هذا الخطر العظيم، وأوقع الدنيا والآخرة عن قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين فإنما نحن به وله السلام). رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، ومحمد بن يوسف المذكور يحتمل أن يكون هو الفريابي أو الزبيدي الراوي عن أبي قرة، وعبد الرحمن بن يوسف يحتمل أن يكون أخاه أو رجلاً آخر فليحرر.

(وخطب عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إنكم لن تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى، وأن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم، فخاب وشقي غداً عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والأرض، وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف واتقى وباع قليلاً بكثير وفانياً بباق وشقوة بسعادة، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون. ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غادياً رائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب، وأيم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي، ولكنها سنن من الله عادلة أمر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه وبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه حتى مات).

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا سعدان بن نصر المخرمي، حدثنا عبدالله بن بكر بن حبيب، حدثني رجل أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخناصرة فقال: أيها الناس إنكم لن تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى، وأن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض، واعلموا أن الأمان غداً لمن حذر الله وخافه وباع نافداً بباق وقليلاً بكثير وخوفاً بأمان. أو لا تدرون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلكم حتى يردوا الوارثين.

وقال أيضاً: حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد، حدثنا إسحاق ابن إسماعيل، حدثنا يحي بن أبي بكير، حدثنا عبدالله بن الفضل التميمي قال: آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أن صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الماضون. ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً أو رائحاً إلى الله تعالى وتضعونه في صدع من الأرض، ثم في بطن الصدع غير ممهد ولا موسد قد خلع الأسلاب وفارق الأحباب أسكن التراب وواجه الحساب فقير إلى ما قدم أمامه غني عما ترك بعده، أما والله إني لأقول لكم هذا وما أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسي. قال: ثم قال بطرف ثوبه على عينه فبكى ثم نزل، فما خرج حتى أخرج إلى حفرته.

وقال أيضاً: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو عبد الرحمٰن بن أبي الغمر المصري، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمٰن، عن أبيه قال: خطب عمر بن عبد العزيز هذه الخطبة وكانت آخر خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم لن تخلقوا عبثاً وإنكم لن تتركوا سدى وأن لكم معاداً ينزل الله فيه فيحكم فيكم ويفصل بينكم، وخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم جنة عرضها السموات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر الله اليوم وخافه وباع نافداً بباق وقليلاً بكثير وخوفاً بأمان؟ ألا ترون أنكم في أنشاب الهالكين وستصير بعدكم للباقين، وكذلك حتى تردون إلى خير الوارثين. ثم إنكم تشيعون كل يوم غادياً ورائحاً قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الأرض في شق صدع ثم تتركوه غير ممهد ولا موسد، قد فارق الأحباب وباشر التراب ووجه للحساب، مرتهن بما عمل غني عما ترك فقير إلى ما قدم، فاتقوا الله وموافاته وحلول الموت بكم. أما والله لأقول هذا وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي واستغفر الله، وما منكم من أحد يبلغنا حاجته لا يسع له ما عندنا إلا تمنيت أن يبدأ بي. وبحاجتي يكون عيشه وعيشنا واحداً. أنا والله لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولاً وكنت بأسبابه عالماً، ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته، ثم رفع طرف ردائه فبكى وأبكى من حوله.

ورواه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين فقال: حدثنا عبدالله بن الهيثم بن عثمان، حدثنا أبو

وقال القعقاع بن حكيم: قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء. وقال الثوري: رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت أن ينزل بي، ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء، ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء، وقال عبدالله بن ثعلبة: تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار. وقال أبو محمد بن علي الزاهد: خرجنا في

وهب عبدالله بن بكر بن حبيب السهمي، حدثنا بشر أبو نصر قال: خطبنا عمر بن عبد العزيز بخناصرة فقال: يا أيها الناس إنكم لن تخلقوا عبثاً فساقه بمثله.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا أبو حامد بن جبلة: حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن هانىء، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ابن أبي حبيب أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض الأجناد أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته، فإن بتقوى الله نجاة أولياء الله من سخطه وبها تحق لهم ولايته وبها رافقوا أنبياءهم وبها نضرت وجوههم وبها نظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن والمخرج من كرب يوم القيامة، ولن يقبل ممن بقي إلا بمثل ما رضي به عمن مضى ولمن بقي عبرة فيما مضى وسنة الله فيهم واحدة، فبادر بنفسك قبل أن يؤخذ بكظمك ويخلص إليك كما خلص إلى من كان قبلك، فقد رأيت الناس كيف يموتون وكيف يتفرقون، ورأيت الموت كيف يعجل التائب توبته وذا الأمل أمله وذا السلطان سلطانه، وكفى بالموت موعظة بالغة وشاغلاً عن الدنيا ومرغباً في الآخرة، فنعوذ بالله من شر الموت وما بعده، ونسأل الله خيره وخير ما بعد، ثم ساقه بطوله وفيه: كأن لم يكن كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله وتغيبونه في صدع من الأرض تدعونه غير متوسد ولا متمهد، فارق الأحبة وخلع الأسلاب وسكن التراب وواجه الحساب، مرتهناً بعمله فقيراً إلى ما قدم غنياً عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء موافاته. وأيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثرها مما أعلم عندي وأستغفر الله وأتوب إليه.

(**وقال القعقاع بن حكيم**) الكناني المدني ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، روى له الجماعة إلا البخاري: (**قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة، فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل. (**وقال**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى: (**رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظرت الموت أن ينزل بي ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، (**وقال عبدالله بن ثعلبة**) الحنفي رحمه الله تعالى من رجال الحلية حكى عنه حامد بن عمر البكراوي وغيره: (**تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار**) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عبيد، حدثنا أبو بكر بن سفيان، حدثنا علي بن محمد، حدثنا يوسف بن أبي عبدالله قال: سمعت

جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن، فجئت فقعدت قريباً منه فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب، واعلم يا أخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم، واعلم أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون، فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون. وروي أن معروفاً الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة، قال محمد بن أبي توبة فقال لي تقدم، فقلت: إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف: وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل.

عبدالله بن ثعلبة الحنفي يقول فذكره، (وقال أبو محمد) صدقة (الزاهد) رحمه الله تعالى: (خرجنا بجنازة بالكوفة وخرج فيها داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريباً منه فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب. واعلم يا أخي أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم، واعلم أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون، فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون). رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق ح.

وحدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين، حدثنا الحسين بن إسماعيل قالا: حدثنا محمد بن يحي الأزدي، حدثنا بشر بن مصلح، حدثنا أبو محمد صدقة الزاهد قال: خرجنا مع داود الطائي في جنازة بالكو... : فقعد داود ناحية وهي تدفن فجاء الناس فقعدوا قريباً منه فتكلم فقال: فذكره.

(وروى أن) أبا محفوظ (معروف) بن فيروز (الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة. قال محمد بن أبي توبة فقال لي: تقدم) فصل بنا وذلك لأن معروفاً كان لايؤم إنما يؤذن ويقيم ويقدم غيره قال: (فقلت إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم) صلاة أخرى (غيرها، فقال معروف: وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى تعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل) رواه ابن الجوزي في طبقات النساك فقال: أخبرنا يحيى بن علي المدير، أخبرنا يوسف بن محمد المهرواني، أنبأنا محمد بن أحمد بن رزقويه، حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا جعفر بن محمد بن العباس البزار، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثني السري ابن يوسف الأنصاري قال: أقام معروف الصلاة فذكره. وروي أيضاً بسنده إلى محمد بن منصور

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها الظعن عنها، فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن بحضرتكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قرير العين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومعناه، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلاً وتحزن طويلاً.

وعن أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول في خطبته: أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الـدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا!

الطوسي قال: كنا عند معروف الكرخي وجاءت امرأته سائلة فقالت: اعطوني شيئاً أفطر عليه فإني صائمة، فدعاها معروف فقال: يا أختي سر الله أفشيتيه وتأملين أن تعيشي إلى الليل.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(في خطبته: إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن عنها، فكم من عامر موثق عما قليل يخرب، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة، وتـزودوا فـإن خير الزاد التقـوى إنما الدنيـا كفـيء ظلال قلـص فذهب، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قرير العين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه. إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلاً وتحزن طويلاً)**. رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي ومحمد بن أحمد قالا: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا أبو بكر بن سفيان، حدثنا يعقوب بن إسماعيل، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا عمر بن محمد المكي قال: خطب عمر بن عبد العزيز فقال: إن الدنيا ليست بدار قراركم فساقه. وفي آخره: وتجر حزناً طويلاً. وأبو بكر بن سفيان في سياق السند هو ابن أبي الدنيا هكذا رواه في كتاب القبور له.

(وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبته: أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم، أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان، أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا). رواه أحمد في الزهد. ومن طريقه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير أن أبا بكر كان يقول في خطبته: أين

....

الوضاءة فذكره، وأخرجه أبو نعيم أيضاً في ترجمة بنان الحمالي المصري فقال: حدثنا محمد بن عبيدالله بن المرزبان، حدثنا علي بن سعيد، حدثنا بنان الصوفي، حدثنا عبيدالله بن عمر الجشمي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحي بن أبي كثير قال: خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه أين الوضاءة فذكره. وروى أبو نعيم أيضاً من طريق عبدالله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: أما بعد؛ فساقه. وفيه: ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم. الوحا الوحا النجا النجا إن رواءكم طالباً حثيثاً مره سريع.

وروى الطبراني من طريق عمرو بن دينار قال: خطبنا أبو بكر فذكر نحو حديث عبدالله بن حكيم وزاد: ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم، أين الملوك وأين الذين كانوا أثاروا الأرض وعمروها قد نسوا ونسي ذكرهم، فهم اليوم كلاشيء فتلك بيوتهم خاوية وهم في ظلمات القبور ﴿هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾ [مريم: ٩٨] وأين من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم، فقد وردوا على ما قدموا فحلوا الشقوة والسعادة. إن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره، وأنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وروي أيضاً من طريق نعيم بن نجبة قال: كان في خطبة أبي بكر: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون في أجل معلوم، فذكر نحو حديث عبدالله بن حكيم.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الرحمٰن بن عبدالله بن سابط قال: لما حضر أبا بكر الصديق الموت دعا عمر فقال له: اتق الله يا عمر فساقه وفيه: فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك، وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه.

فصل

ومن كلام علي رضي الله عنه بعد تلاوته ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ يا له مراماً ما أبعده وزوراً ما أغفله وخطراً ما أفظعه، لقد استحلوا منهم أي مدكر وتناوشوهم من مكان بعيد فبمصارع آبائهم يفخرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خوت وحركات سكنت، ولأن يكونوا عبراً أحق بأن يكونوا مفتخراً، ولأن يهبطوا بهم خباب ذلة أحجى من أن يقوموا مقام عزة، لقد نظروا إليهم بأبصار الغشوة وضربوا منهم في غمرة جهالة، ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في الأرض ضلالاً وذهبتهم في أعقابهم جهالاً، تطأون في هامهم وتتثبتون في أجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا،

وإنما الأيام بينهم وبينكم بواك ونوائح عليكم، أولئكم سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وجليات الفخر ملوكاً وسوقاً، سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلطت الأرض عليهم فيه فأكلت من لحومهم وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون وضماراً لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الأحوال ولا يحزنهم تنكر الأحوال ولا يحفلون بالرواجف ولا يأذنون للقواصف، غيباً لا ينتظرون وشهوداً لا يحضرون وإنما كانوا جميعاً فشتتوا وإلافاً فافترقوا وما عن طول عهدهم ولا عن بعد محلهم عميت أخبارهم وصمت ديارهم، ولكنهم سقوا كأساً بدلتهم بالنطق خرساً وبالسمع صمماً وبالحركات سكوناً، فكأنهم في ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتأنسون وأحباء لا يتزاورون، بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم أسباب الإخاء والتعاطف، فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم أخلاء لا يتعارفون لليل صباحاً ولا لنهار مساء أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليه سرمداً شاهدوا من أخطار دارهم أفظع مما خافوا ورأوا من آياتها أعظم مما قدروا، فكلا الغايتين مدة إلى مباءة فأتت مبالغ الخوف والرجاء، فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا، ولئن عميت آثارهم وانقطعت أخبارهم لقد رجعت فيهم أبصار العبر وسمعت عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا: كلحت الوجوه النواضر وخوت الأجساد النواعم ولبسنا أهدام البلى وتكأدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت، فانمحت محاسن أجسادنا وتنكرت معارف صورنا وطالت في مساكن الوحشة إقامتنا، ولم نجد من كرب فرجاً ولا من ضيق متسعاً، فلو مثلتهم بعقلك أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك، وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت، واكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت، وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها، وعاث في كل جارحة منهم جديد بلى سمجها، وسهل طرق الآفة إليه مستلمات فلا أيد تدفع ولا قلوب تجزع، لرأيت أشجان قلوب وأقذاء عيون لهم من كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي، وكم أكلت الأرض من عزيز جسد وأنيق لون كان في الدنيا غذى ترف وربيب شرف، يتعلل بالسرور في ساعة حزنه ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به ضنا بنضارة عيشه وشحاحة بلهوه ولعبه، فبينا هو يضحك إلى الدنيا وتضحك إليه في ظل عيش غفول إذ وطىء الدهر به حسكه ونقصت الأيام قواه ونظرت إليه الحتوف من كثب، فخالطه بث لا يعرفه ونجى هم ما كان يجده، وتولدت فيه فترات علل أنس ما كان بصحته ففزع إلى ما عوده الأطباء فلم يطفأ ببارد إلا ثور حرارة ولا حرك بحار إلا هيج برودة ولا اعتدال بممازج لتلك الطبائع إلا أمد منها كل ذات داء، حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا أهله بصفة دائه، وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه، فقائل هو لما به وممن لهم إياب عافيته ومصبر لهم على فقده يذكرهم أسى الماضين من قبله، فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الأحبة إذ عرض له عارض من غصصه فتحيرت نوافذ بطنه ويبست رطوبة لسانه، فكم من مهم من جوابه عرفه فعي عن رده، ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه من كبير كان يعظمه أو

صغير كان يرحمه، وأن للموت لعبرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة أو تعتدل على عقول أهل الدنيا.

من كلامه رضي الله عنه: فإن تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتنال الرغائب، فاعملوا العمل يرفع والتوبة تنفع والدعاء يسمع والحال هادية والاقلام جارية، وبادروا بالأعمال عمراناً كسا أو مرضاً حابساً أو موتاً خالساً، فإن الموت هادم لذاتكم ومكدر شهواتكم ومباعد طياتكم زائر غير محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير مطلوب، قد أعلقتكم حبائله وتكنفتكم غوائله وأقصدتكم معايله وعظمت فيكم سطوته وتتابعت عليكم عروته وقلّت عنكم نبوته، فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله واحتدام علله وحنادس غمراته وغواشي سكراته وأليم ازهاقه ودجو أطباقه وجشوية مذاقه، فكان قد أتاكم بغتة فأسكت نجيكم وفرق نديكم وعفى آثاركم وعطل دياركم وبعث ورّاثكم، يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لم ينفع وقريب محزون لم يمنع وآخر شامت لم يجزع، فعليكم بالجد والاجتهاد والتأهب والاستعداد والتزوّد في منزل الزاد، ولا تغرنكم الدنيا كما غرت من قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درتها وأصابوا غرتها وافنوا عـدتها وأخلقـوا جـدهـا، أصبحـت مساكنهم أجداثاً وأموالهم ميراثاً، لا يعرفون من أتاهم ولا يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من دعاهم، فاحذروا الدنيا فإنها غدّارة خدوع معطية منوع ملبة نزوع لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها.

وقال رضي الله عنه في خطبة له: إلا وأنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن عمل في أيام قبلَ حضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله، إلا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عبدالله بن عياش، عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز شيّع جنازة، فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها؟ فقال: نعم ناداني القبر من خلفي يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما صنعت بالأحبة؟ قلت بلى. قال: خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصصت الدم وأكلت اللحم، ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟ قلت: بلى. قال: نزعت الكفين من الذارعين والذراعين من العضدين والعضدين من الكتفين، والوركين من الفخذين والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين والساقين من القدمين ثم بكى عمر وقال: ألا إن الدنيا بقاؤها قليل وعزيزها ذليل وغنيها فقير وشابّها يهرم وحيّها يموت، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، والمغرور من اغتر بها. أين سكانها الذين بنوا مدائنها وشققوا أنهارها وغرسوا أشجارها أقاموا فيها أياماً يسيرة غرتهم بصحتهم وغروا بنشاطهم فركبوا المعاصي إنهم كانوا والله مغبوطين في الدنيا بالأموال على كثرة المنع عليه، محسودين على جمعه ما صنع التراب بأبدانهم والرمل بأجسادهم والديدان بعظامهم وأوصالهم، كانوا في الدنيا على أسرة ممهّدة وفرش منضدة بين خدم يخدمون وأهل يكرمون وجيران يعضدون، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً وادعهم إن كنت لا بدّ

داعياً، ومر بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم وسل غنيهم ما بقي من غناه، وسل فقيرهم ما بقي من فقره، وسلهم عن الألسنة التي كانوا بها يتكلمون وعن الأعين التي كانوا إلى اللذات بها ينظرون، وسلهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان، محت الألوان وأكلت اللحمان وعفرت الوجوه، ومحت المحاسن وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء. أين حجالهم وقبابهم وأين خدمهم وعبيدهم وجمعهم ومكنوزهم، والله ما زودوهم فراشاً ولا وضعوا هناك متكأ ولا غرسوا لهم شجراً ولا أنزلوهم من اللحد قراراً، ليسوا في منازل الخلوات والفلوات. أليس الليل والنهار عليهم سواء. أليس هم في مدلهمة ظلماء قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبة فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية وأجسادهم من أعناقهم نائية وأوصالهم متمزقة، قد سالت الحدق على الوجنات وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ودبت دواب الأرض في أجسادهم، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رمماً، قد فارقوا الحدائق فصاروا بعد السعة إلى المضايق، قد تزوّجت نساؤهم وترددت في الطريق أبناؤهم وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم، فمنهم والله الموسع له في قبره المتنعم بلذته. يا ساكن القبر غداً ما الذي غرّك من الدنيا هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك أين دارك الفيحاء وبهوك المطرد؟ أين ثمرك الحاضر ينعه، وأين رقاق ثيابك وأين طيبك وأين بخورك، أين كسوتك لصيفك وشتائك أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دحلاً وهو يرشح عرقاً ويتلمظ عطشاً يتقلب في سكرات الموت وغمراته. جاء الأمر من السماء وجاء غالب القدر والقضاء. جاء أمر الأمير الأجل ما لا يمتنع مثله. هيهات هيهات! يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله، يا مكفن الميت وحامله يا مخليه في القبر وراجع عنه، ليت شعري كيف كنت على جشوبة الثرى، يا ليت شعري بأي خديك بدأ البلى يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموتى، ليت شعري ما يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني به من رسالة ربي ثم تمثل:

تسر بما يفنى وتشغل بالصبا ... كما غر باللذات في النوم حالمُ
نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازمُ
وتعمل فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

قال: ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلا جمعة. وروى عن أبي صالح الشامي قال: قال عمر بن عبد العزيز:

أناميت وعز من لا يموت ... قد تيقنت أنني سأموتُ
ليس ملك يزيله الموت ملكاً ... إنما الملك ملك من لا يموتُ

وروي عن مفضل بن يونس قال: قال عمر بن عبد العزيز: لقد نغص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة الدنيا وزهرتها، فبيناهم كذلك وعلى ذلك أتاهم حاد من الموت فاخترمهم مما هم فيه بالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ويذكره في الرخاء، فيقدم لنفسه خيراً يجده بعد ما فارق الدنيا وأهلها. قال: ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء فقام.

بيان السبب في طول الأمل وعلاجه:

اعلم أن طول الأمل له سببان؛ أحدهما: الجهل، والآخر: حب الدنيا.

أما حب الدنيا؛ فهو إنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه. والإنسان مشغوف بالأماني الباطلة فيمني نفسه أبداً بما يوافق مراده، وإنما يوافق البقاء في الدنيا، فلا يزال يتوهمه ويقدره مراده في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه

وروي عن جعونة قال: قال عمر بن عبد العزيز: يا أيها الناس إنما أنتم أغراض تنتضل فيها المنايا، إنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرى، وأية أكلة ليست معها غصة وأية جرعة ليست معها شرقة وأن أمس شاهد مقبول قد فجعكم بنفسه وخلف في أيديكم حكمة، وأن اليوم حبيب مودع وهو وشيك الظعن، وأن غدا آت بما فيه وأين يهرب من يتقلب في يد طالبه إنه لا أقوى من طالب ولا أضعف من مطلوب إنما أنتم سفر ستحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار إنما أنتم فروع أصول قد مضت فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله.

وروي عن أبي الحسن المدائني قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن عبيد الله بن عتبة يعزيه على ابنه أما بعد: فإنا قوم من أهل الآخرة اسكنا الدنيا أموات أبناء أموات والعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت والسلام. روى عن عون بن معمر قال: كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد: فكأنك بآخر من كتب عليه الموت. قيل: قد مات: فأجابه عمر أما بعد: فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل. هذا وأمثال ذلك كثير في تراجم السلف، ومن طالع كتاب الحلية ظفر منها بالكثير.

الفصل الثاني

في بيان السبب في طول الأمل وعلاجه:

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن طول الأمل له سببان: أحدهما الجهل، والآخر حب الدنيا.

(أما حب الدنيا: فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه) لا محالة. (والإنسان مشغوف بالأماني الباطلة فيمني نفسه أبداً بما يوافق مراده، وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا، فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب) وملابس وضياع (وسائر

عاكفاً على هذا الفكر موقوفاً عليه، فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه، فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير شيخاً. فإذا صار شيخاً قال: إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة، أو ترجع من هذه السفرة، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له، أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر، ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر، وهكذا على التدريج يؤخر يوماً بعد يوم ويفضي به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تخطفه المنية في وقت لا يحتسبه، فتطول عند ذلك حسرته، وأكثر أهل النار وصياحهم من «سوف» يقولون: واحزناه من سوف، والمسوّف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غداً، وإنما يزداد بطول المدة قوّة ورسوخاً، ويظن أنه يتصور أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات! فما يفرغ منها إلا من أطرحها.

فما قضى أحد منها لبانته ... وما انتهى أرب إلا إلى أرب

أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفاً على هذا الفكر موقوفاً عليه) وحبساً لديه، (فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال: الأيام بين يديك فإلى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير شيخاً) فتتوب، (فإذا صار شيخاً قال: إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له) وما يحتاج إليه في معيشته، (أو تفرغ من قهر هذا العدوّ الذي يشمت بك) فتتوب، (فلا يزال يسوّف ويؤخر، ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر، وهكذا على التدريج يؤخر يوماً بعد يوم ويقضي به شغل إلى شغل إلى أشغال إلى أن تخطفه المنية في وقت لا يحتسبه) ولم يكن في باله، (فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار صياحهم من «سوف» يقولون: واحزناه من سوف). وقد ورد ذلك في بعض الأخبار بنحوه، وتقدم للمصنف. وقال العراقي هناك: لم أجد له أصلاً. (والمسوّف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غداً، وإنما يزداد بطول المدة قوّة رسوخاً، ويظن أنه يتصوّر أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها) والمنهمك في تحصيلها (فراغ قط وهيهات! فما يفرغ منها إلا من اطرحها) وراجع نفسه عنها:

(فما قضى أحد منها لبانته ... وما انتهى أرب إلا إلى أرب)

وأصل هذه الأماني كلها حب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى قوله ﷺ: « أحبب من أحببت فإنك مفارقه ».

وأما الجهل؛ فهو أن الإنسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب، وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدّوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد، وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب. وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة، ولا يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيداً، فالمرض فجأة غير بعيد، وكل مرض فإنما يقع فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيداً. ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له، ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب، فهو أبداً يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه، وهو أبداً يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر أن يشيع جنازته، لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره، فأما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصوّر أن يألفه فإنه لم يقع، وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه، فهو الأول وهو الآخر. وسبيله أن

(**وأصل هذه الأماني كلها حب الدنيا والأنس بها**) ولذا ورد « حب الدنيا رأس كل خطيئة » وفي مفهومه أن بغضها رأس كل حسنة. (**والغفلة عن معنى قوله ﷺ**) « إن روح القدس نفث في روعي (**أحبب من أحببت فإنك مفارقه**) وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به » قد تقدم غير مرة.

(**وأما الجهل: فهو أن الإنسان قد يعوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب، وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لوعدوا لكانوا أقل من عشرة من رجال البلد، وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب، وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة، ولا يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيداً فالمرض فجأة غير بعيد، وكل مرض فإنما يقع فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيداً. ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب ومشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له، ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه**) أي طلباه (**إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب، فهو أبداً يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه، وهو أبداً يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر أن يشيع جنازته، لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره، فأما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور أن يألفه فإنه لا يقع،**

يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لا بدّ وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره، ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض.

وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه:

أما الجهل: فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة.

وأما حب الدنيا: فالعلاج في إخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين علاجه؛ ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب، ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا، فإن حب الخطير هو الذي يمحو من القلب حب الحقير، فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطى ملك الأرض من المشرق إلى المغرب، وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منغص، فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة: «فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا

وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه، فهو الأول وهو الآخر وسبيله أن يقيس بغيره ويعلم أنه لا بدّ وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره، ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه)، والثوب الذي يكفن فيه قد نسج وخرج من عند القصار (وهو لا يدري) فتسويفه جهل محض.

(وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه.

أما الجهل؛ فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة).

(وأما حب الدنيا: فالعلاج في إخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال) الصعب (الذي أعيا الأوّلين والآخرين علاجه) لشدة تعلقه بالقلب؛ (ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب، ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل من قلبه حب الدنيا) إذ الدنيا والآخرة بمنزلة ضرتين إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، (فإن حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير، فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطي ملك الأرض من المشرق إلى المغرب، وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير ومع ذلك) فإنه (مكدر منغص) متعب، (فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة) إيماناً يقينياً؟ (فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده) كما ورد ذلك في الخبر

كما أراها الصالحين من عباده. ولا علاج في تقدير الموت في القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والاشكال وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا. أما من كان مستعداً فقد فاز فوزاً عظيماً، وأما من كان مغروراً بطول الأمل فقد خسر خسراناً مبيناً، فلينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه، وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لا محالة، وكيف تتفتت عظامها. وليتفكر ان الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولاً أو اليسرى فما على بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود وما له من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورد من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر. فأمثال هذه الأفكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له.

بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره:

اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون؛ فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أبداً. قال الله

وتقدم ذكره في كتاب ذم الدنيا. (**ولا علاج في تقدير الموت في القلب**) إلا أن يفرغ قلبه عن كل فكر سواه ويجلس في خلوة ويباشر ذكر الموت عميم قلبه ولا أنفع في ذلك. (**مثل النظر إلى من مات من**) النظر و(**الأقران والأشكال**) والأتراب واحداً واحداً (**وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا**) ويتذكر مرضهم وأملهم وركونهم إلى الدنيا والجاه والمال، ثم يذكر مصارعهم وتحسرهم على فوات العمر وتضييعه، (**أما من كان مستعداً**) لمجيئه (**فقد فاز فوزاً عظيماً، وأما من كان مغروراً بطول الأمل فقد خسر خسراناً مبيناً، ولينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه**) نظر عبرة، (**وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها**) حتى تصير نخرة (**وليتفكر أن الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولاً أو اليسرى**) بعد أن تسيل على خدّه، (**فما على بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى، وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر، فأمثال هذه الأفكار التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له**). وفيما ذكرناه من خطب أمير المؤمنين، ومن خطب عمر بن عبد العزيز مقنع للمتفكر، والله الموفق.

الفصل الثالث

في بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره:

(اعلم) أرشدك الله تعالى (أن الناس في ذلك متفاوتون، فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي

تعالى: ﴿يودُّ أحدُهُم لو يُعمِّر ألفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حباً شديداً قال رسول الله ﷺ: « الشيخ شاب في حب طلب الدنيا، وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل ما هم »، ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجوداً في عام قابل، ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف. فإذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة، ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء، فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف، ومنهم من يرجع أمله إلى يوم، وليلة، فلا يستعد إلا لنهاره وأما للغد فلا.

قال عيسى عليه السلام: لا تهتموا برزق غد، فإن يكن غد من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم، وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم. ومنهم من لا

ذلك أبداً. قال الله تعالى: ﴿يودّ أحدهم لو يعمِّر ألف سنة﴾ ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم) وهو سن سقوط القوة **(وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حباً شديداً. قال رسول الله ﷺ: « الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل ما هم »)** قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: « قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال » اهـ.

قلت: بل رواه ابن المبارك في الزهد عن أبي الدرداء موقوفاً بلفظ: « نفس ابن آدم شابة ولو التفت ترقوتاه من الكبر إلا من امتحن الله قلبه للتقوى وقليل ما هم ». ورواه الحكيم الترمذي عن مكحول مرسلاً.

وأما حديث أبي هريرة فلفظه عند مسلم وابن ماجه: « قلب الشيخ شاب على حب اثنين حب العيش والمال » وعند ابن عساكر بلفظ: « في اثنتين طول الأمل وحب المال »، وروى الترمذي وقال حسن صحيح بلفظ: « على حب اثنتين طول الحياة وكثر المال » وقال الحاكم: على شرطهما، وأقره الذهبي، ورواه كذلك ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس. وأما البخاري فلفظه: « لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل ».

(ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجوداً في عام قابل، ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف، وإذا جمع ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة، ومنهم من يأمل مدة الصيف أو) مدة **(الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف، ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة فلا يستعد إلا لنهاره وأما للغد فلا. قال عيسى عليه السلام: لا تهتموا برزق غدٍ فإن يكن غداً من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم، وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم)**. رواه

يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا ﷺ : « يا عبدالله إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح » . ومنهم من لا يقدر البقاء أيضاً . كان رسول الله ﷺ يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول : « لعلي لا أبلغه » ، ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره ، وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودع . وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه لما سأله رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه فقال : ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى وكما نقل عن الأسود وهو حبشي أنه كان يصلي ليلاً ويلتفت يميناً وشمالاً فقال له قائل : ما هذا ؟ قال : انظر ملك الموت من أي جهة يأتيني .

فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم ، بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله ﴿فإنَّ اللهَ لا يظلمُ مثقال ذرة﴾ [النساء : ٤٠] ﴿ومن يعمَلْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يره﴾ [الزلزلة : ٧] ، ثم يظهر أثر قصر

أحد بالزهد عن سفيان نحوه . (**ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا ﷺ : « يا عبدالله**) بن عمر (**إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح**) تقدم قريباً ، (**ومنهم من لا يقدر البقاء أيضاً ساعة. كان رسول الله ﷺ يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول : « لعليَّ لا أبلغه »**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس وتقدم قريباً . (**ومنهم من يكون الموت نصب عينيه**) لا يفارقه (**كأنه واقع به فهو ينتظره ، وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودع**) روى الديلمي من حديث أنس : « اذكر الموت في صلاتك فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن تحسن صلاته ، وصلّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها ، وإياك وكل أمر يعتذر منه » . وروى ابن ماجه من حديث أبي أيوب : « إذا قمت في صلاتك فصلّ صلاة مودع » . وعند القضاعي من حديث ابن عمر : « صلّ صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها » . وعند العسكري في الأمثال من حديث سعد بن أبي وقاص : « وصل صلاتك وأنت مودع » . (**وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما سأله رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه فقال : ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى**) قال العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وهو ضعيف ، (**وكما نقل عن الأسود وهو حبشي**) أي أسود اللون (**أنه كان يصلي ليلاً ويلتفت يميناً وشمالاً فقال له قائل : ما هذا**) الالتفات ؟ (**قال : انتظر ملك الموت من أي جهة يأتيني**) .

(**فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم ، بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله ﴿فإن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ و﴿من يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ ثم يظهر أثر قصر الأمل في المبادرة إلى العمل ، وكل إنسان**

الأمل في المبادرة إلى العمل، وكل إنسان يدعي أنه قصير الأمل وهو كاذب، وإنما يظهر ذلك بأعماله فإنه يعتني بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنة، فيدل ذلك على طول أمله. وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة، فليستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت، فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه، ثم يستأنف مثله إلى الصباح، وهكذا إذا أصبح. ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه، فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة؛ فالموت له سعادة والحياة له مزيد، فليكن الموت على بالك يا مسكين فإن السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك، ولعلك قد قاربت المنزلة وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناماً لكل نفس أمهلت فيه.

يدعي أنه قصير الأمل وهو كاذب) في دعواه **(وإنما يظهر ذلك بأعماله فإنه يعتني بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنته، فيدل ذلك على طول أمله، وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة، فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت، فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح فإنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه، ثم يستأنف مثله إلى الصباح، وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه، فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سرَّ لحسن الاستعداد ولذة المناجاة، فالموت له سعادة والحياة له مزيد، فليكن الموت على بالك يا مسكين فإن السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك، ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناماً لكل نفس أمهلت فيه)**.

اعلم أن العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالى مستغن عن ذكر الموت، بل حاله الغنى في التوحيد لا التفات له إلى ماض ولا مستقبل ولا إلى الحال من حيث أنه حال، بل هو ابن وقته، وكذلك يفارقه الخوف والرجاء لأنهما سوطان يسوقان العبد إلى هذه الحال التي ملابسها بالذوق وكيف يذكر الموت وإنما يراد ذكر الموت لقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت، والعارف قد مات في حق الدنيا وفي حق كل ما يفارقه بالموت، فإنه قد ترفع وتنزه عن الالتفات إلى الآخرة أيضاً فضلاً عن الدنيا بل قد ينغص عليه ما سوى الله تعالى، ولم يبق له من الموت إلا كشف الغطاء ليزداد به وضوحاً ليزداد يقيناً، وهو قول علي رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً فإن الناظر إلى غيره من وراء ستر لا يزداد برفع الستر يقيناً بل يزداد وضوحاً فقط» فإذاً ذكر الموت يحتاج إليه من لقلبه التفات إلى الدنيا ليعلم أنه سيفارقها فلا يعتكف بهمته عليها، فتأمل ذلك.

بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير:

اعلم أن من له أخوان غائبان وينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة، وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غداً. فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار. فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة، ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى، وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبداً فإنه أبداً يرى لنفسه متسعاً في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال ﷺ: «ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغياً أو فقراً منسياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال، فالدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر». وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل

الفصل الرابع

في بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير:

(**اعلم**) بصرك الله تعالى بنور توفيقه (**أن من له أخوان غائبان ينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم عليه إلى شهر وسنة، وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غداً. فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار، فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ما وراء المدة، ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبداً فإنه أبداً يرى لنفسه متسعاً في تلك السنة فيؤخر العمل، كما قال ﷺ: «ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغياً**) أي يكسبه الطغيان عن الحدود (**أو فقراً منسياً**) عن أمور الآخرة (**أو مرضاً مفسداً**) لحاله (**او هرماً مفنداً**) أي مورثاً للفند محركة وهو ضعف الرأي والخطا فيه (**أو موتاً مجهزاً**) أي سريعاً (**أو الدجال، فالدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر**») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة: «**هل تنتظرون من الدنيا إلا غنى**» الحديث وقال: حسن ورواه ابن المبارك في الزهد، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بلفظ المصنف وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: وروى هناد بن السري في الزهد، ومن طريقه صاحب الحلية قال: حدثنا ابن المبارك، عن شعبة، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه عن أبي موسى قال: «ما ننتظر من الدنيا إلا كلا محزناً أو فتنة تنتظر».

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه، (**قال النبي ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل**

فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك »، وقال ﷺ: « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». أي أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالها. وقال ﷺ: « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة

خمس) أي فعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء: (**شبابك قبل هرمك**) أي اغتنم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك فتندم على ما فرطت في جنب الله، (**وصحتك قبل سقمك**) أي اغتنم العمل حال الصحة فقد يعرض مانع كمرض فتقدم المعاد بغير زاد، (**وغناك قبل فقرك**) أي اغتنم التصدق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيراً في الدنيا والآخرة (**وفراغك قبل شغلك**) أي اغتنم فراغك في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أول منازلها القبر فاغتنم فرصة الإمكان لعلك تسلم من العذاب والهوان، (**وحياتك قبل موتك »**) أي اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك فإن من مات انقطع عمله وفاته أمله وحق ندمه وتوالى همه فافترض منك لك. فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بإسناد حسن، ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأودي مرسلاً اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحاكم في الرقاق، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس، وقال الحاكم على شرطهما، وأقره الذهبي في التلخيص، ورواه أحمد في الزهد والنسائي في المواعظ، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلاً، ولفظ الجميع « اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك ».

(**وقال ﷺ « نعمتان**) من نعم الله تعالى كما في رواية (**مغبون فيهما**) من الغبن بالسكون والتحريك. قال الجوهري في البيع بالسكون وفي الرأى بالتحريك، فيصح كل هنا اذ من لا يستعملها فيما ينبغي فقد غبن ولم يحمد رأيه (**كثير من الناس: الصحة والفراغ »**) من الشواغل الدنيوية المانعة عن أمور الآخرة شبه المكلف بالتاجر والصحة والفراغ برأس المال لكونهما من أسباب الأرباح ومقدمات النجاح، فمن عامل الله بامتثال أوامره ربح، ومن عامل الشيطان باتباعه ضيع رأس ماله، ونبه بكثير على أن الموفق لذلك قليل. رواه البخاري والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس وقد تقدم.

ويروى « نعمتان الناس فيهما متغابنون: الصحة والفراغ ». (**أي أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالها**) وقال الحسن، يقول ابن آدم: نعمتان عظيمتان المغبون فيهما كثير الصحة والفراغ فمهلاً مهلاً لثواء هنا قليل. أخرجه العسكري في الأمثال وقال: الصحة عند بعضهم الشباب. قال: والعرب تجعل مكان الصحة الشباب.

(**وقال ﷺ « من خاف أدلج**) أي سار من أول الليل. هذا إذا كان بالتخفيف، أو معناه سار من آخره إذا كان بالتشديد، (**ومن أدلج بلغ المنزل**) والمراد التشمير في الطاعة، والمعنى من

الله الجنة »، وقال رسول الله ﷺ: « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه »، وكان رسول الله ﷺ إذا آنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع: « أتتكم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة ». وقال أبو هريرة: قال رسول الله

خاف ألزمه خوفه السلوك إلى الآخرة والمبادرة للعمل الصالح خوف القواطع والعوائق. (**ألا إن سلعة الله غالية**) أي رفيعة القدر (**ألا إن سلعة الله الجنة »**) قال الطيبي: هذا مثل ضربه لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقظ في سيره وأخلص في عمله أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق اهـ.

وقال العلاء: أخبر أن الخوف من الله هو المقتضي للسير إليه بالعمل الصالح المشار إليه بالإدلاج، وعبر ببلوغ المنزل عن النجاة المترتبة على العمل الصالح وأصل ذلك كله الخوف. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن.

قلت: وكذلك رواه الرامهرمزي في الأمثال والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم صحيح، وأقره الذهبي. ورواه الحاكم أيضاً، وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي بن كعب، وقال الصدر المناوي في تخريج المصابيح في مسند الترمذي والحاكم: يزيد بن سنان ضعفه أحمد وابن المديني اهـ.

وقال ابن طاهر: يزيد متروك والحديث لا يصح مسنداً وإنما هو من كلام أبي ذر.

(**وقال ﷺ « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه »**) قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه من حديث أبي بن كعب اهـ.

قلت ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: « أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه ». وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب، وفي رواية تكرار ذلك مرتين في كل كلمة.

ورواه الطبرا ٠ ٠ طريق أبي نعيم في الحلية فقال: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان الثوري، عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل فساقه. وزاد يقولها ثلاثاً، والمراد بالراجفة النفخة الأولى، والرادفة النفخة الثانية. رواه عبد بن حميد عن أبي صالح وعن الحسن.

(**وكان رسول الله ﷺ إذا أنس من الناس غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع « أتتكم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث زيد السليمي مرسلاً اهـ.

قلت وكذلك رواه البيهقي في الشعب، وروى البيهقي أيضاً عن الوضين بن عطاء قال: كان رسول الله ﷺ إذا أحس من الناس بغفلة من الموت جاء فأخذ بعضادتي الباب ثم هتف ثلاثاً « يا أيها الناس يا أهل الإسلام أتتكم المنية راتبة لازمة جاء الموت بما جاء به بالروح والراحة والكرة المباركة لأولياء

ﷺ : « أنا النذير ، والموت المغير ، والساعة الموعد » ، وقال ابن عمر : خرج رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السعف فقال : « ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه » ، وقال ﷺ : « مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقاً بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع » وقال جابر : « كان رسول الله ﷺ

الرحمٰن من أهل الخلود الذين كان سعيهم ورغبتهم فيها لها ، ألا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت سابق ومسبوق ».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه ، **(قال رسول الله ﷺ « أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد »)** . قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بإسناد فيه لين اهـ .

قلت : وكذلك رواه أبو يعلى في مسنده ، وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين : حدثنا عبيدالله بن محمد ، حدثنا يحيى بن بكير وسويد بن سعيد قالا : حدثنا ضمام بن إسماعيل ، عن موسى ابن وردان ، عن أبي هريرة قال : لما نزلت ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء : ٢١٤] قال نبي الله ﷺ « يا صفية بنت عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد أنا النذير وإلى الموت المصير والساعة الموعد » .

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه : **(خرج رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السعف فقال : « ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا فيما مضى منه »)** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بإسناد حسن ، والترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه اهـ .

قلت : ورواه الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ « يا أيها الناس لم يبق من دنياكم هذه إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه » .

وأما حديث أبي سعيد ، فقد رواه أحمد بلفظ : صلى بنا رسول الله ﷺ العصر نهاراً ثم قام فخطبنا لم يترك شيئاً قبل قيام الساعة إلا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، وجعل الناس يلتفتون إلى الشمس هل بقي منها شيء فقال : « ألا أنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه » . وروى الخطيب من حديث عبدالله بن عمر « وما بقي لأمتي من الدنيا إلا كمقدار الشمس إذا صليت العصر » .

(وقال ﷺ : « مثل الدنيا كثوب شق أوله إلى آخره فبقي متعلقاً بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع ») قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث أنس ولا يصح اهـ .

قلت : ورواه أيضاً البيهقي في الشعب ، وفي مسنده يحيى بن سعيد العطار ضعفه ابن عدي ، ورواه أيضاً أبو نعيم في الحلية من حديث أبان عن أنس بلفظ « مثل هذه الدنيا من الآخرة مثل ثوب » والباقي سواء وقال : غريب لم نكتبه إلا من حديث إبراهيم بن أبي الأشعث ، وأبان بن أبي عياش لم تثبت صحبته لأنس كان لهجاً بالعبادة ، والحديث ليس من شأنه .

إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول: صبحتكم ومستكم. بعثت أنا والساعة كهاتين ـ وقرن بين أصبعيه ـ »، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أن يهدِيَهُ يشْرَح صدرَهُ للإسلاَمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فقال: « إن النور إذا دخل الصدر انفسخ » فقيل: يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف؟ قال: « نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله » وقال السدي: ﴿الذي خَلَقَ المَوْتَ والحياة ليبلوَكُمْ

(وقال جابر) رضي الله عنه: (**كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول: « صبحتكم ومستكم بعثت أنا والساعة كهاتين »ـ وقرن بين أصبعيه ـ**) شبه حاله في خطبته وانذاره بقرب القيامة وتهالك الناس فيما يرديهم بحال من ينذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منهم يقصد الإحاطة بغتة بحيث لا يفوته منهم أحد، فكما أن المنذر يرفع صوته وتحمر عيناه ويشتد غضبه على تغافلهم، فكذا حال رسول الله ﷺ عند الإنذار. قال العراقي: رواه مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له اهـ.

قلت: ظاهره يقتضي أن صحابي الحديث هو جابر الأنصاري كما هو المتبادر عند الإطلاق وليس كذلك، بل هو جابر بن سمرة كما صرح به مسلم في روايته. وقوله واللفظ له يشعر أن هذا السياق ليس عند أحد من الستة وإلا لما اقتصر على ابن أبي الدنيا، وقد رواه بهذا اللفظ ابن ماجه وابن حبان والحاكم مع زيادة بلفظ: كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: « صبحكم ومساكم » ويقول: « بعثت أنا والساعة كهاتين » ويفرق بين أصابعه السبابة والوسطى، ثم يقول: « أما بعد: فإن خير الأمور كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » ولفظ مسلم في الجمعة بعد قوله: « صبحكم ومساكم » ويقول: « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله » الخ.

وأما لفظ « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بالوسطى والسبابة فإنه روي هكذا من طرق، فرواه أحمد وعبد بن حميد والشيخان والترمذي والدارمي وابن حبان من حديث أنس، ورواه أحمد وهناد والطبراني والضياء من حديث جابر بن سمرة. ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث بريدة. رواه أحمد والشيخان وابن حبان من حديث سهل بن سعد. ورواه البخاري وهناد من حديث أبي هريرة. ورواه الطبراني من حديث المستورد. ورواه ابن ماجه وابن سعد من حديث جابر بن عبدالله.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: (**تلا رسول الله ﷺ**) قوله تعالى: (**﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ فقال رسول الله ﷺ: « إن النور إذا دخل الصدر انفسح » فقيل: يا رسول الله هل لذلك علامة تعرف؟ قال « نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله »**) رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي

أيكُم أحسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك : ٢] أي أيكم أكثر للموت ذكراً ، وأحسن له استعداداً وأشد منه خوفاً وحذراً . وقال حذيفة : ما من صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي : أيها الناس الرحيل الرحيل . وتصديق ذلك قوله تعالى : ﴿إنَّهَا لإحدى الكُبَرِ ★ نذيراً للبشر ★ لمن شَاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ [المدثر : ٣٥ ـ ٣٧] في الموت . وقال سحيم ـ مولى بني تميم ـ جلست إلى عامر بن عبدالله وهو يصلي فأوجز في صلاته ثم أقبل علي فقال : أرحني بحاجتك فإني أبادر ، قلت : وما تبادر ؟ قال : ملك الموت رحمك الله ، قال : فقمت عنه وقام إلى صلاته . ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال : دعني ! إنما

الدنيا ، وابن جرير ، وأبو الشيخ ، والحاكم ، وابن مردويه ، والبيهقي في الشعب من طرق عديدة وقد تقدم . وقد روي نحوه من مرسل أبي جعفر المدائني عند ابن المبارك في الزهد ، ومن مرسل الحسن عند ابن أبي الدنيا في كتاب الموت .

(**وقال السدي**) هو محمد بن مروان بن عبدالله بن إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي ، مولى عبد الرحمن بن زيد الخطاب وهذا هو المفسر ويعرف بالصغير ، روى عن يحيى بن عبدالله والكلبي ، وعنه هشام بن عبدالله ومحمد بن عبيد المحاربي قال أبو حاتم : هو ذاهب الحديث متروك الحديث لا يكتب حديثه البتـة . وأما السدي الكبير فهو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن كان يبيع الخمر بسدة الجامع بالكوفة ، والسدة هي الباب ، حجازي الأصل ، روى عن أنس ، وعنه شعبة والثوري . قال ابن أبي حاتم : كان أعلم بالقرآن من الشعبي ، مات في إمارة ابن هبيرة على العراق : (**﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾**) قال : (**أي أيكم أكثر للموت ذكراً وأحسن له استعداداً وأشد منه خوفاً وحذراً**) . رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ، والبيهقي في الشعب .

(**وقال حذيفة**) رضي الله عنه : (**ما من صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي : أيها الناس الرحيل الرحيل وأن تصديق ذلك**) في (**قوله تعالى : ﴿إنها لاحدى الكبر ★ نذيراً للبشر ★ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ قال : في الموت**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل هكذا . **وقـال : ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم﴾** قال : الموت ﴿أو يتأخر﴾ قال : الموت ، والضمير راجع للنار أي أن البلايا الكبرى كثيرة والنار واحدة منها .

(**وقال سحيم**) المدني (**مولى بني تميم**) ، وقيل هو مولى بني زهرة روى له النسائي : (**جلست إلى عامر بن عبدالله**) بن الزبير مدني عابد ثقة ، روى عن أبيه وعن عدة من الصحابة وعن جماعة من التابعين ، (**وهو يصلي فأوجز في صلاته ، ثم أقبل علي فقال : أرحني بحاجتك فإني أبادر . قلت : وما تبادر ؟ قال : ملك الموت رحمك الله . قال : فقمت عنه وقام إلى صلاته**) رواه ابن **أبي الدنيا في قصر الأمل** .

أبادر خروج نفسي. قال عمر رضي الله عنه: «التؤدة في كل شيء خير إلا في أعمال الخير للآخرة. وقال المنذر: سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه، ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر ؛ ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر! حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني. وكان الحسن يقول في موعظته: المبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرءاً، نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤] يعني الأنفاس، آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك

(ومر) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى، (فسأله رجل عن حديث فقال: دعني إنما أبادر خروج نفسي) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا عبدالله بن سلمة بن سعيد قال: لقي داود الطائي رجل فسأله عن حديث فقال: دعني فإني أبادر خروج نفسي.

(وقال عمر رضي الله عنه: التؤدة في كل شيء خير إلا في أعمال الآخرة)، وهذا قد روي مرفوعاً من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ « إلا في عمل الآخرة ». رواه الحاكم والبيهقي من رواية مصعب بن سعد عن أبيه، وروى ابن سعد من طريق سليمان بن أبي حثمة عن أمه الشفاء بنت عبدالله قالت: كان عمر إذا مشى أسرع، وهذا محمود لمن يخشى من البطء في السير تفويت أمر ديني ونحوه، وعليه يحمل ما تقدم من قوله: وهذا كما في شرب السويق وتقديمه على الفتيت فلا يعارض ما ورد: سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن.

(وقال المنذر) بن ثعلبة العبدي القطعي، ويقال الطائي أبو النضر البصري ثقة، روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه: (سمعت مالك بن دينار) البصري العابد الثقة (يقول لنفسه: ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر، ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر، حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يراني) . رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

(وكان الحسن) البصري رحمه الله تعالى (يقول في موعظته: المبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حبست عنكم انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرءاً نظر لنفسه وبكى على ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية ﴿إنما نعد لهم عداً﴾ يعني الأنفاس) أي نعد لهم الأنفاس عداً (آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك) . رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل. ورواه صاحب كتاب المتفجعين من طريق عبد الواحد بن زيد قال: سمعت الحسن يقول: يا ابن آدم لقد أعذر الله إليك أن عمرك أربعين سنة تركض وترتع، فبادر المهلة قبل حلول الأجل ونزول الموت، وكأنك بك قد لحقت بمن مضى من إخوانك فندمت على ما فرطت فيه أيام حياتك ثم يبكي ويقول: المبادرة رحمكم الله المبادرة فإنما هي الأنفاس فساقه.

في قبرك ـ واجتهد أبو موسى الأشعري قبل موته اجتهاداً شديداً ، فقيل له : لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق؟ فقال: إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجلي أقل من ذلك! قال: فلم يزل على ذلك حتى مات. وكان يقول لامرأته: شدّي رحلك فليس على جهنم معبر. وقال بعض الخلفاء على منبره: عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جدبكم، وإنّ غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة، وإنّ غائباً يجدّ به الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة، وإن قاد ما يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة، فالتقي عند ربه من ناصح نفسه وقدّم توبته وغلب شهوته فإنّ أجله مستور عنه وأمله خادع له، والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوّفها ويزيّن إليه المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها، وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن

(واجتهد أبو موسى الأشعري) رضي الله عنه **(قبل موته اجتهاداً شديداً فقيل له: لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق؟ فقال: إن الخيل إذا أرسلت)** إلى السباق **(فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها)** أي من القوة، **(والذي بقي من أجلي أقل من ذلك. قال)** الراوي: **(فلم يزل على ذلك حتى مات)**. قال: **(وكان يقول لامرأته: شدي رحلك فليس على جهنم معبر)**. رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

(وقال بعض الخلفاء على منبره) هو أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كما ذكره الشريف الموسوي في نهج البلاغة وهذا لفظه مع بعض اختلاف في السياق كما ننبه عليه: **(عباد الله اتقوا ما استطعتم وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، واعلموا أن الدنيا ليست بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جدبكم)**. وسياق النهج: واتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جدبكم، واستعدوا للموت فقد أظلكم، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، واعلموا أن الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به، **(وأن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وأن غائباً يحذوه)** وفي نسخة يحدوه **(الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة وإن قادماً يحل)** وفي نسخة يقدم **(بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة، فاتقى عبد ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته)** ولفظ النهج بحذف الواوات، **(فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به، يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها)** ولفظ النهج بتقديم الجملة الثانية على الأولى، وفيه: ليركبها **(حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها، وأنه ما**

ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن ترديه أيامه إلى شقوة، جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء وإنه بيده الخير دائماً فعال لما يشاء.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال بالشهوات واللذات ﴿وتَرَبَّصْتُمْ﴾ قال بالتوبة ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ قال: شككتم ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ قال: الموت ﴿وَغَرَّكُمْ بالله الغرور﴾ [الحديد: ١٤] قال: الشيطان، وقال الحسن: تصبروا وتشددوا فإنما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم. وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة. وقال أبو عبيدة الناجي: دخلنا

بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به) هذه الجملة في سياق النهج مقدمة كما أشرنا إليها، **(فيالها حسرة على)** كل **(ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن ترد به أيامه إلى شقوة. جعلنا الله وإياكم)** ولفظ النهج: نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم **(ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية)** ولفظ النهج عن طاعة ربه غاية، **(ولا تحل به بعد الموت حسرة)** ولفظ النهج ندامة ولا كآبة **(إنه سميع الدعاء وأنه بيده الخير دائماً فعال لما يشاء)**.

(وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فتنتم أنفسكم﴾ قال): أي **(بالشهوات واللذات)** فإن النفوس تفتن بها بمقتضى ميلها إليها **(﴿وتربصتم﴾ قال)**: أي **(بالتوبة)** أي سوفتم بها **(﴿وارتبتم﴾ قال: أي شككتم)** أي داخلكم الارتياب والشك **(﴿وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله قال﴾)** أي **(الموت)** أي فاجأكم. **(﴿وغركم بالله الغرور﴾)** وهو كل ما يغرك من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسر بالشيطان وبالدنيا لأنها تغر وتمر، وأما الشيطان فإنه أقوى الغارين وأخبثهم.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(تصبروا وتشددوا فإنما هي أيام قلائل، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب)** الداعي **(ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم)** رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة)** إلى أهلها رواه الطبراني، وأبو نعيم من طريق الضحاك ابن مزاحم عنه وقد تقدم.

(وقال أبو عبيدة) بكر بن الأسود، ويقال ابن أبي الأسود **(الناجي)** الزاهد من بني ناجية ابن سامة بن لؤي، روى عن الحسن وابن سيرين. قال الذهبي: متروك ومشاه بعضهم: **(دخلنا على**

على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحباً بكم وأهلاً حياكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار المقام، هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم واتقيتم، فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه الأذن، فإن من رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً ورائحاً لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر إليه ألوحا ألوحا النجا النجا علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معاً، رحم الله عبداً جعل العيش عيشاً واحداً فأكل كسرة ولبس خلقاً ولزق بالأرض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك. وقال عاصم الأحول: قال لي فضيل الرقاشي ـ وأنا سائله ـ يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء، فإن الأمر محفوظ عليك ولم ترَ شيئاً قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم.

الحسن) البصري **(في مرضه الذي مات فيه فقال: مرحباً بكم وأهلاً، حياكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار المقام، هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم واتقيتم)** وفي نسخة أيقنتم، **(فلا يكن حظكم من هذا الخبر. رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه الأذن فإنه من رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً ورائحاً لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، ولكن رفع له علم فشمر إليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون)** أي تقفون! **(أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معاً، رحم الله عبداً جعل العيش عيشاً واحداً فأكل كسرة وليس خلقاً ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك)** . قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، وابن حبان في الألقاب، وأبو نعيم في الحلية من هذا الوجه.

(وقال) أبو عبد الرحمن **(عاصم)** بن سليمان **(الأحول)** البصري ثقة مات بعد الأربعين من المائة روى له الجماعة، **(قال لي فضيل)** بن مرزوق الأغر **(الرقاشي)** الكوفي أبو عبد الرحمن صدوق مات في حدود سنة ستين روى له مسلم والأربعة **(وأنا سائله: يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقول اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فإن الأمر محفوظ عليك، ولم تر شيئاً قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم)** . ورواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا صالح بن زياد، حدثنا سعيد بن عامر، عن جسر قال: كان الحسن يقول: أيها المرء إنك لا تدري لعلك أن تكون الشخص المختطف، إنك لا تدري بأي ميتة تموت، إنك لا تدري لعلك أن يحبس طعامك أو شرابك في بطنك فيخرج به نفسك، داو

نفسك واحذر مصرعك بكرب الموت وشدته، إنك لا تدري بما يأتيك به الموت بخير أو بشر ليكن الموت منك على بال، أدب نفسك بتواتر نعم الله عليك وأنت غير مستحق لها، ثم يقبل على أصحابه فيقول: الموت أول رواد عليك من الآخرة بخير يستر أو بشر يسوء ثم يبكي.

قال: وحدثنا صالح بن زياد وعبدالله بن الهيثم قال: حدثنا السهمي قال: حدثنا أبو عبيدة الناجي عن الحسن قال: يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك إنك لم تزل في هدم عمرك منذ خرجت من بطن أمك، إنما أنت عدد فإذا ذهب يوم فقد ذهب بعضك، يوكل بك ملكان كريمان يكتبان عليك ما تجني على نفسك، فإذا مت طويت صحيفتك ثم قلدتها في عنقك، ثم تلا ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ★ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] لقد عدل عليك ثم جعلك حسيب نفسك، وبهذا السند عن الحسن قال: يا ابن آدم لا يلهيك أهلك الذين أنت ضيف فيهم عن أهل لا تزايلهم، ولا تلهك مساكن إنما تمر بها عن مساكن أنت خالد فيها، يا ابن آدم لو رأيت رجلاً نزل منزلاً في سفر لا يقيم فيه تجمع فيه المقام، ألم تكن في الناس ضحكة؟ يا ابن آدم لكل أمر عدة وعتاد وعُدة الآخرة وعتادها ثلاث: صقل القلب وصحة البدن والسعة في الدنيا، فإذا فعل الله بك ذاك فقد أعذر إليك ولا معذرة لك إن لم تحس، يا ابن آدم إنما تدخل القبر وحدك ليس عليك من الناس شيء ولا عليهم منك شيء ما أقل جدالهم عنك في ذلك الموطن فقد نفـر والله يا أحـمق منك أقرباؤك وأحباؤك كل امرىء منهم يقول: نفسي نفسي يا مسكين إنما يكرمك اليوم منهم من أكرمك لهذه الروح التي في جسدك، فلو قد انتزع منك نبذوك عنهم، وإن تركت بينهم فروا من البيت الذي أنت فيه.

قال: وحدثنا عبدالله بن الهيثم عن سعيد بن عامر عن عبدالله بن المبارك قال: قال عبد الرحمٰن ابن يزيد بن معاوية لأخ له: يا أخي أترضى حالك هذه للموت؟ قال: لا. قال: فهل أنت مجمع على الانتقال إلى حال ترضاها للموت؟ قال: ما دعتني نفسي إلى ذلك بعد. قال: فهل بعد الموت دار فيها معتمل؟ قال: لا. قال: فهل تأمن الموت أن يأتيك على حالك هذه؟ قال: لا. قال: ما رأيت مثل هذه الحال رضي بها عاقل.

قال: وحدثنا عبدالله بن الهيثم، حدثنا العتبي عن أبيه قال: عاد الحسن عليلاً فوجده قد أفرق فقال: يا أيها الرجل إن الله قد ذكرك فاذكره وقد أقالك فاشكره، ثم قال: ضربة سوط من ملك كريم فأما فرس جواد وأما حمار عثور، وبهذا السند قال الحسن: ضرب الله ابن آدم بالأمراض وضربه بالحاجة وبالعجز وجعل مصيره إلى الموت، وأنه مع ذلك لو تاب. وبهذا السند قال: كتب الحسن إلى فرقد أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله والعمل بما علمك الله والاستعداد لما لا حيلة لأحد في دفعه ولا ينفع الندم عند نزوله، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى وتشمر للسبق، فإن الدنيا ميدان مسابقة وأن لي ولك من الله مقاماً ليسألني فيه، وإياك عن الحقير الدقيق والجليل الجافي ولا آمن أن يكون فيما يسألني وإياك فيه عن وساوس الصدور ولحظ العيون وإصغاء الأسماع وما أعجز عن وصفه.

الباب الثالث
في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك. وقال لقمان لابنه: يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك. والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل، فما لهذا سبب إلاّ الجهل والغرور. واعلم أن شدّة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما

الباب الثالث
في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده:

(اعلم) وفقك الله تعالى (أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول) ولا شدة (ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيق بأن تطول فيه فكرته ويعظم له استعداده، لا سيا وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك. وقال لقمان لابنه. يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك). أي يأتيك فجأة. (والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي مثلاً فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل، فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور) بالأماني الباطلة. (واعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذقها، فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه.

هم فيه. فأما القياس الذي يشهد له؛ فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح، فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم، والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء، فلا يصيب الروح إلا بعض الألم، فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده!

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة، وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن، فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهراً وباطناً إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم.

وأما الجراحة؛ فإنما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط، فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار، فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل

فأما القياس الذي يشهد له؛ فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم) وقد تقدم الكلام على ذلك في تشريح الإنسان، **(فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح، فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الأثر، فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده.**

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حلّ به الألم، فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة) فإن قيل: فما بال أثر الاحتراق بالنار يعم سائر البدن؟ فالجواب ما أشار إليه المصنف بقوله: **(وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن، فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهراً وباطناً إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم.**

وأما الجراحة؛ فإنما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط، فكان لذلك ألم الجرح دون النار فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه، فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن

من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم، فلا تسأل عن كربه وألمه، حتى قالوا: إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح؟ وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه، وبلغ كل موضع منه فهد كل قوّة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوّة الاستغاثة.

أما العقل؛ فقد غشيه وشوشه، وأما اللسان فقد أبكمه، وأما الأطراف فقد ضعفها. ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك، فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خواراً وغرغرة من حلقه وصدره، وقد تغير لونه وأربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته، وقد جذب منه كل عرق على حياله، فالألم منتشر في داخله وخارجه، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالي أجفانه، وتتقلص الشفتان، ويتقلص اللسان إلى أصله، وترتفع الأنثيان إلى أعالي موضعها، وتخضر أنامله. فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه! ولو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألمه عظيماً فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم؟ لا من عرق

أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم، فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا: إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض) كما ورد كل ذلك في الأخبار على ما سيأتي ذكرها (لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح، فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح؟ وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه، وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة.

(أما العقل: فقد غشيه وشوّشه، وأما اللسان فقد أبكمه) وأخرسه، (وأما الأطراف فقد ضعفها) وهدّ قوّتها، (يودّ لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك، فإن بقيت فيه قوّة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خواراً وغرغرة من حلقه وصدره) كخوار الثور العقير، (وقد تغيّر لونه واربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته، وقد جذب منه كل عرق على حياله، فالألم منتشر في داخله وخارجه، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعلى أجفانه، وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله، وترتفع الانثيان إلى أعالي موضعها، وتخضر أنامله فلا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه! ولو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألمه عظيماً، فكيف والمجذوب

واحد بل من جميع العروق. ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجاً فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه، ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة. قال رسول الله ﷺ: «تقبل توبة العبد ما لم يغرغر» وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ولَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إنِّي تُبتُ الآن﴾ [النساء : ١٨] قال: إذا عاين الرسل، فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته! ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم هوّن على محمد سكرات الموت» والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوّة

نفس الروح المتألم؟ لا من عرق واحد بل من جميع العروق. ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجاً فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه) حتى ينحشر الروح في الصدر، (**ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم**) وإليه يشير قوله تعالى: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ [القيامة : ٢٦] وقوله تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم ★ وأنتم حينئذ تنظرون﴾ [الواقعة : ٨٣ ، ٨٤] (**فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها**) وروى ابن ماجه عن أبي موسى قال: سألت رسول الله ﷺ متى تنقطع معرفة العبد من الناس؟ قال: «إذا عاين (**ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة». قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»**). قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن زنجويه وأحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي كلهم من حديث ابن عمر، ورواه أيضاً ابن جرير من حديث عبادة بن الصامت، ومن حديث أبي أيوب بشير بن كعب، ورواه ابن زنجويه وابن جرير عن الحسن بلاغاً، ورواه أحمد من حديث رجل من الصحابة بلفظ ما لم يغرغر بنفسه.

(**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالى (**في قوله تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾ قال: إذا عاين الرسل**) الموكلة بقبض الروح، (**فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت، فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته!**) قال ابن عمر: وهل الحضور إلا السوق كما رواه ابن جرير، (**ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم هوّن على محمد سكرات الموت»**) روي ذلك من حديث عائشة بنحوه كما سيأتي. (**والناس إنما يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به، فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية، ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم**

والولاية، ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن علي هذه السكرة ـ يعني الموت ـ فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت. وروي أن نفراً من بني إسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض: لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتاً تسألونه؟ فدعوا الله تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال: يا قوم ما أردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي. وقالت عائشة رضي الله عنها: لا أغبط أحداً يهون عليه

السلام والأولياء من الموت، حتى قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

وقال القرطبي: لتشديد الموت على الأنبياء عليهم السلام فائدتان: احداهما: تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم وليس ذلك نقصاً ولا عذاباً، بل هو كما جاء: «إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل». والثانية: أن تعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً. بل يرى سهولة خروج روحه فيظن سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقاً لأخبار الصادقين عنه ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ما ثبت في الحديث اهـ.

(وروي أن نفراً من بني إسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض: لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتاً تسألونه) فيخبركم عن أحوال البرزخ؟ **(فدعوا الله تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال: يا قوم ما أردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث جابر بهذا اللفظ، ورواه ابن أبي شيبة في مسنده، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن سنيع، والضياء عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «تحدثوا عن بني إسرائيل فإنه كان فيهم أعاجيب» ثم أنشأ يحدثنا قال: «خرجت طائفة منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم، فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت، ففعلوا فبينما هم كذلك إذ طلع رجل أسود اللون بين عينيه اثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم مني لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن، فادعوا الله أن يعيدني كما كنت». ويقرب من ذلك ما رواه أحمد في الزهد عن عمر بن حبيب أن رجلين من بني إسرائيل عبدا الله حتى سئما من العبادة فقالا: لو خرجنا إلى القبور فجاورناها لعلنا أن نرجع فجاوروا القبور فعبدا الله فنشر لهما ميت لهما: لقد مت منذ ثمانين سنة وإني لأجد ألم الموت بعد.

الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ، وروي أنه عليه السلام كان يقـول: «اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل. اللهم فأعني على الموت وهونه علي». وعن الحسن: أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال: هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف»، وسئل ﷺ عن الموت وشدته فقال: «إن أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف» ودخل ﷺ على مريض ثم قال: «إني أعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته». وكان

(**وقالت عائشة رضي الله عنها: لا أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ**). رواه الترمذي بلفظ: لا أغبط أحداً بهون موت، والباقي سواء. والهون: بالفتح الرفق، وروى البخاري عنها قالت: لا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ. (**وروي أنه ﷺ كان يقول: «اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل، اللهم فأعني على الموت وهوّنه علي»**) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث طعمة بن غيلان الجعفي وهو معضل سقط منه الصحابي والتابعي اهـ.

قلت: رواه عن محمد بن الحسين قال: حدثنا حسين بن علي الجعفي، حدثنا طعمة بن غيلان الجعفي قال: كان النبي ﷺ يقول فذكره. قال السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة: طعمة من طبقة اتباع التابعين روى عن الشعبي وغيره وعنه السفيانان وذكره ابن حبان في الثقات اهـ.

قلت: هو كوفي روى له النسائي في مسند علي.

(**وعن الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال: «هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا مرسلاً ورجاله ثقات اهـ.

قلت: وفي بعض الأخبار أنه قدر مائة ضربة وفي بعضها قدر ألف ضربة كما سيأتي، وذكر المصنف في الدرة الفاخرة حديث: «لسكرة من سكرات الموت أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف». قال السيوطي في تخريجه: لم أجده بهذا اللفظ لكن بنحوه، ثم ذكر حديث الضحاك بن حمزة وسأذكره بعد.

(**وسئل ﷺ عن الموت وشدته فقال: «إن أهون الموت بمنزلة حسكة**) كانت (**في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية شهر بن حوشب مرسلاً اهـ.

قلت: شهر أشعري شامي صدوق كثير الإرسال والأوهام روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة.

(**ودخل ﷺ على مريض ثم قال: «إني أعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على**

علي كرّم الله وجهه يحضّ على القتال ويقول: إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موت على فراش. وقال الأوزاعي: بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره. وقال شداد بن أوس: الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور، ولو أن

حدته») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث سلمان بسند ضعيف، ورواه في المرض والكفارات من رواية عبيد بن عمير مرسلاً مع اختلاف ورجاله ثقات اهـ.

قلت: ورواه كذلك البزار والطبراني من حديث سلمان ولفظه: أنه ﷺ دخل على رجل من الأنصار وهو في الموت فقال: «ما تجد». قال: أجدني بخير وقد حضرني اثنان أحدهما أسود والآخر أبيض. فقال ﷺ: «أيهما أقرب منك»؟ قال: الأسود. قال: «إن الخير قليل وإنّ الشر كثير» قال: فمتعني منك يا رسول الله. فقال: «اللهم اغفر الكثير وانم القليل». ثم قال: «ما ترى»؟ قال: خيراً بأبي أنت وأمي أرى الخير ينمي وأرى الشر يضمحل، وقد استأخر عني الأسود قال: «أي عملك أملك بك». قال: كنت أسقي الماء. ثم قال ﷺ: «إني أعلم ما يلقى ما منه عرق إلا وهو يألم الموت على حدته». وقد روي نحوه عن عطاء بن يسار رفعه في أثناء حديث: «وما من مؤمن يموت إلا وكل عرق منه يألم على حدة» رواه الحرث بن أبي أسامة بسند جيد، وأما مرسل عبيد بن عمير فلفظه: عاد النبي ﷺ مريضاً فقال: «ما منه عرق إلا وهو يألم منه غير أنه قد أتاه آت فبشره أن ليس بعده عذاب». رواه كذلك البيهقي في الشعب، وروى أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث لواثلة بن الأسقع: «والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله». ورواه ابن أبي الدنيا عن أبي حسين البرجي مرفوعاً نحوه.

(وكان علي رضي الله عنه يحض) الناس **(على القتال ويقول: إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وفي نهج البلاغة للشريف الموسوي قال: ومن كلامه رضي الله عنه في وقت الحرب: وأي امرىء منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من إخوانه فشلاً فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله. إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، إن أكرم الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش.

(وقال الأوزاعي) رحمه الله تعالى: **(بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وروى أبو نعيم في الحلية عن كعب قال: لا يذهب عن الميت ألم الموت ما دام في قبره، وأنه لأشد ما يمر على المؤمن وأهون ما يصيب الكافر.

(وقال شداد بن أوس) رضي الله عنه: **(الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور، ولو أن الميت نشر**

الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة، وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار. وعن بعضهم: أنه كان يسأل كثيراً من المرضى كيف تجدون الموت؟ فلما مرض قيل له: فأنت كيف تجده فقال: كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسي يخرج من ثقب إبرة. وقال ﷺ: «موت

فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وفيه فأخبر أهل الدنيابألم الموت. ورواه أيضاً عن وهب بن منبه بلفظ: الموت أشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وغلي في القدور، ولو أن ألم عرق من عروق الميت قسم على أهل الأرض لأوسعهم ألماً، ثم هو أوّل شدة يلقاها الكافر وآخر شدة يلقاها المؤمن.

(**وعن**) أبي عبدالله (**زيد بن أسلم**) العدوي مولاهم المدني ثقة عالم كان يرسل، مات سنة ست وثلاثين روى له الجماعة (**عن أبيه**) أسلم العدوي مولى عمر ثقة مخضرم، مات سنة ثمانين وهو ابن أربع عشرة ومائة سنة روى له الجماعة (**قال: إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة، وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هوّن عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار**). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، عن محمد بن الحسين، حدثنا موسى بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ولفظه: «إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وأن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً في الدنيا يهوّن عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار» فالمراد بأبيه هو زيد ابن أسلم، والضمير راجع إلى عبد الرحمن، وفي سياق المصنف خطأ، ولو قال عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن [illegible] لأصاب.

(**وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيراً من المرضى كيف تجدون الموت، فلما مرض قيل له: فأنت كيف تجده؟ فقال: كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسي تخرج من ثقب إبرة**) المراد بالبعض هو عمرو بن العاص، فروى ابن سعد عن عوانة بن الحكم قال: كان عمرو ابن العاص يقول: عجبا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه فوصف لنا الموت[1] قال: يا بني الموت أجلّ من أن يوصف، ولكن سأصف لك منه شيئاً: أجدني كأن على عنقي جبال رضوى، وأجدني كأن في جوفي شوك السلا، وأجدني كأن نفسي تخرج من ثقب إبرة.

وروى ابن أبي الدنيا في المحتضرين عن أبي زيد النميري، حدثنا محمد بن يحيى الكناني، عن عبد العزيز بن عمران الزهري، عن معاوية بن محمد بن عبد الله بن بجير عن أبيه قال: لما

---

(١) هكذا بالأصل، ولعل فيه سقطاً هو فلما نزل به قال له ابنه: صف لنا الموت.

الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر ». وروي عن مكحول عن النبي ﷺ أنه قال: « لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى لأن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات »، ويروى: « لو أن قطرة من ألم

احتضر عمرو بن العاص قال له ابنه: يا أبتاه إنك كنت تقول: ليتني ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجده، وأنت ذلك الرجل فصف لي الموت. فقال: يا بني والله لكان جنبي في تخت وكأني أتنفس من سم ابرة، وكأن غصن شوك يمر به من قدمي إلى هامتي.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا سليمان بن سيف، حدثنا أبو عاصم، أخبرنا حيوة بن شريح، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن شماسة، أخبره أن عمرو بن العاص لما حضره الموت قال له عبدالله ابنه: يا أبا عبدالله أجزعاً من الموت؟ قال: لا. ولكن لما بعد الموت. قال: فقد كنت أسمعك تقول: إني لا أعجب ممن يدركه الموت ومعه عقله كيف لا يخبر به، وقد جاءك الموت وعقلك معك. قال: نعم يا بني كأن السماء قد أطبقت على الأرض وأنا بينهما، وكأن سفوداً محمى ينزع من سحري، وكأن روحي تجذب من حزة إبرة، وما من عضو من أعضائي إلا وهو يألم على ذي حدته. ثم قال: أي بني إني كنت على حالات ثلاث: كنت جاهلياً لا أعرف الدين فلو مت على ذلك كانت النار، ثم قذف الله الإسلام في قلبي وأحببت رسول الله ﷺ حباً شديداً حتى لو ذهبت أصفه لم استطع ذلك لإجلالي إياه، وكان لي محباً مقدماً، فلو مت على ذلك كانت الجنة إن شاء الله تعالى، ثم أصابتنا بعده أمور ما نـدري ما حالنا فيها، ثم قال: اللهم إني لست ببريء فاعتذر ولست بقوي فانتصر. يا بني إذا حلتموني فاسرعوا فإنما هو خير توردوني إليه أو شر تضعونه عن رقابكم، ولا تتبعوني نائحة ولا بمجمرة، وسنوا علي التراب سنا فإذا دفنتموني فاجلسوا عند قبري مقدار ما ينحر جزور ويقسم لحمه لكي اعلم ما أراجع به رسل ربي عز وجل.

(**وقال ﷺ: « موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر »**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة بإسناد صحيح بلفظ: « وأخذة أسف للكافر » ولأبي داود من حديث عبيد بن خالد السلمي: « موت الفجأة أخذة أسف » اهـ.

قلت: حديث عبيد بن خالد رواه أيضاً أحمد وابن ماجه، وأما حديث عائشة فرواه أيضاً البيهقي في الشعب عن عبيد بن عمير قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن موت الفجأة أيكره؟ قالت: لأي شيء يكره. سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: « راحة للمؤمن وأخذ أسف للفاجر ». وقال السخاوي في المقاصد وفي الباب عن أنس وابن مسعود بينهما الزيلعي في سورة طه من تخريجه.

(**وروى عن**) أبي عبدالله (**مكحول**) الشامي ثقة فقيه كثير الإرسال مشهور، مات سنة بضع عشرة ومائة، روى له البخاري في خبر القراءة ومسلم والأربعة. (**عن النبي ﷺ أنه قال: « لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لماتوا بإذن الله تعالى لأن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في

الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت ». وروي أن ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى: كيف وجدت الموت يا خليلي قال: كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب. فقال: أما إنا قد هونا عليك. وروي عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه: يا موسى كيف وجدت الموت، قال: وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير. وروي عنه أنه قال: وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب. وروي عن النبي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند

كتاب الموت من رواية أبي ميسرة رفعه، وفيه: « لو أن ألم شعرة » وزاد « وإن في يوم القيامة لساعة تضاعف على الموت سبعين ألف ضعف » وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل، والحديث مرسل حسن الإسناد اهـ.

قلت: عمرو بن شرحبيل كوفي ثقة عابد مخضرم مات سنة ثلاث وستين، روى له الجماعة سوى ابن ماجه.

(ويروى: « لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت ») قال العراقي: لم أجد له أصلاً، ولعل المصنف لم يورده حديثاً فإنه قال: ويروى اهـ.

قلت: بل روى أبو بكر المروزي في الجنائز عن أبي ميسرة رفعه: « لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على أهل السماء وأرض لماتوا جميعاً وأن في القيامة لساعة تضعف على شدة الموت سبعين ضعفاً ».

(وروي أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له: كيف وجدت الموت يا خليلي؟ قال: كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب. فقال: أما إنا قد هونا عليك). رواه أحمد في الزهد، والمروزي في الجنائز من طريق ابن أبي مليكة بلفظ: « إن إبراهيم عليه السلام لما لقي الله قيل له: كيف وجدت الموت؟ قال: وجدت نفسي كأنها تنزع بالسلا. قيل له: قد يسرنا عليك الموت.

(وروي عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه: يا موسى كيف وجدت الموت؟ قال: وجدت نفسي كالعصفور) الحي **(حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير)** رواه أحمد في الزهد. **(وروى عنه أنه قال: وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب)** رواه أيضاً أحمد في الزهد. وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن الحسن قال: قيل لموسى عليه السلام: كيف وجدت الموت؟ قال: كسفود دخل جوفي له شعب كثيرة تعلق كل شعبة منه بعرق من عروقي ثم انتزع في جوفي نزعاً شديداً، فقيل: لقد هوّنا عليك. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن أبي إسحاق قال: قيل لموسى عليه السلام: كيف وجدت طعم الموت؟ قال: كسفود أدخل في جزة صوف فامتلخ. قال: يا موسى هوّنا عليك.

الموت. فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول: « اللهم هون علي سكرات الموت » ، وفاطمة رضي الله عنها تقول: واكرباه لكربك يا أبتاه! وهو يقول: « لا كرب على أبيك بعد اليوم » وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار: يا كعب حدثنا عن الموت؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كغصن كثير الشوك إذا أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى. وقال النبي ﷺ: « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله

(وروي عن النبي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول: « اللهم هوّن علي سكرات الموت ») قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة اهـ.

قلت: لفظ البخاري من حديثها أنه كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: « لا إله إلا الله إن للموت سكرات ». ورواه كذلك أحمد، ورواه الترمذي عن قتيبة: حدثنا ليث، عن ابن الهاد، عن موسى بن سرجس، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: « اللهم اعني على سكرات الموت أو منكرات الموت ».

(وفاطمة رضي الله عنها تقول: واكرباه لكربك يا ابتاه! وهو يقول: « لا كرب على أبيك بعد اليوم ») قال العراقي: رواه البخاري من حديث أنس بلفظ: واكرب ابتاه، وفي رواية لابن خزيمة واكرباه اهـ.

(وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار) رحمه الله تعالى: **(يا كعب حدثنا عن الموت. فقال: نعم يا أمير المؤمنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل، وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى)** هذا لفظ ابن أبي شيبة في مسنده، ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذن، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن سفيان، حدثنا خالد بن خراش، حدثنا حماد بن زيد، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة أن عمر قال لكعب: أخبرني عن الموت. قال: يا أمير المؤمنين هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم وليس منه عرق ولا مفصل إلا فيه شوك، ورجل شديد الذراعين فهو يعالجها ينزعها فأرسل عمر دموعه. وأبو بكر بن سفيان هذا هو ابن أبي الدنيا، وهكذا رواه في كتاب الموت عن خالد بن خراش، وقد ساقه السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة من طريق ابن أبي الدنيا ثم أعقبه بقوله. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق خالد بن خراش فأوهم أنه من طريق أخرى وليس كذلك، بل هو من طريق ابن أبي الدنيا.

(وقال النبي ﷺ: « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وأن مفاصله ليسلّم

ليسلم بعضها على بعض تقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة».

فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه. فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاث:

الأولى: شدة النزع كما ذكرناه.

الداهية الثانية: مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب؛ فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوّة لم يطق رؤيته. فقد روي عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت: هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك، قال: بلى، قال: فأعرض عني فأعرض عنه. ثم إلتفت فإذا هو برجل أسود، قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان، فغشي على ابراهيم عليه السلام. ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن داود عليه

بعضها على بعض تقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة») قال العراقي: رويناه في الأربعين لأبي هدبة إبراهيم بن هدبة عن أنس وأبو هدبة هالك اهـ.

قلت: ورواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس، وأبو الفضل الطوسي في عيون الأخبار، والقشيري في الرسالة، وإبراهيم بن هدبة. قال الذهبي: كذاب واه، وقال الدارقطني: متروك.

(فهذه سكرات الموت على أوليائه وأحبابه) وهم المتقربون إلى الله تعالى، (فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي) والمخالفات. (ويتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي، فإن دواهي الموت ثلاث):

(الأولى: شدة النزع) من أعماق البدن ومن كل عضو عضو (كما ذكرناه).

(الداهية الثانية: مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والخوف منه على القلب، فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته. فقد روي عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت: هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك. قال: بلى. قال: فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت، فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان، فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى. فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن ابن مسعود وابن عباس قالا: لما اتخذ الله إبراهيم

السلام كان رجلاً غيوراً وكان إذا خرج أغلق الأبواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هي برجل في الدار فقالت: من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء؟ فجاء داود فرآه فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب؟ فقال: فأنت والله إذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه»

خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له بذلك فأذن له، فجاء إبراهيم فبشره فقال: الحمد لله ثم قال: يا ملك الموت أرني كيف تقبض أنفاس الكفار. قال: يا إبراهيم لا تطيق ذلك. قال: بلى. قال: فاعرض فاعرض، ثم نظر فإذا برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة في جسده إلا في صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار، فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد تحوّل ملك الموت في الصورة الأولى. فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه، فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين. قال: اعرض، فاعرض ثم التفت فإذا هو رجل شاب أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً في ثياب بيض، فقال: يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه.

وروي أيضاً عن كعب أن إبراهيم عليه السلام رأى في بيته رجلاً فقال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت. فقال إبراهيم عليه السلام: إن كنت صادقاً فأرني منك آية أعرف أنك ملك الموت. قال له ملك الموت: اعرض بوجهك فاعرض ثم نظر فأراه الصورة التي يقبض فيها المؤمنين قال: فرأى من النور والبهاء شيئاً لا يعلمه إلا الله، ثم قال: اعرض بوجهك فاعرض ثم نظر فأراه الصورة التي يقبض فيها الكفار والفجار، فرعب إبراهيم عليه السلام رعباً حتى أرعدت فرائصه وألصق بطنه بالأرض وكادت نفسه تخرج.

وروي أيضاً عن عبيد بن عمير قال: بينما إبراهيم عليه السلام يوماً في داره إذ دخل عليه رجل حسن الشارة فقال: يا عبدالله من أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربها. قال: ربها أحق بها فمن أنت؟ قال: ملك الموت. قال: لقد نعت إلي منك أشياء ما أراها فيك. قال: أدبر فأدبر فإذا عيون مقبلة وعيون مدبرة وإذا كل شعرة منه كأنها إنسان قائم فتعوّذ إبراهيم عليه السلام من ذلك وقال: عد إلى الصورة الأولى. قال: يا إبراهيم إن الله بعثني إلى من يحب لقاءه بعثني في الصورة التي رأيت أولاً.

(وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن داود عليه السلام كان رجلاً غيوراً، وكان إذا خرج أغلق الأبواب، فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هي برجل في الدار فقالت: من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتاً) أي شدة وحرجاً **(فجاء داود)** عليه السلام **(فرآه فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب. فقال: فأنت والله إذاً ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه»)** قال العراقي: رواه أحمد بإسناد جيد نحوه، وابن أبي الدنيا في كتاب الموت بلفظه اهـ.

وروي أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال: تكلمي بإذن الله فقالت: يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي، إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله، ثم خرجت نفسي إليه، فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة! ويا ليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة! فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون. فقد حكى

قلت: لفظ أحمد: «كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، فخرج ذات يوم ورجع فإذا في الدار رجل قائم فقال له: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب، فقال داود عليه السلام: أنت إذاً والله ملك الموت مرحباً بأمر الله فزمل داود مكانه فقبضت نفسه حتى فرغ من شأنه، فطلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير: أظلي على داود فأظلت عليه حتى أظلت عليه الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحاً جناحاً وغلبت عليه يومئذ المضرحية».

(وروي أن عيسى عليه السلام مرّ بجمجمة فضربها برجله فقال: تكلمي باذن الله. فقالت: يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا، بينا أنا جالس في ملكي عليّ تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله، ثم خرجت نفسي إليه، فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة، يا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة).

روى أبو حذيفة إسحاق بن بشر في المبتدأ نحو ذلك فقال: حدثنا محمد بن عبدالله البصري وعامر بن عبدالله شيخ من أهل نهر تبري يرفعانه إلى كعب قالا: قال كعب الأحبار: إن عيسى عليه السلام مرّ ذات يوم بوادي القيامة وهي عشية يوم الجمعة عند العصر، فإذا هو بجمجمة بيضاء نخرة قد مات صاحبها منذ أربعة وتسعين سنة، فوقف عليها متعجباً منها وقال: يا رب ائذن لهذه الجمجمة أن تكلمني بلسان حي تخبرني ماذا لقيت من العذاب، وكم أتى عليها منذ ماتت وماذا عاينت، وبأي هيئة ماتت، وماذا كانت تعبد؟ قال: فأتاه نداء من السماء فقال: يا روح الله وكلمته سلها فإنها ستخبرك، فصلّى عيسى ركعتين ثم دنا منها فوضع يده عليها فقال عيسى: بسم الله وبالله، فقالت الجمجمة: خير الأسماء دعوت بالذكر استعنت، فقال عيسى: أيتها الجمجمة النخرة: قالت: لبيك وسعديك سلني عما بدا لك. قال: كم أتى عليك مذمت؟ قالت: لا نفس بعد الحياة ولا روح تحصي السنين فأتاه نداء أنها قد ماتت منذ أربع وتسعين سنة فسلها. قال: فماذا مت؟ قالت كنت جالسة ذات يوم إذ أتاني مثل السهم من السماء فدخل جوفي مثل الحريق وكان مثلي مثل رجل دخل الحمام فأصابه حره فهو يلتمس الروح مخافة على نفسه بان تهلك. قال: فأتاني ملك الموت ومعه أعوان وجوههم مثل وجوه الكلاب بادية أنيابهم زرق أعينهم كلهبان النار بأيديهم المقامع يضربون وجهي ودبري، فانتزعوا روحي فكشطوها عني، ثم وضعه ملك الموت على جمرة من جمار جهنم ثم لفه في قطع مسح من مسوح جهنم، فرفعوا روحي إلى السماء فمنعتهم السماء أن يدخل

الأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك، ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره! فكيف برؤيته في مثل تلك الحال؟

وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها، فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلاً غيوراً وكان له بيت يتعبد فيه، فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري؟ فقال: أدخلنيها ربها! فقال: أنا ربها فقال: أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك، فقال من أنت من الملائكة؟ قال: أنا ملك الموت قال: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال: نعم، فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه، فقال يا ملك الموت، لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه.

ومنها مشاهدة الملكين الحافظين. قال وهيب: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى

وأغلقت الأبواب دونه، فأتاني نداء أن ردوا هذه النفس الخاطئة إلى مثواها ومأواها. ثم ساق الخبر بطوله في نحو ورقتين. وقد رواه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق، وأورده بطوله. وروى أبو نعيم أيضاً عن كعب قال: مرّ عيسى بجمجمة بيضاء فقال: يا رب هذه الجمجمة أحيها، فأوحى الله إليه أن أشح بوجهك. قال: ففعل، ثم حوّل وجهه فإذا شيخ متكىء على كازة من بقل ثم ساقه.

(فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك، ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره، فكيف برؤيته في مثل تلك الحال).

(وأما المطيع، فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها، فقد روى عكرمة) أبو عبد الله القرشي المدني مولى ابن عباس روى له الجماعة وأخرج له مسلم مقروناً بطاوس وسعيد بن جبير، **(عن ابن عباس)** رضي الله عنه **(أن إبراهيم عليه السلام كان رجلاً غيوراً، وكان له بيت يتعبد فيه، فإذا خرج أغلقه، فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال: من أدخلك داري؟ فقال: أدخلنيها ربها. فقال: أنا ربها. فقال: أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك. فقال: من أنت من الملائكة؟ قال: أنا ملك الموت. قال: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟ قال: نعم فاعرض عني فاعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وهو بعض سياق من الخبر السابق ذكره، وروى نحوه من رواية كعب ومن رواية عبيد بن عمير وكل ذلك قريباً.

ومنها: مشاهدة الملكين الحافظين. قال وهيب) بن الورد المكي العابد الثقة أبو عثمان،

له ملكاه الكاتبان عمله، فإن كان مطيعاً قالا له: جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وإن كان فاجراً قالا له: لا جزاك الله خيراً عنا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيراً. فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبداً.

الداهية الثالثة: مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة، فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم، ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين: إمّا أبشر يا عدو الله بالنار، أو أبشر يا وليّ الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الألباب، وقد قال النبي ﷺ: «لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار»، وقال ﷺ: «من

قيل اسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه، روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي: (**بلغنا أنه ما ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله، فإن كان مطيعاً قالا له: جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا، وإن كان فاجراً قالا له: لا جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح قد أحضرتنا، وكلام قبيح قد أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيراً**) قال: (**فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبداً**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت فقال: حدثنا عبد الكريم أبو يحيى، حدثنا عبيد الله بن محمد بن يزيد بن خنيس، حدثنا أبي عن وهيب بن الورد قال: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى ملكاه اللذان كانا يحفظان عليه عمله في الدنيا، فإن كان صحبهما بطاعة قالا له: جزاك الله عنا من جليس خيراً، فرب مجلس صدق قد أجلستناه وعمل صالح قد أحضرتناه وكلام حسن قد أسمعتناه، فجزاك الله عنا من جليس خيراً، وإن كان صحبهما بغير ذلك مما ليس لله برضا قلبا عليه الثناء فقالا: لا جزاك الله عنا من جليس خيراً فرب مجلس سوء قد أجلستناه وعمل غير صالح قد أحضرتناه وكلام قبيح قد أسمعتناه فلا جزاك الله عنا من جليس خيراً. قال: فذاك شخوص بصر الميت إليهما، ولا يرجع إلى الدنيا أبداً. ورواه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه فقال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذن، حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد هو ابن أبي الدنيا فساقه.

(**الداهية الثالثة: مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم**) أي انقادت، (**ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البشريين، إما أبشر يا عبد الله بالنار، أو أبشر يا ولي الله بالجنة. وعن هذا كان خوف أرباب الألباب، وقد قال ﷺ: «لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار»**). قال العراقي:

أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقالوا : كلنا نكره الموت قال: « ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ». وروي أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود ، وهو لما به من آخر

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية رجل لم يسمّ عن علي مرفوعاً « لا يخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم إلى أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار » وفي رواية « حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار » وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ما يشهد لذلك « إن المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته، وأن الكافر إذا حضر بشّر بعذاب الله وعقوبته » الحديث اهـ.

قلت: وروى ابن مردويه وابن منده بسند ضعيف من حديث ابن عباس « ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة والنار » الحديث.

(وقال ﷺ : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقالوا : كلنا نكره الموت. قال: « ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ») قال العراقي: متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت اهـ.

قلت: المتفق عليه إنما هو إلى قوله « كره الله لقاءه » هكذا روياه من رواية أنس عن عبادة بن الصامت. ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والترمذي والنسائي وابن حبان، وقد روي هذا القدر أيضاً من حديث عائشة رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي. ومن حديث أبي موسى رواه الشيخان، ومن حديث أبي هريرة رواه مسلم والنسائي، ومن حديث معاوية رواه النسائي والطبراني.

وأما تلك الزيادة؛ فرويت عن عدة من الصحابة. فمن ذلك ما رواه أحمد والنسائي من حديث أنس بلفظ قالوا : يا رسول الله كلنا نكره الموت. قال: « ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه، وأن الفاجر إذا حضر جاءه ما هو صائر إليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه ».

وروى عبد بن حميد من رواية أنس عن عبادة بن الصامت رفعه، وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ قالت عائشة إنا لنكره الموت. قال « ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وأما الكافر إذا حضره الموت بُشِّر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ».

وروى أحمد من حديث رجل من الصحابة بلفظ قالوا: إنما نكره الموت. قال: « ليس ذلك ولكنه إذا حضر فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فإذا بشّر بذلك أحب لقاء الله والله عز وجل للقائه أحب، وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم فإذا بشّر بذلك كره الله والله للقائه أكره ».

الليل: قم فانظر أي ساعة هي؟ فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال: قد طلعت الحمراء فقال حذيفة: أعوذ بالله من صباح إلى النار». ودخل مروان على أبي هريرة، فقال مروان:

(**وروي أن حذيفة بن اليمان**) رضي الله عنهما (**قال لابن مسعود**) كذا في النسخ كلها وهو خطأ والصواب لأبي مسعود وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدري صحابي جليل، وكان ملازماً لحذيفة في مرضه الذي مات فيه، (**وهو لما به من آخر الليل قم فانظر أي ساعة هي؟ فقام ابن مسعود**) كذا في النسخ والصواب أبو مسعود (**ثم جاءه فقال: قد طلعت الحمراء**) وهي النجمة التي تطلع قبل الفجر بقليل، (**فقال حذيفة**) رضي الله عنه: (**أعوذ بك من صباح إلى النار**).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الربيع بن تغلب، حدثنا فرج بن فضالة عن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه قالوا له: ما تشتهي فساق الحديث، وفيه: ثم قال: أصبحنا قالوا: نعم. قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح النار حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق السراج، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، حدثنا حصين عن أبي وائل قال: لما ثقل حذيفة أتاه ناس من بني عبس فأخبرني خالد بن الربيع العبسي قال: أتيناه وهو بالمدائن حتى دخلنا عليه جوف الليل. فقال لنا: أي ساعة هذه؟ فقلنا: جوف الليل أو آخر الليل فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، ثم قال: أجئتم معكم بأكفان، قلنا: نعم. قال: فلا تغالوا بأكفاني فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خير فإنه يبدل بكسوته كسوة خيراً منها وإلاَّ يسلب سلباً.

وروي من طريق جرير عن إسماعيل عن قيس عن أبي مسعود قال: لما أتي حذيفة بكفنه وكان مستنداً إلى أبي مسعود، فأتي بكفن جديد فقال: ما تصنعون بهذا؟ الحديث.

وروي أيضاً من طريق أبي إسحاق ان صلة بن زفر حدثه أن حذيفة بعثني وأبا مسعود فابتعنا له كفناً فساق الحديث. وإنما ذكرت هاتين الروايتين ليظهر أن الذي في سياق المصنف هو أبو مسعود لا ابن مسعود.

(**ودخل مروان**) بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو عبد الملك. ويقال: أبو القاسم، ويقال أبو الحكم المدني، ولد بعد الهجرة بسنتين، وقيل بأربع لم يصح له سماع عن النبي ﷺ، وقد روى عن النبي ﷺ حديث الحديبية بطوله، وهو عند البخاري وأبي داود والنسائي، وكان كاتباً لعثمان، وولي إمرة المدينة لمعاوية والموسم، وبويع له بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية بالجابية، وكان الضحاك بن قيس قد غلب على دمشق وبايع بها لابن الزبير ثم دعا إلى نفسه، فقصده مروان فواقعه بمرج راهط، فقتل الضحاك وغلب على دمشق وذلك في أواخر سنة أربع وستين، ومات بها في رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين، وكانت خلافته تسعة أشهر، وقيل عشرة إلا أياماً، ونقل عن عروة بن الزبير

اللهم خفف عنه، فقال أبو هريرة: اللهم اشدد ثم بكى أبو هريرة وقال: والله ما أبكي حزناً على الدنيا ولا جزعاً من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربي بجنة أم بنار. وروي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله إذا رضي عن عبد قال: يا ملك الموت إذهب إلى فلان فائتني بروحه لأريحه، حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب؛ فينزل ملك الموت ومعه خمسائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشر ببشارة سوى بشارة صاحبه، وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه، معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ»، قال فيقول له جنوده: ما لك يا سيدنا فيقول: أما ترون ما أعطي هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا؟ قالوا: قد جهدنا به فكان معصوماً». وقال الحسن: لا راحة للمؤمن إلا

أنه قال: كان مروان لا يتهم في الحديث روى له الجماعة إلا مسلماً. (**على أبي هريرة**) رضي الله عنه وذلك حين مرض المرض الذي مات فيه (**فقال مروان: اللهم خفف عنه، فقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**اللهم أشدد ثم بكى أبو هريرة**) رضي الله عنه (**وقال: والله ما أبكي حزناً على الدنيا ولا جزعاً من فراقكم، ولكن انتظر إحدى البشريين من ربي بجنة أم بنار**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن يحيى بن معين، حدثنا معن، حدثنا مالك بن أنس، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: دخل مروان على أبي هريرة في شكواه الذي مات فيه فقال: شفاك الله. فقال أبو هريرة: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي، فما بلغ مروان أصحاب القطن حتى مات رحمه الله تعالى، وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات من هذا الوجه. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن بندار، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث، حدثنا عباس النرسي، حدثنا عبد الوهاب بن الورد، عن مسلم بن بشير بن عجل أن أبا هريرة بكى في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما أني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بُعد سفري وقلة زادي، وإني أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار لا أدري أيهما يؤخذ بي.

(**وروي في الحديث عن النبي ﷺ انه قال: «إن الله عز وجل إذا رضي عن عبد قال: يا ملك الموت اذهب إلى فلان فائتني بروحه لأريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب، فينزل ملك الموت ومعه خمسائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه، وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان، فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال: فيقول له جنوده: مالك يا سيدنا؟ فيقول: أما ترون ما أعطي هذا العبد من الكرامة أين كنتم عن هذا، قالوا: قد جهدنا به فكان معصوماً»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث تميم الداري بإسناد ضعيف بزيادة كثيرة فيه، ولم يصرح في أوّل الحديث برفعه، وفي آخره ما دل على أنه مرفوع، وللنسائي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح «إذا

حضر الميت أرسل الله إليه ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: أخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان» الحديث اهـ.

قلت: أما حديث تميم، فقال ابن أبي الدنيا في كتاب الموت: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا عمرو بن جرير الأحمسي، حدثنا بكر بن خنيس، عن ضرار بن عمر، وعن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: كان تميم الداري يحدثنا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال ذات يوم: يقول الله تبارك وتعالى لملك الموت: انطلق يا ملك الموت إلى وليي فأتني به فإني قد ضربته بالسراء والضراء، فوجدته حيث أحب فأتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من حنوط الجنة، ومعهم ضبائر الريحان. أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لوناً لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر، فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحتوشه الملائكة ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه ويفتح له باب إلى الجنة. قال: فإن نفسه عن ذلك لتعلل بطرف الجنة مرة بأزواجها ومرة بكسوتها ومرة بثمارها، كما يعلل الصبي أهله إذا بكى، وأن أزواجه يبتهشن عند ذلك ابتهاشاً. قال: وتنزو الروح نزواً ويقول ملك الموت: أخرجي أيتها الروح الطيبة إلى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب. قال: ولملك الموت أشد تلطفاً به من الوالدة بولدها يعرف أن ذلك الروح حبيب إلى ربه كريم على الله، فهو يلتمس بلطفه بتلك الروح رضا الله عنه فيسل روحه كما تسل الشعرة من العجين قال: وإن روحه لتخرج والملائكة حوله يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وذلك قوله: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم﴾ [النحل: ٣٢] قال: ﴿فأما إن كان من المقربين ★ فروح وريحان وجنة نعيم﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩] قال: روح من جهد الموت، وريحان يتلقى به عند خروج نفسه وجنة نعيم امامه، أو قال مقابله، فإذا قبض ملك الموت روحه يقول الروح للجسد: جزاك الله بي خيراً لقد كنت بي سريعاً إلى طاعة الله بطيئاً عن معصية الله، فهنيئاً لك اليوم فقد نجوت وأنجيت، ويقول الجسد للروح مثل ذلك. قال: وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع الله عليها وكل باب من السماء كان يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة، فإذا قبضت الملائكة روحه أقامت الخمسمائة ملك عند جسده لا تقلبه بنو آدم بشق إلا قلبته الملائكة قبلهم وعلته بأكفان قبل أكفانهم وحنوط قبل حنوطهم، ويقوم من باب بيته إلى باب قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار ويصيح إبليس عند ذلك صيحة يتصدع منها بعض عظام جسده ويقول بجنوده: الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم؟ فيقولون: إن هذا كان معصوماً، فإذا صعد ملك الموت بروحه إلى السماء يستقبله جبريل عليه السلام في سبعين ألفاً من الملائكة كلهم يأتيه ببشارة من ربه، فإذا انتهى ملك الموت إلى العرش خرت الروح ساجدة لربها فيقول الله لملك الموت: انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضوض وظل ممدود وماء مسكوب فإذا وضع في قبره جاءت الصلاة فكانت عن يمينه، وجاء الصيام فكان عن يساره، وجاء

القرآن والذكر فكانا عند رأسه، وجاء مشيه إلى الصلوات فكان عند رجليه، وجاء الصبر فكان ناحية القبر، ويبعث الله عنقاً من العذاب فيأتيه عن يمينه فتقول الصلاة: وراءك والله ما زال دائباً عمره كله وإنما استراح الآن حين وضع في قبره. قال: فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك، قال: فيأتيه من قبل رأسه فيقال له مثل ذلك، فلا يأتيه العذاب من ناحية فيلتمس هل يجد له مساغاً وإلا وجد وليّ الله قد أحرزته الطاعة. قال: فيخرج عنه العذاب عندما يرى ويقول الصبر لسائر الأعمال: أما أنه لم يمنعني أن أباشره أنا بنفسي ألا أني نظرت ما عندكم فلو عجزتم كنت أنا صاحبه، فأما إذا أجزأتم عنه فأنا ذخر له عند الميزان. قال: ويبعث الله إليه ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياصي وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما، بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا قد نزعت منهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمنين يقال لهما منكر ونكير، في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوها، فيقولان له: اجلس فيستوي جالساً في قبره فتسقط أكفانه في حقويه فيقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وحده لا شريك له، والإسلام ديني ومحمد نبيي وهو خاتم النبيين، فيقولان له: صدقت. فيدفعان القبر فيوسعانه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن قبل رأسه ومن قبل رجليه ثم يقولان له: انظر فوقك فينظر فإذا هو مفتوح إلى الجنة، فيقولان له: هذا منزلك يا ولي الله لما أطعت الله. قال رسول الله ﷺ: «فو الذي نفس محمد بيده إنه لتصل إلى قلبه فرحة لا ترتد أبداً» فيقال له: انظر تحتك فينظر تحته فإذا هو مفتوح إلى النار فيقولان: يا ولي الله نجوت من هذا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه لتصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبداً» ويفتح له سبعة وسبعون باباً إلى الجنة يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله من قبره.

قال ويقول الله تعالى لملك الموت: انطلق إلى عدوي فأتني به فإني قد بسطت له رزقي وسربلته بنعمتي وأبى إلا معصيتي، فأتني به لأنتقم منه اليوم، فينطلق إليه ملك الموت في أكره صورة يراها أحد من الناس له اثنتا عشرة عيناً، ومعه سفود من نار كثير الشوك، ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وجمر من جمر جهنم، ومعهم سياط من نار تأجج، فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب أصل كل شوكة من ذلك السفود في أصل كل شعرة وعرق من عروقه، ثم يلويه لياً شديداً فينزع روحه من أظفار قدميه، فيلقيها في عقبيه فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة، وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط، ثم يجبذه جبذة فينزع روحه من عقبيه فيلقيها في ركبتيه فيسكر عدوّ الله سكرة، وتضرب الملائكة وجهه ودبره، ثم كذلك إلى حقويه، ثم كذلك إلى صدره، ثم كذلك إلى حلقه، ثم يبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه ثم يقول ملك الموت: أخرجي أيتها النفس اللعينة الملعونة إلى سموم وحموم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم، فإذا قبض ملك الموت روحه قالت الروح للجسد: جزاه الله عني شراً لقد كنت سريعاً بي إلى معصية الله بطيئاً بي عن طاعة الله، فقد هلكت وأهلكت. ويقول الجسد للروح مثل ذلك، وتلعنه بقاع الأرض التي كان يعصي الله عليها وتنطلق جنود إبليس إليه فيبشرونه بأنهم قد أوردوا

عبداً من بني آدم النار، فإذا وضع في قبره ضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فتدخل اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى، ويبعث الله إليه حيات دهماً فتأخذ بأرنبته وأبهام قدميه فتقوضه حتى تلتقي في وسطه. قال: ويبعث الله إليه الملكين فيقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، فيضربانه ضرباً يتطاير الشرار في قبره، ثم يعود فيقولان له: انظر فوقك فينظر فإذا باب مفتوح من الجنة فيقولان: عدو الله لو أطعت الله كان هذا منزلك. قال: «فوالذي نفس محمد بيده إنه لتصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبداً ويفتح له باب إلى النار» فيقال: عدو الله هذا منزلك لما عصيت الله، ويفتح له سبعة وسبعون باباً إلى النار يأتيه حرها وسمومها حتى يبعثه الله يوم القيامة إلى النار.

قال السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة بعد أن أورده من طريق ابن أبي الدنيا: هذا حديث غريب أخرجه أبو يعلى في مسنده الكبير، عن أحمد بن إبراهيم الدورقي، عن محمد بن بكر البرساني، عن أبي عاصم البصري، عن بكر بن خنيس، عن ضرار، عن يزيد عن أنس، عن تميم، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله لملك الموت انطلق إلى وليي» فذكره بطوله.

قال الحافظ ابن حجر: وهو شاهد لكثير مما ثبت في حديث البراء المشهور، لكن هذا عجيب السياق غريب الاسناد لا نعرف أحداً روى عن أنس عن تميم إلا من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي سيء الحفظ جداً كثير المناكير، كان لا يضبط الاسناد ودونه من هو مثله أو أشد ضعفاً اهـ.

قال السيوطي: ومن شواهده حديث أبي هريرة وله طرق.

قلت: وسيأتي حديث البراء، وحديث أبي هريرة فيما بعد إن شاء الله تعالى. وقول الحافظ ودونه من هو مثله أو أشد ضعفاً يعني أن رواته من بعد يزيد ضعفاء ضرار بن عمرو الملطي الراوي له عن يزيد. قال الذهبي: متروك، والراوي عنه بكر بن قيس الكوفي. قال الدارقطني: متروك. وقال الحافظ في تهذيب التهذيب: كوفي عابد سكن بغداد صدوق له أغلاط أفرط فيه ابن حبان، وهو من رجال الترمذي وابن ماجه وأبو عاصم البصري، في سياق أبي يعلى هو العباداني اسمه عبدالله بن عبيد الله أو بالعكس، ويقال ابن عبد بغير إضافة من رجال ابن ماجه لين الحديث، وقال الذهبي: روى عن الفضل الرقاشي له حديث منكر، وعمرو بن جرير الاحمسي في سياق ابن أبي الدنيا، ويقال البجلي أبو سعيد. قال الذهبي كذلك، ومحمد بن الحسين شيخ ابن أبي الدنيا هو أبو الفتح الازدي الحافظ صاحب مناكير ضعفه البرقاني.

فصل

في ضبط ألفاظ تقدمت في الحديث:

قوله: ضبابر بضاد معجمة وباء موحدة آخره راء قال ابن الأثير في النهاية هي الجماعة في تفرقة واحدتها ضبارة بالكسر مثل عمارة وعماير وكل مجتمع ضبارة. وقوله: بطرف الجنة بضم المهملة وفتح

في لقاء الله، ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه. وقيل لجابر بن زيد ـ عند الموت ـ: ما تشتهي؟ قال: نظرة إلى الحسن، فلما دخل عليه الحسن قيل له: هذا الحسن! فرفع طرفه إليه ثم قال: يا إخوناه الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة. وقال محمد بن واسع ـ عند الموت ـ: يا إخوناه عليكم

الراء جمع طرفه، وهي المستحدث من المال كالطريف والطارف وهو خلاف التليد والتالد. وقوله: ليبتهشن في النهاية. يقال للإنسان إذا نظر إلى شيء فأعجب واشتهاه وأسرع نحوه قد بهش إليه. وفي الصحاح بهش إليه يبهش بهشاً إذا ارتاح له وخف إليه. وقوله: تنزو الروح في الصحاح ينزو إلى كذا أي ينازع إليه ويسرع ويثب إليه وفي النهاية نحوه، وقيل: تنزو أي تنسل. وقوله: دائباً من الدؤب أي جاداً تعباً. وقوله: عنقاً من العذاب أي طائفة منه. وقوله: كالصياصي بمهملتين وهي قرون البقر جمع صيصة بالتخفيف والسفود كتنور الحديدة التي يشوي بها اللحم والنحاس لا لهب فيه والتأجج بجيمين التوقد. وقوله: دهماً يحتمل أن يكون بضم أوله أي سوداً فيكون جمع دهماء، ويحتمل أن يكون بفتحه أي عدداً كثيراً، فيكون مفرداً والجمع دهوم. وقوله: فتقوضه بقاف ثم واو ثم ضاد معجمة في الصحاح: قوضت البناء نقضته انتقضت وتفرقت وفي النهاية: تقويض الخيام قلعها وإزالتها وقوضت الحمرة جاءت وذهبت ولم تقر.

وأما حديث أبي هريرة الذي عزاه العراقي للنسائي فسيأتي للمصنف في بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، وكذا حديث البراء الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر، ونتكلم عليهما هناك إن شاء الله تعالى.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله، ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره)**. رواه أبو نعيم في الحلية، وقد رواه وكيع وأحمد كلاهما في الزهد عن ابن مسعود من قوله بلفظ: لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه قال السخاوي: ورفعه بعضهم واستشهد له بحديث عائشة «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» وكذا من شواهد ما عند أحمد من حديث عائشة: إنما المستريح من غفر له.

(وقيل لجابر بن زيد) أبي الشعثاء الأزدي البصري التابعي الثقة مشهور بكنيته، مات سنة ثلاث وتسعين روى له الجماعة **(عند الموت ما تشتهي؟ قال: نظرة إلى الحسن)** وهو البصري، **(فلما دخل عليه الحسن قيل له: هذا الحسن فرفعه طرفه إليه ثم قال: يا اخوتاه الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة)**. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن يونس، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا أبو عمير الحارث بن عمير قال، قالوا لجابر بن زيد عند الموت: أي شيء تريد أن تشتهي؟ قال: نظرة إلى الحسن.

أخبرنا محمد بن أحمد في كتابه، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا حبيب بن الشهيد، عن ثابت قال: لما ثقل جابر بن زيد قيل له: ما تشتهي؟ قال: نظرة

السلام إلى النار أو بعفو الله وتمنى بعضهم أن يبقى في النزع أبداً ولا يبعث لثواب ولا عقاب. فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت. وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء، وهو لائق بهذا الموضع. ولكنا لا نطول بذكره وإعادته.

من الحسن. قال: فاتيت الحسن فأخبرته فركب إليه، فلما دخل عليه قال لأهله: ارقدوني فجلس فما زال يقول أعوذ بالله من النار ومن سوء الحساب.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الاسود الحنفي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثني صلت بن دينار، حدثني عروة صاحب الخمر أنه شهد جابر بن زيد عند موته يتبرأ من قريب وزحاف ومن الاباضية. قال: وقيل ما تشتهي؟ قال: نظرة من الحسن فاعلم الحسن فجاءه، فقال: يا أبا سعيد قد نزل بي الموت فما تأمرني؟ فقال: ليست بساعة صلاة ولا صيام ولكن عليك بحسن الظن بالله.

(وقال) أبو عبد الله **(محمد بن واسع)** البصري العابد رحمه الله تعالى **(عند الموت: يا اخوتاه عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله)**. رواه أبو نعيم في الحلية، عن عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا سعيد بن عامر قال: سمعت حزماً يحدث قال: قال محمد بن واسع: يا اخوتاه تدرون أين يذهب بي والله الذي لا إله إلا هو إلى النار أو يعفو الله عني. وقال ابن الجوزي في كتاب الثبات: أخبرنا عبد الملك بن أبي القسم، أنبأنا محمد بن علي العمري، أخبرنا أبو الفضل محمد بن محمد الفامي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن أحمد المرواني، حدثنا محمد بن المنذر، حدثنا عبد الله بن يحيى، حدثنا العتبي قال: حدثني محمد بن عبد الله مولى الثقفيين قال: دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضي فقال: يا اخوتاه هبوني وإياكم سألنا الله الرجعة فاعطاكموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم.

(وتمنى بعـ أن يبقى في النزع أبداً ولا يبعث لثواب ولا عقاب، فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة عند الموت، وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع، ولكننا لا نطول بذكره وإعادته). هذه فصول نذكر فيها ما يتعلق بمقدمات الموت وبمن دنا أجله وكيفية الموت وشدته، وما جاء في ملك الموت وأعوانه ومن يحضر الميت من الملائكة وغيرهم.

فصل

في نذير الموت:

قال القرطبي: ورد في الخبر أن بعض الأنبياء قال لملك الموت: أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون على حذر منك؟ قال: نعم والله لي رسل كثيرة من الأعلال والامراض والشيب والهرم

....

وتغير السمع والبصر، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب ناديته إذا قبضته: ألم أقدم إليك رسولاً بعد رسول، ونذيراً بعد نذير، فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول، وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير.

وروى أبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال: أما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه العبد أتاه ملك الموت فقال: أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقال: أتاك رسول يقطع اثرك من الدنيا.

وروى البخاري من حديث أبي هريرة: «غذر الله إلى امرىء أخر أجله حتى بلغ ستين سنة» يقال: أعذر الأمر أي بالغ فيه فلم يترك لصاحبه عذراً.

فصل

فيمن دنا أجله وكيفية الموت وشدته:

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد، عن يوسف بن يعقوب الحنفي قال: بلغنا أن يعقوب عليه السلام لما أتاه البشير قال له: ما أدري ما أثيبك اليوم إلا أنه هوّن الله عليك سكرات الموت. وروى الطبراني وأبو نعيم من حديث ابن مسعود: إن نفس المؤمن تخرج رشحاً وأن نفس الكفر تسيل كما تسيل نفس الحمار وان المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه، وان الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت فيجزى بها. وروى الدينوري في المجالسة عن وهيب بن الورد يقول الله تعالى: إني لا أخرج أحداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقماً في جسده ومصيبة في أهله وولده وضيقاً في معاشه وإقتاراً في رزقه، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فإن بقي عليه شيء شددت عليه الموت حتى يفضي إليَّ كيوم ولدته أمه، وعزتي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها صحة في جسده وسعة في رزقه ورغداً في عيشه وأمناً في سربه، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر، فإن بقي له شيء هوّنت عليه الموت حتى يفضي إليَّ وليس له حسنة يتقي بها النار. وروى ابن ماجه من حديث عائشة إن المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى في الكظ عند الموت. وروى ابن أبي الدنيا عن عمار بن نصر عن قتيبة قال: سمعت شيخاً يقول: سمعت الضحاك بن حزة يقول: سئل رسول الله ﷺ عن الموت فقال: «أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف». قال السيوطي في الآمالي: هو حديث ضعيف معضل، والضحاك بن حُمرَة بضم الحاء المهملة وسكون الميم واسطي نزل الشام من أتباع التابعين أرسل عن أنس، ضعفه يحي بن معين والنسائي وغيرهما، ووثقه ابن حبان وبقية مدلس، وقد أبهم شيخه. ويقرب منه ما رواه الحارث بن أبي أسامة من طريق ابن أبي داود عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار رفعه: «معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، وما من مؤمن يموت إلا وكل عرق منه يألم على حدتهٔ وأقرب ما يكون عدو الله منه في تلك الساعة». ورواه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن حاتم عن عبد المجيد بن عبد العزيز، عن مروان بن سالم، عن أبي حسين البرجي رفعه

بأطول منه، وفيه: «وإن إبليس عدوّ الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الأحباء». وروى أبو نعيم من حديث واثلة بن الأسقع: «والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف». وروى الخطيب من حديث أنس: «لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف». وروى أحمد في الزهد من حديث أنس: «إن الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحاري والبراري من شدة سكرات الموت» قال في الصحاح اكتنفوه أحاطوا به. وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة، عن الفضيل بن عياض أنه قيل له: ما بال الميت تنزع نفسه وهو ساكت، وابن آدم يضطرب من القرصة: قال إن الملائكة توثقه. وروى أحمد في الزهد عن ابن عباس قال: آخر شدة يلقاها المؤمن الموت. وروى أبو نعيم والمروزي والبيهقي في الشعب عن عمر بن عبدالعزيز قال: ما أحب أن يهوّن علي سكرات الموت لأنه آخر ما يؤجر به المسلم. وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال: لم يلق ابن آدم شيئاً قط منذ خلقه الله أشد عليه من الموت. وروى سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال إن أشد ما يلقى ابن آدم من أمر الآخرة الموت. وروي عن زيد بن أسلم أن رجلاً قال لكعب: ما الداء الذي لا دواء له؟ قال: الموت. قال زيد بن أسلم: إن الموت دواؤه رضوان الله. وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن قال: أشد ما يكون من الموت على العبد إذا بلغت الروح التراقي، فعند ذلك يضرب ويعلو نفسه. قال السيوطي: قد اختص الشهيد بأن لا يجد من ألم الموت ما يجد غيره. روى الطبراني من حديث أبي قتادة: الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة. وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن كعب القرظي قال: بلغني أن آخر من يموت ملك الموت يقال له يا ملك الموت مت، فيصرخ عند ذلك صرخة لو سمعها أهل السموات والأرض لماتوا فزعاً ثم يموت. وروي عن زياد النميري قال: قرأت في بعض الكتب أن الموت أشد على ملك الموت منه على جميع الخلق.

فصل

فيما يتعلق بدواهي الموت الثلاثة:

روى ابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة في المصنف، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾ [الأنعام: ٦١] قال: أعوان ملك الموت من الملائكة. وروى أبو الشيخ في تفسيره عن إبراهيم النخعي مثله وزاد ثم يقبضها ملك الموت منهم بعد، وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن وهب ابن منبه قال: إن الملائكة الذين يقرنون بالناس هم الذين يتوفونهم ويكتبون لهم آجالهم، فإذا توفوا النفس دفعوها إلى ملك الموت وهو كالعاقب يعني العشار الذي يؤدي من تحته. وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام بعث ملكاً من حملة العرش يأتي بتراب من الأرض، فلما هوى ليأخذ قالت الأرض: أسألك بالذي أرسلك أن لا تأخذ مني اليوم شيئاً يكون للنار منه نصيب غداً فتركها فلما رجع إلى ربه قال: ما منعك أن تأتي بما أمرتك؟ قال: سألتني بك فأرسل آخر فقال مثل ذلك حتى أرسلهم كلهم فأرسل

ملك الموت فقالت له مثل ذلك. فقال: إن الذين أرسلني أحق بالطاعة منك، فأخذ من وجه الأرض كلها من طيبها وخبيثها فجاء به إلى ربه فصبّ عليه من ماء الجنة فصار حمأ مسنوناً فخلق منه آدم عليه السلام. وروى أبو حذيفة إسحاق بن بشير في كتاب المبتدأ عن ابن إسحاق عن الزهري نحوه، وسمى الملك المرسل أولاً إسرافيل، والثاني ميكائيل. وروى ابن عساكر من طريق السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة نحوه، وسمى المرسل أولاً جبريل، والثاني ميكائيل. وروى ابن عساكر أيضاً عن يحيى بن خالد نحوه، وسمى الأول جبريل، والثاني ميكائيل. وقال في آخره: فسماه ملك الموت ووكله بالموت. وروى ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الشعب، عن عبد الرحمن بن عبدالله بن سابط قال: يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فأما جبريل فصاحب الجنود والريح، وأما ميكائيل فصاحب القطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو يتنزل عليهم بالأمر. وفي لفظ بما يؤمرون. وروى أبو الشيخ في العظمة عن الربيع بن أنس أنه سئل عن ملك الموت هل هو وحده الذي يقبض الأرواح، قال: هو الذي يلي أمر قبض الأرواح، وله أعوان على ذلك غير أن ملك الموت هو الرئيس، وكل خطوة منه من المشرق إلى المغرب. قلت: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال: عند السدرة. وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فالمدبرات أمراً﴾ [النازعات: ٥] قال: ملائكة تكون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم، فمنهم من يعرج بالروح، ومنهم من يؤمن على الدعاء، ومنهم من يستغفر للميت حتى يصلى عليه ويدلى في حفرته. وروى أيضاً عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وقيل من راق﴾ [القيامة: ٢٧] قال: أعوان ملك الموت يقول بعضهم لبعض: من يرقى بروحه من أسفل قدمه إلى موضع خروج نفسه.

فصل

روى أبو نعيم عن الأعمش قال: كان ملك الموت يظهر للناس فيأتي الرجل فيقول: اقض حاجتك فإني أريد أن أقبض روحك فشكى فأنزل الداء وجعل الموت. وروى أحمد والبزار والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة. كان ملك الموت يأتي الناس عياناً، فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه فأتى ربه فقال: يا رب عبدك موسى فقأعيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه. قال له: اذهب إلى عبدي فقل له: فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارث يده سنة فأتاه فقال له: ما بعد هذا؟ قال: الموت. قال: فالآن. قال: فشمه شمة فقبض روحه ورد الله إليه عينه فكان بعد يأتي الناس خفية. وروى أبو حذيفة إسحاق بن بشر في المبتدأ عن ابن عمر قال: قال ملك الموت: يا رب قد اشتقت إلى لقائك فأعطاه ريحانة فشمها فقبض فيها. وروى أبو الشيخ عن محمد بن المنكدر أن ملك الموت قال لإبراهيم عليه السلام: إن ربك يأمرني أن أقبض نفسك بأيسر ما قبضت نفس مؤمن. قال فإني أسألك بحق الذي أرسلك أن تراجعه فيّ فقال: إن خليلك

سأل أن أراجعك فيه، فقال: آته وقل له إن ربك يقول: إن الخليل يحب لقاء خليله، فأتاه فقال له فقال: امض لما أمرت به. قال: يا إبراهيم هل شربت شراباً قط؟ قال: لا. فاستنكهه فقبض نفسه على ذلك.

فصل

روى ابن أبي شيبة في المصنف، عن عبدالله بن عيسى قال: كان فيمن كان قبلكم رجل عبدالله أربعين سنة في البر، ثم قال: يارب قد اشتقت أن أعبدك في البحر فأتى قوماً فاستحملهم فحملوه وجرت بهم سفينتهم ما شاء الله أن تجري، ثم قامت فإذا شجر في ناحية الماء فقال: ضعوني على هذه الشجرة فوضعوه وجرت بهم سفينتهم، فأراد ملك أن يعرج إلى السماء فتكلم بكلامه الذي كان يعرج به فلم يقدر على ذلك. فعلم أن ذلك لخطيئة كانت منه، فأتى صاحب الشجرة فسأله أن يشفع إلى ربه فصلى ودعا للملك وطلب إلى ربه أن يكون هو يقبض نفسه ليكون أهون عليه من ملك الموت، فأتاه حين حضر أجله فقال: إني طلبت إلى ربي أن يشفعني فيك كما شفعك فيّ، وأكون أنا أقبض نفسك فمن حيث شئت قبضتها فسجد سجدة فخرجت من عينه دمعة فمات.

وروى ابن عساكر في تاريخه عن أبي زرعة قال، قال لي نجيب بن أبي عبيد البشريَ: رأيت ملك الموت في النوم وهو يقول: قل لأبيك يصلي عليَّ حتى أرفق به عند قبض روحه، فحدثت أبي بما رأيت فقال: يا بني لأنا بملك الموت آنس مني بأمك. وروى ابن عساكر من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال: ذكرت حديثاً رواه ابن عمر: ما حق امرىء مسلم يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه، فدعوت بدواة وقرطاس لأكتب وصيتي فغلبني النوم فنمت ولم أكتبها، فبينا أنا نائم، إذ دخل داخل أبيض الثياب حسن الوجه طيب الريح فقلت: يا هذا من أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربها. قلت: من أنت؟ قال: ملك الموت فرعبت منه فقال: لا ترع إني لم أؤمر بقبض روحك. قلت: فاكتب لي إذاً براءة من النار. قال: هات دواة وقرطاساً فمددت يدي إلى الدواة والقرطاس الذي نمت عنه وهو عند رأسي فناولته، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم استغفر الله استغفر الله حتى ملأ ظهر الكاغد وبطنه ثم ناولنيه، وقال: هذا براءتك رحمك الله وانتبهت فزعاً ودعوت بالسراج ونظرت، فإذا القرطاس الذي نمت وهو عند رأسي مكتوب ظهره وبطنه استغفر الله استغفر الله.

فصل

قال القرطبي: لا تنافي بين قوله تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ [السجدة: ١١] وقوله: ﴿توفَّته رسلنا﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿تتوفاهم الملائكة﴾ [النحل: ٢٨] وقوله ﴿الله يتوفّى الأنفس﴾ [الزمر: ٤٢] لأن اضافة التوفي إلى ملك الموت لأنه مباشر للقبض وللملائكة الذين هم أعوانه لأنهم يأخذون في جذبها من البدن فهو قابض وهم معالجون، وإلى الله لأنه الفاعل على الحقيقة. وقال الكلبي: يقبض ملك الموت الروح ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت:

إعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون. ومن لسانه أن يكون ناطقاً بالشهادة، ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى.

أما الصورة: فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ارقبوا الميت عند ثلاث: إذا رشح جبينه ودمعت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به، وإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به».

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت:

وفيه بيان علامة الخير والأمر بتحسين الظن بالله والخوف منه، وبيان ما يشاهد من أسرار الملكوت.

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر**) يقال: حضره الموت واحتضره أشرف عليه فهو في النزع وهو محضور ومحتضر بالفتح (**هو الهدوء والسكون**) أي عدم الانزعاج في ظاهره من الجوارح، (و) المحبوب (**من لسانه أن يكون ناطقاً بالشهادة**) أي بكلمتها وهي لا إله إلا الله، (و) المحبوب (**من قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى. أما الصور؛ فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودمعت**) وفي نسخة ذرفت (**عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به، وإذا غطَّ غطيط المخنوق واحمرّ لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به»**) قال العراقي: رواه الحكيم والترمذي في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح اهـ.

قلت: وكذلك رواه الخليلي في مشيخته ولفظها «ارقبوا الميت عند وفاته فإذا ذرفت عيناه ورشح جبينه وانتشر منخراه فهي رحمة من الله قد نزلت به، وإذا غطَّ غطيط البكر المخنوق وكمد لونه وازبد شدقاه فهو عذاب من الله قد نزل به» وقد وردت في رشح الجبين أحاديث أوردها السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة.

فصل

ومن علامات خاتمة الخير ما رواه الترمذي والحاكم من حديث أنس: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله» قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت». وروى أحمد والحاكم من حديث عمرو بن الحمق: «إذا أحب الله عبداً عسله» قالوا: وما عسله؟ قال: «يوفق له عملاً صالحاً بين يدي أجله حتى يرضى عنه جيرانه». وروى ابن أبي الدنيا من حديث عائشة: «إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه قبل موته بعام ملكاً يسدده ويوفقه حتى يموت على خير أحايينه، فيقول الناس: مات فلان على خير أحايينه، فإذا حضر ورأى ما أعدّ له جعل يتهوّع نفسه من الحرص على

وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة: **فهي علامة الخير. قال أبو سعيد الخدري: قال** رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله». **وفي رواية حذيفة «فإنها تهدم ما قبلها** من الخطايا» وقال عثمان: **قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله**

أن تخرج فهناك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإذا أراد الله بعبد شراً قيّض له قبل موته بعام شيطاناً يضله ويغويه حتى يموت على شر أحايينه، فيقول الناس: قد مات فلان على شر أحايينه، فإذا حضر ورأى ما أعدّ له جعل يتبلع نفسه كراهية أن تخرج فهناك كره لقاء الله وكره الله لقاءه» قال ابن هبيرة في الإفصاح في معنى هذا الحديث. اعلم أن خروج الروح عند دعاء ملك الموت له من جنس دعاء الحاوي بالحية من جحرها وخروج الجسمين عند الدعاء على حدّ سواء، فأما المؤمن فيتهوّع نفسه أن يستدعي إخراجها. إذ التهوّع إنما هو استدعاء القيء للبروز، وأما الكافر فيتبلع روحه. والتبلع ردّ الجسم الذي في الفم فهو يريد الخروج إلى الجوف اهـ.

وقال بعض العلماء: الأسباب المقتضية لسوء الخاتمة والعياذ بالله أربعة: التهاون بالصلاة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وأذى المسلمين.

(وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير. قال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»)** قال ابن حبان وغيره: أراد به من حضره الموت.

أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبدالله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن عبدالله الحسني، أخبرنا الجلال أبو الفضل الحافظ، أخبرتني أم الفضل ابنة محمد قراءة قالت: أخبرنا إبراهيم بن أحمد المقري، أخبرنا أحمد بن أبي طالب، أخبرنا عبدالله بن عمر، أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا أبو محمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الشاشي، أخبرنا عبد بن حميد، حدثنا عبدالله بن عمر، وحدثنا سليمان بن بلال، عن عمارة بن غزية، عن يحيى بن عمارة، عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لقنوا موتاكم قول لا إله إلا الله» هذا حديث صحيح أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن حبان من طرق عن عمارة بن غزية. ورواه مسلم أيضاً وابن ماجه من حديث أبي هريرة. ورواه النسائي من حديث عائشة. ورواه العقيلي من حديث حذيفة بن اليمان. ورواه النسائي أيضاً وابن ماجه من حديث عروة.

(وفي رواية) من حديث **(حذيفة)** رضي الله عنه: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله **(فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا»)** هكذا قاله المصنف وقد تقدم، والذي في كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا أنه من حديث ابن مسعود، وقد روى نحوه الديلمي من حديث أبي هريرة ولفظه: «فإنها تهدم الخطايا كما يهدم السيل البنيان». فقالوا: كيف هي للأحياء؟ قال: «اهدم واهدم».

وقد روي هذا الحديث بزيادات أخر. روى ابن ماجه والحكيم والطبراني من حديث عبدالله

دخل الجنة »، وقال عبيدالله: « وهو يشهد » وقال عثمان: إذا احتضر الميت فلقنوه: « لا

ابن جعفر: « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ». قالوا: يا رسول الله كيف هي للأحياء؟ قال: « أجود وأجود ».

وروى الطبراني من حديث ابن مسعود: « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإن نفس المؤمن تخرج رشحاً ونفس الكافر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار ».

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة: « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان، ولو جعلت لا إله إلا الله في كفة وجعلت السموات والأرض في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله ».

وروى ابن حبان من حديث أبي هريرة: « لقنوا موتاكم لا إلـه إلا الله فإنه من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه ».

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة: « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ولا تملوهم فإنهم في سكرات الموت ».

وروى الطبراني في الأوسط والصغير من طريق وصيف الأنطاكي، حدثنا سليمان بن سيف، حدثنا سعيد بن سلام، حدثنا عمر بن محمد، عن صفوان بن سليم، عن أبي سلمةبن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رفعه: « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله وقولوا الثبات الثبات ولا قوّة إلا بالله ».

تنبيه:

وقع للمصنف في كتابه الدرة الفاخرة بلفظ: « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله ». قال السيوطي في أماليه: ليس في روايات هذا الحديث لفظ شهادة إلا في حديث ابن عباس، وهو في المعجم الكبير للطبراني بسند رجال ثقات، لكنه من رواية ابن أبي طلحة ولم يسمع منه اهـ.

قلت: ولفظه: « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة ». قالوا: يا رسول الله فمن قالها في صحته؟ قال تلك أوجب وأوجب » الحديث.

(وقال عثمان) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة »)**، رواه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة ومسلم والنسائي وابن حبان وابن خزيمة، وقد تقدم. ورواه أبو يعلى بلفظ: « وهو يعلم إن الله حق ».

(وقال عبيد الله) وفي بعض النسخ عبدالله **(« وهو يشهد »)** وهذا قد رواه البيهقي من حديث معاذ بلفظ: « من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه دخل الجنة ». وروى الخطيب من حديث جابر: « من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله فقد حلّ له أن يغفر له ».

(وقال عثمان) رضي الله عنه: **(إذا احتضر الميت فلقنوه: « لا إله إلا الله » فإنه ما من**

إله إلا الله » فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة. وقال عمر رضي الله عنه: أحضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا يرون ولقنوهم: لا إله إلا الله. وقال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « حضر ملك الموت رجلاً يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئاً، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول لا إله إلا الله، فغفر له بكلمة الإخلاص ».

عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة). قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة، حدثنا يحي بن صالح الوحاطي، حدثنا سليم بن عطاء الجزري، حدثنا سلمة بن عبدالله الجهني، عن عمه أبي مشجعة قال: عدنا مع عثمان مريضاً فقال له عثمان قل لا إله إلا الله فقالها، فقال: والذي نفسي بيده لقد رمى بها خطاياه فحطمها حطماً، فقلت أشيء تقول أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله هذا هي للمريض فكيف هي للصحيح؟ فقال: « هي للصحيح احطم ».

(وقال عمر رضي الله عنه: أحضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا إله إلا الله) هذا استدل به المصنف على قوله في الدرة الفاخرة، وربما كشف للميت عن الأمر الملكوتي وساق هذا الأثر. وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين عن علي بن الجعد، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول قال: قال عمر فساقه.

وقال أبو بكر المروزي في كتاب الجنائز: حدثنا القواريري، حدثنا يزيد بن زريع، أخبرنا يونس عن الحسن قال: قال عمر رضي الله عنه: أحضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله فإنهم يرون ويقال لهم. وقال المروزي أيضاً: حدثنا سريج، حدثنا هشيم، أخبرنا يونس بمثله. وقال أيضاً حدثنا الثعلبي، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن برد، عن مكحول قال: قال عمر: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم فإنه يخيل إليهم أمور صادقة. وقال أيضاً: حدثنا سريج، حدثنا إسماعيل، عن برد، عن مكحول بمثله. قال السيوطي في الأمالي: هذا أثر لا بأس به، ورجال هذه الأسانيد ثقات إلا أن الحسن ومكحولاً لم يدركا عمر.

وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: « حضر ملك الموت رجلاً يموت) أي في حالة النزع لقبض الروح (فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئاً، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص ») بين به أن التوحيد المحض الخالص عن شوائب الشرك لا يبقى معه ذنب، فنجاسة الذنوب عارضة والدافع لها قوي، وإنما سميت كلمة الإخلاص لأن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص لله سمي خالصاً. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب وإسناده جيد إلا أن في رواية البيهقي رجلاً لم يسم، وسمي في رواية الطبراني إسحاق بن يحي بن طلحة وهو ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الخطيب في التاريخ وابن لال في مكارم الأحلاق، والديلمي في مسند الفردوس ولفظهم: «فشق أعضاءه فلم يجده عمل خيراً ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيراً ففك لحبيه» والباقي سواء.

ومما يناسب في الباب ما رواه الحاكم في تاريخه، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله فإنه من كان أوّل كلامه لا إله إلا الله وآخر كلامه لا إله إلا الله ثم عاش ألف سنة ما سئل عن ذنب واحد». قال البيهقي: متن غريب لم نكتبه إلا بهذا الإسناد.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق مكحول، عن واثلة بن الأسقع رفعه: «أحضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع» الحديث.

وروى الطبراني والبيهقي في كتابيه الشعب والدلائل عن عبدالله بن أبي أوفى قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن ههنا غلاماً قد احتضر، فيقال له لا إله إلا الله فلا يستطيع أن يقولها. قال: «أليس كان يقولها في حياته». قالوا: بلى: «قال: «فما منعه منها عند موته»؟ فنهض النبي ﷺ ونهضت معه حتى أتى الغلام، فقال: «يا غلام قل لا إله إلا الله». قال: لا أستطيع أن أقولها. قال: «ولم» قال: لعـقوق والدتي. قال: «أحية هي». قال: نعم. قال: «ارسلوا إليها» فجاءته فقال لها رسول الله ﷺ: «ابنك هو»؟ قالت: نعم. قال: «أرأيت لو أن ناراً أججت فقيل لك إن لم تشفعي فيه دفناه في هذه النار». فقالت: إذاً كنت أشفع له. قال: «فاشهدي الله واشهدينا بأنك قد رضيت» فقالت: قد رضيت عن ابني. فقال: «يا غلام قل لا إله إلا الله» فقال: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن المحاربي قال: حضرت رجلاً الوفاة فقيل له: قل لا إله إلا الله. قال: لا أقدر كنت أصحب قوماً يأمروني بشتم أبي بكر وعمر. وروى أبو يعلى والحاكم بسند صحيح من حديث طلحة وعمر رضي الله عنهما: إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل حضره الموت إلا وجد روحه لها روحة حين تخرج من جسده وكانت له نوراً يوم القيامة، وفي لفظ إلا نَفَّسَ الله عنه وأشرق لونه ورأى ما يسره لا إله إلا الله. وروى أبو نعيم في الحلية عن فرقد السبخي قال: إذا حضر العبد الوفاة قال الملك صاحب الشمال لصاحب اليمين: خفف، فيقول صاحب اليمين: لا أخفف لعله يقول لا إله إلا الله فأكتبها. وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وأبي سعيد معاً: من قال عند موته ‹‹ إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله لا تطعمه النار أبداً. وروى الحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص: هل أدلكم على اسم الله الأعظم؟ دعاء يونس لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فأيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين يوماً مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد، وإن برىء بريء مغفوراً له.

وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين ولكن يتلطف، فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات، وابن منيع في مسنده من حديث أبي هريرة: «يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار». قلت: بلى. قال: «لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت، وسبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على كل حال الله أكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان. اللهم إن كنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت له منك الحسنى، وأعذني من النار كما أعذت أولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى، فإن مت في مرضك ذلك فإلى رضوان الله والجنة، وإن كنت قد اقترفت ذنوباً تاب الله عليك».

وروى ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال: سمعت من رسول الله ﷺ كلمات من قالهن عند وفاته دخل الجنة «لا إله إلا الله الحليم الكريم ثلاث مرات الحمد لله رب العالمين ثلاث مرات. تبارك الذي بيده الملك يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» وروى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والمروزي عن أم الحسن قالت: كنت عند أم سلمة فجاءها إنسان فقال: فلان بالموت. فقالت: انطلق فإذا رأيته احتضر فقل: سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(**وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين ولكن يتلطف، فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة**) كما روى الديلمي من حديث أبي هريرة: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ولا تملوهم فإنهم في سكرات الموت» وقد تقدم قريباً. وروى أبو القاسم القشيري في أماليه من حديث أبي هريرة: «إذا ثقلت مرضاكم فلا تملوهم قول لا إله إلا الله ولكن لقنوهم فإنه لم يختم به لمنافق قط».

تنبيه:

وقع للمصنف في الدرة الفاخرة ونهى عن الإكثار بها عليهم. قال السيوطي في أماليه: ينبغي ضبط نهي بضم النون مبنياً للمفعول لا بالفتح مبنياً للفاعل معطوفاً على قال، لأن النهي عن ذلك لم يرد في الحديث، وإنما ذكره السلف والفقهاء اهـ.

قلت: بل قد ورد في ذلك من حديث أبي هريرة الذي عند الديلمي، والذي عند القشيري، وقد ذكرا قبل ذلك.

فصل

ومن أظرف ما وقع في ذلك: ما قال البيهقي في الشعب، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز لواعظ يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الساوي وراق أبي

وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله، فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه. وإن كان القلب مشغوفاً بالدنيا ملتفتاً إليها متأسفاً على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها، وقع الأمر في خطر المشيئة، فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله تعالى بالقبول.

زرعة يقول: حضرت أبا زرعة وهو في السوق يعني بفتح السين وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء فذكروا حديث التلقين، واستحيوا من أبي زرعة أن يلقنوه التوحيد فقالوا: تعالوا نذكر الحديث، فقال محمد بن مسلم: حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح وجعل يقول ابن ابن ولم يجاوز، فقال أبو حاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر وسكت ولم يجاوز والباقون سكتوا. فقال أبو زرعة وهو في السوق: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبي عريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». وتوفي أبو زرعة رحمه الله تعالى. هكذا أخرجه السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة من هذا الوجه، ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات فقال: أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن فضالة، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن شاذان، سمعت أبا جعفر التستري يقول: حضرنا أبا زرعة وكان في السوق فساقه.

قلت: والحديث أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني من هذا الوجه وأخرجه ابن منده من حديث أبي شيبة الخدري، وأنشد السيوطي لنفسه في هذا المعنى:

لقن أخاك لدى الممات شهادة ... لا تستهبه ولا تلح وتبرم
من كان آخر ما يقول شهادة إلا ... خلاص يخلد في الجنان ويرحم

(**وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه غير الله**) كما قال القائل: حسبي ربي جل الله ما في قلبي غير الله، (**فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق**) جل شأنه (**كان قدومه بالموت على حبيبه غاية النعيم في حقه، وإن كان القلب مشغوفاً بالدنيا ملتفتاً إليها متأسفاً على لذاتها**) خائفاً على فواتها، (**وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان، قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله بالقبول**)، وقد روى الطبراني من حديث معاذ: «من مات يقول لا إله إلا الله يقيناً من نفسه دخل الجنة». وروى أحمد والبيهقي من حديثه: «من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه دخل الجنة».

وأما حسن الظن: فهو مستحب في هذا الوقت ـ وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء ـ وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال: أخبرني كيف ظنك بالله؟ قال أغرقتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكني أرجو رحمة ربي! فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال: الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» ودخل النبي ﷺ على شاب وهو يموت فقال: «كيف تجدك، قال أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال النبي ﷺ: «ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجوه وآمنه من الذي

(**وأما حسن الظن**) بالله تعالى؛ (**فهو مستحب في هذا الوقت ـ وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء ـ وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله**) من ذلك: (**دخل**) واثلة بالمثلثة (**بن الأسقع**) بالقاف بن كعب الليثي رضي الله عنه صحابي مشهور نزل الشام وعاش إلى سنة خمس وثمانين وله مائة وخمس سنين. روى له الجماعة. (**على مريض فقال: أخبرني كيف ظنك بالله؟ قال: أغرقتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكني أرجو رحمة ربي، فكبّر واثلة**) رضي الله عنه (**وكبّر أهل البيت بتكبيره وقال: الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء»**) قال العراقي: رواه ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعاً اهـ.

قلت: ورواه بالرفع فقط ابن أبي الدنيا والحكيم والطبراني وابن عدي والحاكم وتمام بلفظ: «قال الله عز وجل» فساقه. ورواه الشيرازي في الألقاب من حديث أنس، وفي لفظ للطبراني، وابن حبان من حديث واثلة بلفظ: «أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فخير وإن ظن شراً فشر» وروى الجملة الأولى فقط الطبراني من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وروى أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ: «إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله».

(**ودخل النبي ﷺ على شاب وهو يموت فقال: «كيف تجدك؟» فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال ﷺ: «ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف»**) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم في كتاب الخوف والرجاء، ورواه القشيري في الرسالة فقال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا الخضر بن أبان الهاشمي، حدثنا سوار، حدثنا جعفر، عن ثابت عن أنس فذكره. وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن الحسن قال: بلغني عن رسول الله ﷺ انه قال: «قال ربكم لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة، ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة». ورواه أبو نعيم في الحلية عن شداد بن أوس موصولاً. وروى ابن المبارك في الزهد عن ابن عباس قال: «إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن بالله وإذا كان حياً فخوّفوه».

يخاف » وقال ثابت البناني . كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيراً وتقول له : يا بني إن لك يوماً فاذكر يومك ، فلما نزل به أمر الله تعالى اكبت عليه أمه وجعلت تقول له : يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوماً ، فقال : يا أمه إن لي رباً كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعـدمني اليوم بعض معروفه ، قال ثابت : فرحمه الله بحسن ظنه بربه . وقال جابر بن وداعة : كان شاب به رهق فاحتضر ، فقالت له أمه : يا بني توصي بشيء ؟ قال : نعم ، خاتمي لا تسلبينيه فإن فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني ، فلما دفن رؤي في المنام فقال : أخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني وأن الله قد غفر لي . ومرض أعرابي فقيل له إنك تموت ، فقال : أين يذهب بي ؟ قال : إلى الله ، قال : فما كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه . وقال أبو المعتمر بن سليمان : قال أبي لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به .

(وقال ثابت) بن أسلم **(البناني)** التابعي العابد رحمه الله تعالى : **(كان شاب به حدّة)** أي نشاط إلى اللهو واللعب ، **(وكانت له أم تعظه كثيراً وتقول له : يا بني إن لك يوماً فاذكر يومك ، فلما نزل به أمر الله تعالى أكبَّت عليه أمه تقول له : يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول : إن لك يوماً ، فقال)** الشاب : **(يا أمه إن لي رباً كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعدمني اليوم بعض معروفه . قال ثابت : فرحمه الله بحسن ظنه بربه)** . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله . وورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي محمد بن حيان ، حدثنا الحسن بن هارون ، حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر ، حدثنا ثابت قال : كان شاب به رهق ، فكانت أمه تعظه فساقه . وفي آخره قال ثابت رحمه الله حسن ظنه بالله في حالته تلك .

(وقال جابر بن وداعة) بفتح الواو : **(كان شاب به رهق)** محركة أي نشاط **(فاحتضر)** أي حضره الموت **(فقالت له أمه : يا بني توصي بشيء ؟ قال : نعم خاتمي لا تسلبنيه فإن فيه ذكر الله تعالى ، فلعل الله يرحمني ، فلما دفن رؤي في المنام فقال : اخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني وأن الله قد غفر لي)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله .

(ومرض اعرابي فقيل له : إنك تموت . فقال : أين يذهب بي ؟ فقالوا إلى الله . قال : فما كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه) ، رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله .

(وقال) أبو محمد **(المعتمر بن سليمان)** البصري ثقة مات سنة سبع وثمانين وقد جاوز الثمانين روى له الجماعة . **(قال أبي)** سليمان بن طرخان التيمي نزل في التيم فنسب إليهم ثقة عابد مات سنة ثلاث وأربعين وهو ابن سبع وتسعين روى له الجماعة ، **(لما حضرته الوفاة : يا معتمر حدثني**

وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه.

بالرخص لعلي ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق قال: سمعت سوار بن عبد الله قال: سمعت المعتمر يقول؛ قال أبي فذكره.

(وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله، عن ابراهيم النخعي بلفظ: أن يلقنوا العبد بمحاسن عمله. ورواه أيضاً محمود بن محمد في كتاب المتفجعين. ومما يليق إيراده في الباب ما رواه الشيخان عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاث « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ». واخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن، وزاد « فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ [فصلت: ٢٣]. وروى ابن عساكر من حديث أنس « لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة ». وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مسعود قال: « والله الذي لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ». وروى ابن المبارك وأحمد والطبراني من حديث معاذ « إن شئتم انبأتكم ما أوّل ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة، وما أوّل ما يقولون له » قلنا: نعم يا رسول الله. قال « فإن الله يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا، فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك. فيقول: قد وجبت لكم مغفرتي ».

وروى ابن أبي الدنيا في حسن الظن، والبيهقي في الشعب، وابن عساكر، عن أبي غالب صاحب أبي أمامة قال: كنت بالشام فنزلت على رجل من قيس من خيار الناس وله ابن أخ مخالف له يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه، فمرض الفتى فبعث إلى عمه فأبى أن يأتيه فأتيته أنا به حتى أدخلته عليه، فأقبل عليه يشتمه ويقول: أي عدوّ الله ألم تفعل كذا؟ قال: أرأيت أي عم لو أن الله دفعني إلى والدتي ما كانت صانعة بي؟ قال: كانت والله تدخلك الجنة. قال: فو الله لله ارحم بي من والدتي، فقبض الفتى ودفنه عمه فلما سوى اللبن سقطت منه لبنة فوثب عمه فتأخر قلت: ما شأنك؟ قال: ملىء قبره نوراً وفسح له مدّ البصر.

وروى ابن أبي الدنيا فيه، والبيهقي في الشعب عن حميد قال: كان لي ابن أخت مرهق فمرض فأرسلت إلى أمه فأتيتها فإذا هي عند رأسه تبكي، فقال: يا خال ما يبكيها؟ قلت: ما تعلم منك، قال: أليس إنما ترحمني؟ قلت: بلى، قال: فإن الله أرحم بي منها، فلما مات أنزلته القبر مع غيري فذهبت أسوّي لبنة فاطلعت في اللحد فإذا هو مدّ بصري، فقلت لصاحبي: وأنت ما رأيت؟ قال: نعم فليهنك ذاك. قال: فظننت انه بالكلمة التي قالها.

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها:

قال أشعث بن أسلم: سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه ـ فقال: يا ملك الموت ما تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع؟ قال أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعي هاتين، وقال قد دحيت له الأرض فتركت مثل الطشت بين

فصل

في بيان ما يقرأ عند الميت وما يقال إذا مات وغمض:

روى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، والديلمي من حديث أبي الدرداء: «ما من ميت يقرأ عند رأسه يس إلا هوّن الله عليه» وروى ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان من حديث معقل بن يسار «أقرأوا على موتاكم يس». قال ابن حبان: أراد به من حضره الموت يقرأ عليه. وروى ابن أبي شيبة والمروزي عن جابر بن زيد قال: كان يستحب إذا حضر الميت أن يقرأ عنده سورة الرعد فإن ذلك يخفف عن الميت وأنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه، وكان يقال قبل أن يموت الميت بساعة في حياة رسول الله ﷺ: اللهم اغفر لفلان بن فلان وبرّد عليه مضجعه، ووسع عليه في قبره، واعطه الراحة بعد الموت، وألحقه بنبيه، وتول نفسه وصعّد روحه في أرواح الصالحين واجمع بيننا وبينه في دار تبقى فيها الصحبة ويذهب عنا فيها النصب واللغوب، ويصلي على رسول الله ﷺ ويكرر ذلك حتى يقبض. وروى ابن أبي شيبة والمروزي عن الشعبي قال: كانت الانصار يقرأون عند الميت سورة البقرة. وروى الطبراني في الأوسط عن أبي بكرة قال: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وهو في الموت، فلما شق بصره مدّ رسول الله ﷺ يده فأغمضه، فلما اغمضه صاح أهل البيت فسكتهم رسول الله ﷺ وقال: «إن النفس إذا خرجت تبعها البصر وأن الملائكة تحضر الميت فيؤمنون على ما يقول أهل البيت». ثم قال ﷺ: «اللهم ارفع درجة أبي سلمة في المهديين واخلفه في عقبه في الفائزين واغفر لنا وله يوم الدين». وروى الحاكم من حديث شداد بن أوس «إذا حضرتم الميت فاغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح وقولوا خيراً، فإن الملائكة تؤمن على دعاء أهل البيت». وروى المروزي عن بكر المزني قال: إذا غمضت ميتاً فقل بسم الله وعلى ملة رسول الله.

بيان الحسرة عند لقاء الموت بحكايات يعرب بلسان الحال عنها:

وفيه بيان قطع الآجال كل سنة. (**قال اشعث بن أسلم: سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل**) بفتح العين (**وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه، فقال: يا ملك الموت ما تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع؟ قال: ادعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعي هاتين. وقال**) اشعث:

يديه يتناول منها ما يشاء، قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل. وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام ما لي لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع

(**ودحيت له الأرض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها ما يشاء**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وأبو الشيخ في العظمة، عن اشعث. وروى أحمد في الزهد، وأبو الشيخ في العظمة، وأبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال: جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث شاء، وجعل له أعواناً يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم. وروى ابن أبي الدنيا من طريق الحسن بن عمارة، عن الحكم أن يعقوب عليه السلام قال لملك الموت: ما من نفس منفوسة إلا وأنت تقبض روحها. قال: نعم. قال: فكيف وأنت عندي ههنا والأنفس في أطراف الأرض؟ قال: إن الله سخر لي الدنيا فهي كالطست يوضع قدام أحدكم فيتناول من أي أطرافها شاء كذلك الدنيا عندي. وروى الدينوري في المجالسة عن أبي قيس الأودي قال، قيل لملك الموت: كيف تقبض الارواح؟ قال: ادعوها فتجيبني. وروى ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، وأبو نعيم عن شهر بن حوشب قال: ملك الموت جالس والدنيا بين ركبتيه واللوح الذي فيه آجال بني آدم في يديه، وبين يديه ملائكة قيام وهو يعرض اللوح لا يطرف، فإذا أتوا على أجل عبد قال اقبضوا هذا. وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس أنه سئل عن نفسين اتفق موتهما في طرفة عين واحد في المشرق وآخر في المغرب كيف قدر ملك الموت عليهما؟ قال: ما قدرة ملك الموت على أهل المشارق والمغارب والظلمات والهواء والنجوم إلا كرجل بين يديه مائدة يتناول من أيها شاء. وروى جويبر في تفسيره عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: ملك الموت الذي يتوفى الأنفس كلها وقد سلط على ما في الأرض كما سلط أحدكم على ما في راحتيه ومعه ملائكة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فإذا توفى نفساً طيبة دفعها إلى ملائكة الرحمة وإذا توفى نفساً خبيثة دفعها إلى ملائكة العذاب. وروى ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ عن أبي المثنى الحمصي قال: إن الدنيا سهلها وجبالها بين فخذي ملك الموت ومعه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فيقبض الأرواح فيعطي هؤلاء لهؤلاء ـ [illegible] ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ـ قيل: فإذا كانت ملحمة وكان السيف مثل البرق. قال: يدعوهم فتأتيه الأنفس. وروى ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد قال: قيل يا رسول الله ملك الموت واحد والزحفان يلتقيان بين المشرق والمغرب وما بين ذلك من السقط والهلاك؟ فقال «إن الله حوّى الدنيا لملك الموت حتى جعلها كالطست بين يدي أحدكم فهل يفوته منها شيء».

(**قال**) الراوي وهو أشعث بن أسلم الذي تقدم ذكره. (**وهو**) الذي (**بشّره بأنه خليل الله عز وجل**) هذا القول قد رواه ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود، وابن عباس قال: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربه، أن يأذن له بذلك، فأذن له، فجاء إبراهيم فبشره فقال: الحمد لله وقد ذكر بتمامه قريباً.

(**وقال سليمان بن داود عليه**) وعلى أبيه (**السلام لملك الموت عليه السلام: ما لي لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا؟ قال: ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي صحف أو**)

هذا ؟ قال ما أنا بذلك بأعلم منك ؛ إنما هي صحف أو كتب تلقى إلي فيها أسماء ، وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض ، فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه ـ بعد مرات ـ وكذلك طلب دابة فأتي بها فلم تعجبه ، حتى أتي بدواب فركب أحسنها ، فجاء إبليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبراً . ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبراً فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام ، فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً ؛ قال إن لي إليك حاجة قال إصبر حتى أنزل قال لا الآن ، فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال ، هو سر ، فأدنى له رأسه فساره وقال ، أنا ملك الموت ! فتغير لون الملك

كتب تلقى إليّ فيها أسماء) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا عبد الله بن نمير ، عن الأعمش ، عن خيثمة قال: أتى ملك الموت سليمان بن داود عليهما السلام وكان له صديقاً فقال له سليمان: مالك تأتي أهل البيت فتقبضهم جميعاً وتدع أهل البيت إلى جنبهم لا تقبض منهم أحداً ؟ قال: لا أعلم بما أقبض منها إنما أكون تحت العرش فتلقى إليّ صكاك فيها أسماء . وروى ابن عساكر عن خيثمة قال ، قال سليمان عليه السلام لملك الموت: إذا أردت أن تقبضني فاعلمني بذلك . قال: ما أنا أعلم بذلك منك إنما هي كتب تلقى إليّ فيها تسمية من يموت . وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن ملكاً استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس عليه السلام فاتاه فسلم عليه فقال له ادريس عليه السلام: هل بينك وبين ملك الموت شيء ؟ قال: ذلك أخي من الملائكة . قال: هل تستطيع ان تنفعني عنده بشيء ؟ قال: أما أن يؤخر شيئاً أو يقدمه فلا ، ولكن سأكلمه فيرفق بك عند الموت ، فقال: اركب بين جناحي فركب إدريس عليه السلام فصعد إلى السماء العليا فلقي ملك الموت وإدريس عليه السلام بين جناحيه فقال له الملك: إن لي إليك حاجة . قال: علمت حاجتك تكلمني في إدريس وقد محي اسمه ولم يبق من أجله إلا نصف طرفة عين ، فمات إدريس عليه السلام بين جناحي الملك . وروى أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن معمر قال: بلغني أن ملك الموت لا يعلم متى يحضر أجل الانسان حتى يؤمر بقبضه . وروى ابن أبي الدنيا عن ابن جريج قال: بلغنا أنه يقال لملك الموت . اقبض فلاناً في وقت كذا في يوم كذا .

(وقال) أبو عبد الله **(وهب بن منبه)** اليماني رحمه الله تعالى: **(كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات ، وكذلك طلب دابة فأتي بها فلم تعجبه حتى أتي بدواب فركب أحسنها ، فجاء إبليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبراً ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبراً ، فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام ، فأخذ بلجام دابته فقال: ارسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً . قال: إن لي إليك حاجة . قال: اصبر حتى أنزل . قال: لا الآن فقهره على لجام دابته ، فقال: اذكرها . قال: هو سر فأدنى له رأسه)** أي قربه

واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبداً ! فقبض روحه فخر كأنه خشبة ، ثم مضى فلقي عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فساره وقال : « أنا ملك الموت ! فقال أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إليّ أن ألقاه منك ! فقال ملك الموت إقض حاجتك التي خرجت لها ، فقال ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى ! قال فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك ؟ فقال تقدر على ذلك ؟ قال نعم إني أمرت بذلك ، قال : فدعني حتى أتوضأ وأصلي ثم أقبض روحي وأنا ساجد ، فقبض روحه وهو ساجد .

وقال أبو بكر بن عبدالله المزني جمع رجلاً من بني إسرائيل مالاً فلما أشرف على الموت قال لبنيه : أروني أصناف أموالي ؟ فأتي بشيء كثير من الخيل والإبل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسراً عليه ، فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له : ما يبكيك ؟ فوالذي خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك ! قال : فالمهلة حتى

إليه (فسارّه) أي تكلم في أذنه سراً (وقال : أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ، ثم قال : دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم . قال : لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبداً فقبض روحه فخرّ ميتاً كأنه خشبة ثم مضى فلقي عبداً مؤمناً في تلك الحال ، فسلم عليه فردّ عليه السلام فقال : إن لي حاجة أذكرها في أذنك ، فقال : هات فسارّه ، وقال : أنا ملك الموت . فقال : أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته عليَّ فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك ، فقال ملك الموت : اقض حاجتك التي خرجت لها . فقال : مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال : فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك . فقال : تقدر على ذلك ؟ قال : نعم إني أمرت بذلك . قال : فدعني حتى أتوضأ وأصلي واقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد) . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت .

(وقال) أبو عبد الله (بكر بن عبد الله المزني) البصري ثقة ثبت جليل مات سنة ست ومائة روى له الجماعة : (جمع رجل من بني إسرائيل مالاً ، فلما أشرف على الموت قال لبنيه : أروني أصناف أموالي فأتي بشيء كثير من الخيل والإبل والرقيق وغيره ، فلما نظر إليه بكى تحسراً عليه ، فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له : ما يبكيك ؟ فـوالذي خوّلك) أي أنعم عليك به (ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك ! قال : فالمهلة) أي اعطني

أفرقه قال هيهات إنقطعت عنك المهلة! فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك؟ فقبض روحه.

وروي أن رجلاً جمع مالاً فأوعى ولم يدع صنفاً من المال إلا اتخذه، وابتنى قصراً وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرساً من غلمانه، ثم جمع أهله وصنع لهم طعاماً وقعد على سريره ورفع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين، فقرع الباب بشدة عظيمة قرعاً أفزعه وهو على فراشه، فوثب إليه الغلمان وقالوا ما شأنك فقال: ادعوا إلي مولاكم فقالوا: وإلى مثلك يخرج مولانا؟ قال: نعم فأخبروه بذلك فقال: هلا فعلتم به وفعلتم، فقرع الباب قرعة أشد من الأولى، فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أني ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع، فقال قولوا له قولاً ليناً وقولوا هل تأخذ به أحداً فدخل عليه وقال إصنع في مالك ما أنت صانع، فإني لست بخارج منها حتى أخرج روحك فأمر بما له حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال! أنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن أتخلى لربي، فأنطق الله المال فقال لم

امهالاً (حتى أفرقه) على من يستحقه. (قال: هيهات انقطعت عنك المهلة! فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك؟ فقبض روحه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وروي أن رجلاً جمع مالاً فأوعى) أي استكثر منه وحفظه (ولم يدع صنفاً من المال إلا اتخذه وابتنى قصراً وجعل عليه بابين وثيقين) أي محكمين، (وجمع عليه حرساً من غلمانه، ثم جمع أهله وصنع لهم طعاماً وقعد على سريره ورفع إحدى رجليه عن الأخرى وهم يأكلون، فلما فرغوا قال: يا نفس انعمي سنين قد جمعت لك ما يكفيك، فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين، فقرع الباب بشدة عظيمة قرعاً أفزعه وهو على فراشه، فوثب إليه الغلمة وقالوا: ما شأنك؟ فقال: ادعوا لي مولاكم. قالوا: وإلى مثلك يخرج مولانا؟ قال: نعم فاخبروه بذلك فقال: هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من القرعة الأولى، فوثب إليه الحرس فقال: أخبروه أني ملك الموت، فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع، فقال: قولوا له قولاً ليناً وقولوا هل تأخذ به أحداً فدخل عليه وقال: إصنع في مالك ما أنت صانع فإني لست بخارج منها حتى أخرج نفسك، فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه: لعنك الله من مال أنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن

تسبني وقد كنت تدخل على السلاطين بي ويرد المتقي عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات بي، وتجلس مجالس الملوك بي وتنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في سبيل الخير نفعتك. خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق بإثم، ثم قبض ملك الموت روحه فسقط. وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله! ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه؟ قال أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولداً فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد له بها. فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء!! قال عطاء بن يسار: إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فقال: إقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال: فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري.

أتخلى لربي، فانطق الله المال فقال: لم سببتني وقد كنت تدخل على السلطان بي ويرد المتقون عن بابه وكنت تنكح المتنعمات وتجلس مجالس الملوك بي، وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك، ولو انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب، فمنطلق ببّر ومنطلق بإثم، ثم قبض ملك الموت روحه فسقط) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى: (قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله، ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة: لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه؟ قال: أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولوداً فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد له بها، فقالت الملائكة: الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته. فقال ملك الموت: سبحان اللطيف لما يشاء). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وقال) أبو محمد (عطاء بن يسار) الهلالي المدني مولى ميمونة ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة، مات سنة أربع وتسعين روى له الجماعة: (إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال: اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة. قال: فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وأن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت إلا أنه قال: وإن اسمه قد نسخ في الموتى.

ومما يؤيد ذلك ما رواه الديلمي من حديث أبي هريرة «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى». وروى ابن أبي الدنيا وابن جرير مثله من طريق الزهري عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس مرفوعاً. ورواه البيهقي في الشعب من طريق

وقال الحسن: ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه، فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء، فيأخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول: والله ما أكلت له رزقاً ولا أفنيت له عمراً ولا انتقصت له أجلاً، وإن لي فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحداً. قال الحسن: فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على

الزهري، عن عثمان، عن محمد بن المغيرة بن الاخنس. ورواه ابن أبي حاتم بنحوه عن ابن عباس موقوفاً. وروى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يصوم شعبان كله فسألته فقال: إن الله يكتب فيه كل نفس ميت تلك السنة فأحب أن يأتيني أجلي وأنا صائم. وروى ابن جرير عن عمر مولى غفرة قال: ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها فتجد الرجل ينكح النساء ويغرس الغرس واسمه في الأموات. وروي أيضاً عن عكرمة قال: في ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة وتنسخ الأحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد. وروى الدينوري في المجالسة عن راشد بن سعد رفعه قال: في ليلة النصف من شعبان يوحي الله إلى ملك الموت يقبض كل نفس يريد قبضها في تلك السنة. وروى ابن أبي الدنيا والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: أول من يعلم بموت العبد الحافظ لأنه يعرج بعمله وينزل برزقه، فإذا لم يخرج له رزق علم أنه ميت. وروى أبو الشيخ في تفسيره عن محمد بن جحادة قال: لله تعالى شجرة تحت العرش ليس مخلوق إلا له فيها ورقة، فإذا سقطت ورقة عبد خرجت روحه من جسده، فذلك قوله تعالى: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ [الأنعام: ٥٩].

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات، فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه، فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء، فيأخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول: والله ما أكلت له رزقاً ولا أفنيت له عمراً ولا انقصت له أجلاً وأن لي فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحداً. قال الحسن: فو الله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم**). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وأبو الشيخ في العظمة. وروى سعيد ابن منصور وأحمد في الزهد عن عطاء بن يسار قال: ما من أهل بيت إلا يتصفحهم ملك الموت في كل يوم خمس مرات هل منهم أحد أمر بقبضه. وروى ابن أبي حاتم عن كعب قال: ما من بيت فيه أحد إلا وملك الموت على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر به يتوفاه. وروى أحمد وأبو الشيخ في الزهد عن مجاهد قال: ما على ظهر الأرض من بيت شعر ولا مدر إلا وملك الموت يطيف به كل يوم مرتين وروى ابن أبي شيبة، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، عن عبد الأعلى التيمي قال: ما من أهل دار إلا ملك الموت يتصفحهم في اليوم مرتين. وروى أبو نعيم عن ثابت البناني قال: الليل أربع وعشرون ساعة ليس فيها ساعة تأتي عن ذي روح إلا وملك الموت قائم

أنفسهم. وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني إسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض أهله، إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعاً مغضباً فقال له: من أنت ومن أدخلك على داري؟ فقال: أما الذي أدخلني الدار فربها، وأما أنا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطنين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد. قال: فسقط في يده الجبار وارتعد حتى سقط

عليها فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب. وروى أبو الفضل الطوسي في عيون الأخبار، وابن النجار في تاريخ بغداد من طريق إبراهيم بن هدبة عن أنس مرفوعاً «إن ملك الموت ينظر في وجوه العباد في كل يوم سبعين نظرة فإذا ضحك العبد الذي بعث إليه يقول عجباً بعثت إليه لأقبض روحه وهو يضحك». وروى أبو الشيخ في العظمة، وابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال: يتصفح ملك الموت المنازل كل يوم خمس مرات ويطلع في وجه ابن آدم في كل يوم اطلاعة قال: فمنها الزعرة التي تصيب الناس يعني القشعريرة والانقباض. وروى أبو الشيخ عن عكرمة قال: ما من يوم إلا وملك الموت ينظر في كتاب حياة الناس قائل يقول ثلاثاً وقائل يقول خمساً.

وروى الطبراني في الكبير وأبو نعيم وابن منده كلاهما في الصحابة من طريق جعفر عن محمد عن أبيه عن الحرث بن الخزرج عن أبيه رفعه. قال: «يقول ملك الموت يا محمد إني لاقبض روح ابن آدم فإذا صرخ صارخ قمت في الدار ومعي روحه فقلت: ما هذا الصارخ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره وما لنا في قبضه من ذنب، فإن ترضوا بما صنع الله تؤجروا وإن تسخطوا تأثموا وتؤزروا وإن لنا عندكم عودة بعد عودة فالحذر الحذر وما من أهل بيت شعر ولا مدر بر ولا فاجر سهل ولا جبل إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم وليلة حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم، والله لو أردت ان أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذي يأذن بقبضها». قال جعفر بن محمد: بلغني أنه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة، والحرث مجهول. وكذا أبوه الخزرج لا يعرف، والحديث غريب، وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن جعفر بن محمد عن أبيه معضلاً وفيه عمرو بن شمر وهو كذاب.

(**وقال يزيد**) بن أبان (**الرقاشي**) أبو عمرو البصري القاص زاهد ضعيف مات قبل العشرين، روى له البخاري في الأدب المفرد، والترمذي وابن ماجه: (**بينما جبار من الجبابرة من بني إسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض أهله، إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعاً مغضباً فقال له: من أنت ومن أدخلك على داري؟ فقال: أما الذي أدخلني الدار فربها، وأما أنا فالذي لا يمنع من الحجاب**) جمع حاجب وهو البوّاب الذي يمنع الداخل من الدخول في الدار، ويحتمل أن يكون صيغة مبالغة من الحجب، وفي بضع النسخ لا يمنع مني الحجاب، (**ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطنين، ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد. قال**) الراوي: (**فاسقط في يد الجبار وارتعد**) جسمه (**حتى سقط منكباً لوجهه، ثم رفع**

منكباً على وجهه، ثم رفع رأسه إليه مستجدياً متذللاً له فقال له: أنت إذاً ملك الموت! قال: أنا هو، قال: فهل أنت ممهلي حتى أحدث عهداً ؟ قال: هيهات! انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك سبيل! قال: فإلى أين تذهب بي ؟ قال: إلى عملك الذي قدمته وإلى بيتك الذي مهدته، قال: فإني لم أقدم عملاً صالحاً ولم أمهد بيتاً حسناً قال: فإلى لظى نزاعة للشوى، ثم قبض روحه فسقط ميتاً بين أهله، فمن بين صارخ وباك. قال يزيد الرقاشي: لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر. وعن الأعمش عن خيثمة قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا ؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إلي كأنه يريدني قال: فماذا تريد ؟ قال: أريد أن تخلصني منه فتأمر الريح حتى تحملني إلى أقصى الهند، ففعلت الريح ذلك، ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانياً: رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائي، قال: نعم كنت

رأسه إليه مستجدياً) أي مستكيناً (**متذللاً فقال له: أنت إذاً ملك الموت؟ قال: أنا هو، فقال: فهل أنت ممهلي)** أي تعطيني المهلة (**حتى أحدث عهداً)** أي إنابة ورجوعاً ؟ (**قال: هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت)** أي فرغت (**ساعاتك، فليس إلى تأخيرك سبيل. قال: فإلى أين تذهب بي؟ قال إلى عملك الذي قدمته)** بين يديك، (**وإلى بيتك الذي مهدته، قال: فإني لم أقدم عملاً صالحاً ولم أمهد بيتاً حسناً. قال: فإلى لظى)** وهي دركة من دركات جهنم (**نزاعة للشوى)** اطراف العظام، (**ثم قبض روحه فسقط بين أهله فمن صارخ)** عليه (**وباك. قال يزيد الرقاشي)** وهو الراوي لهذا الخبر: (**لو يعلمون سوء المنقلب)** وما أعد الله لهم من الشدائد (**كان العويل على ذلك أكثر)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(**وعن الأعمش)** هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي ثقة حافظ ورع، مولده أوّل سنة إحدى وستين، ومات سنة سبع وأربعين روى له الجماعة، (**عن خيثمة)** بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي ثقة مات بعد سنة ثمانين روى له الجماعة (**قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا ؟ قال: هذا ملك الموت. قال: لقد رأيته ينظر إليَّ كأنه يريدني. قال: فماذا تريد ؟ قال: أريد أن تخلصني منه، فتأمر الريح حتى تحملني إلى أقصى الهند، ففعلت الريح ذلك، ثم قال سليمان)** عليه السلام (**لملك الموت بعد أن أتاه ثانياً: رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائي. قال: نعم كنت أتعجب منه لأني كنت أمرت أن**

أتعجب منه لأني كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك!

أقبضه بأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك) رواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن خيثمة فذكره.

فصل

قال المصنف في الدرة الفاخرة في حال المحتضر: وتزور عيناه. قال السيوطي، قال ابن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن عبد الملك، عن عبد الله بن الجراح الخراساني، عن جرير، وعن حصين قال: بلغني أن ملك الموت إذا غمز وريد الانسان حينئذ يشخص بصره ويذهل عن الناس، وروى الدينوري في المجالسة عن سَفيان الثوري قال: إن ملك الموت إذا غمز وتين العبد انقطعت معرفته وانقطع كلامه ونسي الدنيا وما كان فيها، فلولا أنه يسقى من سكرات الموت لضرب من حوله بالسيف لشدة ما يعالج.

وقال المصنف أيضاً: فمنهم من يطعنه الملك بحربة. قال القرطبي: لم أر لهذه الحربة ذكراً في الآثار إلا في أثر عن معاذ انتهى.

قال السيوطي في الأمالي، وبالإسناد إلى أبي نعيم قال: حدثنا أحمد بن عبيد الله بن محمد، حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل قال: إن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب فإذا انقضى أجل عبد من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال: الآن يزار بك عسكر الأموات. قال السيوطي: هذا موقوف في معنى المرفوع لأن مثله لا يقال بالرأي. وقال في شرح الصدور روى ابن عساكر من طريق جرير عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً «إن لملك الموت حربة مسمومة طرف لها بالمشرق وطرف لها بالمغرب يقطع بها عرق الحياة». قال ابن عساكر رفعه منكر. قال السيوطي: وعلى هذه الرواية اعتمد الغزالي في الدرة الفاخرة ولم يقف عليها القرطبي، فقال: لم أجد لهذه الحربة ذكراً إلا في أثر معاذ اهـ.

وقال المصنف أيضاً: وعند استقرار النفس في التراقي تعرض عليه الفتن. قال السيوطي: وشاهده مرسل عطاء بن يسار، وأقرب ما يكون عدوّا لله منه تلك الساعة، رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده، وعند ابن أبي الدنيا من حديث أبي الحسين البرجي: وأن إبليس عدوّ الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الأحباء وعند أبي نعيم في الحلية من حديث واثلة بن الأسقع: وأن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع، وقد تقدم كل ذلك. قال: وما ذكره المصنف من أن جبريل يأتيه فيطرد عنه الشياطين ويقول: يا فلان الخ لم أره هكذا، لكن ورد في أثر أن ملك الموت يطردهم ويلقنه الشهادة وفي حديث أن جبريل يحضر الميت على طهارة، أما الأوّل فروى ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد بلغني أنه إنما يتصفحهم ملك

الموت عند مواقيت الصلاة، فإذا نظر عند الموت إن كان ممن يحافظ على الصلوات دنا منه الملك وطرد عنه الشيطان، ولقنه الملك لا إله إلا الله محمد رسول الله في ذلك الحال العظيم،وهو حديث معضل. وأما الثاني: ففي المعجم الكبير من حديث ميمونة بنت سعد قالت: قلت يا رسول الله هل يرقد الجنب؟ قال: « ما أحب ان يرقد حتى يتوضأ فإني أخشى أن يتوفى فلا يحضره جبريل. قال: ومن الناس من إذا بلغت نفسه الحلقوم كشف له عن أهله شاهد. ما رواه أبو نعيم من طريق ابن المبارك، عن ليث عن مجاهد قال: ما من ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه إن كان من أهل الذكر، فمن أهل الذكر، وإن كان من أهل اللهو فمن أهل اللهو. ورواه أيضاً بن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين، والبيهقي في الشعب، ورواه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد عن يزيد بن شجرة وهو صحابي قال: ما من ميت يموت حتى يمثل له جلساؤه عند موته إن كانوا أهل لهو فأهل لهو وإن كانوا أهل ذكر فأهل ذكر، وروى البيهقي في الشعب عن الربيع بن بزة وكان عابداً بالبصرة. قال: أدركت الناس بالشام، وقيل لرجل: قل لا إله إلا الله. فقال: اشرب واسقني، وقيل لرجل بالأهواز: يا فلان قل لا إله إلا الله فجعل يقول ده يا زده ده دوا زده، وقيل لرجل ههنا بالبصرة: يا فلان قل لا إله إلا الله فجعل يقول:

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت ... كيف الطريق إلى حمام منجاب

قال أبو بكر، هذا رجل استدلته امرأة إلى الحمام فدلها إلى منزله، فقاله عند الموت. وروى ابن أبي الدنيا عن جعفر بن محمد بن علي قال: ليس من ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة، فيشخص إلى حسناته ويطرق من سيئاته. وروي عن الحسن في قوله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ [القيامة: ١٣] قال: ينزل عند الموت حفظته فتعرض عليه الخير والشر فإذا رأى حسنة بهش واشرق وإذا رأى سيئة غض وقطب. وروي عن حنظلة بن الأسود قال: مات مولى لي فجعل يغطي وجهه مرة ويكشفه أخرى، فذكرت ذلك لمجاهد فقال: بلغنا أن نفس المؤمن لا تخرج حتى يعرض عليه عمله خيره وشره.

الباب الرابع في وفاة رسول الله ﷺ
والخلفاء الراشدين من بعده

وفاة رسول الله ﷺ :

اعلم أن في رسول الله ﷺ إسوة حسنة ـ حياً وميتاً وفعلاً وقولاً ـ وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين، إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه، وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته؟ لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام، فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها، وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان، وخيرات حسـان، بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن،

الباب الرابع

في وفاة رسول الله ﷺ
(و) وفاة (الخلفاء الراشدين من بعده) رضي الله عنهم:

(**اعلم**) هداك الله تعالى بتأييده وأوصلنا وإياك إلى مقام توفيقه وتسديده أن هذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الأجفان ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان، ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان اعلم (**أن في رسول الله ﷺ إسوة حسنة**) الأسوة بالكسر وبالضم القدوة (**حياً وميتاً وفعلاً وقولاً**) يجب التأسي به في جميع الأحوال. قال أبو الجوزاء: كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاءه أخوة تصافحه وتقول له: يا عبد الله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، (**وجميع أحواله**) ﷺ (**عبرة للناظرين**) المتأملين (**وتبصرة للمستبصرين إذ لم يكن أحد**) من المخلوقات (**أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه**) وقد شهدت بذلك الآيات والأخبار الصحيحة، (**فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء موته وهل أخره لحظة بعد حصول منيته، لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام**) وهم ملك الموت مع الأعوان ـ كما تقدمت الإشارة لذلك ـ (**فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر**) المطهر (**إلى رحمة ورضوان وخيرات حسان، بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن، فاشتد**

فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر أنينه، وترادف قلقه وارتفع حنينه، وتغير لونه وعرق جبينه، واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه، حتى بكى لمصرعه من حضره، وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره، فهل رأيت منصب النبوّة دافعاً عنه مقدوراً؟ وهل راقب الملك فيه أهلاً وعشيراً؟ وهل سامحه إذ كان للحق نصيراً وللخلق بشيراً ونذيراً؟ هيهات! بل امتثل ما كان به مأموراً واتبع ما وجده في اللوح مسطوراً. فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود، والحوض المورود، وهو أول من تنشق عنه الأرض، وهو صاحب الشفاعة يوم العرض، فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات! وقرناء المعاصي والسيئات! فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين، لعلنا نظن أننا مخلدون، أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون، هيهات! هيهات! بل نتيقن أنا جميعاً على النار

مع ذلك في النزع كربه) وهو ما كان يجده ﷺ من شدة الموت لأنه كان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر **(وظهر أنينه، وترادف قلقه وارتفع حنينه، وتغير لونه وعرق جبينه، واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه، حتى بكى لمصرعه من حضره)** من الرجال والنساء، **(وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره، فهل رأيت منصب النبوّة دافعاً عنه مقدوراً؟ وهل راقب الملك فيه أهلاً وعشيراً؟ وهل سامحه إذ كان للحق نصيراً وللخلق بشيراً ونذيراً؟ هيهات: بل امتثل ما كان به مأموراً واتبع ما وجده في اللوح مسطوراً. فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود)** الذي يحمده الأوّلون والآخرون، **(والحوض المورود)** كما وردت بذلك الاخبار وسيأتي ذكرها، **(وهو أوّل من تنشق الأرض عنه)**. رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب ولفظه: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض فاكسى الحلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري» وروى ابن أبي شيبة والطبراني من حديث ابن عباس: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر» وهو صاحب الشفاعة يوم العرض، روى أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد: «أنا أوّل شافع وأوّل مشفع ولا فخر» وروى مسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأوّل من ينشق عنه القبر وأول شافع وأوّل مشفع». وروى الطبراني من حديث جابر: «فإذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد معي وكنت إمام المرسلين وصاحب شفاعتهم».

(فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات! وقرناء المعاصي والسيئات! فما بالنا لا نتعظ بمصرع) سيدنا **(محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين)** ﷺ، **(لعلنا نظن أننا مخلدون)** في الدنيا، **(أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون، هيهات! هيهات! بل نتيقن أنا جميعاً على النار واردون ثم لا**

واردون ثم لا ينجو منها إلا المتقون، فنحن للورود مستيقنون، وللصدور عنها متوهمون، لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين، فما نحن والله من المتقين، وقد قال الله رب العالمين: ﴿وَإِن مِنْكُمْ إلاّ واردها كان على ربِّك حتماً مقضياً ★ ثمّ ننجي الَّذِينَ اتَّقوا ونذرُ الظالمينَ فيهَا جثيّاً﴾ [مريم : ٧١ ، ٧٢] فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين؟ فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى

ينجو منها إلا المتقون، فنحن للورود متيقنون، وللصدور عنها متوهمون). روى ابن المبارك وأحمد كلاهما في الزهد، وابن عساكر عن بكر بن عبد الله المزني قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى، فجاءت المرأة فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عبرتهم قال: يا أهلاه فما الذي أبكاكم؟ قالوا: لا ندري ولكن قد رأيناك بكيت فبكينا. قال: أنزلت على رسول الله ﷺ آية ينبئني فيها ربي تبارك وتعالى أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها فذلك الذي أبكاني. وروى أبو نعيم في الحلية عن عروة بن الزبير قال: لما أراد ابن رواحة الخروج إلى أرض مؤتة من الشام أتاه المسلمون يودعونه فبكى فقال: والله ما بي حب الدنيا ولا ضنانة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقد علمت أني وارد النار ولا أدري كيف الصدر بعد الورود. وروى ابن المبارك وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأحمد وهناد معاً في الزهد، وعبد بن حميد والحاكم والبيهقي في البعث عن قيس بن أبي حازم قال: بكى عبد الله بن رواحة فقالت امرأته: ما يبكيك؟ قال: إني أنبئت إني وارد النار ولم أنبأ أني صادر. وروى ابن أبي شيبة عن الحسن قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يقول الرجل لصاحبه: هل أتاك أنك وارد؟ فيقول: نعم. فيقول: هل أتاك أنك خارج؟ فيقول: لا. فيقول: ففيم الضحك إذاً؟ وروى ابن المبارك وهناد عن أبي ميسرة أنه أوى إلى فراشه فقال: يا ليت أمي لم تلدني، فقالت امرأته: يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك هداك إلى الإسلام، فقال: أجل ولكن الله قد بيّن لنا أنا واردون النار ولم يبين أنا صادرون عنها. وروى ابن المبارك عن الحسن قال، قال رجل لأخيه: يا أخي هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك؟ فما رؤي ضاحكاً حتى مات.

(**لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين، فما نحن والله من المتقين، وقد قال الله رب العالمين ﴿وإن منكم إلا واردها﴾**) أي داخلها كما قاله ابن عباس وابن مسعود، وروى ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها. ﴿**كان على ربك حتماً مقضياً**﴾ أي قسماً واجباً. ﴿**ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً**﴾ أي على ركبهم ولا يجلس الرجل جاثياً إلا عند كرب نزل به. (**فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين. فانظر إلى نفسك**

سيرة السلف الصالحين، فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين. ثم انظر إلى سيد المرسلين فإنه كان من أمره على يقين، إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين، واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا، وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى. قال ابن مسعود رضي الله عنه: دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق، فنظر إلينا فدمعت عيناه ﷺ ثم قال: « مرحباً بكم حياكم الله، آواكم الله، نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله، وأوصي بكم الله، إني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده، وعباده وقد دنا الأجل، والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأوفى، فاقرأوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله ».

بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين، فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين. ثم انظر إلى سيد المرسلين) ﷺ (فإنه كان من أمره على يقين، إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين، واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا! وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى)، لما أن الموت مكروه بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة، ولذا لم يمت نبي من الأنبياء حتى يخير، وأوّل ما أعلم النبي ﷺ من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فإن المراد من هذه السورة أنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجاً، فقد قرب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحية والاستغفار، فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ، وما عندنا خير لك من الدنيا فاستعد للنقلة إلينا، وقد قيل: إن هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو ﷺ بمنى في حجة الوداع، وقيل عاش بعدها إحدى وثمانين يوماً. وعند ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها تسع ليال، وعن مقاتل سبعاً، وعن بعضهم ثلاثاً، ولأبي يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع. وروى الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه السورة نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه فأخذ بأشد ما كان قط اجتهاداً في أمر الآخرة، وما زال ﷺ يعرض باقتراب أجله في آخره فإنه لما خطب في حجة الوداع قال للناس: « خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا » وطفق يودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع.

(قال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق، فنظر إلينا فدمعت عيناه ﷺ ثم قال: « مرحبا بكم حياكم الله، أواكم الله، نصركم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي بكم الله، إني لكم منه نذير مبين، أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى والكأس الأوفى، فاقرأوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله »)**. قال العراقي: رواه البزار وقال: هذا الكلام قد روي عن مرة عن عبد الله من غير

وروي أنه ﷺ قال لجبريل عليه السلام عند موته: « من لأمتي بعدي؟ » فأوحى الله تعالى إلى جبريل: أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته. فقال: « الآن قرت عيني » وقال عائشة رضي الله عنها: أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار، ففعلنا ذلك فوجد راحة، فخرج فصلى بالناس واستغفر

وجه وأسانيدها متقاربة. قال: وعبد الرحمن بن الأصبهاني لم يسمع هذا من مُرة وإنما هو عمن أخبره عن مرة قال: ولا أعلم أحداً رواه عن عبد الله غير مُرة.

قلت: وروي من غير ما وجه. رواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن عون عن ابن مسعود، ورويناه في مشيخة القاضي أبي بكر الانصاري من رواية الحسن العرني عن ابن مسعود، ولكنهما منقطعان وضعيفان، والحسن العرني إنما يرويه عن مرة كما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الاوسط اهـ.

قلت: أورده الواحدي في التفسير بسنده إلى ابن مسعود قال: نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة فقال: « حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله، أوصيكم بتقوى الله واستخلف الله عليكم، وأحذركم الله إني لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده، فإنه قال لي ﴿ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ وقال: ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ » الحديث بطوله. وسيأتي قريباً. رواه ابن منيع في مسنده بلفظ « أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم واستخلفه عليكم وأودعكم إليه وإني أشهدكم أني لكم نذير مبين » والباقي سواء.

(وروي أنه ﷺ قال لجبريل) عليه السلام **(عند موته: « من لأمتي بعدي » فاوحى الله تعالى إلى جبريل)** عليه السلام: **(أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته، وبشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض)** أي من قبره **(إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته. فقال)** ﷺ: **(« الآن قرت عيني »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس من حديث طويل فيه « من لأمتي المصطفاة من بعدي ». قال: ابشر يا حبيب الله فإن الله عز وجل يقول: قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك. قال: « الآن طابت نفسي » واسناده ضعيف اهـ.

قلت: فيه عبد المنعم بن إدريس بن سفيان عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر وابن عباس، وعبد المنعم وأبوه ضعيفان والحديث طويل جداً في ورقتين كبار سيأتي ذكره قريباً.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسله بسبع قرب من سبعة

لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال: «أما بعد؛ يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم، وإن الأنصار عيبتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم - يعني محسنهم - وتجاوزوا عن مسيئهم» ثم قال: «إن عبداً خير بين الدنيا وبين ما عند الله فأختار ما عند الله» فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه، فقال النبي ﷺ: «على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم امرءاً أفضل عندي في الصحبة من أبي

آبار ففعلنا ذلك، فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال: «أما بعد يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم، وإن الأنصار عيبتي التي أويت إليها) أي موضع سري **(فاكرموا كريمهم - يعني محسنهم - وتجاوزوا عن مسيئهم» ثم قال: «إن عبداً خيّر بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله» فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه)** أي لما فهم الرمز الذي أشار به النبي ﷺ من قرينة ذكره ذلك في مرض موته فاستشعر منه أنه أراد نفسه فلذلك بكى، **(فقال النبي ﷺ: «على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم أمرءاً أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر»)** قال العراقي: رواه الدارمي في مسنده وفيه إبراهيم بن المختار مختلف فيه عن محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة اهـ.

قلت: يعني بذلك أنه بهذا السياق وإلا ففي عدة مواضع من الصحيح للبخاري من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «صبوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي استريح فأعهد إلى الناس» قالت عائشة: فأجلسناه في مخضب لحفصة من نحاس وسكبنا عليه الماء حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن ثم خرج، وهو عند النسائي في سننه الكبرى من رواية عروة عن عائشة. ورواه أحمد عن محمد بن يحيى بن عبد الله، عن عبد الرزاق، عن معمر عن الزهري عن عروة. ورواه أيضاً عن معاوية بن صالح عن يحيى بن معين عن هشام بن يوسف عن معمر قال: قال الزهري فذكره. وفي بعض سياقات البخاري بعد قوله: ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم، وفي لفظ للبخاري والنسائي «اهريقوا علي» بدل «صبوا».

وروى صاحب كتاب المتفجعين هذا الحديث فقال: حدثنا سليمان بن سيف أبو داود الحراني الحافظ، حدثنا أبو عمرو سعيد بن بزيع قال: حدثنا ابن إسحاق قال: حدثني يعقوب بن عتبة، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول: وارأساه فساق الحديث. وفيه ثم اشتد وجعه فقال: «اهريقوا علي سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فاعهد إليهم» فاقعدناه في مخضب لحفصة بنت

....

عمر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول بيده: « حسبكم حسبكم » قال الزهري: وحدثني أيوب بن بشير أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر فأول ما تكلم به أن صلّى على أصحاب أحد واستغفر لهم فأكثر ثم قال: « إن عبداً من عباد الله عز وجل خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده » ففهمها أبو بكر رضي الله عنه وعرف أن نفسه يريد فبكى وقال: نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا. فقال: « على رسلك يا أبا بكر انظروا هذه الأبواب الشارعة في المسجد فسدّوها إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم أحداً كان أفضل عندي في الصحبة منه ». ورواه الدارمي مثله، وأبو داود الحراني حافظ ثقة، وسعيد بن بزيع ما عرفت أحداً تكلم فيه، وقد صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث.

. وروى أحمد والشيخان من حديث عقبة بن عامر قال: صلّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمان كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: « إني بين أيديكم فرط وإني عليكم شهيد وان موعدكم الحوض وإني لانظر إليه وأنا في مقامي هذا وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها ».

وروى مالك والشيخان والترمذي من حديث أبي سعيد أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: « إن عبداً خيّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده » فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فعجبنا وقال الناس انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال النبي ﷺ: « إن آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن اخوّة الإسلام لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر ». رواه الطبراني من حديث معاوية. ورواه أحمد من حديث مويهبة « أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة ». وعن عبد الرزاق من مرسل طاوس مرفوع: « خيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل » ورواه ابني السني في عمل يوم وليلة من حديث أبي المعلى بلفظ: « إن عبداً خيّره الله بين أن يعيش في الدنيا ما شاء أن يعيش فيها يأكل ما شاء أن يأكل منها وبين لقائه »:

تنبيه:

هذا الاغتسال لم يكن سببه إغماء كما ظنه بعضهم، وإنما كان مقصوده النشاط والقوّة، وقد صرح بذلك في قوله « لعلي استريح » وقوله في رواية الدارمي « من سبع آبار شتى » أي متفرقة، وهذه زيادة على رواية البخاري وغيره، فيحتمل انها معينة ويحتمل أنها غير معينة، وإنما يراد تفرقها خاصة، فعلى الأوّل في تلك الآبار المعينة خصوصية ليست في غيرها، وعلى الثاني الخصوصية في

بكر » ، قالت عائشة رضي الله عنها : فقبض ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت له : آخذه لك ، فأومأ برأسه أي : نعم ، فناولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت : ألينه لك ؟ فأومأ برأسه أي نعم ، فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول : « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات » ثم نصب يده يقول : « الرفيق الأعلى ... الرفيق الأعلى » فقلت : إذاً والله لا يختارنا .

تفرقها والله أعلم . وقد تقدم للمصنف في آخر كتاب الحج ذكر الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويشرب من مائها ويغتسل وهي سبعة : بئر أريس وبئر حاو وبئر دومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو بئر جمل ، وفي السابعة تردد وقد تقدم الكلام عليها . وروى ابن ماجه في السنن من حديث علي باسناد جيد « إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس » .

(قالت عائشة) رضي الله عنها : **(فقبض ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري ، وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت ، فدخل علي أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أي نعم ، فناولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت : ألينه لك ، فأومأ برأسه أي نعم ، فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول : « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات » ثم نصب يده يقول « الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى »)** قال العراقي : متفق عليه .

قلت : في رواية للبخاري : إن من نعم الله علي أن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته ، ودخل علي عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ ، فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت : آخذه لك ، فأشار برأسه أن نعم ، وفي رواية له : مرّ عبد الرحمن وبيده جريدة رطبة فنظر إليه رسول الله ﷺ فظننت أنه له بها حاجة ، فأخذتها فمضغت رأسها ونفضتها ودفعتها إليه فاستن بها أحسن ما كان مستناً ، ثم ناولنيها فسقطت يده أو سقطت من يده ، فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة . وفي رواية له : دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري ، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فأمد رسول الله ﷺ بصره فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به فما رأيته استن استناناً قط أحسن منه . وفي حديث خرجه العقيلي أنه ﷺ قال لها في مرضه « ائتيني بسواك رطب فامضغيه ثم ائتيني به أمضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهوّن علي عند الموت » . وروى البخاري أيضاً من حديثها أنه ﷺ كان بين يديه علبة أو ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول : « لا إله إلا الله إن للموت سكرات » وقد تقدم ذلك .

وقال صاحب كتاب المتفجعين : حدثنا سليمان بن سيف ، حدثنا سعيد بن بزيع عن ابن إسحاق

وروى سعيد بن عبدالله عن أبيه قال: لما رأت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد، فدخل العباس رضي الله عنه على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه

قال، قال الزهري: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما أسمعه يقول: « إن الله لم يقبض نبياً حتى يخير » فلما حضر ﷺ كان آخر كلمة سمعتها منه « بل الرفيق الأعلى من الجنة » قلت: إذاً لا يختارنا وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: « إن الانبياء لا تقبض حتى تخير ».

قال: وحدثنا عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، ومحمد بن علي بن ميمون قالا: حدثنا القعنبي، عن مالك، عن هشام بن عروة، وعن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ قبل ان يموت وهو مستند إلى صدرها يقول: « اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى » وروى أحمد من حديث عائشة: كان ﷺ يقول: « ما من نبي تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد إليه نفسه فيخير بين أن ترد إليه أو يلحق » فكنت قد حفظت فإني لمسندته إلى صدري فنظرت إليه حتى مال عنقه فقلت: قضى فعرفت الذي قال، فنظرت إليه حتى ارتفع ونظر فقلت: إذاً والله لا يختارنا. فقال « مع الرفيق الأعلى في الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ». وروى البخاري من حديثها أنه ﷺ لما حضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: « اللهم الرفيق الأعلى » وفي لفظ « اللهم أسألك أو أسأل الله الرفيق الأعلى مع الاسعد جبريل وميكائيل وإسرافيل » رواه النسائي من حديث أبي موسى وصححه ابن حبان. قال ابن حجر في شرح الشمائل: ظاهره أن الرفيق مكان يوافق فيه المذكورين، وفي النهاية هو جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين، وقيل: هو الله تعالى لأنه تعالى رفيق بعباده، وقيل حظيرة القدس، وختم كلامه بهذه الكلمة لتضمنها التوحيد والذكر بالقلب وإشارة إلى أن من منع لسانه مانع من الذكر وقلبه مشغول به لم يضره ذلك أشار إليه السهيلي في الروض الأنف.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا علي بن عثمان الفضيلي، حدثنا أبو علي المخارق بن ميسرة، حدثنا عثمان، حدثنا حسين بن واقد، عن أبي الزبير عن جابر قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ على فرس أبلق عليه قطيفة من استبرق فقال: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته جزاك الله من رسول ونبي خيراً، فقد بلغت الرسالة ونصحت للأمة وجاهدت في السبيل وقضيت الذي عليك، فهذه مفاتيح الدنيا قد أتيتك بها لك بما صنعت ولك الجنة بعد الموت أو اللحوق بالله عز وجل. قال: « لا بل اللحوق بالله ».

(**وروى سعيد بن عبدالله عن أبيه**) عبدالله بن ضراو بن الأزور (**قال: لما رأت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد، فدخل العباس رضي الله عنه على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم، ثم دخل عليه الفضل**) بن العباس (**فأعلمه بمثل ذلك، ثم**

بمثله، فمد يده وقال: « ها » فتناولوه، فقال: « ما تقولون » قالوا: نقول: نخشى أن تموت، وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ، فثار رسول الله ﷺ فخرج متوكئاً على علي والفضل والعباس أمامه، ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر، وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون علي الموت كأنه استنكار منكم للموت، وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنعي إليكم أنفسكم؟ هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون به وإني أوصيكم بالمهاجرين الأوّلين خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم، فإن الله عز وجل قال: ﴿والعصرِ ٭ إنَّ الإنسانَ لفي خُسرٍ ٭ إلا الّذين آمنُوا﴾ [العصر] ـ إلى آخرها ـ وإن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه: ﴿فهَل عسيتُم إن توليتُم أنْ تفسِدُوا في الأرض وتُقَطعوا أرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسكم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فيقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم ألا واني فرط لكم وأنتم لاحقون

دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثله فمد يده وقال: « ها » فتناولوه فقال: « ما يقولون » . قالوا: يقولون نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ، فثار رسول لله ﷺ فخرج متوكئاً على علي والفضل والعباس أمامه ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ،وثاب الناس إليه) أي اجتمعوا (فحمد الله وأثنى عليه وقال: « أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون علي الموت كأنه استنكار منكم للموت، وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنع إليكم أنفسكم؟ هل خلّد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون به، وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم، فإن الله عز وجل قال: ﴿والعصر ٭ إن الإنسان لفي خسر ٭ إلا الذين آمنوا﴾ إلى آخرها، وإن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم. ألم يشاطروكم الثمار، ألم يوسعوا عليكم في الديار، ألم يؤثروكم على أنفسكم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز

بي» ألا وإن موعدكم الحوض، حوضي، أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن، يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضاً من اللبن وألين من الزبد، وأحلى من الشهد، من شرب منه لم يظمأ أبداً، حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك، من حرمه في الموقف غداً حرم الخير كله، ألا فمن أحب أن يرده علي غداً فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغي. فقال العباس: يا نبي الله أوصِ بقريش! فقال: فما أوصي بهذا الأمر قريشاً والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم، فاستوصوا آل قريش بالناس خيراً، يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم، فإذا بر الناس برهم أئمتهم، وإذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى: ﴿وكَذلِك نولي بعضَ الظَّالمين بعضاً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا واني فرط لكم وأنتم لاحقون بي، ألا وان موعدكم الحوض حوضي أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضاً من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد، من شرب منه لم يظمأ أبداً، حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من مسك، من حرمه في الموقف غداً حرم الخير كله، ألا فمن أحب أن يرده علي غداً فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغي» فقال العباس) رضي الله عنه: **(يا نبي الله أوص بقريش. فقال: «إنما أوصي بهذا الأمر قريشاً والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم، فاستوصوا آل قريش بالناس خيراً. يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم، فإذا بر الناس برهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقوهم. قال الله تعالى: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾)** قال العراقي: هو مرسل ضعيف وفيه نكارة ولم أجد له أصلاً، وأبو عبدالله بن ضرار بن الأزور تابعي روى عن ابن مسعود. قال أبو حاتم: فيه وفي ابنه سعيد ليس بالقوي اهـ.

قلت: أسنده سيف بن عمر في كتاب الفتوح هكذا، وأورده الفاكهاني في الفجر المنير من طريقه. قال الذهبي: سعيد بن عبدالله بن ضرار عن أنس. قال أبو حاتم: ليس بقوي وعبدالله بن ضرار عن أبيه وغيره. قال يحي: لا يكتب حديثه. وروى البخاري من حديث أنس: مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقالا: ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل أحدهما على النبي ﷺ فأخبره بذلك، فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» رواه عن أحمد ومسلم وأبو عوانة من حديث جابر «ألا إني فرط لكم على الحوض وإن بعد ما بين طرفيه مثل ما بين صنعاء وإيلة كأن الأباريق فيه النجوم». وروى ابن أبي شيبة وابن جرير من حديث أبي هريرة «الناس تبع لقريش في هذا الأمر فخيارهم تبع لخيارهم وشرارهم تبع

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: « سل يا أبا بكر » فقال: يا رسول الله دنا الأجل؟ فقال: « قد دنا الأجل وتدلى » فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله! فليت شعري عن منقلبنا، فقال: « إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنا » فقال: يا نبي الله من يلي غسلك؟ قال: « رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى » قال: ففيم نكفنك؟ فقال: « في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر » فقال: كيف الصلاة عليك منا؟ وبكينا. وبكى ثم قال: « مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً، إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري، ثم أخرجوا عني ساعة، فإن أوّل من يصلي علي الله عز وجل ﴿هُو الَّذي يُصلي عَلَيكُم وَمَلائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي، فأوّل من يدخل علي من خلق الله ويصلي عليّ جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة، ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين، ثم أنتم فادخلوا علي أفواجاً فصلوا علي أفواجاً زمرة زمرة وسلموا تسليماً، ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة ولبيدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى، ثم زمر النساء ثم زمرة الصبيان »، قال: فمن يدخلك القبر؟ قال: « زمر من

لشرارهم ». وروى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عوف « أوصيكم بالمهاجرين السابقين الأولين وبأبنائهم ألا تفعلوا لا يقبل الله منكم صرفاً ولا عدلاً ».

(وروى ابن مسعود) رضي الله عنه (أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: « سل يا أبا بكر » فقال: يا رسول الله دنا الأجل. فقال: « قد دنا الأجل وتدلى ») وهو عبارة عن غاية القرب. (فقال: ليهنك يا نبي الله ما عند الله. فليت شعري عن منقلبنا. فقال: « إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش الهنا » فقال يا نبي الله: من يلي غسلك؟ قال: « رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى » قال: ففيم نكفنك؟ فقال: « في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر » فقال: كيف الصلاة عليك منا؟ وبكينا وبكى، ثم قال: « مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم أخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته، ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي فأول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها، ثم أنتم فادخلوا علي أفواجاً فصلوا علي أفواجاً زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة، وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى، ثم زمر النساء، ثم زمر الصبيان ».

أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدّوا عني إلى من بعدي».

وقال عبدالله بن زمعة جاء بلال في أوّل ربيع الأوّل فأذن بالصلاة فقال رسول الله

قال: فمن يدخلك القبر؟ قال: «زمر من أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عني إلى من بعدي») قال العراقي: رواه ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر هو الواقدي بإسناد ضعيف إلى ابن عون عن ابن مسعود وهو مرسل ضعيف كما تقدم اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الدعاء والواحدي في التفسير بسند واه جداً إلى ابن مسعود بلفظ: نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة، فقال: «حياكم الله بالسلام» الحديث. وقد ذكر قريباً وفيه: قلنا يا رسول الله متى أجلك؟ قال: «دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى». قلنا: يا رسول الله من يغسلك؟ قال: «رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى» قلنا: يا رسول الله فيم نكفنك؟ قال: «في ثيابي هذه وإن شئتم في ثياب مصر أو حلة يمنية» قلنا: يا رسول الله من يصلي عليك؟ قال: «إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنوده من الملائكة، ثم ادخلوا علي أفواجاً فصلوا وسلموا تسليماً وليبدأ بالصلاة علي رجال من أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم، واقرأوا السلام على من غاب من أصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة». قلنا: يا رسول الله من يدخلك قبرك؟ قال: «أهلي مع ملائكة ربي». ورواه الطبراني أيضاً في الكبير من حديث وهب بن منبه عن جابر وابن عباس في حديث طويل سيأتي ذكره بعد ذلك وفيه فقال علي: يا رسول الله إذا أنت قبضت فمن يغسلك وفيما نكفنك ومن يصلي عليك ومن يدخلك القبر؟ فقال: «يا علي أما الغسل فاغسلني أنت وابن عباس يصب عليك الماء وجبريل ثالثكما، فإذا أنتم فرغتم من غسلي فكفنوني في ثلاثة أثواب جدد وجبريل يأتيني بحنوط من الجنة، فإذا أنتم وضعتموني على السرير فضعوني في المسجد واخرجوا عني، فإن أول من يصلي علي الرب عز وجل من فوق عرشه، ثم جبريل، ثم ميكائيل، ثم اسرافيل، ثم الملائكة زمراً زمراً، ثم ادخلوا فقوموا صفوفاً صفوفاً لا يتقدم علي أحد» الحديث. ورواه أيضاً أبو يعلى في مسنده مختصراً وسيأتي ما يتعلق بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه في آخر هذا الباب.

(وقال عبدالله بن زمعة) بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي القرشي الأسدي ابن أخت أم سلمة زوج النبي ﷺ واسم أمه قريبة بنت أبي أمية. قال عياض في المشارق: زمعة بسكون الميم وضبطناه عن ابن بحر بفتح الميم حيث وقع وكلاهما يقال. قال الحافظ في الفتح: ووقع في الكاشف للذهبي أنه أخو سودة أم المؤمنين وهو وهم يظهر صوابه من سياق نسبها. قال البغوي:

ﷺ : « مروا أبا بكر يصلي بالناس » . فخرجت فلم أرَ بحضرة الباب إلا عمر في رجال ليس فيهم أبو بكر ، فقلت قم يا عمر فصلِّ بالناس ، فقام عمر فلما كبر وكان رجلاً صيتاً سمع رسول الله ﷺ صوته بالتكبير فقال : « أيـن أبـو بكـر ؟ يـأبـى الله ذلـك والمسلمون » قالها ثلاث مرات ، « مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس » ، فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام في مقامك غلبه البكاء ! فقال : « إنكن صويحبات يوسف مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس » . قال : فصلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر ، فكان عمر يقول لعبدالله بن زمعة ـ بعد ذلك ـ ويحك ماذا صنعت بي ! والله لولا أني ظننت أن رسول الله ﷺ أمرك ما فعلت . فيقول عبدالله : إني

كان يسكن المدينة وله أحاديث ويقال إنه كان يأذن على النبي ﷺ ، قتل يوم الدار سنة خمس وثلاثين، وبه جزم أبو حسان الزيادي، روى له الجماعة : (**جاء بلال**) رضي الله عنه (**في أول** شهر (**ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال رسول الله ﷺ « مروا أبا بكر يصلي بالناس»**) أي يؤمهم قال: (**فلم أر بحضرة الباب إلا عمر**) بن الخطاب رضي الله عنه (**في رجال ليس فيهم أبو بكر**) رضي الله عنه ، (**فقلت: قم يا عمر فصل بالناس، فقام عمر**) واصطف الناس، (**فلما كبر**) للصلاة (**وكان رجلاً صيتاً**) أي جهير الصوت (**سمع رسول الله ﷺ صوته بالتكبير**) لقرب الحجرة من المسجد ، (**فقال « أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون ـ قالها ثلاث مرات ـ مروا أبا بكر فليصل بالناس» فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق**) أي قلبه رقيق (**إذا قام مقامك غلبه البكاء**) أي يلاحظ من فقده ﷺ ومَا كان يجد من أنسه وأنواره، (**فقال: « إنكن صواحبات يوسف**) عليه السلام جمع صاحبة أي في إظهار خلاف ما في الباطنِ أي في التظاهر والتعاون على ما ترون وكثرة إلحاحكن على ما تملن إليه، وهذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي عائشة على أن في رواية البخاري أنها قالت لحفصة تقول ما قالت أي: فمر عمر فليصل بالناس فقالت ذلك ، فحينئذ قال ما قال وأقل الجمع اثنان: (**مروا أبا بكر فليصل بالناس»**) وفيه أنه لا يقدم للإمامة إلا أفضل القوم فقهاً وقراءة وورعاً وغيرها ، وفي تكرير أمره بتقديمه الدلالة الظاهرة عند من له أدنى رفق بل إيمان على أنه أحق الناس بخلافته، وقد وافق على ذلك علي وغيره من أهل البيت، ووجه الشبه بصواحبات يوسف أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك، وهي أن ينظرن حسن يوسف فيعذرنها في محبته، وعائشة رضي الله عنها أظهرت أن سبب محبتها صرف الإمامة عن أبيها وعدم استماعه القراءة ومرادها زيادة على ذلك في أن لا يتشاءم الناس به . (**قال**) الرواي (**فصلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر**) بالناس سبع عشرة صلاة كما نقله الدمياطي: (**فكان عمر يقول لعبدالله بن زمعة**) رضي الله عنهما (**بعد**) ذلك : (**ويحك ماذا صنعت بي والله لولا أني ظننت أن رسول الله ﷺ أمرك ما فعلت فيقول**

لم أرَ أحداً أولى بذلك منك ! قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذاك ولا صرفته عن أبي بكر إلا رغبة به عن الدنيا ، ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة إلا من سلم الله وخشيت أيضاً أن لا يكون الناس يحبون رجلاً صلى في مقام النبي ﷺ وهو حي أبداً إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به ، فإذاً الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه ، وعصمه الله من كل ما تخوّفت عليه من أمر الدنيا والدين .

عبدالله : إني لم أر أحداً أولى بذلك منك) . قال العراقي : رواه أبو داود بإسناد جيد مختصراً دون قوله فقالت عائشة : إن أبا بكر رجل رقيق الخ ولم يقل في أول ربيع الأول ، وقال : مروا من يصلي بالناس . وقال : يأبى الله ذلك والمؤمنون مرتين . وفي روايةله فقال : « لا لا لا ليصل بالناس ابن أبي قحافة » . يقول ذلك تغضباً وأما ما أخره من قول عائشة ففي الصحيح من حديثها فقالت عائشة : يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مكانك لم يسمع الناس من البكاء ، فقال : « إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس » انتهى .

قلت : رواه الشيخان واللفظ للبخاري : وفي روايته : إن أبا بكر رجل أسيف ، وفي حديث عروة عن عائشة عن البخاري : فمروا عمر فليصل بالناس . قالت ، قلت لحفصة : قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لا يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ، ففعلت حفصة . فقال رسول الله ﷺ : « مه إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس » فقالت حفصة لعائشة : ما كنت لأصيب منك خيراً . ولابن حبان من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث . قال عاصم : والأسيف الرقيق الرحيم .

(تنبيه) : في الحديث السابق « سدوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر » إشارة إلى أن أبا بكر هو الإمام بعده ، فإن الإمام يحتاج إلى سكن المسجد ، والإستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين ثم أكد هذا المعنى بأمره صريحاً أن يصلي بالناس أبو بكر فروجع في ذلك وهو يقول : « مروا أبا بكر أن يصلي بالناس » فولاه إمامة الصلاة ، ولذل قال الصحابة عند بيعة أبي بكر : رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا ترضاه لدنيانا ؟ .

(**قالت عائشة**) رضي الله عنها : (**وما قلت ذلك ولا صرفته عن أبي بكر إلا رغبة عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة إلا ما سلم الله وخشيت أيضاً أن لا يكون الناس يحبون رجلاً صلى في مقام النبي ﷺ وهو حي إلا أن يشاء الله يحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به ، فإذاً الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين**) . رواه البخاري بلفظ فقالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أنه يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ، ولا كنت أرى أنه لن يقوم واحد مقامه إلا تشاءم الناس به .

وقالت عائشة رضي الله عنها : فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ رأوا منه خفة في أول النهار ، فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين ، وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء ، فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك ، قال رسول الله ﷺ : « أخرجن عني! هذا الملك يستأذن علي » فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري فجلس وتنحيت في جانب البيت فناجى الملك طويلاً ، ثم أنه دعاني فأعاد رأسه في حجري وقال للنسوة : « أدخلن » فقلت : ما هذا بحس جبريل عليه السلام ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال : إن الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بإذن ، فإن لم تأذن لي أرجع وإن أذنت لي دخلت ، وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني فماذا أمرك ؟ فقلت : اكفف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام ، فهذه ساعة جبريل » قالت عائشة رضي الله عنها ؛ فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأي ، فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة مّا نحير إليه شيئاً وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاماً لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا ، قالت ، وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال : إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول ؛ كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك ، ولكن أراد

(**وقالت عائشة**) رضي الله عنها : (**فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ**) وهو يوم الإثنين (**رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء ، فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك. قال رسول الله ﷺ**) للنساء : (« **اخرجن عني! هذا الملك يستأذن علي** ») أي يطلب الإذن بالدخول علي (**فخرج من في البيت**) من النسوة (**غيري ورأسه في حجري فجلس**) مستعداً للقاء الملك ، (**وتنحيت في جانب البيت**) أي صرت في ناحية منه ، (**فناجى الملك طويلاً ثم أنه دعاني فأعاد رأسه في حجري ، وقال للنسوة « ادخلن » فقلت**) : يا رسول الله (**ما هذا بحس جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله ﷺ**) : « أجل يا عائشة (**هذا ملك الموت جاءني فقال : إن الله عز وجل أرسلني**) إليك (**وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بإذن فإن لم تأذن لي أرجع وإن أذنت لي دخلت . وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني ، فماذا أمرك ؟ فقلت : أكفف حتى يأتيني جبريل عليه السلام ، فهذه ساعة جبريل » قالت عائشة رضي الله عنها : فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ، ولا رأي فوجمنا**) أي اندهشنا (**وكأنما ضربنا بصاخة**) بتشديد الخاء وهي المصيبة الشديدة (**ما نحير إليه شيئاً**) أي ما نرجع ، (**في سعته فسلم فعرفت حسه ، وخرج أهل البيت فدخل فقال : إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول : كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً ، وأن**

أن يزيدك كرامة وشرفاً وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في أمتك فقال: « أجدني وجعاً » فقال: أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال: « يا جبريل إن ملك الموت استأذن علي » وأخبره الخبر فقال جبريل: يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذي يريد بك؟ لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبداً، إلا أن ربك يتم شرفك وهو إليك مشتاق، قال: « فلا تبرح إذاً حتى يجيء »، وأذن للنساء فقال: « يا فاطمة أدني » فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام، ثم قال: « أدني مني رأسك » فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام، فكان الذي رأينا منها عجباً، فسألتها بعد ذلك فقالت: أخبرني وقال: « إني ميت اليوم » فبكيت ثم قال: « إني دعوت الله أن يلحقك بي في أول أهلي وأن يجعلك معي » فضحكت، وأدنت ابنيها منه فشمهما. قالت: وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك: ما تأمرنا يا محمد؟ قال: ألحقني بربي الآن » فقال: بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج. قالت: وخرج جبريل فقال: السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض

يتم كرامتك وشرفك على الخلق، وأن تكون سنة في أمتك) أي إذا دخلوا على المريض فيقولون كذلك. (فقال: « أجدني وجعاً » قال: أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك. فقال « يا جبريل إن ملك الموت استأذن علي » وأخبره الخبر فقال جبريل: يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم أعلمك الذي يريد بك؟ لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبداً، إلا أن ربك يتم شرفك وهو إليك مشتاق. قال: « فلا تبرح إذاً حتى يجيء » وأذن للنساء) فدخلن وفيهن ابنته فاطمة رضي الله عنها (فقال: « يا فاطمة أدني ») أي أقربي مني (فأكبت عليه فناجاها) أي سارها بشيء (فرفعت رأسها وعيناها تذرفان) أي تسيلان دموعاً (وما تطيق الكلام) من شدة الحزن، (ثم قال: « أدني مني رأسك » فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام، وكان الذي رأينا منها عجباً) من البكاء والضحك في ساعة واحدة، (فسألناها بعد ذلك) أي بعد وفاته ﷺ (فقالت: أخبرني) أولاً (وقال: « إني ميت اليوم » فبكيت) حزناً على فراقه (ثم قال ثانياً: « إني دعوت الله) تعالى (أن يلحقك بي في أول أهلي وأن يجعلك معي » . فضحكت) فرحاً للحوقي به، (وأدنت ابنتها) هي أم كلثوم (منه فشمها) وبرك عليها (قالت: وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك: ما تأمرنا يا محمد؟ قال: « ألحقني بربي الآن » . فقال: بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينه عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج. قالت: وخرج جبريل فقال: السلام عليك يا

أبداً، طوي الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة غيرك، وما لي فيها حاجة إلا حضورك، ثم لزوم موقفي. لا والذي بعث محمداً بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله، لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا، قالت: فقمت إلى النبي ﷺ حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره، وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحاً ما رأيته من إنسان قط، فجعلت أسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال: « يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار »، فعند ذلك ارتعنا وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي، بعثه إلى أبي فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيء أحد، وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل، وجعل إذا أغمي عليه قال: « بل الرفيق الأعلى » كأن الخيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال: الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعاً » الصلاة الصلاة كان

رسول الله. هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبداً طوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت بي في الأرض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفي، ولا والذي بعث محمداً بالحق ما في البيت يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمة) أي يعيدها، (ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما نسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا. قالت: فقمت إلى النبي ﷺ حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره وجعل يغمى عليه) أي يعتريه الغشيان (حتى يغلب) لشدة ما يحصل له من فتور الأعضاء من تمام الحركة، وفيه جواز الإغماء على الأنبياء عليهم السلام. قال ابن حجر في شرح الشمائل: لكن قيده الشيخ أبو حامد من ائمتنا بغير الطويل، وجزم به البلقيني. قال السبكي: ليس كإغماء غيرهم لأنه إنما يستر حواسهم الظاهرة دون قلوبهم لأنها إذا عصمت من النوم الأخف فالإغماء أولى. (وجبهته ترشح رشحاً ما رأيته من إنسان قط فجعلت أسلت ذلك العرق) أي أزيله وأمسحه (وما وجدت رائحة شيء أطيب منه، فكنت أقول إذا أفاق) من غشيته (بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهتك من الرشح، فقال: يا عائشة إن نفس المؤمن) أي روحه (تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار) أي فالرشح من علامات الخير وقد تقدم. (فعند ذلك ارتعنا) أي خفنا (وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي) وهو عبد الرحمن بن أبي بكر (بعثه إلى أبي) لينظر الحال (فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيء أحد) من أهلي (وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل) عليهما السلام (وجعل) ﷺ (إذا أغمي عليه قال: « بل الرفيق الأعلى » كأن الخيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال: « الصلاة الصلاة) أي الزموها (إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعاً ») أي مع الجماعة. (الصلاة الصلاة كان

يوصي بها حتى مات وهو يقول: « الصلاة الصلاة ».

يوصي بها حتى مات وهو يقول: « الصلاة الصلاة قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف في حديث طويل فيه، فلما كان يوم الإثنين اشتد الأمر وأوحى الله إلى ملك الموت أن أهبط إلى حبيبي وصفيّي محمد ﷺ في أحسن صورة وأرفق به في قبض روحه، وفيه دخول الملك واستئذانه وقبضه فقال: يا ملك الموت أين خلفت حبيبي جبريل؟ قال: خلفته في سماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك، فما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقعد عند رأسه وذكر بشارة جبريل له مما أعدّ الله له، وفيه: أدن يا ملك الموت فانته إلى ما أمرت به الحديث. وفيه: قد دنا ملك الموت يعالج قبض رسول الله ﷺ وذكر كربه لذلك إلى أن قال: فقبض رسول الله ﷺ وهو حديث طويل في ورقتين كبار، وهو منكر فيه عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد: كان يكذب على وهب بن منبه وأبو إدريس أيضاً متروك قاله الدارقطني.

ورواه الطبراني أيضاً من حديث الحسين بن علي: إن جبريل جاءه أولاً فقال له عن ربه: كيف تجدك؟ ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء إسماعيل وأن جبريل دخل أولاً فسأله ثم استأذن ملك الموت. وقوله: امض لما أمرت به وهو منكر أيضاً فيه عبدالله بن ميمون القداح قال البخاري: ذاهب الحديث. ورواه أيضاً من حديث ابن عباس في مجيء ملك الموت أولاً واستئذانه. وقوله: إن ربك يقرئك السلام، فقال: أين جبريل؟ فقال: هو قريب مني الآن فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل الحديث. وفيه: المختار بن نافع منكر الحديث قاله البخاري وابن حبان اهـ.

قلت: وقد رواه أبو نعيم في الحلية عن الطبراني بطوله فقال: حدثنا سليمان بن أحمد وهو الطبراني، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا عبد المنعم بن إدريس بن سنان، عن أبيه، عن وهب، عن جابر بن عبدالله وابن عباس قالا: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إلى آخر السورة. قال محمد ﷺ: « يا جبريل نفسي قد نعيت » قال جبريل عليه السلام: الآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المهاجرون والأنصار إلى مسجد رسول الله ﷺ فصلى بالناس، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب وبكت منها العيون، ثم قال: « أيها الناس أي نبي كنت لكم؟ فقالوا: جزاك الله من نبي خيراً فلقد كنت كالأب وكالأخ الناصح المشفق، أديت رسالات الله عز وجل، وأبلغتنا وحيه ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فجزاك الله عنا أفضل ما جازى نبياً عن أمته. فقال لهم: « معاشر المسلمين أنا أنشدكم بالله وبحقي عليك من كانت له قبلي مظلمة فليقم فليقتصّ مني » فذكر حديثاً طويلاً فيه قيام عكاشة لطلب القصاص نحو ورقة كاملة وفيه: فمرض رسول الله ﷺ من يومه، فكان مريضاً ثمانية عشر يوماً يعوده الناس، وكان ﷺ ولد يوم الإثنين وبعث يوم الإثنين وقبض يوم الإثنين، فلما كان في يوم الأحد ثقل في

مرضه فأذن بلال بالأذان ثم وقف بالباب فنادى: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله الصلاة يرحمك الله، فسمع رسول الله ﷺ صوت بلال، فقالت فاطمة: يا بلال إن رسول الله ﷺ اليوم مشغول بنفسه، فدخل بلال المسجد فلما أسفر الصبح قال: والله لا أقيمها أو أستأذن سيدي رسول الله ﷺ فرجع وقام بالباب ونادى: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله الصلاة يرحمك الله، فسمع رسول الله ﷺ صوت بلال فقال: ادخل يا بلال ان رسول الله اليوم مشغول بنفسه مر أبا بكر يصلي بالناس. فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول: واغوثاه بالله وانقطاع رجائي وانقصام ظهري ليتني لم تلدني أمي إذ ولدتني لم أشهد من رسول الله ﷺ هذا اليوم، ثم قال: يا أبا بكر ألا إن رسول الله ﷺ أمرك أن تصلي بالناس، فتقدم أبو بكر الناس وكان رجلاً رقيقاً، فلما نظر إلى خلوة المكان من رسول الله ﷺ لم يتمالك أن خر مغشياً عليه، وضج المسلمون بالبكاء، فسمع رسول الله ﷺ ضجيج الناس فقال: «ما هذه الضجة» فقالوا: ضجة المسلمين لفقدك يا رسول الله، فدعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب وابن عباس واتكأ عليهما فخرج إلى المسجد فصلى بالناس ركعتين خفيفتين، ثم أقبل بوجهه المليح عليهم فقال: «معشر المسلمين استودعتكم الله أنتم في رجاء الله وأمانته والله خليفتي عليكم. معاشر المسلمين عليكم باتقاء الله وحفظ طاعته من بعدي فإني مفارق الدنيا. هذا أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا». فلما كان يوم الإثنين اشتد به الأمر وأوحى الله إلى ملك الموت عليه السلام أن اهبط إلى حبيبي وصفيي محمد ﷺ في أحسن صورة وارفق به في قبض روحه، فهبط ملك الموت فوقف بالباب شبه اعرابي ثم قال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أدخل؟ فقالت عائشة لفاطمة رضي الله عنها: أجيبي الرجل، فقالت فاطمة: أجرك الله في ممشاك يا عبد الله إن رسول الله ﷺ اليوم مشغول بنفسه، ثم دعا الثانية فقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أدخل؟ فقالت عائشة لفاطمة رضي الله عنها: أجيبي الرجل، فقالت فاطمة: آجرك الله في ممشاك ياعبدالله إن رسول الله ﷺ اليوم مشغول بنفسه، ثم دعا الثالثة فذكر مثل الأولى والثانية، قال بعد قوله: آدخل فلا بد من الدخول، فسمع رسول الله ﷺ صوت ملك الموت عليه السلام، فقال: يا فاطمة من بالباب؟ فقالت: يا رسول الله إن رجلاً يستأذن في الدخول فأجبناه مرة بعد أخرى، فنادى في الثالثة صوتاً اقشعر منه جلدي وارتعدت فرائصي فقال لها النبي ﷺ: «يا فاطمة أتدري من بالباب هذا هادم اللذات ومفرق الجماعات هذا مرمل الأزواج ومؤتم الأولاد هذا مخرب الدور وعامر القبور هذا ملك الموت صلى الله عليه ادخل يرحمك الله يا ملك الموت» فدخل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ياملك الموت جئتني زائراً أم قابضاً قال جئتك زائراً وقابضاً وأمرني الله عز وجل أن لا أدخل عليك إلا بإذنك ولا أقبض روحك إلا بإذنك فإن أذنت وإلا رجعت إلى ربي عز وجل فقال رسول الله ﷺ يا جبريل هذا الرحيل من الدنيا فبشرني بما لي عند الله فقال: أبشرك يا حبيب الله إني تركت أبواب السماء قد فتحت والملائكة قد قاموا صفوفاً بالتحية والريحان يحيون روحك يا محمد. فقال: لوجه ربي الحمد، فبشرني يا جبريل. قال: أبشرك أن أبواب الجنة قد فتحت وأنهارها

قد اضطربت وأشجارها قد تدلت وحورها قد تزينت لقدوم روحك يا محمد. قال: لوجه ربي الحمد فبشرني يا جبريل. قال: أبواب النيران قد أطبقت لقدوم روحك يا محمد. قال لوجه ربي الحمد. فبشرني يا جبريل. قال: أنت أول شافع وأول مشفع في القيامة. قال: لوجه ربي الحمد فبشرني يا جبريل قال: يا حبيبي عما تسألني؟ قال: أسألك عن غمي وهمي من لقراء القرآن من بعدي ومن لصوام شهر رمضان من بعدي من لحجاج بيت الله من بعدي من لأمتي المصطفاة من بعدي؟ قال: أبشرك يا حبيب الله فإن الله عز وجل يقول: قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك يا محمد. قال: الآن طابت نفسي أدن يا ملك الموت فانته إلى ما أمرت. فقال علي: يا رسول الله إذا أنت قبضت فمن يغسلك وفيم نكفنك فذكر الحديث إلى قوله: ثم ادخلوا فقوموا صفوفاً صفوفاً لا يتقدم علي أحد، وقد تقدم ذكر ذلك قريباً، ثم قال: فقالت فاطمة رضي الله عنها: اليوم الفراق فمتى ألقاك؟ قال: يا بنية تلقاني يوم القيامة عند الحوض وأنا أسقي من يرد على الحوض من أمتي. قالت: فإن لم ألقك يا رسول الله؟ قال: تلقاني عند الميزان وأنا أشفع لأمتي قالت: فإن لم ألقك يا رسول الله؟ قال: تلقاني عند الصراط وأنا أنادي: يا رب سلم أمتي من النار. فدنا ملك الموت عليه السلام فعالج قبض روح رسول الله ﷺ، فلما بلغ الروح إلى الركبتين قال النبي ﷺ «أواه» فلما بلغ الروح إلى السرة نادى رسول الله ﷺ «واكرباه» فقالت فاطمة كربي لكربك يا أبتاه فلما بلغ الروح إلى التندوة قال النبي ﷺ يا جبريل ما أشد مرارة الموت فولى جبريل عليه السلام وجهه عن رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ كرهت النظر إلي يا جبريل؟ فقال جبريل «يا حبيبي ومن يطيق نفسه أن ينظر إليك وأنت تعالج سكرات الموت فقبض رسول الله ﷺ ثم ذكر بعد ذلك غسله وتجهيزه والصلاة عليه والدفن وتعزية فاطمة رضي الله عنها كما سيأتي ذلك، فهذا السياق هو الذي أشار إليه العراقي وفيه اختلاف.

وأما حديث الحسين بن علي فلفظه عند الطبراني أن جبريل هبط على النبي ﷺ يوم موته فقال: كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني مكروباً فاستأذن ملك الموت على الباب فقال جبريل: يا محمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك. قال: ائذن له، فأذن له فأقبل حتى وقف بين يديه فقال: إن الله أرسلني لك وأمرني أن أطيعك إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن كرهت تركتها. قال: وتفعل يا ملك الموت؟ قال: نعم بذلك أمرت. قال له جبريل: إن الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال رسول الله ﷺ: «امض لما أمرت به».

وروى البيهقي في دلائل النبوة من حديث جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله قد أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجدك؟ فقال: أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً، ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك، ثم استأذن فيه ملك الموت ثم قال جبريل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن

....

عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك. قال: ائذن له، فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال: يا رسول الله إن الله عز وجل أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك إذا حضرت إليك فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها. فقال جبريل: يا محمد إن الله تعالى قد اشتاق إلى لقائك. قال ﷺ: «فامض يا ملك الموت لما أمرت به». فقال جبريل: يا رسول الله هذا آخر موطىء من الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه هكذا ساقه صاحب المواهب، وفي سياقه نقص، فالذي في نسخ الدلائل: فلما كان اليوم الثالث هبط جبريل ومعه ملك الموت ومعهما ملك آخر يسكن الهواء لم يصعد السماء قط ولم يهبط إلى الأرض قط، يقال له إسماعيل موكل على سبعين ألف ملك كل ملك على سبعين ألف ملك والباقي سواء. وقد ساقه الشامي في سيرته على التمام.

وروى الطبراني أيضاً من حديث ابن عباس قال: جاء ملك الموت إلى النبي ﷺ في مرضه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فاستأذن فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال له علي رضي الله عنه: ارجع فإنا مشاغيل عنك. فقال ﷺ: «هذا ملك الموت ادخل راشداً» فلما دخل قال: إن ربك يقرئك السلام. قال: فبلغني أن ملك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده.

وروى الحاكم وابن سعد من طرق أنه ﷺ مات ورأسه في حجر علي. قال الحافظ في الفتح: وهو غير معارض لحديث عائشة في الصحيح: مات ﷺ بين سحري ونحري لأن كل طريق من تلك الطرق لا يخلو عن شيء فلا يلتفت لذلك.

وروى البخاري من طريق عروة عن عائشة قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه التي قبض فيها فسارّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارّها بشيء فضحكت، فسألناها عن ذلك فقالت: سارني أنه يقبض في وجعه التي توفي فيه فبكيت، ثم سارّني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت. ومن طريق مسروق عن عائشة أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «مرحبا با بنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارّها. ولأبي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً هدياً ودلاً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة رضي الله عنها. وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك، فلما مرض دخلت عليه فأكبت عليه فقبلته.

قال صاحب المواهب: اتفقت الروايات على أن الذي سارّها به أولاً فبكت هو إعلامه إياها بأنه ميت في مرضه ذلك، واختلفت فيما سارّها به فضحكت ففي رواية عروة أنه إخباره إياها أنها أول أهله لحوقاً به، وفي رواية مسروق أنه إخباره إياها أنها سيدة نساء الجنة وجعل كونها أول أهله لحوقاً به مضموماً إلى الأول وهو الراجح، فإن حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة وهو من الثقات الضابطين فما زاده مسروق قول عائشة فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً

قالت عائشة رضي الله عنها: مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين. قالت فاطمة رضي الله عنها: ما لقيت من يوم الاثنين، والله لا تزال

أقرب من حزن فسألتها عن ذلك فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى توفي النبي ﷺ فسألتها فقالت: أسر إليَّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلي وأنك أول أهل بيتي لحوقاً بي، وفي رواية عائشة بنت طلحة من الزيادة أن عائشة لما رأت بكاءها وضحكها قالت: إني كنت لأظن أن هذه المرأة من أعقل النساء، فإذا هي من أجن النساء ويحتمل تعدد القصة. وفي رواية عروة الجزم أنه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق، فقيها أنه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة القرآن، وقد يقال لا منافاة بين الخبرين إلا بالزيادة، ولا يمتنع أن يكون إخباره بكونها أول أهله لحوقاً به سبباً لبكائها ولضحكها معاً باعتبارين، فذكر كل من الراويين ما لم يذكره الآخر. وقد روى النسائي من طريق أبي سلمة عن عائشة في سبب البكاء أنه ميت، وفي سبب الضحك الأمرين الأخيرين، ولابن سعد من رواية أبي سلمة عنها: أن سبب البكاء موته وسبب الضحك لحاقها به.

وفي سياق المصنف وجبهته ترشح رشحاً، وفيه: «يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار» رواه الطبراني في الكبير، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود: «نفس المؤمن تخرج رشحاً وأن نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار». ورواه في الأوسط بلفظ: «نفس المؤمن تخرج رشحاً ولا أحب موتاً كموت الحمار موت الفجأة وروح الكافر تخرج من أشداقه». وفي رواية له قيل له: وما موت الحمار؟ قال: روح الكافر تخرج من أشداقه». وروى الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب من حديث بريرة «المؤمن يموت بعرق الجبين» وتقدم حديث سلمان: «ارقبوا الميت عند موته ثلاثاً إن رشحت جبينه» الحديث. وروى البيهقي في الشعب من طريق علقمة بن قيس، حدثني ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «موت المؤمن برشح الجبين» قال عبدالله: ولا أحب موتاً كموت الحمار. وروى ابن أبي شيبة والبيهقي من هذا الوجه عن علقمة عن ابن مسعود من قوله: «إن نفس المؤمن تخرج رشحاً وإن نفس الكافر أو الفاجر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار».

وفي سياق المصنف: فإذا أطاق الكلام قال: «الصلاة الصلاة» الخ روي ذلك من حديث أنس أنه ﷺ قال: «الصلاة وما ملكت إيمانكم، الصلاة وما ملكت أيمانكم» رواه أحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجه وابن سعد وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والضياء. ورواه ابن سعد أيضاً، والطبراني من حديث أم سلمة ورواه الطبراني أيضاً من حديث ابن عمر.

(قالت عائشة رضي الله عنها: مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الإثنين). قال العراقي: رواه ابن عبد البر انتهى.

قلت: وجزم موسى بن عقبة عن الزهري بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمس، وكذا لأبي

الأمة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم ـ يوم أصيب علي كرّم الله وجهه بالكوفة ـ مثلها : ما لقيت من يوم الإثنين، مات فيه رسول الله ﷺ، وفيه قتل علي، وفيه قتل أبي، فما لقيت من يوم الاثنين. وقالت عائشة رضي الله عنها : لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بثوبي. فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد، وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان، وبقي آخرون معهم عقولهم، وأقعد آخرون. فكان عمر بن الخطاب

الأسود عن عروة. وروى ابن سعد من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة، أن دخول النبي ﷺ في بيتها كان يوم الإثنين وموته يوم الإثنين.

(قالت فاطمة رضي الله عنها: ما لقيت من يوم الإثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة) أي بمصيبة شديدة.

(وقالت أم كلثوم) ابنة علي وأمها فاطمة رضي الله عنهم: ولدت في عهد النبي ﷺ. قال أبو عمر: ولدت قبل وفاة النبي ﷺ. وروى ابن أبي عمر المدني في مسنده، حدثني سفيان عن عمرو، عن محمد بن علي أن عمر خطب إلى علي بنته أم كلثوم فذكر له صغرها، فقيل له: إنه ردك فعاوده، فقال له علي: ابعث بها إليك فإن رضيت فهي امرأتك، فأرسل بها إليه فكشف عن ساقها فقالت: مه لولا أنك أمير المؤمنين لطمت عينك. وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن جده: تزوّج عمر أم كلثوم على مهر أربعين ألفاً. وقال الزبير: ولدت لعمر ابنيه زيداً ورقية، وماتت أم كلثوم وولدها في يوم واحد. وذكر الدارقطني في كتاب الأخوة أنه تزوجها بعد موت عمر عون بن جعفر بن أبي طالب فمات عنها، فتزوجها أخوه عبدالله بن جعفر فماتت عنده. قال ابن سعد: ولم تلد لأحد من بني جعفر: **(يوم أصيب علي كرم الله وجهه بالكوفة مثلها)** أي مثل هذه المقالة. **(ما لقيت من يوم الإثنين مات فيه جدي رسول الله ﷺ، وفيه قتل عمر بعلي، وفيه قتل)** علي **(أبي)** رضي الله عنهم، فما لقيت من يوم الإثنين. هكذا روي عنها، ولكن في قتل عمر اختلاف، فروى سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة أن عمر أصيب يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وكذا قال أبو معشر وغيره عن زيد بن أسلم، وزاد إسماعيل بن محمد بن سعد عن زيد أنه دفن يوم الأحد مستهل سنة أربع. وقال الليث وجماعة: قتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس) أي دخلوا **(حين ارتفعت الرنة)** أي صوت البكاء **(وسجّى)** أي غطى **(رسول الله ﷺ الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان)** أي إفصاح، **(وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون، فكان**

فيمن كذب بموته، وعلي فيمن أقعد، وعثمان فيمن أخرس. فخرج عمر على الناس وقال: إن رسول الله ﷺ لم يمت، وليرجعنه الله عز وجل، وليقطعن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله ﷺ الموت، إنما واعده الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم.

وفي رواية أنه قال: يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله ﷺ فإنه لم يمت، والله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ قد مات إلا علوته بسيفي هذا. وأما علي فإنه أقعد فلم يبرح في البيت. وأما عثمان فجعل لا يكلم أحداً ـ يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ـ ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد، وإن كان الناس لم يرعووا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال: والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت، ولقد قال وهو بين أظهركم ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ★ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾

عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (فيمن كذب بموته، و) كان (علي) رضي الله عنه (فيمن اقعد)، وكان (عثمان) رضي الله عنه (فيمن أخرس، فخرج عمر على الناس وقال: إن رسول الله ﷺ لم يمت وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجلاً من رجال المنافقين يتمنون لرسول الله ﷺ الموت إنما واعده الله عز وجل كما واعد موسى) عليه السلام، (وهو آتيكم. وفي رواية أنه قال: أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله ﷺ فإنه لم يمت والله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ قد مات إلا علوته بسيفي هذا. وأما عليّ، فإنه أقعد فلم يبرح في البيت، وأما عثمان فجعل لا يكلم أحداً يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به، ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس) رضي الله عنهما، (فإن الله عز وجل عزم لهما على التوفيق والسداد وإن كان الناس لم يرعووا) أي لم ينكفوا (إلا بقول أبي بكر) رضي الله عنه (جاء العباس فقال: والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت، ولقد قال وهو بين أظهرنا ﴿إنك ميت وإنهم ميتون ★ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم يختصمون﴾) قال العراقي: هذا السياق بطوله منكر لم أجد له أصلاً انتهى.

قلت: بل رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر بسند ضعيف، وعزاه صاحب المواهب لابن المنير قال: لما مات ﷺ طاشت العقول، فمنهم من خبل، ومنهم من اقعد فلم يطق القيام، ومنهم من أخرس فلم يطق النطق بالكلام، ومنهم من أضنى. وكان عمر ممن خبل، وكان عثمان ممن أخرس يذهب به ويجاء ولا يستطيع النطق، وكان علي ممن أقعد فلا يستطيع حراكاً، وأضني عبدالله بن أنيس فمات كمداً، وكان أثبتهم أبو بكر رضي الله عنه. وأما قول عمر المذكور فرواه البخاري عن عائشة أن عمر قام يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، وفيه قول أبي بكر له: أيها

[الزمر : ٣٠ - ٣١] وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله ﷺ فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين، فقد والله توفي رسول الله ﷺ ، ثم خرج إلى الناس فقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت. قال الله تعالى: ﴿وَمَا محمد إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُسُل، أفإن

الحالف على رسلك كما سيأتي. وعزا الطبري في الرياض النضرة إلى تخريج الحافظ أبي محمد حمزة بن الحرث عن سالم بن عبيد الأشجعي قال: لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع الناس عمر بن الخطاب قال: فأخذ بقيام سيفه وقال: لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا . قال فقال الناس: يا سالم اطلب صاحب رسول الله ﷺ . قال: فخرجت إلى المسجد فإذا بأبي بكر فلما رأيته أجهشت بالبكاء ، فقال: يا سالم أمات رسول الله ﷺ ؟ فقلت: إن هذا عمر بن الخطاب يقول: لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا الحديث. وذكر الطبري أيضاً أنه لما مات رسول الله ﷺ سلّ عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله ﷺ ، وكان يقول إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى عليه السلام فلبث عن قومه أربعين ليلة والله إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم، وروى أحمد من حديث عائشة قالت: سجيت النبي ﷺ ثوباً فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنوا فأذنت لهما، وجذبت الحجاب فنظر عمر إليه فقال: واغشياه ثم قاما، فقال المغيرة لعمر: يا عمر مات؟ قال: كذبت إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى ينفي الله المنافقين. وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر أن أبا بكر مرّ بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين.

(وبلغ أبا بكر) رضي الله عنه **(الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج)** قبيلة من الأنصار وكانت مساكنهم بالسخ قرب المدينة، وكان أبو بكر قد تزوّج حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر الأنصارية كذا نسبها ابن سعد، وكان قد سكن بها هناك وفي رواية عروة عن عائشة استأذن أبو بكر لما رأى من النبي ﷺ أن يأتي بنت خارجة فأذن له، فجاء **(ودخل على رسول الله ﷺ فنظر إليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال: بأبي أنت وأمي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين)** . قيل: هو على حقيقته. وأشار بذلك للرد على من زعم أنه سيحيى فيقطع أيدي رجال لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى، فأخبر أنه أكرم على الله من أن يجمع عليه موتتين كما جمعها على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وكالذي مرّ على قرية وهذا أوضح الأجوبة وأسلمها، وقيل: أراد لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره إذ يحيى ليسأل ثم يموت، وقيل: لا يجمع بين موتة نفسك وموتة شريعتك. وقيل: كنى بالموت الثاني عن الكرب أي لا يلقى بعد كرب هذا الموت كرباً آخر كذا في فتح الباري. **(فقد والله توفي رسول الله ﷺ ، ثم خرج إلى الناس فقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت. قال الله تعالى ﴿وما محمد إلا**

مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ...﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية، فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ.

رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ) قال العراقي: رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة أن ابا بكر رضي الله عنه اقبل على فرس من مسكنه بالسخ حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتيمّم رسول الله ﷺ وهو مغشي بثوب حبرة فكشف عن وجه ثم اكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي وأمي أنت والله لا يجمع الله عليك موتين أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها. ولهما من حديث ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس الحديث وفيه: لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها. لفظ البخاري فيهما انتهى.

قلت: وفي لفظ للبخاري عنها أن عمر قام يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، فجاء أبو بكر فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فقبّله وقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك! فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر فاثنى عليه وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وقال: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية قال: فنشج الناس يبكون.

وروى الحافظ أبو محمد حمزة بن الحارث بسنده إلى سالم بن عبيد الأشجعي قال: أقبل أبو بكر حتى دخل على النبي ﷺ وهو مسجّى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشأ الريح ثم سجاه والتفت إلينا فقال: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية. وقال ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ يا أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال عمر فوالله لكأني لم أتل هذه الآية قط.

قال الطبري في الرياض: وأخرج الترمذي معناه بتمامه. وروى أحمد من حديث عائشة سجيت النبي ﷺ ثوباً فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنوا الحديث وفيه: ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. مات رسول الله ﷺ. وأما حديث ابن عباس فسيأتي ذكره قريباً. وروى ابن أبي شيبة من حديث ابن عمر: أن أبا بكر مرّ بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين. قال: وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم، فقال: أيها الرجل إن رسول الله ﷺ قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وقال: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ [الأنبياء: ٣٤] ثم أتى المنبر الحديث.

قال أبو عبدالله القرطبي: وفي هذا أدل دليل على شجاعة الصديق رضي الله عنه، فإن الشجاعة حدّها ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم منّ موت رسول الله ﷺ فظهرت عنده شجاعته وعلمه. قال الناس: لم يمت واضطرب الأمر فكشفه الصديق بهذه الآية فرجع عمر عن مقالته التي قالها.

وفي رواية: أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ ـ وهو يصلي على النبي ﷺ وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة، وهو في ذلك جلد الفعل والمقال ـ فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حياً وميتاً انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوّة، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولولا أن موتك كان اختياراً منك لجدنا لحزنك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفذنا عليك ماء العيون، فأما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان، اللهم فأبلغه عنا، أذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك، فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا.

(**وفي رواية: أن أبا بكر**) رضي الله عنه (**لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلي على النبي ﷺ وعيناه تهملان**) أي تسيلان بالدموع، (**وغصصه ترتفع**) جمع الغصة بالضم وهو ما يغص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه ومعنى ترتفع أي تكثر (**كقصع الجرة**) الجرة بكسر الجيم ما تخرجه الإبل كروشها فتجتره (**وهو مع ذلك جلد العقل والمقال**) أي ثابت العقل فيهما. (**فأكب عيه فكشف عن وجهه وقبّل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يكبر ويقول: بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حياً وميتاً، انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء وهو النبوة، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة**) أي بحيث يتسلون بك، (**وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولولا أن موتك كان اختياراً منك**) إذ خيّرت بينه وبين الخلد (**لجدنا لحزنك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا**) أي أفنينا (**عليك ماء العيون**) أي مدامع العيون، (**فأما ما لا نستطيع نفيه عنا**) أي لا نقدر على إزالته (**فكمد وادكار محالفان**) **أي ملازمان** (**لا يبرحان. اللهم فابلغه عنا. اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك، فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت في الوحشة. اللهم ابلغ نبيك عنا واخلفه فينا**). قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الضراء من حديث ابن عمر بسند ضعيف جاء أبو بكر ورسول الله ﷺ مسجّى فكشف الثوب عن وجه الحديث الخ انتهى.

قلت: ولفظه: جاء أبو بكر وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع، فدخل على النبي ﷺ. وفيه: ما لم ينقطع لموت أحد من الناس ولم يقل وهو النبوة وقال: فعظمت عن القصة والباقي سواء.

وعن ابن عمر: إنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى عج أهل البيت عجيجاً سمعه أهل المصلى كلما ذكر شيئاً ازدادوا، فما سكن عجيجهم إلا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال: السلام عليكم يا أهل البيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥، وآل عمران: ١٨٥] الآية. إن في الله خلفاً من كل أحد ودركاً لكل رغبة ونجاة من كل مخافة، فالله فأرجو وبه فثقوا. فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء. فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم يرَ أحداً. ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته: يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين، إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل رغيبة، فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا، فقال أبو بكر: هذا الخضر واليسع عليهما السلام حضرا النبي ﷺ.

تنبيه:

تقبيله النبي ﷺ قد قدمناه من حديث ابن عباس وعائشة عند البخاري، وكذا عند غيره، فروى أحمد من طريق يزيد بن بابنوس عن عائشة أنه أتاه من قبل رأسه فقبّل وجهه، ثم قال: وانبياه ثم رفع رأسه فجرز فاه وقبل جبهته، ثم قال: واصفياه، ثم رفع رأسه فجرز فاه وقبل جبهته وقال واخليلاه. وفي حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة فوضع فاه على جبين النبي ﷺ فجعل يقبله ويبكي ويقول: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، وفي جزء ابن عرفة من حديث عائشة أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه فقال: وانبياه واخليلاه واصفياه.

(**وعن ابن عمر**) رضي الله عنهما (**أنه لما دخل أبو بكر رضي الله عنه البيت**) أي حجرة عائشة (**وصلّى وأثنى عج أهل البيت عجيجاً**) أي رفعوا صوتاً (**سمعوا أهل المصلى**) وهم خارج المدينة (**كلما ذكر شيئاً ازدادوا فما سكن عجيجهم إلا تسليم رجل على الباب صيّت**) أي جهير الصوت (**جلد**) أي قوي (**قال: السلام عليكم يا أهل البيت ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ الآية إن في الله خلفاً من كل أحد ودركاً لكل رغبة ونجدة من كل مخافة فالله فارجو وبه فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكاء، فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحداً ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته: يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل رغيبة، فالله فاطيعوا وبأمره فاعملوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: هذا الخضر واليسع**) عليهما السلام (**قد حضرا**) وفاة (**النبي ﷺ**) قال العراقي: لم أجد فيه ذكر اليسع انتهى.

قلت: هكذا أخرجه سيف بن عمر التميمي في كتاب الردة له عن سعيد بن عبدالله عن ابن

....

عمر قال: لما توفي رسول الله ﷺ جاء أبو بكر حتى دخل عليه، فلما رآه مسجى قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم صلى عليه فرفع أهل البيت عجيجاً سمعه أهل المصلى، فلما سكن ما بهم سمعوا تسليم رجل على الباب صيّت جليد يقول فساقه وفيه بعد قوله: فثقوا فإن المصاب من حرم الثـواب، وفيه: وعوضاً من كل هلكة فبالله فثقوا واياه فاطيعوا فإن المصاب من حرم الثواب. فقال أبو بكر: هذا الخضر والياس قد حضرا وفاة النبي ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في الإصابة بعد أن أورده: وسيف فيه مقال وشيخه لا يعرف اهـ.

قلت: هو سعيد بن عبدالله بن ضرار بن الأزور روى عن أبيه وعن غيره وفيه وفي أبيه مقال وقد تقدم قريباً.

ثم قال العراقي: وأما ذكر الخضر في التعزية فانكر النووي وجوده في كتب الحديث وقال: إنما ذكره الأصحاب قلت: بل قد رواه الحاكم في المستدرك من حديث أنس ولم يصححه ولا يصح اهـ.

قلت: وجدت بخط الشمس الداودي ما نصه: قول الشيخ إن الحاكم لم يصححه صحيح لكنه مشعر بكونه لم يضعفه وليس كذلك فإنه ساقه من رواية عباد بن عبد الصمد، ثم قال: وعباد ليس من شرط هذا الكتاب اهـ.

ثم قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القراء من حديث أنس أيضاً قال: لما قبض رسول الله ﷺ اجتمع أصحابه حوله يبكون، فدخل عليهم رجل طويل أشعر المنكبيـن في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعضادتي باب البيت، فبكى على رسول الله ﷺ ثم أقبل على أصحابه فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فائت وخلفاً من كل هالك، فإلى الله فانيبوا ونظره إليكم في البلاء فانظروا فإن المصاب من لم يجز الثواب، ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر: عليّ الرجل فنظروا يميناً وشمالاً فلم يروا أحداً. فقال أبو بكر: لعل هذا الخضر أخو نبينا ﷺ جاء يعزينا عليه. وروا الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جداً هـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الكتاب المذكور: حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك قال: لما قبض رسول الله ﷺ فساقه ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم في المستدرك، وهو الذي أشار إليه العراقي بقوله: ولم يصححه ولا يصح أي لأجل عباد فإنه ضعفه البخاري والعقيلي. وقال أبو حاتم: ضعيف جداً، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط عن موسى بن هارون عن كامل وقال: تفرد به عباد عن أنس.

ثم قال العراقي: ورواه ابن أبي الدنيا أيضاً من حديث علي بن أبي طـالـب: لـمّـا قبـض رسـول الله ﷺ جاء آت يسمع حسه ولا يـرى شخصـه قـال: السلام عليكـم ورحمة الله وبـركـاتـه إن في الله عوضاً من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم. فقال علي: تدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه

السلام. وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي، والمعروف عن علي بن الحسين مرسلاً من غير ذكر علي، كما رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر للخضر اهـ.

قلت: روي هذا الحديث من طرق. منها: قال ابن أبي حاتم في التفسير: حدثنا أبي أنبأنا عبد العزيز الأوسي، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن، عن أبيه أن علي بن أبي طالب قال: لما توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية فجاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٨٥] إن في الله عزاء من كل مصيبة فساقه وفيه: فإن المصاب من حرم الثواب ولم يقل السلام عليكم ثم قال: قال جعفر أخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال: تدرون من هذا؟ هذا الخضر ـ ورواه محمد بن منصور الحوار عن محمد بن جعفر بن محمد، وعبدالله بن ميمون القداح جميعاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين، سمعت أبي يقول: لما قبض رسول الله ﷺ جاءت التعزية يسمعون حسه ولا يرون شخصه: السلام عليكم ورحمة الله أهل البيت إن في الله عزاء من كل مصيبة فساقه سياق ابن أبي الدنيا. قال ابن الجوزي: تابعه محمد ابن صالح، عن محمد بن جعفر، ومحمد بن صالح ضعيف. قال: ورواه الواقدي وهو كذاب ورواه محمد بن أبي عمر عن محمد بن جعفر، وابن أبي عمر مجهول. قال الحافظ في الإصابة: وهذا الإطلاق ضعيف، فإن ابن أبي عمر أشهر من أن يقال فيه هذا شيخ مسلم وغيره من الأئمة وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور مروى وهذا الحديث فيه: أخبرني به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رحمه الله تعالى قال: أخبرني أبو محمد بن القيم، أنبأنا أبو الحسن بن البخاري، عن محمد بن معمر، أنبأنا سعيد بن أبي رجاء أنبأنا أحمد بن محمد بن النعمان، أنبأنا أبو بكر بن المقري، أنبأنا إسحاق بن أحمد الخزاعي، حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، حدثنا محمد بن جعفر قال: كان أبي هو جعفر محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أنه دخل عليه نفر من قريش فقال: ألا أحدثكم عن أبي القاسم؟ قالوا: بلى فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي ﷺ وفي آخره فقال جبريل: يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئي الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فلما قبض رسول الله ﷺ وجاءت التعزية جاء آتٍ يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله. في الله عزاء من كل مصيبة وخلف من كل هالك ودرك من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب وأن المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي: هل تدرون من هذا؟ هذا الخضر انتهى. ومحمد بن جعفر هذا هو أخو موسى الكاظم حدث عنَ أبيه وغيره، روى عنه إبراهيم بن المنذر وغيره، وكان قد دعا لنفسه بالمدينة ومكة وحج بالناس سنة مائتين، وبايعوه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به فحمله إلى أخيه والمأمون بخراسان فمات بجرجان سنة ثلاث ومائتين وعاش سبعين سنة. قال البخاري: أخوه إسحاق أوثق منه انتهى.

واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه فقال: قام أبو بكر في الناس خطيباً حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده

ومنها: ما أخرجه البيهقي في الدلائل قال: حدثنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أبو جعفر البغدادي، حدثنا عبدالله بن عبد الرحمن الصغاني، حدثنا أبو الوليد المخزومي، حدثنا أنس بن عياض، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبدالله قال: لما توفي رسول الله ﷺ عزتهم الملائكة يسمعون الحس ولا يرون الشخص فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قلت: هكذا أخرجه الحاكم، وزعم أن أبا الوليد المخزومي هو هشام بن إسماعيل الصغاني ثقة مأمون كذا قال.

وقال الداودي كما وجد بخطه: والذي أظن أنه خالد بن إسماعيل وهو كذاب.

قلت: أنس بن عياض مدني ثقة روى له الجماعة مات سنة مائتين عن ست وتسعين، والراوي عنه أبو الوليد إن كان كما زعم الحاكم فهو دمشقي يكنى أبا عبد الملك ووفاته سنة ست عشرة، فقد أدرك من عمره نحو اثنتي عشرة سنة وكون راويه عبدالله بن عبد الرحمن صغانياً يقوي انه هو، وإن كان هو خالد بن إسماعيل فهو مدني. قال ابن عدي: كان يضع الحديث، ولهم رجل آخر مسمى بهذا الاسم، ويروى عن عوف وهو مجهول. قال الذهبي: ولعله المخزومي، وقال البيهقي أيضاً أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الأحمسي، حدثنا الحسين بن حميد بن الربيع اللخمي، حدثنا عبدالله بن أبي زياد، حدثنا شيبان بن حاتم، حدثنا عبد الواحد بن سليمان الحارثي، حدثنا الحسين بن علي، عن محمد بن علي هو ابن الحسين بن علي قال: لما كان قُبَل وفاة رسول الله ﷺ هبط إليه جبريل فذكر قصة الوفاة بطوله وفيه: فأتاهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فذكر مثله في التعزية.

(واستوفى القعقاع بن عمرو) التميمي أخو عاصم **(حكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه)** وكان القعقاع من الشجعان الفرسان قيل: إن أبا بكر كان يقول: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل، وله في قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم، وهو الذي غنم في فتح المدائن أدراع كسرى، وكان فيها درع لهرقل ودرع لخاقان ودرع للنعمان وسيفه وسيف كسرى فأرسلها سعد إلى عمر. قال ابن عساكر: يقال إن له صحبة كان أحد فرسان العرب وشعراءهم شهد فتح دمشق وأكثر فتوح العراق وله في ذلك أشعار مشهورة. وقال ابن السكن: ويقال هو القعقاع بن عمرو بن معبد التميمي **(فقال: قام أبو بكر في الناس خطيباً حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلّها الصلاة على النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده، فلله الحمد وحده،**

وغلب الأحزاب وحده فلله الحمد وحده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين، اللهم فصلِّ على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك، اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين محمد قائد الخير وإمام الخير ورسول الرحمة، اللهم قرّب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون وأنفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة وأخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم إنك حميد مجيد. أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت، وإن الله تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً، فإن الله قد عز وجل قد اختار لنبيه ﷺ ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ﷺ، فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥] ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين. اللهم فصلّ على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك. اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين محمد قائد الخير وإمام الخير ورسول الرحمة. اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأوّلون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم إنك حميد مجيد. يا أيها الناس! إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت، وأن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً فإن الله عز وجل قد اختار لنبيه ﷺ ما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنته وسنة نبيه ﷺ، فمن أخذ بهما عرف ومن فرّق بينهما أنكر ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط﴾ ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم) رواه بطوله سيف بن عمر

وقال ابن عباس: لما فرغ أبو بكر من خطبته قال: يا عمر أنت الذي بلغني انك تقول ما مات نبي الله ﷺ؟ أما ترى نبي الله ﷺ قال يوم كذا: كذا وكذا ويوم كذا: كذا وكذا، وقال تعالى في كتابه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، فقال: والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا، أشهد أن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله ﷺ، ثم جلس إلى أبي بكر.

التميمي في كتاب الفتوح له عن عمرو بن تمام عن أبيه عن القعقاع قال ابن حاتم: سيف متروك. وأخرجه ابن السكن من طريق إبراهيم بن سعد عن سيف بن عمر عن عمرو عن أبيه. وقال: سيف بن عمر ضعيف.

قلت: هو من رجال الترمذي وهو وإن كان ضعيفاً في الحديث فهو عمدة في التاريخ مقبول النقل.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه: **(لما فرغ أبو بكر من خطبته قال: يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول: ما مات نبي الله ﷺ؟ أما ترى أن نبي الله ﷺ قال يوم كذا كذا وكذا ويوم كذا كذا وكذا. وقال الله تعالى في كتابه: ﴿إنك ميت وأنهم ميتون﴾ فقال)** عمر رضي الله عنه: **(والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا)**، أي من الدهشة والحيرة بوفاة رسول الله ﷺ. **(أشهد أن الكتاب كما نزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله ﷺ، ثم جلس إلى أبي بكر)**. رواه البخاري من حديث ابن عباس بلفظ: إن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فاقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر أما بعد: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال: قال الله عز وجل: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية. [آل عمران: ١٤٤] قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع أحداً من الناس إلا يتلوها.

وروى أبو نصر الوائلي في كتاب الإبانة عن أنس بن مالك أنه سمع عمر بن الخطاب يقول حين بويع أبو بكر في مسجد رسول الله ﷺ: واستوى على منبره عليه السلام تشهد ثم قال أما بعد: فإني قلت لكم أمس مقالة وإنها لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهد إليّ رسول الله ﷺ، ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا أي أن يكون آخرنا موتاً، فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول الله ﷺ اهـ.

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما اجتمعوا لغسله قالوا: والله ما ندري كيف نغسل رسول الله ﷺ أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه؟ قالت: فأرسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره نائماً ثم قال قائل ـ لا يدري من هو ـ غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، انتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله ﷺ في قميصه، حتى إذا فرغوا من غسله كفن. وقال علي كرّم الله وجهه: أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلوا عن رسول الله ﷺ ثيابه. فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقياً ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه، وإن معنا لحفيفاً في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا: أرفقوا برسول الله ﷺ

وقال صاحب المواهب: ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته ﷺ بقول أبي بكر رضي الله عنه ورجع إلى قوله قال وهو يبكي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه، فلما كثروا اتخذت منبراً تسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠] بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ [الأحزاب: ٧] الآية. بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون ويقولون: ﴿يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ [الأحزاب: ٦٦] إلى آخره، وهو طويل ذكره أبو العباس العقاد في شرحه لبردة البوصيري، ونقله الرشاطي في اقتباس الأنوار، وذكره ابن الحاج في المدخل، وساقه بتمامه، والقاضي عياض في الشعب لكنه ذكر بعضه.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: لما اجتمعوا لغسله قالوا: والله ما ندري كيف نغسل رسول الله ﷺ أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه؟ قالت: فأرسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل إلا واضع لحيته في صدره نائماً، ثم قال قائل لا يدري من هو: غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فانتبهوا ففعلوا ذلك، فغسل ﷺ في قميصه حتى إذا فرغ من غسله كفن) رواه البيهقي في الدلائل وفيه: ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: غسلوا النبي ﷺ في ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص.

(وقال علي كرم الله وجهه: أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله ﷺ ثيابه فأقررناه، فغسلناه في قميصه كما يغسل موتانا مستلقياً ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه وإن معنا لحفيفاً في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا:

فإنكم ستكفون. فهكذا كانت وفاة رسول الله ﷺ ولم يترك سبداً ولا لبداً إلا دفن معه. قال أبو جعفر: فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش، ثم وضع عليها في أكفانه، فلم يترك بعد وفاته مالاً ولا بني

ارفقوا برسول الله ﷺ فإنكم ستكفون) وقد صح أنه غسل ﷺ ثلاث غسلات: الأولى بالماء القراح، والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور. وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم وأسامة وشقران مولاه ﷺ يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي: «لا يغسلني إلا أنت فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه». رواه البزار والبيهقي. وروى البيهقي عن الشعبي قال: غسل علي النبي ﷺ فكان يقول وهو يغسله: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً. وروى أبو داود والحاكم وصححه عن علي قال: غسلته ﷺ فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً كان طيباً حياً وميتاً. وفي رواية لابن سعد: وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط، وفتل علي يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عوداً ونداً. وذكر ابن الجوزي أنه روي عن جعفر بن محمد قال: كان الماء ينتقع في جفون النبي ﷺ وكان علي يحسوه. وأما ما روي أن علياً لما غسله امتص ماء محاجر عينه فشربه وأنه ورث بذلك علم الأولين والآخرين، فقال النووي: ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عائشة قالت: كفن ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية بيض. أخرجه النسائي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة، واتفق عليه الأئمة الستة من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بزيادة: من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة، وليس قوله من كرسف عند الترمذي ولا ابن ماجه. زاد مسلم أما الحلة فإنما تشبه على الناس أنها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية، فأخذها عبدالله بن أبي بكر فقال، لأحبسنها حتى أكفن فيها نفسي، ثم قال: لو رضيها الله لنبيه لكفنه فيها فباعها فتصدق بثمنها. وفي رواية له: أدرج رسول الله ﷺ في حلة يمنية في ثوبين وبردة حبرة فقالت: قد أتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه. وقال الترمذي: حسن صحيح. وفي رواية البيهقي: في ثلاثة أثواب سحولية جدد. وقال الترمذي: روي في كفن النبي ﷺ روايات مختلفة، وحديث عائشة أصح الأحاديث في ذلك والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم. وقال البيهقي في الخلافيات، قال أبو عبدالله الحاكم تواترت الأخبار عن علي وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبدالله بن مغفل في تكفين النبي ﷺ في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة. وروى أحمد من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن علي أن رسول الله ﷺ كفن في سبعة أثواب، فقال ابن حزم. إن الوهم فيه من ابن عقيل أو ممن بعده.

(فهكذا كانت وفاة رسول الله ﷺ ولم يترك سبداً ولا لبداً إلا دفن معه. قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: فرش لحده بمفرشة وقطيفة وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظاناً على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في أكفانه). قال

في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة.

العراقي: الذي وضع المفرشة شقران مولى رسول الله ﷺ وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا، ولمسلم والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس قال: جعل في قبر النبي ﷺ قطيفة حمراء اهـ.

قلت: في حديث عائشة المتقدم في التكفين دلالة ظاهرة على أن القميص الذي غسل فيه النبي ﷺ نزع عنه عند تكفينه. قال النووي في شرح مسلم: وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لأنه لو أبقي مع رطوبته لأفسد الأكفان. قال: وأما الحديث الذي في سنن أبي داود عن ابن عباس أن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب، وقميصه الذي توفي فيه فضعيف لا يصح الاحتجاج به لأن يزيد ابن زياد أحد رواته مجمع على ضعفه لاسيا وقد خالف بروايته الثقات اهـ.

والقطيفة التي فرشها شقران هي النجرانية التي كان النبي ﷺ يتغطى بها، وروي أنه قال: والله لا يلبسها أحد بعدك. قال النووي: وقد نص الشافعي وجميع أصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة أو مضربة أو مخدة أو نحو ذلك تحت الميت في القبر وشذ البغوي من أصحابنا فقال في كتابه التهذيب: لا بأس بذلك لهذا الحديث، والصواب كراهة ذلك كما قاله الجمهور. وأجابوا عن هذا الحديث بأن شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه أحد من الصحابة ولا علموا بذلك، وإنما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهتـه أن يلبسها أحد بعد النبي ﷺ. ونقل الزين المراغي في تحقيق النصرة عن ابن عبد البر أنه قال: أخرجت يعني القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه ابن زبالة.

فصل

روى ابن ماجه من حديث ابن عباس قال: لما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته، ثم دخل الناس عليه ارسالاً يصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النساء حتى إذا فرغوا دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد، وفي رواية: إن أول من صلّى عليه الملائكة أفواجاً ثم أهل بيته ثم الناس فوجاً فوجاً ثم نساؤه آخراً. وروي أنه لما صلى أهل بيته لم يدر الناس ما يقولون، فسألوا ابن عباس فأمرهم أن يسألوا علياً فقال لهم: قولوا إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً لبيك اللهم ربنا وسعديك، صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وما سبّح لـك مـن شيء يـا رب العالمين على محمد بن عبدالله خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين ورسـول رب العالمين، الشاهد البشير الداعي إليك بأذنك السراج المنير وعليه السلام ذكره الزين المراغي في تحقيق النصرة.

(فلم يترك بعد وفاته) ﷺ **(مالاً)** كما تقدم **(ولا بنى)** ﷺ **(في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة)** كما تقدم، **(ففي وفاته)** ﷺ **(عبرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة)** روى ابن ماجه في سننه أنه ﷺ قال في مرضه: «أيها الناس إن أحد من الناس أو من

....

المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته عن المصيبة التي تصيبه بعدي، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي». وروى بقي بن مخلد والباوردي وابن شاهين وابن قانع وأبو نعيم كلهم في المعرفة عن عبد الرحمن بن سابط عن أبيه رفعه: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب». وقال أبو الجوزاء: كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول: يا عبدالله اتق الله فإن في رسول الله اسوة حسنة، ولله در القائل:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم فإن المرء غير مخلّدِ
وإذا أتتك مصيبة تشجى لها ... فاذكر مصابك بالنبي محمدِ

وقال آخر:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا ... فعزيت نفسي بالنبي محمدِ
وقلت لها: إن المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت في يومه مات في غدِ

وقد كانت وفاته ﷺ يوم الإثنين بلا خلاف كما تقدم، وذلك وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد حر الضحى، ودفن يوم الثلاثاء، وقيل ليلة الأربعاء، فعند ابن سعد في الطبقات عن علي: توفي رسول الله ﷺ يوم الإثنين ودفن يوم الثلاثاء، وعنده أيضاً عن عكرمة توفي يوم الإثنين فجلس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل، وعنده أيضاً عن عثمان بن محمد الأخنسي: توفي يوم الإثنين حين زاغت الشمس، ودفن يوم الأربعاء. وروي أيضاً عن أبي عباس ابن سهل بن سعد الأنصاري عن أبيه عن جده أنه ﷺ توفي يوم الإثنين فمكث يوم الإثنين والثلاثاء حتى دفن يوم الأربعاء وقد رثي ﷺ بمراث كثيرة. منها: قول عمته صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده ... ولكن لما أخشى من الهجر آتيا
كان على قلبي لذكر محمد ... وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله ربي بجمده ... على جدث أضحى بشرب ثاويا
فدا لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
ولو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسناً أيتمته وتركته ... سيبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ومنها قول ابن عمه سفيان بن الحرث رضي الله عنه:

أرقت فبت ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليلُ
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسولُ

وفاة أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه:

لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت!

واضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميلُ
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيلُ
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيلُ
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحي إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً ... علينا والرسول لنا دليلُ
أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيلُ
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسولُ

ومنها قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... يبين وقد تعفو الرسوم وتمهدُ
ولا تمنحي الآيات من ذات حرمة ... بها منبر الهادي الذي كان يصعدُ
وأوضح آيات وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجدُ
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقدُ
معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاء التلا فالآي منها تجددُ
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبر بها واراه في الترب ملحدُ
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ... بلاد ثرى فيها الرشيد المسددُ
وضمن لحد منك ضمن طيبا ... عليه بناء من صفيح منضدُ
تهيل عليه الترب أيد وأعين ... تباكت وقد عادت بذلك أسعدُ
لقد غيبوا حلماً وعلماً ورحمة ... عشية عالوه الثرى لا يوسدُ
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضدُ
يبكون من تبكي السموات موته ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمدُ
وقد عدلت رزية مالك ... رزية يوم مات فيه محمدُ

ورثاه حسان أيضاً بقوله:

كنت السّواد لناظري ... يعمى عليك الناظرُ
من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذرُ

ﷺ تسليماً كثيراً كثيراً.

وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

(لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت:

لعمــــرك مـــا يغني الثراء عـــن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذا ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] انظروا ثوبي هذين فأغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت. وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته:

لعمـرك مـا يغني الثراء عــن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصـدرُ

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذا ولكن قولي: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت) رواه صاحب كتاب المتفجعين عن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، حدثنا خلف بن هشام، حدثنا خالد عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبدالله البهي، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لأبي بكر في مرضه:

أبــاوي مـــا يغني الثراء عـــن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فقال لها أبو بكر: لا تقولي ذلك، ولكن قولي: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ انظري يا بنية ثوبي هذين اغسليهما فكفنيني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد، إنما هما للمهل، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين عن خلف بن هشام، حدثنا أبو شهاب الحناط، عن إسماعيل بن أبي خالد عن البهي قال: لما احتضر أبو بكر فساقه كما للمصنف، وفي آخره: هذه قراءة أبي بكر «سكرة الحق بالموت» ورواه ابن الجوزي من طريقه، ورواه أحمد وابن جرير من هذا الوجه إلا أنهما قالا: تمثلت عائشة بهذا البيت:

أعاذل ما يغني الحذار عن الفتى

وفيه: فقال أبو بكر ليس كذلك يا بنية، ولكن قولي.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا محمد بن فضيل عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما حضر أبو بكر قال: في كم كُفنّ رسول الله ﷺ؟ قلت: في ثلاثة أثواب سحول. قال: فنظر إلى ثوب خلق عليه، فقال: اغسلوا هذا وزيدوا عليه ثوبين آخرين، فقلت: بل نشتري لك ثياباً جدداً، فقال الحي أحق بالجديد من الميت إنما هي للمهلـة. قال: حدثنا سفيان بن غيينة عن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت، قال أبو بكر: في كم كفنتم رسول الله ﷺ؟ فقلت: في ثلاثة أثواب. قال: فاغسلوا ثوبي هذين واشتروا لي ثوباً من السوق. قالت: إنا موسرون. قال: يا بنية الحي أحق بالجديد من الميت إنما هو للمهلة والصديد. قال: وحدثنا علي بن مسهـر، عـن عبيـد الله، عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: كفن أبو بكر في ثوبين سحوليين ورداء له ممشق أمر به أن يغسل.

وقال أحمد في الزهد: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ، ودخلوا عليه فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي طبيبي وقال: إني فعال لما أريد. ودخل عليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه يعوده فقال: يا أبا بكر أوصنا فقال: إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك، واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك.

عنها. قالت: إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: أي يوم هذا؟ قالوا يوم الإثنين. قال: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، وإن أحب الأيام والليالي إلي أقربها من رسول الله ﷺ. قال أحمد: وحدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه قال: أي يوم هذا؟ قلنا: يوم الإثنين. قال: فأي يوم قبض فيه رسول الله ﷺ. قلنا: يوم الإثنين. قال: فإني أرجو ما بيني وبين الليل. قالت: وكان عليه ثوب به ردع من مشق. قال: إذا أنا مت فاغسلوا ثوبي هذا وضموا إليه ثوبين جديدين وكفنوني في ثلاثة أثواب. فقلنا: أفلا نجعلها جدداً كلها؟ قال: لا إنما هي للمهلة فمات ليلة الثلاثاء.

(وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل)

فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ. رواه محمد بن محمد بن الفضل عن محمد بن علي بن ميمون، عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عن القاسم بن محمد أن عائشة تمثلت وأبو بكر رضي الله عنه في الموت فساقه. هكذا رواه أبو عبيد في فضائله وابن المنذر إلا أنهما قالا: ثمال اليتامى بدل ربيع، وفيه: قال أبو بكر: « بل جاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد » قدم الحق وأخر الموت. **(ودخلوا عليه فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي طبيبي وقال: إني فعال لما أريد)** رواه أحمد في الزهد عن وكيع عن مالك بن مغول عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني. قالوا: فأي شيء قال؟ قال: قال **(إني فعال لما أريد)** رواه أبو نعيم من طريقه، وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن مالك عن أبي السفر قال: دخل على أبي بكر ناس من إخوانه يعودونه في مرضه فقالوا: يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي. قالوا: ماذا قال لك؟ قال. قال: إني فعال لما أريد.

(ودخل عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه يعوده فقال: يا أبا بكر أوصنا. فقال: إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك، واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك) الشطر الأول منه قد يأتي من حديث

ولما ثقل أبو بكر رضي الله تعالى عنه. وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضي الله عنه، فقال الناس له: استخلفت علينا فظاً غليظاً فماذا تقول لربك؟ فقال: أقول استخلفت على خلقك خير خلقك. ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه فجاء فقال:

سلمان حدثه بذلك عند احتضاره، والشطر الثاني رواه ابن ماجه وابن عساكر من حديث أبي بكر بلفظ: من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفروا الله في عهده، فمن فعله طلبه الله حتى يكبه في النار على وجهه، وقد روي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة روى الطبراني من حديث أبي بكرة: من صلى الصبح فهو في ذمة الله يا ابن آدم لا يطلبنك الله بشيء من ذمته، وفي لفظ: فمن أخفر ذمة الله كبه الله في النار على وجهه. وروى أحمد من حديث ابن عمر: من صلى صلاة الصبح فله ذمة الله فلا تخفروا الله في ذمته فإن من أخفر ذمته طلبه الله تعالى حتى يكبه على وجهه. وروى صاحب الحلية من حديث أنس «من صلى صلاة الغداة فهو في ذمة الله فإياكم أن يطلبكم الله بشيء من ذمته». ورواه كذلك أبو يعلى والحكيم. وروى صاحب الحلية من حديث جندب «من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفروا الله في ذمته». وعند الطيالسي وأحمد والترمذي بلفظ «فلا يطلبنكم الله بشيء من ذمته فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم». وعند ابن حبان بلفظ «من صلى الغداة فهو في ذمة الله فاتق الله يا ابن آدم أن يطلبنك الله بشيء من ذمته». وروى الترمذي من حديث أبي هريرة «من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا يتبعنكم الله بشيء من ذمته». ورواه ابن ماجه والطبراني من حديث سمرة بلفظ «فلا يطلبنكم الله» وعند أحمد والروياني من حديث سمرة مثله وفيه «فلا تخفروا الله في ذمته».

(ولما ثقل أبو بكر رضي الله عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس له: استخلفت علينا فظاً غليظاً فماذا تقول لربك؟ فقال: أقول استخلفت على خلقك خير خلقك). رواه صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة بلفظ فقالوا: يسعك أن تولي علينا عمر وأنت ذاهب إلى ربك فماذا تقول له؟ قال: اجلسوني اجلسوني. أقول وليت عليهم خيرهم. وروى نحوه أبو عاصم النبيل عن عبيدالله بن زياد، عن يوسف بن ماهك، عن عائشة. ورواه سيف في الفتوح عن عمرو بن محمد ومجالد عن الشعبي نحوه أطول منه، وفيه: فقالوا ماذا تقول لربك؟ قال: أقول استخلفت عليهم خير ملك.

قال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا أبو صالح الفراء، حدثنا الهيثم بن جبلة، عن مبارك عن الحسن قال: لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: أيها الناس قد حضرني من أمر الله تعالى وقضائه ما ترون وإنه لا بد لكم من رجل يلي أمركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم ويقسم بينكم فيئكم، فإن شئتم اجتمعتم فأمرتم فاستعملتم وإن شئتم أن أجتهد لكم رأيي فوالله لا آلوكم ونفسي خيراً. قال: فبكى الناس. وقالوا: أنت خيرنا واعلمنا فاختر لنا. قال: فإني أختار لكم عمر بن الخطاب. قال الحسن: ودموعه تتحدر من عينيه فاختار والله الذي لا إله إلا هو خياراً يتعرفون منه في كل يوم يأتي عليهم المزيد في دنياهم حتى قتل رضي الله عنه.

قال: وحدثنا أبو يعلى محمد بن شداد بن عيسى المسمعي زرقان، حدثنا أبو عبد الرحمٰن العتبي، حدثنا أبو إبراهيم العامري قال: أوصى أبو بكر الصديق عند وفاته هذا ما عاهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ في أول يوم من الآخرة داخلاً فيها وآخر يوم من الدنيا خارجاً منها أنه قد ولى عمر بن الخطاب فإن يعدل ويحسن فذلك ظني به وأملي فيه، وإن خالف فعليه ما اكتسب ولا أعلم الغيب، وإنما أردت الخير وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وقال أيضاً: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث بن سعد، عن علوان، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمٰن بن عون عن أبيه أنه دخل على أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مضيق فقال له عبد الرحمٰن: أصبحت والحمد لله بارئاً قال له أبو بكر: أترى ذلك؟ قال: نعم. قال: إني على ذلك لشديد الوجع، وما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي، إني وليت أمركم خيركم في نفسي فكلكم ورم من ذلك أنفه يريد أن يكون الأمر له، ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج وتألمون الاضطجاع على الصوف الأزري، ولأن يقام أحدكم على حسك السعدان خير له من المكاثرة، ولأن يقدم أحدكم فتضرب رقبته في غير حد خير له من أن يخوض غمرة الدنيا وأنتم أول ضال بالناس غداً فتصفحونهم عن الطريق يميناً وشمالاً. يا هادي الطريق إنما هو الفجر أو البحر فقلت له: خفض عليك يرحمك الله فإن هذا يهيضك على ما بك إنما الناس في أمرك بين رجلين: إما رجل وافقه ما صنعت فهو معك، وإما رجل خالفك فهو يشير عليك برأيه وصاحبك كما تحب، ولا نعلمك ولم تزل صالحاً مصلحاً مع أنك لا تأسى على شيء من الدنيا. قال أبو بكر: أجل إني لا آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فذكر الحديث بطوله. وفي آخره قال يحي: قدم علينا علوان بعد وفاة الليث فسألته فحدثني به كما حدثنا الليث حرفاً حرفاً. وأخبرني أن اسمه علوان ابن داود.

قلت: ورواه الطبراني مختصراً فقال: حدثنا أبو الزنباع، حدثنا سعيد بن عفير، حدثني علوان ابن داود البجلي، عن حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف عن أبيه قال: دخلت على أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه فسلمت عليه فقال: رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل فساقه إلى قوله في غمرة الدنيا. قال الذهبي في الضعفاء: علوان بن داود ويقال ابن صالح البجلي. قال البخاري: منكر الحديث.

وقال صاحب كتاب المفجعين أيضاً: حدثنا عبيدالله بن محمد، حدثنا محمد بن عبدالله بن السفر أبو عبيد، حدثنا شهاب بن عباد، حدثنا علي بن المنذر القرشي، حدثني عثمان بن يزيد الكناني، عن رجل من قريش عن معيقيب بن أبي فاطمة قال: كنت ألي نفقة أبي بكر فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه فوجدت عنده نسوة من بني تيم بن برة عوائد، فهن في جانب البيت وهو مستخل بطلحة بن عبيدالله وهو يعاتبه في عمر بن الخطاب، فسمعت أبا بكر رافعاً صوته يقول: لا ولا كرامة ولا نعمة عني لو فعلت لخلعت أنفك في قفاك ولما أخذت من أهلك حقاً ولا رفعت

إني موصيك بوصية: اعلم أن لله حقاً في النهار لا يقبله في الليل وإن لله حقاً في الليل لا يقبله في النهار وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا

نفسك فوق قدرها حتى يكون الله الذي يضعك أتيتني، وقد دلكت عينيك تريد أن تفتنني عن ديني وتفتاتني عن رأيي قم لا أقام الله رجليك فلان بلغني أنك غمصته أو ذكرته بسوء لألحقنك بحمضات قنة حيث كنتم ترعون فلا تشبعون وتوردون فلا تردون وأنتم تحجون راضون، ستعلمون إذا فقدتموه وفارقتموه كيف تقتلون وأين تقتلون هو والله خيركم وأنتم والله شرهم لهم فقام فخرج إذ قيل له: هذا عثمان وعلي بالباب فأذن لهما فدخلا فسلما وقالا: كيف تجدك يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: أجدني وجعاً وأظنها هي. قالا: بل العافية إن شاء الله. قال: أنا ميت في مرضي هذا، ثم ذكر لهما رؤيا رآها ثم قال: فلعلكما تقولان في عمر ما قال طلحة آنفاً. قالا: وما قال؟ قال: زعم أن عمر أدناكم بيتاً وأقلكم عن الله وعن رسول الله ﷺ غنى. قال عثمان: كذب طلحة وبئس ما قال عمر بحيث تحب من فضله وسابقته. وقال علي: إنك طلحة وبئس ما قال عمر من سابقته وفضله ولا نعلم إلا خيراً وقد كان والياً معك تحتظي برأيه فدع عنك مخاطبة الرجال وامض لما أردت، فإن يكن ما أردت فله عمدت وإن يكن ما لا يكون إن شاء الله فلا نعلمك أردت إلا خيراً. قال: رحمكما الله ونهضا، والتفت إلي فقال: يا ابن فاطمة ما يقول الناس في عمر؟ قلت: أحبه قوم وكرهه آخرون. قال: فمن أحبه أكثر أم من كرهه؟ قلت: بل من كرهه أكثر فوجم لها ثم قال: قد يحب الشر ويكره الخير فلم ألبث أن قيل هذا عمر بالباب، فندمت على ما فرط مني وكان عمر لي صديقاً فأذن له فدخل فقال: يا عمر خافك الناس كرهك الناس. قال عمر: نحها عني يا خليفة رسول الله فلا حاجة لي بها. قال: اسكت لأسكت لكن بها إليك أعظم الحاجة. قال له: كيف تجدك؟ قال: أجدني وجعاً وأظنها هي وقص رؤياه عليه. قال عمر: ما أرى بك بأساً وما أتهمك على الله والخوف من الموت وأن خير يوميك اليوم الذي تقدم فيه على ربك. قال أبو بكر رضي الله عنه: وددت أنه كذلك فلم أبال متى مت. قال: فإن كنت ترى أنك ميت فذم لي في أهل دباء. قال: إليك عني فطالما خاطبتني في أهل دباء ولم أرَ سواك خاطبني فيهم وما ترددت في شيء ترددي فيهم، ولكن احفظ عني إذا حببت فلتهجر يدك فاك حتى يشبع من حيث له فإن نازعتك نفسك في مشاركتهم فشاركهم غير مستأثر عليهم، وإياك والذخيرة فإن ذخيرة الإمام تهلك دينه وتسفك دمه، وخرج عمر رضي الله عنه فالتفت فقال: ما الحساب بيننا وبينك؟ قلت: بقيت لي عليك ثمانية عشر درهماً أنت منها في حل. فقال: مه لا تزودني حراماً يا عائشة أئتيني بثمانية عشر درهماً؟ فدفعها إلي وخرجت، فكان آخر العهد به رضي الله عنه.

(ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه فجاء فقال: إني موصيك بوصية اعلم أن لله حقاً في النهار لا يقبله في الليل، وأن له حقاً في الليل لا يقبله في النهار، وأنه لا يقبل النافلة حتى توفى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا

الحق أن يثقل. وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف، وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم، فيقول القائل: أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء، فإن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا، فيقول القائل: أنا أفضل من هؤلاء، وأن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهباً ولا يلقي بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على غير الحق. فإن حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ولا بد لك منه، وإن ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولا بد لك منه، ولست بمعجزه.

وقال سعيد بن المسيب: لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس من الصحابة

وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل، وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف، وأن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئآتهم فيقول القائل: أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء وأن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل: أنا أفضل من هؤلاء وأن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً زاهداً ولا يلقي بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق، فإن حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب إليك من الموت، ولا بد لك منه، وإن ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه) . رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا عبدالله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد قال: لما حضرت أبا بكر الوفاة أرسل إلى عمر فقال: إني موصيك بوصية إن حفظتها فساقه وفيه: ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا؟ وفيه: وذكر أهل النار بسيء ما عملوا، وفيه: فيكون المؤمن راغباً راهباً. وفي آخره ولن يعجزه والباقي سواء.

ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا مطر بن خليفة، عن عبد الرحمن بن عبدالله بن سابط قال: لما حضر أبا بكر الصديق رضي الله عنه الموت دعا عمر فقال له: اتق الله يا عمر واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل فساقه، وفيه: وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وإن ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت إني لا أخاف أن لا ألحق بهم وأن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت، إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغباً راهباً والباقي سواء.

(وقال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى: **(لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس**

فقالوا : يا خليفة رسول الله ﷺ زودنا ، فإنا نراك لما بك. فقال أبو بكر : من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين ، قالوا : وما الأفق المبين ؟ قال : قاع بين يدي العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار ، يغشاه كل يوم مائة رحمة ، فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان. اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ، ثم جعلتهم فريقين : فريقاً للنعيم وفريقاً للسعير ، فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم إنك خلقت الخلق فرقاً وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً ، فلا تشقني بمعاصيك ، اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما عملت ، فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك. اللهم إن أحداً لا يشاء حتى تشاء ، فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربني إليك ، اللهم إنك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء إلا بإذنك ، فاجعل حركاتي في تقواك. اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملاً يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلاً ، فاجعلني من سكان جنتك. اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم ، فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك. فأحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني إليك

من أصحابه) عابدين **(قالوا : يا خليفة رسول الله زودنا فإنا نراك لما بك ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين . قالوا : وما الأفق المبين ؟ قال : قاع)** أي موضع واسع **(بين يدي العرش فيه رياض وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة ، فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان)** وهي هـذه . **(اللهـم أنت ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعيم وفريقاً للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير . اللهم إنك جعلت الخلق فرقاً وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً فلا تشقني بمعاصيك . اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لما عملت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك . اللهم إن أحداً لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربني إليك . اللهم إنك قدرت حركات العبادة فلا يعجزك شيء إلا بإذنك فاجعل حركاتي في تقواك . اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد عاملاً يعمل به فاجعلني من خير القسمين . اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلاً فاجعلني من سكان جنتك . اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي . اللهم إنك دبرت الأمور فجعلت مصيرها إليك فاحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني إليك زلفى .**

زلفى. اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة إلا بالله» قال أبو بكر: هذا كله في كتاب الله عز وجل.

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:

قال عمرو بن ميمون: كنت قائماً غداة أصيب عمر ما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما، فإذا رأى خللاً قال استووا حتى إذا لم يرَ فيهم خللاً تقدم فكبر. قال: وربما قرأ سورة يوسف أو النحل ـ أو نحو ذلك ـ في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني ـ أو أكلني ـ الكلب، حين طعنه أبو لؤلؤة وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً أو شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً فمات منهم تسعة ـ وفي رواية سبعة ـ فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه. وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فأما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأيت،

اللهم ومن أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فإنك ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال أبو بكر) رضي الله عنه: **(هذا كله في كتاب الله عز وجل)** أي معانيها منتزعة منه، وما ذكره من الجزاء المترتب لقائل هذه الكلمات مثله لا يكون من قبل الرأي، والله أعلم.

وفاة عمر رضي الله عنه:

(قال عمر بن ميمون) بن مهران الجزري أبو عبدالله وأبو عبد الرحمن سبط سعيد بن جبير ثقة فاضل مات سنة سبع وأربعين روى له الجماعة: **(كنت قائماً غداة أصيب عمر)** رضي الله عنه **(ما بيني وبينه، إلا عبدالله بن عباس)** رضي الله عنه، **(وكان)** عمر **(إذا مر بين الصفين)** من صفوف الصلاة **(قام بينهما فإذا رأى خللاً قال: استووا)** أمرهم بتسوية الصف **(حتى إذا لم ير خللاً تقدم فكبر)** للصلاة **(قال: وربما قرأ)** في صلاة الغداة **(سورة يوسف أو)** سورة **(النحل أو نحو ذلك)** من السور الطوال **(في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس)** ويدخلون في الصلاة، **(فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني أو)** قال: **(أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة)** غلام المغيرة بن شعبة **(وطار العلج)** يريد به المذكور فإنه كان مجوسياً **(بسكين ذات طرفين)** نصابها في الوسط **(لا يمر على أحد يميناً وشمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً)** في المسجد **(فمات منهم تسعة. وفي رواية سبعة ـ فلما رأى ذلك رجل من المسلمين)** من حاج العراق **(طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ)** إذ كثرت عليه الناس **(نحر نفسه)** بتلك السكين، **(وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه)** للصلاة إذ كان قريباً منه **(فأما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأى، وأما نواحي**

وأما نواحي المسجد ما يدرون ما الأمر؟ غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله! فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن العباس أنظر من قتلني؛ قال: فغاب ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة بن شعبة؛ فقال عمر رضي الله عنه: قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفاً. ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة! وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال ابن عباس: إن شئت فعلت؛ أي إن شئت قتلناهم، قال: بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم! فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ؛ قال: فقائل يقول أخاف عليه، وقائل يقول: لا بأس. فأتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشرب منه فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت. قال: فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل، قد كان لك صحبة من رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، فقال، وددت أن ذلك كان كفافاً لا عليّ ولا لي، فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض فقال: ردوا علي الغلام فقال: يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك. ثم

المسجد ما يدرون ما الأمر غير أنهم فقدوا صوت عمر) رضي الله عنه (**وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال**) عمر: (**يا ابن عباس انظر من قتلني. قال: فغاب**) ابن عباس (**ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة بن شعبة. قال: قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفاً، ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة! وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال ابن عباس: إن شئت فعلت؟ أي إن شئت قتلناهم، قال: بعدما ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم، فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه قال: وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ. قال: فقائل يقول أخاف عليه، وقائل يقول: لا بأس**) به. (**فأتي**) بالطبيب فأمره (**بنبيذ فشرب فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فعرفوا أنه ميت**) لنفوذ الجرح الصفاق (**قال: فدخلت عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة. فقال: وددت أن ذلك كان كفافاً لا علي ولا لي، فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض**) أي من طوله (**فقال: ردّوا علي الغلام**) فردوه. (**فقال: يا ابن أخي ارفع ثوبك**) عن الأرض (**فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك**) روى أحمد وابن سعد

قال: يا عبدالله أنظر ما علي من الدين؟ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه، فقال: إن وفي به مال آل عمر فاده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، وأدّ عني هذا المال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل: عمر يقرأ عليك السلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فذهب عبدالله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأؤثرنه اليوم على نفسي! فلما أقبل قيل هذا عبدالله بن عمر قد جاء فقال: إرفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت قال: الحمد لله ما كان شيء أهم إليّ من ذلك! فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستأذن عمر! فإن أذنت فأدخلوني وإن ردتني ردّوني إلى مقابر المسلمين.

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت

والبيهقي عن الأشعث بن سليم عن عمته عن عمتها أن النبي ﷺ قال لرجل: ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك أما لك فيّ أسوة (**ثم قال**) لولده عبدالله بن عمر: (**يا عبدالله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً**) درهماً (**ونحوه فقال: إن وفى به مال آل عمر**) هم أهله من أولاد وأزواج (**فأده من أموالهم، وإلاّ فسل في بني عدي بن كعب**) وهم عشيرته الأدنون، (**فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم**) أي لا تجاوزهم (**إلى غيرهم وأدّ عني هذا المال أنطلق إلى أم المؤمنين عائشة**) رضي الله عنها (**فقل: عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فذهب عبدالله**) بن عمر إلى عائشة رضي الله عنها (**فسلم**) على الباب (**واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي ولأؤثرنه اليوم علي نفسي، فلما أقبل**) من عندها (**قيل هذا عبدالله بن عمر قد جاء فقال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين**) قد (**أذنت**) أن تدفن مع صاحبيك، (**فقال الحمد لله الذي ما كان شيء أهم إلي من ذلك فإذا أنا قبضت فاحملوني**) إلى حجرتها (**ثم سلم وقل: يستأذن عمر فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردّوني إلى مقابر المسلمين.**)

(**وجاءت أم المؤمنين حفصة**) رضي الله عنها (**والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فولجت**

عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً فسمعنا بكاءها من داخل. فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين واستخلف، فقال: ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن وقال: يشهدكم عبدالله بن عمر وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمارة سعداً فذاك، وإلا فليستعن به أيكم أمر. فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة. وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأوّلين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بأهل الأنصار خيراً الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام وجباة الأموال وغيظ العدوّ وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام وأن يأخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله عز وجل وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل لهم من وراءهم ولا يكلفهم إلا طاقتهم. قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسلم

عليه فبكت عنده ساعة) وسيأتي أنه منعها من النوح والتعديد، **(واستأذن الرجال فولجت داخلاً)** معهم **(فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا: اوص يا أمير المؤمنين استخلف: فقال: ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر)** الستة **(الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعد)** بن أبي وقاص **(وعبد الرحمن)** بن عوف رضي الله عنهم. **(وقال: يشهدكم عبدالله بن عمر)** يعني ولده **(وليس له من الأمر شيء)** أي لا يستحق في الإمارة شيئاً **(كهيئة التعزية)** له والتسلية **(فإن أصابت الإمارة سعد)** بن أبي وقاص **(فذاك)** هو المظنون فيه **(وإلا فليستعن به)** أي برأيه ومشورته **(أيكم أمر)** أي جعل أميراً **(فإني لم أعزله)** عن الكوفة **(من عجز)** في رأيه **(ولا من خيانة)** في دينه، وكان عمر قد أمره على الكوفة سنة إحدى وعشرين ثم عزله. **(وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام وجباة الأموال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم. قال: فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي)** بجنازته إلى حجرة أم المؤمنين عائشة، **(فسلم عبدالله بن عمر وقال: يستأذن**

عبدالله بن عمر وقال: يستأذن عمر بن الخطاب، فقالت: أدخلوه، فأدخلوه في موضع هنالك مع صاحبيه... الحديث...

عمر بن الخطاب. فقالت: ادخلوه في موضع هناك مع صاحبيه الحديث) الخ وهو: فلما فرغ من دفنه ورجعوا اجتمع الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن. وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. قال: فجلا هؤلاء الثلاثة علي وعثمان وعبد الرحمن، فقال عبد الرحمن لهما: أيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه والله عليه والإسلام لننظرن أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الأمة. قال: فاسكت الشيخان. فقال: اجعلاه إلي والله علي لا آلو عن أفضلكم. قالا: نعم، فخلا بعلي فقال: لك من القدم في الإسلام والقرابة ما قد علمت آلله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن؟ قال: نعم، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال لعثمان: ارفع فبايعه ثم بايع له علي ثم ولج أهل الدار فبايعوه. رواه بهذا السياق البخاري فقال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، حدثنا حصين بن عبد الرحمن، عن عمرو بن ميمون أنه رأى عمر قبل أن يصاب بأيام وقف على حذيفة وابن حنيف إلى أن قال: فإذا رأى خللاً قال: استووا فساقه وفيه: قتلني الكلب، ولم يشك وفيه بسكين ذي طرفين ولم يذكر بعده إلى أن قال: فأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون بل فقدوا صوت عمر ولم يقل: فأما من كان يليه وفيه لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، وفيه فقال ابن عباس: إن شئت ولم يقل فعلت وفيه فاستقي لبناً فخرج من جرحه فعرفوا أنه ميت ولن يذكر فيه قصة رد الغلام ولا وصيته في قضاء الدين ولا وصيته بالمهاجرين وأهل الأمصار والأعراب. وقد رواه بهذه الزيادات البخاري والنسائي من طريق جرير عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بثلاث أو أربع واقفاً على ناقته على حذيقة وعثمان بن حنيف وهو يقول: لعلكما حملتما الأرض يعني من الخراج ما لم تطق فساق الحديث، وفيه فما أتت عليه ثلاث حتى أصيب قال: وكان إذا دخل المسجد وأقيمت الصلاة قام بين كل صفين فساقه كسياق المصنف، وفيه: مات منهم سبعة فطرح عليه رجل من حاج العراق برنساً فأخذه وفيه: فجال ابن عباس ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة. قال: آلصنع. قال: آلصنع قال: قاتله الله وفيه والناس يقولون لا بأس عليك، فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فعرف أنه الموت فقال لابنه عبدالله: أنظر ما كان علي من دين. قال: ستة وثمانون ألفاً. قال: إن وفى الخ. إلى أن قال: واذهب إلى عائشة فساقاه إلى أن قال: فلما جاء ابن عمر قال عمر: أقعدوني فأسنده رجل إلى صدره فقال لابن عمر: ما لديك الخ. وفيه: وليس له من الأمر شيء فمن استخلفوه فهو الخليفة بعدي، فإن أصابت سعداً وإلا فليستعن به الخليفة فإني لم أنزعه من ضعف ولا خيانة، ثم ذكرا قصة الغلام وقوله: يا ابن أخي إرفع إزارك ثم ذكر وصيته بالمهاجرين وأهل الأمصار والأعراب وأهل الذمة، وفيه: فلما توفي حمل فكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ حتى إذا دنا ابن عمر سلم على عائشة ثم قال: استأذنك عمر فأذنت له وقالت له أدخله هذا آخر سياقها من طريق جرير.

....

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، حدثنا شبابة بن سوار، حدثني فرات بن السائب، عن ميمون بن مهران قال: لقيت ابن عمر بالمدينة، فقلت: إني لأحب أن أعلم كيف كان قتل عمر رضي الله عنه. فقال: صنع قيّن المغيرة مدية لها رأسان مقبضها في وسطها، فدخل المسجد صلاة الفجر وعمر رضي الله عنه معه درته يأمر الناس بتسوية الصفوف، فطعنه تسع طعنات فقال عمر: دونكم الكلب فقد قتلني فثار بالناس فجعل لا يدنو إليه أحد إلا أهوى إليه فطعنه، فطعن يومئذ ثلاثة عشر إنساناً فمات منهم ستة في المسجد، واحتمل عمر رضي الله عنه إلى بيته وأدخل الناس إلى منزله فقال لي: أي بني أخرج إلى الناس فسلهم أعن ملأ منهم كان هذا؟ فلما ذكرت ذلك لهم قالوا: معاذ الله وحاشا الله لوددنا أنا فديناه بالآباء والأبناء، والله ما أتى علينا يوم قط بعد وفاة رسول الله ﷺ أعظم من هذا اليوم، وكان أول من دخل عليه علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس فنظر إليه ابن عباس فبكى وقال: ابشر يا أمير المؤمنين بالجنة، فقال: يا ابن عباس اتشهد لي بذلك فكأنه كاع فضرب على كاع منكبه وقال: أجل فاشهد له وأنا على ذلك من الشاهدين، فقال عمر بن الخطاب: وكيف؟ فقال ابن عباس: كان إسلامك عزاً وولايتك عدلاً ومنيتك شهادة. فقال: والله لا تفروا بي من ربي وذنبي، ثكلت عمر أمه إن لم يغفر له ربه، ثم قال لي: ضع رأسي بالأرض ثكلتك أمك. قال: وحدثنا عبد الملك الميموني، حدثنا حوذة، حدثنا ابن عوف عن محمد بن سيرين قال: لما طعن عمر رضي الله عنه جعل الناس يقولون: إنه لا بأس عليك، فقال عمر للطبيب: انظر فادخل يده فنظر، فقال: ما وجدت؟ فقال: قد بقي من وتينك ما تقضي منه حاجتك. قال: أنت أصدقهم وأخبرهم، فقال له رجل قال ابن عون: أراه ابن عباس والله إني لأرجو أن لا تمس النار جلدك فنظر إليه نظراً شديداً حتى وثينا له، ثم قال: إن علمك بذلك يا ابن فلان لقليل لو أن لي ما على الأرض من شيء لافتديت به هول المطلع. وقال الذهبي في مناقب عمر: روى الأعمش عن إبراهيم التيمي، عن عمرو بن ميمون: رأيت عمر يوم طعن وعليه ثوب أصفر فجرّ وهو يقول: ﴿وكان أمرُ اللهَ قَدراً مقدوراً﴾ [الأحزاب: ٣٨] وروى يحي بن أيوب عن يونس، عن ابن شهاب، حدثني عبيد الله أن ابن عباس أخبره أنه جاء عمر حين طعن فاحتمله هو ورهط حتى ادخل بيته قال: ثم غشي عليه فلم يزل في غشيته حتى أسفر ثم أفاق فقال: هل صلى الناس؟ قلنا: نعم. قال: لا إسلام لمن ترك الصلاة ثم توضأ وصلى وقال: الحمد لله الذي قتلني من لا يحاجني عند الله بصلاة صلاها وكان مجوسياً.

وقال صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال: كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صنعاً ويستأذنه أن يدخل المدينة ويقول: إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس إنه حداد نقاش نجار، فأذن له أن يرسله إلى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر. قال: فجاء إلى عمر يناشده شدة الخراج، فقال له عمر: ما خراجك بكثير في كنه ما تعمل، فانصرف ساخطاً يتذمر، فلبث عمر ليالي ثم دعاه

فقال: ألم أحدث أنك تقول لو شاء لصنعت الطحن بالرمح، فالتفت إلى عمر عابساً وقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فلما ولى قال عمر: أوعدني العبد آنفاً، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس فخرج عمر يوقظ الناس لصلاة الفجر، فلما دنا منه عمر وثب فطعنه ثلاث طعنات: إحداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق وهي التي قتلته، ثم مال على أهل المسجد حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلاً ثم انخنس بخنجره فقال عمر: قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس، ثم غلب عمر نزف الدم حتى غشي عليه. قال ابن عباس: فاحتملت عمر في رهط حتى أدخلناه فلم أزل عنده ولم يزل في غشية واحدة حتى أسفر ثم أفاق فنظر في وجوهنا فقال: أصلى الناس؟ قلت: نعم. قال: لا إسلام لمن ترك الصلاة ثم توضأ ثم صلى - يعني في دمائه - وكان أبو لؤلؤة مجوسياً. وقال عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: جئت من السوق وعمر يتوكأ علي فمر أبو لؤلؤة فنظر إلى عمر نظرة ظننت أنه لولا مكاني بطش به، فجئت بعد ذلك إلى المسجد لصلاة الفجر فإني لبين النائم واليقظان إذ سمعت عمر يقول: قتلني الكلب فماج الناس ساعة، ثم إذا قراءة عبد الرحمن بن عوف.

وقال ثابت البناني عن أبي رافع قال: كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم، فلقي عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل عليَّ فكلمه فقال: أحسن إلى مولاك ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه فغضب وقال: يسع الناس كلهم عدله غيري، وأضمر قتله واتخذ خنجراً وشحذه وسمّه فجاء فقام خلف عمر في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر وطعن ثلاثة عشر مات منهم ستة، وحمل عمر إلى أهله وكادت الشمس أن تطلع فصلّى عبد الرحمن بالناس بأقصر سورتين، وسقي عمر نبيذاً فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبناً فخرج من جرحه، فقالوا: لا بأس عليك. فقال: إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت، فجعل الناس يثنون عليه ويقولون: كنت وكنت. فقال: أما والله وددت أني خرجت منها كفافاً لا عليّ ولا لي، وأن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي، وأثنى عليه ابن عباس فقال: لو أني لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع، وقد جعلتها شورى في هؤلاء الستة، وأمر صهيباً أن يصلي بالناس وأجل الستة ثلاثاً.

وروى الأوزاعي ومسعر عن سماك الحنفي عن ابن عباس قال: دخلت على عمر حين طعن فقلت: أبشر يا أمير المؤمنين والله لقد مصر الله بك الأمصار وأوسع بك الرزق وأظهر بك الحق فقال: وددت أني أنجو كفافاً لا أجر ولا وزر.

وروى أبو عوانة عن داود بن عبد الله، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري قال: حدثنا ابن عباس قال: أنا أول من أتى عمر حين طعن فقال: احفظ مني ثلاثاً إني أخاف أن يدركني الناس،

....

أما انا فلم أقض في الكلالة قضاء ولم استخلف على الناس خليفة وكل مملوك لي عتيق، فقال له الناس: استخلف. فقال: ان ادع الناس فقد ترك نبي الله ﷺ وإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر.

وروى عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن كثير النواء، عن أبي عبيد مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: كنت مع علي فسمعت الصيحة على عمر فقام وقمت معه حتى دخلنا على عمر البيت فقلت: ما هذا الصوت؟ قالت امرأة: سقاه الطبيب نبيذاً فخرج وسقاه لبناً فخرج، فقال: لا أرى أن تمسي فما كنت فاعلاً فافعل، فقالت أم كلثوم: واعمراه وكان معها نسوة يبكين معها وارتج البيت بكاء، فقال عمر: والله لو أن لي ما على الأرض من شيء لافتديت به من هول المطلع. وقال ابن عباس: والله إني لأرجو أن لا تراها إلا مقدار ما قال الله تعالى: ﴿وان منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] إن كنت ما علمنا لأمير المؤمنين وأمين المؤمنين وسيد المؤمنين تقضي بكتاب الله وتقسم بالسوية فأعجبه قولي فأستوى جالساً. قال: أتشهد لي بهذا يا ابن عباس؟ قال: فكففت، فضرب علي رضي الله عنه كتفي فقال: اشهد. قلت: نعم أنا أشهد.

وروى مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال، قال عمر من قتلني؟ قيل: أبو لؤلؤة، قال: الحمد لله الذي لم يقتلني رجل يخاصمني بلا إله إلا الله، فوضعت رأسه على فخذي فقال: ألصق خدي بالأرض ففعلت فقال: ويل عمر وويل أم عمر إن لم يغفر الله لي.

وقال يزيد بن هارون، وحدثنا جرير بن عثمان، حدثنا حبيب بن عبيد عن المقدام بن معدي كرب قال: دخلت حفصة على عمر فقالت: يا صاحب رسول الله ويا صهر رسول الله ويا أمير المؤمنين، فقال لابنه: اجلسني فلا صبر لي على ما أسمع، وقال لها: إني أحرج لمالي عليك من الحق أن تندبيني بعدها، فأما عينيك فلا أملكهما إنه ليس من ميت يندب بما ليس فيه إلا مقته الملائكة.

وروى حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: لما طعن عمر صرخت حفصة فقال: يا حفصة أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المعول عليه يعذب» وجاء صهيب فقال: واعمراه: فقال: ويلك يا صهيب أما بلغك أن المعول عليه يعذب.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا أبو أسامة، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد، حدثني يحيى بن أبي راشد البصري قال: لما احتضر عمر بن الخطاب قال لابنه: يا بني ادن مني فضع ركبتيك بين كتفي وضع راحتك اليمنى على جبيني واليسرى تحت ذقني وراعني، فإذا مت فاغمض بصري وغسلوني وأحسنوا غسلي وكفنوني في ثوبين ولا تتغالوا في كفني، فإن يكن ربي عز وجل راضياً عني فلن يرضى لي بثيابكم حتى يكسوني من ثياب الجنة، وإن يكن علي ساخطاً فإنه يسلبني سلباً سريعاً ويلبسني شر الثياب، فإذا حفرتم قبري فاحفروا قدر مضجعي، فإن يكن عني راضياً فسيوسعه مدّ بصري، وإن يكن علي ساخطاً فسيضيقه علي حتى تختلف أعضائي، فإذا حملتموني فأسرعوا بي فإنما هو خير تردوني إليه أو شر

وعن النبي ﷺ قال: « قال لي جبريل عليه السلام ليبكِ الإسلام على موت عمر »، وعن ابن عباس قال: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك! وايم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك أني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر » فإني كنت ـ لأرجو أو لأظن ـ أن يجعلك الله معهما.

تلقونه عن أعناقكم، ولا تمشين مع جنازتي امرأة ولا تتبعني نائحة ولا تزكوني، فربي أعلم بي، فإذا وضعتموني في حفرتي فقولوا: اللهم باسمك وعلى ملتك وملة رسولك وفي سبيلك أسلمه إليك الأهل والولد والمال والعشيرة فاغفر له. اللهم وارحمه ثم اقرأ عليكم السلام حتى ألقاكم.

(وعن النبي ﷺ قال: « قال لي جبريل عليه السلام: ليبك الإسلام على موت عمر ») قال العراقي: رواه الآجري في كتاب الشريعة من حديث أبيّ بن كعب بسند ضعيف جداً. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات انتهى.

قلت: قال فيه: حدثنا محمد بن الحميد الواسطي، حدثنا محمد بن رزق الله، حدثنا حبيب بن ثابت، حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمي، عن ابن شهاب، عن سعيد، عن أبي بن كعب رفعه « كان جبريل يذاكرني أمر عمر فقلت له اذكر لي فقال: لو جلست معك كما جلس نوح في قومه ما بلغت فضائل عمر وليبكين الإسلام بعد موت عمر » قال الذهبي في نعم السمر: ابن عامر واه وحبيب مجهول لعل الآفة منه.

(وعن ابن عباس) رضي الله عنه **(قال: وضع عمر على سريره)** بعدما كفن **(فتكنفه الناس)** أي أحاطوا إليه **(يدعون ويصلون)** أي يترحمون **(قبل ان يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي)** من ورائي **(فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك أني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر » فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما)**. قال العراقي: متفق عليه.

قلت: روياه من طريق ابن المبارك، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن ابن أبي مليكة سمعت ابن عباس يقول: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس فساقاه هكذا. وروى أبو معشر نجيح عن نافع عن ابن عمر قال: وضع عمر بين القبر والمنبر فجاء علي حتى قام بين يدي الصفوف فقال: رحمة الله عليك ما من خلق الله أحب إلي من ألقى الله بصحيفته بعد النبي ﷺ من هذا

وفاة عثمان رضي الله عنه:

الحديث في قتله مشهور . وقد قال عبدالله بن سلام : أتيت أخي عثمان لأسلم عليه وهو

المسجى عليه ثوبه . وروى يونس بن أبي يعفور عن عون بن أبي حجيفة عن أبيه أن علياً قال فذكر نحوه . وروى ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن علياً دخل على عمر وهو مسجًّى فقال : صلى الله عليك . قال الذهبي : إسناده صحيح ، وقال صاحب كتاب المتفجعين : قيل لجعفر ابن محمد أيصلى على غير النبي ﷺ ؟ فقال : هذا علي كرم الله وجهه قد صلّى على عمر رضي الله عنه .

وفاة عثمان رضي الله عنه:

(**الحديث في قتله مشهور**) . رواه سيف بن عمر التميمي وابن عائذ كلاهما في كتاب الفتوح مفصلاً ومجمله ما رواه محمد بن يحيى الذهبي قال : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا محمد بن عيسى بن سميع ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري قال ؛ قلت لسعيد بن المسيب : هل أنت مخبري كيف قتل عثمان ؟ قال : قتل مظلوماً ومن خذله كان معذوراً ، ولما ولي كره ولايته جماعة لأنه كان يحب قومه ويوليهم فيجيء منهم ما تنكره الصحابة فلا يعزلهم ، فلما كان في الست حجج الأواخر استأثر ببني عمه فولاهم وما أشرك معهم ، فولى ابن أبي سرح مصر فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ، وقد كان من قبل هنات من عثمان إلى ابن مسعود وأبي ذر وعمار ، فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها بحال ابن مسعود ، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها ، وكانت بنو مخزوم قد حنقت عليه بحال عمار ، وجاء المصريون يشكون من عبد الله فكتب إليه كتاباً يتهدده فيه فأبى أن يقبل ما نهاه وضرب بعض من أتاه فقتله ، فخرج من مصر سبعمائة فنزلوا المدينة وشكوا صنيع ابن أبي سرح بهم ، فقام طلحة فكلم عثمان بكلام شديد ، وأرسلت عائشة إليه تقول : انصفهم من عاملك ودخل عليه علي وكان متكلم القوم فقال : إنما يسألونك رجلاً بدل رجل ، وقد ادعوا قبله دماً فاقض بينهم وانصف ، فقال لهم : اختاروا رجلاً أوليه ، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر فولاه وكتب عهده وخرج معهم عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح ، فلما كانوا على مسيرة ثلاثة من المدنية إذا هم بعبد أسود على بعير يخبط البعير خبطاً كأنه رجل يطلب فسألوه ؟ فقال : وجهني أمير المؤمنين إلى عامل مصر فقيل له : هذا محمد عامل مصر . قال : ليس هذا أريد فجيء به إلى محمد فقال مرة : أنا غلام عثمان ، ومرة قال : أنا غلام مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان ، فقال له محمد : إلى من أرسلت ؟ قال : إلى عامل مصر برسالة . قال : معك كتاب ؟ قال : لا . ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً وكانت معه أداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فشقوها فإذا فيها كتاب من عثمان فجمع محمد الصحابة وفكّه ، فإذا فيه : إذا أتاك فلان وفلان ومحمد فاحتلّ قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك واحبس من يجيء

....

إلي متظلماً، ففزعوا وأزمعوا فرجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم جماعة ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة، فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً والصحابة، ثم فضّوا الكتاب فلم يبق أحد إلا حنق على عثمان وزاد ذلك غضباً لأعوان ابن مسعود وأبي ذر وعمار وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد ببني تيم، فلما رأى ذلك علي بعث إلى طلحة والزبير وعمار وسعد وغيرهم ودخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له: هذا الغلام والبعير لك قال: نعم. قال: فهذا كتابك؟ قال: لا والله. قال: فالخاتم خاتمك؟ قال: نعم. قال: كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لاتعلم به وعرفوا أنه بخط مروان وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى وكان معه في الدار، فخرجوا غضاباً وعلموا أنه لا يحلف بباطل ولزموا بيوتهم، فحاصره أولئك حتى منعوه الماء فاشرف يوماً فقال: أفيكم علي؟ قالوا: لا قال: أفيكم سعد؟ قالوا: لا. فسكت ثم قال: ألا أحد يسقينا ماء؟ فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب فجرح بسببها جماعة من الموالي حتى وصل الماء إليه، فبلغ علياً أن عثمان يراد قتله. فقال: إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا، وقال لابنيه: اذهبا بسيفيكما حتى تكونا على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه، وبعث إليه الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه وبعث عدة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس عنه، ويسألونه أن يخرج مروان، فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر ورمى الناس بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه، وأصاب مروان سهم وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى علي خشى ابن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن، فاستشار صاحبيه وتثوّروا من دار حتى دخلوا على عثمان بغتة والناس فوق البيوت لا يدرون، ولم يكن مع عثمان سوى امرأته فقال لهما محمد: مكانكما فإن معه امرأته فإذا أنا ظبطته فادخلا فتوجياه حتى تقتلاه ودخل فأخذ بلحيته فقال له عثمان: والله لو أراك أبوك لساء مكانك مني فتراخت يده، ودخل الرجلان فتوجياه حتى قتلاه وهربوا من حيث دخلوا وصرخت امرأته وصعدت إلى الناس وقالت: قتل أمير المؤمنين فجاؤا فوجدوه مذبوحاً، وبلغ علياً وطلحة والزبير الخبر فخرجوا وقد ذهبت عقولهم فدخلوا عليه واسترجعوا وقال علي: كيف قتل أمير المؤمنين وانتم على الباب ولطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم ابن الزبير وابن طلحة وولى مغضباً. وقال الحافظ الذهبي: هو في بادىء الرأي صحيح الاسناد، لكن قال البخاري يقال: إن ابن سميع ما سمع هذا الحديث من ابن أبي ذئب، وقال صالح جرزة قال لي محمود ابن بنت محمد بن عيسى بن سميع هو في كتاب جدي عن إسماعيل بن يحيى التيمي عن ابن أبي ذئب، وكان إسماعيل يضع الحديث. وروى قريش بن أنس: حدثنا سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد هو مولى أبي أسد قال: دخلوا على عثمان والمصحف بين يديه فضربوه على يديه فجرى الدم على: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ [البقرة: ١٣٧] قال الذهبي: هذا اسناد صحيح، وروى خالد بن عبد الله عن عمران بن حدير قال: إن لا يكن عبد الله بن شقيق حدثني ان أول قطرة قطرت من دم عثمان على ﴿فسيكفيكم الله وهو السميع العليم﴾ فإن أبا حريث ذكر أنه ذهب هو وسهيل المري فاخرجوا إليه المصحف، فإذا القطرة على فسيكفيكم الله قال فإنها في المصحف ما حكت.

محصور، فدخلت عليه فقال مرحباً يا أخي! رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخوخة ـ وهي خوخة في البيت ـ فقال: «يا عثمان حصروك؟» قلت: نعم. قال: «عطشوك؟» قلت: نعم، فأدلى إلي دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت ـ حتى إني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده! فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه. وقال عبدالله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح، ماذا قال عثمان وهو يتشحط؟ قالوا سمعناه يقول، اللهم اجمع أمة محمد ﷺ ـ ثلاثاً ـ قال: والذي نفسي بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبداً ما اجتمعوا إلى يوم القيامة.

وعن ثمامة بن حزن القشيري قال: شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله

(وقد قال عبد الله بن سلام) رضي الله عنه: **(أتيت أخي عثمان)** رضي الله عنه **(لأسلم عليه وهو محصور)** في داره، **(فدخلت عليه فقال: مرحبا يا أخي رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال: «يا عثمان حصروك» قلت: نعم. قال «عطشوك» قلت: نعم قال: فأدلى إلي دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى أني لأجد برده بين ثديي وقال لي «إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا» فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم)**. قال عبد الله بن أحمد: حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا يونس بن أبي يعفور العبدي، عن أبيه، عن مسلم بن سعد أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً ثم دعا بسراويل فشده عليه ولم يلبسه في جاهلية ولا إسلام وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة وأبا بكر وعمر فقال «اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة» ثم دعا بمصحف ففتحه بين يديه فقتل وهو بين يديه. وقال إسحاق بن سليمان: حدثنا أبو جعفر الرازي، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر أن عثمان أصبح يحدث الناس قال: رأيت رسول الله ﷺ الليلة في المنام فقال «افطر عندنا غداً» فأصبح صائماً وقتل من يومه. قال الذهبي: هذا حديث صحيح. ورواه ابن أبي عروبة عن يعلى بن حكيم عن نافع نحوه. ورواه عبد الملك بن عمير عن كثير بن الصلت عن عثمان وله طرق أخر بمعناه.

(وقال عبد الله بن سلام) رضي الله عنه: **(لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين خرج: ماذا قال عثمان وهو يتشحط؟ قالوا: سمعناه يقول: اللهم اجمع أمة محمد ﷺ ثلاثاً. قال: والذي نفسي بيده لو دعا الله على تلك الحال أن لا يجتمعوا أبداً ما اجتمعوا إلى يوم القيامة)** رواه الليث عن عبيد الله بن المغيرة وعبد الكريم بن الحرث أن عبد الله بن سلام قال لمن حضر عثمان وهو يتشحط في الموت ضربه أبو رومان الأصبحي: ماذا كان قول عثمان وهو يتشحط في دمه؟ قال: سمعناه يقول فساقه.

(وقال ثمامة بن حزن) بن عبد الله بن مسلمة بن قشير بن كعب بن ربيع بن عامر بن

عنه فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي! قال فجيء بهما كأنما هما جملان أو حماران، فأشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: من يشتري رومة، يجعل دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها ومن ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم، قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة؟» فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال: «اسكن ثبير فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان» قالوا: اللهم نعم، قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد.

صعصعة (القشيري) البصري والدأبي الورد مخضرم وفد على عمر وله خمس وثلاثون سنة. قال يحيى بن معين: ثقة روى له مسلم والترمذي والنسائي وليس له في الصحيح غير حديث النبيذ قال: سألت عائشة عن النبيذ، وروى له البخاري في الأدب المفرد (**قال: شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان**) رضي الله عنه (**فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألّباكم**) أي حرضاكم (**عليّ فجيء بهما كأنهما جملان أو حماران، فأشرف عليهم عثمان**) رضي الله عنه (**فقال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: «من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنة؟» فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها ومن ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ «من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة» فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني ان أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون إني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال: فركضه برجله وقال «اسكن ثبير فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان». قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد**). قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن والنسائي انتهى.

وروي عن شيخ من ضبة أن عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] اللهم إني أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني.

قلت: ورواه الأنصاري في جزئه قال: حدثنا هلال بن لاحق عن الجريري عن ثمامة بن حزن قال: شهدت الدار وأشرف عليهم عثمان فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي فدعيا له كأنهما جملان أحمران فساقه، ولـيس فيه ذكر تجهيز جيش العسرة. ورواه عيسى بن يونس عن أبيه عن جده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وذكره فيه تجهيز جيش العسرة وزاد: ولكن طال عليكم أمري واستعجلتم وأردتم خلع سربال سربلنيه الله وإني لا أخلعه حتى أموت أو أقتل.

(وروي عن شيخ من ضبة أن عثمان) رضي الله عنه **(حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. اللهم إني أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أموري، وأسألك الصبر على ما ابتليتني)**. وروى يحي بن ميمون العدادي، عن الحرث بن عمير، عن معمر بن عقيل، حدثنا أبو خباب رجل شامي قال: حدثتني ريطة مولاة أسامة بن زيد قالت: كنت في الدار إذ دخل القوم فساق الحديث وفيه: فجاء رجل خلف عثمان بسعفة فضرب بها جبهته فرأيت الدم يسيل وهو يمسحه ويقول: اللهم لا تطلب بدمي غيرك.

وروى صاحب كتاب المتفجعين عن الكزبراني، عن عمرو بن عاصم الكلابي، عن حفص بن أبي بكر، عن هياج بن سريع، عن مجاهد قال: أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال: يا قوم لا تقتلوني فإني وال وأخ ومسلم فساق الحديث وفيه: فلما أبوا قال: اللهم إني لا أرى إلا غادراً أو فاجراً، اللهم فاحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً. قال مجاهد: فقتل الله أكثرهم في تلك الفتنة.

وروي أيضاً عن علي بن عثمان الفضيلي، حدثنا أبو مسهر، حدثنا إسماعيل بن عياش أن عثمان رضي الله عنه دعا عليهم فقال: اللهم ابدلني بخير منهم وأبدلهم بشر مني، اللهم خذ لي منهم بثأري. اللهم انقل هذا الأمر ممن خذله إلى من نصره، وروي أيضاً عن حبيش بن موسى الصيني، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني، عن سعيد بن مسلم بن بانك قال: جعلوا يوجئون عثمان رضي الله عنه والمصحف في حجره وهو يقول:

ولقد علمت لو آن علمي نافعي إن الحياة من الممات قريبُ

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا الحرث بن محمد التميمي، حدثني أبو الحسن علي بن محمد القرشي، عن سعيد بن مسلم بن بانك، عن أبيه أن عثمان رضي الله عنه قال متمثلاً يوم دخل عليه:

أرى الموت لا يبقي عزيزا ولم يدع لعاد ملاكاً في البلاد ومرتقى
يبيت أهل الحصن والحصن مغلق ويأتي الجبال في شمارخها العلا

وفاة علي كرّم الله وجهه:

قال الأصبغ الحنظلي: لما كانت الليلة أصيب فيها علي كرّم الله وجهه، أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول:

اشــــدد حيــــازيمك للمــــو ت فــــإن الموت لاقيــــك
ولا تجزع مــــــــــــن المو ت إذا حــــل بــــواديكــــا

فلما بلغ الباب الصغير شدد عليه ابن ملجم فضربه. فخرجت أم كلثوم ابنة علي

وفاة علي كرم الله وجهه:

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة: قد قال النبي ﷺ وهو على حراء وقد تحرك الجبل «أثبت حراء فإنما عليك نبي وصديق وشهيد» وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسائر من في الحديث المشهور، فقد أخبر النبي ﷺ بأنهم شهداء، وقتل علي رضي الله عنه شهيداً، وقد أخبر النبي ﷺ أنك مستخلف مقتول، ولا بدّ لما قاله النبي ﷺ أن يكون لا بدّ من أن يكون، وذلك درجات لهم رضي الله عنهم عند ربهم يزيدهم فضلاً إلى فضلهم وكرامة منه لهم، وقد روينا عن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «ألا أخبرك بأشقى الناس احيمر ثمود عاقر الناقة والذي يضربك على هذا» وأشار إلى قرنه وتبتل هذه منها وأخذ بلحيته. وعن جابر وسمرة قال، قال رسول الله ﷺ لعلي: «إنك مؤمن مستخلف وإنك مقتول وأن هذه مخضوبة من هذا» لحيته ورأسه. وعن أبي سنان الديلمي قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك ستضرب ضربة ههنا ـ وأشار إلى صدغيه ـ تسايل دماً حتى تخضب لحيتك فيكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود». وعن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً رضي الله عنه على المنبر يقول: ما ينتظر الأشقى عهد إلى رسول الله ﷺ لتخضبن هذه من دم هذا.

(**قال الاصبغ**) بن نباتة التميمي (**الحنظلي**) الكوفي يكنى أبا القاسم متروك رمي بالرفض روى له ابن ماجه: (**لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه أتاه ابن البناج**) وهو مؤذنه (**حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول:**

أشــــدد حيــــازيمك للمــــو ت فــــإن المــــوت لاقيــــك
ولا تجزع مــــــــــن المو ت إذا حــــلّ بــــواديــــك

فلما بلغ الباب الصغير شدّ عليه ابن ملجم) عبد الرحمن رجل من بني مراد (**فضربه**) رواه

رضي الله عنه فجعلت تقول: ما لي ولصلاة الغداة! قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة؛ وقتل أبي صلاة الغداة. وعن شيخ من قريش أن علياً كرّم الله وجهه لما ضربه

ابن أبي الدنيا فقال: حدثني عبد الله بن يونس بن بكير قال: حدثني أبي حدثني علي بن أبي فاطمة الغنوي قال: حدثني الاصبغ الحنظلي فذكره.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا الكزبراني، حدثنا حجاج بن أبي منيع، حدثنا جدي عن الزهري قال: لما انتشر أمر علي رضي الله عنه وكثر عليه اختلاف أصحابه أقبل رجل من الخوارج يقال له عبد الرحمن بن ملجم مشتملاً على السيف، وكان علي رضي الله عنه يتولى التأذين بنفسه، فكان إذا أراد أن يقول حي على الصلاة اخرج رأسه من باب طاق المسجد إلى السوق، وأقبل الخارجي فقام عند الطاق من خارج، فلما أخرج علي رأسه ضربه الخارجي ضربة أطار بها طائفة من قحفه، وتنادى الناس: قتل أمير المؤمنين واقبلوا نحوه وهو يحمل عليهم حتى أخذوه وانتزعوا السيف من يده، وعاش علي رضي الله عنه يومه ذلك ومات في الليلة القابلة، فقطعت يد ابن ملجم ورجلاه وسملت عيناه ثم أدرج في بردين فأحرق.

وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا قطر بن خليفة، حدثني أبو الطفيل قال: دعا علي الناس إلى البيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم فردّه مرتين ثم أتاه فقال: ما يحبس أشقاها لتخضبن أو لتصفقن هذه ـ يعني لحيته من هذا يعني رأسه ـ ثم تمثل بهذين البيتين:

اشدد حيازيمك للموت الخ

(**فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه**) وأمها فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقد تقدم ذكرها، (**فجعلت تقول: ما لي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين**) عمر رضي الله عنه (**صلاة الغداة**) كما تقدم آنفاً، (**وقتل أبي صلاة الغداة**) وهذا القول عنها قد تقدم في وفاة رسول الله ﷺ.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا الكزبراني، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سليمان بن كثير عن حصين عن هلال بن يساف أن علياً رضي الله عنه كان يخرج إلى المسجد قبل الفجر فيقول: الصلاة حتى إذا أنار الفجر صلى، فبينا هو كذلك ابتدره رجلان أحدهما ابن ملجم والآخر شبيب بن بجرة الأشجعي، فضربه احدهما على رأسه وأخطأه الآخر، فأخذ الضارب فسمعهم يقولون ليس عليه بأس. قال: فعلى من كانوا يبكون لقد سقيت سيفي السم شهرين، ولقد ضربته ضربة لو قسمت بين العرب لأفنتهم، فمات علي رضي الله عنه من يومه وقتل ابن ملجم لعنه الله تعالى. قال: وحدثنا محمد بن جبلة، حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا أبو أسامة حدثنا أبو طلق علي بن حنظلة بن نعيم عن أبيه قال: لما ضرب ابن ملجم علياً رضي الله عنه قال: احبسوه فإنما هو جرح فإن برئت امتثلت أو عفوت وإن هلكت قتلتموه، فجعل عليه عبدالله بن جعفر، وكانت أم كلثوم ابنة علي تحته فقطع يديه ورجليه وفقأ عينيه وجدعه وقال له: هات لسانك، فقال له: إذ صنعت ما صنعت فإنما تستقرض في جسدك فاستعد للقصاص، فأما لساني فدعه

ابن ملجم قال: فزت ورب الكعبة. وعن محمد بن علي أنه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله، حتى قبض.

اذكر الله به فإني لا أخرجه إليك أبداً فشق لحييه فقطع لسانه وجعل يجعل المسمار في عينيه فقال: إنك لتكحلني بملمول يمضي، وكانت ام كلثوم تبكي فقيل له: ما على أمير المؤمنين من بأس؟ فقال: فأم كلثوم على ماذا تبكي؟ والله ما خانني سيف ولا ضعفت يدي.

قلت: وأخرجه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة، عن محمد بن هارون بن المجدر عن إبراهيم ابن سعيد الجوهري، عن أبي أسامة، وفيه: فجاءت أم كلثوم تبكي وتقول: يا خبيث والله ما ضر أمير المؤمنين. فقال: علام تبكين يا أم كلثوم والله ما خانني سيفي ولا ضعفت يدي.

وقال أبو محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة، وأخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا أبو أسامة، حدثنا أبو جناب، حدثنا أبو عون الثقفي قال: كنت اقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وكان الحسن بن علي يقرأ عليه. قال أبو عبد الرحمن فاستعمل أميّر المؤمنين علي رضي الله عنه رجلاً من بني تميم يقال له حبيب بن قرة على السواد، وأمره أن يدخل الكوفة من كان بالسواد من المسلمين، فقلت للحسن بن علي: إن ابن عم لي بالسواد أحب أن يقر بمكانه فقال تغدو على كتابك قد ختم فغدوت عليه من الغد، فإذا الناس يقولون: قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين. فقلت للغلام: أتقربني إلى القصر فدخلت القصر فإذا الحسن بن علي قاعد في المسجد في الحجرة وإذا صوائح فقال: ادن يا أبا عبد الرحمن فجلست إلى جنبه فقال لي: خرجت البارحة وأمير المؤمنين يصلي في هذا المسجد فقال لي: يا بني إني بت الليلة أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر لسبع عشرة من رمضان، فملكتني عيناي فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك الأود واللدد. قال: والأود العوج، واللدد الخصومات، فقال لي: ادع عليهم، فقلت: اللهم ابدلني بهم منْ هو خير منهم وابدلهم بي شراً. قال: وجاء ابن البناج فآذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فاعتوره الرجلان، فأما أحدهما فوقعت ضربته في الطاق، وأما الآخر فاثبتها في رأسه. قال ابن صاعد، قال أبو هشام، قال أبو اسامة: أني لأغار عليه كما يغار الرجل على المرأة الحسناء يعني هذا الحديث لا تحدث به ما دمت حياً. ورواه صاحب نهج البلاغة: فقلت أبدلني بهم خيراً وابدلهم بي شراً لهم مني، ثم قال: وهذا من افصح الكلام.

(وعن شيخ من قريش أن علياً كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال: فزت ورب الكعبة) رواه محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين عن حنش بن موسى قال: أخبرنا أبو الحسن المدائني أخبرني سعيد بن عبد العزيز السلمي قال، قال علي فذكره، وزاد فقال ابن ملجم: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ [البقر: ٢٠٧].

(وعن) أبي جعفر **(محمد بن علي)** بن الحسين بن علي رضي الله عنه **(أنه)** رضي الله عنه **(لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض)** رواه ابن أبي الدنيا، عن

ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين رضي الله عنه فقال: يا أخي لأي شيء تجزع؟ تقدم على رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك، وعلى حمزة وجعفر وهما عماك! قال: يا أخي أقدم على أمر لم أقدم على مثله.

عبدالله بن يونس بن بكير، عن أبيه، عن أبي عبدالله الجعفي، عن جعفر بن محمد بن علي ولم يقل عن أبيه.

وأما وصيته لبنيه فرواها أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن فضيل بن غزوان عن جعفر بن محمد قال: اوصى علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين حضرته الوفاة هذا ما أوصى علي بن أبي طالب: أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له. ثم أني أوصيك يا حسن وجميع أهلي ومن بلغه وفاتي بأن تتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جيعاً، ثم إني أوصيكم بالجار فإن نبي الله ﷺ ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. الله الله في القرآن لا يسبق به غيركم. الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم. الله الله في صيام رمضان فإن الصبر على صيامه نجاة من النار. الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وقولوا للناس حسنا ائتلفوا ولا تختلفوا.

(ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما) ذلك من سم سقته زوجته **(دخل عليه)** أخوه **(الحسين رضي الله عنه)** فرآه قد جزع **(فقال: يا أخي لأي شيء تجزع، تقدم على رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وهما أبواك، وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك، وعلى حمزة وجعفر وهما عماك .قال: يا أخي اقدم على أمر لم أقدم على مثله)**. رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: لما اشتد بالحسن بن علي جزع فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محمد ما هذا الجزع ما هو إلا أن يفارق روحك جسدك فتقدم على أبويك وفاطمة، وعلى جديك النبي ﷺ وخديجة، وعلى اعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم والطيب وإبراهيم ومطهر، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب. قال: فسري عنه.

وقال القشيري في الرسالة: لما حضر الحسن بن علي الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: اقدم على سيد لم أره.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثني أحمد بن عبد الجبار، حدثنا سفيان بن عيينة عن رقبة بن مصقلة قال: لما احتضر الحسن بن علي قال: اخرجوا فراشي إلى صحن الدار قال: فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: إني احتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا محمد بن أبي صفوان الثقفي، قال الأصمعي عن أبي هلال الراسبي قال: لما احتضر الحسن بن علي قال: لقد سقيت السم

وعن محمد بن الحسن رضي الله عنهما قال: لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً! فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد نزل من الأمر ما ترون! وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الاناء، ألا حسبي من عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى، وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا جرماً.

ثلاث مرات ما منهن واحدة بلغت مني ما بلغت هذه، لقد تقطعت كبدي. قال: وحدثني هلال ابن العلاء حدثنا عمرو بن عثمان الكلابي، حدثنا عبيد الله بن عمر وقال: نعى الحسن بن علي إلى معاوية وابن عباس ببابه فحجب حتى أخذ الناس مجالسهم، ثم اذن له فقال: أعظم الله أجرك يا ابن عباس. قال: فيمن قال في الحسن بن علي قال: إذا لا يزيد موته في عمرك ولا يدخل عمله عليك في قبرك، وقد فقدنا من هو أعظم منه قدراً وأجل منه أمراً، فاعقب الله عقبى صالحه. وخرج ابن عباس وهو يقول:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً	ظاهر النجوة إن مات حسن
ولقد كان عليه عمره	مثل رضوى وثبير وحضن
فارتع اليوم ابن هند آمنا	إنما يقمص بالبعير السمن
واتق الله واظهر توبة	إنما كان كشيء لم يكن

(**وعن محمد بن الحسين**) وفي بعض النسخ الحسن (**قال: لما نزل القوم**) وهم عسكر عبيد الله بن زياد (**بالحسين رضي الله عنه**) وذلك بكربلاء (**وايقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال: قد نزل من الآمر ما ترون، وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء ألا حسبي من عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى، وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا جرماً**).

قال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا عبيد الله بن محمد، حدثنا محمد بن خلف، حدثنا نصر بن مزاحم العطار، عن أبي مخنف، حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: سمعت الحسين بن علي رضي الله عنه وقد احاطوا به: اللهم احبس عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الأرض وأن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقاً ومزقهم مزقاً واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض عليهم الولاة أبداً فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا وضارب حتى كفهم عنه ثم تعادوا عليه فقتلوه. قال: وحدثنا الكزبراني، حدثنا أبو ربيعة مهد بن عون العامري، حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال: لما خرجت جيوش ابن زياد مع عمر بن سعد إلى الحسين رضي الله عنه توجه الحسين رضي الله عنه يريد الشام فلقيه خيولهم فنزل عند كربلاء فناشدهم الله

....

والإسلام أن سيرونا إلى يزيد فاضع يدي في يده، فابوا عليه إلا حكم ابن زياد. قال حصين فحدثني سعد بن عبيدة السلمي قال: إني لأنظر إلى الحسين رضي الله عنه يكلمهم وإني لأنظر إليه وعليه جبة من برود فلما كلمهم انصرف فرماه عمير الطهاوي بسهم فإني لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلقاً في جبته ورجع إلى مصافه وإنهم لقريب من مائة رجل فيهم لصلب علي خمسة، ومن بني هاشم ستة عشر، ومنهم حليف لهم من بني سليم. قال: فحدثني سعد بن عبيدة قال: إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد أتاه رجل فسارّه فقال: قد ارسل إليك حوثرة بن بدر التميمي، وأمره ابن زياد إن لم تقاتل يضرب عنقك فوثب إلى فرسه يقاتلهم فجيء برأس الحسين رضي الله عنه إلى ابن زياد فوضع بين يديه فجعل يقول بقضيب معه: أرى أبا عبدالله قد شمط، وانطلق ابنان لعبدالله بن جعفر فلجآ إلى رجل من طيء فذبحهما وجاء برؤسهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد، فأمر بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت قال حصين: لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما يلطخ الحيطان بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع. وقال: حدثنا أبو فروة، حدثنا أبو الجواب، حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن عمرو بن بعجة. قال: أوّل ذل دخل على الإسلام قتل الحسين رضي الله عنه، وادعاء معاوية زياداً.

الباب الخامس
في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال: اقعدوني، فاقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال: تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط! ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان، وبكى حتى علا بكاؤه وقال: يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل العثرة وأغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك.

الباب الخامس
في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء الصالحين

(لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال: اقعدوني فاقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال: تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علاه بكاؤه وقال: يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي، اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك) . قال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا العتبي، عن عقبة بن هارون، عن مسلمة بن محارب، عن داود بن أبي هند قال: تمثل معاوية عند موته:

هو الموت لا منجا مـن الموت والذي ... نحاذر بعـد الموت أدهـى وأفظـعُ

اللهم فأقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق إلا بك فإنك واسع المغفرة، يا رب أين لذي خطيئة مهرب إلا إليك. قال داود: فبلغني أن ابن المسيب قـال حين بلغه ذلك: لقد رغب إلى من لا مرغوب إليه مثله كرماً وإني لأرجو له. وقال: حدثنا عبدالله بن الهيثم، حدثنا الوليد بن هشام بن قحذم قال: لما احتضر معاوية جعل بناته يقلبنه وهو يقول: إنكن لتقلبن حوليا قلبياً إن نجا من عذاب الله غداً ثم تمثل:

لا يبعـدن ربيعـة بـن مكـرم ... وسقـى الغـوادي قبره بـذنـوب

وقال: حدثنا مسلمة بن عبد الملك بن يزيد، حدثني عمي الوليد بن يزيد قلل: لما احتضر معاوية تمثل:

وروي عن شيخ من قريش: أنه دخل مع جماعة عليه في مرضه فرأوا في جلده غضوناً، فحمد عليه وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا، أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا، فما لبثتنا الدنيا أن نقضت ذلك منا حالاً بعد حال وعروة بعد عروة، فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلقتنا واستلأمت إلينا أف للدنيا من دار، ثم أف لها من دار.

ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال: أيها الناس إني من زرع قد استحصد وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدي إلا وهو شر مني، كما كان من قبلي خيراً مني! ويا يزيد إذا وفى أجلي فول غسلي رجلاً لبيباً، فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير، ثم أعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني، واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني، ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين، فإذا أدرجتموني في جديدي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وارحم الراحمين. وقال محمد بن عتبة: لما

بكى الحرث الجولان من فقد أهله فحوران منه موحش متضايق

(وروي عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه من مرضه) الذي توفي فيه (فرأوا في جلده غضوناً) أي تكسراً (فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا، أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا) أي بنشاطنا (وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثت الدنيا أن نقضت ذلك منا حالاً بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلقتنا واستلأمت إلينا، فأفٍ للدنيا من دار ثم أف لها من دار) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين.

(ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية إذ قال: أيها الناس إني من زرع قد استحصد وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدي إلا وهو من شر مني كما كان من قبلي خيراً مني، ويا يزيد) يعني ولده (إذا وفى أجلي فول غسلي رجلاً لبيباً فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل ويجهر بالتكبير، ثم اعمد) أي اقصد (إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني، ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين، فإذا ادرجتموني في جديدي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وارحم الراحمين). قال ابن أبي الدنيا: حدثني هارون بن سفيان عن عبدالله السهمي، حدثنا ثمامة بن كلثوم أن معاوية قال: يا يزيد، إذا وفي أجلي فولّ غسلي رجلاً لبيباً فذكره الخ وفيه: فخلوا بين معاوية وارحم الراحمين.

نزل بمعاوية الموت قال: يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى وأني لم أل من هذا الأمر شيئاً.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن علي بن ميمون العطار، حدثنا أبو طاهر موسى بن محمد بن عطاء المقدسي، حدثنا خالد بن يزيد بن صالح المري، عن يونس بن حليس، عن الضحاك بن قيس قال: شهدت معاوية وهو يموت فقال: لقد أردفني رسول الله ﷺ ثم التفت إليَّ فقال: ألا أكسوك قميصاً؟ قلت: نعم فخلع قيمصه وكساني فلبسته ثم نزعته فدفعته إلى رملة بنت معاوية، وشهدت رسول الله ﷺ وقد قص من شعره وأظفاره فأخذه ودفعه إليَّ فجعلته في صرة وختمت عليه ودفعته إلى رملة ثم قال: إذا مت فاجعلوا قميص الذي كسانيه رسول الله ﷺ مما يلي جلدي، وخذوا أظفاره وشعره فاحشوا بها أنفي وفمي وعيني ثم بكى وبكينا، فلما مات معاوية فعلنا ذلك.

(وقال محمد بن عتبة) القاضي الشامي روى له ابن ماجه: **(لما نزل بمعاوية الموت قال: يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى)** موضع بمكة **(وإني لم أل منّ هذا الأمر شيئاً)**.
رواه ابن أبي الدنيا. وقال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا علي بن عثمان النفيلي، حدثنا أبو مسهر، حدثنا خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح المري، حدثني أبي، حدثني سعيد بن حريث قال: لما كانت الغداة التي مات معاوية في ليلتها فزع الناس إلى المسجد ولم يكن خليفة بالشام قبله مات فكنت فيمن أتى المسجد، فلما ارتفع النهار وهم يبكون في الخضراء وابنه يزيد غائب في البرية وهو ولي عهده، وخليفته يومئذ على دمشق الضحاك بن قيس الفهري إذ قعقع باب النحاس الذي يخرج منه إلى المسجد من الخضراء، فزلف الناس إلى المقصورة ودونوت فيمن دنا منهم إليها، فبينا نحن كذلك خرج علينا رجل على يده اليسرى ثياب ملفوفة فإذا هو الضحاك بن قيس الفهري فدنا من المنبر فاتكأ عليه بيده اليسرى ودنا الناس منه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إني قائل لكم قولاً فرحم الله امرءاً وعى ما سمع مني ولم يزد فيه ولم ينقص، تعلمون أن معاوية كان أحد العرب مكن الله له في البر والبحر، وأذاقكم معه الخفض والطمأنينة ولذاذة العيش، وأهوى بيده إلي فيه وأنه قد هلك رحمة الله عليه وهذه أكفانه على يدي ونحن مدرجوه فيها ودافنوه وإياها ومخلون بينه وبين ربه، ثم هي والله البلايا بعده والملاحم والفتن وما توعدون إلى يوم القيامة، ثم دخل الخضراء ثم خرج لصلاة الظهر فصلى بنا الظهر ثم خرجوا بجنازة معاوية ودفنوه.

ومما يلحق به ولده يزيد وحفيده معاوية بن يزيد قال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الكزبراني، حدثنا الحسن بن محمد بن أعين، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مروان، عن أبيه قال: قال عامر بن مسعود الجمحي: كنا جلوساً في مجلس عند الكعبة إذ مر يزيد ينعي معاوية فقلت لأصحابي: قوموا بنا إلى ابن عباس وهو يومئذ بمكة وقد كفّ بصره، فنكون أوّل من نخبره ونسمع ما يقول، فأتيناه فاستأذنا عليه فدخلنا فإذا بين يديه خوان عليه الكفرى ولم

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوي ثوباً بيده ثم يضرب به المغسلة، فقال عبد الملك: ليتني كنت غسالاً آكل من كسب يدي يوماً بيوم ولم أل من أمر الدنيا شيئاً، فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا

يوضع الخبر فسلمنا وقلنا: هل أتاك الخبر يا ابن عباس؟ قال: وما هو؟ قلنا: يزيد ينعي معاوية. فقال: ارفع خوانك يا غلام ثم ظلّ واجماً كئيباً مطاطئاً رأسه لا يتكلم طويلاً ثم رفع رأسه وقال:

جبل تزعزع ثم صال بركنه ... في البحر لا ارتفعت عليه الأبحرُ

ثم قال: اللهم فإنك أوسع لمعاوية. أما والله ما كان مثل من كان قبله ولا يكون بعده مثله، وأن ابنه هذا من صالحي أهل بيته لقومه وما نحن وبنو عمنا هؤلاء إلا كعضوي لقمان قتل صاحبنا غيرهم وقتل صاحبهم غيرنا، فاغروا بنا وأغرينا بهم، أما والله ما أغراهم بنا إلا أنهم لم يجدوا مثلنا وما أغرانا بهم إلا أنا لم نجد مثلهم، وقد قال الأوّل: ألطمك لأني لم أجد مثلك. فاتقوا الله يا معشر فتيان قريش ولا تقولوا ذهب جد بني أمية ذهب لعمر الله جدهم وبقيت بقية هي أكثر مما مضى، الزموا منازلكم وأدوا بيعتكم قرِّب خوانك يا غلام فإنا لنتغدى إذ جاء رسول أمير مكة يقول: يدعوك الأمير للبيعة. قال: وما تصنعوا برجل قد ذهب منه ما تخافون قل له افرغ مما عندك فإذا سهل الممشي أتيتك فصنعت ما تريد، فلما خرج الرسول قلنا: يا ابن عباس أتبايع يزيد وهو يشرب الخمر؟ فقال: إني قلت لكم آنفاً تسمعون ولا تعون كم من شارب للخمر وشر منه من لا يشرب الخمر، ستبايعونه على ما أراد حتى يصلب مصلوب قريش، فرجع الرسول فقال: إنه لا بدّ أن تأتيه. قال: يا نوار هاتْ ثيابي إن كان لا بدّ، وما تصنعون برجل قد ذهب منه ما تخافون امتنعوا مما قد أظلكم صبحكم أو مساكم بذلكم، ثم قام وقمنا معه فأتينا الأمير فبايعه وبايعنا. وقال هشام ابن الكلبي عن عوانة لما احتضر يزيد بن معاوية قال:

لعمري لقد عمرت في الملك برهة ... ودانت لي الدنيا بوقع البواترِ
فاضحى الذي قد كان قبل يسرني ... كحمل مضى في المزمنات الغوابرِ
فيا ليتني لم أغهن في الناس ساعة ... ولم أغن في لذات عيش مفاخرِ
وكنت كذي طمرين عاش ببلغة ... من العيش حتى صار رهن المقابرِ

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان، عن أبيه قال: لما حضرت معاوية بن يزيد الوفاة قيل له: اعهد قال: لا أتزوّد مرارتها واترك لبني أمية حلاوتها وكان ناسكاً وقال: ليتني كنت حِيضة ولم أعلم أن الله عز وجل خلق ناراً يعذب بها من عصاه.

(ولما حضر عبد الملك بن مروان) بن الحكم بن أبي العاص الأموي **(الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوي ثوباً بيده ويضرب به المغسلة فقال عبد الملك: ليتني كنت غسالاً آكل كسب يدي يوماً بيوم ولم أل من أمر الدنيا شيئاً، فبلغ ذلك أبا حازم)** سلمة بن دينار الأعرج المدني التابعي **(فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه،**

حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمنَّ ما هم فيه. وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه: كيف تجد يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿ولقد جئتمُونا فرادى كما خلقناكُم أول مرة وتركتُم ما خوّلناكم وراء ظهوركم﴾ [الأنعام: ٩٤] الآية. ومات.

وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه). رواه أبو الحسن المدائني عن سعيد بن بشير عن أبيه أن عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة قال: اشرفوا بي على الغوطة ففعلوا فرأى غسّالاً يلوي ثوباً فقال: يا ليت أني كنت غسالاً لا أعيش إلا بما كسبت يوماً يوماً، فبلغت كلمة أبا حازم فقال فساقه. (وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه) الذي مات فيه: (كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرة وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم﴾ الآية). رواه ابن أبي الدنيا. قال صاحب كتاب صفوة التاريخ يقال: هو آخر كلام سمع منه. وقال محمود بن محمد بن الفضل، حدثنا علي بن عثمان النفيلي، حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: دعا عبد الملك بن مروان بطعامه فوضع بين يديه ثم قال: ائذنوا لابن هاشم خالد بن يزيد بن معاوية. قالوا: أولم يمت؟ قال: ائذنوا لأبي عثمان أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد. قالوا أولـم يمـت؟ قال: ائذنوا لأبي زرعة روح بن زنباع. قالوا: أولـم يمـت؟ وقد علم بموتهم، ولكن أراد أن يتعظ. فقال: ارفعوا الطعام ثم انتحب ملياً وقال:

ذهبت لداتي وانقضت آثارهم وغبرت بعدهم ولست بغابرِ
وغبرت بعدهم فاسكن مرة بطن العقيق ومرة بالظاهرِ

فلم يحل عليه الحول. وقال أيضاً: حدثنا محمد بن علي بن بكر النحوي، حدثنا عمر بن خالد العثماني، حدثنا شيبة بن الوليد، عن عمه قال: حضرت موت عبد الملك فلما دفناه قام عبد الرحمن بن خالد بن يزيد على قبره فبكى ثم قال: أنت عبد الملك الذي كنت تعدني فأرجوك وتوعدني فأخافك أمسيت ومالك من الأرض العريضة التي ملكتها بالسيف إلا قيس مضجعك، ولا من أموالك التي تملكتها بالغلبة إلا ثوباك إن الذي يغتر بالدنيا بعدك المغرور. وكان الشعبي حاضراً فأعجبه وقال أيضاً، حدثنا عبدالله بن الهيثم، حدثنا الأصمعي قال: أثيرت صخرة أيام عبد الملك فوجدوا عليها مكتوباً:

ومن يحمد الدنيا لأمرٍ يسرّه فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت عناء وحسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

فأخبر بذلك عبد الملك فجعل يبكي. وقال أيضاً: حدثنا عبيد الله بن محمد بن سليمان بن أبي شيخ، حدثنا محمد بن الحكم الشيباني، عن عوانة قال: لما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير تلقاه أهل الكوفة بالنخيلة فأقبل على الهيثم بن الأسود وعمرو بن حريث يحدثهما، فجعل عمرو يقول: هذا منزل بناه زياد وهذه مقصورة بناها زياد وهذا بناه المختار فتمثل عبد الملك:

....

وكل جديد يا أميم إلى البلى وكل امرىء يوماً يصير إلى كان

وقال له الهيثم: يا أمير المؤمنين رأيت ابن زياد في هذا المجلس ورأس الحسين بين يديه، ثم رأيت المختار جالساً ورأس ابن زيادة بين يديه، ثم رأيت مصعباً جالساً فيه ورأس المختار بين يديه، وهذا رأس مصعب بين يديك فوجم لها عبد الملك. وقال أبو الحسن المدائني عن أبي زكريا العجلاني: كان عبد الملك يقول: أخاف الموت في شهر رمضان، فيه ولدت وفيه فطمت وفيه ختمت القرآن وفيه بويع لي بالخلافة. فأنا أخاف الموت فيه فما في شوّال حين أمن الموت في نفسه ووثق بالحياة وكان يقول: لله در ابن قمئة حيث يقول:

كأني وقد خلفت سبعين حجة خلعت بها عن منكبيّ ردائيا

ويتمثل:

رمتني سهام الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمي وليس برام
فلو أنها نبل إذاً لاتقيتها ولكنما أرمي بغير سهام
فافنى وما أفني من الدهر ليلة ولم يغن ما أفنيت سلك نظام

قال له الشعبي: أفلا كما قال لبيد:

باتت تشكي إلى الموت مجهشة وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
فإن تزيدي ثلاثاً تبلغي أملاً وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ التسعين قال:

كأني وقد خلفت تسعين حجة خلعت بها عن منكبيّ ردائيا

فقال عبد الملك فأين قول الذي يقول:

تطارحني يوم جديد وليلة هما أبليا عظمي وكل امرىء بالي
وما لليالي لا يغيرن صورتي وابلين أعمامي وابلين اخوالي
إذا ما سلخت الشهر أهللت مثله كفى قاتلاً سلخ الشهور وإهلالي

وقال محمود بن محمد: حدثني أحمد بن أبي طاهر، حدثنا الزبير بن بكار، حدثني عمي مصعب ومحمد بن الضحاك عن أبيه قال: دخل ارطأة بن سهية المري على عبد الملك فقال له: أنشدني من شعرك فانشده:

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تجد المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
واعلم أنها ستكر حتى توفي نذرها بأبي الوليد

فوجم لها عبد الملك وقال له: وما أنت وذكري في شعوك؟ قال: ما أردت والله إلا نفسي يا أمير المؤمنين. أنا أبو الوليد. فقال عبد الملك: إني والله أبو الوليد وجمع أصابعه في صدره. قال الزبير: سرق أرطأة هذا المعنى من زيان بن منظور الفزاري قال زيان:

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ـ امرأة عمر بن عبد العزيز ـ كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار. فلما كان

لئن فجعت بالقرناء يوماً ... لقد متعت بالأمل البعيدِ
وما عند المنية فوق نفسي ... ولا نفس الأحبة من مزيد
خلقنا أنفساً وبني نفوس ... ولسنا بالجبال ولا الحديدِ

وقال محمود: حدثنا ابن الهيثم قال، قال العتبي: لما احتضر عبد الملك بن مروان تبطح على فراشه ثم قال: يا دنيا ما أطيب روحك ونسيمك، يا أهل العافية لا تستقلوا شيئاً منها حتى سمع كلامه من كان خارج القصر ثم أنشد:

ومن يبق ما لا عدة وصيانة ... فلا الشح يبقيه ولا الدهر وافرُه
ومن يك ذا عودٍ صليب يعده ... ليكسر عود الدهر فالدهر كاسرُه

ومما يلحق به سليمان بن عبد الملك بن مروان قال الواقدي: حدثنا داود بن خالد، عن سهيل ابن أبي سهيل وكان خيار أغزاء عن رجاء بن حيوة قال: دخلت على سليمان بن عبد الملك وقد احتضر، فوجدته قد ثقل واخذته غشية فحرفته إلى القبلة فأفاق فقال: يا رجاء لم يأن لذلك بعد، ثم كانت ثانية فذهبت لأحرفه فقال: يا رجاء لم يأن لذلك بعد، ثم أغمي عليه ثالثة فقال: يا رجاء إن كنت تريد أن تحرفني إلى القبلة فمن الآن. اللهم تجاوز عن ذنوبي فإني أشهد أن لا إله إلا أنت ثم مات.

وقال أبو الحسن المدائني، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: لما احتضر سليمان بن عبد الملك قال:

إني بني صبيـة صغـارُ ... أفلح من كان له كبارُ

فقال له عمر بن عبد العزيز: ﴿أفلح من تزكى* وذكر اسم ربه فصلى﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥] فقال سليمان:

إن بني صبيـة صيفيـون ... أفلح من كان له ربعيون
إن بني صبيـة أطفـالُ ... أفلح من كان له رجال

فقال عمر: ﴿أفلح المؤمنون﴾ وتلا الآيات. فقال سليمان: اللهم اسألك منقلباً كريماً ثم قضى. وقال محمود بن محمد، حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا عبدالله بن هانيء، حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال: خطب سليمان بن عبد الملك بدابق فقال في خطبته: لست بضرع صغير ولاهمّ كبير قد سسنا وساسنا السائسون، ثم نزل فما أتت عليه جمعة حتى مات.

(وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز) وابنة عمه: **(كنت أسمع عمر)** رحمه الله تعالى: **(في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم اخف عليهم**

اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده، فجلست في بيت آخر ـ بيني وبينه باب وهو في قبة له ـ فسمعته يقول: ﴿تلكَ الدارُ الآخرة نجعلُها للذين لا يريدون عُلواً في الأرض ولا فساداً والعاقبةُ للمتقين﴾ [القصص: ٨٣] ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاماً فقلت لوصيف له: انظر أنائـم هو ؟ فلما دخل صاح، فوثبت فإذا هو ميت. وقيل له لما حضره الموت: إعهد يا أمير المؤمنين! قال: احذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه.

وروي أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال: ولا تأمن الموت أيضاً على من لم يسق السم! قال الطبيب: هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال: فتعالج يا أمير المؤمنين فإني أخاف الله أن تذهب نفسك، قال: ربي خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي

موتي ولو ساعة من نهار، فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ ثم هدأ) أي سكن صوته **(فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاماً، فقلت لـوصيف له: انظر أنائم هو، فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت)** رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن المبارك، عن جرير بن حازم عن المغيرة بن حكيم قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر قالت: كنت أسمع عمر كثيراً يقول: اللهم أخف عنهم موتي ولو ساعة، فقلت له يوماً: لو خرجت عنك فقد سهرت يا أمير المؤمنين لعلك تغفى، فخرجت إلى جانب البيت الذي كان فيه، فسمعته يقول: ﴿تلك الدار الآخرة﴾ الآية فجعل يرددها ثم أطرق فلبث ساعة ثم قلت لـوصيف له كان يخدمه: ادخل فانظر، قال: فدخل فصاح فدخلت فإذا هو قد أقبل بوجهه إلى القبلة وغمض عينيه بإحدى يديه وضم فاه بالأخرى.

(وقيل له لما حضره الموت: إعهد يا أمير المؤمنين. قال: أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين.

(وروي أنه لما ثقل عمر بن العزيز) رحمه الله تعالى **(دعي له طبيب فلما نظر إليه قال الرجل: قد سقي السم ولا آمن عليه الموت، فرفع عمر)** رحمه الله تعالى **(بصره وقال: ولا تأمن الموت أيضاً على من لم يسق السم. قال الطبيب: هل حسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم عرفت ذلك حين وقع في بطني. قال: فتعالج يا أمير المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسك. قال: ربي خير مذهوب إليه والله لو عمت أن شفائي عند شحمة أذني ما**

إلى أذني فتناولته. اللهم خر لعمر في لقائك. فلم يلبث إلا أياماً حتى مات وقيل: لما حضرته الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سنناً وأظهر بك عدلاً! فبكى ثم قال: أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق، فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقنها الله حجتها، فكيف بكثير مما ضيعنا؟ وفاضت عيناه، فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات، ولما قرب وقت موته قال: أجلسوني! فأجلسوه فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ـ ثلاث مرات ـ ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر فقيل له في ذلك فقال: إني لأرى خضرة، ما هم بإنس ولا جن ثم قبض رحمه الله.

رفعت يدي إلى أذني فتناولته. اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أياماً حتى مات) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين، حدثنا هشام بن عبدالله الرازي، حدثنا أبو زيد الدمشقي قال: لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي إليه طبيب فساق. ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات من طريقه.

(وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سنناً وأظهر بك عدلاً فبكى ثم قال: أليس أوقف فاسأل عن أمر هذا الخلق، فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما صنعنا، وفاضت عيناه فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات). وقال محمود بن محمد ابن الفضل: حدثنا الميموني، حدثني عبدالله بن كريم، عن أبي المليح، عن ميمون بن مهران قال: كان أكثر دعاء عمر بن عبد العزيز بالموت، فقلت له: لا تفعل فقد أحيا الله بك سنناً وأمات بك بدعاً. فقال: ألا أكون كالعبد الصالح حين جمع الله شمله وأقر عينه قال: ﴿رب توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ [يوسف: ١٠١].

قال الميموني: وحدثني أبي عن عمه عمر وعن أبيه ميمون قال: رأيت عمر بن عبد العزيز في مرضه وأكثر دعائه الموت فساقه نحوه وزاد: فلما حضره الموت قال له مسلمة بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين إنا لا نصيب لك بدينارين إلا كفنا غليظاً فازدد على ذلك. فقال: جئني به يا مسلمة فنظر إليه ساعة ثم قال: إن يكن عند ربي خير فلن يرضى لي به حتى يبدلني خيراً منه وإن كان علي ساخطاً فأوشك أن يسلبه أعنف السلب ثم مالي كسوة إلا النار أعوذ بالله من سوء القضاء.

(ولما قرب وقت موته قال: اجلسوني فأجلسوه فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات، لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له في ذلك. فقال: إني لأرى حضرة ما هم ناس ولا جن قبض). رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا عباس بن أبي طالب، حدثنا الحرب بن بهرام، حدثنا النضر، حدثني الليث بن أبي رقية قال: لما كان عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي فيه قال: أجلسوني فأجلسوه فساقه إلا أنه لم يقل ثلاث مرات.

ورواه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين، عن محمد بن جبلة، حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث قال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز حين احتضر قال لمن عنده: أخرجوا عني فإني أرى وجوهاً ليست بوجوه جن ولا إنس فخرجوا فسمعوه يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها﴾ الآية. ثم دخلوا فوجدوه مغمض العينين مسجى موجهاً.

ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات فقال: أخبرنا محمد بن الحسين الحاجي، أخبرنا أبو الحسين ابن المهتدي، أنبأنا أبو أحمد محمد بن عبدالله بن جامع، أنبأنا محمد بن سعيد الحراني، حدثنا هلال ابن العلاء، حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمٰن بن عون الرقي، عن عبيدة بن حسان قال: لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال: أخرجوا عني فلا يبقى عندي أحد فخرجوا فقعدوا على الباب فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جان، ثم قال: ﴿تلك الدار الآخرة﴾ الآية. ثم هدأ الصوت فقال مسلمة لفاطمة قد قبض صاحبك فوجدوه قد قبض وغمض وسوى.

وقال: حدثنا الميموني حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث، حدثني فضالة بن أبي سعيد قال: سمعت عمر بن عبد العزيز على المنبر يقول: يا أهل الشام إنه قد بلغني عنكم أحاديث وما أنا بالراجي لخيركم ولا بالآمن لشركم، ولقد مللتموني ومللتكم فأراحكم الله مني وأراحني منكم، ثم نزل عن المنبر فما علاه حتى مات. قال: وحدثني الميموني، حدثنا الواقدي، حدثني محمد بن سلمة، عن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد القاري أن عمر بن عبد العزيز أوصى بشعر من شعر رسول الله ﷺ وأظفار من أظفاره أن يجعل في كفنه ففعلوا. قال الميموني: حدثني عبدالله بن كريم، عن أبي المليح قال: أراد أهله أن يأخذوا ماءه ليروه الياذدق الطبيب فأبى عليهم حتى أخذوه في طست ثم جعل في زجاجة فأتوا به الياذدق وهو لا يعرفه وقد غدا الناس عليه بمياه مرضاهم، فجعل يصف لكل إنسان ما يعالج به، فلما نظر إلى ماء عمر قال: سبحان الله يا غلام إن في هذا الماء لعجباً هذا ماء رجل نقب الحزن عن كبده. قال محمد بن محمد: وحدثنا محمد بن جبلة، حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث عن يحي بن سعيد قال: كان من دعاء عمر بن عبد العزيز: رب رضني بقضائك وبارك لي في قدرك حتى لا أحب لما عجلت تأخيراً ولا لما أخرت تعجيلاً حتى مات، وأنه ليقول: لقد أصبحت ومالي في الأمور هواء إلا مواقع قضاء الله فيها.

ومما يلحق به جماعة من هذا البيت. قال محمود بن محمد: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا ابن عائشة أن هشام بن عبد الملك لما احتضر نظر إلى أهله وحشمه يبكون عليه فقال لهم: جادلكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء فترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما احتمل، ما أعظم منقلبك يا هشام إن لم يغفر لك ربك الغفور الرحيم.

وقال أبو الحسن المدائني، عن عمرو بن مروان قال: لما أحيط بالوليد بن يزيد وعلم أنه مقتول وضع المصحف في حجره وقال: يوم كيوم عثمان فقتلوه واحترزوا رأيه.

قال: وحدثني عالية لسوداء عن فاطمة بنت عبد الملك قالت: دخلت على يزيد بن الوليد وهو

يموت فسألته عن وجهه فأومأ إلي أرنبته فقلت: يا يزيد الحق من ربك فلا تكن من الممترين؛ فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فكان آخر ما كلمني به حتى فارق الدنيا.

قال محمود: وحدثنا الحسن بن بشر بن الأخنس الأسدي عن عبد الصمد عن عبيد بن الضحضح الأسدي قال: كنت مع مروان بن محمد ببوصير حين لحقته خيول المسودة فدعوه بالأمان فلم يقبل وشد عليه ثوبه وجعل يحمل وهو يقول:

أذل الحياة وهول الممات ... وكلا أراه وخيماً وبيلا

فإن كان لا بد إحداهما ... فسيري إلى الموت سيراً جميلا

إلى أن قتل. قتله رجل من أهل الكوفة يقال له أبو رمانة، وعلى الجيش عامر بن إسماعيل المسلي مضت بنو أمية.

وشرع المصنف في بني العباس، قال أبو الحسن المدائني، عن بكر بن عبدالله قال: دخلت على أمير المؤمنين أبي العباس فلقيني الطبيب فقال: أصبح أمير المؤمنين صالحاً، فقلت: يا أمير المؤمنين قد بشرني الطبيب بصلاحك. فقال: كيف يكون صالحاً من هذا حاله ورفع يده اليمنى بيده اليسرى فتناثر لحمها على النطع قال وجعل يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع يحيى بن محمد بأهل الموصل، ومما صنع عبدالله بن علي بنهرابي نطرس، ومما صنع داود بن علي بكداء والطائف.

وقال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا محمد بن موسى بن داود العمي، حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي، حدثني أبي قال: شهدت موت أبي جعفر المنصور فدخلت عليه أنا ومحمد بن عون بن عبيدالله بن الحرث بن نوفل فوجدناه قلقاً وقال: إذا كان غداً نقلني الفراشون نحو الطائف فما أحب أن أقيم عليلاً في الحرم كأنه استوبأها ورجا إن نقلته تكسبه عافية، قم غدونا عليه فإنا لوقوف على بابه إذ خرج أبو العنبر الخادم وجيبه مشقوق وعلى رأسه التراب وهاج، فدخلنا فإذا هو على سريره مكشوف الوجه فدفناه ببئر ميمون.

وقال محمد بن موسى العمي، حدثني علي بن محمد العمي، حدثني أبي قال: شهدت موت المنصور فقال له عيسى بن ماهان جد ربيعة: إعهد لابنك المهدي، فقال: تريدوني على مثل ما عمل عبد الملك بن مروان حسبي ما جنيت على نفسي ويكفيني ما تقلدت من هذا الأمر وما في عنقي ثم مات.

وقال العمي، عن عبيدالله بن سعد، عن صالح صاحب المصلى، عن علي بن يقطين قال: تغدينا مع المهدي في وقت الضحى ثم نهض إلى رواق فنام فيه وتنحينا فنمنا فانتبهنا ببكائه، فدخلنا فزعين وسألناه عن ذلك قال: قام على باب البهو شيخ لو كان بين ألف إنسان عرفته فقال:

كأني بهذا البهو قد باد أهله ... وأوحش منه ركنه ومنازله

وصار عميد القصر من بعد بهجة ... وملك إلى رس عليه جنادله

فلم يبق إلا ذكره وحديثه ... تنادي بليل معولات ثواكله

وحكي عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿مَا أغنَى عَنِّي مَاليه ★ هَلَكَ عَنِّي سُلطانيه﴾ [الحاقة: ٢٨ ـ ٢٩] وفرش

قال: فسليناه فلم يلبث إلا قليلاً حتى خرج للصيد فاتبع طريدة فسقط وأقبل فرسه عائداً، فنظرناه فإذا هو ميت.

وقال صاحب صفوة التاريخ: كان سبب موت المهدي فيما حكي أن جارية حسناء أهدت إلى طلة ضرتها جاماً فيه قطائف مسمومة فمر بالجام عليه فدعا بها فأخذ قطيفة فعضها وابتلع منها لقمة ثم ردها وقال: احذروا أن تأكلوا منه شيئاً فإنه مسموم ودعا بكلب فأطعمه باقي القطيفة التي أكل منها فمات الكلب من ساعته فاشير على المهدي أن يشرب من السمن ما أمكنه ويتقيأ ففعل وسكن عنه بلا قذف بعض ما كان يجده، وصلى بأصحابه الظهر والعصر والمغرب والعشاء الأخيرة، ثم التفت إليهم فقال: استودعكم الله إليه أرغب في حسن الخلافة عليكم وأعظم الله أجركم في خليفتكم، فارتاعوا لذلك وقالوا: نرجو أن يكون يومنا قبل يومك، فقال: حدثني المنصور أن أباه محمد بن علي حدثه عن أبيه عن عبدالله بن عباس أنه لما نزلت سورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال رسول الله ﷺ: «نعيت إلي نفسي» قال المهدي: فكنت منذ سمعت هذا الحديث أتجنب قراءة هذه السورة في العلة، فلما بليت في يومي هذا بأكل هذا الطعام، ثم صليت بكم الظهر فأنسيت جميع ما أنزل الله بعد أم الكتاب خلا هذه السورة فقرأتها وتطيرت، ثم صليت الركعة الثانية فوالله ما انطلق لساني بغيرها، ثم كانت حالي في العصر والمغرب والعشاء مثل حالي في الظهر، فقلت: إن نفسي قد نعيت إلي، فلما انتصف الليل مات.

(وحكي عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت وكان ينظر إليها ويقول: ﴿ما أغنى عني ماليه★ هلك عني سلطانيه﴾) وكانت وفاته بطوس سنة ١٩٣. وروى علي بن محمد النوفلي عن أبي جامع المروزي عن أبيه قال: كنت فيمن جاء بأخي رافع بن الليث إلى الرشيد فأدخلناه إليه وهو على سريره والمرآة في يده وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ما أشد ما قد أثرت في العلة، ثم نظر إلى أخي رافع فقال: لأرجو كما لم تفتني أن لا يفوتني أخوك، والله لو لم يبق من أجلي إلا أن أحرك شفتي بقتلك لقلت اقتلوه، ثم دعا بقصاب فقال: لا تشحذ مداك وفصله عضواً عضواً وعجل لا يحضرني أجلي وعضو من أعضائه في جسده ففصله حتى جعله أشلاً، ثم قال: أعدد ما فصلت منه، فإذا أربعة عشر عضواً فرفع يديه فقال: اللهم كما أمكنتني من ثأرك فمكني من أخيه ثم مات بعد ساعة.

وقال العمي: حدثني كهلان عن أبي الخطاب قال: أخبرني من شهد موت الرشيد قال: لما اشتد به الوجع قال لعمر بن سادر: أخرج إلى العراق وامض منها إلى الأهواز فاقتض أموال جبريل بن بختيشوع، ومال فرج الزخجي، ومال هارون بن أبان فأرجو أن يكون عوضاً من الأموال التي أنفقناه في سفرنا هذا، واعلم أني في أثرك لا بد لي من أن أنحدر إلى البصرة فاطلب أحمد بن عيسى

المأمون رماداً واضطجع عليه وكان يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

وكان المعتصم يقول عند موته: لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت.

وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ليس إلا هذا، لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة.

وقال عمرو بن العاص عند الوفاة ـ وقد نظر إلى صناديق لبنيه: من يأخذها بما فيها ليته كان بعراً.

وقال الحجاج عند موته: اللهم اغفر لي فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لي. فكان

الطالبي فاقتله، ثم أعبر إلى عمان فأطلب بدم عيسى بن جعفر بن سليمان فإنه لم يطل دم رجل من أهل البيت قط ومات بعد أربع ليال.

(وفرش) عبدالله **(المأمون)** بن الرشيد **(رماداً واضطجع عليه وكان يقول: يا من لا يزول ملكه إرحم من قد زال ملكه)** وكانت وفاته سنة ٢١٩.

(وكان المعتصم) بالله أبو إسحاق محمد بن هارون **(يقول عند موته: لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت)**، وكان قد استخلف عند موت أخيه المأمون وتوفي سنة ٢٢٧. وكانت خلافته تسع سنين وعمره ثمانية وأربعون سنة.

(وكان المنتصر) بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل أبي الفضل جعفر بن المعتصم **(يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة)** وكانت ولايته في الليلة التي قتل فيها أبوه المتوكل ووفاته سنة ٢٤٨ ومدة خلافته ستة أشهر.

(وقال عمرو بن العاص) رضي الله عنه **(عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق لبنيه: من يأخذها بما فيها ليته كان بعراً)** رواه هشام بن الكلبي عن صالح بن كيسان. وقال أبو الحسن المدائني أخبرني إسحاق بن أيوب قال: لما حضر عبدالله بن عبد الملك بشر بمجيء مال له كان بمصر فقال: مالي وله ليته كان بعراً حائلاً بنجد.

(وقال الحجاج) بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي **(عند موته: اللهم أغفر لي فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لي)** وهذا لما كان فيه من سوء السيرة وثقل الوطأة وقبح السياسة وعسف الرعية والتهاون بالدماء وشدة الإقدام على سفكها على ما قد عرف وشهر، وأحصي من قتل صبراً سوى من قتل في عساكره وبعوثه فوجدوا مائة وخمسين ألفاً، ومات في حبسه خمسون ألفاً من الرجال، وثلاثون ألفاً من النساء، وكان حبسه فضاء مكشوفاً ليس فيه سقف يظل ولا شيء يستر

عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها، ولما حكي ذلك للحسن قال: أقالها؟ قيل: نعم، قال: عسى.

بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوّف رضي الله عنهم أجمعين:

لما حضر معاذاً رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا

من شمس ولا مطر ولا حر ولا قر، وكان هلاكه لأربع بقين من رمضان سنة ١٩٥ من ثلاث وخمسين سنة بواسط، ولما أتى الوليد بن عبد الملك نعيه وجم لذلك وقال: يرحمك الله أبا محمد والله لأشفعن لك عند الله يوم القيامة، **(فكان عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله **(تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها)** رواه أبو نعيم في الحلية. **(ولما حكي ذلك للحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(قال: أقالها؟ قيل: نعم. قال: عسى)**. أي أن يغفر له أي نظراً إلى حسن ظنه بالله عز وجل.

قال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا عبيدالله محمد، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا الماجشون عن الزهري قال: قال عمر بن عبد العزيز، ما أساء إلا على كلمة بلغني أن الحجاج قالها عند موته: اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تغفر لي. قال: وحدثنا علي بن عثمان النوفلي، حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما حسدت أحداً على شيء قط إلا الحجاج حسدته على اثنتين: حبه للقرآن وإعطائه عليه، وقوله عند موته: اللهم إن الناس يزعمون أنك لا تغفر لي فاغفر لي قال: وأخبرنا حبش بن موسى، أخبرنا المدائني عن جويرية أن الحجاج قال عند الموت: اللهم اغفر لي فإن هؤلاء يزعمون أنك لا تغفر لي. فبلغت الحسن كلمته قال: أو قالها؟ قالوا: نعم قال: عسى. قال: وحدثنا عبدالله بن الهيثم قال: أخبرنا الوليد بن هشام قال: لما احتضر الحجاج جعل يقول: لئن كنت على ضلالة لبئس حين المنزع ولئن كنت على هدى لنعم حين المجزع.

بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف:

رضي الله عنهم أجمعين. ذكر فيه من الصحابة معاذاً وسلمان وبلالاً رضي الله عنهم، ونحن نزيد بعون الله تعالى ما وصل إلينا من غيرهم قال:

(لما حضر معاذاً) بن جبل رضي الله عنه **(الوفاة قال: اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك. اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار)**

لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر. ولما اشتد به النزع ونزع نزعاً لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك إنك تعلم أن قلبي يحبك.

كذا في النسخ، وفي بعضها لكري الأنهار أي حفرها وإجرائها (**ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر**). رواه أحمد في الزهد فقال: حدثنا شجاع بن الوليد، عن عمرو بن قيس عمن حدثه عن معاذ بن جبل قال لما حضره الموت: أنظروا أصبحنا؟ فأتي فقيل له: لم تصبح. فقال: انظروا أصبحنا؟ فأتي فقيل له: لم تصبح حتى أتي في بعض ذلك فقيل له: قد أصبحت، فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحباً بالموت مرحباً زائر مغب حبيب جاء على فاقة. اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك فذكره. ورواه أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في كتاب الثبات من هذا الوجه.

(**ولما اشتد به النزع ونزع نزعاً لم ينزعه أحد، فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال: رب اخنقني خنقك فوعزتك انك تعلم أن قلبي يحبك**) رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبو جعفر اليقطيني، حدثنا الحسين بن عبدالله القطان، حدثنا عامر بن سيار، حدثنا عبد الحميد ابن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن الحرث بن عميرة قال، قال معاذ حين طعن واشتد به النزع نزع الموت فنزع نزعاً لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق فذكره.

ورواه ابن أبي الدنيا، عن محمد بن الحسين، حدثنا عبيدالله بن موسى، حدثنا شيبان عن الأعمش، عن شهر بن حوشب، عن الحرث بن عميرة الزبيدي قال: إني لجالس عند معاذ بن جبل وهو يموت فهو يغمى عليه مرة ويفيق فسمعته يقول عند إفاقته: أخنق خنقك فوعزتك إني أحبك. ورواه ابن الجوزي من طريقه.

وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا عبيدالله بن موسى، أخبرنا موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد، عن عبدالله بن رافع قال: لما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ: ادع الله يرفع عنا هذا الرجز. قال: إنه ليس برجز ولكنه دعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص الله بها من شاء منكم. اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة فطعن ابناه فقال: كيف تجدانكما. قالا: يا أبانا الحق من ربك فلا تكونن من الممترين فقال: وأنا ستجداني إن شاء الله من الصابرين، ثم طعنت امرأته فهلكت وطعن هو في إبهامه فجعل يمسها بفيه ويقول: إنها صغيرة فبارك فيها فإنك تبارك في الصغير حتى هلك.

ورواه أبو نعيم بالسند السابق من طريق الحرث بن عميرة قال: طعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد، فقال معاذ إنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقبض الصالحين قبلكم. اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة، فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن بكره الذي كان يكنى به وأحب الخلق إليه، فرجع من المسجد فوجده مكروباً

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً على الدنيا، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب. فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهماً.

فقال: يا عبد الرحمن كيف أنت؟ فاستجاب له. فقال: يا أبت الحق من ربك فلا تكن من الممترين، فقال معاذ: وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين فأمسكه ليلة ثم دفنه من الغد.

(ولما حضرت سلمان) رضي الله عنه **(الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ «أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب» فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهماً)**. قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وصححه وقد تقدم اهـ.

قلت: رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن شعيب التاجر، حدثنا محمد بن عيسى الدامغاني، حدثنا جرير عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر قال: دخل سعد على سلمان يعوده فقال: ابشر أبا عبدالله توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض. قال: كيف يا سعد، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب» كذا رواه الدامغاني عن جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر.

وقال معاوية وغيره عن الأعمش عن أبي سفيان عن أشياخه، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا عبدالله بن شبرويه، حدثنا إسحاق بن راهويه، أخبرنا معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان، عن أشياخه أن سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان يعوده فبكى سلمان فقال له سعد: ما يبكيك تلقى أصحابك وترد على رسول الله ﷺ الحوض، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض. فقال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله عهد إلينا فقال: «ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب» وهذه الأساود حولي وإنما حوله مطهرة أو إجانة ونحوها، فقال له سعد: إعهد إلينا عهداً نأخذ به بعدك. فقال: أذكر ربك عند همك إذا هممت وعند حكمك إذا حكمت وعند برك إذا أقسمت. رواه مورق العجلي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وعامر بن عبدالله عن سلمان.

حدثنا أبي، حدثنا زكريا الساجي، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حبيب عن الحسن وحميد عن مورق العجلي أن سلمان لما حضرته الوفاة بكى فقيل: ما يبكيك؟ فقال عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ فقال: «ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب» قالا: فلما مات نظروا في بيته فلم يروا إلا إكافاً ووطاء ومتاع قوم نحواً من عشرين درهماً.

وممن رواه عن الحسن السري بن يحيى، والربيع بن صبيح، والفضل بن دلهم، ومنصور بن زاذان وغيرهم عن الحسن، حدثنا أبو محمد بن الحسن بن كوثر، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا عبد الصمد بن حسان، حدثني السري بن يحيى، عن الحسن قال: لما حضر سلمان الوفاة جعل يبكي

فقيل له: يا أبا عبدالله ما يبكيك؟ أليس فارقت رسول الله ﷺ وهو عنك راض؟ فقال: والله ما بي جزع الموت ولكن رسول الله عهد إلينا عهداً ليكن متاع أحدكم من الدنيا كزاد الراكب.

وحديث سعيد بن المسيب حدثناه أبي، حدثنا زكريا الساجي، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب أن سعد بن مالك وعبدالله بن مسعود دخلا على سلمان يعودانه فبكى فقالا: ما يبكيك أبا عبدالله؟ فقال: عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ فلم يحفظه أحد منا قال: «ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب».

وحديث عامر بن عبدالله، حدثناه أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا حرملة بن يحيى، حدثنا ابن وهب قال: أخبرني أبو هانىء، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عامر ابن عبدالله، عن سلمان الخير أنه حين حضره الموت عرفنا به بعض الجزع فقالوا: ما يجزعك أبا عبدالله وقد كان لك سابقة في الخير؟ شهدت مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة وفتوحاً عظاماً. فقال: يجزعني أن حبيبي محمداً ﷺ عهد إلينا حين فارقنا فقال: «ليكف المؤمن كزاد الراكب» فهذا الذي أحزنني. قال: فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر ديناراً. قال عبدالله بن عامر: ديناراً، واتفق الباقون على بضعة عشر درهماً.

ورواه أنس بن مالك، عن سلمان حدثناه عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن عمرو البزار، حدثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني، حدثناعبد الرزاق، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: دخلت على سلمان فقلت: لم تبكي؟ فقال: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً أن يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب إلى هنا سياق الحلية.

وروى الطبراني من طريق علي بن بذيمة قال: بيع متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهماً.

وقال صاحب الحلية: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن، حدثنا علي بن حجر، حدثنا حماد بن عمر عن سعيد بن معروف عن سعيد بن سوقة قال: دخلنا على سلمان الفارسي نعوده وهو مبطون فأطلنا الجلوس عنده فشق عليه، فقال لامرأته: ما فعلت بالمسك الذي جئنا به من بلنجر؟ فقالت: هوذا. قال: ألقيه في الماء ثم أضربي بعضه ببعض ثم أنضحي حول فراشي فإنه الآن يأتيني قوم ليسوا بإنس ولا جن ففعلت وخرجنا، ثم أتينا فوجدناه قد قبض.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا عبدالله بن موسى، حدثنا شيبان عن فراس عن الشعبي قال: حدثتني الجزل عن امرأة سلمان بقيرة قالت: لما حضر سلمان الموت دعاني وهو في علية لها أربعة أبواب فقال: افتحي هذه الأبواب يا بقيرة فإن لي اليوم زواراً لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون علي، ثم دعا بمسك له ثم قال: أذيبيه في نور ففعلت، ثم قال: أنضحيه حول فراشي، ثم انزلي فامكثي فسوف تطلعين فتريني على فراشي فاطلعت فإذا هو قد أخذ روحه فكأنه نائم على فراشه أو نحواً من هذا.

ولما حضر بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه! فقال: بل واطرباه! غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

(ولما حضر بلالاً) رضي الله عنه **(الوفاة)** وذلك بداريا من دمشق **(قالت امرأته: واحزناه! قال)** بلال: **(بل واطرباه غداً نلقى الأحبة: محمداً وحزبه)** رواه ابن أبي الدنيا فقال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد، حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: بلال حين حضرته الوفاة: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه. قال تقول امرأته: واويلاه! قال: يقول هو وافرحاه.

قلت: سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي روى له مسلم والأربعة، وقد أسند عن عدة من التابعين.

ونذكر هنا بعض الصحابة الذين أقاويلهم على شرط المصنف: ★ عامر بن فهيرة رضي الله عنه: قال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا محمد بن عمر عمن سمى من رجاله أن جبار بن سلمى طعن عامر ابن فهيرة يوم بئر معونة فأنفذه، فقال عامر: فزت ورب الكعبة.

★ عمار بن ياسر رضي الله عنه: قال الطبراني: حدثنا الحسن بن علي المعمري، حدثنا محمد بن سليمان بن أبي رجاء، حدثنا أبو معشر، حدثنا جعفر بن عمر الضمري، عن أبي سنان الدؤلي قال: رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب فأتي بقدح من لبن فشرب منه ثم قال: صدق الله ورسوله اليوم ألقى الأحبة★ محمداً وحزبه. إن رسول الله ﷺ قال: «إن آخر شيء تزوده من الدنيا ضحية لبن».

★ سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه: قال ابن سعد: أخبرنا معن، حدثنا مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد قال: لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «من يأتيني بخبر سعد بن الربيع»؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله فذهب الرجل يطوف بين القتلى فقال له سعد بن الربيع: ما شأنك؟ قال: بعثني النبي ﷺ لآتيه بخبرك. قال: إذهب إليه فاقرأه مني السلام وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وأنه قد أنفذت مقاتلي، وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله ﷺ وأحد منهم حي.

★ عبدالله بن رواحة رضي الله عنه: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا محمد ابن يحيى، أحمد بن محمد بن أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: لما تجهز الناس للخروج إلى مؤتة قال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات قرع يقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا

ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضمت إليه المستعربة في مائة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمورهم وقالوا: أنكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره، فسمع ابن رواحة فقال: يا قوم إن الذي تكرهون الذي خرجتم له تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدة ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة. فقال الناس. قد والله صدق.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني أبي، حدثنا عبد القدوس بن عبد الواحد، حدثني الحكم بن عبد السلام أن جعفر بن أبي طالب حين قتل دعا الناس يا عبد الله بن رواحة وهو في جانب العسكر ومعه ضلع جمل ينتهشه ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع ثم قال: وأنت مع الدنيا فتقدم فقاتل فأصيبت أصبعه فجعل يقول:

هل أنت إلا اصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت
يا نفس الا تقتلي تموتي ... هذا حياض الموت قد صليتِ
وما تمنيت فقد لقيت ... إن تفعلي فعلها هديت
وإن تأخرت فقد شقيتِ

ثم قال: يا نفس إلى أي شيء تتوقين إلى فلانة فهي طالق ثلاثاً، وإلى فلان وفلان غلمان له، وإلى معجف حائط له فهو لله ولرسوله ﷺ.

يا نفس مالك تكرهين الجنة ... أقسم بالله لتنزلنه:
طائعة أو لتكرهنه ... فطالما قد كنت مطمئنة
هل أنت إلا نطفة في شنة ... قد أجلب الناس وشدوا الرنة

وقتل ابن رواحة في هذا اليوم رضي الله عنه.

★ عمير بن الحمام قتل ببدر رضي الله عنه. قال أحمد في الزهد: حدثنا هاشم، حدثنا سليمان، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم بدر «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقال عمير بن الحمام: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال «فإنك من أهلها» قال: فاخرج تمرات من وقته فجعل يأكل منهن ثم قال: إن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

★ أبو سفيان بن الحرث ابن عم رسول الله ﷺ: قال ابن سعد: حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا سفيان عن ابن إسحاق قال: لما حضر أبا سفيان الوفاة قال لأهله: لا تبكوا علي فإني لم أتنطق بخطيئة منذ أسلمت. ورواه محمود بن محمد بن الفضل، عن أحمد بن بزيع، حدثنا أبو نعيم هو الفضل بن دكين وفيه: فما قارفت خطيئة منذ أسلمت.

....

★خبيب بن عدي رضي الله عنه: قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم، أخبرنا ابن شهاب قال: أخبرني ابن أسيد بن جارية، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً فاسر منهم خبيب، فلما خرجوا به ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين فركع ركعتين قال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت وقال:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزعِ

ثم قتلوه.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا الحسن بن علي الطوسي، حدثنا محمد بن عبد الكريم، حدثنا الهيثم بن عدي، حدثنا ثور بن يزيد، حدثنا خالد بن معدان قال: قال سعيد بن عامر بن جذيم: سمعت مصرع خبيب وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: ما أحب، إني في أهلي وولدي وأن محمداً يشاك بشوكة ثم نادى: يا محمد.

★زيد بن الدثنة رضي الله عنه: أسر يوم الرجيع مع خبيب فقدموه للقتل فقالوا: أننشدك الله أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمداً مكانك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً يشاك في مكانه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي.

★ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه: قال ابن سعد، أخبرنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت، عن أنس أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين يكفن فيهما، وقد انهزم القوم فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون واعتذر إليك مما صنع هؤلاء، ثم قال: بئس ما دعوتم أقرانكم خلوا بيننا وبينهم ساعة فحمل فقاتل حتى قتل.

★عمرو بن الجموح رضي الله عنه: وكان أعرج فلم يشهد بدراً، فلما حضرت أحد أراد الخروج فمنعه بنوه وقالوا: قد عفوك الله فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال «ما أنت فقد عذرك الله» وقال لبنيه «لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة» فتركوه. قالت امرأته كأني أنظر إليه مولياً قد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا تردني إلى حزبي وهو منازل بنى سلمة فقتل هو وابنه خلاد.

★عبادة بن الصامت رضي الله عنه. قال أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا ليث، عن ابن عجلان، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز عن الصنابحي قال: دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت فقال: مهلا لم تبكي، فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك، ولئن شفعت لأشفعن لك، ولئن استطعت لانفعنك. ثم قال: والله ما حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً سوف احدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي، سمعت

رسول الله ﷺ يقول: « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرّم الله عليه النار » انفرد بإخراجه مسلم.

★أبو الدرداء رضي الله عنه. قال أحمد: حدثنا زيد بن يحي الدمشقي، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، حدثنا إسماعيل بن عبيد الله أن أبا مسلم الخولاني قال: جئت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه فقال: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا، ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا، ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه؟ ورواه أحمد أيضاً عن الوليد بن جابر عن إسماعيل بن عبد الله، عن أم الدرداء أن أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول فساقه نحوه وزاد ثم يقول: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرة.

★خالد بن الوليد رَضي الله عنه: قال ابن سعد: حدثنا الواقدي، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه أن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة قال: لقد لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي فلا نامت عين الجبناء.

★حرام بن ملحان رضي الله عنه: قال أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا همام، حدثنا إسحاق عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث حراماً خاله أخا أم سليم يوم بئر معونة قال لهم حرام تؤمنوني أبلغكم رسالة رسول الله ﷺ إليكم؟ قالوا: نعم فجلس يحدثهم وأومأوا إلى رجل منهم من خلفه فطعنه حتى أنفذه بالرمح، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة.

★أبو بكرة الثقفي رضي الله عنه: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبي أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثني عتبة بن عبد الرحمن قال: لما ثقل أبو بكرة بكت ابنته. فقال: لا تبكي قالت: يا أبتاه إن لم أبك عليك فعلى من أبكي؟ قال: لا تبكي فوالذي نفسي بيده ما في الأرض نفس أحب إلي أن يكون خرجت من نفسي هذه، ولا نفس هذا الذباب، ثم أقبل على حمران فقال: ألا أخبرك لماذا خشيت والله أن يجيء أمر يحول بيني وبين الإسلام.

★عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: قال أبو عبد الله المزرباني: حدثنا أحمد بن محمد الجوهري، حدثنا الغزي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الدارع، حدثنا الوليد بن هشام القحذمي، أخبرني عبد الله بن المغيرة، عن المطيعي عن أبيه عن عروة قال: أتيت عبد الله بن الزبير حين دنا الحجاج منه فقلت: قد لحق فلان الحجاج ولحق فلان بالحجاج فقال:

فرت سلامان وفرت النمر   وقد نلاقي معهم فلا نفرّ

فقلت له: قد أخذت دار فلان ودار فلان. فقال:

اصبر عصام إنه شربساق   قد شق أصحابك ضرب الاعناق

وقامت الحرب بنا على ساق

فعرفت أنه لا يسلم نفسه فغاظني، فقلت: إنهم والله أن يأخذوك يقطعوك إرباً إرباً فقال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزعِ

فعرفت أنه لا يمكن من نفسه.

★عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه لما أسروه وأرادوا قتله بكى وقال: إنما أبكي إذ ليس لي إلاَّ نفس واحدة يفعل بها هذا في الله عز وجل، كنت أحب أن تكون لي أنفس بعدد كل شعرة في هذا.

★انس بن مالك رضي الله عنه: قال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا فهد بن حيان، حدثنا حفص بن عبد الملك قال: سمعت أنس بن سيرين يقول: شهدت أنس بن مالك وحضره المات فجعل يقول: لقنوني لا إله إلا الله فلم يزل يقولها حتى قبض.

★ طلحة رضي الله عنه: قال محمود بن محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث، عن يحي بن سعيد قال: لما رمي طلحة جعل يقول: دم شيخ ذهب ضياعاً. اللهم خذ لعثمان حتى يرضى ثم قال:

ندمت ندامة الكسعي لما شريت رضا بني حزم برغمي

★الزبير رضي الله عنه: قال أبو الحسن المدائني، عن سعيد بن بشير قال، قال الزبير بن العوّام لما طعنه عمرو بن جرموز ماله قاتله الله يذكر بالله وينساه ثم أنشد:

أرى الموت اعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غدِ

★المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: قال المدائني، عن يعقوب بن عون، عن عبد الملك بن نوفل بن المغيرة قال: لما احتضر المغيرة بن شعبة قال: اللهم هذه يدي بايعت بها رسولك وجاهدت بها في سبيلك فاغفر لي ما يعلمون من ذنوبي وما لا يعلمون.

★عائشة رضي الله عنها: قال محمود بن محمد: حدثنا الميمون، حدثنا سريج بن يونس، حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن أبيه عن الشعبي قال: حضرت عائشة رضي الله عنها فقالت: إني قد أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثاً ولا أدري ما حالي عنده فلا تدفنوني معه فإني أكره أن أجاور رسول الله ﷺ ولا أدري ما حالي عنده، ثم دعت بخرقة من قميص رسول الله ﷺ فقالت: ضعوا هذه على صدري وادفنوها معي لعلي أنجو بها من عذاب القبر.

★عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال المدائني: عن الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل بن عقرب قال: لما احتضر عمرو بن العاص وضع يده موضع الغل في عنقه وقال: اللهم إنك أمرتنا فتركنا ونهيتنا فارتكبنا ولا يسعنا إلا مغفرتك الواسعة، فكانت هجيراه حتى مات. وقال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا أبو صالح المعافى بن مدرك، حدثنا ضمرة عن السري عن الحسن قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال لمواليه: البسوا سلاحكم فلبسوه ثم جاؤوه فقال: أتستطيعون أن تدفعوا

....

عني؟ قالوا: لا. قال الحسن: وقد علم ولكنه أراد أن يوبخ نفسه فقال: اللهم إنك أمرتنا بأشياء فتركناها ونهيتنا عن أشياء فارتكبناها، ثم جمع يديه إلى عنقه وقال: ألا إني أشهد أن لا إله إلا الله فلم يزل يرددها حتى مات. قال الحسن: كيف إذا جاء بلا إله إلا الله وقد قتل أهل لا إله إلا الله. قال: وحدثنا محمد بن جبلة، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شماسة، عن عبد الله بن عمرو أنه قال لعمرو بن العاص أبيه عند الموت وقد جزع: لا تجزع أبا عبد الله فقد بايعت رسول الله ﷺ وجاهدت في سبيل الله، فقال له عمرو: تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله. قال: وحدثنا عبيد الله بن محمد، حدثني أبو يحي محمد بن عبد الحميد الميموني، حدثنا هشام بن الكلبي، عن صالح بن كيسان قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال: والله لوددت أني كنت عبداً حبشياً أرعى عنزاً خصيبات. اللهم إني لست ببريء فاعتذر ولا قوي فانتصر ولا حول لي ولا قوّة إلا بك وأنا معتصم بلا إله إلا الله وقبض على يديه وشدهما حتى خرجت نفسه.

★ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. قال محمود: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا ليث، عن عقيل، عن الزهري قال: لما حضرت سعد بن أبي وقاص الوفاة قال: ائتوني بجبتي فأتي بجبة من صوف خلقة فقال: كفنوني فيها فإني لقيت بها المشركين يوم بدر مع رسول الله ﷺ.

★ معاذ بن جبل رضي الله عنه. قال محمود: حدثنا هلال بن العلاء، حدثني عمرو بن عثمان، حدثنا سفيان، سمعت عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: لما احتضر معاذ قال: لأحدثنكم حديثاً ما كتمتكموه إلا لكيلا تتكلوا فأما الآن فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه دخل الجنة».

★ عبد الله بن عامر بن كريز العبشمي له رواية. قال محمود: حدثنا عبيد الله بن عمر، حدثنا مصعب الزبيري قال: لما احتضر عبد الله بن عامر بن كريز وهو بماله بعرفة خرج إليه ابن الزبير وابن عباس وكانا صديقيه فقال وهو يجود بنفسه: إن أخوي صائمان فلا تغفلوا إفطارهما. فقال ابن الزبير: لو ألهاك عن المجد شيء لألهاك عنه الموت، ولقد مات وأن طعامه بين يديه أضيافه ما شغله عنهم ما به، وأوصى أن يدفن بماله بعرفة لئلا يبيعه ولده فيعيروا ببيعهم قبر أبيهم.

★ عنبسة بن أبي سفيان رضي الله عنه يقال له رؤية. وقال أبو نعيم: اتفق الائمة على أنه تابعي، روى له مسلم والأربعة. قال محمود: حدثني هلال بن العلاء، حدثني أبو سلمة، حدثنا جرير بن حازم، عن عبد الملك بن عمير، عن سالم بن سعد، عن عمرو بن أوس قال: دخلت على عنبسة بن أبي سفيان وهو في النزع فجعل يقول: ما أحب أنك وذاك، ثم قال: لأحدثنك حديثاً حدثتنيه اختي أم حبيبة عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «من صلّى لله اثنتي عشرة ركعة صلاة نهار كل يوم بنى الله له بيتاً في الجنة».

وقيل: فتح عبدالله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

ولما حضر ابراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال، أنتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو بالنار.

★ الـوليد بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان لأمه رضي الله عنه. قال محمود: حدثنا حبيش بن موسى، أخبرنا هشام بن الكلبي، عن عوانة قال: لما احتضر الوليد بن عقبة قال: اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا عليَّ فلا تلق روحي روحاً ولا ريحاناً وإن كانوا كذبوا علي فاجعل ذلك كفارة لذنوبي.

★ سعيـد بن العاص رضي الله عنه، قال محمود: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي النحوى، حدثني عمر بن خالد العثماني، عن شيبة بن الوليد، عن عمه قال: لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة قال لبنيه: أيكم يكفل لي بثلاث قال قال له عمر والأشدق: أنا. قال: دَيْني اقضه وهو ثمانون ألف دينـار والله ما استدنته إلا في كريم سددت خلته أو لئيم وقيت عرضي منه. قال: علي دينك يا أبت. قال: بقيت اثنتان. قال: وما هما؟ قال: بناتي لاتزوّجهن إلا الأكفاء ولو بفلق خبز الشعير. قال: افعل. قال: بقيت واحدة أشدهن علي إن فقد إخواني وجهي فلا يفقدون معروفي. يا بني ثلاثة ضقت بمكافأتهم ذرعاً رجل اغبرّ وجهه في التردد للتسليم علي، ورجل ضاق بي مجلس فتزحزح لي، ورجل نزل به مهم من الأمور فبات متململاً على فراشه يقلب أمره ظهراً لبطن، فلما اصبح رآني موضعاً لحاجته فلن أكافئه ولو خرجت من جيع ما أملك.

★ شرحبيل بن السمط رضي الله عنه. قال محمود: حدثنا النفيلي، حدثنا أبو مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما احتضر شرحبيل بن السمط قال لبنيه: قوموا فالعبوا فإن الله يؤثر قضاءه على يتمكم.

★ أبو رفاعة العدوي رضي الله عنه. قال محمود: حدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا سعيد بن عامر، عن جويرية بن أسماء قال: كان أبو رفاعة العدوي رضي الله عنه من الصحابة فكان كلما صلّى قال: اللهم ارزقني شهادة تسبق بشراها أذاها وفرحها حزنها وتختلني بها عن نفسي ختلاً، فغزا سجستان مع عبد الله بن سمرة فطرقه العدو وهو نائم في المسجد فذبحوه. قلت: وقبره ببيهق كما قاله مسلم وغيره.

★ ثم شرع المصنف في ذكر أقاويل التابعين من بعدهم من الصلحاء عنـد الموت فقال:

(وقيل: فتح عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى **(عينه عند الوفاة وضحك وقال: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾)** رواه القشيري في الرسالة.

(ولما حضر ابراهيم) بن يزيد **(النخعي)** رحمه الله تعالى **(الوفاة بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: انتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو بالنار)** رواه محمود بن محمد في كتاب

ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال، والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ولكن أخاف أني أتيت شيئاً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم.

ولما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: قال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ المواجر وعلى قيام الليل في الشتاء.

ولما حضرت فضيلاً الوفاة غشي عليه، ثم فتح عينيه وقال: وابعد سفراه وقِلّة زاداه.

---

*المصنف: قال: حدثنا حبيش، أخبرنا المدائني، عن قيس بن الربيع قال: بلغني أن إبراهيم النخعي حين احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: إنما انتظر مبشراً يبشرني بالجنة أو بالنار، ووددت أنها تجلجل في صدري إلى يوم القيامة.

(ولما حضر ابن المنكدر) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي المدني روى له الجماعة (الوفاة فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكي لذنب أعلم اني أتيته، ولكني أخاف أني أتيت شيئاً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم) رواه ابن أبي الدنيا هكذا. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو الفرج أحمد بن جعفر، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار، حدثنا عفيف بن سالم، عن عكرمة، عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت فقيل له: لم تجزع؟ قال: أخشى آية من كتاب الله عز وجل: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [الزمر: ٤٧] فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسب.

(ولما حضر عامر بن عبد قيس) العنبري البصري الزاهد (الوفاة بكى فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ المواجر وعلى قيام الليل بالشتاء) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا أبو شعيب الحراني، حدثنا خالد بن يزيد العمري، حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن علقمة بن مرثد قال: مرض عامر بن عبد قيس فبكى فقيل له: ما يبكيك وقد كنت وقد كنت وقد كنت؟ فيقول: مالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني، والله ما أبكي حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت، ولكن لبعد سفري وقلة زادي وإني أمسيت لي صعود وهبوط جنة أو نار فلا أدري إلى أيها أصير، قال: وحدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثني أبو أحمد بن محمد الحمصي، حدثنا يحيى بن سعيد بن عطاء، عن علقمة بن مرثد قال: كان عامر بن عبد قيس يقول: ما أبكي على دنياكم ورغبة فيها، ولكن أبكي على ظمأ المواجر وقيام ليل الشتاء.

(ولما حضرت فضيلاً) بن عياض رحمه الله تعالى (الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال: وابعد سفراه وقلة زاداه) رواه ابن أبي الدنيا.

ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه: إجعل رأسي على التراب، فبكى نصر فقال له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هوذا تموت فقيراً غريباً! قال: أسكت! فإني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الأغنياء وأن يميتني موت الفقراء، ثم قال له: لقني ولا تعد على ما لم أتكلم بكلام ثان.

وقال عطاء بن يسار: تبدى إبليس لرجل عند الموت فقال له: نجوت! فقال: ما آمنك بعد، وبكى بعضهم عند الموت فقيل له: ما يبكيك؟ قال: آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل: ﴿إنما يتقَبلُ اللهُ منَ المتَّقين﴾ [المائدة: ٣٧].

ودخل الحسن رضي الله عنه على رجل يجود بنفسه فقال: إن أمراً هذا أوله لجدير أن يتقى آخره، وإن أمراً هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله.

(ولما حضرت ابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى **(الوفاة قال لنصر مولاه: اجعل رأسي على التراب فبكي نصر فقال له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هوذا تموت فقيراً غريباً)** أي في هيت وكان خرج غازياً. **(قال: اسكت، فإني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الأغنياء وأن يميتني موت الفقراء، ثم قال له: لقني ولا تعد على ما لم أتكلم بكلام ثان)**. قال أبو نعيم: حدثنا محمد بن جعفر بن يوسف، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا أبو أسامة الكلبي، حدثنا الحسن بن الربيع قال: سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصر يقول له: يا أبا عبد الرحمن قل لا إله إلا الله، فقال له: يا نصر قد ترى شدة الكلام علي فإذا سمعتني قد قلتها لا تردها علي حتى تسمعني قد أحدثت بعدها كلاماً فإنما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك.

(وقال) أبو محمد **(عطاء بن يسار)** الهلال المدني مولى ميمونة روى له الجماعة **(تبدى إبليس لرجل عند الموت فقال له: نجوت. فقال: ما أمنتك بعد)** وقد جرى نحو ذلك للإمام أحمد كما سيأتي عند ذكره. **(وبكى بعضهم عند الموت فقيل له: ما يبكيك؟ قال: آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة: ٢٧].**

ودخل الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(على رجل يجود بنفسه فقال: إن أمراً هذا أوله لجدير أن يتقي آخره، وان أمراً هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله)** رواه أبو نعيم في الحلية. وروي نحو ذلك عن الاحنف بن قيس قال: إذا مرت به جنازة: رحم الله عبداً أجهد نفسه لمثل هذا. رواه محمود بن محمد، وهذه أقاويل جماعة من التابعين على شرط المصنف.

★ علقمة بن قيس رحمه الله تعالى. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن علي الجارود، حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر، عن الأشعث، عن الحكم،

عن إبراهيم، عن علقمة أنه قال: لا تنعوني كنعي الجاهلية، ولا تؤذنوا بي أحداً، واغلقوا الباب ولا تتبعني امرأة ولا تتبعوني بنار وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا الله.

★ عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي الكوفي رحمه الله تعالى. قال أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: خرجنا في جيش فيهم عمرو بن عتبة فخرج وعليه جبة جديدة بيضاء فقال: ما أحسن الدم يتحادر على هذه، فخرج فتعرض للقصر فأصابه حجر فشجه فتحادر عليها الدم ثم مات منها، ولما أصابه الحجر فشجه جعل يلمسها بيده ويقول: إنها صغيرة وإن الله عز وجل ليبارك في الصغير.

★ الحسن البصري رحمه الله تعالى. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن علي، حدثنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع، حدثنا بقية، عن أبان بن محرز، عن الحسن أنه لما حضره الموت دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا: زوّدنا منك كلمات ينفعنا الله عز وجل بهن. قال: إني مزوّدكم ثلاث كلمات ثم قوموا ودعوني: وما توجهت له ما نهيتم عنه من أمر فكونوا من أكره الناس له، وما أمرتم به على معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا ان خطاكم خطوتان خطوة لكم وخطوة عليكم فانظروا أين تغدون وأين تروحون. وقال الحسن بن دينار: كان الحسن يغمى عليه ثم يفيق فيقول: صبراً واحتساباً وتسليماً لأمر الله حتى قضى رحمه الله. وقال محمود بن محمد: حدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا أبو عامر عن صالح بن رستم قال: لما احتضر الحسن جعل يقول: نازلة صبر واستسلام اللهم بخير وإلى خير.

★ محمد بن سيرين رحمه الله تعالى قال ابن أبي الدنيا: حدثنا هارون بن أبي يحيى أنه حدث عن الحسن بن دينار أن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى كان يقول وهو في الموت: في سبيل الله نفسي أعز الأنفس علي.

★ الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا داود بن عمرو الضبي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن سرية للربيع قالت: لما احتضر الربيع بكت ابنته فقال: يا بنية لا تبكي ولكن قولي يا بشرى اليوم لقي أبي الخير. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه.

★ مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله تعالى. قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا خالد بن يزيد، حدثنا روح بن المسيب، عن عبد الله بن سلم العبدي قال قال مطرف لما حضره الموت: اللهم خرلي فيما قضيته عليّ من أمر الدنيا والآخرة وأمرهم أن يحملوه إلى قبره فختم فيه القرآن قبل أن يموت.

★ سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: قال ابن الجوزي في كتاب الثبات: أخبرنا أحمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر، حدثنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف، حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسن الرازي، حدثنا هارون بن عيسى، حدثنا أبو عبد الرحمن القرني، حدثنا حرملة بن عمران، حدثنا ابن ذكوان أن الحجاج بعث إلى سعيد بن جبير فأصابه الرسول

بمكة، فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله، فقال له الرسول: والله إني أذهب بك إلى من يقتلك فاذهب أي الطريق شئت، فقال له سعيد: إنه سيبلغ الحجاج أنك أخذتني فإن خليت عني خفت أن يقتلك، ولكن اذهب بي إليه، فذهب به فلما دخل قال له الحجاج: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، فقال: بل شقي بن كسير. فقال: أمي سمتني فقال: شقيت. قال: الغيب يعلمه غيرك. قال الحجاج: أما والله لأبدلنك من دنياك ناراً تلظى، قال: لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلهاً غيرك، فسأله عن رسول الله ﷺ وأصحابه إلى أن قال ما تقول فيَّ قال: أنت بنفسك أعلم. قال: بث فيّ علمك. قال: إذاً أسؤك ولا أسرك. قال: بث. قال: نعم ظهر منك جور في حدّ الله وجراءة في معاصيه بقتلك أولياء الله. قال: والله لاقطعنك قطعاً. قال: إذاً تفسد علي دنياي وأفسد عليك آخرتك والقصاص أمامك. قال: الويل لك. قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار. قال: اذهبوا به فاضربوا عنقه. قال سعيد: فإني أشهدك أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فلما ذهبوا به ليقتل تبسم، فقال الحجاج: مم ضحكت؟ قال: من جراءتك على الله عز وجل. فقال: اضجعوه للذبح فاضجع، فقال ﴿وجهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٩] قال: اقلبوا ظهره إلى القبلة فقرأ سعيد ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [البقرة: ١١٥] فقال: كبوه على وجهه، فقرأ سعيد ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [طه: ٥٥] فذبح فبلغ ذلك الحسن فقال: اللهم قاصم الجبابرة اقصم الحجاج فما بقي إلا ثلاثاً حتى وقع الدود في جوفه فهلك.

★ خيثمة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى. قال عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد: حدثني سعيد بن خيثم، عن محمد بن خالد الضبي قال: لم نكن ندري كيف يقرأ خيثمة القرآن حتى مرض فثقل فجاءته امرأته فجلست تبكي فقال: ما يبكيك؟ الموت لا بد منه. فقالت: الرجال بعدك عليَّ حرام. فقال: ما كل هذا أردت منك إنما كنت أخاف رجلاً واحداً وهو أخي محمد وهو رجل فاسق يتناول الشراب، فكرهت أن يشرب الشراب في بيتي بعد أن كان القرآن يتلى فيه كل ثلاث.

★ طلحة بن مصرف رحمه الله تعالى. قال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه قال: دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده فقال له أبو كعب: شفاك الله. قال: استخير الله. قال الأشج: وحدثنا أبو إدريس عن ليث قال: حدثت طلحة بن مصرف في مرضه الذي مات فيه أن طاوساً كان يكره الأنين فما سمع طلحة يئن حتى مات.

★ زبيد اليامي رحمه الله تعالى. قال عبد الله بن أحمد: حدثني أبو سعيد الأشج، حدثني المحاربي عن سفيان قال: دخلنا على زبيد اليامي نعوده فقلنا شفاك الله. فقال: استخير الله.

★ أبو الجلد رحمه الله تعالى. قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا صالح المري، سمعت أبا عمران الجوني قال: أوصاني أبو الجلد بأن ألقنه لا إله إلا الله، فكنت عند رأسه وقد أخذه كرب الموت، فجعلت أقول له: يا أبا الجلد قل لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا الله بها أرجو نجاة نفسي لا إله إلا الله ثم قبض.

★ مكحول الشامي رحمه الله تعالى. قال القشيري في الرسالة: كان الغالب عليه الحزن، فدخلوا عليه في مرض موته وهو يضحك فقيل له في ذلك. فقال: ولم لا أضحك وقد دنا فراق من كنت أحذره وسرعة القدوم على من كنت أرجوه وأؤمله.

★ محمد بن واسع رحمه الله تعالى. قال العتبي: حدثني محمد بن عبد الله مولى الثقفي قال: دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضي، فقال: يا اخوتاه هبوني وإياكم سألنا الله الرجعة فأعطاكموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم.

★ ثابت البناني رحمه الله تعالى قال أحمد: حدثنا علي بن مسلم، حدثنا جعفر، حدثنا محمد بن ثابت البناني قال: ذهبت ألقن أبي وهو في الموت فقلت: يا أبت قل لا إله إلا الله. فقال: يا بني خل عني فإني في وردي السادس أو السابع.

★ مالك بن دينار رحمه الله تعالى. قال ابن أبي الدنيا: حدثني أحمد بن عبد الله المكي، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أني أكره أن أصنع ما لم يصنعه أحد قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت تقيدوني وتجمعوا يدي إلى عنقي فتنطلقوا بي على تلك الحال حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق. زاد في رواية: فإذا سألني ربي، قلت: أي رب لم أرض لك نفسي طرفة عين قط. قال: وحدثني أسيد بن عاصم، حدثنا ابن خالد، حدثنا حزم قال: دخلنا على مالك بن دينار وهو في مرضه وهو يكيد بنفسه فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج.

★ أبو مسلم الخولاني رحمه الله تعالى. قال محمود بن محمد: حدثنا علي بن عثمان النفيلي، عن أبي مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز قال: حضرت أبا مسلم الخولاني الوفاة وهو بأرض الروم، فعاده أمير الجيش فقال له: يا أبا مسلم هل لك من حاجة أتوصيني بوصية، قال: نعم تدعو بقناة وخرقة وتعقد لي لواء على كل من مات بأرض الروم ففعل الأمير ذلك. قال: فظننا أنه أحب أن يبعث عليهم يوم القيامة.

★ سليمان التيمي رحمه الله تعالى. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، سمعت سوار بن عبدالله يقول: سمعت المعتمر يقول، قال أبي حين حضره الموت: يا بني حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به، وهذا قد تقدم للمصنف قريباً.

★ حسان بن أبي سنان رحمه الله تعالى. قال ابن أخي سمي في جزئه: حدثنا جعفر الخوّاص،

حدثنا ابن مسروق، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا حاتم بن سليمان، حدثنا عاصم بن فرقد قال: دخلنا على حسان بن أبي سنان وقد حضره الموت فقال له بعض إخوانه: أتجد كرباً شديداً، فبكى ثم قال: إن ذاك ثم قال: ينبغي للمؤمن أن يسأل عن كرب الموت وألمه لما يرجو من السرور في لقاء الله عز وجل.

★أبو بكر عبدالله بن أبي مريم رحمه الله تعالى. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الصمد بن سعيد قال: سمعت أبا أيوب يقول: سمعت يزيد بن عبد ربه يقول: عدت أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع فقلت له: رحمك الله لو جرعت جرعة ماء. فقال: بيده لا. ثم جاء الليل فقال: إذا، فقلت: نعم فقطرنا في فمه قطرة ماء ثم مات.

★سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى. قال محمود: حدثنا عبد الملك الميموني، عن عمرو بن ميمون قال: احتضر سعيد بن المسيب وكان له ثمانون ديناراً فجعلها في يده وجعل يقول: اللهم إنما كنت أصون بها ديني وعرضي.

★عبدالله بن إدريس الأودي الكوفي رحمه الله تعالى قال الخطيب في التاريخ: حدثني محمد بن علي الصوري، حدثنا عبد الرحمن بن عمر المصري، حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، حدثنا الفضل بن يوسف الجعفي، سمعت حسين بن عمرو العنقزي قال: لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته فقال: لا تبكي فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

★عبدالله بن عبد العزيز العمري المدني رحمه الله تعالى. قال ابن أبي الدنيا: حدثني ابن زيد النميري، حدثنا أبو يحيى الزهري قال: قال عبدالله بن عبد العزيز العمري: بنعمة ربي أحدث إني لم أصبح إلا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلته بيدي، وبنعمة ربي احدث لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعني من أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها.

★علي بن صالح بن حي رحمه الله تعالى. قال أبو علي بن شاذان: أخبرنا أحمد بن كامل، حدثنا عيسى بن إسحاق الأنصاري، حدثنا أحمد بن عمران البغدادي، حدثنا يحيى بن آدم قال: قال الحسن بن حي، قال لي أخي علي في الليلة التي توفي فيها: اسقني ماء وكنت قائماً أصلي، فلما قضيت صلاتي أتيته بماء فقلت: يا أخي هذا ماء. قال: قد شربت الساعة. قلت: ومن سقاك وليس في الغرفة غيري؟ قال: أتاني جبريل الساعة بماء فسقاني وقال لي: أنت وأخوك وأبوك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وخرجت روحه. ورواه كذلك أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الأولياء، وابن منده في كتاب الأحوال.

★وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا علي بن عثمان النفيلي، حدثنا عبدالله بن موسى قال: مات علي بن صالح بن حي وأنا غائب، فلما قدمت أتيت الحسن بن صالح أخاه أعزيه وأنا أبكي،

فقال لي: لا تبك حتى أحدثك أنه لما احتضر واشتد عليه استسقى فجئته بقدح من ماء فقلت له: ألا تشرب؟ قال: لا قد سقيت. قلت: ومن سقاك؟ قال: محمد رسول الله ﷺ ومعه الملائكة صفوف فأردت أن استثبت عقله، فقلت: وكيف صفوف الملائكة؟ فقال: هكذا بعضها فوق بعض ورفع يديه فجعل اليمنى فوق اليسرى.

★أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى. قال الخطيب: أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد، حدثنا جعفر بن محمد بن نصر، أخبرنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: سمعت الحماني يقول: لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته فقال لها: ما يبكيك انظري إلى تلك الزواية التي في البيت قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة.

فصل

في ذكر أقوال جماعة من المحتضرين على غير ترتيب في طبقاتهم:

★أبو عطية بن قيس المذبوح رحمه الله تعالى قال ابن المبارك في الزهد: أخبرنا أبو بكر بن أبي مريم، حدثني حماد بن سعيد، عن أبي عطية المذبوح قال: لما حضر أبا عطية الموت جزع وقال: إنما هي ساعة ثم لا أدري أين يسلك بي.

★عبيد الله بن الحسن رحمه الله تعالى قال: محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثني عبيد الله بن محمد، حدثنا خالد بن خداش، عن معاذ بن معاذ قال: دخلت على عبيد الله بن الحسن أعوده فقلت: أراك بحمد الله صالحاً. فقال:

لا يغـرنـك عيش سـاكـن ... قد توافى بالمنيات السحر

فلما كان السحر سمعت الواعية عليه.

★رجل من بني يربوع. قال محمود: حدثني عبيد الله بن محمد، حدثني أبو عدنان الهيثم بن الجون، أخبرنا الهيثم بن عدي أخبرنا ابن شبرمة قال: احتضر رجل من بني يربوع وكان له بني يحبه فنظر إليه وهو يجود بنفسه فبكى ثم قال:

ألا ليت شعري عن بني بعدما ... يمهد لي في قبلة القبر مضجعُ
وعن وصل أقوام أتى الموت دونهم ... أيرعون ذاك الأمر أم سيضيعُ
وما يحفظ الأبناء إلا موفق ... من القوم مرضى الأمانة مقنعُ

قال ابن شبرمة: فرأيت والله ابنه ضائعاً لم يلتفت أحد من إخوانه.

★رجل من بني ضبة، وبالسند المتقدم إلى أبي عدنان قال: أخبرنا الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، عن شيخ من ضبة قال: حضرت منا رجلاً يجود بنفسه وابن له يسمى معمراً يدب بين يديه، فنظر إليه ملياً وتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول لامرأته:

وإني لأخشى أن أموت فتنكحي ... ويقذف في أيدي المراضع معمر

فحالـت سـتـور دونـه ووليـدة ، ويشغلهـا عنـه خلـوق ومجمر

قالت: كلا. قال: فوالله ما لبثت أن انقضت عدتها أن تزوجت شاباً من الحي فرأيت معمراً على ما وصف.

★رجل من الصدر الأول، قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا داود المحبر. حدثنا الحسن بن دينار قال: سمعت الحسن يقول: احتضر رجل من الصدر الأول فقال لابنه: اقعد عند رأسي فلقني لا إله إلا الله فنعم الزاد هي للآخرة.

★زياد بن أبيه رحمه الله تعالى. قال المدائني: عن حباب بن موسى عن قيس الأرقط قال: طعن زياد في أصبعه فأقام خمسة عشرة ليلة إذا جهده ذلك الموضع وضع أصبعه في خل حامض فيجد لذلك راحة، وجاءه الهيثم بن الأسود بعهده على الحجاز فاعلم بذلك فقال: وما أصنع به ليت لي بما جاء به الهيثم شربة من ماء أسيغها. وقال له شريح: لو قطعت أصبعك؟ فقال: إذاً أقطع قلبي إنما أجد الوجع في قلبي، فقال لهم شريح، ما نكفنه به؟ فقال زياد: خففوا عليكم فقد تقارب مني سلب عاجل أو كسوة فاخر ومات.

★أبو شعيب صالح بن زياد رحمه الله تعالى. قال محمود: حدثني أبو محمد عمرو بن عبيد بن عمر الهوزني قال: دخلت على أبي شعيب صالح بن زياد أعوده فوجدته في النزع فقال: ألا ابشرك رأيت ههنا شخصاً فأنكرته فقلت: من أنت قال: أنا ملك الموت، فقلت ارفق بي، فقال: بهذا أمرت.

★ مالك بن أنس الإمام رحمه الله تعالى. قال الحرث بن أبي أسامة حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا ابن أبي إدريس قال: اشتكى مالك أياماً يسيرة فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت. فقال: تشهد ثم قال لله الأمر من قبل ومن بعد.

★أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى. قال ابن شاذان: حدثنا محمد بن عبدالله بن عمرويه قال: سمعت عبدالله بن أحمد يقول: لما حضرت أبي الوفاة جلست عنده وبيدي الخرقة لأشدّ بها لحييه، فجعل يغرق ثم يفيق ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا لا بعد لا بعد ففعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت يا أبت أي شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت تفرق حتى نقول قد قضيت، ثم تعود فتقول لا بعد لا بعد. فقال لي: يا بني ما تدري؟ قلت: لا. قال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاض على أنامله يقول لي يا أحمد قدفتني، فأقول له: لا بعد حتى أموت.

★آدم بن أبي إياس العسقلاني، رحمه الله. قال الخطيب في التاريخ: أخبرنا أحمد بن عبد الواحد، حدثنا إسماعيل بن سعيد المعدل، حدثنا أبو علي الكوكبي، حدثنا أبو علي المقدسي قال: لما حضرت آدم بن أبي إياس الوفاة ختم القرآن وهو مسجى ثم قال: بحبي لك ألا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أؤملك لهذا اليوم، كنت أرجوك ثم قال لا إله إلا الله ثم قضى.

★عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك قال محمود: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا سعيد بن عفير قال: كان عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر مقيماً بحلوان، وخليفته على مصر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج، فكان ابن خديج يرسل إليه كل يوم بأخبار مصر وما يحدث فيها وموت من يموت فيها، وأمره أن يختار الرسول حسن الوجه والاسم، فاغفل يوماً فأرسل رجلاً فقال له عبد العزيز: ما اسمك؟ قال: أبو طالب قال: اسألك عن اسمك. قال: مدرك. قال: فتغير وجه عبد العزيز وتطير ومرض، فلما احتضر قال: أروني أكفاني فجاؤوه بها فنظر إليها ثم حوّل وجهه وقال: أف لك من دنيا ما أشد غرورك وأقل كثيرك وأقصر طويلك ومات، فاخرج بجنازته وحولها مجامر العود ولبس نساء إخوانه السواد وخرجن صارخات عليه وذلك لحسن آثاره عندهم.

★محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس. قال أبو الحسن المدائني، عن عمر بن مساور الأهوازي، أخبرني جماعة من موالي محمد بن سليمان بن علي وخاصته أنه لما حضره الموت جعلوا يلقنونه الشهادة وهو يقول.

ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكن　　لقيت بفخ لا حسيناً ولا حسن

★ ذو الرمة الشاعر. قال محمود: حدثنا عبدالله الهيثم، عن أبي اليقظان جويرية بن أسماء قال: مات ذو الرمة بالبادية فقال وهو يكيد بنفسه:

يا رب قد أسرفت نفسي وقد علمت　　علماً يقيناً لقد أحصيت آثاري
يا رب فاغفر ذنوباً قد أحطت بها　　يوم الحساب وزحزحني عن النارِ

قال: وحدثنا أحمد بن الأسود، حدثنا الجمحي، أخبرنا الزنادي قال: لما احتضر ذو الرمة قيل له: كيف تجدك؟ قال: أجدني أجد ما لا أجد أيام الكذب فازعم أني أجد فأقول:

كأني غداة البين يا أم مالك　　أجود بنفس قد تدانى حمامها

★جرير الشاعر. قال الأصمعي: حدثنا عباد بن كسيب العنبري قال: احتضر جرير ببادية المردة فدخل عليه إخوانه يعودونه فقال:

أهلاً وسهلاً بقوم زينوا حسبي　　وإن مرضت فهم أهلي وعوّادي
لو أن ليثاً أبا شبلين أوعدني　　لم يسلموني لليث الغابة العادي
إن يجر طير بأمر فيه صالحة　　أو بالفوات فقد أحسنتم زادي

★ أبو الدقيش. قال محمود: حدثني أحمد بن الأسود، حدثني الجمحي قال، قيل لأبي الدقيش وقد احتضر: ما تشتهي؟ فقال: اشتهي ما لا أجد وأجد ما لا أشتهي.

★بكر بن المعتمر رحمه الله تعالى. قال محمود: حدثنا عبدالله بن الهيثم، حدثنا العتبي قال: لما حضرت بكر بن المعتمر الوفاة رأوه مسروراً فقيل له في ذلك. فقال: ما أخرج إلى سلطان غير سلطان ربي عز وجل.

....

★هدبة بن الخشرم الشاعر. قال محمود: حدثني محمد بن موسى، حدثني ابن السكيت، حدثني ابن الاعرابي قال: لما قدم هدبة بن الخشرم ليقتل قال له ابن حسان بن ثابت: أنشدني أبياتاً. قال: على هذا الحال؟ قال: نعم فأنشده:

ألا عللاني قبل نوح النوائح ... وقبل فراق الروح بين الجوائح
وقبل غد يا لهف نفسي على غد ... إذا راح أصحابي ولست برائح
إذا راح أصحابي تفيض دموعهم ... وغودرت في لحد على صفائحِ
يقولون هل أصلحتم لاخيكم ... وما اللحد في الأرض الفضاء بصالحِ

★مسلمة بن عبد الملك بن مروان. قال محمود: حدثني ابن الهيثم، حدثني العتبي عن أبيه قال: لما احتضر مسلمة بن عبد الملك جعل يبكي، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: والله ما أجزع من الموت وإني لواثق، ولكن بعد ثلاثين غزاة أموت على الفراش كما تموت النساء.

★عبدالله بن الفضل بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب رحمه الله تعالى. قال أبو الحسن المدائني، عن مسلمة بن محارب، عن محرز بن جعفر قال: دخلت على عبدالله بن الفضل بن ربيعة وهو يكيد بنفسه وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: أبكي لشيات وراء هذا الستر لولاهن لهان عليّ الموت إني لمؤمن بالله تائب إلى الله وإن الله لغفور رحيم. قلت: والذي ترجوه لمغفرة ذنبك فارجه لجبر بناتك فقال: صدقت جزاك الله خيراً.

★إياس بن قتادة العبشمي رحمه الله تعالى. قال أبو الحسن المدائني: عن عبدالله بن فائد، عن أشياخ من بني تميم أن إياس بن قتادة العبشمي نظر يوماً في المرآة فرأى بياض الشعر في رأسه ولحيته فقال: ما بعد هذا إلا التشاغل بأمور الآخرة. هذا وداع من الدنيا، فأقبل على الاجتهاد والعبادة، فخرج يوم جمعة من المسجد فنظر إلى السماء فقال: مرحباً بك قد كنت انتظر مجيئك، ثم التفت إلى من حوله فقال: إذا أنا مت فاحملوني إلى ملحوب فادفنوني بها ثم سقط ميتاً فحمل إلى ملحوب فقبره بها.

★زيد بن علي بن الحسين رحمه الله تعالى قال المدائني: لما رمي زيد بن علي قال لابنه عيسى بن زيد:

ابني أما أهلكن فلا تكن ... دنس الفعال مبيض الأثوابِ
واحذر مصاحبة اللئام فإنما ... يردى الكرام فسولة الأصحابِ

★أرطأة بن سهية الشاعر. قال محمود: حدثني أبو محمد اليقطيني، حدثني أبو السكن الطائي، حدثني عم ابن زحر بن حصن عن جده حميد بن مهنب قال: لما احتضر أرطأة بن سهية جعل يردد هذه الأبيات:

يقول الفتى ثمرت مالي وإنما ... لوارثه قد يثمر المال كاسبه
يحاسب فيه نفسه في حياته ... ويتركه نهباً لمن لا يحاسبه

فكله واطعمه وخالسه وارثاً　　شحيحاً ودهراً تعتريه نوائبه
يخيب الفتى من حيث يرزق غيره　　ويعطي المنى من حيث يحرم صاحبه

★إبراهيم بن هانىء صاحب أحمد بن حنبل رحمه الله قال الدارقطني: سمعت أبا بكر النيسابوري يقول: حضرت إبراهيم بن هانىء يوم وفاته فدعا ابنه إسحاق فقال: هل غربت الشمس؟ قال: لا، ثم قال: يا أبت رخص لك في الإفطار في الفرض وأنت متطوّع. قال: امهل، ثم قال: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ [الصافات: ٦١] ثم خرجت نفسه.

★وكيع بن أبي سود. قال محمود: حدثنا عبيد الله بن محمد، حدثنا ابن أبي شيخ قال: لما احتضر وكيع بن أبي سود قال لولده: لو قدمت لقد جاءكم قوم قد حفوا شواربهم وحكوا جباههم وشمروا مآزرهم فبكوا علي وقالوا: اقضوا ما على أبيكم من الدين فلا تطيعوهم فإن على أبيكم من الذنوب ما إن غفرها الله له كان الدين من أيسرها وإن لم يغفرها لم تخدعوا عن أموالكم.

★أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء رحمه الله تعالى قال ابن الجوزي: لما احتضر عزل أكفان نفسه وأوصى أن لا يكفن بغيرها ولا يخرق عليه ثوب ولا يقعد لعزاء.

★أبو حكيم الحيري رحمه الله تعالى: قال ابن الجوزي: حدثني أبو الفضل بن ناصر، عن جدهّ أبي حكيم الحيري أنه كان قاعداً ينسخ فوضع القلم من يده وقال: إن كان هذا موتاً فوالله إنه موت طيب فمات.

★أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله تعالى. قال ابن الجوزي: حدثت عنه أنه لما احتضر بكى أهله فقال لهم: لي خمسون سنة أدفع عنه فدعوني أتهنأ بلقائه.

★الإمام أبو حامد الغزالي مصنف الكتاب رحمه الله. قال ابن الجوزي، قال أخوه أحمد: لما كان يوم الإثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلّى وقال: علي بالكفن فأخذه وقبّله وتركه على عينيه وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مدّ رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الأسفار.

★أبو بكر بن حبيب رحمه الله تعالى من مشايخ ابن الجوزي قالّ: لما احتضر شيخنا أبو بكر بن حبيب قال له أصحابه: أوصنا. قال: أوصيكم بثلاث: بتقوى الله عز وجل، ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا فقد عشت إحدى وستين سنة وما كأني رأيت الدنيا، ثم قال لبعض أصحابه: انظر هل ترى جبيني يعرق؟ فقال: نعم. فقال: الحمد لله هذه علامة المؤمن ثم بسط يده عند الموت وقال:

ها قد مددت يدي إليك فردّها　　بالفضل لا بشماتة الأعداء

★أبو الوقت عبد الأول بن عيسى راوي البخاري رحمه الله. قال ابن الجوزي: حدثني أبو عبدالله التكريتي قال: لما احتضر عبد الأول أسندته إلي فكان آخر كلمة قالها: ﴿يا ليت قومي يعلمون★ بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

وقال الجريري: كنت عند الجنيد في حال نزعه ـ وكان يوم الجمعة يوم النيروز ـ وهو يقرأ القرآن فختم، فقلت له: في هذه الحالة يا أبا القاسم؟ فقال: ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي؟

وقال رويم: حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول:

حنين قلوب العارفين إلى الذكر	**وتذكارهم وقت المناجاة للسرّ**
أديرت كؤوس للمنايا عليهم	**فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر**
همومهمُ جوالة بمعسكر	**به أهل ودّ الله كالأنجم الزهر**
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه	**وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري**

★أبو محمد بن الخشاب رحمه الله تعالى. قال ابن الجوزي: دخلت عليه في مرض موته وهو ساكن غير منزعج فقال لي: عند الله أحتسب نفسي.

ثم شرع المصنف رحمه الله تعالى في ذكر أقاويل المحتضرين من السادة الصوفية فقال:

(وقال الجريري): وهو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين نسب إلى جده جرير مصغراً من أكابر أصحاب الجنيد وصحب سهلاً التستري: **(كنت عند الجنيد)** أبي القاسم **(في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز)** أي أوّل يوم من السنة العجمية وأصله أنوروز أي النهار الجديد، **(وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له في هذه الحالة: يا أبا القاسم؟ فقال: ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي)** نقله القشيري في الرسالة.

وقال أبو نعيم في الحلية: سمعت عبد المنعم بن عثمان يقول: سمعت أبا سعيد بن الاعرابي يقول: سمعت أبا بكر العطار يقول: حضرت الجنيد عند الموت في جماعة لأصحابنا فكان قاعداً يصلي ويثني رجليه كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجل وثقل عليه حركتها فمدَّ رجليه وقد تورمتا، فرآه بعض أصدقائه فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ فقال: هذه نعم الله أكبر، فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري: لو اضطجعت؟ قال: يا أبا محمد هذا وقت يؤخذ منه الله أكبر، فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله تعالى.

(وقال) أبو محمد **(رويم)** بن أحمد البغدادي رحمه الله تعالى: **(حضرت وفاة أبي سعيد)** أحمد بن عيسى **(الخراز)** رحمه الله تعالى **(وهو يقول في)** آخر نفسه: **(حنين قلوب العارفين إلى الذكر. وتذكارهم وقت المناجاة للسر)**.

(أديرت كؤوس للمنايا عليهم، فأغفوا) أي اعرضوا**(عن الدنيا كاغفاء ذي السكر.**

همومهم جوّالة بمعسكر به أهل ودالله كالأنجم الزهر

(فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه) وفي بعض النسخ تبلى بدل قتلى **(وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري)** أي تقطعها بسرعة إلى نحو العلى حتى لم يبق في قلوبهم حجاب يحجبها عنه لاعراضهم عن الدنيا.

فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم وما عرجوا من مس بؤس ولا ضرِ

وقيل للجنيد: إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت، فقال: لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقاً. وقيل لذي النون ـ عند موته ـ، ما تشتهي؟ قال: أن أعرفه قبل موتي بلحظة. وقيل لبعضهم وهو في النزع: قل الله فقال: إلى متى تقول الله وأنا محترق بالله. وقال بعضهم: كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير وقال السلام عليكم، هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه؟ قال: فأشاروا إليه بمكان ـ وكان ثم عين ماء ـ فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله، ومضى إلى ذلك المكان ومد رجليه ومات. وكان أبو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه، فصاحت امرأة تواجداً

(**فما عرسوا**) أي ما نزلوا أي في سفرهم (**إلا بقرب حبيبهم، وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر**) أي أحوالهم في الدنيا مع مولاهم هي التي حملتهم على حنين قلوبهم إليه وقت الارتحال، ولم يجدوا لما هم فيه من نزع الروح والأهوال ألماً لإعراضهم عن الدنيا. نقله القشيري في الرسالة.

(**وقيل للجنيد: إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت، فقال: لم يكن يعجب أن تطير روحه**) اشتياقاً للقاء ربه نقله القشيري في الرسالة، وفيه إشارة إلى كمال حال الخراز في دوام شغله بالله وأنسه به في سائر أحواله. (**وقيل لذي النون**) المصري رحمه الله تعالى (**عند موته: ماذا تشتهي؟ قال:**) اشتهي (**أن أعرفه**) فوق معرفتي له (**قبل موتي بلحظة**) رواه القشيري في الرسالة، والمعنى أن ذا النون رأى نفسه مقصراً عن القيام بحق معرفته فعد معرفته كلا معرفة، فطلب أن يستغرق في جلال الله وكماله بحسب ما علمه من ذلك. (**وقيل لبعضهم وهو في النزع: قل الله**) أي اذكره بلسانك. (**فقال: إلى متى تقولون**) لي قل الله (**وأنا محترق بالله**) فلست بغافل عنه فلا احتاج إلى من يذكرني به. نقله القشيري في الرسالة، وهذا يدل على كمال حضوره مع الله شديد المراقبة له. (**وقال بعضهم: كنت عند**) أبي علي (**ممشاد الدينوري**) رحمه الله تعالى وجماعة (**فقدم**) عليهم (**فقير**) من الفقراء أرباب الأحوال (**وقال: السلام عليكم**)، فردوا عليه السلام، فقال لهم: (**هل ههنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه، فأشاروا إليه بمكان**) عينوه له (**وكان ثم عين ماء، فجدّد**) ذلك (**الفقير الوضوء**) منها (**وركع ما شاء الله ومضى إلى ذلك المكان**) الذي أشاروا إليه، (**ومدّ رجليه ومات**) نقله القشيري في الرسالة وابن خميس في مناقب الأبرار وابن الملقن في الطبقات، وهذا من خرق العوائد وهو مستثنى من عموم خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، فيطلع الولي على ذلك. وفائدة هذه الحكاية أنه كان في مجلس الدينوري من ينكر خرق العوائد فأتى الله به جهاراً مرتباً على سؤال وجواب ليرجع إليه من ينكره وينتفع به ويتقوّى به من ينظره.

(**وكان أبو العباس**) أحمد بن محمد (**الدينوري**) رحمه الله تعالى صحب يوسف بن الحسين

فقال لها: موتي فقامت المرأة، فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت: قدمت. ووقعت ميتة. ويحكى عن فاطمة ـ أخت أبي علي الروذباري وكان رأسه في حجري ـ فتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول: يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها، ثم أنشأ يقول:

وحقك لانظرت إلى سواكا بعين مودة حتى أراكا

أراك معذبي بفتور لحظ وبالخد المورود من حياكا

وابن عطاء والجريري وكان عالماً فاضلاً، ورد نيسابور وأقام بها مدة يعظ ويتكلم على لسان أهل المعرفة، ثم ذهب إلى سمرقند فمات بها بعد الأربعين وثلاثمائة. (**يتكلم**) للرجال والنساء (**في مجلسه**) بنيسابور، (**فصاحت امرأة**) ممن حضرت مجلسه لسماع الوعظ (**تواجداً**) بما سمعته منه من الحكم ومقامات القرب إلى الله تعالى، فكره منها ذلك بحضرة الرجال (**فقال لها: موتي**) إن كنت صادقة مغلوبة، (**فقامت المرأة، فلما بلغت باب الدار التفتت إليه**) ورجعت إلى الله بالاضطرار أن لا يفضحها وأن يميتها لتسلم من نسبتها إلى التكلف لأحوال الفقراء فأجاب الله دعاءها. (**وقالت: قدمت، ووقعت ميتة**) رحمها الله تعالى. نقله القشيري في الرسالة قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: كان أبو العباس فذكره.

(**ويحكى عن فاطمة**) ابنة محمد (**أخت أبي علي**) أحمد بن محمد (**الروذباري**) البغدادي ثم المصري، وكانت من العارفات وهي والدة أبي العباس أحمد بن عطاء لها كلام حسن، روى عنها أخوها وعاشت بعده. (**قالت: لما قرب أجل**) أخي (**أبو علي الروذباري وكان رأسه في حجري فتح عينيه**) وكان قد أغمي عليه (**وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت، وهذه الجنان قد زينت، وهذا قائل يقول**) لي: (**يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى**) وإن لم تسألها، وأعطيناك درجة الأكابر وإن لم تردها، وهذا لأن المحتضر قد يكشف له من الأمور الملكوتية فيرى ما لا يراه الغير كما تقدم (**ثم أنشأ يقول:**

وحقك لانظرت إلى سواك بعين مودة حتى أراكا

أراك معذبي بفتور لحظ وبالخدر المورد من جناكا)

نقله القشيري في الرسالة، وابن الملقن في الطبقات، وابن حسين في مناقب الابرار وزادوا ثم قال: يا فاطمة الأوّل ظاهر والثاني إشكال أي أوّل البيتين ظاهر إذ هو قسم بعظمته وجلاله تعالى: أن لا يلتفت إلى غيره، والثاني منهما فيه إشكال على من لم يعرف المراد به ويتوهم أنه راجع إلى ربه وفي بعض نسخ الرسالة بعد البيت الثاني:

فلو قطعتني في الحب إرباً لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

وقيل للجنيد: قل لا إله إلا الله، فقال: ما نسيته فأذكره. وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري ـ خادم الشبلي ـ ما الذي رأيت منه؟ فقال: قال علي درهم مظلمة، وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه! ثم قال: وضئني للصلاة؛ ففعلت فنسيت تخليل لحيته ـ وقد أمسك على لسانه ـ فقبض على يدي وأدخلها في لحيته، ثم مات فبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة؟ وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر ـ وكان يشق عليه ـ كأنك تحب الحياة؟ فقال: القدوم على الله شديد. وقيل لصالح بن مسمار: ألا توصي بابنك وعيالك؟ فقال: إني لأستحيي من الله أن أوصي بهم إلى غيره! ولما احتضر أبو سليمان

(وقيل للجنيد) قدس سره عند النزع **(قل لا إله إلا الله فقال ما نسيته فاذكره)** نقله القشيري في الرسالة يشير إلى أن الذكر يكون عن الغفلة عن المذكور، وأنا لم أغفل عنه طرفة عين فكيف أذكره وهو مقام الاستغراق؟ قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول، قال أبو يزيد عند موته: ما ذكرتك إلا عن غفلة ولا قبضتني إلا على فترة.

(وسأل) أبو محمد **(جعفر بن)** محمد بن **(نصير)** البغدادي المعروف بالخلدي، صحب الجنيد وانتمى إليه، وصحب النوري وسمنون مات ببغداد سنة ٣٤٨ **(بكران الدينوري خادم الشبلي)** رحمه الله تعالى: **(ما الذي رأيت منه)** أي عند وفاته؟ **(فقال)** بكران، **(قال)** لي الشبلي: **(علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه)** لأجل براءة الذمة. **(ثم قال)** لي: **(وضئني للصلاة ففعلت)** أي وضأته **(فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك)** بالبناء للمفعول **(على لسانه)** أي لم يطلق التكلم **(فقبض على يدي وادخلها في لحيته)** لأخللها **(ثم مات، فبكى جعفر)** السائل **(وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة)** وفيه دلالة على كمال فضيلة الشبلي وتعظيمه للشريعة وثباته عليها عند الموت. ورواه القشيري في الرسالة فقال: سمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبدالله بن علي التميمي يقول: سأل جعفر بن نصير بكران الدينوري وكان يخدم الشبلي فساقه. ورواه ابن الملقن في الطبقات إلا أنه سمى خادمه بكير الدينوري.

(وقيل لبشر بن الحرث) الملقب بالحافي قدس سره **(لما احتضر وكان يشق عليه كأنك)** يا أبا نصر **(تحب الحياة؟ فقال: القدوم على الله شديد)** رواه القشيري في الرسالة، وقد روي عن سفيان الثوري أنه لما احتضر قال: كنا نتمناه فإذا هو شديد.

(وقيل لصالح بن مسمار) البصري العابد سكن الجزيرة: **(ألا توصي بابنك وعيالك؟ فقال: إني لاستحيي من الله أن أوصي بهم إلى غيره)** تعالى **(ولما احتضر أبو سليمان)** عبد

الداراني أتاه أصحابه فقالوا: أبشر فإنك تقدم على رب غفور رحيم، فقال لهم: ألا تقولون إحذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير؟ ولما احتضر أبو بكر الواسطي قيل له أوصنا. فقال: احفظوا مراد الحق فيكم. واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت عليك أبكي! فقال: إن كنت باكية فابكي على نفسك! فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة. وقال الجنيد: دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

كيـف أشكـو إلى طبيبي مـا بي والذي أصـــابني مـــن طبيبي

فأخذت المروحة لأروحه فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق؟ ثم أنشأ يقول:

القلـب محترق والدمـع مستبـق والكرب مجتمـع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار لـه مما جناه الهوى والشوق والقلـق
يا رب إن يك شيء فيه لي فـرج فامنن علي بـه مـا دام بي رمـقُ

الرحمن بن أحمد (**الداراني**) رحمه الله تعالى (**أتاه أصحابه فقالوا**) له: (**ابشر فإنك تقدم على رب**) كريم (**غفور رحيم فقال لهم: ألا تقولون احذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير**) وهذا مقام من غلب على قلبه الخوف فلم يطمئن. (**ولما احتضر الواسطي**) هو أبو بكر محمد بن موسى صحب الجنيد والنوري (**قيل له: أوصنا. فقال: احفظوا مراد الحق فيكم**) وهي كلمة جامعة للخيور كلها فإن مراد الحق من عبده أن يكون له خاصة فلا يضاف إلا له ولا ينتسب إلا إليه، وهذا هو التوحيد الخالص. (**واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال**) لها: (**ما يبكيك؟ فقالت: عليك أبكي، فقال: إن كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة. وقال الجنيد**) قدس سره (**دخلت على**) استاذي (**السري السقطي أعوده في مرض موته فقلت: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:**

كيـف أشكـو إلى طبيبي مـا بي والذي بي أصـابني مـن طبيبي)

وهو مثل قول الصديق رضي الله عنه لما قيل له: الا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني. وقول حذيفة رضي الله عنه لما قيل له قال: الطبيب أمرضني. (**فأخذت المروحة لأروّحه فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول:**

القلـب محترقٌ والدمـع مستبـق والكـرب مجتمـع والصبر مفترقُ
كيف القرار على من لا قـرار لـه مما جنـاه الهوى والشـوق والقلـقُ
يا ربّ إن يك شيء فيـه لي فـرج فـامنـن عليَّ بـه مـا دام بي رمـقُ

وحكي أن قوماً من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له: قل لا إله إلا الله، فأنشأ يقول:

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج
لا أتاح الله لي فرجاً يوم أدعو منك بالفرجِ

وحكي أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه، ثم أجاب بعد ساعة وقال: أعذرني فإني كنت في وردي! ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبّر ومات. وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك؟ فقال: لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم به! وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه. وحكي عن المعتمر قال: كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق، فقلت: اللهم

(**وحكي أن قوماً من أصحاب**) أبي بكر (**الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له: قل لا إله إلا الله، فأنشأ يقول:**

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج
لا أتاح الله لي فرجاً يوم أدعو منك بالفرج)

قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: بلغني عن أبي محمد الهروي قال: مكثت عند الشبلي الليلة التي مات فيها فكان يقول طول ليلته هذه البيتين فساقها ولم يذكر البيت الثالث.

(**وحكي أن أبا العباس**) أحمد بن محمد بن سهل (**بن عطاء**) الأودي من أقران الجنيد (**دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة وقال: أعذرني فإني كنت في وردي**) الذي التزمته فما أمكنني قطعه لرد السلام (**ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر ومات**) نقله القشيري في الرسالة بلفظ وقيل: دخل ابن عطاء على الجنيد وهو يجود بنفسه فسلم فأبطأ في الجواب ثم رد وقال: أعذرني فلقد كنت في وردي ثم مات.

(**وقيل للكتاني**) أبي بكر محمد بن علي البغدادي من أصحاب الجنيد مات بمكة سنة ٣٢٢ (**لما حضرته الوفاة. ما كان عملك؟ فقال: لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم! وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه. وحكي عن المعتمر قال: كنت فيمن حضر الحكم بن المطلب**) بن عبدالله بن المطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عمرو بن مخزوم المخزومي أحد أجداد بني مخزوم، قدم منبج وسكنها مرابطاً، ترجمته في تاريخ حلب مبسوطة ووالده المطلب، روى له البخاري في جزء القراءة والأربعة، وهو صدوق كثير التدليس

هوّن عليه سكرات الموت فإنه كان وكان ـ فذكرت محاسنه ـ فأفاق فقال: من المتكلم؟ فقلت: أنا! فقال: إن ملك الموت عليه السلام يقول لي، إني بكل سخي رفيق، ثم طفيء. ولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقاً فقال: يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع؟ فقال: يا أبا عبدالله وكيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء من عملي! فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله، وعن المغازلي قال: دخلت على شيخ لي من أصحاب هذه الصفة ـ وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فأرفق بي. ودخل

والإرسال، وأخوه عبدالله بن المطلب مدني روى له النسائي (**حين جاءه الحق فقلت: اللهم هون عليه سكرات الموت فإنه كان وكان فذكرت محاسنه فأفاق فقال: من المتكلم؟ فقلت: أنا. فقال: إن ملك الموت عليه السلام يقول لي إني بكل سخي رفيق ثم طفيء**) رواه الزبير بن بكار في أنساب قريش قال: سمعت القاسم بن محمد بن المعتمر بن عياض بن حميد بن عوف الزهري يحدث أبي بمنى سنة أربع وتسعين ومائة قال: حدثني حميد بن معيوف الهمداني عن أبيه معيوف بن يحي قال: كنت فيمن حضر الحكم بن المطلب المخزومي عند موته بمنبج فأغمي عليه ولقي شدة فقال بعض من حضره: اللهم هون عليه فأفاق وقال: من المتكلم؟ فقال: المتكلم أنا. فقال: هذا ملك الموت يقول لي إني بكل سخي رفيق. وقد أخرجه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين فقال: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا الزبير بن بكار فساقه. وقد عرفت بهذا أن المعتمر في سياق المصنف ليس هو التيمي كما يظن به عند بادىء الرأي وليس له رواية في هذه القصة، وإنما هي لحفيده. وقال محمود أيضاً: حدثنا عبيدالله بن محمد، حدثنا مصعب الزبيري قال: مات ابن للمطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنطب يقال له الحرث أبو الحكم وعبد العزيز وكان موته بمكة فحج أبوه من قابل، فلما أتى قبره قال: يا بني أتيتك زائراً ومشتاقاً فلم أرك وشهق شهقة فخر ميتاً فدفن إلى جنبه.

(**ولما حضرت**) أبا محمد (**يوسف بن اسباط**) الشيباني الزاهد (**الوفاة شهده حذيفة**) المرعشي وكان بينهما توادد (**فوجده قلقاً**) أي مضطرباً (**فقال: حذيفة: يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع. فقال: يا أبا عبدالله كيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أنى صدقت الله في شيء من عملي، فقال حذيفة. واعجباً لهذا الرجل يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله**) وقد روى أبو نعيم في الحلية من طريق موسى بن طريف قال: سمعت يوسف ابن اسباط يقول: لي أربعون سنة ما حك صدري شيء إلا تركته.

(**وعن**) أبي أحمد (**المغازلي**) له ذكر في الرسالة (**قال: دخلت على شيخ من أصحاب هذه القصة وهو عليل**) محتضر (**وهو يقول**) مخاطباً لربه. (**يمكنك أن تعمل بي ما تريد فارفق بي**). طلب من الله تعالى أي يرفق به في قبض الروح. (**ودخل بعض المشايخ على ممشاد**

بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له: فعل الله تعالى وصنع ـ من باب الدعاء ـ فضحك ثم قال: منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي. وقيل لرويم عند الموت: قل لا إله إلا الله، فقال: لا أحسن غيره. ولما حضر الثوري الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله، فقال: أليس ثم أمر؟ ودخل المزني على الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى الله تعالى وارداً، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنئها أم إلى النار فأعزيها؟ ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

الدينوري في وقت وفاته فقال له: فعل الله تعالى بك وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال: منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي) وهو يشير إلى مقام الاستغراق بالله فلا يرى شيئاً سواه من النعيم. ولفظ القشيري في الرسالة: ما فعل الله بك وصنع؟ فقال منذ ثلاثين سنة الخ. وفي بعض النسخ فقالوا: أبشر فقد فعل الله بك وصنع وزاد في آخره، وقالوا له عند النزع: كيف تجد قلبك؟ فقال: منذ ثلاثين سنة فقدت قلبي. **(وقيل لرويم)** بن محمد البغدادي **(عند الموت: قل لا إله إلا الله. فقال: لا أحسن غيره. ولما حضر)** أبا الحسن **(النوري)** بضم النون **(الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله. فقال: أليس ثم أمر)**؛ ولفظ الرسالة أليس ثم أعود. قال القشيري: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: كان سبب وفاة أبي الحسين النوري أنه سمع هذا البيت:

لا زلت أنزل من ودادك منزلاً ... تتحير الألباب عند نزوله

فتواجد النوري وهام في الصحراء فوقع في أجمة قصب قد قطعت وبقي أصوله مثل السيوف فكان يمشي عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه، ثم وقع مثل السكران فورمت قدماه فمات. وقد تقدم للمصنف ذلك في كتاب الوجد والسماع.

(ودخل أبو يحيى) إسماعيل **(المزني على الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً وبكأس المنية شارباً وعلى الله تعالى وارداً، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول:**

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي تحت عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تـزل تجود وتعفـو منـــة وتكـــرمـــا
ولولاك لم يغوى بإبليس عابـد فكيف وقد أغوى صفيك آدمـا

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بني باب كنت أدقه خمساً وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي، لا أدري أيفتح بالسعادة أو الشقاوة، فأني لي أوان الجواب.

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفـو منـة وتكـرمـا
ولولاك لم يغوى بـإبليس عـابـد فكيف وقد أغوى صفيك آدمـا)

رواه البيهقي في مناقبه.

(**ولما حضر**) أبا حامد (**أحمد بن خضرويه**) البلخي من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشي وكان كبيراً في الفتوة (**الوفاة سئل**) عن مسألة (**فدمعت عيناه وقال: يا بني كنت أدقه خمساً وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي لا أدري أيفتح بالسعادة أو الشقاوة فأني لي أوان الجواب**). ولفظ القشيري في الرسالة، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع، وان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسأله بعض أصحابه عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بني كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة هوذا يفتح لي الساعة لا أدري بالسعادة أو بالشقاوة أني لي أوان الجواب. قال: وكان عليه سبعمائة دينار وغرماؤه عنده فنظر إليهم وقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم. اللهم فادهم عني. قال: فدق داق الباب وقال: أين غرماء أحمد فقضى عنه، ثم خرجت روحه. مات سنة أربعين ومائتين. ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال: سمعت منصور بن عبدالله فساقه مثله.

ومما ذكره القشيري من أحوال المحتضرين قال: حكي عن عبدالله بن منازل أنه قال: إن حمدون القصار أوصى إلى أصحابه أن لا يتركوه حال الموت بين النسوان، وقيل: لما حضر بعضهم الوفاة قال: يا غلام أشدد كتافي وعفر خدي ثم قال: دنا الرحيل ولا براءة لي من ذنب ولا عذر أعتذر به ولا قوة أنتصر بها أنت لي أنت لي ثم صاح صيحة ومات، فسمعوا صوتاً استكان العبـد لمولاه فقبله. وقال بعضهم: كنت عند ممشاد عند مماته فقيل له: كيف تجد العلة؟ فقال: سلـوا العلـة عني، فقيل له: قل لا إله إلا الله فحول وجهه إلى الجدار وقال:

أفنيـــــت كلي بكلـــــك هـــذا جـــزاء مـــن يحبـــك

وقيل لأبي محمد الدبيلي وقد حضرته الوفاة: قل لا إله إلا الله. فقال: هذا شيء قد عرفناه وبه نفني ثم أنشأ يقول:

تسربـل ثـوب التيــه لما عــرفتــه وصـــد ولـم يـرض بـأن أك عبـده

وقيل للشبلي عند وفاته: قل لا إله إلا الله فقال:

قال سلطان حبه ... أنا لا أقبل الرشا
فسلوه فديته ... لم بقتلي تحرشا

قلت: هذا قد رواه ابن الجوزي في كتاب الثبات فقال: أنبأنا ابن ناصر عن ابن المبارك بن عبد الجبار عن أبي علي الحسن بن غالب قال: سمعت أبا الحسن السوسنجردي يقول: قالت أخت الشبلي: كان أخي ينزع وأنا عنده فقلت: يا أخي قل لا إله إلا الله فقال:

إن سلطان حبه ... قال لا أقبل الرشا

ثم مات رحمه الله تعالى. ثم قال القشيري: سمعت أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبدالله ابن علي التميمي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت بعض الفقراء يقول: لما مرض يحيى الاصطخري جلسنا حوله فقال له رجل منا: قل أشهد أن لا إله إلا الله فجلس مستوياً ثم أخذ بيد واحد منا وقال: قل أشهد أن لا إله إلا الله، ثم أخذ بيد الآخر حتى عرض الشهادة على جميع الحاضرين ثم مات. قال: وسمعت بعض الفقراء يقول: لما قرب وفاة أحمد بن نصر قال له واحد: قل أشهد أن لا إله إلا الله فنظر إليه فقال له بالفارسية: بي حرمتي مكن أي لا تترك الحرمة. وقال بعضهم: رأيت فقيراً يجود بنفسه غريباً والذباب يقع على وجهه فجلست أذب عن وجهه ففتح عينه وقال: من هذا أنا منذ كذا وكذا سنة في طلب وقت يصفو لي فلم يتفق إلى الآن جئت أنت توقع نفسك مر عافاك الله. قال: وسمعت منصور المغربي يقول: دخل يوسف بن الحسين على إبراهيم الخواص عائداً له بعد ما أتى عليه أيام لم يعده ولم يتعهده، فلما رآه قال للخواص: أتشتهي شيئاً؟ قال: نعم قطعة كبد مشوي. قال القشيري: لعل الإشارة فيه أنه أراد أشتهي قلباً يرق لفقير وكبداً يشتوي لغريب لأنه كالمتسحفي ليوسف بن الحسين حيث لم يتعهده. قال: وسمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبدالله بن علي التيمي يقول: سمعت أبا بكر الرقي يقول: كنا عند أبي بكر الزقاق بالغداة فقال: إلهي كم تبقيني ههنا؟ فما بلغ الصلاة الأولى حتى مات. قال: وحكي عن أبي علي الروذباري أنه قال: رأيت بالبادية شاباً حدثاً فلما رآني قال: ما يكفيه شغفي بحبه حتى أعلمني ثم رأيته يجود بروحه فقلت: قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول:

أيا من ليس لي منه ... وإن عذبني بد
ويا من نال من قلبي ... منالاً ماله حد
أجرني من تجنيك ... فقد أقلقني الجهد
إذا لم يرحم المولى ... إلى من يشتكي العبد

قال: وسمعت عبدالله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا الحسن الطرطوسي يقول: سمعت علوش الدينوري يقول: سمعت المزني الكبير يقول: كنت بمكة فوقع بي انزعاج فخرجت أريد

المدينة فلما وصلت إلى بئر ميمونة إذا أنا بشاب مطروح فعدلت إليه وهو ينزع، فقلت له: قل لا إله إلا الله ففتح عينه فأنشأ يقول:

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي ... وبداء الهوى يموت الكرام

ثم مات فغسلته وكفنته وصليت عليه، فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بي من إرادة السفر فرجعت إلى مكة. قال وقيل لبعضهم: أتحب الموت؟ قال: القدوم على من يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره.

قلت: رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد ربه بن صالح قال: دخل مكحول في مرضه الذي مات فيه فقيل له: أحسن الله عاقبتك يا أبا عبدالله فقال: كلا الإلحاق بمن يرجى عفوه خير من البقاء مع من لا يؤمن شره اهـ.

ثم قال: وحكي عن الجنيد إنه قال: كنت عند أستاذي ابن الكرنبي وهو يجود بنفسه، فنظرت إلى السماء فقال: بعد. ثم نظرت إلى الأرض فقال: بعد. يعني أنه أقرب إليك من أن تنظر إلى السماء أو إلى الأرض، بل هو وراء المكان. قال: وسمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين فقالوا: كنا في جنازة فتى سمع قائلاً يقول:

كبرت همة عبد ... طمعت في أن يراكا

فشهق شهقة ثم مات. وقد تقدم في كتاب السماع، ورواه ابن الملقن في الطبقات وزاد بيتاً:

أوما حسب لعين ... أن ترى ما قد رآك

قال القشيري: وسمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبدالله بن علي التميمي يقول: قال الوجيهي: كان سبب موت بنان الحمال أنه ورد على قلبه شيء فهام على وجهه فلحقوه في وسط متاهة بني إسرائيل في الرمل ففتح عينه وقال: اربع، فهذا مربع الأحباب وخرجت روحه. وقال أبو يعقوب النهرجوري: كنت بمكة فجاءني فقير ومعه دينار فقال: إذا كان غداً أموت فاصلح لي بنصف هذا قبراً والنصف لجهازي، فقلت في نفسي: كأنه أصابته فاقة الحجاز، فلما كان بالغداة جاء ودخل الطواف ثم مضى وامتد على الأرض فقلت: هوذا يتماوت فذهبت إليه فحركته فإذا هو ميت، فدفنته كما أمر. وقيل: لما تغيرت الحال على أبي عثمان الحيري مزق ابنه أبو بكر قميصاً ففتح أبو عثمان عينه وقال: إن خلاف السنة في الظاهر من رياء في الباطن. وحكى أبو علي الروذباري قال: قدم علينا فقير فمات فدفنته وكشفت عن وجهه لأضعه في التراب ليرحم الله غربته ففتح عينه وقال: يا أبا علي أتذللني بين يدي من ذللني، فقلت: يا سيدي أحياة بعد الموت؟ فقال: بلى أنا حي وكل محب لله حي لأنصرنك غداً بجاهي يا روذباري. ورواه ابن الملقن في الطبقات ولفظه: قدم علينا فقير في يوم عيد في هيئة رثة فقال: هل عندك مكان نظيف يموت فيه

فقير غريب، فقلت له: كالمتهاون به: أدخل ومت حيث شئت. فدخل فتوضأ وصلى ركعات ثم اضطجع فمات فجهزته والباقي سواء.

قال: ويحكى عن علي بن سهل الأصبهاني أنه قال: أترون أني أموت كما يموت الناس مرض وعيادة إنما ادعى فيقال لي: يا علي فأجيب فكان يمشي يوماً فقال: لبيك ومات. قال: وسمعت محمد بن عبدالله الصوفي يقول: سمعت أبا عبدالله بن خفيف يقول: سمعت أبا الحسن المزني الكبير يقول: لما مرض أبو يعقوب النهرجوري مرض وفاته قلت له وهو في النزع: قل لا إله إلا الله فتبسم إلي وقال: إياي تعني وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجاب العزة وانطفأ من ساعته. وكان المزني يأخذ بلحيته ويقول: حجام مثلي يلقن أولياء الله الشهادة واخجلتاه منه! وكان يبكي إذا ذكر هذه الحكاية. وقال أبو الحسين المالكي كنت أصحب خير النساج سنين كثيرة فقال لي قبل موته بثمانية أيام: أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب وأدفن يوم الجمعة بعد الصلاة وستنسى هذا فلا تنس. قال أبو الحسين: فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقيني من خبرني بموته فخرجت لأحضر جنازته فوجدت الناس راجعين يقولون: يدفن بعد الصلاة فلم أنصرف وحضرت فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال. سألت من حضر وفاته فقال: إنه غشي عليه ثم أفاق ثم التفت إلى ناحية البيت وقال: قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور، والذي أمرت به لا يفوتك والذي أمرت به يفوتني، فدعا بماء وجدد وصلى ثم تمدد وغمض عينيه فروئي في المنام بعد موته، وقيل له: كيف حالك؟ فقال: لا تسأل لكن تخلصت عن دنياكم الوضرة.

قلت: وقد رواه أبو نعيم في الحلية فقال: سمعت علي بن هارون الحربي يحكي عن غير واحد ممن حضر خير النساج من أصحابه أنه غشي عليه عند صلاة المغرب ثم أفاق ونظر إلى ناحية من باب البيت فساقه. وفيه بعد قوله: يفوتني فدعني أمضي لما أمرت به والباقي سواء.

قال القشيري: وسمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا جعفر بن قيس يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: كنت بمكة فجزت يوماً بباب بني شيبة فرأيت رجلاً حسن الوجه ميتاً فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال: يا أبا سعيد أما علمت أن الأحباء أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار، وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: بلغني أنه قيل لذي النون عند النزع: أوصنا. قال: لا تشغلوني فإني متعجب من محاسن لطفه وسمعته يقول: سمعت عبدالله بن محمد الرازي يقول: سمعت أبا عثمان الحيري يقول: سئل أبو حفص في حال وفاته ما الذي تعظنا به؟ فقال: لست أقوى على القول، ثم رأى من نفسه قوة فقلت له: قل حتى أحكي عنك، فقال: الانكسار بكل القلب على التقصير. هذا كله سياق القشيري في الرسالة.

ومما نقلته من طبقات ابن الملقن قال الحسين بن الفضل: حضرت أبا الحسين النوري وهو في

الموت فقلت له: ألك حاجة أو في نفسك شهوة؟ فرفع رأسه إلي وقد انكسر لسانه فقال: أي والله أشتهي شهوة كبيرة. قلت: وما هي؟ قال: أشتهي أرى الله تعالى ثم تنفس عالياً كالواجد بحاله وفارق الدنيا.

قال: وقال الجنيد: دخلت على السري وهو في النزع فجلست عند رأسه ووضعت خدي على خده فدمعت عيناي فوقع دمعي على خده وقال لي: من أنت؟ قلت: خادمك الجنيد، فقال: مرحباً. فقلت: أوصيني بوصية أنتفع بها: قال: إياك ومصاحبة الأشرار وأن تنقطع عن الله بصحبة الأغيار، ولما حضرته الوفاة قلت له: يا سيدي لا يرون بعدك مثلك. قال: ولا أخلف عليهم بعدي مثلك.

قال: وقيل لحبيب العجمي في مرض الموت: ما هذا الجزع الذي ما كنا نعرفه منك؟ فقال: سفري بعيد بلا زاد وينزل بي في حفرة من الأرض موحشة بلا مؤنس، وأقدم على ملك جبار وقد قدم إلي العذر. ويروى أنه جزع جزعاً شديداً عند الموت فجعل يقول: أريد سفراً ما سافرته قط. أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط. أريد أن أزور سيدي ومولاي ما رأيته قط. أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط. أريد أن أدخل تحت التراب وأبقى إلى يوم القيامة ثم أقف بين يدي الله تعالى فأخاف أن يقول لي: يا حبيب هات تسبيحة واحدة سبّحتني في ستين سنة لم يظفر الشيطان فيها بشيء، فماذا أقول وليس لي حيلة؟ أقول يا رب هوذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي. قال الرواي: فهذا رجل عبد الله ستين سنة مشتغلاً به ولم يشتغل من الدنيا بشيء قط فكيف حالنا؟

وقال ابن الجوزي في كتاب الثبات، أخبرنا عمر بن ظفر، أخبرنا جعفر بن أحمد، حدثنا عبد العزيز بن علي، أخبرنا أبو الحسن بن جهضم، أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى، حدثني يوسف بن الحسين قال: قال فتح بن شخرف: دخلت على ذي النون المصري عند موته فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

أموت وما ماتت إليك صبابتي	ولا رويت من صدق حبك أوطاري
مناي المنى كل المنى أنت لي منى	وأنت الغنى كل الغنى عند إقتاري
وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتي	وموضع آمالي ومكنوف إضماري
وبين ضلوعي منك ما لا أبثه	ولم أبد بادية لأهل ولا جار
سرائر لا تخفى عليك خفيها	وإن لم أبح حتى التنادي بأسراري
فهب لي نسياً منك أحيا بروحه	وجد لي بيسر منك يطرد إعساري
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن	من العلم في أيديهم عشر معشار
فأبصارهم محجوبة وقلوبهم	تراك بأوهام حديدات أبصار
ألست دليل الركب إن هم تحيروا	وعصمة من أمسى على جرف هار؟

قال الفتح بن شخرف: فلما ثقل قلت له: كيف تجدك؟ فقال:

ومالي سوى الإطراق والصمت حيلة ... ووضعي على خدي يدي عند تذكاري
وإن طرقتني عبرة بعد عبرة ... تجرعتها حتى إذا عيل تصباري
أفضت دموعاً جمة مستهلة ... أطفي بها حراً تضمن أسراري
ولست أبالي فائتاً بعد فائت ... إذا كنت في الدارين يا واحدي جاري

وأورده ابن الملقن في الطبقات من كتاب بهجة الأسرار لابن جهضم وفيه زيادة أبيات منها بعد البيت الرابع:

تحمل قلبي فيك ما لا أبثه ... وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري
ولي منك في الأحشاء داء مخامر ... وقد هدمني الركن وانبث أسراري

ومنها بعد البيت الثامن:

حملت لها القدر المفرق والتقى ... على قدر والهم يجري بمقدار

ومنها قبل البيت الأخير:

فيا منتهى سؤل المحبين كلهم ... أبحني محل الأنس مع كل زوار

وقال ابن جهضم بسنده إلى عبد الجبار قال: صحبت فتح بن شخرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء فرفع رأسه وفتح عينيه ونظر إلى السماء وقال: قد طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك، فما أتى عليه الجمعة حتى مات. وقال صاحب مصارع العشاق بسنده إلى أبي إسماعيل الموصلي وكان من أصحاب الفتح بن سعيد شهد فتح العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعدما تفرق الناس ورجعت معه فنظر إلى الدخان يفور من نواحي المدينة فبكى ثم قال: قد قرب الناس قربانهم فليت شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب، ثم سقط مغشياً عليه. فجئت بماء فمسحت به وجهه فأفاق ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه إلى السماء وقال: علمت طول حزني وغمي وترددي في أزقة الدنيا فحتى متى تحبسني أيها المحبوب ثم سقط مغشياً عليه، فجئت بماء فمسحت به وجهه فأفاق فما عاش بعد ذلك أياماً حتى مات..

وقال ابن الجوزي في كتاب الثبات: أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا أحمد بن أحمد، حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله قال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا أبي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلم الطوسي قال: دخلت عليه قبل موته بأربعة أيام فقال: تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير قد نزل بي الموت وقد من الله تعالى علي أنه ليس عندي درهم يحاسبني عليه أغلق الباب ولا تأذن لأحد علي حتى أموت، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثاً غير كسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ فيه وكتبي، وكانت معه صرّة كان فيها نحو ثلاثين درهماً فقال: هذا لابني أهداه له قريب له ولا أعلم شيئاً أحل لي منه لأن النبي ﷺ قال: «أنت وما لك

فهذه أقاويلهم، وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب، فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله، والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم.

لأبيك» فكفنوني منها فإن أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر وابسطوا على جنازتي لبدي غطوا عليها بكسائي وتصدقوا بإنائي أعطوه مسكيناً يتوضأ منه، ثم مات في اليوم الرابع.

وقال أبو الحسن بن جهضم في بهجة الأسرار: أخبرنا أحمد بن محمد بن علي، حدثني عثمان بن سهل قال: دخلت على عمرو بن عثمان المكي في علته التي توفي فيها فقلت له: كيف تجدك؟ فقال: أجد سري واقفاً مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام.

وقال الخطيب: أخبرنا أحمد بن علي المحتسب، حدثنا الحسن بن الحسين بن حمكان، سمعت أبا الحسن علي بن إبراهيم البغدادي يقول: سمعت أبا عبد الخالق باذي يقول: حضرنا يوسف بن الحسين وهو يجود بنفسه فقال: اللهم إني نصحت خلقك ظاهراً وغششت نفسي باطناً فهب لي غشي لنفسي لنصحي لخلقك ثم خرجت روحه.

وقال ابن الجوزي: قال أبو الوفاء بن عقيل، ونقلته من خطه، قال بعض أصحاب عبد الصمد الزاهد حضرته عند موته وهو يقول: يا سيدي لليوم خبأتك لهذه الساعة اقتنيتك حقق حسن ظني بك.

(**فهذه أقاويلهم**) عند سفرهم للآخرة، (**وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم**) من خوفهم ورجائهم وحبهم للقاء الله تعالى (**فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب**) للقاء الله تعالى، (**فتكلم كل واحد على مقتضى حاله**) بما أقامه الله فيه، (**والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم**) وبالله التوفيق.

الباب السادس
في أقاويل العارفين على الجنائز
والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لا لأهل الغفلة، فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة، لأنهم يظنون أنهم أبداً إلى جنازة غيرهم ينظرون، ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون ذلك، ولكنهم على القرب لا يقدرون، ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون، فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم، فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولاً عليها، فإنه محمول عليها على القرب وكأن قد، ولعله في غد أو بعد غد. ويروى عن أبي هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال: امضوا فإنا على الأثر. وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال: اغدوا

الباب السادس

في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور:

(**اعلم**) بصرك الله تعالى (**أن الجنازة**) بالفتح والكسر أفصح. وقال الأصمعي: بالكسر الميت نفسه وبالفتح السرير. وروى أبو عمر الزاهد عن ثعلب عكس هذا فقال بالكسر السرير وبالفتح الميت نفسه، (**عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لا لأهل الغفلة فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قسا[illegible]نهم يظنون أنهم أبداً إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يجبسون أنهم لا محالة على الجنائز**) أي السرر (**يحملون أو يحسبون ذلك، ولكنهم على القرب لا يقدرون**) أي لا يقدرون الموت على أنفسهم قريباً، (**ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا**) كانوا (**يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظرنّ عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولاً عليها فإنه محمول عليها وكأن قد**) حمل عليها (**ولعله في غد أو بعد غد**) وما أقرب ذلك إذ كل آت قريب. (**يروى عن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**أنه كان إذا رأى جنازة قال: امضوا فإنا على الأثر**) أي لاحقون بكم. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال: بلغني عن أبي هريرة أنه كان إذا مر بجنازة قال: روحي فإنا غادون أو أغدي فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول ويبقى الآخر لا عقل له.

فإنا رائحون. موعظة بليغة وغفله سريعة يذهب الأوّل والآخر لا عقل له. وقال أسيد بن حضير: ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه. ولما مات مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول: والله لا تقر عيني حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه، ولا أعلم ما دمت حياً. وقال الأعمش: كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعـزي لحزن الجميع. وقال ثابت البناني: كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعاً باكياً.

(وكانَ) أبو عبدالله **(مكحول الدمشقي)** فقيه الشام رحمه الله تعالى **(إذا رأى جنازة قال: أغدوا فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له)**. هذا القول روي عن أبي هريرة كما ذكر قبل هذا. وعن أبي الدرداء أيضاً رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا أبو الهيثم بن خارجة، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن شرحبيل أن أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة قال: أغدوا فإنا رائحون أو روحوا فإنا غادون موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظاً يذهب بالأول فالأول ويبقى الأخير لا حلم له. ورواه صاحب كتاب المتفجعين فقال: حدثنا محمد ابن جبلة، حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا إسماعيل، عن شرحبيل بن مسلم عن أبي الدرداء أنه كان إذا رأى جنازة قال: روحي فإنا غادون موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظاً يذهب الأول ويبقى الآخر لا فكرة له ولا حلم.

(وقال) أبو يحي **(أسيد بن حضير)** بالتصغير **فيهما ابن سماك بن عتيك** الأنصاري الأشهلي أحد النقباء رضي الله عنه مات سنة عشرين أو اثنين وعشرين: **(ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه)**. رواه ابن المبارك في الزهد، وأحمد في مسنده من طريق فاطمة ابنة الحسين بن علي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أسيد من أفاضل الناس وكان يقول: لو أني أكون كما أكون على أحوال ثلاث لكنت حين اقرأ القرآن أو حين أسمعه يقرأ، وإذا سمعت خطبة رسول الله ﷺ، وإذا شهدت جنازة وما شهدت جنازة قط فحدثت نفسي بسوى ما هو مفعول بها وما هي صائرة إليه.

(ولما مات أخو مالك بن دينار) البصري الزاهد رحمه الله تعالى **(خرج مالك في جنازته)** وهو يبكي **(ويقول: والله لا تقرعيني حتى أعلم إلى ماذا صرت ولا أعلم ما دمت حياً)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(وقال)** سليمان بن مهـران **(الأعمش)** رحمه الله تعـالى: **(كنـا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع)** قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بـن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا عمرو الأودي، حدثنا وكيع، عن الحسن بن صالح، عن الأعمش قال: إن كنا لنشهد الجنازة فلا ندري من نعزي لحزن القوم. **(وقال)** أبو محمد **(ثابت)** بن أسلم **(البناني)** رحمه الله تعالى: **(كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعاً باكياً)**.

فهكذا كان خوفهم من الموت. الآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون، ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته، ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه، ولا يتفكر واحد منهم إلى ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها. ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب، حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا. فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت. نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال: لو

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الحرث وعبدالله بن أبي زياد قالا: حدثنا سيار، حدثنا ثابت قال: كنا نتبع الجنازة فما نرى إلا متقنعاً باكياً أو متقنعاً متفكراً.

(فهكذا كان خوفهم من الموت، والآن لا تنظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه). نسأل الله التوفيق. وقد روى صاحب كتاب المتفجعين، عن الميموني، عن أحمد بن حنبل عن سفيان قال: رأى ابن مسعود رجلاً يضحك في جنازة فقال: اتضحك مع الجنازة لا أكملك أبداً. ذكر سفيان إسناده فقال: قال عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن رجل من بني عبس يقال له أبو بحر قال الميموني: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي قال: سمعت أبي يذكر ذلك عن يزيد ابن عبدالله عن بعض أصحابه قال: رأى عبدالله رجلاً يضحك في جنازة فقال: تضحك وأنت تتبع الجنازة والله لا أكملك أبداً. وقال الميموني: حدثنا أحمد بن حنبل قال: سمعت وكيعاً يقول: أبو بحر الذي روى عنه حسن هو صاحب لنا وكان معنا وقد رأيته يقال له يزيد بن عبدالله، حدثني عنه أصحابنا أن ابن مسعود رأى رجلاً يضحك في جنازة فقال له: تضحك في الجنازة والله لا أكملك أبداً. ومن طريق ضمرة بن حبيب عن عمه المهاصر قال: موطنان لا ينبغي لمؤمن أن يضحك منهما القرد حين يراه ومطلعه إلى القبر. **(ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها، ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب، حتى نسينا الله تعالى و)** نسينا **(اليوم الآخر و)** نسينا **(الأهوال)** العظيمة **(التي بين أيدينا فصرنا نلهو)** ونلعب **(ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا)** ولا يهمنا، **(فنسأل الله تعالى اليقظة)** والانتباه **(من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت)**.

ترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم، إنه نجا من أهوال ثلاثة: وجه ملك الموت وقد رأى، ومرارة الموت وقد ذاق، وخوف الخاتمة وقد أمن. وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يملي على كاتبه شعراً فاطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز. وأنشأ يقول:

تروعنا الجنائز مقبلات ... ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب ... فلما غاب عادت راتعاتِ

فمن آداب حضور الجنائز: التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة

يحكى أنه **(نظر إبراهيم الزيات)** رحمه الله تعالى **(إلى أناس يترحمون على ميت فقال: لو ترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة)** كل منها أعظم من الآخر الهول الأوّل: **(وجه ملك الموت قد رأى)** فقد وردت الأخبار بأن كل ميت يراه بصورته فيذهل من مشاهدتها. **(و)** الهول الثاني: **(مرارة الموت وقد ذاق)** وناهيك بها مرارة لا تدخل تحت الوصف. **(و)** الهول الثالث: **(خوف الخاتمة)** بأن يسلب الإيمان **(وقد أمن)** منه.

(وقال أبو عمرو بن العلاء) بن عمار بن العريان المازني النحوي القارىء ثقة من علماء العربية، واختلف في اسمه على أقوال فقيل: زبان. وقيل العريان، وقيل يحيى، وقيل جزء والأوّل أشهر والثاني أصح عند الصولي، مات سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة روى له البخاري معلقاً، وأبو داود في كتاب القدر له، وابن ماجه في التفسير له: **(جلسنا إلى جرير)** بن الخطفي واسمه عطية بن حذيفة **(وهو يملي على كاتبه شعراً)** فيكتبه **(فاطلعت جنازة فأمسك)** عن الإملاء **(وقال: شيبتني والله هذه الجنائز وأنشأ يقول:**

تُروّعنا الجنائز مقبلات ... ونلهو حين تذهب مدبراتِ
كروعة ثلة لمغار ذئب ... فلما غاب عادت راتعاتِ)

الروعة: المخافة، والثلة: جماعة الغنم، والمغار: الإغارة. وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي قال: أنشدنا نصر بن قديد الليثي لعروة بن أذينة الليثي:

نراع إذا الجنائز قابلتنا ... ويحزننا بكاء الباكياتِ
كروعة ثلة لمغار سبع ... فلما غاب عادت راتعاتِ

قال: وحدثنا أحمد بن الأسود قال: سمعت ابن عائشة يقول: سمعت سفيان بن عيينة يتعجب لبيتي لبيد:

ونحدث فزعات لدى كل روعة ... ونسرع نسياناً ولم يأتنا أمنُ
وإنا ولا كفران لله ربنا ... لكالبدن ما تدري متى يومها البدنُ

(فمن آداب حضور الجنائز: التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة

التواضع ـ كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه ـ ومن آدابه حسن الظن بالميت ، وإن كان فاسقاً ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح ، فإن الخاتمة مخطرة لا تدري حقيقتها ، ولذلك روي عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفاً على نفسه ، فتجافى كثير من الناس عن جنازته ، فحضرها هو وصلى عليها ، فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال : يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود ، وإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ؟

ويحكى أن رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة ، فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدرِ بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه ، فاستأجرت حمالين وحملتها إلى المصلى فما صلى عليه أحد ، فحملتها إلى الصحراء للدفن ، فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار ، فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلي عليها ، فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه ، وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال : قيل لي في المنام

التواضع ـ كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه ـ ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقاً ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح ، فإن الخاتمة مخطرة لا يدري حقيقتها ، ولذلك روي عن) أبي ذر **(عمر بن ذر)** بن عبدالله بن زرارة الهمداني بسكون الميم المرجي الكوفي ثقة مات سنة ثلاث وخمسين ومائة ، روى له البخاري وأبو دادو والنسائي وابن ماجه في كتاب التفسير له ، **(أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفاً على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته)** أي لم يحضروها **(فحضرها هو وصلّى عليها ، فلما دلي في قبره)** أي أنزل **(وقف على قبره وقال : يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا)** . وروى أبو نعيم في الحلية من طريق النضر بن إسماعيل قال : شهدت عمر بن ذر في جنازة وحوله الناس ، فلما وضع الميت على شفير القبر بكى عمر ثم قال : أيها الميت ؟ أما أنت فقد قطعت سفر الدنيا وطوباك إن توسدت في قبرك خيراً .

(ويحكى أن رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه) ولنهماكه في الفجور ، **(فاستأجرت حمالين وحملتها إلى المصلى فما صلى عليه واحد ، فحملتها إلى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار ، فرأوه كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد المذكور قد نزل)** من صومعته **(ليصلي على فلان)** الفاسق ، **(فخرج أهل البلد)** يهرعون إليه **(فصلّى الزاهد وصلوا**

إنزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصلِّ عليه فإنه مغفور له، فزاد تعجب الناس! فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته؟ قالت: كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولاً بشرب الخمر! فقال: انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخير؟ قالت: نعم، ثلاثة أشياء: كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود إلى الماخور ويشتغل بالفسق.

والثاني: أنه كان أبداً لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده، وكان شديد التفقد لهم.

والثالث: أنه كان يفيق في أثناء فكره في ظلام الليل فيبكي ويقول: أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث؟ يعني نفسه. فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره. وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجيا

عليه) موافقة له، **(وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه)** وسألوه عن ذلك **(فقال: قيل لي في المنام: انزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها إلا امرأة فصلّ عليه فإنه مغفور له فزاد تعجب الناس)** من ذلك، **(فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت: كما عرف)** بين الناس **(كان طول نهاره في الماخور)** أي بيت الخمر **(مشغولاً بشرب الخمر فقال: انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخير؟ قالت: نعم ثلاثة أشياء)**.

الأوّل: أنه **(كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه)** أي يغيرها **(ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود إلى الماخور ويشتغل بالفسق)** من الشرب وغيره.

(والثاني: أنه كان أبداً لا يخلو بيته عن يتيم أو يتيمين) يكفلهم **(وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التفقد لهم)**.

(والثالث: أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول: يا رب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث ـ يعني نفسه ـ فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره) وأخبر الناس بذلك.

(وعن) أبي الصهباء **(صلة بن أشيم)** العدوي البصري الزاهد **(وقد دفن أخ له فقال على قبره:**

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجيا)

بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور:

قال الضحاك: قال رجل: يا رسول الله من أزهد الناس؟ قال: « من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه من أهل القبور ».⁄ وقيل لعلي كرّم الله وجهه: ما شأنك جاورت المقبرة؟ قال: إني

هذا السياق مزال عن أصله. وقد رواه أبو نعيم في الحلية على أصله فقال: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن سهل بن الصباح، حدثنا حميد بن مسعود، حدثنا جعفر بن سليمان، عن هشام، عن الحسن قال: مات أخ لنا فصبرنا عليه، فلما وضع في قبره ومدّ عليه الثوب جاء صلة بن أشيم فأخذ بناحية الثوب ثم نادى: يا فلان بن فلان إنك:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجياً

قال: فبكى وأبكى الناس. وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود، حدثنا الصلت بن مسعود، حدثنا جعفر بن سليمان، عن هشام بن حسان، عن الحسن قال: كنا في جنازة فلما دفن الميت قال صلة بن أشيم العدوي على القبر فقال:

إن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجيا

وقال أيضاً: حدثنا أحمد بن الأسود، حدثنا ابن عائشة، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن قيس قال: وقف عسعس بن سلامة على قبر فقال:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجيا

فقيل: يا أبا صفرة في هذا الموضع؟ قال: نعم انتهى. وقال أحمد في الزهد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت أن أخاً لصلة بن أشيم مات فجاءه رجل وهو يطعم فقال: يا أبا الصهباء إن أخاك مات. فقال: هلم فكل فقد نعى إلينا فقال: والله ما سبقني إليه أحد فمن نعاه قال يقول الله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠].

بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور:

(**قال الضحاك**) بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني المفسر صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة روى له الأربعة (**قال رجل: يا رسول الله من أزهد الناس؟ قال: « من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ومن لم يعد غداً من أيامه وعدّ نفسه من أهل القبور »**) رواه البيهقي في الشعب عن الضحاك مرسلاً. وقد تقدم في كتاب الزهد والفقر. وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن الضحاك بن مزاحم قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال فساقه وفيه: وترك أفضل زينة الدنيا، وفيه وعدّ نفسه من الموتى.

(وقيل لعلي كرم الله وجهه: ما شأنك جاورت المقبرة؟ قال: إني أجدهم خير جيران إني

أجدهم خير جيران إني أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة. **وقال رسول الله ﷺ: « ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه ». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه. فبكى وبكيت وبكوا فقال: « ما يبكيكم ؟ » قلنا: بكينا لبكائك! قال: « هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى علي، فأدركني ما يدرك الولد من الرقة ». وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على**

أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة) رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن أبي أسامة، عن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه قال: قيل لعلي: ما شأنك أبا حسن جاورت المقبرة؟ فذكره. وروى أبو نعيم في الحلية من ترجمة زيد بن أسلم قال: سكن رجل المقابر فعوتب في ذلك. فقال جيران صدق ولي فيهم عبرة.

(وقال رسول الله ﷺ: « ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه ») روي ذلك من حديث عثمان، وقد تقدم في الباب الثالث من كتاب آداب الصحبة وسيأتي له ذكر أيضاً.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال: « ما يبكيكم؟ قلنا: بكينا لبكائك. قال: « هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى عليّ فأدركني ما يدرك الولد من الرقة ») قال العراقي: تقدم في آداب الصحبة أيضاً. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث ابن مسعود، وفيه ذكر لعمر بن الخطاب انتهى.

قلت: حديث الاستئذان بزيارة قبر الأم قد ورد من طريق من حديث أبي هريرة وبريدة بن الحصيب ولابن مسعود، فحديث أبي هريرة قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: « استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت ». وقد رواه كذلك أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان.

وحديث بريدة بن الحصيب رواه ابن أبي شيبة أيضاً فقال: حدثنا محمد بن عبيد الله الأسدي، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة أتى جذع قبر فجلس إليه فجعل يحرك يده ورأسه كهيئة المخاطب وأجلس الناس حوله فقام وهو يبكي فتلقاه عمر وكان من أجرأ الناس عليه فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ قال: « هذا قبر أمي سألت ربي الزيارة فأذن لي وسألته الاستغفار فلم يأذن لي فذكرتها فرقت نفسي فبكيت » قال: فلم ير يوماً كان أكثر باكياً منه يومئذ.

قبر بكى حتى يبل لحيته، فسئل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي! وتبكي إذا وقفت على قبر؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد ». وقيل:

وقال محمود بن محمد في كتاب المتفعجين: حدثني محمد بن علي بن ميمون، حدثنا الفريابي، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة قال: أتى نبي الله ﷺ رسم قبر فجلس وجلس الناس عنده فجعل يحرك يده ورأسه كالمخاطب وقام يبكي فقال له عمر: ما يبكيك يا نبي الله قال: « استأذنت ربي عز وجل في زيارة قبر أم محمد فأذن لي وسألته الاستغفار لها فأبى علي ».

قلت :هكذا هو في سياق السند عن سليمان بن بريدة. قال: ولعله سقط لفظ عن أبيه والله أعلم.

وحديث ابن مسعود رواه الحاكم ولفظه: « إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر آمنة بنت وهب وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فيه واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل علي: ﴿ما كان للنبّي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ [التوبة: ١١٣] فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي أبكاني ». وقال ابن شيبة: حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن زيد، حدثنا فرقد السبخي، حدثنا جابر بن زيد، حدثنا مسروق، وعن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: « إني نهيتكم عن زيارة القبور فإنه قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها تذكركم ». وقد تقدم الكلام على شيء من ذلك في كتاب آداب الصحبة.

(وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي إذا وقفت على قبر؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد ») قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه ابن ماجه والحاكم وصححه، وتقدم في آداب الصحبة انتهى.

قلت: ورواه كذلك حسان بن السري، وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، والبيهقي.

وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن جبلة والميموني قالا: حدثنا يحيى بن معين، حدثنا هشام بن يوسف الصاغاني، حدثني عبدالله بن بحير عن هانىء مولى عثمان عن عثمان أنه كان إذا وقف على القبر بكى حتى تبلّ الدموع لحيته فقيل له: إنك تذكر الجنة والنار فلا نراك تبكي وتبكي من القبر؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده شر منه ». وقال رسول الله ﷺ: « ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه ». قال عثمان: فكان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قال: « استغفروا لصاحبكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسـأل ». ورواه أبو نعيم في الحلية مختصراً فقال: حدثنا فاروق الخطابي، حدثنا أبو مسلم، حدثنا علي بن عبدالله المديني، حدثنا هشام بن يوسف، حدثنا عبدالله ابن يحيى، عن هانىء مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته.

إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين، فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه؟ فقال: ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما. وقال مجاهد: أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول: أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة، هذا ما أعددت لك فما أعددت لي؟ وقال أبو ذر: ألا أخبركم بيوم فقري، يوم أوضع في قبري. وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور، فقيل له في ذلك فقال: اجلس إلى قوم يذكروني معادي وإذا قمت لم يغتابوني. وكان جعفر بن محمد يأتي القبور ليلاً ويقول: يا أهل القبور ما لي إذا دعوتكم لا تجيبوني! ثم يقول: حيل والله بينهم وبين جوابي وكأني بي أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر.

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه: يا فلان لقد أرقت الليلة أتفكر في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به! ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح

(**وقيل: إن عمرو بن العاص**) رضي الله عنه (**نظر إلى المقبرة**) يوماً (**فنزل**) عن دابته (**وصلى ركعتين فقيل له: هذا شيء لم تكن تصنعه**) فهل له من سبب؟ (**فقال**): نعم (**ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالى: (**أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول: أنا بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فماذا أعددت لي**)؟ ويروى نحوه مرفوعاً من حديث أبي الحجاج الثمالي والبراء بن عازب وغيرهما، وأقرب السياق إليه حديث البراء، وقول عبيد بن عمير كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى في بيان كلام القبر للميت. (**وقال أبو ذر**) الغفاري رضي الله عنه: (**ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وكان أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**يقعد إلى القبور فقيل له في ذلك. فقال: أجلس إلى قوم يذكروني معادي وإذا قمت لم يغتابوني**) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وكان**) أبو عبدالله (**جعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين رحمه الله تعالى (**يأتي القبور ليلاً ويقول: يا أهل القبور مالي إذا دعوتكم لا تجيبوني، ثم يقول: حيل الله بينهم وبين جوابي وكأني بي أكون مثلهم، ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**لبعض جلسائه: يا فلان**) كذا في النسخ وفي الحلية أبا فلان (**لقد أرقت الليلة أتفكر**) قال: فيم أمير المؤمنين؟ قال: (**في القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به**) ولفظ الحلية بناحيته، (**ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع**

وبلي الأكفان، بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب، قال: ثم شهق شهقة خرّ مغشياً عليه. وكان يزيد الرقاشي يقول: أيها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستأنس في بطن الأرض بأعماله. ليت شعري بأي أعمالك استبشرت وبأي إخوانك اغتبطت؟ ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول: استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خاركما يخور الثور. وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم. وكان

تغير الريح، وبلي الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب، ثم شهق شهقة خرّ مغشياً عليه) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبان، حدثني أبي، حدثنا أبو بكر بن سفيان، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا عمرو بن جرير، حدثني أبو السريع الشامي قال: قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه فساقه. زاد بعد قوله مغشياً عليه فقالت فاطمة: يا مزاحم ويحك أخرج هذا الرجل عنا فلقد نغص على أمير المؤمنين الحياة منذ ولي فليته لم يل. قال: فخرج الرجل فجاءت فاطمة تصب على وجهه الماء وتبكي حتى أفاق من غشيته فرآها تبكي فقال: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فذكرت به مصرعك بين يدي الله تعالى للموت وتخليك من الدنيا وفراقك لنا فذلك الذي أبكاني فقال: حسبك يا فاطمة فلقد أبلغت ثم مال ليسقط فضمته إلى نفسها فقالت: بأبي أنت يا أمير المؤمنين ما تستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك في قلوبنا فلم يزل على حاله تلك حتى حضرته الصلاة فصبت على وجهه ماء، ثم نادته الصلاة يا أمير المؤمنين فأفاق فزعاً.

قلت: أبو بكر بن سفيان في سياق السند هو ابن أبي الدنيا وهكذا أورده بهذا السياق كله في كتاب القبور له.

(وكان يزيد) بن أبان **(الرقاشي)** البصري التابعي رحمه الله تعالى **(يقول: أيها المقبور في حفرته المتخلي في القبر بوحدته المستأنس في بطن الأرض بأعماله ليت شعري بأي أعمالك استبشرت وبأي إخوانك اغتبطت؟ ثم يبكي حتى يبلّ عمامته ثم يقول: استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى، وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ قال يزيد الرقاشي: بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت: أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم غيرنا. ورواه الخطيب في التاريخ وزاد: ثم يبكي يزيد ويقول فطوبى لمن كان أنيسه صالحاً والويل لمن كان أنيسه عليه وبالاً. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي إسحاق الخميسي قال: كان يزيد الرقاشي يقول في قصصه: يا معشر من القبر بيته والموت موعده ألا تبكون؟ قال: فبكى حتى سقطت أشفار عينيه.

(وقال) أبو عبد الرحمن **(حاتم)** بن يوسف **(الأصم)** مولى المثنى المحاربي رحمه الله تعالى:

بكر العابد يقول: يا أماه ليتك كنت بي عقيماً إن لابنك في القبر حبساً طويلاً ومن بعد ذلك منه رحيلاً. وقال يحي بن معاذ: يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه: إن أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها، وإن أجبته من قبرك منعتها. وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول: ما أحسن ظواهرك إنما الدواهي في بواطنك! وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول: يا أهل القبور متم فواموتاه! وعاينتم أعمالكم فواعملاه! ثم يقول غداً عطاء في القبور، فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح. وقال سفيان: من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من

(**من مرّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وكان بكر**) بن محمد (**العابد**) رحمه الله تعالى حكى عن مالك بن دينار له ذكر في الحلية (**يقول**) لأمه: (**يا أماه ليتك كنت بي عقيماً إن لابنك في القبر حبساً طويلاً وبعد ذلك منه رحيلاً**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وقال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه: إن أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجبته من قبرك منعتها**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وكان الحسن بن صالح**) بن حي بن حيان بن شفي الهمداني الثوري الكوفي العابد مولده سنة مائة. ومات سنة تسع وستين، روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة(**إذا أشرف على المقابر يقول: ما أحسن ظواهرك إنما الدواهي في بواطنك**)رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وروى أبو نعيم من طريق يحي بن يونس قال: كان الحسن بن صالح ينظر إلى المقبرة فيصرخ ويغشى عليه. (**وكان عطاء السلمي**) البصري العابد رحمه الله تعالى (**إذا جنّ عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول: يا أهل القبور متم فواموتاه! وعاينتم أعمالكم فوا عملاه! ثم يقول غداً عطاء في القبور فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح**). قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن قال: سمعت عبد الخالق بن عبدالله العبدي قال: كان عطاء إذا جنّ عليه الليل خرج إلى المقابر فوقف على أهل القبور ثم قال: يا أهل القبور متم فواموتتاه! ثم يبكي ويقول: يا أهل القبور عاينتم ما عملتم فوا عملاه! فلا يزال كذلك حتى يصبح. قال: وحدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا سيار بن حاتم، حدثني بشر بن منصور قال: كنت أسمع عطاء السلمي كل عشية بعد العصر يقول غداً عطاء في القبر غداً عطاء في القبر، وبالسند إلى أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن، حدثني أبي عن حماد بن زيد قال: كان عطاء لا يتكلم فإذا تكلم قال. عطاء غداً هذه الساعة في القبر. قال: وحدثنا محمد بن أحمد بن النضر، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، حدثنا محمد بن مخزوم، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا الصلت بن حكيم، حدثنا العلاء بن محمد البصري قال: شهدت عطاء السلمي خرج في جنازة فغشي عليه أربع مرات حتى صلى عليها كل ذلك يغشى عليه ثم يفيق، فإذا نظر إلى الجنازة خر مغشياً عليه.

رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار. وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبراً، فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول: ﴿رب ارجعُونِ * لعلي أعمَلُ صالِحاً فيما تركت﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] يرددها، ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل. وقال أحمد بن حرب تتعجب الأرض من رجل يمهده مضجعه ويسوي فراشه للنوم، فتقول: يا ابن آدم لِمَ لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء! وقال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل عليَّ فقال: يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم! أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلاً في أبدانهم؟ ثم بكى وقال: والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد أمن من عذاب الله. وقال ثابت البناني:

(وقال سفيان) الثوري (من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (وكان الربيع بن خيثم) الثوري الكوفي العابد (قد حفر في داره قبراً فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول: ﴿رب ارجعون* لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل) رواه أبو نعيم في الحلية. (وقال أحمد بن حرب) النيسابوري الزاهد روى عن ابن عيينة قال الذهبي صاحب مناكير: (تتعجب الأرض من رجل يمهد مضجعه ويسوّي فراشه للنوم فتقول: يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (وقال ميمون ابن مهران) الجزري الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز: (خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علي فقال: يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلاً في أبدانهم ثم بكى وقال: والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. قال: حدثني محمد بن الحسين، حدثني أبو منصور الواسطي، حدثنا المغيرة بن مطرف الرؤاسي، حدثنا خالد بن صفوان، عن ميمون بن مهران قال: خرجت مع عمر بن عبد العزيز فذكره إلا أنه قال: ثم أقبل علي فقال: يا أيوب، وفيه ثم بكى حتى غشي عليه ثم أفاق فقال: انطلق بنا فوالله ما أعلم أحداً، والباقي سواء. وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبان، حدثني أبي، حدثنا أبو بكر بن سفيان وهو ابن أبي الدنيا نسبه إلى جده.

(وقال) أبو محمد (ثابت) بن أسلم (البناني) رحمه الله تعالى: (دخلت المقابر فلما قصدت

دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول: يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها. ويروى أن فاطمة بنت الحسن نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت:

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية　　　لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطاً واعتكفت عليه سنة. فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة، فسمعوا صوتاً من جانب البقيع: هل وجدوا ما فقدوا؟ فسمعوا من الجانب الآخر: بل يئسوا فانقلبوا. وقال أبو موسى التميمي: توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة ـ وفيهم الحسن ـ فقال له الحسن: يا أبا فراس

الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول: يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ: كنت في مقبرة فحدثت نفسي إذ هتف بي هاتف: يا ثابت إن تراهم ساكنين فكم فيهم من مغموم فالتفت فلم أر أحد. وروى صاحب الحلية عن ابن السماك قال: لا يغرنكم سكون هذه القبور فما أكثر المغمومين فيها ولا يغرنكم استواؤها فما أشدها وهم فيها.

(ويروى أن فاطمة بنت الحسن نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسين) هكذا في نسخ الكتاب، ولعل الصواب أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن وهي والدة عبدالله المحض وإنما لقب بذلك لكان أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ووالده هو الحسن المثنى بن الحسن السبط **(فغطت وجهها وقالت:**

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية　　　لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

(وقيل: إنها ضربت على قبره فسطاطاً واعتكفت عليه سنة، فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة، فسمعوا صوتاً من جانب البقيع: هل وجدوا ما فقدوا؟ فسمعوا من الجانب الآخر: بل يئسوا فانقلبوا). وكان وفاة الحسن المثنى في زمن الوليد بن عبد الملك وعمره خمس وثلاثون سنة، وكان قد شهد الطف مع عمه الحسين وأثخن بالجراح، فحماه أسماء بن خارجة الفزاري وهو من أخواله، وكان عبد الرحمن بن أحمد بن الأشعث قد دعا إليه وبايعه، فلما قتل عبد الرحمن توارى الحسن حتى مات، وكان الحسن قد خطب على عمه الحسين إحدى بناته فابرز إليه فاطمة وسكينة فقال: يا ابن أخي أختر أيتهما شئت فاستحيا الحسن وسكت، فقال الحسين: قد زوّجتك فاطمة فإنها أشبه الناس بأبي.

(وقال أبو موسى التميمي) البصري إسرائيل بن موسى ثقة روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي: **(توفيت)** النوار **(امرأة الفرزدق)** غالب بن ناجية بن مقال بن صعصعة التميمي الشاعر المشهور، **(فخرج في جنازتها وجوه البصرة)** أي رؤساؤها **(وفيهم الحسن)**

ماذا أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة. فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال:

أخاف وراء القبر إن لم تعافني ... أشد من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد ... عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور:

قف بالقبور وقل على ساحاتها ... من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها ... قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذي العيون فواحد ... لا يستبين الفضل في درجاتها

البصري رحمه الله تعالى (فقال له الحسن: يا أبا فراس) وهي كنية الفرزدق (ماذا أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت أقام على قبرها فقال:

أخاف وراء القبر إن لم تعافني ... أشد من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد ... عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا)

وروى ابن عساكر في التاريخ من طريق حجاج بن تميلة قال: شهدت الحسن والفرزدق عند قبر فقال الحسن للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة فسكت الحسن. قال لبطة بن الفرزدق: فرأيت أبي في النوم بعد موته فقال لي: يا بني نفعتني الكلمة التي خاطبت بها الحسن. وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن موسى العمى، حدثنا محمد بن عبد المنعم بن إدريس، حدثنا هشام بن الكلبي، عن أبيه وعوانة قالا: بلغ الفرزدق سناً حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة وهو بالبادية فقدم به البصرة فأتي برجل من بني قيس بن ثعلبة يتطبب فسقاه القار الأبيض فجعل يقول: ويحكم أتعجلون إلى القار في الدنيا قبل الآخرة فمات وصلّى عليه بلال بن أبي بردة. قال: وحدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا محمد بن أبي صفوان الثقفي، عن الأصمعي قال: لما احتضر الفرزدق أوصى وأعتق رقيقه ثم أنشأ يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمر جلّ عن الخطابِ
إلى من تفزعون إذا حثوتم ... بأيديكم عليّ من الترابِ

فقالت جارية: ممن كان أعتق: نفزع إلى الله تعالى، فقال: يا فاعلة أمحوا اسمها من العتق. (وقد أنشدوا في أهل القبور) أبياتاً سيذكر بعضها. منها قول بعضهم:

(قف بالقبور وقل على ساحاتها ... من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها ... قد ذاق برد الأمر من روعاتها
أما السكون لذي العيون فواحد ... لا يستبين الفضل في درجاتها

لو جاوبوك لأخبروك بـألسـن ... تصف الحقائق بعد من حـالاتها
أمـا المطيـع فنـازل في روضـة ... يفضي إلى ما شاء مـن دوحـاتها
والمجـرم الطـاغـي بها متقلـب ... في حفـرة يــأوي إلى حيــاتها
وعقارب تسعى إليـه فـروحـه ... في شدة التعذيب مـن لـدغـاتها

ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول:

عـدمــت الحيـــاة ولا نلتهـــا ... إذا كنت في القبر قد ألحدوكـا
فكيـف أذوق طعــم الكـــرى ... وأنت بيمنـاك قـد وسـدوكـا

ثم قالت: يا ابناه ليت شعري بأي خديك بدأ الدود؟ فصعق داود مكانه وخرَّ مغشياً عليه. وقال مالك بن دينار: مررت بالمقبرة فأنشأت أقول:

أتيـــت القبــور فنــاديتهـــا ... فــأيـــن المعظــم والمحتقـــر
وأيـــن المدل بسلطـــانــــه ... وأيـن المزكـي إذا مـا افتخـرْ

قال: فنوديت من بينها، أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول:

تفـــانـــوا جميعـــاً فما مخبر ... ومـاتـوا جميعـاً ومـات الخبر

لو جـاوبـوك لأخبروك بـألسـن ... تصف الحقائق بعـد مـن حـالاتها
أمـا المطيــع فنـازل في روضـة ... يفضي إلى مـا شـاء مـن روحـاتها
والمجـرم الطـاغـي بها متقلـب ... في حفـرة يــأوي إلى حيــاتها
وعقـارب تسعـى إليـه فـروحـه ... في شدة التعذيـب مـن لـدغـاتها

(ومرّ) أبو سليمان **(داود)** بن نصير **(الطائي)** رحمه الله تعالى **(على امرأة تبكي على قبر وهي تقول:**

عـــدمـــت الحيـــاة ولا نلتهـــا ... إذا كنـت في القبر قـد ألحدوكـا
فكيــف أذوق طعــم الكـــرى ... وأنـت بيمنـاك قـد وسـدوكـا

(ثم قالت: يا ابناه ليت شعري بأي خديك بدأ الدود؟ فصعق داود مكانه وخرّ مغشياً عليه) رواه القشيري في الرسالة وقيل كان ذلك سبب توبته. **(وقال)** أبو يحيى **(مالك بن دينار)** البصري الزاهد رحمه الله تعالى: **(مررت بالمقبرة فانشأت أقول:**

أتيــت القبـــور فنـــاديتهـــا ... فــأين المعظـــم والمحتقَـــرْ
وأيـــن المدل بسلطـــانــــه ... وأيـن المزكـى إذا مـا افتخـرْ)

(قال: فنـوديـت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول:

تفـــانـــوا جميعـــاً فما مخبر ... ومـاتـوا جميعـاً ومـات الخبَـرْ

تـروح وتغـدو بنـات الثرى فتمحـو محاسـن تلـك الصـور
فيـا سـائلي عـن أنـاس مضـوا أمـا لـك فيما تـرى معتبر

قال: فرجعت وأنا باك.

أبيات وجدت مكتوبة على القبور:

وجد مكتوباً على قبر

تناجيك أجداث وهن صمـوت وسكـانها تحت التراب خفـوتُ
أيـا جـامـع الدنيـا لغير بلاغـه لمن تجمـع الدنيـا وأنـت تموت

ووجد على قبر آخر مكتوباً:

أبـا غـانم أمـا ذراك فـواسـع وقبرك معمور الجوانـب محكـم
وما ينفـع المقبـور عمـران قبره إذا كـان فيـه جسمـه يتهـدم

تـروح وتغـدو بنـات الثرى فتمحـو محاسـن تلـك الصـوَرْ
فيـا سـائلي عـن أنـاس مضـوا أمـا لـك فيمـن تـرى معتبَـرْ)

(قال: فرجعت وأنا باكٍ) وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا هارون بن عبدالله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: كنا نخرج مع مالك بن دينار زمن الحطمة فيجيء الموتى فيجهزهم ثم يخرج على حمار قصير وعليه عباءة مرتدياً بها قال فيقول فيعظنا في الطريق حتى إذا أشرف على القبور وأحس بنا أقبل بصوت له محزون يقول:

ألا حـيِّ القبـور ومـن بهنـه وجـوه في التراب أجنهنـه
فلـو أن القبـور أجبن حيـا إذاً لأجبنني إذ زرتهنـه
ولكـن القبـور صمتن عني فعـدت حـزينـاً من عنـدهنـه

قال: فإذا سمعنا صوته جئنا إليه فيقول: إنما الخير في الشباب إنما الخير في الشباب. قال: ثم يجمعهم فيصلّي عليهم.

هذه أبيات وجدت مكتوبة على القبور: فمن ذلك **(وجد مكتوب على قبر:**
تناجيك أجداث وهـن صمـوت وسكـانها تحت التراب خفـوتُ
أيـا جـامـع الدنيـا لغير بلاغـه لمن تجمـع الدنيـا وأنـت تموتُ)

أورده ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(ووجد على قبر آخر مكتوب:**
أبـا غـانم أمـا ذراك فـواسـع وقبرك معمـور الجوانـب محكـمُ
ومـا ينفـع المقبـور عمـران قبره إذا كـان فيـه جسمـه يتهـدمُ)

وقال ابن السماك:

مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب:

يمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لم يعرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي وما يألون إن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فيا لله أسرع ما نسوني

ووجدوا على قبر مكتوباً:

إن الحبيب من الأحباب مختلس لا يمنع الموت بوّاب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلاً في النقص منغمساً وأنت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لساناً ما به خرس
قد كان قصرك معموراً له شرف فقبرك اليوم في الأجداث مندرس

نقله ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(وقال ابن السماك)** محمد بن صبيح البغدادي الواعظ: **(مررت بالمقابر فإذا قبر مكتوب)** عليه ما صورته:

(يمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لم يعرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي وما يألون إن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فيالله أسرع ما نسوني)

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عبدالله بن محمد بن عصمة بن أبي الصهباء قال: قال محمد بن السماك: لا يغرنكم سكون هذه القبور فما أكثر المغمومين فيها، ولا يغرنكم استواؤها فما أشد نهارهم فيها.

(ووجد على قبر مكتوب) ما صورته:

(إن الحبيب من الأحباب مختلس لا يمنع الموت بوّاب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلاً في النقص منغمساً وأنت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لساناً ما به خرس
قد كان قصرك معموراً له شرف فقبرك اليوم في الأجداث مندرس)

ووجد على قبر آخر مكتوباً:

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعي رأت عيناي بينهم مكاني

ووجد على قبر طبيب مكتوباً:

قد قلت لما قال لي قائل قد صار لقمان إلى رمسه
فأين ما يوصف عن طبه وحذقه في الماء مع جسه
هيهات لا يدفع من غيره من كان لا يدفع عن نفسه

ووجد على قبر آخر مكتوباً:

يا أيها الناس كان لي أمل قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى كل إلى مثله سينتقل

رواه بن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(ووجد على قبر آخر مكتوب:**

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعي رأت عيناي بينهم مكاني)

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(ووجد على قبر طبيب مكتوب)** ما صورته:

قد قلت لما قال لي قائل قد صار لقمان إلى رمسه
فأين ما يوصف من طبه وحذقه في الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه)

أورده ابن أبي الدنيا في كتاب القبور **(ووجد على قبر آخر مكتوب:**

يا أيها الناس كان لي أمل قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى كل إلى مثله سينتقل)

كذا في كتاب القبور لابن أبي الدنيا، وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا فاروق، حدثنا هشام بن السيرافي، حدثنا قطر بن حماد بن واقد، حدثنا أبي، حدثنا مالك بن دينار قال: أتيت على قبر فإذا عليه مكتوب:

يا أيها الركب سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطايا وارخوا من أزمتها قبل المات ونصوا ما ينصونا
كنا أناساً كما كنتم فغيرنا دهر فسوف كما كنا تكونونا

....

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن سليمان بن يسار الحضرمي قال: كنا قوم يسيرون يوماً بالمقابر إذ سمعوا من قبر قائلاً يقول:

أيها الركـــــــب سيروا مـــــن قبـــل أن تسيرونـــا
فكما كنتم كنـــا فغيرنـــا ريب المنون وسوف كما كنا تكونونا

قلت: ووجدت في رحلة الإمام أبي سالم العياشي أنه أمر بعضهم أن يكتب على قبره:

إذا أمسى فـراشي مـن تـراب وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنـوني أخلائـي وقـولـوا هنيئاً قـد قـدمـت على كـريم

وقد كتبتها على قبر زوجي أم الفضل زبيدة ابنة المرحوم ذي الفقار الدمياطي رحمها الله تعالى، وأمر آخر أن يكتب على قبره:

ولم أجـــزع لهول الموت لكـــن بكيـت لقلـة البـاكـي عليـا

وروى ابن عساكر في التاريخ عن صدقة بن يزيد قال: نظرت إلى ثلاثة أقبر على شرف من الأرض بناحية أطرابلس أحدها مكتوب عليه:

وكيـف يلـذ العيش مـن هـو مـوقـن بـأن المنـايـا بغتـة ستعـاجلـه
وتسلبـــه ملكـــاً عظيماً ونخوة وتسكنـه البيـت الذي هـو آجلـه

وعلى القبر الثاني:

وكيـف يلـذ العيش مـن هـو عـالم بـأن إلـه الخلـق لا بـد سـائلـه
فيـأخـذ منـه ظلمـة لعبـاده ويجزيـه بـالخير الذي هـو فـاعلـه

وعلى القبر الثالث:

وكيـف يلـذ العيش مـن صـائـر إلى جـدث تبلى الشبـاب منـازلـه
وتذهب حسن الوجه من بعد ضوئـه سريعـاً ويبلى جسمـه ومفـاصلـه

فنزلت قرية بالقرب منها فقلت لشيخ بها قد رأيت عجباً. قال: ما ذاك؟ قلت: هذه القبور. قال: حديثها أعجب مما رأيت عليها. قلت: فحدثني قال: كانوا ثلاثة أخوة واحد يصحب السلطان ويؤمر على الجيوش والبلدان، وآخر تاجر موسر مطاع في تجاره، وآخر زاهد قد تخلّى وتفرد لعبادة ربه، فحضرت العابد الوفاة فأتاه أخوه صاحب السلطان وكان عبد الملك بن مروان قد ولاه بلادنا، وأتاه التاجر فقالا له: توصي بشيء؟ قال: والله مالي مال أوصي فيه ولا عليّ دين أوصي به ولا أخلف من الدنيا عرضاً ولكن أعهد إليكما عهداً فلا تخلفاه إذا مت فادفناني على نشر من الأرض واكتبا على قبري: وكيف يلذ العيش البيتين. ثم زورا قبري ثلاثة أيام لعلكما تتعظان ففعلا ذلك، فلما كان اليوم الثالث أتى أخوه صاحب السلطان القبر، فلما أراد الانصراف سمع من داخل القبر هدة أرعبته وأفزعته فانصرف مذعوراً وجلاً، فلما كان الليل رأى أخاه في

فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت. والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم، وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها، لأنهم عرفوا قدر الأعمال وانكشفت لهم حقائق الأمور، فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر

منامه، فقال: أي أخي ما الذي سمعت من قبرك؟ قال: تلك هدة المقمعة قيل لي رأيت مظلوماً فلم تنصره فاصبح فدعا أخاه وخاصته فقال: إني أشهدكم أني لا أقيم بين ظهرانيكم أبداً فترك الإمارة ولزم العبادة، وكان مأواه البراري والجبال وبطون الأودية فحضرته الوفاة فحضره أخوه فقال: يا أخي ألا توصي؟ قال: مالي مال ولا علي دين، ولكن أعهد إليك يا أخي إذا أنا مت فاجعل قبري إلى جنب قبر أخي واكتب عليه: وكيف يلذ العيش البيتين ثم تعاهد قبري ثلاثاً، فلما مات فعل أخوه ذلك، فلما كان في اليوم الثالث من إتيانه القبر أراد أن ينصرف فسمع وجبة من القبر كادت تذهل عقله فرجع مرهوباً، فلما كان الليل رأى أخاه في منامه فقال: كيف أنت؟ قال: بكل خير وما أجمع التوبة لكل خير. قال: فكيف أخي؟ قال: مع الأئمة الأبرار. قال: فما أمرنا قبلكم؟ قال: من قدم شيئاً وجده فاغتنم وجدك قبل فقدك فأصبح الأخ الثالث معتزلاً للدنيا وفرق ماله وأقبل على طاعة الله وأنشأ ابن له في المكاسب حتى أتت أباه الوفاة فقال: يا أبت ألا توصي؟ فقال: يا بني مالي مال فأوصي فيه، ولكن أعهد إليك إذا أنا مت أن تدفنني مع عميك وأن تكتب على قبري، وكيف يلذ العيش البيتين ثم تعاهد قبري ثلاثاً ففعل الفتى ذلك، فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً هاله فانصرف مهموماً، فلما كان الليل رأى أباه في منامه فقال: يا بني أنت عندنا عن قليل والأمر جدّ فاستعد وتأهب لرحيلك وطول سفرك وحوّل جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذي أنت له قاطن، ولا تغتر بما اغتر به الباطلون من طول آمالهم فقصروا في أمر معادهم فندموا عند الموت وأسفوا على تضييع العمر، فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف على التقصير أنقذهم. أي بني فبادر ثم بادر ثم بادر. قال الشيخ: فدخلت على الفتى صبيحة رؤياه فقصها عليّ وقال: ما أرى الأمر الذي قال أبي إلا وقد أظلني، ولا أحسب بقي من أجلي إلا ثلاثة أشهر أو ثلاثة أيام لأنه أنذرني بالمبادرة ثلاثاً، فلما كان آخر اليوم الثالث دعا أهله وولده فودعهم ثم أستقبل وتشهد ثم مات من الليل.

(**فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت**) لأجل أن يعتبر بها قارئها ويترحم على الأموات، (**والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم، ويعلم أنهم لا يبرحون عن مكانهم ما لم يلحق بهم**)، ولذلك قال داود الطائي لما سأله رجل النصيحة، إن عسكر الموتى ينتظرونك كما في الحلية. (**وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها**) أي بأجمعها (**لأنهم عرفوا قدر الأعمال وانكشفت لهم حقائق الأمور**) التي

به تقصيره فيتخلص من العقاب، وليستزيد الوقت به رتبته فيتضاعف له الثواب، فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة، ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها، فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار. فقد قال بعض الصالحين رأيت أخاً لي في الله ـ فيما يرى النائم ـ فقلت: يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين، قال: لأن أقدر على أن أقولها ـ يعني الحمد لله رب العالمين ـ أحب إلي من الدنيا وما فيها، ثم قال: ألم تر حيث كانوا يدفنونني فإن فلاناً قد قام فصلّى ركعتين لأن أن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

كانت غائبة عنهم (**فإنما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب ويستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب، فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة، ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار، إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين: رأيت أخاً في الله فيما يرى النائم فقلت: يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين. قال: لأن أقدر على أن أقولها ـ يعني الحمد لله رب العالمين ـ أحب إلي من الدنيا وما فيها، ثم قال: ألم تر حيث كانوا يدفنوني فإن فلاناً قد قام فصلّى ركعتين، لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إليّ من الدنيا وما فيها**). وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس أنه كان يمر على المقابر بدمشق يهجر يوم الجمعة فسمع قائلاً يقول: هذا يونس بن حلبس قد هجر تحجون وتعتمرون كل شهر وتصلون كل يوم خمس صلوات أنتم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل. قال: فالتفت يونس فسلم فلم يردوا عليه. قال: سبحان الله أسمع كلامكم وأسلم عليكم فلا تردون. قالوا: لقد سمعنا كلامك ولكنها حسنة وقد حيل بيننا وبين الحسنات والسيئات.

قلت: هو يونس بن ميسرة بن حلبس تابعي ثقة وقد نسب إلى جده، روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

وروى ابن عساكر من طريق الأوزاعي قال: مر يونس بن حلبس بمقابر باب توما وقائد يقوده وكان مكفوفاً فقال: السلام عليكم أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع فرحمنا الله وإياكم وغفر لنا ولكم، فكأنا قد صرنا إلى ما صرتم إليه فرد الله الروح في رجل منهم فأجابه فقال: طوبى لكم يا أهل الدنيا حين تحجون في الشهر أربع مرات فقال: وإلى أين يرحمك الله؟ قال: إلى الجمعة أفما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة. قال: ما خير ما قدمتم؟ قال: الاستغفار وقد غلقت رهوننا فلا في حسنة نزيد ولا من سيئة تنقص.

بيان أقاويلهم عند موت الولد:

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله ـ في تقدمه عليه في الموت ـ منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه، فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب، وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزي به كل مصاب، قال رسول الله ﷺ: «لأن أقدم سقطاً أحب إلي من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله» وإنما ذكر

وروى صاحب كتاب المتفجعين من طريق قتادة قال: كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة الله عز وجل، ومِن طريق الأصمعي قال: كان حماد بن سلمة إذا نعي إليه أحد من إخوانه صلّى ركعتين وترحم على الميت وقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر الحمد لله الذي أعطانيهن بعده.

بيان أقاويلهم عند موت الولد:

أعـم من أن يكون ذكراً أو أنثى. اعلم أنه (**حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله ـ في تقدمه عليه في الموت ـ منزلة ما لو كان في سفر فسبقه الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا يعظم عليه تأسفه**) ولا يشتد به حزنه (**لعلمه بـأنـه لا حـق بـه على القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر**) فتقدم هذا وتأخر هذا (**وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر**) وهذا معنى قول داود الطائي لمن طلب منه النصيحة عسكر الموتى ينتظرونك، (**وإذا اعتقد هذا قلّ جزعه و**) سكن (**حزنه**) قال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا عبدالله بن الهيثم، حدثنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء قال: أتى الحسن رجلاً يعزيه عن أبنه فرأى الجزع قد بلغ منه فقال: كان ابنك يغيب عنك؟ قال: فهبها غيبة غابها عنك فكأنك عليه قدمت، (**لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزّى به كل مصاب. قال رسول الله ﷺ: «لأن أقدم سقطاً أحب إليَّ من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله»**) أي بعد موتي وذلك لأن الوالد إذا مات ولده قبله يكون أجر مصابه بفقده في ميزان الأب، وإذا مات الوالد قبله يكون أجر المصيبة في ميزان الابن، وهذه تسلية عظيمة في موت الأولاد، وفيه رد على العز بـن عبد السلام في ذهابه إلى أنه لا أجر في المصيبة لأنها ليست من كسب العبد بل في الصبر عليها. قال العراقي: لم أجد فيه ذكر مائة فارس. وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة: «لسقط أقدمه بين يدي أحب إلي من فارس أخلفه خلفي» انتهى.

قلت: بل روي ذلك مِن حديث حميد بن عبد الرحمن الحميدي مرسلاً بلفظ: «لأن أقدم

السقط تنبيهاً بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب. وقال زيد بن أسلم: توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزناً شديداً فقيل له: ما كان عدله عندك؟ قال: ملء الأرض ذهباً! قيل له: فإن لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك، وقال رسول الله ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحسبهم إلا كان له جنَّة من النار»، فقالت امرأة عند رسول الله ﷺ: أو اثنان؟ قال: «أو اثنان»، وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى دعاء وأقربه إلى الإجابة.

وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال: اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخاف عليه فحقق رجائي وآمن خوفي. ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال: اللهم إني قد غفرت له

سقطاً أحب إليَّ من مائة مستلئم». رواه كذلك أبو عبيد في الغريب، والبيهقي في الشعب، والمستلئم المتسلح. وحديث أبي هريرة المذكور رواه أيضاً أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف هو وابن ماجه من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن رومان عن أبي هريرة يزيد بن عبد الملك ضعيف قاله الذهبي في الكاشف.

(**وإنما ذكر السقط تنبيهاً بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب**) والسقط بالتثليث الولد يسقط قبل تمامه. (**وقال زيد بن أسلم**) العدوي مولاهم أبو عبدالله المدني العالم الثقة روى له الجماعة: (**توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزناً شديداً فقيل له: ما كان عدله عندك؟ قال: ملء الأرض ذهباً. قيل له: فإن لك الأجر في الآخرة مثل ذلك**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء. (**وقال رسول الله ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار» فقالت امرأة**) كانت جالسة (**عند رسول الله ﷺ: أو اثنان؟ قال: «أو اثنان»**) رواه مسلم وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة». قالت امرأة. واثنان؟ قال: «واثنان». وعند ابن حبان أيضاً لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» وفي المتفق عليه «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» وقد تقدم في كتاب النكاح. (**وليخلص الوالد الدعاء لولده بعد الموت**) فإنه أرجى دعاء وأقربه إلى الإجابة.

(**وقف محمد بن سليمان**) بن علي بن عبدالله بن عباس أحد الأشراف وهو أخو جعفر وعبدالله وعلي وإسحاق (**على قبر ولده فقال: اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**ووقف أبو سنان**) ضرار بن مرة الشيباني الكوفي مات سنة اثنين وثلاثين ومائة روى له مسلم والترمذي والنسائي (**على قبر ابنه فقال: اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فإنك أجود**

ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فإنك أجود وأكرم. ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال: اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من بـري فهب له ما قصر فيه من طاعتك. ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر ـ بعدما وضع في لحده ـ فقال: يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ليت شعـري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال: اللهم إن هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه، اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي، اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت له في ذلك فهب لي عذابه ولا تعد به فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه: ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة، فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما

وأكرم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال: اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر) بن عبدالله بن ذر الهمداني الكوفي العابد **(بعد ما وضع في لحده فقال: يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك؟ ثم قال: اللهم إن هذا ذر متعتني به ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه. اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي. اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه: ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك)**. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبدوس بن كامل، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا محمد بن كناسة قال: لما مات ذر بن عمر الهمداني وكان موته فجأة جاء أباه أهل بيته يبكونه فقال: ما لكم إنا والله ما ظلمنا ولا قهرنا ولا ذهب لنـا بحق ولا أخطىء بنا ولا أريد غيرنا وما لنا على الله معتب، فلما وضعه في قبره قال: رحمك الله يا بني والله لقد كنت بي باراً ولقد كنت عليك حدباً وما بي إليك من وحشة ولا إلى أحد بعد الله فاقة ولا ذهبت لنا بعز ولا أبقيت علينا من ذل، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك. يا ذر لولا هول المطلع ومحشره لتمنيت ما صرت إليه، فليت شعري يا ذر ما قيل لك وماذا قلت؟ ثم قال: اللهم إنك وعدتني الثواب بالصبر على ذر. اللهم فعلى ذر صلواتك ورحمتك اللهم إني قد وهبت ما جعلت لي من أجر على ذر لذر صلة مني فلا تعرفه قبيحاً وتجاوز عنه فإنك أرحم مني به. اللهم إني قد وهبت لذر اساءته إليّ فهب لي إساءته إليك فإنك أجود مني وأكرم، فلما ذهب لينصرف قال: يا ذر انصرفنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك.

قال: وحدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا سفيان بن عيينة ح.

نفعناك. ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال: ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن! فقالت: يا عبدالله إني لفي حزن ما يشركني فيه أحد، قال: فكيف؟ قالت: إن زوجي ذبح شاة في يوم عيد الأضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة؟ قال: نعم، فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا متشحطاً في دمه، فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل فرهقه ذئب فأكله، وخرج أبوه يطلبه فمات عطشاً من شدة الحر، قالت: فأفردني الدهر كما ترى. فأمثال

وحدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثنا محمد بن أبي عمر العدني، حدثنا سفيان بن عيينة قال: لما مات ذر بن عمر بن ذر قال عمر بن ذر: شغلنا يا ذر الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك؟ اللهم إني قد وهبت لذر ما فرط فيه من حقي فهب له ما قصر فيه من حقك.

قال: وحدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا عبد الصمد بن يزيد سمعت عمرو بن جرير الهجري، صاحب محمد بن جابر يقول: لما مات ذر بن عمر بن ذر قال أصحابه: الآن يضيع الشيخ لأنه كان باراً بوالديه فسمعها الشيخ فبقي متعجباً إني أضيع والله حي لا يموت فسكت حتى واراه التراب، ثم وقف على قبره ليسمعهم فقال: رحمك الله يا ذر وما علينا بعدك من خصاصة وما إلى أحد بعد الله حاجة، وما يسرني أن أكون المقدم قبلك ولولا هول المطلع لتمنيت أن أكون مكانك، لقد شغلني الحزن بك عن الحزن عليك فيا ليت شعري ماذا قيل لك وماذا قلت؟ يعني منكراً ونكيراً ـ ثم رفع رأسه فقال: اللهم إني قد وهبت حقي فيما بيني وبينه له. اللهم فهب حقك فيما بينك وبينه له. قال: فبقي القوم متعجبين مما جاء منهم ومما جاء منه من الرضا عن الله والتسليم له.

(ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال: ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن. فقالت: يا عبدالله إني لفي حزن ما يشركني فيه أحد، قال: فكيف؟ قالت إن زوجي ذبح شاة في يوم عيد الأضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر: أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة؟ قال: نعم فأخذه وذبحه وما شعرناه إلا متشحطاً في دمه، فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل فرهقه ذئب فأكله وخرج أبوه يطلبه فمات عطشاً من شدة الحر. قالت: فافردني الدهر) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء.

ويشبه هذه القصة ما رواه صاحب كتاب المتفجعين عن حبش بن موسى قال: أخبرنا المدائني قال: حدثني رجل من أهل الجزيرة من الأزد قال: كان رجل يجالسنا بأحسن مجالسة، فربما أخذته عشية حتى يغلب ثم يفيق فقلت له يوماً: ما هذا الذي نراه بك؟ قال: أنا رجل من أهل الموصل وكان لي ابن من آنفس الأولاد، فلما استعرض يحي بن محمد بن علي أهل الموصل فقتلهم هربت أنا

هذه المصائب ينبغي أن تتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع، فما من مصيبة إلا ويتصوّر ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكثر.

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به:

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار، وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد.

روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجراً»، وزار رسول الله ﷺ

وابني إلى جبل الموصل، فلجأنا إلى غار فيه فأقمنا حتى بلغ الجوع منا فقلت لابني: لو خرجت فالتمست لنا زاداً وأخفيت شخصك فخرج من الغار فأبطأ عني يومين، فلما كان اليوم الثالث سمعت حس رجل عليه خف يطأ به وطأ شديداً فقلت: هذا رجل من المسودة من أصحاب يحيى ابن محمد قد ظفر بابني وقد جاء به ليدله عليَّ فانتضيت سيفي، فلما أدخل رجليه ضربتهما بسيفي فقطعتهما فسقط وهو يقول: قتلتني يا أبت فأقام ساعة ينزف ثم مات، وكان ابني في خروجه من الغار وجد خفاً ملقى فلبسه فكلما ذكرته أصابني هذا الذي ترون. وقال أيضاً: حدثنا عبيدالله بن محمد، حدثنا أبو عبدالله بن الإعرابي أن اعرابياً من أعراب بني سعد حبس في دوّار سجن اليمامة في تهمة فمات في السجن فدفع إلى أمه فلما نظرت إليه قالت: يا بني خرجت من دار البلاء إلى دار البلى.

(فأمثال هذه المصائب ينبغي أن تتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع، فما من مصيبة إلا ويتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكبر) وأحسن ما يتسلى به قول بعضهم:

أرى ولـــد الفتى ضرراً عليـــه	لقـــد سعـــد الذي أضحـــى عقيماً
فـــأمـــا أن يخلفـــه عـــدواً	وإمـــا أن يـــربيـــه يتيماً
وإمـــا أن يـــوافيـــه حمام	فيبقـــى حـــزنـــه أبـــداً مقيماً

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به:

اعلم أن **(زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين)** خاصة **(محبوبة)** أي مرغوب إليها **(لأجل التبرك مع الاعتبار، وقد كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد)** كما رواه مسلم من حديث بريدة وقد تقدم **(وقد روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجراً»)** بضم فسكون أي قبيحاً أو

....

فحشاً، وكان سبب النهي عن زيارة القبور حدثان العهد بالكفر، ثم لما انمحت آثار الجاهلية واستحكم الإسلام وصاروا أهل يقين وتقوى أذن لهم في الزيارة ولكن بشروط يأتي ذكرها للمصنف بعد. وقال القاضي: الفاء متعلق بمحذوف أي نهيتكم عن زيارتها مباهاة بتكاثر الأموات فعل الجاهلية، وأما الآن فقد جاء الإسلام وهدم قواعد الشرك فزوروها فإنها تورث رقة القلب وتذكر الموت والبلى اهـ.

ونعم الدواء هي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه فإن انتفع بالإكثار منها فذاك وإلا أكثر من مشاهدة المحتضرين فليس الخبر كالعيان. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قد أذن النبي ﷺ في زيارتها بعد النهي وعلله بأنها تذكر الموت والدار الآخرة وأذن إذناً عاماً في زيارة قبر المسلم والكافر والسبب الذي ورد عليه لفظ الخبر يوجب دخول الكافر والعلة موجودة في ذلك كله، وقد كان النبي ﷺ يأتي قبور البقيع والشهداء للدعاء والاستغفار لهم فهذا المعنى يختص بالمسلمين اهـ.

وقال المناوي في شرح الجامع الصغير: نهيتكم خطاب رجال فلا تدخل فيه الإناث على المختار عند أصحابنا فلا يندب لهن، لكن يجوز على الكراهة ثم الزيارة بمجرد هذا القصد يستوي فيها سائر القبور ولا يخص قبر دون قبر. قال السبكي: متى كانت الزيارة بهذا القصد لا يشرع فيها قصد قبر بعينه ولا تشد الرحال لها وعليه يحمل ما في شرح مسلم من منع شد الرحال لزيارة القبور وكذا بقصد التبرك إلا للأنبياء فقط اهـ.

وقال بعضهم: استدل به على حل زيارة القبور هب الزائر ذكراً أم أنثى والمزور مسلماً أم كافراً. قال النووي: وبالجواز قطع الجمهور. وقال صاحب الحاوي: لا يجوز زيارة قبر الكافر وهو غلط اهـ.

قال العراقي: هذا الحديث رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور واللفظ له، ولم يقل أحمد وأبو يعلى: «غير أن لا تقولوا هجراً» وفيه علي بن زيد بن جدعان بن ربيعة بن النابغة. قال البخاري: لم يصح وربيعة ذكره ابن حبان في الثقات اهـ.

قلت: ورواه أيضاً ابن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ربيعة بن النابغة عن أبيه عن علي قال: نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ثم قال: «إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها تذكركم الآخرة». أما لفظ أحمد وأبي يعلى «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة». وقد روي هذا الحديث من طرق عن بريدة وعائشة وابن مسعود وأنس وابن عباس وأبي سعيد وواسع بن حبان وأم سلمة؛ فحديث بريدة عند مسلم «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» زاد الترمذي «فإنها تذكركم الآخرة». وهو عند الحاكم بزيادة «ولتذكركم زيارتها خيراً». وعند أبي داود بزيادة «فإن في زيارتها تذكرة».

وحديث عائشة: رواه الحاكم في معجم شيوخه وابن النجار بلفظ الترمذي.

قبر أمه في ألف مقنع فلم يرَ باكياً أكثر من يومئذ »، وفي هذا اليوم قال: « أذن لي في الزيارة دون الاستغفار ». كما أوردنا من قبل. وقال ابن أبي مليكة: أقبلت عائشة رضي الله عنها يوماً من المقابر فقلت: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن، فقلت: أليس كانَ رسول الله ﷺ نهى عنها؟ قالت: نعم، ثم أمر بها، ولا

وحديث ابن مسعود رواه ابن ماجه والحاكم بلفظ « فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة».

وحديث أنس رواه الحاكم وابن النجار « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي ألا فزوروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً.

وحديث ابن عباس عند الطبراني بلفظ « فزوروها ولا تقولوا هجراً ».

وحديث أبي سعيد وواسع بن حبان عند الحاكم بلفظ « فإن فيها عبرة ».

وحديث أم سلمة عند الطبراني بلفظ « فإن لكم فيها عبرة ». وروى الطبراني في الصغير من حديث زيد بن ثابت « زوروا القبور ولا تقولوا هجراً ».

(وزار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم ير باكياً أكثر من يومئذ في هذا اليوم قال: « أذن لي في الزيارة دون الاستغفار » كما أوردنا من قبل) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد بن عمران الأخنسي متروك، ورواه بنحوه من وجه آخر: كنا معه قريباً من ألف راكب وفيه أنه لم يأذن له في الاستغفار، ورواه مسلم من حديث أبي هريرة « استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي » اهـ.

قلت: روى ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: « استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت ». وروي أيضاً من طريق مسروق عن عبدالله رفعه « إني نهيتكم عن زيارة القبور فإنه قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكركم ».

(وقال ابن أبي مليكة) هو عبدالله بن عبيدالله وأبو مليكة بالتصغير اسمه زهير بن عبدالله ابن جدعان التيمي المدني تابعي جليل أدرك ثلاثين من الصحابة روى له الجماعة: **(أقبلت عائشة رضي الله عنها يوماً من المقابر فقلت: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن. فقلت: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عنها؟ قالت: نعم ثم أمر بها)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بسند جيد اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا عيسى بن يونس، عن ابن جريج، عن

ينبغي أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر، فإنهن يكثرن الهجر على رؤوس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها، ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم، والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها. نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر.

وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ: «زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاوٍ موعظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين في ظل الله».

عبدالله بن أبي مليكة قال: توفي عبدالرحمن بن أبي بكر بالحبشي. قال ابن جريج: الحبشي على اثني عشر ميلاً من مكة فدفن بمكة فلما قدمت عائشة أتت قبره فقالت:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ثم قالت: أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولو شهدتك ما زرتك. **(ولا ينبغي أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر فإنهن يكثرن الهجر)** أي الفحش من القول **(على رؤوس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلو في الطريق عن تكشف)** للعورة **(وتبرج)** أي تزين، **(وهذه عظائم والزيارة سنة)** مستحبة، **(فكيف يحتمل ذلك لأجلها؟ نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة)** أي حقيرة **(ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء)** والاستغفار **(وترك الحديث على رأس القبر)** إلا ما أهم.

(وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ «زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين في ظل الله»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والحاكم بإسناد جيد.

قلت: رواه الحاكم من طريق موسى الضبي، عن يعقوب بن إبراهيم، عن يحي بن سعيد، عن أبي مسلم الخولاني، عن ابن عمير، عن أبي ذر وزاد في آخره يوم القيامة يتعرض لكل خير، قال: رجاله ثقات. قال الذهبي: لكنه منكر ويعقوب واه ويحي لم يدرك أبا مسلم فهو منقطع اهـ.

ورواه البيهقي كذلك وقال: هذا متن منكر وفيه يعقوب بن إبراهيم أظنه المدني المجهول، والشطر الأول من الحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «زر القبور فإنها تذكر الموت». وروى ابن ماجه وابن منيع بلفظ «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»

وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله ﷺ: «زوروا موتاكم وسلموا عليهم، فإن لكم فيهم عبرة وعن نافع عن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم عليه. وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام، فتصلي وتبكي عنده. وقال النبي ﷺ: «من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب براً». وعن ابن سيرين قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليموت والداه

(**وقال ابن أبي مليكة**) عبد الله بن عبيد الله التيمي التابعي: (**قال رسول الله ﷺ: «زوروا موتاكم وسلموا عليهم فإن لكم فيهم عبرة»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلاً وإسناده حسن اهـ.

قلت: لفظ ابن أبي الدنيا «فسلموا عليهم وصلوا عليهم». وقد رواه الديلمي من حديث عائشة متصلاً بلفظ «زوروا إخوانكم وسلموا عليهم وصلوا فإن لكم فيهم عبرة».

(**وعن نافع عن ابن عمر**) رضي الله عنه (**أنه كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم عليه**) قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا يحي بن آدم، عن زهير، عن موسى بن عقبة أنه رأى سالم بن عبدالله لا يمر بليل ولا نهار بقبر إلا سلم عليه ونحن مسافرون معه يقول: السلام عليكم، فقلت له في ذلك فأخبرنيه عن أبيه أنه كان يصنع ذلك. قال: وحدثنا حفص بن غياث، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا قدم وقد مات بعض ولده. قال: دلوني على قبره فيدلونه عليه فينطلق فيقوم عليه ويدعو له.

(**وعن جعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (**عن أبيه**) محمد بن علي (**أن**) جدته (**فاطمة بنت رسول الله ﷺ**) رضي الله عنها (**كانت تزور قبر عمها**) أي عم أبيها (**حمزة**) بن عبد المطلب رضي الله عنه (**في الأيام فتصلي وتبكي عنده**). وروى البيهقي في الشعب عن الواقدي قال: كان النبي ﷺ يزور الشهداء بأحد في كل حول، وإذا بلغ رفع صوته فيقول: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ [الرعد: ٢٤] ثم أبو بكر كل حول يفعل مثل ذلك ثم عمر ثم عثمان، وكانت فاطمة رضي الله عنها تأتيه وتدعو، وكان سعد بن أبي وقاص يسلم عليهم ثم يقبل على أصحابه فيقول: ألا تسلمون على قوم يردون عليكم السلام؟

(**وقال النبي ﷺ «من زار قبر أبويه**) وفي لفظ والديه (**أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب براً**) بهما». قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور من رواية محمد بن النعمان يرفعه وهو معضل، ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحي بن العلاء البجلي متروك اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة، ورواه أيضاً البيهقي من رواية محمد بن النعمان ولفظ الجميع «في كل جمعة مرة». وقال الذهبي في ذيل الديوان محمد بن النعمان

وهو عاقٍ لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارّين » ، وقال النبي ﷺ : « من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي » ، وقال ﷺ : « من زارني بالمدينة محتسباً كنت له

روى عنه محمد بن المثنى وغيره لكن قال مجهول ، ويحيى بن العلاء الرازي البجلي روى له أبو داود وابن ماجه . قال أحمد : كذاب يضع الحديث . وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ، وقد جاء في فضل زيارة الوالدين عدة أخبار منها : ما رواه الحكيم وابن عدي من حديث ابن عمر « من زار قبر أبويه أو أحدهما احتساباً كان كعدل حجة مبرورة ومن كان زوار لهما زارت الملائكة قبره » . وروى أبو الشيخ في الثواب والديلمي وابن النجار والرافع من رواية عائشة عن أبي بكر مرفوعاً « من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة فقرأ عنده يس غفر الله له بعدد كل حرف منها » .

(وعن ابن سيرين) محمد رحمه الله تعالى **(قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين »)** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وهو مرسل صحيح الإسناد ، ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عقبة بن أبي العيزار عن محمد بن جحادة عن أنس قال : رواه الصلت بن الحجاج عن أبي جحادة عن قتادة عن أنس ويحيى بن عقبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف اهـ .

قلت : ورواه ابن عساكر من حديث أنس وقال فيه يحيى بن عقبة كذبه ابن معين ، ولفظه « إن الرجل يموت والداه أو أحدهما وأنه لعاق لهما فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله براً »

(وقال النبي ﷺ « من زار قبري) أي زارني في قبري فقصد البقعة نفسها ليس بقربة كذا . ذكره السبكي في شفاء السقام وحمل عليه ما نقل عن مالك : من منع شد الرحل لمجرد زيارة القبر من غير إرادة إتيان المسجد للصلاة فيه **(وجبت له شفاعتي »)** أي حقت وثبتت ولزمت . قال السبكي : يحتمل كون المراد له بخصوصه بمعنى أن الزائرين يخصون بشفاعة لا تحصل لغيرهم ويكون إفرادهم بذلك تشريفاً وتنويهاً بحسن الزيارة أو المراد ببركة الزيارة يجب دخولهم في عموم من تناله الشفاعة وفائدته البشرى بأنه يموت مسلماً وعليه يجب إجراء اللفظ على عمومه إذ لو أضمر فيه شرط الوفاة على الإسلام لم يكن لذكر الزيارة معنى إذ الاسلام وحده كاف في نيلها وعلى الأولين يصح هذا الإضمار ، والحاصل أن أثر الزيارة إما الموت على الإسلام مطلقاً لكل زائر ، وإما شفاعة تخص الزائر من العامة . وقوله : شفاعتي في الإضافة إليه تشريف لها إذ الملائكة وخواص البشر يشفعون ، فللزائر نسبة خاصة فيشفع هو فيه بنفسه والشفاعة تعظم بعظم الشافع . رواه ابن عدي والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم في كتاب أسرار الحج . قال ابن القطان : وفيه عبدالله بن عمر العمري : قال أبو حاتم : مجهول ، وموسى بن هلال البصري قال العقيلي لا يصح حديثه ولا يتابع عليه . وقال السبكي : بل حسن أو صحيح . وقال الذهبي : طرقه كلها لينة ولكن يتقوى بعضها ببعض . وقال ابن حجر : حديث غريب أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وقال في القلب من سنده شيء وأنا أبرأ إلى الله من عهدته . قال ابن حجر : وغفل من زعم أن ابن خزيمة صححه ، وبالجملة قول ابن تيمية موضوع غير صواب .

شفيعاً وشهيداً يوم القيامة »، وقال كعب الأحبار : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه.

والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً بوجهه الميت، وأن يسلم

(**وقال ﷺ « من زارني بالمدينة**) أي في حياتي أو بعد وفاتي (**محتسباً**) أي ناوياً بالزيارة وجه الله تعالى وثوابه وقيل له محتسباً لاعتداده بعلمه فجعل حال مباشرته الفعل كأنه معتد به (**كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة »**) هكذا في النسخ بالواو، والصحيح أو أي شهيداً لبعض وشفيعاً لباقيهم أو شهيداً للمطيع شفيعاً للعاصي، وأو فيه بمعنى الواو وللتقسيم كما تقرر وجعلها للشك رده عياض قالوا: وزيارة قبره الشريف من كمالات الحج بل عند الصوفية فرض وعندهم الهجرة إلى قبره ميتاً كهي إليه حياً رواه البيهقي من حديث أنس وقد تقدم في كتاب أسرار الحج.

(**وقال كعب الأحبار**) رحمه الله تعالى: (**ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة يحفون بالقبر**) أي بقبره ﷺ (**يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ حتى أذا أمسوا عرجوا**) إلى السماء (**وهبط مثلهم، فصنعوا مثل ذلك حتى إذا**) تم عمر الدنيا و (**انشقت الأرض**) بمن فيها (**خرج**) ﷺ (**في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن كعب أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب: ما من فجر فذكره إلا أنه قال في آخره فيقودونه بدل فيوقرونه، كذلك ابن النجار في تاريخ المدينة والقرطبي في التذكرة.

(**فالمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبراً للقبلة مستقبلاً لوجه الميت وأن يسلم**) عليه بالخصوص فيقول: السلام عليك يا فلان ورحمة الله وبركاته أو هو مع غيره فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله لنا ولكم العافية. كما ورد ذلك من حديث بريدة عند النسائي، أو يقول: ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون كما في حديث عائشة عند الترمذي، أو يقول: السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر كما في حديث ابن عباس عند الترمذي أيضاً، أو يقول: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع عما قليل لاحق. اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم كما في معجم الطبراني عن علي رضي الله عنه. وروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال: إذا مررت بالقبور قد كنت تعرفهم فقال: السلام عليكم أصحاب القبور وإذا مررت بالقبور لا تعرفهم فقل السلام على المسلمين.

ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله، فإن ذلك من عادة النصارى.

قال نافع: كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول: السلام على النبي، السلام على أبي بكر، السلام على أبي، وينصرف. وعن أبي أمامة قال: «رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على

تنبيه:

روى أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي جرى الهجيمي قال: أتيت النبي ﷺ فقلت عليك السلام يا رسول الله. قال: لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى فهذا يشعر بأن السنة في السلام على الموتى بتقديم الصلة، وقد صح أنه ﷺ قال لهم: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» فيحتاج إلى الجمع حتى أن بعضهم قال: إن هذا أصح من حديث النهي، وذهب آخرون أن السنة ما دل عليه حديث النهي، وقد أجاب ابن القيم في البدائع بأن كلاً من الفريقين إنما أتوا من عدم فهم مقصود الحديث فإن قوله ﷺ «عليك السلام تحية الموتى» ليس تشريعاً منه وإخباراً عن أمر شرعي وإنما هو إخبار عن الواقع المعتاد الذي جرى على ألسنة الناس في الجاهلية فإنهم كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء وهو في أشعارهم كثير والأخبار عن الواقع لا يدل على الجواز فضلاً عن الاستحباب فتعين المصير إلى ما ورد عنه ﷺ من تقديم لفظ السلام حيث يسلم على الأموات قال: فإن تخيل متخيل في الفرق أن السلام على الأحياء يتوقع جوابه فقدم الدعاء على المدعو له بخلاف الميت. قلنا: والسلام على الميت يتوقع جوابه أيضاً كما ورد به الحديث.

(**وأن لا يمسح القبر ولا يمسه**) بيده أو ثوبه (**ولا يقبله**) بفمه (**فإن ذلك من عادة النصارى**) وكذا السجود عليه أو إليه وكل ذلك بدعة منكرة إنما يفعلها الجهال كما قاله السبكي.

(**قال نافع: كان ابن عمر**) رضي الله عنه (**رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول: السلام على النبي**) ﷺ، (**السلام على أبي بكر**) رضي الله عنه، (**السلام على أبي**) رضي الله عنه (**وينصرف**). رواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا أبو معاوية عن عبدالله عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا أراد أن يخرج دخل المسجد فصلى ثم أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه ثم يلوي وجهه، وكان إذا قدم من سفر أتى المسجد ففعل ذلك قبل أن يدخل منزله. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد ابن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا خلاد بن يحيى، عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: سمعت نافعاً يقول: كان عبدالله إذا قدم المدينة أتى قبر النبي ﷺ فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له ثم أقبل على أبي بكر فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له، أقبل على عمر فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له، ثم يقول: يا أبتاه يا أبتاه. رواه حماد بن زيد عن أيوب مثله.

(**وعن أبي أمامة**) بن سهل بن حنيف رضي الله عنه (**قال: رأيت أنس بن مالك**) رضي الله عنه (**أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي**

النبي ﷺ ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ». وقال سليمان بن سحيم: رأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: نعم وأرد عليهم. وقال أبو هريرة: إذا مر الرجل

ﷺ ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا أستأنس به ورد عليه حتى يقوم ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وفيه عبدالله بن سمعان ولم أقف على حاله. ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الإشبيلي اهـ.

قلت: إن كان هو عبدالله بن محمد بن أبي يحي لقبه سحبل واسم أبيه سمعان فهو ثقة وهو الظاهر فإنه ينسب إلى جده روى له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود مات سنة اثنتين وستين، ويحتمل أن يكون هو عبدالله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي المدني وهو أحد الضعفاء المشهورين اتهمه أبو داود بالكذب، وقد روى له أبو داود في المراسيل وابن ماجه، وهذا هو الذي استقر عليه رأي السيوطي في أمالي الدرة ولم يذكر قبله. وقرأت في مشارق الأنوار للقاضي عياض ما لفظه: وأما عبدالله بن سمعان فأكثر الناس يقولونه مفتوحاً، وكذلك ضبطه الشيوخ وسمعناه من كافتهم، وحكى ابن مكي أنه غلط وأن صوابه بالكسر، وحكى القاضي الحافظ أبو علي أن شيخه أبا بكر بن عبد الباقي كان يقول بكسر السين اهـ.

قلت: وهو هكذا بفتح السين بخط الحافظ الذهبي في الديوان وقال فيه تركوه وأما حديث ابن عباس الذي رواه ابن عبد البر في التمهيد فلفظه « ما من يمر أحد بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام » وقد رواه كذلك في الاستذكار، وهذا الذي صححه عبد الحق في العاقبة، وروى نحو ذلك من حديث أبي هريرة « ما من رجل يزور قبر أخيه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا رد عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده » رواه أبو الشيخ والديلمي.

(**وقال سليمان بن سحيم**) أبو أيوب المدني صدوق روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه: (**رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: « نعم وأرد عليهم »**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وأورده أيضاً عياض في الشفاء، وقد روى أبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام ». ورواه البيهقي بلفظ « ما من عبد يسلم علي عند قبري إلا وكل الله بها ملكاً يبلغني وكفى أمر آخرته ودنياه وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة ». وعند ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة « من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً بلغته » قال صاحب المواهب: ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم السلام ثابتة مستمرة ونبينا

بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام. وقال رجل من آل عاصم الجحدري: رأيت عاصماً في منامي بعد موته بسنتين فقلت: أليس قدمت؟ قال: بلى، فقالت: أين أنت؟ فقال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر بن عبدالله المزني فنتلاقى أخباركم. قلت أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات! بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال: قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم قال: نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت: وكيف ذاك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمه. وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له: لو أخرت إلى يوم الإثنين؟ قال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة ويوماً قبله

ﷺ أكمل وأتم من حياة سائرهم، فإن قال سقيم الفهم لو كان حياته ﷺ مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما قال إلا رد الله علي روحي يجاب عن ذلك من وجوه.

أحدها: أن ذلك إعلام بثبوت وصف الحياة دائماً لثبوت رد السلام دائماً فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند وجود ملزومه أو ملزوم ملزومه، فوصف الحياة لازم ثابت دائماً لأن ملزوم ملزومه ثابت دائماً، وهذا من نفاثات سحر البيان في إثبات المقصود بأكمل أنواع البلاغة وأكمل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى. (**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعاً، وفي لفظ آخر من حديثه «ما من عبد مر على قبر رجل يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام». رواه كذلك ابن أبي الدنيا في القبور والصابوني في المائتين. (**وقال رجل من آل عاصم الجحدري**) منسوب إلى جحدر قبيلة من ربيعة بن نزار (**رأيت عاصماً**) المذكور (**في منامي بعد موته بسنتين**) وفي نسخة بسنين (**فقلت: أليس قدمت؟ قال: بلى، فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبدالله المزني فنتلاقى أخباركم. قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح. قال: قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال**: نعم. **نحن نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس. قلت: وكيف ذاك دون سائر الأيام كلها، قال: لفضل يوم الجمعة وعظمه**). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب. (**وكان محمد بن واسع**) البصري الزاهد رحمه الله تعالى (**يزور يوم الجمعة فقيل له: لو أخرت إلى يوم الإثنين؟ قال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده**) رواه ابن أبي

ويوماً بعده. وقال الضحاك: من زار قبراً قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته، قيل: وكيف ذاك؟ قال: لمكان يوم الجمعة. وقال بشر بن منصور: لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز، فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله

الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب **(وقال الضحاك)** بن مزاحم الهلالي المفسر: **(من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: لمكان يوم الجمعة)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والبيهقي في الشعب.

وفي شرح الصدور للسيوطي قال السبكي عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلاً عن الشهداء وإنما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حياً بها كحالته في الدنيا أو حياً بدونها وهي حيث شاء الله تعالى، فإن ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي، فهذا أي أن البدن يصير بها حياً كحالته في الدنيا مما يجوزه العقل، فإن صح به سمع اتبع، وقد ذكره جماعة من العلماء وشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، بل يكون لها حكم آخر، وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا نشك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى. وقال ابن القيم في مسألة تزاور الأرواح وتلاقيها أن الأرواح قسمان: منعمة ومعذبة. فأما المعذبة فهي في شغل عن التزاور والتلاقي، وأما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور وتذكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فيكون كل روح مع رفيقها الذي هو مثل علمها وروح نبينا ﷺ في الرفيق الأعلى قال الله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ [النساء: ٦٩] الآية وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة. وقال اليافعي: مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترد بعض الأوقات من عليين أو من سجين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله تعالى وخصوصاً ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب قال: وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم أو العذاب ما دامت في عليين أو سجين، وفي القبر يشترك الروح والجسد. وقال ابن القيم: الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور وسمع سلامه وأنس به ورد عليه وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وأنه لا توقيت في ذلك وهو أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت.

(وقال) أبو محمد **(بشر بن منصور)** السليمي الأزدي البصري ثقة عابد روى له مسلم وأبو داود والنسائي مات سنة ثمانين **(لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة)** أي المقبرة **(فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: آنس الله**

حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات. قال الرجل: فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو، فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاؤوني فقلت: ما أنتم وما حاجتكم؟ قالوا: نحن أهل المقابر. قلت: ما جاء بكم؟ قالوا: إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك، قلت: وما هي؟ قالوا: الدعوات التي كنت تدعو لنا بها، قلت: فإني أعود لذلك، فما تركتها بعد ذلك. وقال بشار بن غالب النجراني: رأيت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي: يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير. قلت: وكيف ذاك؟ قالت: وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتي به الميت فقيل له: هذه هدية فلان إليك. وقال رسول الله ﷺ: «ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار».

وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل: فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت أدعو، فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاؤوني فقلت: ما أنتم وما حاجتكم؟ قالوا: نحن أهل المقابر. قلت: ما جاء بكم؟ قالوا: إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك. قلت: وما هي؟ قالوا الدعوات التي كنت تدعو قلت فإني أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب.

(**وقال بشار بن غالب النجراني: رأيت**) أم إسماعيل (**رابعة**) بنت إسماعيل (**العدوية**) البصرية (**العابدة**) المتوفية في سنة ١٣٥ (**في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي: يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة**) أي مغطاة (**بمناديل الحرير قلت: وكيف ذاك؟ قالت: وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتي به الميت فقيل: هذه هدية فلان إليك**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وفي قولها: فاستجيب لهم إشارة إلى ان الدعاء للميت ينفع إذا استجيب فيمنع الاطلاق، ولكن قد يقال: إن الدعاء للميت مستجاب كما أطلقوا اعتماداً على فضل الله الواسع، وقد أثنى الله على القائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] الآية.

(**وقال رسول الله ﷺ: «ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوّث**) أي طالب الغوث (**ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الاحياء للأموات الدعاء والاستغفار»**) قال العراقي: رواه الديلمي في

مسند الفردوس من حديث ابن عباس، وفيه الحسن بن علي بن عبد الواحد حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل اهـ.

قلت: لفظ الديلمي «ما الميت في قبره إلا شبه الغريق المتغوّث ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة فإذا لحقته كان أحب إليه من الدنيا وما فيها وأن الله عز وجل ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الدنيا أمثال الجبال وأن هدية الأحياء للأموات الاستغفار لهم والصدقة عنهم». ورواه البيهقي في الشعب قال، وقال أبو علي الحسين بن علي الحافظ: هذا حديث غريب من حديث عبد الله بن المبارك لم يقع عند أهل خراسان. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن أبي التياح قال: كان مطرف يبدو فإذا كان يوم الجمعة أدلج وكان ينور له في سوطه فأقبل ليلة حتى إذا كان عند المقابر هوّم وهو على فرسه فرأى كأن أهل القبور كل صاحب قبر جالس على قبره فقالوا: هذا مطرف أتى يوم الجمعة قلت: وتعلمون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم ونعلم ما يقول فيه الطير. قلت: وما يقولون؟ قالوا: يقولون سلام سلام يوم صالح. يقال: هوّم الرجل إذا طأطأ رأسه من الناس. وروى أيضاً عن الفضل بن الموفق ابن خال سفيان بن عيينة قال: لما مات أبي جزعت جزعاً شديداً فكنت آتي قبره في كل يوم ثم إني قصرت عن ذلك فرأيته في النوم فقال: يا بني ما أبطأ بك عني؟ قلت: وإنك لتعلم بمجيئي قال: ما جئت مرة إلا علمتها وقد كنت تأتيني فأسر بك ويسر من حولي بدعائك. قال: فكنت آتيه بعد كثيراً. وروي أيضاً عن سفيان قال: كان يقال الأموات أحوج إلى الدعاء من الأحياء إلى الطعام والشراب. وروى البيهقي عن أبي الدرداء هاشم بن محمد قال: سمعت رجلاً من أهل العلم يقول: إنه كان يزور قبر أبيه فطال عليه ذلك. قال: فقلت أزور التراب فأريته في منامي فقال: يا بني مالك لا تفعل كما كنت تفعل؟ فقلت: أزور التراب. فقال: لا تقل ذلك يا بني فوالله لقد كنت تشرف عليّ فيبشرني بك جيراني، ولقد كنت تنصرف فما أزال أراك حتى تدخل الكوفة، وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي عن عثمان بن سودة وكانت أمه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال: لما ماتت كنت آتيها في كل جمعة فادعو لها واستغفر لها ولأهل القبور فرأيتها ليلة في منامي فقلت: يا أمه كيف أنت؟ فقال: يا بني إن الموت لشديد كربه وأنا بحمد الله في برزخ محمود افترش فيه الريحان وأتوسد فيه السندس والاستبرق فقلت: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قلت: ما هي؟ قالت: لا تدع ما تصنع من زيارتنا والدعاء لنا فإني آنس بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك زائراً فابشر ويبشر بذلك من حولي من الأموات.

وقال الحافظ أبو طاهر السلفي: سمعت أبا البركات عبد الواحد بن عبد الرحمن بن غلاب السوسي بالاسكندرية يقول: سمعت والدتي تقول: رأيت أمي في المنام بعد موتها وهي تقول: يا بنتي إذا جئتيني زائرة فاقعدي عند قبري ساعة أتملى من النظر إليك ثم ترحمي عليّ فإنك إذا ترحمت علي صارت الرحمة بيني وبينك كالحجاب ثم شغلتني.

وقال بعضهم: مات أخ لي فرأيته في المنام فقلت: ما كانْ حالك حيث وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعياً دعا لي لرأيت أنه سيضربني به.

ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له. قال سعيد بن عبدالله الأودي: شهدت أبا أمامة الباهلي وهو في النزع فقال: يا سعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ فقال: «إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعداً، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثالثة فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن

وقال الحافظ ابن رجب: أنبأني علي بن عبد الصمد بن أحمد البغدادي عن أبيه قال: أخبرني قسطنطين بن عبد الله الرومي، سمعت أسد بن موسى يقول: كان لي صديق فمات فرأيته في المنام وهو يقول: سبحان الله جئت إلى قبر فلان صديقك قرأت عنده وترحمت عليه وأنا ما جئت إليّ ولا قربتني قلت له: وما يدريك؟ قال: لما جئت إلى قبر صديقك فلان رأيتك. قلت: كيف رأيتني والتراب عليك. قال ما رأيت الماء إذا كان في الزجاج ما يتبين. قلت: بلى. قال: فكذلك نحن نرى من يزورنا.

(**وقال بعضهم: مات أخ لي فأريته في المنام فقلت ما كان حالك حيث**) وفي نسخة حين (**وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعياً دعا لي لرأيت أنه سيضربني به**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(**ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له**) بالتثبت. قال الحكيم في نوادر الأصول: الوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت الدفن مدد للميت بعد الصلاة لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له، وقد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له والوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت الدفن مدد للعسكر وذلك ساعة شغل الميت لأنه يستقبل هول المطلع وسؤال الفتانين.

(**وقال سعيد بن عبد الله الأودي**) من بني أود بن سعد العشيرة وفي بعض النسخ الأزدي فإن كان كذلك فهو سعيد بن عبد الله بن ضرار بن الازور وضرار بن الأزور أسدي، ويقال في الازدي الأسدي وسعيد ضعيف كما تقدم: (**شهدت أبا أمامة**) صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه (**وهو في النزع فقال: يا سعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ، فقال: إذا ما مات أحدكم فسوّيتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول: يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب**) أي لا يستطيع الجواب، (**ثم ليقل: يا فلان بن فلانة**) المرة (**الثانية فإنه يستوي قاعداً ثم ليقل يا فلان بن فلانة**) المرة (**الثالثة فإنه يقول أرشدنا**)

لا تسمعون فيقول له: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما فيقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته، ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما»، فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه؟ قال: «فلينسبه إلى حوّاء».

يرحمك الله ولكن لا تسمعون) وفي لفظ لا تشعرون، **(فيقول)** وفي لفظ فليقل **(له: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وانك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن إماماً فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما)** وفي لفظ يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه **(فيقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما)** وفي لفظ ولكن الله حجته دونهم، **(فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه» قال «فلينسبه إلى حواء»)** أي فليقل يا فلان بن حواء. قال العراقي: رواه الطبراني بسند ضعيف اهـ.

قلت: لعله لمكان سعيد بن عبد الله إن كان هو ابن ضرار فقد قال أبو حاتم إنه ليس بقوي نقله الذهبي، هكذا رواه الطبراني في الكبير. وفي كتاب الدعاء وابن منده في كتاب الروح وابن عساكر والديلمي، ورواه ابن منده من وجه آخر عن أبي أمامة قال: إذا مت فدفنتموني فليقم انسان عند رأسي فليقل: يا صدي بن عجلان اذكر ما كنت عليه في الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ورواه ابن عساكر من وجه آخر عن أبي امامة رفعه «إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل يا فلان بن فلانة فإنه يسمع فليقل يا فلان بن فلانة فإنه يستوي قاعداً فليقل يا فلان ابن فلانة فإنه سيقول له أرشدني يرحمك الله فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمداً عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله باعث من في القبور فإن منكراً ونكيراً عند ذلك يأخذ كل واحد بيد صاحبه ويقول: قم ما تصنع عند رجل لقن حجته فيكون الله تعالى حجيجهما دونه».

ومما ورد في الأخبار والآثار من التلقين ما رواه البزار عن علي بن أبي طالب قال: إذا بلغت الجنازة القبر فجلس الناس فلا تجلس ولكن قم على شفير القبر فإذا أدلي في قبره فقل بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ. اللهم عبدك نزل بك وأنت خير منزول به خلف الدنيا خلف ظهره فاجعل ما قدم عليه خيراً مما خلف فإنك قلت: ﴿وما عند الله خير للابرار﴾ [آل عمران: ١٩٨].

وروى ابن أبي شيبة عن قتادة أن أنساً دفن ابناً له فقال: اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وأبدله داراً خيراً من داره. وروى سعيد بن منصور عن أنس أنه كان إذا وضع الميت في قبره قال: اللهم جاف الأرض عن جنبيه وصعّد روحه وتقبله وتلقه منك بروح.

ولا بأس بقراءة القرآن على القبور. روي عن علي بن موسى الحداد قال: كنت مع

وروى ابن ماجه والبيهقي في السنن عن ابن المسيب قال: حضرت ابن عمر في جنازة ابنة له فلما وضعها في اللحد قال: بسم الله وفي سبيل الله، فلما أخذ في تسوية اللحد قال: اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر، فلما سوّى الكثيب عليها قام جانب القبر ثم قال: اللهم جاف الأرض عن جنبيها وصعد روحها ولقها منك رضواناً، ثم قال: سمعته من رسول الله ﷺ.

وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد انه كان يقرأ بسم الله وفي سبيل الله اللهم افسح له قبره ونور له فيه والحقه بنبيه. وروى الحكيم عن عمرو بن مرة قال: كانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقولوا: اللهم أعذه من الشيطان الرجيم. وروى ابن أبي شيبة عن خيثمة قال: كانوا يستحبون إذا دفنوا الميت أن يقولوا بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله. اللهم أجره من عذاب القبر وعذاب النار ومن شر الشيطان الرجيم. وروى سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يقف على القبر بعدما يسوى عليه فيقول: اللهم نزل بك صاحبنا وخلف الدنيا خلف ظهره. اللهم ثبت عن المسألة منطقه ولا تفتنه في قبره بما لا طاقة له به. وروى سعيد بن منصور عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحكيم بن عمير قالوا: إذا سوي على قبره وانصرف الناس عنه كان يستحب أن يقال للميت عند قبره يا فلان قل ربي الله وديني الإسلام ونبيّي محمد ﷺ ثم ينصرف. وقال أبو بكر الآجري: يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً والدعاء للميت مستقبلاً وجهه بالثبات فيقال: اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه إلا خيراً وقد أجلسته لتسأله اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الدنيا. اللهم ارحمه والحقه بنبيه ولا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره. وروى ابن سعد في الطبقات قال قال لي النزال بن سبرة: إذا أدخلتني قبري فقل: اللهم بارك في هذا القبر وفي داخله. وروى ابن أبي شيبة عن أنس أنه كان إذا سوي على الميت قبره قام عليه، فقال: اللهم عبدك ردّ إليك فارأف به وارحمه، اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن، اللهم إن كان محسناً فضاعف له في إحسانه أو قال فزد في إحسانه وان كان مسيئاً فتجاوز عنه.

(**ولا بأس بقراءة القرآن على القبر**) وفي نسخة القبور. قال السيوطي في شرح الصدور: وأما قراءة القرآن على القبر فجزم بمشروعيتها أصحابنا وغيرهم. قال الزعفراني: سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال: لا بأس به. وقال النووي في شرح المهذب: يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم عقبها نص عليه الشافعي. واتفق عليه الأصحاب زاد في موضع آخر وان ختموا القرآن كان أفضل انتهى.

وقد سئل الشمس محمد بن علي بن محمد بن عيسى العسقلاني الكناني السمنودي الشافعي عرف بابن القطان المتوفي في سنة ٨١٣ وهو من مشايخ الحافظ ابن حجر عن مسائل فأجاب ومنها: وهل يصل ثواب القراءة للميت أم لا؟ فأجاب عنها في رسالة سماها القول بالإحسان العميم في انتفاع الميت بالقرآن العظيم وأنا أذكر منها هنا ما يليق بالمقام مع الاختصار.

قال رحمه الله تعالى: اختلف العلماء في ثواب القراءة للميت فذهب الأكثرون إلى المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك، ونقل عن جماعة من الحنفية وقال كثيرون منهم يصل، وبه قال الإمام أحمد بعد أن قال القراءة على القبر بدعة، بل نقل عنه أنه يصل إلى الميت كل شيء من صدقة وصلاة وحج وصوم واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك، ونقل ذلك عن جماعة من السلف، ونقل عن الشافعي انتفاع الميت بالقراءة على قبره، واختاره شيخنا شهاب الدين ابن عقيل وتواتر أن الشافعي زار الليث بن سعد وأثنى عليه خيراً وقرأ عنده ختمة وقال: أرجو أن تدوم فكان الأمر كذلك، وقد أفتى القاضي حسين بأن الاستئجار للقراءة على رأس القبر جائز كالاستئجار للآذان وتعليم القرآن. قال النووي في زيادات الروضة: ظاهر كلامه صحة الإجارة مطلقاً وهو المختار فإن موضع القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع الميت. وقال الرافعي وتبعه النووي: عود المنفعة إلى المستأجر شرط في الإجارة فيجب عود المنفعة في هذه الإجارة إلى المستأجر أو ميتة لكن المستأجر لا ينتفع بان يقرأ الغير له، ومشهور أن الميت لا يلحقه ثواب القراءة المجردة، فالوجه تنزيل الاستئجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة أقرب إجابة وأكثر بركة. وقال في كتاب الوصية الذي يعتاد في قراءة القرآن على رأس القبر قد ذكرنا في باب الإجارة طريقين في عود فائدتها إلى الميت، وعن القاضي أبي الطيب طريق ثالث وهو أن الميت كالحي الحاضر فيرجى له الرحمة ووصول البركة إذا أهدى الثواب إلى القارىء، وعبارة الروضة إذا أوصل الثواب إلى القارىء انتهى.

وعن القاضي أبي الطيب الثواب للقارىء والميت كالحاضر فترجى له الرحمة والبركة. وقال عبد الكريم الشالوسي القارىء: إن نوى بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه إذ جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا تقع على الغير، وإن قرأ ثم جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه إذ قد جعل من الأجر لغيره والميت يؤجر بدعاء الغير. وقال القرطبي: وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث العسيب الرطب الذي شقة النبي ﷺ باثنين ثم غرس على قبر نصفا وعلى قبر نصفا وقال «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» رواه الشيخان. قال: ويستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور، وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن؟ وقال النووي: استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر واستأنسوا لذلك بحديث الجريدتين وقالوا: إذا وصل النفع إلى الميت بتسبيحهما حال رطوبتهما، فانتفاع الميت بقراءة القرآن عند قبره أولى فإن قراءة القرآن من انسان أعظم وانفع من التسبيح من عود، وقد نفع القرآن بعض من حصل له ضرر في حال الحياة فالميت كذلك. قال ابن الرفعة: الذي دل عليه الخبر بالاستنباط أن بعض القرآن إذا قصد به نفع الميت وتخفيف ما هو فيه نفعه إذ ثبت أن الفاتحة لما قصد بها القارىء نفع الملدوغ نفعته وأقر النبي ﷺ ذلك بقوله: وما يدريك انها رقية، وإذا نفعت الحي بالقصد كان نفع الميت بها أولى لأن الميت يقع عنه من العبادات بغير إذنه ما لا يقع من الحي. نعم يبقى النظر في أن ما عدا الفاتحة من القرآن الكريم إذا قرىء وقصد به ذلك هل يلتحق به؟ انتهى. نعم

أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا، فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد: يا أبا عبدالله ما تقول في مبشر بن إسماعيل الحلبي؟ قال: ثقة. قال: كتبت عنه شيئاً؟ قال: نعم، قال: أخبرني مبشر بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة، وقال خاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك، فقال له أحمد: فارجع إلى الرجل فقل له

يلتحق به فروى ابن السني من حديث ابن مسعود أنه قرأ في اذن مبتلى فأفاق فقال له رسول الله ﷺ: «ما قرأت في أذنه» قال قرأت ﴿أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً﴾ [المؤمنون: ١١٥] حتى فرغت من آخر السورة فقال ﷺ: «لو أن رجلاً قرأ بها على جبل لزال» ومثل ذلك ما جاء به في القراءة بالمعوّذتين والاخلاص وغير ذلك، وفي الرقية بالفاتحة دليل على صحة الاجارة والجعالة لينتفع بها الحي، فكذلك الميت. ومما يشهد لنفع الميت بقراءة غيره حديث معقل بن يسار «اقرأوا على موتاكم» رواه أبو داود وحديث «اقرأوا يس على موتاكم» رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان، وحديث «يس ثلث القرآن لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له فاقرأوها على موتاكم». رواه أحمد وأوّل جماعة من التابعين القراءة للميت بالمحتضر والتأويل خلاف الظاهر، ثم يقال عليه إذا انتفع المحتضر بقراءة يس وليس من سعيه فالميت كذلك والميت كالحي الحاضر يسمع كالحي الحاضر كما ثبت في الحديث انتهى ما نقلته من كلام ابن القطان.

(وروي عن علي بن موسى الحداد قال: كنت مع) الإمام **(أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري)** الأنصاري أبو جعفر البغدادي فيه لين. وقال أبو داود ضعيف روى له البخاري في خبر القراءة خلف الإمام، مات سنة سبع وثلاثين ومائتين **(معنا، فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسماعيل الحلبي)** أبي إسماعيل الكلبي مولاهم صدوق مات سنة مائتين بحلب روى له الجماعة **(فقال: ثقة. قال: هل كتبت عنه شيئاً؟ قال: نعم. قال: أخبرني مبشر بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج)** نزيل حلب مقبول روى له الترمذي **(عن أبيه)** العلاء بن اللجاج الشامي يقال انه أخو خالد ثقة روى له الترمذي، ولأبيه اللجلاج صحبة عاش مائة وعشرين خمسين في الجاهلية وسبعين في الإسلام. قال أبو الحسن بن إسماعيل اللجلاج والد العلاء غطفاني، واللجلاج والد خالد عامري **(أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها. وقال: سمعت ابن عمر)** رضي الله عنه **(يوصي بذلك فقال له أحمد: فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ)**. وهكذا أورده القرطبي في التذكرة، وعند الطبراني من طريق عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج قال قال لي أبي: يا بني إذا وضعتني في لحدي فقل بسم الله وفي

يقرأ، وقال محمد بن المروزي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرأوا بفاتحة الكتاب والمعوّذتين وقل هو الله أحد، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر، فإنه يصل إليهم. وقال أبو قلابة: أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل، ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم تنبهت فإذا صاحب القبر

سبيل الله وعلى ملة رسول الله ثم سن عليَّ التراب سناً ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك هكذا هو عند الطبراني وكأنه سقط منه فإني سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ فإن الصحبة للجلاج لا للعلاء، وأما قول ابن عمر فقد روي مرفوعاً رواه البيهقي في الشعب عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه واسرعوا له إلى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة». رواه الطبراني كذلك إلا أنه قال عند رأسه بفاتحة الكتاب والباقي سواء.

(**وقال محمد بن أحمد المروزي**) هكذا في النسخ والصواب أحمد بن محمد المروزي كنيته أبو بكر والمروزي نسبة إلى مر والروز مدينة بخراسان بينهما وبين مرو الشاهجان خمس مراحل، وأما محمد بن أحمد المروزي يكنى أبا زيد فهو من أئمة الشافعية حدث عن الفربري مات سنة ٣٧١: (**سمعت أحمد بن حنبل**) رحمه الله (**يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرأوا بفاتحة الكتاب والمعوّذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم**) كذا أورده عبد الحق الأزدي في كتاب العاقبة عن أبي بكر أحمد بن محمد المروزي على الصواب. وروى النسائي والرافعي في تاريخه وأبو محمد السمرقندي في فضائل سورة الإخلاص من حديث علي «من مرّ على المقابر وقرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر عدد الاموات». قال الشمس بن القطان: ولقد حكي لي من أثق به من أهل الخير أنه مر بقبور فقرأ قل هو الله أحد وأهدى ثوابها لهم فرأى واحداً منهم في المنام وأخبره بأن الله تعالى غفر له ولسائر القبور فخصه ثواب رأس واو من سور قل هو الله أحد وتقسم الباقون باقيها ببركة سورة قل هو الله أحد، وفي العاقبة لعبد الحق قال: حدثني أبو الوليد إسماعيل بن أحمد عرف بابن افريد وكان هو وأبوه صالحين معروفين، قال لي أبو الوليد مات أبي رحمة الله عليه فحدثني بعض إخوانه ممن يوثق بحديثه نسيت أنا اسمه قال لي زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزباً من القرآن ثم قلت يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا لي؟ قال: فهبت علي نفحة مسك غشيتني وأقامت معي ساعة ثم انصرفت وهي معي فما فارقتني إلا وقد مشيت نحو نصف الطريق.

(**وقال أبو قلابة**) عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرقاشي البصري يكنى أبا محمد وأبو قلابة لقب صدوق يخطيء تغير حفظه لما سكن بغداد، روى له ابن ماجه مات سنة ست وسبعين ومائتين وله ست وثمانون سنة: (**أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر**) من القبور التي هناك (**فنمت ثم**

يشتكيني يقول: لقد آذيتني منذ الليلة، ثم قال: إنكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال: للركعتان اللتان ركعتها خير من الدنيا وما فيها، ثم قال جزى الله عنا أهل الدنيا خيراً أقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال.

انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول: لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال: إنكم) تعملون **(ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال: للركعتان اللتان ركعتها خير من الدنيا وما فيها، ثم قال: جزى الله عنا أهل الدنيا خيراً أقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

وروى صاحب كتاب المتفجعين عن محمد بن جبلة، حدثنا محمد بن قدامة، حدثنا ابن علية، عن سليمان التيمي عن مياس قال: خرجت إلى الظهر ثم صليت ركعتين ثم جئت إلى قبر فاتكأت عليه، فأخذتني نعسة الشيوخ فسمعت صوتاً من القبر: أعل عني فقد آذيتني إنكم تعملون ولا تعلمون وإنا نعلم ولا نعمل، والله لوددت أني خيرت بين الدنيا وبين ركعتيك إذاً كنت اختار ركعتيك. هكذا قال عن مياس وأخاله تحريفاً.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والبيهقي في الدلائل من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان النهدي عن ابن ميناء قال: دخلت الجبانة فصليت ركعتين خفيفتين ثم اضطجعت إلى قبر فوالله إني لنبهان إذ سمعت قائلاً في القبر يقول: قم فآذيتني إنكم لتعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل فوالله لأن أكون صليت مثل ركعتيك أحب إلى من الدنيا وما فيها.

قلت: وابن ميناء هو الحكم انصاري مدني صدوق من أولاد الصحابة، روى له مسلم وأبو داود في كتاب فضائل الانصار له والنسائي وابن ماجه وليس له عندهم إلا حديث واحد.

وروى ابن أبي الدنيا أيضاً، والبيهقي في الشعب عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: كنت بالمقبرة فصليت قريباً من قبر ركعتين خفيفتين لم أرض اتقانها ونعست، فرأيت صاحب القبر يكلمني فقال: ركعت ركعتين لم ترض اتقانها، قلت: قد كان ذلك. قال: تعملون ولا تعلمون، ونعلم ولا نستطيع أن نعمل لأن أكون ركعت مثل ركعتيك أحب إلي من الدنيا بحذافيرها. وهذا السياق أشبه بسياق المصنف وقد تقدم شيء من ذلك بعد ذكر الأبيات التي كتبت على القبور.

وروى القرطبي في التذكرة من حديث أنس أنك لتتصدق من بيتك بصدقة فيجيء بها ملك من الملائكة في أطباق من نور فيقوم على رأس القبر فينادي: يا صاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا إليك هذه الهدية فاقبلها. قال: فيدخلها إليه في قبره ويفسح له في مدخله وينور له فيه قال: فيقول جزى الله عني أهلي خير الجزاء. فيقول لزيق ذلك القبر: أنا لم أخلف لي ولداً ولا أحد يذكرني بشيء فهو مهموم والآخر يفرح بالصدقة.

قلت: هو عند الطبراني في الأوسط بلفظ: ما من أهل بيت يموت منهم ميت فيتصدقون بعد موته إلا أهداها لهم جبريل على طبق من نور ثم يقف على شفير القبر فيقول: يا صاحب القبر

العميق هذه هدية أهداها إليك أهلك فاقبلها فيدخل عليه فيفرح بها ويستبشر ويحزن جيرانه الذي لا يهدي إليهم شيء.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، عن عمرو بن جرير قال: إذا دعا العبد لأخيه الميت أتاه بها إلى قبره ملك فقال: يا صاحب القبر الغريب هذه هدية من أخ عليك شفيق. وروي أيضاً عن بعض المتقدمين قال: مررت بالمقابر فترحمت عليهم فهتف بي هاتف نعم فترحم عليهم فإن فيهم المهموم والمحزون.

وقال الحافظ ابن رجب: روى جعفر الخلدي قال: حدثنا العباس بن يعقوب بن صالح الانباري، سمعت أبي يقول: رأى بعض الصالحين أباه في النوم فقال له: يا بني لم قطعتم هديتكم عنا؟ قال: يا أبت وهل تعرف الأموات هدية الأحياء؟ قال: يا بني لولا الأحياء لهلكت الأموات.

وروى ابن النجار في تاريخه عن مالك بن دينار قال: دخلت المقبرة ليلة الجمعة فإذا أنا بنور مشرق فيها فقلت: لا إله إلا الله نرى أن الله عز وجل قد غفر لأهل المقابر، فإذا أنا بهاتف يهتف من البعد وهو يقول: يا مالك بن دينار هذه هدية المؤمنين إلى إخوانهم من أهل المقابر. قلت: بالذي أنطقك ألا خبرتني ما هو؟ قال: رجل من المؤمنين قام في هذه الليلة فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين وقرأ فيهما فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال: اللهم إني قد وهبت ثوابها لأهل المقابر من المؤمنين فادخل الله علينا الضياء والنور والفسحة والسرور في المشرق والمغرب. قال مالك: فلم أزل أقرأها في كل جمعة فرأيت النبي ﷺ في منامي يقول لي: يا مالك قد غفر الله لك بعدد النور الذي أهديته إلى أمتي ولك ثواب ذلك، ثم قال لي: وبنى الله لك بيتاً في الجنة في قصر يقال له المنيف قلت: وما المنيف؟ قال: المطل على أهل الجنة.

وقال السيوطي في شرح الصدور فصل في قراءة القرآن للميت أو على القبر: اختلف في وصول ثواب القراءة للميت، فجمهور السلف والائمة الثلاثة على الوصول، وخالف في ذلك إمامنا الشافعي رضي الله عنه مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] وأجاب الأولون عن الآية بوجوه.

أحدها: أنها منسوخة بقوله: ﴿والذين آمنوا اتبعتهم ذريتهم بايمان﴾ [الطور: ٢١] الآية أدخل الابناء الجنة بصلاح الآباء.

الثاني: أنها خاصة بقوم إبراهيم وموسى عليهم السلام، فأما هذه الأمة فلها ما سعت وما سعى لها قاله عكرمة.

الثالث: أن المراد بالإنسان هنا هو الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له قاله الربيع بن أنس.

الرابع: ليس للإنسان إلاّ ما سعى من طريق العدل، فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما شاء قاله الحسين بن الفضل.

الخامس: أن اللام بمعنى على أي ليس على الإنسان إلا ما سعى.

قلت: وقد أورد ابن القطان في الرسالة المذكورة هذه الأجوبة وقال القول بالنسخ، روي عن ابن عباس قال: فجعل الولد الطفل في ميزان أبيه ويشفع الله تعالى الآباء في الابناء والابناء في الآباء بدليل قوله تعالى: ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ [النساء: ١١] وذكر القول الثالث. ونقل عن القرطبي ان كثيراً من الأحاديث يدل على هذا القول، ونقل عنه أيضاً انه قال: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿إلا ما سعى﴾ خاصة بالسيئة لما في الحديث «وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها له حسنة» قال ابن القطان: وكنت بحثت مع الشيخ سراج الدين البلقيني بالخشابية بجامع عمرو بن العاص هل تضعف هذه الحسنة أيضاً؟ قلت: وينبغي أن تضعف لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ [النساء: ٤٠] فقال: نعم وتضعف من جنس ما هم به، ثم قال: ومن المفسرين من قال: المراد بالانسان أبو جهل أو عقبة بن أبي معيط أو الوليد بن المغيرة. قال: ومنهم من قال: الإنسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الأصحاب وأسدى لهم الخير وتردد إليهم، فصار ثوابه لهم بعد موته من سعيه وهذا حسن، ومنهم من قال: الإنسان في الآية للحي دون الميت، ومنهم من قال: لم ينف في الآية انتفاع الرجل بسعي غيره له، وإنما نفي عمله بسعي غيره وبين الأمرين فرق. ثم نقل عن الزمخشري ما لفظه: فان قلت: أما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه؟ قلت: فيه جوابان أحدهما: أن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنياً على سعي نفسه، وهو أن يكون مؤمناً مصدقاً فكذلك كان سعي غيره كأنه سعي لكونه تبعاً له وقائماً لقيامه. والثاني: أن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه، ولكن إذا نواه فهو في حكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه، ثم قال: والصحيح من الأجوبة ان قوله تعالى: ﴿وان ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ عام مخصوص لما تقدم من الأدلة وكذا ﴿ولا تجزون إلاَّ ما كُنْتُمْ تعملون﴾ [يس: ٥٤] وكذا «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث». هذا كلام ابن القطان.

ثم قال السيوطي: واستدلوا على الوصول بالقياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق فإنه لا فرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء أو قراءة، وبالأحاديث الواردة فيه وهي وإن كانت ضعيفة فمجموعها. يدل على أن لذلك أصلاً وبأن المسلمين ما زالوا في كل مصر يجتمعون ويقرأون لموتاهم من غير نكير، فكان ذلك إجماعاً ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي في جزء ألفه في المسألة. قال القرطبي: وقد كان الشيخ العز بن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ، فلما توفي رآه بعض أصحابه فقال له: إنك كنت تقول: إنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ أو يهدى إليه

فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها، وللمزور الانتفاع بدعائه. فلا ينبغي

فكيف الأمر؟ قال له كنت أقول ذلك في دار الدنيا، والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله في ذلك وأنه يصل إليه ذلك. ثم قال السيوطي: ومن الوارد في قراءة القرآن على القبور ما تقدم من حديث ابن عمر والعلاء بن اللجلاج مرفوعاً كلاهما، وأخرج الخلال في الجامع عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات لهم ميت اختلفوا إلى قبره يقرأون له القرآن، وأخرج أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني في فوائده عن أبي هريرة رفعه «من دخل المقابر ثم قرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والهاكم التكاثر ثم قال إني جعلت ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له إلى الله تعالى». وأخرج القاضي أبو بكر بن عبد الباقي الأنصاري في مشيخته عن سلمة بن عبيد قال قال حماد المكي: خرجت ليلة إلى مقابر مكة فوضعت رأسي على قبر فنمت فرأيت أهل المقابر حلقة حلقة فقلت: قامت القيامة؟ قالوا: لا، ولكن رجل من إخواننا قرأ قل هو الله أحد وجعل ثوابها لنا فنحن نقتسمه منذ سنة. وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال من حديث أنس: «من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من دفن فيها حسنات». وقال القرطبي في حديث: «اقرأوا على موتاكم يس» يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته، ويحتمل أن تكون عند قبره. قال السيوطي: وبالأول قال الجمهور، وبالثاني قال ابن عبد الواحد المقدسي في جزئه الذي تقدم ذكره، وبالتعميم في الحالين قال المحب الطبري من متأخري أصحابنا. وقال القرطبي: وقيل إن ثواب القراءة للقارىء وللميت ثواب الاستماع، ولذلك تلحقه الرحمة ولا يبعد في كرم الله أن يلحقه ثواب القراءة والإستماع معاً، ويلحقه ثواب ما يهدى إليه من القرآن، وإن لم يسمع كالصدقة والدعاء اهـ.

تنبيه:

سئل ابن القطان هل يكفي ثواب أو يتعين مثل ثواب؟ فأجاب في الرسالة المذكورة ما لفظه: ولا يشترط في وصول الثواب لفظ هذا ولا جعل ثواب، بل تكفي النية قبل القراءة وبعدها خلافاً لما نقلناه عن عبد الكريم الشالوسي في القلبية. نعم لو فعله لنفسه ثم نوى جعله للغير لم ينفع الغير ويكفي للقارىء ذكر ثواب ولا يتعين مثل ثواب. وقال النووي: المختار أن يدعو بالجعل فيقول: اللهم اجعل ثوابها واقعاً لفلان. وقال في الأذكار: الاختيار أن يقول القارىء بعد فراغه: اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان وليس ثواب على تقدير المثل، بل لو قال مثل ثواب تكون مثل زائدة كما هو أحد الأقوال في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] نعم، إن قيل للقارىء ثواب قراءته وللمقروء له مثل ثوابها فيكون ثوابها على تقدير وهو خلاف ظاهر مختار النووي، وخلاف الأئمة المهدين فإنهم حين يهدون ويقولون: اجعل ثواب والأصل عدم التقدير وينقدح في قوله: اجعل ثواب احتمالان: أن يكون للمهدى له وللقارىء مثلها الثاني: أن يكون للمهدي وهو القارىء والمهدي له مثلها والله أعلم.

(فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار، وللمزور الانتفاع بدعائه. فلا ينبغي أن

أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به. وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور في قلبه الميت كيف تفرّقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره؟ وأنه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال: كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب تصلي وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور، فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها المقابر فقالت: إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى، وإني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأكفان الدسمة، فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للأنفس وأشد تلفها للأبدان، بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز، حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له: يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان. وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم، ونتأ البطن فعلا الصدر وخرج

يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت) وهل يقدم الدعاء لنفسه ثم للميت أو بالعكس؟ الظاهر الثاني إذ الدعاء للميت مستجاب لا محالة قياساً على دعاء الغائب، ثم يكون الدعاء لنفسه، فهو أجرى أن يستجاب نظراً لكرم الله تعالى وسعة فضله، (و) لا يغفل أيضاً **(عن الاعتبار به، وإنما يحصل الاعتبار بأن يصوّر في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه)** بعد أن كانت مجموعة، **(وكيف يبعث عن قبره)** بعد ذلك التفرق **(وأنه على القرب سيلحق به)**. فتصوير هذه الثلاثة من أعظم ما يعتبر به الزائر من الميت وفي أثناء ذلك تصويرات كثيرة لا تحصى، **(كما روي عن مطرف بن أبي بكر الهذلي)** رحمه الله **(قال: كانت عجوز في)** بني **(عبد القيس متعبدة)** أي كثيرة العبادة **(فكان إذا جاء الليل تحزمت)** أي شدت حزامها لتستعين به على القيام **(ثم قامت إلى المحراب تصلي)** عامة الليل، **(وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور، فتكون عامة النهار)** هناك، **(فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها المقابر فقالت: إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى)** أي النظر إليها، **(وإني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأكفان الدسمة، فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للأنفس وأشد تلفها للأبدان)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته)** وتبدل حليته عما كان عليها **(لكثرة الجهد والعبادة فقال له: يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين، وتقلصت الشفتان على الأسنان)** أي يبستا، **(وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن)** أي

الصلب من الدبر وخرج للدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن.

ويستحب الثناء على الميت أن لا يـذكر إلا بالجميل. قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه»، وقال ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»، وقال ﷺ: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم

ارتفع (**فعلا على الصدر، وخرج الصلب من الدبر، وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. وروى أبو نعيم في الحلية نحواً منه من طريق أبي حازم الخناصري الأسدي قال: قدمت دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة والناس رائحون إلى الجمعة ثم ساق الحديث وفيه: فلما أن بصر بي عرفني فناداني يا أبا حازم إليَّ مقبلاً فدنوت من المحراب، فلما أن صلى بالناس التفت إليَّ فقلت له: تـالله لقـد كنـت عنـدنـا بالأمس بخناصرة أميراً لعبد الملك بن مروان وكان وجهك وضيئاً وثوبك نقياً ومركبك وطيئاً وطعامك شهياً وحرسك شديداً، فما الذي غيرك وأنت أمير المؤمنين؟ فقال لي: يا أبا حازم أناشدك الله إلا حدثتني الحديث الذي حدثتني بخناصرة! قلت له: نعـم سمعـت أبـا هـريـرة رضي الله عنـه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بين أيديكم عقبة كؤداً لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول». قال أبو حازم: فبكى أمير المؤمنين بكاء عالياً حتى علا نحيبه ثم قال: يا أبا حازم افتلومني أن أضمر نفسي لتلك العقبة لعلّي أن أنجو منها وما أظنني منها بناج؟

(**ويستحب الثناء على الميت أن لا يذكر إلا بالجميل. قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات صاحبكم**) أي المؤمن الذي كنتم تصاحبونه لقرابة أو صهارة أو جوار أو صداقة أو نحو ذلك (**فدعوه**) أي اتركوه من الكلام فيه بما يؤذيه لو كان حياً (**ولا تقعوا فيه»**) أي لا تتكلموا في عرضه بسوء ولا بشيء من أخلاقه الذميمة، فغيبة الميت أفظع من غيبة الحي لأنه يرجى استحلاله بخلافه وتخصيص الصاحب للاهتمام، وبيان أنه بذلك أحرى وإلاّ فالكف عن مساوىء الأموات مطلقاً مطلوب. قال العراقي: رواه أبو داود بإسناد جيد اهـ.

قلت: يوجد في بعض نسخ المتن بدون «واو».

(**وقال ﷺ: «لا تسبوا الأموات**) أي المسلمين كما دل عليه لام العهد فالكفار سبهم قربة (**فإنهم أفضوا**) أي وصلوا (**إلى ما قدموا»**) من خير وشر والله هو المجازي إن شاء عفا وإن شاء عذب فلا فائدة في سبهم، ويستثنى منه ما فيه مصلحة شريعة كسب أهل البدع والفسقة للتحذير من الاقتداء بهم وكجرح المجروح من الرواة حياً وميتاً لابتناء أحكام الشرع على بيان حالاتهم. قال العراقي: رواه البخاري من حديث عائشة اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والنسائي، ورواه ابن النجار بلفظ: «إلى ما كسبوا».

(**وقال ﷺ: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن**

فيه »، وقال أنس بن مالك: مرت جنازة على رسول الله ﷺ فأثنوا عليها شراً فقال عليه السلام: « وجبت » ومرّوا بأخرى فأثنوا عليها خيراً فقال رسول الله ﷺ: « وجبت » فسأله عمر عن ذلك فقال: « إن هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار! وأنتم شهداء الله في الأرض ». وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « إن العبد ليموت فيثني القوم عليه الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته أشهدكم أني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي ».

يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا بإسناد ضعيف من حديث عائشة، وهو عند النسائي من حديثها بإسناد جيد مقتصراً على الجملة الأولى بلفظ: « هلكاكم » وذكره بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعلمه علامة النسائي والطبراني اهـ.

قلت وروى النسائي أيضاً عن صفية بنت شيبة قالت: ذكر عند النبي ﷺ هالك بسوء فقال: « لا تذكروا هلكاكم إلا بخير » وفي الباب عن عمر بن الخطاب رفعه: « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم » رواه أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا، وروى الديلمي من حديث عائشة « الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته ».

(وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه: **(مرت جنازة على رسول الله ﷺ فاثنوا عليه شراً فقال)** ﷺ: **(« وجبت » ومروا بأخرى فاثنوا عليها خيراً فقال: « وجبت » فسأله عمر)** رضي الله عنه **(عن ذلك فقال: « إن هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار! وأنتم شهداء الله في الأرض »)** قال العراقي: متفق عليه.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي وأحمد والنسائي ولفظهم جميعاً « من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض » وروى الطبراني من حديث سلمة بن الأكوع « أنتم شهداء الله في الأرض والملائكة شهداء الله في السماء ».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ: « إن العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره، فيقول الله تعالى لملائكته: أشهدكم أني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي منه »)** قال العراقي: رواه أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل « ما من عبد مسلم يموت فتشهد ثلاثة أبيات من جيرانه الأدنين بخير إلا قال الله عز وجل: قد قبلت شهادة عبادي على ما علموا وغفرت له ما أعلم ». اهـ.

قلت: رواه ابن النجار بلفظ: « إذا مات المؤمن وقال رجلان من جيرانه: ما علمنا إلا خيراً وهو في علم الله غير ذلك. قال الله تعالى لملائكته: « اقبلوا شهادة عبديّ في عبدي وتجاوزوا عن علمي فيه ».

الباب السابع
في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر
إلى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت:

اعلم أن للناس في حقيقة الموت ظنوناً كاذبة قد أخطأوا فيها .

فظن بعضهم : أن الموت هو العدم ، وإنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر ، وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات . وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر .

الباب السابع

في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور

(اعلم) بصرك الله تعالى **(أن للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة)** وآراء مختلفة **(قد أخطأوا فيها)** .

(فظن بعضهم : أن الموت هو العدم) المحض **(وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر ، وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات ، وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر)** ، وهم طوائف من العرب الذين انكروا الإحياء والإعادة بعد الموت ، وهم الذين أخبر الله عنهم أنهم قالوا : ﴿أئذامتنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون★ أو آباؤنا الأولون﴾ [الصافات : ١٦ ، ١٧] ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ [المؤمنين : ٨٣] وقال في بعض هذه الطائفة ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ [يس : ٧٨] الآية . وهؤلاء من العرب في الجاهلية غير من مال منهم إلى النصرانية فتنصر من عرب الشام من قضاعة وغسان وبعض ربيعة ، وغير من تهوّد منهم من ملوك حمير وبني كنانة وبني كندة ، وغير من تمجس منهم لقربهم من الفرس كبني زرارة بن عدس ، ومنهم من غلاة الإمامية المنصورية أصحاب منصور العجلي كفروا بالقيامة وبالإحياء بعد الموت واستحلوا المحارم والمحرمات ، ومنهم المعمرية صنف من الخطابية زعموا أن الدنيا لا تفنى وانكروا الإعادة والإحياء بعد الموت .

وظن قوم: أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر.

وقال آخرون: إن الروح باقية لا تنعدم بالموت، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد، وإن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلاً.

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق. بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما

(وظن قوم: أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر) وهو مذهب الجهمية والخوارج قالوا: إحياء الأموات لا يكون إلا في القيامة وينكرون عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، وإلى هذا القول ذهب ضرار وبشر المريسي والنجارية. وقال ضرار: إن منكراً هو العمل السيء ونكيراً هو النكير من الله عز وجل على صاحب الفعل المنكر، ويقرب من ذلك قول من زعم من المعتزلة: إن إحياء الأموات ورد أهل القبور إنما يكون بين النفختين لأن الله عز وجل قال: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ [الزمر: ٦٨] قالوا: فجائز أن يكونوا معذبين بين النفختين، وأن يكونوا منعمين بينهما وهذا قول أبي الهذيل وبشر بن المعتمر واتباعهما من القدرية. ومنهم من شك في وقت الإحياء بعد الموت وقبل القيامة وقال: يجوز أن يكون إحياء الميت بعد دخول القبر، ويجوز أن يكون بعده ولم يقطعوا على وقته وهذا قول الجبائي وأتباعه من القدرية.

(وقال آخرون: إن الروح باقية لا تنعدم بالموت، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وأن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلاً) والقائلون بهذا أصناف: منهم من قال: إن الاحياء يكون في القيامة دون القبر إلا أن عذاب القبر لأهل العذاب صحيح ثابت على الوجه الذي يشعر به الميت وهو ميت، وشبه الميت في ذلك بالنائم والمغلوب على عقله وهذا القول حكاه الكعبي عن غسان القاضي. قال أبو منصور التميمي: وغلط الحاكي عنه فإن غساناً كان من أصحابنا، وقوله في هذه المسألة كقولنا، وإنما يصح هذا القول على مذاهب الكرامية الذي زعموا أن الميت يصح أن يكون فيه علم بالألم وغيره، ولا أعلم أحداً قال بمثل هذا من أصحاب الحديث إلا محمد بن جرير الطبري. ومنهم من زعم أن الإحياء يكون في القيامة وأن الميت في قبره قد يحدث الله فيه الألم وهو لا يشعر فإذا حشر وجد ذلك الألم في وقته الذي حشر فيه، وشبهوه بسكران نام في الشمس فأثرت فيه وهو لا يشعر بذلك، فإذا أفاق وجد ألم ذلك في نفسه، وكذلك المغشي عليه إذا ضرب في حال الغشي.

(وكل هذه ظنون فاسدة) وآراء **(مائلة عن الحق، بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط)** وانتقال من دار إلى دار وليس بعدم

معذبة وإما منعمة ، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها ، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب ، والقلب ههنا عبارة عن الروح ، والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة. ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء . فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد ، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن

محض ولا فناء صرف ، **(وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة)** وهذا قول أهل السنة والجماعة وفقهاء الحجاز والعراق ومتكلمي الصفاتية ، **(ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها ، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها تبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب ، والقلب ههنا عبارة عن الروح ، والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ، وكذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد ، ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد)** .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : في كل جسد روحان إحداهما روح اليقظة التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظاً ، فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان ورأت تلك الروح المنامات ، والأخرى روح الحياة التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان حياً فإن فارقته مات فإذا رجعت إليه حيي . وهاتان الروحان في باطن الإنسان لا يعرف مقرهما إلا من أطلعه الله على ذلك ، فهما كجنينين في بطن امرأة واحدة . وقال بعض المتكلمين : الذي يظهر أن الروح بقرب القلب قال ابن عبد السلام : ولا يبعد عندي أن تكون الروح في القلب . قال : ويدل على روح الحياة قوله تعالى : ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ [الزمر : ٤٢] الآية . تقديره يتوفى الأنفس التي لم تمت أجسادها في منامها ، فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت عنده ولا يرسلها إلى أجسادها ، ويرسل الأنفس الأخرى وهي أنفس اليقظة إلى أجسادها إلى انقضاء أجل مسمى وهو أجل الموت ، فحينئذ تقبض أرواح الحياة اليقظة جميعاً من الأجساد ، ولا تموت أرواح الحياة بل ترفع إلى السماء حية فتطرد أرواح الكافرين ولا تفتح لها أبواب السماء وتفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين إلى أن تعرض على رب العالمين ، فيالها من عرضة ما أشرفها اهـ .

قال السيوطي في شرح الصدور : وما ذكره من أن الروح في القلب قد جزم به الغزالي في كتابه الانتصار ، وقد ظفرت له بحديث . أخرج ابن عساكر في تاريخه عن الزهري أن خزيمة بن حكيم السلمي ثم البهزي قدم على النبي ﷺ يوم فتح مكة فقال : يا رسول الله أخبرني عن ظلمة الليل وضوء النهار ، وحر الماء في الشتاء وبرده في الصيف ، ومخرج السحاب ، وعن قرار ماء الرجل وماء المرأة ،

تعاد الروح إلى الجسد ، ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ، ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث . والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده . وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها ، فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها ، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها . وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها ، وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح . ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم

وعن موضع النفس من الجسد فذكر الحديث إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ : « وأما موضع النفس ففي القلب والقلب معلق بالنياط والنياط يسقي العروق فإذا هلك القلب انقطع العرق » الحديث بطوله وهذا مرسل . وله طرق أخرى مرسلة وموصلة في المعجم الأوسط للطبراني ، وتفسير ابن مردويه وكتاب الصحابة لابي موسى المديني وابن شاهين قال ابن حجر في الإصابة . والحديث فيه غريب كثير وإسناده ضعيف جداً انتهى .

قلت : قال في الإصابة في ترجمته رواه ابن مردويه في التفسير من طريق أبي عمران الجوني ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر أن خزيمة بن ثابت وليس بالأنصاري سأل النبي ﷺ عن البلد الأمين فقال : « مكة » . رواه الطبراني في الأوسط من هذا الوجه مطوّلاً جداً وقال : لم يروه عن ابن جريج إلا أبو عمران . قال أبو موسى : رواه أبو معشر ، وعبيد بن حكيم عن ابن جريج عن الزهري مرسلاً ، لكن قال خزيمة بن حكيم السليمي وكذا سماه ابن شاهين من طريق يزيد بن عياض عن الزهري فذكره مطوّلاً في نحو ورقتين وفيه غريب كثير وإسناده ضعيف جداً مع انقطاعه . وروينا في تاريخ ابن عساكر من طريق عبيد بن حكيم عن ابن جريج مطوّلاً كذلك ، وروي عن منصور بن المعتمر عن قبيصة عن خزيمة بن حكيم أيضاً .

(**ولا يبعد أن تعاد إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث**) من القبر (**والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده**) . وأهل السنة اثبتوا الإحياء في كل من الحالين ، وأما بين النفختين فهو حال خمود وهمود يموت الخلق بينهما من غير أن يكون بينهما حي سوى الملك الإله الواحد القهار ، والدليل على الإحياء في القبر مبني على صحة ما ورد به الخبر ونزل عليه القرآن من عذاب القبر لأن العذاب والألم لا يصح إلا لحي . (**وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها ، فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها ، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها . وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها ، وأعني بالروح: المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح . ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها**

والإدراكات، ولا بطل منها الأفراح والغموم، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات. والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت ـ أي لا ينعدم ـ ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة. فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان. نفسه وروحه وهي باقية.

نعم تغير حاله من جهتين:

الافراح والغموم، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات. والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت أي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة. فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهي باقية) .

قال السيوطي في شرح الصدور: ذهب أهل الملل من المسلمين وغيرهم إلى أن الروح تبقى بعد موت البدن، وخالف فيه الفلاسفة دليلنا ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [العنكبوت: ٥٧] والذائق لا بد أن يبقى بعد المذوق، وعلى هذا فهل يحصل لها فناء ثم تعاد توفية بظاهر قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمن: ٢٦] أو لا بل تكون من المستثنى في قوله: ﴿إلا من شاء الله﴾ [الزمر: ٦٨] قولان حكاهما السبكي في تفسيره المسمى بالدر النظيم وقال الأقرب أنها لا تفنى وأنها من المستثنى كما قيل في الحور العين انتهى.

وفي كتاب الروح لابن القيم: اختلف في أن الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده على قولين، والصواب أنه إن أريد بذوقها الموت مفارقتها للجسد، فنعم هي ذائقة الموت بهذا المعنى، وإن أريد أنها تعدم فلا بل هي باقية بعد خلقها بالإجماع في نعيم أو عذاب انتهى.

وقد أخرج ابن عساكر عن محمد بن وضاح أحد أئمة المالكية قال: سمعت سحنون بن سعيد وذكر له عن رجل يذهب إلى أن الأرواح تموت بموت الأجساد فقال: معاذ الله! هذا قول أهل البدع، وقد قال بهذا القول جماعة من فقهاء الأندلس قديماً منهم عبد الأعلى بن وهب بن محمد بن عمرو بن لبابة ومن متأخريهم كالسهيلي وابن العربي، وقد اشتد نكير العلماء لهذه المقالة، والنصوص الكثيرة الدالة على بقاء الأرواح بعد تفارقها للأبدان ترد ذلك وتبطله. وأما ما أخرجه ابن السني عن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان إذا دخل المقابر قال: «السلام عليكم أيتها الأرواح الفانية والأبدان البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي مؤمنة. اللهم أدخل عليهم روحاً منك وسلاماً» فإنه مع ضعف سنده مؤوّل بأن المراد بفناء الأرواح ذهابها من الأجساد المشاهدة.

(نعم تغير حاله من جهتين) .

إحداهما : أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورِجله وجميع أعضائه ، وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه ، وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ، ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء ، فإن المؤلم هو الفراق ، والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسبى الرجل عن الملك والمال والألم واحد في الحالتين . وإنما معنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم ، فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته ، بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به ، وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل ، إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله . فهذا أحد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة .

والثانية : أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفاً له في الحياة ، كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفاً في النوم . والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، وأول ما ينكشف له

(إحداهما : أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه ، وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه ، وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ، ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء ، فإن المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بسبي الرجل عن المال والألم واحد في الحالين . وإنما معنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته ، بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به ، وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه الشواغل والعوائق ، إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله) ومانعة من الأنس به . **(فهذا أحد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة) .**

(والثانية : أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفاً له) قبل **(في الحياة ، كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوف في النوم . والناس)** كما قيل **(نيام فإذا ماتوا انتبهوا)** روي ذلك من قول علي رضي الله عنه كما سبق الكلام عليه مراراً . وانكشاف الأحوال لهم عند الموت دل عليه قول عمر رضي الله عنه : احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله فإنهم يرون ويقال لهم . وفي رواية : واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم فإنه يخيل لهم أمور صادقة وقد تقدم . **(وأول**

ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته، وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا، فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسراً يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة، وعند ذلك يقال له: « ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [الإسراء: ١٤] وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن، وتشتعل فيه نيران الفراق أعني فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة، فإن من طلب الزاد للبلغة فإذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه. وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه، فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه. وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن.

ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه، ويكون

ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته) فيفرح ويحزن، **(وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوي في سر قلبه، وكان يشغله من الاطلاع عليه شواغل الدنيا)** وعلائقها، **(فإذا انقطعت الشواغل)** وبطلت العوائق **(انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسراً يؤثر)** أي يختار **(أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة)** فلا يمكنه ذلك، **(وعند ذلك يقال له: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾)** وقد روى الديلمي من حديث جابر: إذا حضر الإنسان الوفاة جمع له كل شيء يمنعه عن الحق فيجعل بين عينيه فعند ذلك يقول: ﴿رب ارجعون* لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] **(وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق أعني فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة)** أي القدر الذي يتبلغ به إلى أعمال الآخرة، **(فإن من طلب الزاد للبلغة)** أي المقصد، **(فإذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد بعينه)** بل لأجل التبلغ، **(وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة)** الداعية، **(وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغني عنه)** كما روي عن مالك بن دينار أنه كان يأخذ الحصاة من المسجد فيقول: لوددت أن هذه أجدتني في الدنيا ما عشت لا أزيد على مصّها من الطعام والشراب وكان يقول: لو صلح لي أن آكل الرماد لأكلته، ولو صلح إلى أن أعمد إلى بردي فاقطعه باثنين فاتزر بقطعة وأتردى بقطعة لفعلت. رواه أبو نعيم في الحلية من طريق يوسف بن عطية السفار. وروي عنه أيضاً أنه قال: خلطت دقيقي بالرماد فضعفت عن الصلاة ولو قويت على الصلاة ما أكلت غيره. رواه أبو نعيم من طريق يعلى الوراق. **(فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه. فهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه)** عند انقطاع النفس **(قبل الدفن)**.

(ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد) كما هو مذهب أهل السنة والجماعة **(لنوع آخر**

حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك يتساهل في داره وملكه وحريمه اعتماداً على أن الملك أمره أو على أن الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح أفعاله، فأخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة، والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه في العصاة عليه. فانظر إلى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم. فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به، بل عند موته نعوذ بالله منه، فإن الخزي والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما.

فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين، وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنَّة، نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة، ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها، ولا أن يزيد

من العذاب، وقد يعفى عنه) فإن أدركه الفضل، **(ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتماداً على أن الملك يتساهل في أمره)** فلا يؤاخذه **(أو)** اعتماداً **(على أن الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح أفعاله، فأخذه الملك بغتة)** من غير ترقب، **(وعرض عليه جريدة)** وهي شبه الدفتر **(قد دونت)** أي حررت وجمعت **(فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة، والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه في العصاة عليه، فانظر إلى حال هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم. فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته. نعوذ بالله منه، فإن الخزي والإفتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما، فإن كلاً من الضرب والقطع يرجى برء ألمه وهتك الستر والفضوح لا برء له، وإليه يشير الخبر: فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة.**

(فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنه أقوى من مشاهدة العين، وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة. نعم كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة، ومعرفة الحياة) منوطة **(بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها، ولا أن**

على أن يقول: «الروح من أمر ربي»، فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وأن اطلع عليه، وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت.

ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة.

أما الآيات: فما ورد في الشهداء إذ قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذينَ قُتلوا في سَبيلِ اللهِ

يزيد على أن يقول: «الروح من أمر ربي») روى الشيخان من حديث ابن مسعود قال: كنت مع النبي ﷺ في خرب المدينة وهو متكىء على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح. فقال بعضهم: لا تسألوه فسألوه فقالوا: يا محمد ما الروح؟ فما زال متوكئاً على العسيب فظننت أنه يوحى إليه فقال: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] وقد تقدم. وأخرج ابن جرير بسند مرسل أن الآية لما نزلت قالت اليهود: هكذا نجده عندنا. وقد اختلف الناس في الروح على فرقتين:

فرقة أمسكت عن الكلام فيها لأنها سر من أسرار الله تعالى لم يؤت علمه البشر. وهذه الطريقة هي المختارة. قال الجنيد: الروح شيء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف. وقد ثبت عن ابن عباس أنه كان لا يفسر الروح، فأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: سئل ابن عباس عن الروح قال: الروح من أمر ربي لا تنالوا هذه المسألة فلا تزيدوا عليها قولوا كما قال الله وعلم نبيه ﴿ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قال السيوطي: مسألة أبهمها الله في القرآن والتوراة وكتم عن خلقه علمها من أين للمتعمقين الاطلاع على حقيقة أمرها. وقد نقل ابن القاسم السعدي في الإفصاح أن أماثل الفلاسفة أيضاً توقفوا عن الكلام فيها وقالوا: هذا أمر غير محسوس لنا ولا سبيل للعقول إليه. قال: ووقوف علمنا عن إدراك حقيقة الروح كوقوفه عن إدراك سر القدر. قال ابن بطال: الحكمة في ذلك تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه. قال القرطبي: حكمته إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق سبحانه وتعالى من باب الأولى.

وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها. قال النووي: وأصح ما قيل في ذلك قول إمام الحرمين إنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر. **(فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه)**، وقد اختلف أهل الطريقة الأولى هل علمها النبي ﷺ، فروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبدالله بن بريدة قال: لقد قبض النبي ﷺ وما يعلم الروح. وقالت طائفة: بل علمها وأطلعه الله عليها ولم يأمره أن يطلع عليها أمته وهو نظير الخلاف في علم الساعة، **(وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت)**.

(ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار).

(أما الآيات فما ورد في) حق **(الشهداء)** وهم المقتولون في المعركة **(إذ قال تعالى: ﴿ولا**

أمواتاً بل أحياءٌ عند ربِّهم يُرزَقُون ★ فرحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠]، ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله ﷺ فقال: « يا فلان يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً » فقيل: يا رسول الله أتناديهم وهم أموات؟ فقال ﷺ: « والذي نفسي بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب »، فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفتها. والآية

تحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ و) أما الأخبار؟ فقد روي أنه **(لما قتل صناديد قريش)** أي رؤساؤهم **(يوم بدر)** في الوقعة الكبرى وأمر بهم فسحبوا إلى قليب هناك **(ناداهم رسول الله ﷺ)** بعد أن وقف على شفير القليب **(فقال « يا فلان يا فلان)** وسماهم بأسمائهم **(قد وجدت ما وعدني ربي حقاً)** من النصرة **(فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً)** من الخزي والقتل » **(فقيل: يا رسول الله أتناديهم وهم أموات)؟** القائل لذلك عمر بن الخطاب. **(فقال ﷺ: « والذي نفسي بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب انتهى.

قلت: وروى الطبراني من حديث أنس قال: أنشأ رسول الله ﷺ يحدثنا عن أهل بدر يقول: « هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى » قال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأ الحدود التي حدها ﷺ حتى انتهى إليهم،فقال: « يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً » وفي رواية فنادى « يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام » وفي بعضه نظر، فقد روى عروة بن الزبير من حديث عائشة قالت: أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة، لكن يجمع بينهما بأنه كان قريباً من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة رؤسائهم. وقال ابن إسحاق: حدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قال: « يا أهل القليب بئس العشيرة كنتم كذبتموني وصدقني الناس » فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً » وفي رواية أتخاطب قوماً قد جيفوا.

(فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفتها). وقال قتادة: أحياهم الله تعالى توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنما أراد النبي ﷺ أنهم الآن ليعلمون أن الذي أقول لهم الحق ثم قرأت ﴿أنك لا تسمع الموتى﴾ [النمل: ٨٠] الآية. فهذا فيه الإنكار وأجيب بأنه روي أنه رجعت عن ذلك لما روى أحمد من حديثها أنها قالت: ما أنتم أسمع لما أقول منهم وهو في المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد. وقال الإسماعيلي: الجمع بينهما ممكن لأن قوله تعالى ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ لا ينافي قوله ﷺ

نص في أرواح الشهداء. ولا يخلو الميت عن سعادة أو شقاوة. وقال ﷺ: «القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة»، وهذا نص صريح على أن الموت معناه تغير حال فقط، وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر، وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله.

وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته»،

«إنهم الآن يسمعون» لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت النبي ﷺ، فإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين إما بآذان رؤوسهم إذا قلنا إن الروح تعاد إلى الجسد أو إلى بعضه عند المسألة وهو قول أكثر أهل السنة. وإما بآذان القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجيه السؤال إلى الروح من غير رجوع إلى الجسد أو إلى بعضه. قال: وقد روي عن عائشة أنها احتجت بقوله تعالى ﴿وما نت بمسمع من في القبور﴾ [فاطر: ٢٢] الآية. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي﴾ [الزخرف: ٤٠] أي أن الله هو الذي يهدي ويوقف ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب لا أنت، فإذا لا تعلق بالآية من وجهين: أحدهما: أنها إنما نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان. الثاني: أنه إنما نفي عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم وصدق الله فإنه لا يسمعهم إذا شاء إلا هو يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير انتهى.

(**والآية**) المذكورة (**نص في**) بقاء (**أرواح الشهداء**) قال ابن عباس: نزلت في قتلى أحد أستشهد منهم سبعون رجلاً أربعة من المهاجرين وسائرهم من الأنصار. رواه الحاكم وصححه «جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش». رواه أحمد وأبو داود والبيهقي في الدلائل وابن جرير وابن المنذر.

(**ولا يخلو الميت من سعادة أو شقاوة. وقال ﷺ «القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة»**) رواه الترمذي والطبراني من حديث أبي سعيد لكن بتقديم الجملة الثانية على الأولى. ورواه الطبراني أيضاً من حديث أبي هريرة وسندهما ضعيف. رواه البيهقي في كتاب عذاب القبر من حديث ابن عمر بلفظ «القبر حفرة من حفر جهنم» والباقي سواء. وقد تقدم في كتاب الرجاء والخوف. (**وهذا نص صريح في أن الموت معناه تغير حال فقط، وأن ما سيكون من شقاء الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر، وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله**)

(**وروى أنس**) رضي الله عنه، (**عن النبي ﷺ أنه قال: «الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته»**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت بإسناد ضعيف وقد تقدم، ورواه الديلمي وابن لال في مكارم الأخلاق بلفظ «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته» وقد تقدم في «أكثروا

وقال ﷺ: « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ويقال: هذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة ». وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال. وعن أبي قيس قال: كنا مع علقمة في جنازة فقال: أما هذا فقد قامت قيامته. وقال علي كرّم

ذكر هادم اللذات ». وروى الطبراني من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: يقولون القيامة القيامة وإنما قيامة الرجل موته.

(**وقال ﷺ « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار »**) قال العراقي متفق عليه من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وكذلك رواه الترمذي وابن ماجه وتمامه عندهم: « يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة » وفي لفظ لهم « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة ». ورواه كذلك أيضاً الطيالسي وأحمد والنسائي وأبو يعلى والطبراني، فالبخاري والنسائي روياه من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر ومن طريق الليث عن نافع، والترمذي وابن ماجه من طريق عبيدالله بن عمر عن نافع، ومسلم من طريق الزهري عن سالم عن ابن عمر، وأبو يعلى والطيالسي من طريق جويرية عن نافع عن ابن عمر والطبراني من طريق يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر. ورواه هناد في الزهد بلفظ « إن الرجل ليعرض عليه مقعده من الجنة والنار غدوة وعشية في قبره » ورواه اللالكائي في السنة بلفظ « ما من عبد يموت إلا ويعرض روحه » والباقي سواء. وروى ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ [غافر: ٤٦] قال: فهم اليوم يغدى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة.

(**وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال**) قال القرطبي: قيل هذا العرض مخصوص بالمؤمن الذي لا يعذب، وقيل: لا، ويحتمل أن المؤمن الذي يعذب يرى مقعديه جميعاً في وقتين أو في وقت واحد، قيل: هذا العرض إنما هو على الروح وحدها، ويجوز أن يكون عليها مع جزء من البدن، ويجوز أن يكون عليها مع جميع الجسد فترد إليه الروح كما ترد عند المسألة اهـ.

(**وعن أبي قيس**) عبد الرحمن بن ثابت مولى عمرو بن العاص مات قديماً سنة أربع وخمسين روى له الجماعة (**قال: كنا مع علقمة**) بن قيس بن عبدالله النخعي الكوفي مات بعد الستين روى له الجماعة (**في جنازة فقال: أما هذا فقد قامت قيامته**) رواه الطبراني من طريق سفيان عن أبي قيس قال: شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال: أما هذا فقد قامت قيامته.

الله وجهه: حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار. وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «من مات مريضاً مات شهيداً ووقي فتانات القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة»، وقال مسروق: ما غبطت أحداً ما

(وقال علي كرم الله وجهه: حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم) أنها (من أهل الجنة هي أم من أهل النار) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية رجل لم يسم عن علي موقوفاً، وكذلك رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وفي رواية: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى تعلم إلى أين مصيرها إلى الجنة أم إلى النار، وتقدم للمصنف بلفظ: لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ «من مات مريضاً مات شهيداً ووقي فتاني القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة») قال العراقي: رواه ابن ماجه بسند ضعيف وقال فيه القبور وقال ابن أبي الدنيا فتان اهـ.

قلت: وفي لفظ لابن ماجه فتنة القبر، وهكذا رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب. قال القرطبي هذا عام في جميع الأمراض لكن يقيد بالحديث الآخر من قتله بطنه لم يعذب في قبره. وقال النسائي وغيره: المراد به الاستسقاء، وقيل: الإسهال، والحكمة في ذلك أنه يموت حاضر العقل عارفاً بالله تعالى، فلم يحتج إلى إعادة السؤال عليه بخلاف من يموت بسائر الأمراض فإنهم تغيب عقولهم. قال السيوطي في شرح الصدور: لا حاجة إلى شيء من هذا التقييد، فإن الحديث غلط فيه الراوي باتفاق الحفاظ، وإنما هو من مات مرابطاً لا من مات مريضاً، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات لأجل ذلك اهـ.

قلت: وقد رواه ابن ماجه أيضاً بهذا اللفظ «من مات مرابطاً في سبيل الله أجري عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع» ورواه أحمد بلفظ «من مات مرابطاً وقي فتنة القبر وأومن من الفزع الأكبر وغدي عليه وريح برزقه من الجنة وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة». وروى نحوه الحكيم من حديث سلمان «من مات مرابطاً في سبيل الله أجير من فتنة القبر وجرى عليه صالح عمله الذي كان يعمل إلى يوم القيامة». ورواه البغوي وابن حبان وابن عساكر بلفظ «من مات مرابطاً في سبيل الله أمن من عذاب القبر ونمي له أجره إلى يوم القيامة». وروى مسلم من حديث سلمان «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان». وروى الترمذي وصححه من حديث فضالة بن عبيد «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر». وأخرجه أبو داود بلفظ «ويؤمن من فتاني القبر» وروى أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه يجري عليه أجر عمله حتى يبعثه الله ويؤمن من فتاني القبر».

غبطت مؤمناً في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله. وقال يعلى بن الوليد: كنت أمشي يوماً مع أبي الدرداء فقلت له: ما تحب لمن تحب؟ قال: الموت، قلت: فإن لم يمت؟ قال: يقل ماله وولده وإنما أحب الموت لأنه لا يحبه إلا المؤمن، والموت إطلاق المؤمن من السجن. وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للأنس بالدنيا، والأنس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاء. فكل ما سوى الله وذكره والأنس به

وروى البزار من حديث عثمان «من مات مرابطاً في سبيل الله أجري عليه أجر عمله الصالح وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله تعالى آمناً من الفزع الأكبر» وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري «من توفي مرابطاً وقي فتنة القبر وأجري عليه رزقه». فهذه الأحاديث التي سردناها دالة على أن الصواب من الحديث المتقدم: من مات مرابطاً لا مريضاً.

(وقال مسروق) بن الأجدع الهمداني التابعي الثقة اسمه عبد الرحمٰن: **(ما غبطت أحداً ما غبطت مؤمناً في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن من عذاب الله)** رواه ابن المبارك في الزهد، وابن أبي الدنيا في الموت وهذا لفظ الأخير، ولفظ ابن المبارك: ما غبطت شيئاً بشيء كمؤمن في لحده قد أمن من عذاب الله واستراح من أذى الدنيا. ورواه ابن أبي شيبة عن وكيع عن مسعر عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن مسروق قال: ما من شيء خير للمرء من لحد قد استراح فيه من هموم الدنيا وأمن من عذاب الله. هكذا رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه، وفي رواية: ما من شيء خير للمؤمن، وقد روي نحو هذا القول عن عمر بن عبد العزيز رواه أبو نعيم في الحلية، وعن أبي عطية المذبوح رواه ابن المبارك في الزهد ولفظه: أنا أخبركم عمن هو أنعم منه جسد في لحد أمن من العذاب، وقد تقدم شيء من ذلك في فضل الموت.

(وقال يعلى بن الوليد: كنت أمشي يوماً مع أبي الدرداء) رضي الله عنه **(فقلت له: ما تحب لمن تحب؟ قال: الموت. قلت: فإن لم يمت؟ قال: يقل ماله وولده)**. رواه ابن سعد في الطبقات، وابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد في الزهد. قال ابن أبي شيبة: حدثنا محمد بن فضيل عن الأعمش عن غيلان بن بشر عن يعلى بن الوليد قال: كنت أمشي مع أبي الدرداء قال قلت: يا أبا الدرداء فذكره.

(وإنما أحب الموت لأنه لا يحبه إلا المؤمن، ولذلك كان غنيمته كما في حديث عائشة وتحفته كما في حديث عبدالله بن عمرو، (و) لما كانت الدنيا سجن المؤمن كان **(الموت إطلاق المؤمن من السجن)** وقد روى ابن أبي الدنيا أنه قيل لعبد الأعلى التميمي: ما تشتهي لنفسك ولمن تحب من أهلك؟ قال: الموت. **(وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للأنس بالدنيا والأنس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاء، فكل ما سوى الله وذكره والأنس**

فلا بدّ من فراقه عند الموت لا محالة. ولهذا قال عبدالله بن عمرو: إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات في سجن فأخرج منه فهو يتفسح في الأرض ويتقلب فيها. وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى، وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه؛ فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به أنسه من غير عائق ولا دافع. وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم واللذات. وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله! لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته، فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعاً بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه إلى المبيع، وإن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها وتشوق إليها، فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه وما أقل التفاته إلى ما باعه

به **فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة)**. وقد روى ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت قال: أتمنى لحبيبي أن يقل ماله ويعجل موته. وروى ابن السكن في المعرفة من حديث زرعة بن عبدالله: يحب الإنسان الحياة والموت خير لنفسه، ويحب الإنسان كثرة المال وقلة المال أقل للحساب. وروى أحمد في الزهد من حديث محمود بن لبيد: اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب. **(ولهذا قال عبدالله بن عمرو)** بن العاص رضي الله عنهما: **(إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو)** قال **(روحه)** شك من الراوي **(مثل رجل كان في سجن فأخرج منه فهو يتفسح في الأرض ويتقلب فيها)** رواه ابن المبارك في الزهد بلفظ: الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها. وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا غندر، حدثنا يعلى بن عبيد، عن يحي بن قمطة، عن عبدالله بن عمرو قال: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فإذا مات المؤمن يخلي سربه حيث شاء.

(وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى، وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به أنسه من غير عائق ولا دافع، وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم واللذات وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله).

فقد روى النسائي وابن أبي الدنيا والطبراني من حديث عبادة بن الصامت «ما على الأرض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يحب أن يرجع فيقتل مرة أخرى لما يرى من ثواب الله له». **(لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته، فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعاً بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه إلى المبيع، وإن نظر إلى الآخرة فقد**

إذا فارقه! وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الأحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير، والقتال سبب للموت فكان سبباً لإدراك الموت على مثل هذه الحالة. فلهذا عظم النعيم، إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان ما يريده، قال الله تعالى: ﴿ولهُم مَا يَشتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] فكان هذا أجمع عبارة لمعاني لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى: ﴿وحِيلَ بَيْنَهُم وبينَ مَا يَشتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم. وهذا النعيم يدركه الشهيد ـ كما انقطع نفسه ـ من غير تأخير. وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين. وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه، وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر: « ألا أبشرك يا جابر » وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال: بلى بشرك الله بالخير فقال: « الله عز وجل قد أحيا أباك وأقعده بين

اشتراها وتشوق إليها، فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه وما أقل التفاته إلى ما باعه إذا **فارقه! وتجرد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الأحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير، والقتال سبب الموت، فكان سبباً لإدراك الموت على مثل هذه الحالة)** وقد روى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي المخارق عن عبدالله بن عمرو قال: ألا أخبركم بأفضل الشهداء عند الله منزلة يوم القيامة الذين يلقون العدو وهم في الصف الأول فإذا واجهوا عدوهم لم يلتفت يميناً ولا شمالاً واضع سيفه على عاتقه يقول: اللهم إني اخترتك اليوم بما أسلفت في الأيام الخالية فيقبل فيقتل على ذلك فذلك من الشهداء الذين يتلبطون في الغرف الأعلى من الجنة حيث شاؤوا.

(فلهذا عظم النعيم إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان ما يريده قال الله تعالى: ﴿ولهم ما يشتهون﴾) كذا في النسخ والتلاوة ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم﴾ [فصلت: ٣١] **(فكان هذا أجمع عبارة لمعاني لذات الجنة، وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان مراده كما قال تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم، وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير، وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين، وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه)** دلالة صريحة أو ضمنية، (و) كذا **(كل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر)** بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، **(« ألا أبشرك يا جابر » ؟ وقد كان استشهد أبوه)** عبدالله ابن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي معدود في أهل العقبة وبدر وكان من النقباء واستشهد بأحد. **(قال: بلى بشرك الله بالخير قال: « إن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه**

يديه وقال تمن علي عبدي ما شئت أعطيكه فقال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق مني أنك إليها لا ترجع». وقال كعب: يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له: لِمَ تبكي وأنت في الجنة؟ قال: أبكي لأني لم أقتل في الله إلا قتلة واحدة! فكنت أشتهي أن أرد فأقتل فيه قتلات.

واعلم أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والمضيق، ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى بستان

فقال: تمن علي عبدي ما شئت أعطيكه. قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى. قال له: إنه قد سبق مني أنك إليها لا ترجع»). قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت بإسناد فيه ضعف، وللترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث جابر «ألا أبشرك بما لقي الله به أباك»؟ قال: بلى يا رسول الله الحديث. وفيه فقال: «يا عبدي تمن علي أعطك. قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب سبحانه: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون». اهـ.

قلت: وكذلك رواه البيهقي في الدلائل، وابن مردويه في التفسير ولفظهم جميعاً عن جابر قال: لقيني النبي ﷺ فقال: «يا جابر مالي أراك منكسراً» قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً وديناً. فقال: «ألا أبشرك بما لقي الله أباك» قلت: بلى قال: ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحاً وقال: يا عبدي تمن علي أعطك. قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب تعالى: قد سبق مني أنهم لا يرجعون قال: أي رب فابلغ من ورائي فأنزل الله هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية».

وأما حديث عائشة فرواه كذلك الحاكم في المستدرك بلفظ «ألا أبشرك؟ أشعرت أن الله أحيا أباك» فساقه سياق ابن أبي الدنيا وصححه، وتعقبه الذهبي. وروى مالك في الموطأ عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمرو بن حرام كانا قد حفر السيل عن قبرهما وكانا في قبر واحد مما يلي السيل فحفر عنهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما وضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك، فأمطيت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان بين الوقتين اثنتا وأربعون سنة.

(وقال كعب) الأحبار رحمه الله تعالى: **(يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له: لم تبكي وأنت في الجنة؟ قال: أبكي إني لم أقتل في الله إلا قتلة واحدة، فكنت أشتهي أن أرد فأقتل فيه قتلات)**. رواه ابن أبي الدنيا في الموت.

(واعلم أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله وعظمته ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والمضيق، ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى

واسع الأكناف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور، فلا يشتهي العود إلى السجن المظلم، وقد ضرب له رسول الله ﷺ مثلاً، فقال لرجل مات: «أصبح هذا مرتحلاً عن الدنيا وتركها لأهلها، فإن كان قد رضي فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه»، فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم. وقال ﷺ: «إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه»، وكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل لرسول الله

بستان واسع الأكناف) بعيد الأقطار **(لا يبلغ طرفه أقصاه، فيه أنواع الأشجار والأزهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود إلى السجن الضيق المظلم)**. وقد نقل ابن القيم في كتاب الروح: إن للنفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها. الأولى بطن الأم وذلك محل الحصر والضيق والظلمات الثلاث. الثانية هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر. الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم ونسبة هذه الدار إليها كنسبة الدار الأولى إلى هذه. الرابعة: التي لا دار بعدها دار القرار الجنة أو النار، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الأخرى اهـ.

(وقد ضرب له رسول الله ﷺ مثلاً فقال لرجل مات: «أصبح هذا مرتحلاً عن الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضي فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلاً ورجاله ثقات اهـ.

قلت: وكذلك عزاه السيوطي في شرح الصدور لابن أبي الدنيا ولفظه: قال عمرو بن دينار إن رجلاً مات فقال رسول الله ﷺ «أصبح هذا مرتحلاً فذكره.

(فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم) وعالم البرزخ داخل في الآخرة. **(وقال ﷺ «إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه، وكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الموت من رواية بقية عن جابر بن غانم السلفي عن سليم بن عامر الخبائري مرسلاً هكذا اهـ.

قلت: بقية بن الوليد الكلاعي من رجال مسلم صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، وجابر بن غانم السلفي بضم السين المهملة وفتح اللام نسبة إلى السلف بطن من الكلاع روى عن سليم بن عامر

ﷺ : إن فلاناً قد مات فقال: « مستريح أو مستراح منه »، أشار بالمستريح إلى المؤمن وبالمستراح منه إلى الفاجر، إذ يستريح أهل الدنيا منه. وقال أبو عمر صاحب السقيا: مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر إلى قبر فإذا جمجمة بادية فأمر رجلاً فواراها ثم قال: إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئاً، وإنما الأرواح التي تعاقب وتثاب إلى يوم

وأسد بن وداعة، وعنه يحيى بن صالح الوحاظي وبقية، وكان ينزل حماه وسليم بن عامر الكلاعي ويقال له الخبائزي بخاء معجمة وموحدة أبو يحيى الحمصي ثقة تابعي روى لـه مسلم والأربعة. قال أبو حاتم في المراسيل: روى عن عوف بن مالك مرسلاً ولم يدرك المقداد بن الأسود ولا عمرو بن عبسة، وأرخوا وفاته سنة ثلاثين ومائة، ومما يقوي هذا المرسل ما رواه الحكيم في نوادره من حديث أنس: « ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلا مثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا ».

(وقيل لرسول الله ﷺ : إن فلاناً قد مات. فقال: « مستريح أو مستراح منه ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي قتادة بلفظ: مر عليه بجنازة فقال ذلك، وهو عند ابن أبي الدنيا في الموت باللفظ الذي أورده المصنف اهـ.

قلت: ورواه كذلك مالك وأحمد وعبد بن حميد والترمذي بلفظ: كنا مع رسول الله ﷺ إذ مرت جنازة فقال: « مستريح أو مستراح منه » الحديث.

(أشار بالمستريح إلى المؤمن وبالمستراح منه إلى الفاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه)، قلت: هو في حديث أبي قتادة عند الشيخين قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: « العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب ». وعند النسائي من حديث أبي قتادة « المؤمن يموت فيستريح من أوصاب الدنيا ونصبها وأذاها والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب » وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن يزيد بن أبي زياد قال: مر بجنازة على أبي جحيفة فقال: استراح واستريح منه.

(وقال أبو عمر صاحب السقيا: مر بنا) عبدالله **(بن عمر)** رضي الله عنه **(ونحن صبيان، فنظر إلى قبر فإذا جمجمة بادية فأمر رجلاً فواراها ثم قال: إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئاً وإنما الأرواح التي تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور أنه نزل ابن عمر إلى جانب قبور قد درست فإذا جمجمة الخ.

ونحو ذلك ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وابن أبي الدنيا في كتاب العزاء عن صفية بنت شيبة قالت: كنت عند أسماء بنت أبي بكر حين صلب الحجاج ابنها عبدالله بن الزبير فأتاها ابن عمر يعزيها فقال: يا هذه اتقي الله واصبري فإن هذه الجثث ليست بشيء وإنما الأرواح عندالله. قالت: وما يمنعني من الصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام إلى بغي من بغايا بني

القيامة. وعن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم. وقال مالك بن أنس: بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت. وقال النعمان بن بشير: سمعت رسول الله ﷺ على

إسرائيل. وروى سعيد بن منصور في سننه أن ابن عمر عزاها فقال: لا تحزني فإن الأرواح عندالله تعالى في السماء وإنما هذه جثة.

وروى ابن سعد في الطبقات عن خالد بن معدان قال: لما انهزمت الروم يوم أجنادين انتهوا إلى موضع لا يعبره إلا إنسان إنسان، فجعلت الروم تقاتل عليه فتقدم هشام بن العاص فقاتلهم حتى قتل، ووقع على تلك الثلمة فسدها، فلما انتهى المسلمون إليها هابوا أن يوطئه الخيل، فقال عمرو بن العاص: إن الله قد استشهده ورفع روحه وإنما هو جثة فأوطأه الخيل ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه. ورواه الواقدي كذلك وزاد، ثم جمعه عمرو بعد ذلك وحمله في نطع فواراه قال السيوطي في شرح الصدور: قال ابن رجب: هذه الآثار لا تدل على أن الأرواح لا تتصل بالأبدان بعد الموت إنما تدل على أن الأجساد لا تتضرر بما ينالها من عذاب الناس لها ومن أكل التراب لها، فإن عذاب القبر ليس من جنس عذاب الدنيا، وإنما هو نوع آخر سيصل إلى الميت بمشيئة الله تعالى.

(وعن عمرو بن دينار) المكي أبو محمد الأثرم الجمحي مولاهم ثقة ثبت مات سنة وعشرين ومائة روى له الجماعة (**قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وأنهم ليغسلونه ويكفنونه وأنه لينظر إليهم**) رواه أبو نعيم في الحلية، وسيذكر قريباً نحوه من حديث أبي سعيد الخدري وغيره، وقد ورد ما يدل أن ذلك للشهيد خاصة. وأخرج ابن منده من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن حيان بن جبلة قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشهيد إذا استشهد انزل الله جسداً كأحسن جسد كان ثم يقال لروحه ادخلي فيه فينظر إلى جسده الأوّل ما يفعل به ويتكلم فيظن أنهم يسمعون كلامه وينظر إليهم فيظن أنهم يرونه حتى تأتيه أزواجه ـ يعني من الحور العين ـ فيذهبن به».

(**وقال مالك بن أنس**) رحمه الله تعالى: (**بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت**). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن خالد بن خداش: سمعت مالك بن أنس يقول ذلك. ورواه ابن منده من طريقه فقال: أخبرنا الحسين بن محمد، أخبرنا محمد بن أحمد عن عمر، أخبرنا ابن أبي الدنيا فذكره ومسألة مستقر أرواح المؤمنين بعد مفارقتها الأجساد مشهورة مختلف فيها وهذا أحد الأقوال. وروي نحو هذا القول عن سلمان رضي الله عنه قال أما المؤمنون فإن أرواحهم في الجنة وهي تذهب حيث شاءت. رواه البيهقي في البعث وفي لفظ: إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت. رواه ابن المبارك في الزهد، وفي لفظ: إن أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردها الله إلى جسدها.

المنبر يقول: « ألا إنه لم يبقَ من الدنيا إلا مثل الذباب يمور في جوها فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم »، وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: « لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور »، ولذلك

(وقال النعمان بن بشير) الأنصاري رضي الله عنهما: **(سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: « ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور)** أي تضطرب **(في جوّها)** وهو ما بين السماء والأرض **(فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، وأبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدي عن النعمان من قوله: « الله الله » ورواه بكماله الأزدي في الضعفاء وقال: لا يصح إسناده، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكماله في ترجمة أبي إسماعيل السكوني عن مالك بن أدي، ونقل عن أبيه أن كلاً منهما مجهول، وقد ذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدي اهـ.

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المقامات، وكذا الحكيم في النوادر، والبيهقي في الشعب كلهم عن النعمان سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم » ورواه بكماله أيضاً الحكيم وابن لال، ووقع في نسخة الكمال الدميري إلا مثل الذباب يمر في قي وعلى الهامش القي الأرض القفر الخالية.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ: « لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والمحاملي بإسناد ضعيف، ولأحمد من رواية من سمع أنساً عن أنس « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات » الحديث اهـ.

قلت: حديث أبي هريرة رواه أيضاً الديلمي في مسند الفردوس والأصبهاني في الترغيب.

وأما حديث أنس فرواه أيضاً الحكيم في النوادر وابن منده في كتاب الأحوال وتمامه: « فإن كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا »، ونحو ذلك ما رواه الطيالسي في مسنده من حديث جابر بن عبدالله: « إن اعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم في قبورهم فإن كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك ». وروى ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن أبي أيوب قال: « تعرض أعمالكم على الموتى فإن رأوا حسناً فرحوا واستبشروا وإن رأوا سوءاً قالوا اللهم راجع به » وروى الحكيم في النوادر من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده رفعه: « تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس على الله تعالى، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم ». وروى ابن أبي الدنيا وابن منده وابن عساكر عن أحمد بن عبدالله بن أبي الحواري قال: حدثني أخي محمد بن عبدالله قال: دخل عباد الخوّاص على إبراهيم بن صالح الهاشمي وهو أمير فلسطين فقال له إبراهيم: عظني فقال: قد بلغني

قال أبو الدرداء: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزي به عبدالله بن رواحة ـ وكان قد مات وهو خاله ـ وسئل عبدالله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي؟ قال: في حواصل طير بيض في ظل العرش، وأرواح الكافرين في الأرض السابعة.

أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ما يعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ما يعرض على رسول الله ﷺ من عملك.

(ولذلك قال أبو الدرداء) رضي الله عنه. **(اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزي به عند عبدالله بن رواحة)** بن ثعلبة بن امرىء القيس الخزرجي الأنصاري أحد السابقين رضي الله عنه. **(وكان قد مات)** شهيداً بمؤتة وكان ثالث الأمراء بها في جمادى الأولى سنة ثمان، وتأخر أبو الدرداء إلى خلافة عثمان **(وهو خاله)** أخو أمه وأبو الدرداء اسمه عويمر وهو ابن عامر بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي. وقال خليفة بن خياط: أم أبي الدرداء صحبة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، وهذا القول قد رواه ابن المبارك في الزهد، والأصبهاني في الترغيب عن أبي الدرداء أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً يخزى به عبدالله بن رواحة، وكان يقول: إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤن. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عنه أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن يمقتني خالي عبدالله بن رواحة إذا لقيته.

وفي الباب ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والحكيم في النوادر، وابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن ميسرة قال: غزا أبو أيوب القسطنطينية فمرّ بقاص وهو يقول: إذا عمل العبد العمل في صدر النهار عرض على معارفه إذا أمسى من أهل الآخرة، وإذا عمل العبد العمل في آخر النهار عرض على معارفه إذا أصبح من أهل الآخرة فقال أبو أيوب: اللهم إني أعوذ بك أن تفضحني عند عبادة بن الصامت وسعد بن عبادة بما عملت بعدهم، قال القاص: والله لا يكتب الله ولايته لعبد إلا ستر عوراته وأثنى عليه بأحسن عمله.

وروى ابن المبارك في الزهد عن عثمان بن عبدالله بن أوس أن سعيد بن جبير قال له: استأذن على ابنة أخي وهي زوجة عثمان وهي ابنة عمرو بن أوس. فاستأذن له عليها فدخل فقال: كيف يفعل بك زوجك؟ قالت: إنه إلي لمحسن ما استطاع. فقال: يا عثمان أحسن إليها فإنك لا تصنع بها شيئاً إلا جاء عمرو بن أوس، فقلت: وهل يأتي الأموات أخبار الأحياء؟ قال: نعم ما من أحد له حميم إلا ويأتيه أخبار أقاربه فإن كان خيراً سرّ به وفرح وهنيء به، وإن كان شراً ابتأس وحزن.

(وسئل عبدالله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهم **(عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين)** تكون **(هي؟ قال: في صور طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض**

....

السابعة) رواه ابن أبي الدنيا في الموت وابن المبارك في الزهد إلا أن الأخير قال في صور طير، وزاد ابن أبي الدنيا بعد قوله السابعة: فإذا مات المؤمن مرّ به على المؤمنين وهم أندية فيسألونه عن بعض أصحابهم فإن قال مات قالوا سفل به، وإذا كان كافراً هوى به إلى الأرض السافلة فيسألونه عن الأرض، فإن قال مات قالوا عليَّ به.

اعلم أن الأخبار الواردة في مقر الأرواح بعد الموت كثيرة، وفيها اختلاف، فمنها في أرواح المؤمنين عامة، ومنها في الشهداء منهم خاصة، ومنها في ولدان المؤمنين وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحنث، ومنها في أرواح الكفار، فالوارد في أرواح المؤمنين عامة هذا القول عن عبدالله ابن عمرو أنها في صور طير بيض في ظل العرش، وقول مالك السابق إنها مرسلة تذهب حيث شاءت ونحو قول ابن عمر، وما رواه ابن منده والطبراني وأبو الشيخ عن ضمرة بن حبيب مرسلاً قال: سئل النبي ﷺ عن أرواح المؤمنين فقال: « في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت » قالوا: يا رسول الله وأرواح الكفار؟ قال: « في سجين » وروى البيهقي في البعث والطبراني وأبو نعيم عن عبدالله بن عمرو قال: « الجنة ملوية في قرون الشمس تنشر في كل عام مرتين وأرواح المؤمنين في طير كالزرازير تأكل من ثمر الجنة ». وأخرجه ابن منده عنه مرفوعاً وأخرجه الخلال عنه موقوفاً بلفظ: « أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر كالزرازير يتعارفون فيها ويرزقون من ثمرها ». وروى ابن منده عن أم كبشة بنت المعرور قالت: دخل علينا النبي ﷺ فسألناه عن هذه الروح فوصفها صفة لكنه أبكى أهل البيت فقال: « إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من مياهها وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون: ربنا الحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا، وإن أرواح الكفار في حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار وتأوي إلى جحر في النار يقولون ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا » ويقرب من ذلك ما رواه مالك في الموطأ وأحمد والنسائي بسند صحيح عن كعب ابن مالك رفعه: « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعث ». وروى أحمد والطبراني بسند حسن عن أم هانىء أنها سألت رسول الله ﷺ أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال ﷺ: « تكون النسم طيراً تعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها » وروى ابن سعد من طريق محمود بن لبيد عن أم بشر بنت البراء أنها قالت: يا رسول الله هل يتعارف الموتى؟ قال: « تربت يداك النفس الطيبة طير خضر في الجنة فإن كان الطير يتعارفون في رؤوس الشجر فإنهم يتعارفون ». وروى ابن عساكر من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن أم فروة بنت معاذ السلمية عن أم بشر امرأة أبي معروف قالت: سألت رسول الله ﷺ أنتزاور يا رسول الله إذا متنا يزور بعضنا بعضاً؟ فقال: « تكون النسم طيراً تعلق شجرة حتى إذا كان يوم القيامة دخلت في جثتها ». وروى ابن ماجه والطبراني والبيهقي في البعث بسند حسن عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: لما حضرت كعباً الوفاة أتته أم بشر بنت البراء فقالت: يا أبا عبد الرحمن إن لقيت فلاناً فأقرئه مني السلام. فقال: يغفر الله لك يا أم بشر نحن أشغل

....

من ذلك. فقالت: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت ونسمة الكافر في سجين»؟ قال: بلى. قالت: فذاك.

ومنها ما رواه البيهقي في الدلائل، وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما من حديث أبي سعيد الخدري: أتيت بالمعراج التي تعرج عليه أرواح بني آدم فلم ير الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت يشق بصره طائحاً إلى السماء فإن ذلك عجبه بالمعراج، فصعدت أنا وجبريل فاستفتح باب السماء فإذا أنا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول: روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين. وروى أبو نعيم بسند ضعيف من حديث أبي هريرة: «إن أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة». وروى أبو نعيم أيضاً عن وهب بن منبه قال: «إن لله في السماء السابعة داراً يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم». ومن ذلك ما تقدم من قول ابن عمر لأسماء حين عزاها في ابنها عبدالله بن الزبير: لا تحزني فإن الأرواح عند الله في السماء. رواه سعيد ابن منصور في سننه، وقيل: إنها بين السماء والأرض. روى سعيد بن منصور في سننه وابن جرير في كتاب الأدب له عن المغيرة بن عبد الرحمن قال: لقي سلمان الفارسي عبدالله بن سلام فقال له: إن مت قبلي فأخبرني بما تلقى وإن مت قبلك أخبرتك. قال: وكيف وقد متَ؟ قال: إن الروح إذا خرج من الجسد كانت بين السماء والأرض حتى يرجع إلى جسده، فقضى أن سلمان مات فرآه في المنام فقال: أخبرني أي شيء وجدته أفضل؟ قال: رأيت التوكل شيئاً عجيباً وروى ابن المبارك في الزهد، والحكيم في النوادر، وابن أبي الدنيا وابن منده عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال: إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، ونفس الكافر في سجين. قال ابن القيم: البرزخ هو الحاجز بين الشيئين فكأنه أراد في الأرض بين الدنيا والآخرة. وروى الحكيم عن سلمان قال: أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردها الله إلى جسدها.

ومنها. ما رواه المروزي في كتاب الجنائز عن العباس بن عبد المطلب قال: ترفع أرواح المؤمنين إلى جبريل فيقال: أنت ولي هذه إلى يوم القيامة. وروى ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه قال: أرواح المؤمنين إذا قبضت ترفع إلى ملك يقال له رماييل وهو خازن أرواح المؤمنين. وروى عن أبان بن تغلب عن رجل من أهل الكتاب قال: الملك الذي على أرواح الكفار يقال له دومة. وروى ابن منده من طريق سفيان عن أبان بن تغلب عن رجل قال: بت ليلة بوادي برهوت فكأنما حشرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يا دومة يا دومة. وحدثنا رجال من أهل الكتاب أن دومة هو الملك الموكل بأرواح الكفار.

ومنها: ما رواه المروزي في كتاب الجنائز، وابن منده، وابن عساكر عن عبدالله بن عمرو قال:

أرواح الكفار تجمع ببرهوت سبخة بحضرموت، وأرواح المؤمنين تجمع بالجابية برهوت باليمن والجابية بالشام. وروى ابن عساكر عن عروة بن رويم قال: الجابية تجبى إليها كل روح طيبة. وروى أبو بكر بن النجار في جزئه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خير وادي الناس وادي مكة، وشر وادي الناس وادي الأحقاف وادبحضرموت وفيه أرواح الكفار. وروى ابن منده وابن أبي الدنيا عن علي قال: أبغض بقعة في الأرض إلى الله وادبحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار. وروى ابن أبي الدنيا عن علي قال: أرواح المؤمنين في بئر زمزم. وروى الحاكم في المستدرك عن الأخنس بن خليفة الضبي أن كعب الأحبار أرسل إلى عبدالله بن عمرو يسأله عن أرواح المسلمين أين تجتمع وأرواح أهل الشرك أين تجتمع؟ فقال عبدالله: أما أرواح المسلمين فتجتمع باريحاء، وأما أرواح أهل الشرك فتجتمع بصنعاء، فرجع رسول كعب إليه فأخبره بالذي قال. فقال: صدق.

فصل

في أرواح الشهداء:

وأما أرواح الشهداء؛ فروى مسلم من حديث ابن مسعود: «أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير خضر تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش». وروى أحمد وأبو داود والحاكم والبيهقي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لما أصيب أصحابكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش». وروى سعيد بن منصور عن ابن عباس قال: «أرواح الشهداء تجول في أجواب طير خضر تعلق في ثمر الجنة». وروي عن أبي سعيد الخدري رفعه «الشهداء يغدون ويروحون ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش فيقول الرب تعالى: هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتكموها؟ فيقولون: لا غير إنا وددنا أنك أعدت أرواحنا إلى أجسادنا حتى نقاتل مرة أخرى فنقتل في سبيلك». وروى هناد في الزهد، وابن منده من حديث أبي سعيد «إن أرواح الشهداء في طير خضر ترعى في رياض الجنة ثم يكون مأواها إلى قناديل معلقة بالعرش فيقول الرب» وذكر نحوه. وروى أبو الشيخ من حديث أنس: «يبعث الله الشهداء من حواصل طير بيض كانوا في قناديل معلقة بالعرش». وروى ابن منده عن سعيد بن سويد أنه سأل ابن شهاب عن أرواح المؤمنين قال: «بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو ثم تروح إلى رياض الجنة تأتي ربها سبحانه وتعالى تسلم عليه». وروى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: «إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها». وروي عن أبي الدرداء أنه سئل عن أرواح الشهداء فقال: «هي طائر خضر في قناديل معلقة تحت العرش تسرح في رياض الجنة حيث شاءت». وروى أحمد وعبد بن حميد وابن أبي شيبة والطبراني والبيهقي بسند حسن من حديث ابن عباس: «الشهداء على بارق نهر

....

بباب الجنة في قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشية » وروى هناد في الزهد، وابن أبي شيبة عن أبي بن كعب قال: « الشهداء في قباب في رياض بفناء الجنة يبعث إليهم ثور وحوت فيعتركان فيلهون بهما فإذا احتاجوا إلى شيء عقر أحدهما صاحبه فيأكلون منه فيجدون فيه طعم كل شيء في الجنة ». وروى البخاري عن أنس قال: لما قتل حارثة قالت أمه: يا رسول الله قد علمت منزلة حارثة مني فإن يكن في الجنة فاصبر وإن يكن غير ذلك ترى ما أصنع ؟ فقال رسول الله ﷺ: « إنها جنان كثيرة وإنه في الفردوس الأعلى » وروى ابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن عباس عن كعب قال: « جنة المأوى فها طير خضر ترتقي فيها أرواح الشهداء تسرح في الجنة، وأرواح آل فرعون في طير سود تغدو على الناس وتروح ». وروى هناد في الزهد عن هزيل قال: « إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، وأرواح آل فرعون في أجواف طير سود تروح وتغدو على النار فذلك عرضها ». وروى الترمذي من حديث كعب بن مالك « إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة » قوله: تعلق بضم اللام أي تأكل العلقة وهي ما يتبلغ به من العيش. وروى ابن أبي شيبة عن عكرمة قال: « أرواح الشهداء طير بيض فقاقيع في الجنة ». وروى عبد الرزاق عن قتادة قال: « بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش ».

فصل

وأما أرواح أطفال المسلمين، فروى ابن أبي حاتم في التفسير عن أبي الدرداء قال: « إن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت ». وروى أحمد والحاكم وصححه والبيهقي وابن أبي الدنيا في البعث وابن أبي الدنيا أيضاً في كتاب العزاء بطرق من حديث أبي هريرة: « أولاد المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردوهم إلى آبائهم يوم القيامة ». وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر: « كل مولود يولد في الإسلام فهو في الجنة شبعان ريان يقول: يارب أورد علي أبوي ». وأخرج فيه أيضاً عن خالد بن معدان قال: « إن في الجنة لشجرة يقال لها طوبى كلها ضروع فمن مات من الصبيان الذين يرضعون يرضع من طوبى وحاضنهم إبراهيم عليه السلام. وروى أيضاً عن عبيد بن عمير قال: « إن في الجنة لشجرة لها ضروع كضروع البقر يغذى بها ولدان أهل الجنة ». وروى سعيد بن منصور من مرسل مكحول « إن ذراري المسلمين أرواحهم في عصافير خضر في شجر في الجنة يكفلهم أبوهم إبراهيم عليه السلام ». وروى ابن أبي حاتم بن معدان: « إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى كلها ضروع ترضع صبيان أهل الجنة وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيبعث ابن أربعين سنة ». وروى ابن أبي شيبة عن ابن عباس عن كعب قال: « إن أطفال المسلمين في عصافير في الجنة ». وروى هناد في الزهد عن هزيل قال: « أولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحنث عصافير من عصافير الجنة ترعى وتسرح ».

فصل

قال ابن القيم في كتاب الروح: مسألة الأرواح بعد الموت عظيمة لا تتلقى إلا من السمع فقيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة الشهداء وغيرهم إذا لم تحبسهم كبيرة لظاهر حديث كعب وأم هانىء وأم بشر وأبي سعيد وضمرة ونحوها، ولقوله تعالى: ﴿فأما إن كان من المقربين★ فروح وريحان وجنة نعيم﴾ [الواقعة: ٨٨ ، ٨٩] قسم الأرواح عقب خروجها من البدن إلى ثلاثة مقربين وأخبرأنها في جنة نعيم وأصحاب يمين، وحكم بالسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب ومكذبة ضالة، وأخبر أن لها نزلاً من حميم وتصلية جحيم. وقال تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة★ ارجعي إلى ربك﴾ [الفجر: ٢٧ ، ٢٨] الآية وقال جماعة من الصحابة والتابعين: إنه يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا على لسان الملك بشارة ويؤيده قوله تعالى في مؤمن آل يس: ﴿قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون★ بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ [يس: ٢٦ ، ٢٧] وقيل: الأحاديث مخصوصة بالشهادة كما صرح به في رواية أخرى ولقوله في غيرهم: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي» ولحديث أبي هريرة السابق: «إنهم في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة».

وقال ابن حزم في طائفة مستقرها حيث كانت قبل أجسادها أي عن يمين آدم وشماله وقال: هذا ما دل عليه الكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية وقال تعالى: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ [الأعراف: ١١] الآية فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جملة، وكذلك أخبر ﷺ: «إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. وأخذ الله عهدها وميثاقها وشهادتها بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن تؤمر الملائكة بالسجود لآدم، وقبل أن يدخلها في الأجساد والأجساد يومئذ تراب وماء، ثم أقرها حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المني. قال: فصح أن الأرواح أجسام حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر وأنها عارفة مميزة فيبوئهم الله في الدنيا كما يشاء، ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عند منقطع العناصر الماء والهواء والتراب والنار تحت السماء، ولا يدل ذلك على تعادلهم، بل هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن، وتعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة. قال: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلنا بعينه وقال: على هذا أجمع أهل العلم. وقال ابن حزم وهو قول جميع أهل الإسلام وهو قول الله تعالى: ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة★ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة★ والسابقون السابقون★ أولئك المقربون★ في جنات النعيم﴾ [الواقعة: ٨ - ١٢] وقوله: ﴿فأما إن كان من المقربين★ فروح وريحان﴾ [الواقعة: ٨٨ ، ٨٩] الآية فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عددها بنفخها في الأجسام ثم برجوعها إلى البرزخ فتقوم الساعة فيعيدها عز وجل إلى الأجساد وهي الحياة الثانية، وهذا كله كلام ابن حزم.

....

وقيل: هي على أفنية قبورها. قال ابن عبد البر وهذا أصح ما قيل. قال: وأحاديث السؤال وعرض المقعد وعذاب القبر ونعيمه وزيارة القبور والسلام عليها ومخاطبتهم مخاطبة الحاضر العاقل دالة على ذلك.

قال ابن القيم: هذا القول إن أريد به أنها ملازمة للقبور لا تفارقها فهو خطأ يرده الكتاب والسنة.

تنبيه:

عرض المقعد لا يدل على أن الأرواح في القبر ولا على فنائه، بل على أن لها اتصالاً به يصح أن يعرض عليها مقعدها، فإن للروح شأناً آخر فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهي في مكانها هناك، وإنما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد، فيعتقد الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا أشغلت مكاناً لم يمكن أن يكون في غيره وهذا غلط محض، وقد رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة، فالروح كانت هناك في مثل البدن ولها اتصال في البدن بحيث يصلي في قبره ويردّ على من يسلم عليه وهو في الرفيق الأعلى، ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض، وإن كان غير تام المطابقة من حيث أن الشعاع إنما هو عرض للشمس وأما الروح، فهي نفسها تنزل وكذلك رؤية النبي ﷺ الأنبياء عليهم السلام ليلة الإسراء في السموات الصحيح أنه رأى فيها الأرواح في مثال الأجساد مع ورود أنهم أحياء في قبورهم يصلون، فلا منافاة بين كون الروح في عليين أو الجنة أو السماء، وأن لها بالبدن اتصالاً بحيث تدرك وتسمع وتصلي وتقرأ، وإنما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوي لأنه ليس فيه ما يشابه هذا، وأمور البرزخ والآخرة على نمط غير المألوف في الدنيا هذا كله كلام ابن القيم.

وحكي في موضع آخر للروح من سرعة الحركة والانتقال الذي كلمح البصر ما يقتضي عروجها من القبر إلى السماء في أدنى لحظة، وشاهد ذلك روح النائم فقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخرق السبع الطباق وتسجد لله بين يدي العرش ثم يرد إلى جسده في أيسر زمان. ثم قال ابن القيم بعد أن أورد بقية الأقوال في مستقر الأرواح: ولا نحكم على قول من هذه الأقوال بعينه بالصحة ولا غيره بالبطلان، بل الصحيح أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، ولا تعارض بين الأدلة فإن كلاً منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهم الأنبياء وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الأسراء. ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم فإن منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين أو غيره كما في حديث محمد بن عبدالله بن جحش عند أحمد. ومنهم من يكون على باب الجنة كما في حديث ابن عباس، ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة أنها لتشتعل عليه ناراً في قبره.

ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تصل روحه إلى الملأ الأعلى لأنها كانت روحاً سفلية أرضية، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السمائية كما أنها لا تجامعها في الدنيا فإن الروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأصحاب عملها، فالمرء مع من أحب. ومنهم أرواح تكون في تنور الزانيات، وأرواح في نهر الدم إلى غير ذلك، فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، وكلها على اختلاف محالها وتباين مقارها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل له من النعيم أو العذاب ما كتب له انتهى كلام ابن القيم.

وقال القرطبي: الأحاديث دالة على أن أرواح الشهداء خاصة في الجنة دون غيرهم، وحديث كعب ونحوه محمول على الشهداء، وأما غيرهم فتارة يكون في السماء لا في الجنة، وتارة على أفنية القبور، وقد قيل: إنها تزور قبورها كل جمعة على الدوام. وقال ابن العربي: بحديث الجريدة يستدل على أن الأرواح في القبور تنعم أو تعذب، ثم قال القرطبي: وبعض الشهداء أرواحهم خارج الجنة أيضاً في حديث ابن عباس «على بارق نهر بباب الجنة» وذلك إذا حبسهم عنها دين أو شيء من حقوق الآدميين. قال: وذهب بعض العلماء إلى أن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى، ولذلك سميت جنة المأوى لأنها تأوي إليها الأرواح تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب نسيمها. قال: والأول أصح. وقال الحافظ ابن حجر في فتاويه: أرواح المؤمنين في عليين، وأرواح الكفار في سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة الدنيا، بل أشبه شيء به حال النائم وإن كان هو أشد من حال النائم اتصالاً. قال: وبهذا يجمع بين ما ورد أن مقرها في عليين أو سجين وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور أنها عند أفنية قبورها. قال: ومع ذلك فهي مأذون لها في التصرف، وتأوي إلى محلها من عليين أو سجين. قال: وإذا نقل الميت من قبر إلى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الاجزاء. وقال القرطبي في حديث كعب «نسمة المؤمن طائر» وهو يدل على أن نفسها تكون طائراً أي على صورته لا أنها تكون فيها، ويكون الطائر ظرفاً لها. وكذا في رواية عن ابن مسعود عند ابن ملجه «أرواح الشهداء عند الله كطير خضر» وقال في لفظ عن ابن عباس «تجول في طير خضر» ولفظ ابن عمرو «في صورة طير بيض» وفي لفظ عن كعب «الشهداء طير خضر» قال: وهذا كله أصح من رواية في جوف طير. وقال القابسي: أنكر العلماء رواية في حواصل طير خضر لأنها حينئذ تكون محصورة مضيقاً عليها، ورد بأن الرواية ثابتة والتأويل محتمل بأن يجعل «في» بمعنى «على» وجائز أن يسمى الطير جوفاً إذ هو محيط به، ويشتمل عليه قاله عبد الحق. وقال غيره: لا مانع من أن تكون في الأجواف حقيقة ويوسعها الله تعالى لها حتى تكون أوسع من الفضاء وقال العز بن عبد السلام في أماليه في قوله تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء﴾ [آل عمران: ١٦٩] فإن قيل: الأموات كلهم كذلك فكيف خصص هؤلاء؟ فالجواب: أن الكل ليس كذلك، فالمجاهد تنقل روحه إلى طير أخضر فقد انتقل من جسد إلى آخر بخلاف غيره فإنها تنفي من الاجساد. قال: وأما حديث كعب «نسمة المؤمن» الخ فهذا العموم محمول على المجاهدين، فقد ورد أن الروح في

....

القبر يعرض عليها مقعدها من الجنة والنار ولأنا أمرنا بالسلام على القبور، ولولا أن الأرواح تدرك لما كان فيه فائدة انتهى.

قال السيوطي: فاختار في أرواح الشهداء أنها كائنة في طير لا أنها نفسها طير، ويؤيده ما روي عن ابن عمرو انها تركب في جسد آخر وهو وإن كان موقوفاً فله حكم المرفوع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي. وقال صاحب للافصاح: التنعم على جهات مختلفة: منها ما هو طائر في شجر الجنة، ومنها ما هو في حواصل طير خضر، ومنها ما يأوي في قناديل تحت العرش، ومنها هو في حواصل طير بيض، ومنها ما هو في حواصل طير كالزرازير، ومنها ما هو في أشخاص صور من صور الجنة، ومنها ما هو في صورة تخلق لهم من ثواب أعمالهم، ومنها ما تسرح وتتردد إلى جثتها تزورها، وممن سوى ذلك ما هو في كفالة آدم، ومنها ما هو في كفالة إبراهيم.

قال القرطبي: وهذا قول حسن يجمع الأخبار حتى لا تتدافع. وقال الحكيم في النوادر: الأرواح تجول في البرزخ فتبصر أحوال الدنيا والملائكة تتحدث في السماء عن أحوال الآدميين، وأرواح تحت العرش، وأرواح طيارة إلى الجنان إلى حيث شاءت على أقدارهم من السعي إلى الله أيام حياتهم. وقال ابن القيم: لا منافاة بين حديث أنه طائر، يعلق في شجر الجنة وبين حديث عرض المقعد، بل ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ويعرض عليه مقعده لأنه لا يدخله إلا يوم الجزاء، فدخول الجنة التام إنما يكون للإنسان التام روحاً وبدناً، ودخول الروح فقط أمر دون ذلك.

وفي بحر الكلام: الأرواح على أربعة أوجه: أرواح الأنبياء تخرج من جسدها وتصير مثل صورتها مثل المسك والكافور وتكون في الجنة تأكل وتشرب وتنعم وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش، وأرواح الشهداء تخرج من جسدها وتكون في أجواف طير خضر في الجنة تأكل وتتنعم وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش، وأرواح المطيعين من المؤمنين بربض الجنة لا تأكل ولا تتمتع ولكن تنظر في الجنة، وأرواح العصاة من المؤمنين تكون بين السماء والأرض في الهواء. وأما أرواح الكفار فهي في سجين في جوف طير سود تحت الأرض السابعة وهي متصلة بأجسادها فتعذب الأرواح وتتألم الاجساد منه كالشمس في السماء ونورها في الأرض انتهى.

وقال الحافظ ابن رجب في كتاب أهوال القبور الباب التاسع في ذكر أرواح الموتى في البرزخ: أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فلا شك أن أرواحهم عند الله في أعلى عليين، وأما الشهداء فأكثر العلماء على أنهم في الجنة. وروي عن مجاهد أنه قال: ليس الشهداء في الجنة ولكن يرزقون منها. وروى آدم بن أبي اياس عنه قال: يرزقون من ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها.

وأما حديث ابن عباس «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة» فلعلمه في عموم الشهداء والذين في القناديل حول العرش خواصهم، أو المراد بالشهداء هنا قتيل المعركة كالمطعون والمبطون والغريق وغيرهم ممن ورد بالنص أنه شهيد أو سائر المؤمنين، فقد يطلق الشهيد على من حقق الإيمان كما دل عليه قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند

....

ربهم﴾ [الحديد : ١٩] وحكم بقية المؤمنين سوى الشهداء فأهل تكليف وغيرهم، فأطفال المؤمنين الجمهور على أنهم في الجنة، وأما المكلفون من المؤمنين سوى الشهداء فاختلف العلماء فيهم قديماً وحديثاً، فنص الإمام أحمد على أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار، واستدل بحديث كعب بن مالك وأم هانىء وأبي هريرة وأم بشر وعبد الله بن عمرو نحوها. وروي عن هلال بن يساف أن ابن عباس سأل كعباً عن عليين وسجين فقال كعب: أما عليون فالسماء السابعة ففيها أرواح المؤمنين، وأما سجين فالأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار تحت خد إبليس، وقد ثبت بالادلة أن الجنة فوق السماء السابعة، وأن النار تحت الأرض السابعة. وقالت طائفة: الأرواح في الأرض، ثم اختلفوا فقالت فرقة: الارواح تستقر على أفنية القبور قاله ابن وضاح، وحكاه ابن حزم عن عامة أصحاب الحديث، ورجح ابن عبد البر أن أرواح الشهداء في الجنة وأرواح غيرهم على أفنية القبور فتسرح حيث شاءت، واستدلوا بحديث «السلام عليهم وعرض المقعد» ولا دليل في ذلك على أن الارواح ليست في الجنة، فان العرض على الجثة وللروح بها اتصال والروح وحدها في الجنة، وكذا السلام على أهل القبور لا يدل على استقرار أرواحهم على أفنية قبورهم فإنه يسلم على قبور الأنبياء والشهداء وأرواحهم في أعلى عليين، ولكن لها مع ذلك اتصال سريع بالجسد لا يعلم كنه ذلك وكيفيته على الحقيقة إلا الله تعالى، ويشهد لذلك الأحاديث المروية في أن النائم يعرج بروحه إلى العرش هذا مع تعلقها ببدنه وسرعة عودها إليه عند استيقاظه، فارواح الموتى المجردة عن أبدانهم أولى بعروجها إلى السماء وعودها إلى القبر في مثل تلك السرعة.

وقالت فرقة: تجمع الأرواح بموضع من الأرض فأرواح المؤمنين تجمع بالجابية، وقيل: ببئر زمزم، وأرواح الكفار تجمع ببئر برهوت. ورجحه القاضي أبو علي من الحنابلة في كتاب المعتمد وهو مخالف لنص أحمد: إن أرواح الفكار في النار، ولعل لبئر برهوت اتصال بجهنم في قعرها كما روي في البحر: إن تحته جهنم. وروى صفوان بن عمر وقال: سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ فقال: يقال إن الأرض التي يقول الله ﴿إنّ الأرض يرثُها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء : ١٠٥] هي الأرض التي تجتمع فيها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث أخرجه ابن منده وهذا غريب جداً وتفسير الآية به أغرب. وروى ابن منده عن شهر بن حوشب قال: كتب عبد الله بن عمرو إلى أبيّ بن كعب يسأله أين تلتقي أرواح أهل الجنة وأرواح أهل النار؟ فقال: اما أرواح أهل الجنة فبالجابية، وأما أرواح الكفار فبحضرموت.

وقالت طائفة من الصحابة: الأرواح عند الله صح ذلك عن ابن عمر. وروى ابن منده من طريق الشعبي عن حذيفة قال: إن الأرواح موقوفة عند الرحمن تنتظر موعدها حتى ينفخ فيها، وهذا لا ينافي ما وردت به الأخبار من محل الارواح على ما سبق.

وقالت طائفة: «أرواح بني آدم عند أبيهم آدم عن يمينه وشماله لما ثبت في قصة الاسراء في

وقال أبو سعيد الخدري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره ». وقال صالح المري: بلغني أن الأرواح تتلاقى عند الموت

الصحيحين، فلما فتح علونا السماء فإذا رجل قاعد عن يمينه أسودة على يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى، فقلت لجبريل: من هذا فقال: آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسيم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار الحديث. فظاهر هذا اللفظ يقتضي أن أرواح الكفار في السماء وهو مخالف للقرآن والحديث: إن السماء لا تفتح لروح الكافر، وقد ورد في بعض طرق الحديث ما يزيل الاشكال ولفظه: وإذا هو يعرض عليه أرواح ذريته، فإذا كان روح المؤمن قال: روح طيبة اجعلوها في عليين، وإذا كان روح الكافر قال: روح خبيثة اجعلوها في سجين الحديث. ففي هذا أنه تعرض عليه أرواح ذريته من السماء الدنيا وأنه يأمر بجعل الارواح في مستقرها، فدّل على أن الأرواح على استقرارها في السماء الدنيا. وزعم ابن حزم أن الله تعالى خلق الأرواح جملة قبل الاجساد، وأنه جعلها في برزخ، وذلك البرزخ عند منقطع العناصر حيث لا ماء ولا هواء ولا تراب ولا نار إلى آخر ما قال حسبما أسلفناه، وهذا قول لم يقله أحد من المسلمين ولا هو من جنس كلامهم، وإنما هو من جنس كلام المتفلسفة. قال: والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنيـن الذين أرواحهم في الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشهداء تخلق لها أجساد وهي الطير التي تكون في حواصلها ليكمل بذلك نعيمها ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الاجساد، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله فعوّضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ.

والثاني: أنهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت في حقه مثل ذلك، وإن جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة، فقيل: معناه التعلق، وقيل: الأكل من الشجرة فلا يلزم مساواتهم للشهـداء في كمال تنعيمهم في الأكل والله أعلم انتهـى كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى، وهو غاية في بابه لا مزيد عليه، ولنرجع إلى شرح كلام المصنف.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه. **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره »)** قال العراقي: رواه أحمد من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسبه عبد الملك بن حسن اهـ.

قلت: وبخط الحافظ ابن حجر الذي في المسند عن عبد الملك عن سعيد بن عمرو بن سليم عن رجل من قومه يقال له فلان بن معاوية أو معاوية بن فلان اهـ.

قلت: قال أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا عبد الملك بن حسن، حدثنا سعد بن عمرو بن سليم قال: سمعت رجلاً منا قال: عبد الملك نسيت اسمه ولكن اسمه معاوية أو ابن معاوية يحدث عـن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: « إن الميت يعرف من يغسله ويحمله ويدليه في قبره » فقال ابن عمرو وهو في المجلس: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي سعيد، فانطلق ابن عمر إلى أبي سعيد فقال: يا

فتقول أرواح الموتى للروح التي تخرج إليهم: كيف كان مأواك وفي أي الجسدين كنت في طيب أو خبيث؟ وقال عبيد بن عمير: أهل القبور يترقبون الأخبار، فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم.. أو ما قدم عليكم؟ فيقولون: ﴿ إنَّا لله وإنَّا

أبا سعيد ممن سمعت هذا؟ قال: من النبي ﷺ. وقد رواه أيضاً مسدد في مسنده، وابن أبي الدنيا في كتاب الموت، والطبراني في الأوسط، والمروزي في الجنائز، وابن منده في كتاب الأحوال بزيادة «ومن يكفنه» بعد قوله «ومن يحمله». وفي لفظ «في حفرته» بدل «قبره» وفي أخرى باسقاط «ومن يحمله». ولفظ الطبراني «إن الميت ليعلم من يغسله ويكفنه ومن يدليه في حفرته» رواه عن محمد بن أبان عن إسماعيل بن عمرو البجلي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد. وروى أبو الحسين بن البراء في كتاب الروضة بسند ضعيف من حديث ابن عباس «ما من ميت يموت إلا وهو يعرف غاسله ويناشد حامله إن كان بخير بروح وريحان وجنة نعيم أن يعجله، وإن كان بشر بنزل من حميم وتصلية جحيم أن يحبسه». وروى ابن أبي الدنيا عن مجاهد قال: «إذا مات الميت فملك قابض نفسه فما من شيء إلا وهو يراه عند غسله وعند حمله حتى يوصله إلى قبره». وروى أبو نعيم في الحلية عن عمرو بن دينار قال: «ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشي به ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك». وروى ابن أبي الدنيا عنه قال: «ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر إليهم» وروي أيضاً عن بكر بن عبد الله المزني قال: «بلغني أنه ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملك الموت فهم يغسلونه ويكفنونه وهو يرى ما يصنع أهله به فلو يقدر على الكلام لنهاهم عن الرنة والعويل» وروي أيضاً عن ابن أبي نجيح قال «ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشي به إلى قبره ثم تعاد إليه روحه فيجلس في قبره».

(**وقال**) أبو بشر (**صالح**) بن بشير بن وادع (**المري**) البصري القاص الزاهد ضعيف مات سنة اثنتين وسبعين ومائة روى له الترمذي: (**بلغني أن الأرواح تتلاقى عند الموت فتقول: أرواح الموتى للروح التي تخرج إليهم: كيف كان مأواك وفي أي الجسدين كنت في طيب أو خبيث**)؟ رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت فقال: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إسحاق قال: سمعت صالحاً المري يقول بلغني فذكره إلا أنه قال: كيف كان ما وراءك. ورواه ابن منده من طريقه فقال: أخبرنا الحسن بن محمد، أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر، أخبرنا ابن أبي الدنيا فذكره.

(**وقال**) أبو عاصم (**عبيد بن عمير**) بن قتادة الليثي المكي قاص أهل مكة من أكبر التابعين مجمع على ثقته: (**أهل القبور يتوكفون الأخبار**) قال الجوهري في الصحاح: التوكف التوقع، يقال: ما زلت أتوكفه حتى لقيته، (**فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم أو ما قدم عليكم؟ فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون سلك به غير سبيلنا**). رواه ابن أبي

إليهِ راجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] سلك به غير سبيلنا . وعن جعفر بن سعيد قال: إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب . وقال مجاهد : إن الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره . وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال: « إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون أنظروا أخاكم

شيبة في المصنف وابن أبي الدنيا بلفظ: إن أهل القبور ليتوكفون للميت كما يتلقى الراكب يسألونه ، فإذا سألوه ما فعل فلان ممن مات فيقول: ألم يأتكم. فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون سلك به غير طريقنا ذهب به إلى أمه الهاوية. هذا لفظ ابن أبي الدنيا .

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن قيس بن سعد ، عن عبيد بن عمير قال: إن أهل القبور ليتلقون للميت كما يتلقى الراكب يسائلونه فإذا سألوه ما فعل فلان ممن قد مات فيقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية. وفي لفظ لابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن جابر عن العزيز بن رفيع عن قيس مولى خباب عن عبيد بن عمير قال: إذا مات الميت تلقته الارواح يستخبرونه كما يستخبر الراكب ما فعل فلان وفلان؟ وذكر الثعلبي مثل ذلك من حديث أبي هريرة وفي آخره: حتى انهم ليسألونه عن هر البيت. وروى الحاكم عن مرسل الحسن: إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين فيقولون له: ما فعل فلان؟ فإذا قال مات قالوا ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المرضعة. وروى ابن أبي الدنيا عن ثابت البناني قال: بلغنا أن الميت إذا مات احتوشه أهله وأقاربه الذين قد تقدموه من الموتى فلهو أفرح بهم وهم أفرح به من المسافر إذا قدم على أهله.

(**وعن جعفر بن سعيد**) كذا في النسخ كلها وهو غلط من النساخ ، والصواب عن جعفر عن سعيد هو ابن المسيب ، والراوي عنه جعفر هو ابن سليمان الضبعي البصري الزاهد روى له مسلم والأربعة (**قال: إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب**) . هكذا رواه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني محمد بن زيد الرفاعي ، حدثنا يحيى بن أبان ، حدثنا أشعث عن جعفر عن سعيد فذكره.

(**وقال مجاهد**) بن جبير المكي التابعي: (**إن الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره**) رواه ابن أبي الدنيا هكذا ، ورواه أبو نعيم بلفظ: بصلاح ولده من بعده لتقر عينه . وقال السدي في قوله تعالى: ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ [آل عمران: ١٧٠] الآية يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه يبشر به فيستبشر به كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا .

(**وروى أبو أيوب**) خالد بن يزيد بن كليب (**الأنصاري**) البدري رضي الله عنه ، (**عن النبي ﷺ أنه قال: « إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله**) كذا في النسخ والصواب من عباد الله (**كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا أخاكم**) وفي لفظ

حتى يستريح، فإنه كان في كرب شديد فيسألونه: ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة؟ وهل تزوّجت فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال: مات قبلي قالوا: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ذهب به إلى أمه الهاوية».

صاحبكم والانظار والامهال (**حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد، فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوّجت فلانة؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في مسند الشاميين بإسناد ضعيف، ورواه ابن المبارك في الزهد موقوفاً عن أبي أيوب باسناد جيد، ورفعه ابن صاعد في زوائده على للزهد وفيه سلام الطويل ضعيف وهو عند النسائي وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة باسناد جيد اهـ.

قلت: لفظ الطبراني: فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: ايهات قد مات ذلك قبلي فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب إلى أمه الهاوية فبئست الام وبئست المربية، ورواه هكذا ابن مردويه في التفسير، وزاد الطبراني وابن أبي الدنيا بعده وقال: إن أعمالكم ترد على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فإن كان خيراً فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذا فضلك ورحمتك فاتمم نعمتك عليه وأمته عليها، ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون: اللهم الهمه عملاً صالحاً ترضى به ويقربه إليك. هكذا رواه في الأوسط فقال: حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان، حدثنا محمد بن سفيان الحضرمي، حدثنا مسلم بن علي عن زيد بن واقد وهشام بن الغاز، عن مكحول عن عبد الرحمن بن سلامة عن أبي رهم، عن أبي أيوب مرفوعاً، ثم قال: لم يروه عن مكحول إلا زيد وهشام وتفرد به مسلمة. قال السيوطي: وهو ضعيف.

ولفظ ابن المبارك في الزهد: إذا قبضت نفس العبد تلقاها أهل الرحمن من عباد الله كما يلقون البشرى في الدنيا فيقبلون عليه ليسألوه فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب فيسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوّجت؟ فإذ سألوه عن الرجل قد مات قبله قال لهم: إنه قد هلك فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية وبئست المربية فيعرض عليهم أعمالهم فإذا رأوا حسناً فرحوا واستبشروا وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فاتمها وإن رأوا سوءاً قالوا: اللهم راجع عبدك. قال ابن المبارك ورواه سلام الطويل عن ثور فرفعه.

قلت: وقد روي نحو ذلك من حديث أنس وأبي هريرة ومن مرسل الحسن وعبيد بن عمير الاشعث بن عبد الله الاعمى. أما حديث أنس فلفظه «إذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة فإن كان مات ولم يأتهم قالوا خولف به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية، حتى يقولوا ما فعل فلان هل تزوّج ما فعلت فلانة هل تزوّجت فيقولون دعوه يستريح فقد خرج من كرب الدنيا».

وأما حديث أبي هريرة، فقد رواه البزار، عن سعيد بن بحر، عن الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عنه أحسبه رفعه قال: « إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين يود لو خرجت نفسه والله يحب لقاءه، وان المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفه من أهل الدنيا فإذا قال: تركت فلاناً في الدنيا أعجبهم ذلك، وإذا قال إن فلاناً قد مات قالوا ما جيء به إلينا ». قال السيوطي: هذا حديث صحيح رجاله ثقات. وروى الثعلبي في تفسيره من حديث أبي هريرة: « إذا مات الميت تلقته الأرواح يستخبرونه كما يستخبر الراكب ما فعل فلان وفلان حتى انهم ليسألونه عن هر البيت ».

وأما مرسل الحسن؛ فقد رواه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن المبارك بن فضالة عنه رفعه « إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين فيقولون له ما فعل فلان ما فعل فلان؛ وإذا قال مات قبلي قالوا ذهب به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية » وقد رواه الحاكم من طريقه. وروى سعيد بن منصور في سننه وابن أبي الدنيا عن الحسن قال: « إذا احتضر المؤمن حضر خمسمائة ملك فيقبضون روحه فيعرجون به إلى السماء الدنيا فتلقاهم أرواح المؤمنين الماضية فيريدون أن يستخبروه فتقول لهم الملائكة: ارفقوا به فإنه خرج من كرب عظيم ثم يستخبرونه حتى يستخبر الرجل عن أخيه وعن صاحبه فيقول هو كما عهدت حتى يستخبروه عن انسان قد مات قبله فيقول: أو ما أتى عليكم؟ فيقولون: أو قد هلك؟ فيقول: أي والله! فيقولون: أراه قد ذهب به الى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية ».

وأما مرسل الأشعث؛ فأخرجه عبد الرزاق وابن جرير قال: « إذا مات المؤمن ذهب بروحه وروح المؤمنين فتقول: روّحوا أخاكم فإنه كان في غم الدنيا، ويسألونه ما فعل فلان؟ فيخبرهم فيقول صالح حتى يسألوه ما فعل فلان؟ فيقول: مات أما جاءكم؟ فيقولون: لا ذهب به إلى أمه الهاوية ». وروى هناد في كتاب الزهد من طريق أبي إسحاق عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: حدثنا بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال: « إن الشهداء ثلاثة فأدنى الشهداء عند الله منزلة رجل خرج منبوذاً بنفسه وماله » فذكر الحديث وفيه « فإذا انتهى إلى اخوانه سألوه كما تسألون الراكب يقدم عليكم من بلادكم فيقولون ما فعل فلان ما فعل فلان؟ فيقول: أفلس فلان. فيقولون: ما فعل فلان ماله فوالله إن كان لكيساً جموعاً تاجراً إنا لا نعد المفلس ما تعدون إنما المفلس من الأعمال. فما فعل فلان وامرأته فلانة؟ فيقول: طلقها. فيقولون: ما الذي جرى بينهما حتى طلقها؟ فوالله إن كان بها لمعجباً. فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: مات قبلي بزمان. فيقولون: هلك والله ما سمعنا له بذكر إن لله طريقين أحدهما علينا والآخر مخالف به عنا فإذا أراد الله بعبد خيراً مرّ به علينا فعرفنا متى مات وإذا أراد الله بعبد شراً خولف به عنا فلم نسمع له بذكر » الحديث.

بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال:

التي هي أفصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الأحياء . قال رسول الله ﷺ : « يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ! ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي إذ كنت تمر بي فداداً ؟ فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب للقبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر : « إني إذا أتحول عليه خضراً ويعود جسده نوراً وتصعد روحه إلى الله تعالى » . والفداد : هو الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوي . وقال عبيد بن

بيان كلام القبر للميت:

ومخاطبته له ومخاطبة أعماله (**وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال، التي هي أفصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الأحياء**) . ويشهد للأوّل ما رواه ابن أبي الدنيا عن جابر قال: « إن للقبر لساناً ينطق » الحديث كما سيأتي.

(قال رسول الله ﷺ « يقول القبر للميت حين يوضع فيه: ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود، ما غرك بي إن كنت تمر بي فداداً فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فيقول القبر: إني إذاً أتحوّل عليه خضراً ويعود جسده عليه نوراً وتصعد روحه إلى الله تعالى ») وفي لفظ إلى رب العالمين. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والطبراني في الكبير، وفي مسند الشاميين، وأبو أحمد الحاكم في الكنى من حديث أبي الحجاج الثمالي بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك الحكيم في النوادر، وأبو يعلى، وأبو نعيم في الحلية، وإنما قال باسناد ضعيف لأن فيه أبا بكر بن أبي مريم فيه ضعف لاختلاطه، وبقية مدلس وقد عنعنه، وأبو الحجاج الثمالي صحابي اسمه عبد الله بن عبد، ويقال ابن عابد، ويقال عبد بن عبد، وثمالة بطن من الأزد نزل حمص. قال ابن السكن: معروف بكنيته. (**والفداد**) كشداد. (**هو الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى كذلك فسرّه الراوي**) قال الجماعة المذكورون قيل لأبي الحجاج الثمالي: ما الفداد ؟ قال: الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى يعني الذي يمشي مشية المتبختر. وقد روي نحو ذلك من قول عبد الله بن عمرو. قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا معاوية بن صالح، أخبرنا يحي بن سعيد الكلاعي، عن عمرو بن عائذ الازدي، عن غضيف بن الحرث الكندي، قال: جلست أنا وأصحاب لي إلى عبد الله بن عمرو وقال: فسمعته يقول: إن العبد إذا وضع في القبر كلمه فقال: يا ابن آدم ألم تعلم أني بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الحق؟ يا ابن آدم ما غرك بي قد كنت تمشي حولي فداداً. قال: فقلت لغضيف يا أبا أسماء ما فداداً؟ قال:

عمير الليثي: ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها: أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فإن كنت في حياتك لله مطيعاً كنت عليك اليوم رحمة، وإن كنت عاصياً، فأنا اليوم عليك نقمة، أنا الذي من دخلني مطيعاً خرج مسروراً، ومن دخلني عاصياً خرج مثبوراً. وقال محمد بن صبيح: بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى: أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبراً أما كان لك في متقدمنا إياك فكرة، أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات إخوانك؟ وتناديه بقاع الأرض: أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولاً تهاداه أحبته إلى المنزل الذي لا بد له منه؟ وقال يزيد الرقاشي: بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله

إختيالاً فقال له صاحبي وكان أسن مني: فإذا كان مؤمناً؟ قال: وسع له وجعل منزله أخضر وعرج بنفسه إلى الجنة وهذا في حكم المرفوع إذ لا مجال فيه للرأي.

(**وقال عبيد بن عمير**) بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي التابعي القاص روى له الجماعة: (**ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها: أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد، فإن كنت في حياتك لله مطيعاً كنت عليك اليوم رحمة، وإن كنت**) لربك في حياتك (**عاصياً فأنا اليوم عليك نقمة أنا**) البيت (**الذي من دخلني مطيعاً خرج**) منه (**مسروراً، ومن دخلني عاصياً خرج**) منه (**مثبوراً**) أي حزيناً خاسراً. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ: من دخله في الموضعين. قال: حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا محمد بن حرب المكي، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة، حدثني أبي عن عبيد بن عمير الليثي فذكره.

(**وقال محمد بن صبيح**) كأمير هو أبو العباس بن السماك الواعظ البغدادي: (**بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى: أيها المخلف في الدنيا بعد أخدانه وجيرانه**) الأخدان جمع خدن وهو الصاحب وفي نسخة بَعُد اخوانه، (**أما كان لك فينا معتبر؟ أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة؟ فهلا استدركت ما فات من اخوانك؟ وتناديه بقاع الأرض: أيها المغتر بظاهر الدنيا**) وفي لفظ بظهر الأرض: (**هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور، وأنت تراه محمولاً تهاداه أحبته إلى المنزل الذي لا بدّ منه**) رواه ابن أبي الدينا في كتاب القبور.

(**وقال**) أبو عمرو (**يزيد**) بن أبان (**الرقاشي**) البصري القاص الزاهد: (**بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم انطقها الله فقالت: أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع**

فقالت: أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا. وقال كعب: إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة، قال: فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة: إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه. قال: فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه. قال فيقال له: هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً. قال: وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشاً من الجنة ودثاراً من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره. وقال عبيدالله بن

عنك الآخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم غيرنا). ويوجد في النسخ عندنا والرواية ما ذكرناه رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، ورواه أيضاً الخطيب في تاريخه وزاد ثم يبكي يزيد ويقول: طوبى لمن كان أنيسه صالحاً، والويل لمن كان أنيسه عليه وبالاً وقد تقدم نحوه للمصنف قريباً.

(وقال كعب) رحمه الله تعالى: **(إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة. قال: وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة: إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما، فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله تعالى في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه، فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه حج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه. قال: فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة: كفوا خلوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه. قال: فيقال له هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً. قال: وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشاً من الجنة ودثاراً من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره)**. رواه ابن أبي الدنيا بنحوه من قول أبي هريرة كما سيأتي للمصنف قريباً في الباب الذي يلي الباب الآتي. ورواه هناد في الزهد، وابن أبي شيبة من حديثه مرفوعاً نحوه، كما سيأتي أيضاً في حديث عبادة بن الصامت عند ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد: إن القرآن يصعد إلى ربه فيسأل له فراشاً ودثاراً فيؤمر له بفراش ودثار وقنديل من نور الجنة، فتدخل عليه الملائكة فيحملونه ويفرشونه

عبيد بن عمير في جنازة: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهـولي ودودي فماذا أعددت لي».

ذلك ويضعون الدثار تحت رجليه فلا يزال ينظر إلى الملائكة حتى يلجوا في السماء. رواه البزار من حديث معاذ بنحوه وكل ذلك سيأتي.

(وقال عبدالله بن عبيد بن عمير) بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن ليث الليثي ثم الجندعي، أبو هاشم المكي والد محمد. قال أبو زرعة وأبو حاتم: ثقة مات سنة ثلاث عشرة ومائة روى له الجماعة سوى البخاري **(في جنازة بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول: ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا أعددت لي»)** قال العراقي :رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلاً ورجاله ثقات، ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال عنه بلغني ولم يرفعه اهـ.

قلت: ولفظ ابن أبي الدنيا فلا يكلمه شيء أول من حفرته فتقول: وفيه وضنكي بدل ونتني، وفيه أعددت لهذا فماذا أعددت لي، وظاهر سياقه يدل على أن عبدالله بن عبيد تابعي وهو الذي فهمه الحافظ العراقي حيث قال هكذا مرسلاً، والصحبة إنما هي لجده عمير بن قتادة ممن شهد الفتح، وأما ولده عبيد فمن كبار التابعين، ويظهر أن هذا من روايته عن أبيه. ثم رأيت ابن أبي شيبة في المصنف قد صرح بذلك فقال: حدثنا عبدالله بن نمير، حدثنا مالك بن مغول، عن الفضل، عن عبدالله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: «إن القبر ليقول يا ابن آدم ماذا أعددت لي ألم تعلم أني بيت الغربة وبيت الوحدة وبيت الأكلة وبيت الدود» وبهذا يصح أن يكون مرسلاً، وارتفع الإشكال.

ومما ورد في مخاطبة القبر للميت من جنس ما أورده المصنف حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الترمذي وحسنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحباً وأهلاً أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلي فإذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً، أما كنت لأبغـض من يمشي على ظهري إلي فإذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنعي بك قال: فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه». قالقال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض قال «ويقيض له سبعين تنيناً لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يفضي به إلى الحساب» قال وقال رسول الله ﷺ «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار».

....

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس إلى قبر فقال: « ما يأتي على هذا القبر من يوم إلا وهو ينادي بصوت طلق ذلق: يا ابن آدم نسيتني، ألم تعلم أني بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضيق إلا من وسعني الله عليه ». ثم قال رسول الله ﷺ: « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ».

وروى ابن منده في كتاب الروح من طريق مجاهد عن البراء بن عازب، عن النبي ﷺ قال: « إن المؤمن إذا احتضر أتاه ملك في أحسن صورة » فساق الحديث إلى أن قال: « فإذا وضع المؤمن في لحده تقول له الأرض: إن كنت لحبيباً إلي وأنت على ظهري فكيف إذا صرت في بطني سأريك ما أصنع بك فيفسح له في قبره مد بصره ويفتح له باب عند رجليه إلى الجنة فيقال له: أنظر إلى ما أعد الله لك من الثواب، ويفتح له باب عند رأسه إلى النار فيقال له: أنظر إلى ما صرف الله عنك من العذاب، ثم يقال له: نم قرير العين فليس شيء أحب إليه من قيام الساعة ».

وروى ابن أبي شيبة عن يزيد بن شجرة قال: يقول القبر للرجل الكافر أو الفاجر: أما ذكرت ظلمتي، أما ذكرت وحشتي، أما ذكرت ضيقي، أما ذكرت غمي.

وروى ابن أبي الدنيا عن جابر قال: يقول القبر: « يا ابن آدم كيف نسيتني ألم تعلم أني بيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله عز وجل ».

وقال أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر الفقيه الحنبلي في كتاب الشافي في الفقه، وقال إسماعيل ابن إبراهيم الشيرازي: حدثنا محمد بن حماد قرىء على عبد الرزاق وأنا حاضر عن الثوري، عن الأعمش، عن المنهال بن عمر، عن زاذان عن البراء قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فوجدنا القبر لم يلحد فجلس وجلسنا حوله، فقال رسول الله ﷺ: « إذا وضع الميت في قبره ثم سوي عليه كلمته الأرض فقالت: أما علمت أني بيت الوحشة والغربة والدود فماذا أعددت لي ».

وروى البيهقي في الشعب عن بلال بن سعد قال: « ينادي القبر في كل يوم: أنا بيت الغربة وبيت الدود والوحشة وأنا حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وأن المؤمن إذا وضع في لحده كلمته الأرض من تحته فقالت: والله لقد كنت أحبك وأنت على ظهري فكيف وقد صرت في بطني فإذا وليتك فستعلم ما أصنع فيتسع له مد بصره، وإذا وضع الكافر قالت: والله لقد كنت أبغضك وأنت على ظهري، فإذ وليتك فستعلم ما أصنع فتضمه ضمة تختلف منها اضلاعه.

وروى الديلمي من حديث ابن عباس « تجهزوا لقبوركم فإن القبر له كل يوم سبع مرات يقول: يا ابن آدم الضعيف ترحم في حياتك على نفسك قبل أن تلقاني أترحم عليك وتكفي مني الردة ».

وروى ابن أبي الدنيا في القبور، وابن منده عن عمرو بن ذر قال: « إذا دخل المؤمن حفرته نادته الأرض: أمطيع أم عاص فإن كان صالحاً ناداه ناحية القبر عودي عليه خضرة وكوني عليه رحمة فنعم العبد كان ونعم المردود إليك، فتقول الأرض: الآن حين استحق الكرامة ».

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير:

قال البراء بن عازب: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكساً رأسه ثم قال: « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر » ثلاثاً ثم قال: « إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم

وروى ابن أبي شيبة في المصنف، والصابوني في المائتين، وابن منده عن علي بن أبي طالب أنه خطب فقال: « القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ألا وانه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول أنا بيت الدود أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة ».

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير:

قال السيوطي في شرح الصدور، قال بعض العلماء: عذاب القبر هو عذاب البرزخ أضيف إلى القبر لأنه الغالب، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراده به قبر أو لم يقبر، ولو صلب أو غرق في البحر أو أكلته الدواب أو حرق حتى صار رماداً وذري في الريح ومحله الروح والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة، وكذا القول في النعيم. قال ابن القيم: ثم عذاب القبر قسمان: قسم دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة، ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فإنه يعذب حسب جريمته ثم يرفع عنه وقد يرفع عنه بدعاء أو صدقة أو نحو ذلك. وقال اليافعي في روض الرياحين: بلغنا أن الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة تشريفاً لهذا الوقت. قال: ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار، وعم النفي في بحر الكلام فقال: إن الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها وجميع شهر رمضان. قال: وأما المسلم العاصي؛ فإنه يعذب في قبره لكن يرفع عنه يوم الجمعة وليلتها ثم لا يعود إليه إلى يوم القيامة، وإن من مات يوم الجمعة أو ليلتها يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر كذلك، ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إلى يوم القيامة انتهى.

وهذا يدل على أن عصاة المسلمين لا يعذبون سوى جمعة واحدة أو دونها، وأنهم إذا وصلوا إلى يوم الجمعة انقطع ثم يعود وهو يحتاج إلى دليل. وقال ابن القيم في البدائع: نقلت من خط القاضي أبي يعلى في تعاليقه: لا بد من إنقطاع عذاب القبر لأنه من عذاب الدنيا والدنيا وما فيها تنقطع فلا بد أن يلحقهم الفناء والبلى ولا يعرف مقدار مدة ذلك. قال السيوطي: ويؤيد ذلك ما رواه هنا في الزهد عن مجاهد قال: للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة فإذا صيح بأهل القبور يقول الكافر: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ فيقول المؤمن إلى جنبه: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ [يس: ٥٢].

(**قال البراء بن عازب**) بن الحرث بن عدي الأنصاري الأوسي، صحابي ابن صحابي نزل الكوفة مات سنة اثنتين وسبعين: (**خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكساً رأسه ثم قال: « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر » ثلاثاً ثم قال: « إن المؤمن إذا كان في**) انقطاع من الدنيا و (**قبل من الآخرة**) أي إقبال منها (**بعث الله**) إليه

الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره، فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه، فإذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته ﴿مِنهَا خلقَناكُمْ وفيهَا نعيدُكُم ومنها نخرجُكم تارة أخرى﴾ [طه: ٥٥] الآية، وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد » ﷺ قال: « فينتهرانه انتهاراً شديداً وهي آخر فتنة تعرض على الميت، فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهي معنى قوله تعالى: ﴿يثبِّتُ اللهُ الذِينَ آمَنُوا بالقول الثابتِ﴾ [ابراهيم: ٢٧] الآية، ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول: ابشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم، فيقول: وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول: أنا عملك الصالح والله ما علمت إن كنت لسريعاً إلى طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً » قال: « ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول: اللهم عجّل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي » قال: « وأما الكافر فإنه إذا كان في قبل

(**ملائكة كأن وجوههم الشمس**) أي الإضاءة والإنارة (**معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره**) أي حيث ينتهي إليه بَصره، (**فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء**) أي من غير الذين بعثوا إليه، (**وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا أنه يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه قيل: أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾ الآية. وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد » ﷺ قال: « فينتهرانه انتهاراً شديداً وهي آخر فتنة تعرض على الميت، فإذا قال ذلك نادى مناد: أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية. ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول: أبشر برحمة الله من ربك وجنات فيها نعيم مقيم، فيقول: وأنت فيبشرك الله بخير من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح والله ما علمت إن كنت لسريعاً في طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً. قال: ثم ينادي مناد: أن أفرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيفرش له من الجنة ويفتح له باب إلى الجنة، فيقول: اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال: « وأما الكافر فإنه إذا كان في قبل الدنيا وانقطاع من الآخرة نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من**

من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه، فإذا صعد بروحه نبذ وقيل أي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول: الله عز وجل أرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إني وعدته ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [طه: ٥٥] الآية، وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له: يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول: لا أدري فيقال: لا دريت، ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول: أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم فيقول: بشرك الله بشر من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، والله إن كنت لسريعاً في معصية الله بطيئاً عن طاعة الله فجزاك الله شراً فيقول: وأنت فجزاك الله شراً، ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا، لو ضرب بها جبل صار تراباً فيضربه بها ضربة فيصير تراباً، ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرضين، ليس الثقلين» قال: «ثم ينادي مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له باباً إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار».

نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه نبذ) أي طرح (وقيل: أي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول: أرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر) أي وأنواع العذاب. (إني وعدته: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾ الآية فإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري. فيقال: لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب، فيقول: أبشر بسخط الله وبعذاب أليم مقيم، فيقول: بشرك الله بشر من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، والله إن كنت لسريعاً في معصية الله بطيئاً عن طاعة الله، فجزاك الله شراً. فيقول: وأنت فجزاك الله شراً ثم يقيض له أصم أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها) أي يحملوها (لم يستطيعوا) ذلك (لو ضرب بها جبل صار تراباً فيضربه بها ضربة فيصير تراباً، ثم تعود فيه الروح فيضرب بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرض ليس الثقلين») الجن والإنس. (قال: «ثم ينادي مناد أن أفرشوا له لوحين من نار وافتحوا له باباً فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار») . قال العراقي: رواه بطوله أبو داود والحاكم بكماله وقال صحيح على شرط الشيخين، وضعفه إبن حبان. ورواه النسائي وابن ماجه مختصراً انتهى.

قلت: وكذلك رواه أحمد، وابن أبي شيبة في المصنف، والطيالسي، وعبد بن حميد في مسنديهما، وهناد في الزهد، وابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما، والبيهقي في كتاب عذاب القبر وغيرهم من طرق صحيحة.

ولفظ أبي داود في السنن: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، وحدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو معاوية، وهذا لفظ هناد عن الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً. زاد في حديث جرير ههنا قال: «وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك»؟ وقال هناد: ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: «من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال فيقول هو رسول الله ﷺ. فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت» زاد في حديث جرير فذلك قول الله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية قال: «فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة» قال: «فيأتيه من روحها وطيبها» قال: «ويفتح له فيها مد بصره» قال: «وإن الكافر» فذكر موته قال: «وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء: أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار» قال: «فيأتيه من حرها وسمومها» قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه» زاد في حديث جرير قال: «ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً» قال: «فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً» قال: «ثم يعاد فيه الروح».

حدثنا هناد بن السري، حدثنا عبدالله بن نمير، حدثنا الأعمش، حدثنا المنهال، عن أبي عمر زاذان قال: سمعت البراء عن النبي ﷺ قال فذكر نحوه انتهى.

ولفظ الحاكم في المستدرك: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان» قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض» قال:

....

« فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلانة بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ينتهوا إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة يقول الله عز وجل : أكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى » قال : « فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة » قال : « فيأتيها من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره » قال : « ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد . فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح فيقول : رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي » قال : « وأن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ويجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب فتفرق في جسده فينتزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى به في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ [الأعراف : ٤٠] فيقول الله عز وجل : أكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فيطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ [الحج : ٣١] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول : رب لا تقم الساعة » .

قال السيوطي في أمالي الدرة : هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود بطوله ، والنسائي وابن ماجه من طرق عن المنهال مختصراً ، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجا بالمنهال وزاذان قال : وله شواهد يستدل بها على صحته . وقال الحافظ

وقال محمد بن علي: ما من ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص إلى حسناته ويطرق عن سيئاته.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال: أيتها النفس المطمئنة أخرجي راضية ومرضياً عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه

العراقي: متعقباً عليه لم يحتج مسلم بالمنهال ولا روى في صحيحه شيئاً وقد وثقه النسائي والعجلي وابن حبان وغيرهم، ولم يحتج البخاري بزاذان وإنما روى في الأدب له في صحيحه شيئاً، وقد وثقه النسائي والعجلي وابن حبان وغيرهم، ولم يحتج البخاري بزاذان وإنما روى له في الأدب المفرد، وثقه ابن معين وغيره. قال السيوطي: ليس مراد الحاكم أن كلا الشيخين احتجا بكل من المنهال وزاذان، وإنما عبر بلف ونشر مجمل، ومراده أن واحداً منهما احتج بالمنهال والآخر بزاذان ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾ [البقرة: ١١١] أي قال اليهود الأول والنصارى الثاني، لكن أهل الحديث غالباً يتأملون دقائق هذه العبارات لعدم اعتنائهم بها وإنما ذلك دأب أهل البيان والبديع اهـ.

ومن الشواهد التي أشار إليها الحاكم لحديث البراء حديث تميم الداري، رواه ابن أبي الدنيا، وأبو يعلى في مسنده الكبير من رواية أنس عن تميم مرفوعاً، وقد تقدم بطوله في أخر الباب الثالث من هذا الكتاب، ومن شواهده أيضاً حديث أبي هريرة، وله طرق. وسيأتي إن شاء الله تعالى. ومن شواهده أيضاً حديث أبي سعيد الخدري ولفظه: « إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وإدبار من الدنيا نزلت ملائكة من ملائكة الله تعالى كأن وجوههم الشمس بكفنه وحنوطه من الجنة فيقعدون منه حيث ينظر إليهم، فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض». رواه ابن منده هكذا مختصراً في كتاب الأحوال.

(وقال) أبو جعفر **(محمد بن علي)** بن الحسين بن علي رضي الله عنه: **(ما من ميت يموت إلا تمثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة. قال: فيشخص)** أي يرفع بصره **(إلى حسناته)** أي فرحاً بها، **(ويطرق)** أي يغض بصره **(عن سيئاته)** أي تندماً منها. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وروي أيضاً عن الحسن في قوله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ [القيامة: ١٣] قال: ينزل عند الموت حفظته فتعرض عليه الخير والشر، فإذا رأى حسنة بهش وأشرق، وإذا رأى سيئة غض وقطب. وروي أيضاً عن مجاهد قال: بلغنا أن نفس المؤمن لا تخرج حتى يعرض عليه عمله خيره وشره.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: « إن المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان)** جمع ضبارة بالكسر هي الجماعات في تفرقة قاله ابن الأثير، وقد تقدم ضبطه في حديث تميم الداري **(فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين،**

وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين . وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعاً شديداً ويقال : أيتها النفس الخبيثة أخرجي ساخطة ومسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه ، فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وإن لها نشيشاً ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين » .

ويقال أيتها النفس المطمئنة أخرجي راضية مرضية عنك إلى روح الله وكرامته ، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين ، وأن الكافر إذا حضر أتته الملائكة بمسح) بالكسر قطعة من الكساء الأسود (**فيه جمرة**) أي من جهنم (**فتنزع روحه انتزاعاً شديداً ، ويقال : أيتها النفس الخبيثة أخرجي ساخطة ومسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه ، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فإن له نشيشاً**) أي صوتاً (**ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين »**) قال العراقي : رواه النسائي وابن حبان مع اختلاف والبزار بلفظ المصنف اهـ .

قلت : هذا لفظ البزار ، ورواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم واللفظ له ، والبيهقي بلفظ : « إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : أخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك ، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضاً فيشمونه حتى يأتوا به إلى باب السماء فيقولون : ما أطيب هذه الريح التي جاءت من الأرض كلما أتوا سماء قالوا ذلك حتى يأتوا به إلى أرواح المؤمنين ، فلهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم عليه ، فيسألونه ما فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال لهم : ما أتاكم فإنه قد مات ؟ يقولون ذهب به إلى أمه الهاوية . وأما الكافر ؛ فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون أخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله وسخطه فتخرج كأنتن ريح جيفة فينطلقون به إلى باب الأرض فيقولون : ما أنتن هذه الريح كلما أتوا على أرض قالوا ذلك حتى يأتوا به أرواح الكفار » لفظ الحاكم إلى قوله باب الأرض ، وما بعده لفظ النسائي .

وأخرجه أبو بكر المروزي في كتاب الجنائز ، عن القواريري ، عن حماد بن زيد ، عن بديل بن ميسرة ، عن عبدالله بن شقيق ، عن أبي هريرة قال : « إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان فصعدا بها فذكر من طيبها ويقول أهل السماء ريح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلقون به إلى ربه تعالى » .

ولحديث أبي هريرة طريق أخرى روى ابن ماجه والبيهقي عنه مرفوعاً قال : « تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قال : أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان ، فلا تزال يقال لها كذلك حتى تخرج ، ثم يعرج إلى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون : فلان بن فلا نة . فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخلي حميدة وابشري بروح ريحان ورب راض غير غضبان ، فلا تزال يقال لها ذلك

....

حتى تنتهي إلى السماء السابعة. فإذا كان الرجل السوء قال: أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، أخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر».

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان فيصعدان بها فذكر من طيبها ويقول أهل السماء: ريح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلقون به إلى ربه تعالى، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل، وأن الكافر إذا خرجت روحه فذكر من نتنها وذكر لعناً وتقول أهل السماء ريح خبيثة جاءت من قبل الأرض فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل» فحديث أبي هريرة بطرقه المذكورة شاهد جيد لحديث البراء السابق.

ومن شواهده أيضاً ما رواه هناد في الزهد، وعبد بن حميد في التفسير، والطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات عن عبدالله بن عمرو وقال: «إذا توفى الله العبد المؤمن أرسل إليه ملكين بخرقة من الجنة وريحان من الجنة فقالا: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان، أخرجي فنعم ما قدمت فتخرج كأطيب ريح مسك وجدها أحدكم بأنفه وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون: سبحان الله لقد جاء من الأرض اليوم روح طيبة فلا تمر بباب إلا فتح له ولا ملك إلا صلى عليه وشفع حتى يؤتى به ربه عز وجل، فتسجد الملائكة قبله ثم يقولون: هذا عبدك فلان توفيناه وأنت أعلم به فيقول: مروه بالسجود فتجسد النسمة، ثم يدعى ميكائيل فيقال: إجعل هذه النسمة مع نفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة فيؤمر بقبره فيوسع له طوله سبعون وعرضه سبعون وينبذ فيه الريحان ويبسط له فيه الحرير، وإن كان معه شيء من القرآن نوره وإلا جعل له نور مثل نور الشمس، ثم يفتح له باب إلى الجنة فينظر إلى مقعده في الجنة بكرة وعشياً. وإذا توفى الله العبد الكافر أرسل إليه ملكين وأرسل إليه بجاداً أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فقالا: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى جهنم وعذاب أليم ورب عليك ساخط، أخرجي فساء ما قدمت فتخرج كأنتن جيفة وجدها أحدكم بأنفسه قط وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون: سبحان الله لقد جاء من الأرض جيفة ونسمة خبيثة لا يفتح لها باب السماء، فيؤمر بجسده فيضيق عليه في القبر ويملأ حيات مثل أعناق البخت تأكل لحمه فلا تدع من عظامه شيئاً، ثم يرسل عليه ملائكة صم عمي معهم فطاطيس من حديث لا يبصرونه فيرحمونه ولا يسمعون صوته فيرحمونه فيضربونه ويخبطونه، ويفتح له باب من نار فينظر إلى مقعده من النار بكرة وعشياً يسأل الله أن يديم ذلك عليه فلا يصل إلى ما وراءه من النار أرجاء السماء نواحيها» والبجاد: الكساء الغليظ والفطاطيس جمع فطيس كسكير المطرقة العظيمة.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف، والبيهقي واللالكائي عن أبي موسى الأشعري قال: «تخرج نفس المؤمن وهي أطيب ريحاً من المسك فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتلقاهم ملائكة دون

السماء فيقولون: من هذا معكم؟ فيقولون: فلان ويذكرونه بأحسن عمله. فيقولون: حياكم الله وحيا من معكم فتفتح له أبواب السماء فيشرق وجهه فيأتي الرب ولوجهه برهان مثل الشمس». قال: «وأما الكافر فتخرج نفسه وهي أنتن من الجيفة فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتلقاهم ملائكة دون السماء فيقولون: من هذا؟ فيقولون: فلان ويذكرونه بأسوأ عمل فيقولون ردوه فما ظلمه الله وقرأ أبو موسى: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾» [الأعراف: ٤٠] وروى ابن المبارك من طريق شمر بن عطية ان ابن عباس سأل كعب الأحبار عن قوله تعالى: ﴿كلا ان الأبرار لفي عليين﴾ [المطففين: ١٨] قال إن روح المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى، حتى ينتهي بها إلى العرش وتعرج الملائكة فتخرج لها الملائكة تحت العرش رقاً فتختم ويرقم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة للحساب يوم القيامة، فذلك قوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ★ وما أدراك ما عليون ★ كتاب مرقوم﴾ [المطففين: ١٨، ٢٠] قال: وقوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ [المطففين: ٧] قال: إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها فيهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فيدخل بها تحت سبع أرضين، حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو خد إبليس فتخرج لها من خد إبليس كتاباً فيختم ويوضع تحت خد إبليس لهلاكه للحساب، فذلك قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما سجين ★ كتاب مرقوم﴾ [المطففين: ٨، ٩] وروى ابن أبي الدنيا عن ابراهيم النخعي قال: بلغنا أن المؤمن يستقبل عند موته بطيب من طيب الجنة، وريحان من ريحان الجنة، فتقبض روحه فتجعل في حرير من حرير الجنة، ثم ينضح بذلك الطيب ويلف في الريحان ثم ترتقي به ملائكة الرحمة حتى يجعل في عليين.

وروى ابن مردويه، وابن منده بسند ضعيف، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها في الجنة أو النار» ثم قال: «فإذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين كأن وجوههم الشمس فينظر إليهم ما يرى غيرهم، وإن كنتم ترون أن ينظر إليكم، مع كل ملك منهم أكفان وحنوط فإن كان مؤمناً بشروه بالجنة وقالوا: أخرجي أيتها النفس الطيبة إلى رضوان الله وجنته، فقد أعد الله من الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، فلا يزالون يبشرونه ويحفون به فهم ألطف به وأرأف من الوالدة بولدها، ثم يسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل ويموت الأول فالأوّل ويهوّن عليه وإن كنتم ترونه شديداً حتى تبلغ ذقنه فهي أشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم، فيبتدرونها كل منهم أيهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ [السجدة: ١١] فيتلقاها باكفان بيض ثم يحتضنها إليه، فلهو أشد لزوماً لها من المرأة لولدها ثم يفوح منها ريح أطيب من المسك يستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون: مرحبا بالريح الطيبة والروح الطيب. اللهم صل عليه روحاً وصلّ على جسد خرجت منه فيصعدون بها إلى الله، ولله خلق في الهواء لا يعلم عدتهم إلا هو فيفوح لهم منها ريح أطيب من المسك، فيصلون عليها ويتباشرون بها، وتفتح لهم أبواب السماء فيصلي عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم حتى ينتهي بها

وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء الموتُ قالَ ربِّ ارجعون ★ لعلي أعملُ صالِحاً فيمَا تركتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠] قال: أي شيء تريد في أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشقق الأنهار؟ وقال: لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، قال: فيقول الجبار: ﴿كلا إنَّها كلمةٌ هو قائِلُها﴾ [المؤمنون: ١٠٠] أي ليقولنها عند الموت. وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعاً ويضيء

إلى الملك فيقول الجبار جل جلاله: مرحباً بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه، وإذا قال الرب جل جلاله لشيء مرحباً رحب له كل شيء ويذهب عنه كل ضيق ثم يقول لهذه النفس الطيبة: ادخلوها الجنة واعرضوا عليها ما أعدّ لها من الكرامة والنعيم، اذهبوا بها إلى الأرض فإني قضيت أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها اخرجهم تارة أخرى، فوالذي نفسي بيده لهي أشد كراهية للخروج منها حيث كانت تخرج من الجسد وتقول: أين تذهبون بي إلى ذلك الجسد الذي كنت فيه؟ فيقولون: إنا مأمورون بهذا فلا بدّ لك منه فيهبطون بها على قدر فراغهم من غسله وأكفانه، فيدخلون ذلك الروح بين جسده وأكفانه».

وروى ابن أبي حاتم عن السدي قال: الكافر إذا أخذ روحه ضربته ملائكة الأرض حتى ترتفع في السماء، فإذا بلغ السماء ضربته ملائكة السماء فهبط، فضربته ملائكة الأرض فارتفع ضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط إلى أسفل الأرضين.

(**وعن محمد بن كعب**) بن سليم بن أسد أبو حمزة (**القرظي**) المدني نزيل الكوفة، ولد سنة أربعين على الصحيح روى له الجماعة (**أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون★ لعلي اعمل صالح فيما تركت﴾ قال: أي شيء تريد في أي شيء ترغب؟ أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشقق الأنهار؟ قال: لا لعلي اعمل صالحاً فيما تركت. قال: فيقول الجبار: ﴿كلا إنّها كلمة هو قائلها﴾ أي ليقولنها عند الموت**) رواه ابن أبي الدنيا. وروى ابن جرير، وابن المنذر في تفسيريهما عن ابن جريج قال، قال النبي ﷺ لعائشة: «إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان قدماً إلى الله، وأما الكافر فيقولون نرجعك فيقول: ﴿رب ارجعون ★ اعمل صالحاً فيما تركت﴾». وروى الديلمي من حديث جابر: «إذا حضر الإنسان الوفاة يجمع له كل شيء يمنعه عن الحق فيجعل بين عينيه فعند ذلك يقول: ﴿رب ارجعون★ لعلي اعمل صالحاً فيما تركت﴾» وفي الآية وجه آخر تقدم ذكره في كتاب الزكاة.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال النبي ﷺ: «المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب**) أي يوسع (**له قبره سبعين ذراعاً**) وفي بعض النسخ في قبره سبعون ذراعاً (**ويضيء**

حتى يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرون فيماذا أنزلت: ﴿فإن لهُ مَعيشةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤] قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً هل تدرون ما التنين، تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون»، ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص، فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات، فإن لها أصولاً معدودة، ثم تتشعب منها فروع معدودة، ثم تنقسم فروعها إلى أقسام. وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات، فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ

حتى يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرون فيماذا أنزلت ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «في عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً هل تدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون») وفي لفظ إلى يوم القيامة. قال العراقي: رواه ابن حبان اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في الموت، والحكيم في النوادر، وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والآجري وابن منده. وروى أحمد وأبو يعلى والبيهقي في عذاب القبر، والآجري من حديث أبي سعيد الخدري: «يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيناً تلدغه حتى تقوم الساعة». وروى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، ومسدد في مسنده، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه، والبيهقي في عذاب القبر من حديث أبي سعيد الخدري في قوله: ﴿معيشة ضنكا﴾ قال: «عذاب القبر». ولفظ ابن أبي حاتم «ضغطة القبر» ولفظ عبد الرزاق قال: «يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه». وروى البزار وابن أبي حاتم من حديث أبي هريرة: «المعيشة الضنك أن يسلط عليه تسعة وتسعون حية تنهش لحمه حتى تقوم الساعة». وروى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم من وجه آخر من حديث أبي هريرة قال: «معيشة ضنكاً عذاب القبر». وقد روى عن ابن مسعود وأبي صالح والربيع مثله. وروى ابن منده من حديث أبي هريرة: «المؤمن في قبره في روضة خضراء» الحديث إلى قوله: ﴿ليلة البدر﴾ وروى علي بن معبد عن معاذة عن عائشة قالت: إن كان مؤمناً فسح له في قبره أربعون ذراعاً.

(ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص، فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات، فإن لها أصولاً معدودة، ثم تتشعب فروع معدودة، ثم تنقسم فروعها. فأقسام تلك الصفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات، فالقوي منها يلدغ لدغ التنين، والضعيف يلدغ لدغ العقرب، وما بينهما يؤذي إيذاء الحية، وأرباب القلوب

العقرب، وما بينهما يؤذي إيذاء الحية. وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا إن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة. فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة، فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم.

والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة، فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية، ولكنها عند أرباب البصائر واضحة، فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها، بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم).

قال المصنف في آخر كتاب الجواهر: وأما قولك إن المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران والعقارب والحيات؛ فهذا صحيح وهو كذلك لكني أراك عاجزاً عن فهمه ودرك سره وحقيقته إلا أني أنبهك على أنموذج منه تشويقاً لك إلى معرفة الحقائق والتشمير للاستعداد لأمر الآخر فإنه نبأ عظيم أنتم عنه معرضون، فقد قال ﷺ: «المؤمن في قبره في روضة خضراء» فذكر الحديث بتمامه، ثم قال: فانظر إلى هذا الحديث واعلم أن هذا حق على هذا الوجه شاهده أهل البصائر ببصيرة أوضح من البصر الظاهر والجاهل ينكر ذلك إذ يقول: أنا أنظر في قبره فلا أرى ذلك أصلاً، فليعلم الجاهل أن هذا التنين ليس خارجاً عن ذات الميت أعني ذات روحه لا ذات جسده، فإن الروح هي التي تتنعم وتتألم، بل كان معه قبل موته متمكناً من باطنه، لكنه لم يكن يحس بلدغه لخدر كان فيه من غلبة الشهوات فأحس بلدغه بعد الموت، وليتحقق أن هذا التنين مركب من صفاته وعدد رؤوسه بعدد أخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا، فأصل هذا التنين حب الدنيا وتتشعب عنه رؤوس بعدد ما يتشعب من حب الدنيا من الحسد والحقد والكبر والرياء والشره والمكر والخداع وحب الجاه والمال والعداوة والبغضاء، وأصل ذلك معلوم بالبصيرة، وكذا كثرة رؤوسه اللادغة. وأما انحصار عددها في تسعة وتسعين إنما يوقف عليه بنور النبوة؛ فهذا التنين متمكن من صميم فؤاد الكافر لا بمجرد جهله بالكفر، بل لما يدعو إليه الكفر كما قال تعالى: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ [النحل: ١٠٧] قال تعالى: ﴿اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ [الأحقاف: ٢٠] الآية. وهذا التنين لو كان كما تظنه خارجاً عن ذات الميت لكان أهون إذ ربما ينصرف عنه التنين أو ينحرف هو عنه، لا بل هو متمكن من صميم فؤاده يلدغه لدغاً أعظم مما تفهمه من لدغ التنين وهو بعينه صفاته التي كانت معه في حياته، كما أن التنين الذي يلدغ قلب العاشق إذا باع جاريته هو بعينه العشق الذي كان مستكناً في قلبه استكنان النار في الحجر وهو غافل عنه، فقد إنقلب ما كان سبب لذته سبب ألمه، وهذا سر قوله ﷺ: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم» وسر قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً

فإن قلت: فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئاً من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة؟ فاعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا:

أحدها: وهو الأظهر والأصح والأسلم أن تصدق بأنها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك، فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت. أما ترى الصحابة رضي الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه، ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده، فإن

وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠] بل سر قوله تعالى: ﴿لو تعلمون علم اليقين★ لترون الجحيم﴾ [التكاثر: ٥، ٦] أي أن الجحيم في باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين ولترونها قبل أن تدركوها بعين اليقين، بل هو سر قوله تعالى: ﴿يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [العنكبوت: ٥٤] ولم يقل إنها ستحيط بل قال هي محيطة. وقوله: ﴿إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ [الكهف: ٢٩] ولم يقل إنها ستحيط بهم، وهو معنى قوله: إن الجنة والنار مخلوقتان. وقد أنطق الله لسانه بالحق، ولعله لم يطلع على سر ما يقوله: فإنك لم تفهم بعض معاني القرآن، كذلك فليس لك نصيب من القرآن إلا في قشوره كما ليس للبهيمة نصيب من البر إلا في قشوره الذي هو التبن، والقرآن غذاء الخلق كلهم على اختلاف أصنافهم، ولكن اغتذاؤهم به على قدر درجاتهم، وفي كل غذاء مخ ونخالة وتبن، وحرص الحمار على التبن أشد منه على الخبز المتخذ من اللب فأنت شديد الحرص على أن لا تفارق درجة البهيمة، ولا أن ترقى إلى درجة الإنسانية فضلاً عن الملائكة، فدونك الانسراح في رياض القرآن ففيه متاع لكم ولأنعامكم.

(**فإن قلت: فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئاً من ذلك**) أي من أنواع العذاب من الحيات والعقارب، (**فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة؟ فاعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا**).

(**أحدها: وهو الأظهر والأصح والأسلم أن تصدق بأنها موجودة وهي تلدغ الميت**) نظراً لظاهر الأخبار الصحيحة، (**ولكنك لا تشاهد ذلك فإن هذه العين**) التي تبصر بها الأمور الظاهرة (**لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت**) فإنه ضد عالم الشهادة. (**أما ترى الصحابة**) رضوان الله عليهم (**كيف كانوا يؤمنون**) أي يصدقون (**بنزول جبريل**) عليه السلام على النبي ﷺ، (**وما كانوا يشاهدونه**) على هيئته التي هو عليها، (**ويؤمنون**) مع ذلك (**بأنه ﷺ**) كان (**يشاهده**) مشاهدة عيان،

كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك، وإن كنت آمنت به وجوّزت، أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة فكيف لا تجوز هذا في الميت؟ وكما أن الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات، فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى.

المقام الثاني: أن تتذكر أمر النائم وأنه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح في نومه ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه، كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان، وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى حواليه حية، والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد. وإذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد.

المقام الثالث: إنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم، ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم، فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفر، وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة، فإنه لو خلق في الإنسان لذة الوقاع مثلاً من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إليه لتكون

(فإن كنت لا تؤمن بهذا) القدر **(فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك)** من كل شيء، **(وإن آمنت به وجوّزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة، فكيف لا تجوّز هذا في الميت، وكما أن الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا)** ولا من جنس عقاربه، **(بل هي من جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى)** غير حاسة البصر.

(والمقام الثاني: أن يتذكر أمر النائم وأنه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح) من ذلك الألم **(ويعرق جبينه)** من شدته، **(وقد ينزعج من مكانه. كل ذلك يدركه من نفسه كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكناً)** لا يتحرك **(ولا ترى حواليه حية، والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد. وإذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد.**

المقام الثالث: إنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم، ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم، فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة، فإنه لو خلق في الإنسان لذة الوقاع مثلاً من

الإضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب، والسبب يراد لثمرته لا لذاته.

وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات. وانقلاب الصفة مؤذية يضاهي انقلاب العشق مؤذياً عند موت المعشوق، فإنه كان لذيذاً فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلماً، حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أن لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال، بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فإنه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه، ولو أخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله؟ أليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لا أتأذى بفراقه؟ فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة.

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحدُ

فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه؟ ثم ينضاف إلى

غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إليه لتكون الإضافة للتعريف بالسبب، وتكون ثمرة السبب حاصلة، وإن لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته.

(وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية يضاهي انقلاب العشق مؤذياً عند موت المعشوق فإنه كان لذيذاً فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلماً حتى نزل بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أنه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال، بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فإنه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه، ولو أخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله؟ أليس يعظم شقاؤه) ويكثر أسفه **(ويشتد عذابه ويتمنى)** ويتلهف **(ويقول: ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط، فكنت لا أتأذى بفراقه)** ولا أتألم عند انقطاعه؟ **(فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة)** كما قال الشاعر:

(ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد)

(فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه، ثم ينضاف إلى هذا

هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل، فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به، فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرته على ما فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى، وذلك هو العذاب الذي يعذب به إذ لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما قال تعالى: ﴿كلا إنَّهم عن ربِّهم يومئذ لمحجُوبُونَ ★ ثم إنَّهم لصَالُوا الجحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥-١٦]، وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقاً إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن عن الزوال أبد الآباد، ولمثل ذلك فليعمل العاملون.

والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب. فإذاً ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب، وحبه للفرس هو الذي يلدغه إذا أخذ منه فرسه. فليستعد لهذه اللدغات، فإن الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه، ويأخذ منه جاهه وقبوله، بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه وييأس من رجوع جميع ذلك إليه. فإذا لم

العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تعالى) وهو أعظم ما يتحسر عليه، **(فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوبات وحسرته على ما فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى، وذلك هو الذي يعذب به إذا لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما قال تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون★ ثم انهم لصالوا الجحيم﴾)** فحجابهم عن ربهم سبب لدخولهم الجحيم، **(وأما من لم يأنس بالدنيا)** ولم يطمئن إليها **(ولم يحب إلا الله وكان مشتاقاً إلى لقاء الله، فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها)** فكان الموت في حقه تحفة وإطلاقاً عن السجن، **(وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن عن الزوال أبد الآباد)** وإليه أشار القطب سيدي علي وفا قدس سره.

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

(ولمثل ذلك فليعمل العاملون).

(والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب) على أخذ الفرس منه، **(فإذاً ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب، وحبه للفرس هو الذي يلدغه إذا أخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله، بل يأخذ منه سمعه وبصره**

يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه، فذلك أعظم عليه من العقارب والحيات، وكما لو أخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه فكذلك إذا مات، لأنا قد بينا أن المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد. لأنه في الحياة يتسلى بأسباب يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود إليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت، إذ قد أنسد عليه طرق التسلي وحصل اليأس. فإذاً كل قميص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فإنه يبقى متأسفاً عليه ومعذباً به، فإن كان مخفاً في الدنيا سلم وهو المعنى بقولهم: نجا المخفون، وإن كان مثقلاً عظم عذابه. وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير، فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله ﷺ: «صاحب الدرهم أخف حساباً من صاحب الدرهمين»، وما من شيء من الدنيا يتخلف

وأعضاءه، ويأسف عن رجوع جميع ذلك كله إليه، فإذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم من العقارب والحيات، وكما لو أخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه، فكذلك إذا مات لأنا قد بينا أن المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحياة يبتلي بأسباب تشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة، ويبتلي برجاء العود إليه، ويبتلي برجاء العوض عنه، ولا سلوة بعد الموت إذ قد انسدت عليه طرق التسلي وحصل اليأس، فإذاً كل قميص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فإنه يبقى متأسفاً عليه ومعذباً فإن كان مخففاً من الدنيا سلم وهو المعنى بقوله: نجا المخفون). والمشتهر على الألسنة: فاز المخفون وهو بمعناه. وفي حديث أبي الدرداء «أمامكم عقبة كؤد لا يجوزها المثقلون» رواه الحاكم في المستدرك وهو في النهاية لابن الأثير بلفظ: إن بين أيدينا عقبة كؤد لا يتجاوزها إلا الرجل المخف. وفي الحلية لأبي نعيم في قصة التقاء عمر بن الخطاب بأويس القرني وعرض عليه نفقة وأباها أنه قال: يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك عقبة كؤداً لا يجاوزها إلا كل ضامر مخف. وعند الطبراني من حديث أنس: «يا أبا ذر أعلمت أن بين أيدينا عقبة كؤداً لا يصعدها إلا المخففون». وقد قال الشاعر:

هذا الزمان الذي قال الرسول لنا ... خفوا الرحال فقد فاز المخفونا

(وإن كان مثقلاً عظم عذابه) واشتد تعبه، **(وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير، فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين، وهو المعنى بقوله ﷺ: «صاحب الدرهم أخف حساباً من صاحب الدرهمين»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: بل رواه الحاكم في تاريخه من حديث أبي هريرة بلفظ: «ذو الدرهمين أشد حساباً من ذي

عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت، فإن شئت فاستكثر وإن شئت فاستقلل، فإن استكثرت فلست بمستكثر إلا من الحسرة، وإن استقللت فلست تخفف إلا عن ظهرك ».

وإنما تكثر الحيات والعقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقاربه وفي سائر أنواع عذابه.

رأى أبو سعيد الخراز ابناً له قد مات في المنام فقال له: يا بني عظني، قال: لا تخالف الله تعالى فيما يريد، قال: يا بني زدني، قال: يا أبت لا تطيق! قال: قل، قال: لا تجعل بينك وبين الله قميصاً، فما لبس قميصاً ثلاثين سنة.

الدرهم، وذو الدينارين أشد حساباً من ذي الدينار ». وقد روي نحو ذلك من قول أبي ذر. قال أحمد في الزهد: حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان، حدثني سليمان، عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: « ذو الدرهمين أشد حساباً من ذي درهم واحد ». ورواه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه.

(**وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت، فإن شئت فاستكثر وإن شئت فاستقلل، فإن استكثرت فلست مستكثراً إلا من الحسرة وإن استقللت فلست تخفف إلا عن ظهرك**) وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي أسماء الرحبي أنه دخل على أبي ذر وهو بالربذة وعنده امرأة سوداء شعثة ليس عليها أثر المجاسد والخلوق قال: فقال ألا تنظرون إلى ما تأمرني به هذه السوداء؟ تأمرني أن آتي العراق فإذا أتيت العراق مالوا علي بدنياهم وأن خليلي عهد إلى أن دون جسر جهنم طريقاً ذا دحض ومزلة وإنا أن ناتي عليه وفي أحمالنا اقتدار أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير.

(**وإنما تكثر الحيات والعقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها**) وإنما كثرتها بكثرة صفاتهم الخبيثة. (**فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقاربه وفي سائر أنواع عذابه**).

ويروى أنه (**رأى أبو سعيد الخراز رحمه الله ابناً له قد مات في المنام فقال له: يا بني عظني، قال: لا تخالف الله تعالى فيما يريد، قال: يا بني زدني، قال: يا أبت لا تطيق**) أي لصعوبته. (**قال: قل، قال: لا تجعل بينك وبين الله قميصاً فما لبس قميصاً ثلاثين سنة**) أورده القشيري في الرسالة إلا أنه قال: يا بني أوصني. فقال: يا أبت لا تعامل الله على الجبن. فقال: يا بني زدني. فقال: لا تخالف الله فيما يطالبك والباقي سواء.

فإن قلت : فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث ؟ فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده . ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثاني . ومنهم لم يثبت إلا الثالث . وإنما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك في حيز الإمكان . وأن من ينكر بعض ذلك فهو أضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله سبحانه وعجائب تدبيره ، فينكر من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه ، وذلك جهل وقصور . بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب . ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع ، ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة ، نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره .

وهذا هو الحق فصدق به تقليداً فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقاً ، والذي أوصيك به أن لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشغل بمعرفته ، بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيفما كان ، فإن أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك ، كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه ، فأخذ طول الليل يتفكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى ؟ وأهمل طريق الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل ، فقد علم على القطع أن العبد لا يخلو بعد الموت من

(فإن قلت: فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث؟ فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده، ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثاني، ومنهم من لم يثبت إلا الثالث، وإنما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك في حيز الامكان، وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره، فينكر من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور ، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب، ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع، ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة. نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره) .

(هذا هو الحق فصدق به تقليداً ، فيعز) أي يندر **(على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقاً)** لأنه ليس من جنس معارف هذا العالم ، **(والذي أوصيك به أن لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته)** فتضيع وقتك ، **(بل تشتغل بالتدبير)** والاحتيال **(في رفع العذاب)** عنك **(كيفما كان)** وبأي وجه أمكن ، **(فإن اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه)** ويمثل به ، **(فأخذ طول الليل يتفكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى)** أو غير ذلك من آلات القطع ، **(وأهمل طريق الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه، وهذا غاية الجهل فقد**

عذاب عظيم أو نعيم مقيم، فينبغي أن يكون الاستعداد له. فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان.

علم على القطع) واليقين **(أن العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم أو عن نعيم مقيم، فينبغي أن يكون الاستعداد له. فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان)** وفيه غاية الخسران.

قال المصنف في آخر كتاب الأربعين الذي ختم به كتاب الجواهر ما نصه، فإن قلت: فهل يتمثل هذا التنين تمثلاً يشاهده مشاهدة تضاهي إدراك البصر، أو هو تألم محض في ذاته كتألم العاشق إذا حيل بينه وبين معشوقه؟ فأقول: بل هو يتمثل له حتى يشاهده، ولكن تمثلاً روحانياً لا على وجه يدركه من هو بعد في عالم الشهادة إذا نظر في قلبه، فإن ذلك من عالم الملكوت. نعم العاشق أيضاً قد ينام فيتمثل له حاله في المنام، فربما يرى حية تلدغ صميم فؤاده لأنه يعد بالنوم في عالم الشهادة قليلاً، فلذلك تتمثل له حقائق الأشياء تمثلاً محاكياً للحقيقة منكشفاً له من عالم الملكوت، والموت أبلغ في الكشف من النوم لأنه أقمع لنوازع الحس والخيال، وأبلغ في تحذير جوهر الروح من غشاوة هذا العالم، فلذلك يكون التمثيل تاماً محققاً دائماً لا يزول فإنه نوم لا ينتبه منه إلى يوم القيامة. فيقال: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] واعلم أن المستيقظ بجنب النائم إن كان لا يشاهد الحية التي تلدغ النائم، فذلك غير مانع من وجود الحية التي تلدغ النائم في حقه، وحصول الألم به. كذلك حال الميت في قبره، ولعلك تقول: قد استدعيت قولاً مخالفاً للمشهور منكراً عند الجمهور إذ زعمت أن أنواع عذاب الآخرة يدرك بنور البصيرة والمشاهدة إدراكاً مجاوزاً حد التقليد الشرعي، فهل يمكن إن كان ذلك حصر أصناف العذاب وتفاصيله؟ فاعلم أن مخالفتي للجمهور لا أنكرها، وكيف ينكر مخالفة المسافر للجمهور والجمهور مستقرون في البلد الذي هو مسقط رؤوسهم ومحل ولادتهم، وهو المنزل الأول من منازل وجودهم، وإنما يسافر منهم الآحاد. واعلم أن البلد منزل البدن والقالب، وإنما منزل روح الإنسان عوالم الإدراكات والمحسوسات وهو المنزل الأول، والمتخيلات المنزل الثاني، والتوهمات المنزل الثالث، وما دام الإنسان في المنزل الأول فهو دود وفراش فإن فراش النار ليس له إلا الإحساس، ولو كان له تخيل وحفظ للمتخيل بعد الإحساس لما تهافت على النار مرة بعد أخرى، وقد تأذى بها أولاً، فإن الطير وسائر الحيوانات إذا تتأذى في موضع بالضرب تفر منه ولم تعاوده لأنه بلغ المنزل الثاني وهو حفظ المتخيلات بعد غيبوبتها عن الحس، وما دام الإنسان في المنزل الثاني بعد فهو بهيمة ناقصة إنما حده أن يحذر من شيء تأذى به مرة، وما لم يعاود بشيء فلا يدري أنه يحذر منه، فإذا صار في المنزل الثالث وهو المتوهمات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلاً، فإنه قد يحذر من الأسد إذا رآه أولاً وإن لم يتأذ به قط فلا يكون حذره موقوفاً على أن يتأذى به مرة، بل الشاة ترى الذئب أولاً فتحذره، وترى الجمل والثور وهما أعظم منه شكلاً وأهول منه صورة فلا تحذرهما إذ ليس من طبعها أذاها، وإلى الآن في مشاركة البهائم، وبعد هذا يترقى

الإنسان إلى عالم الإنسانية فيدرك الأشياء لا تدخل في حس ولا تخيل ولا وهم ويحذر به الأمور المستقبلة، ولا يقتصر حذره على الأمور العاجلة اقتصار حذر الشاة على ما تشاهد في الحال من الذئب. ومن ههنا يصير حقيقته الإنسانية والحقيقة هي الروح المنسوبة إلى الله تعالى ونفخت فيه من روحي، وفي هذا العالم يفتح له باب الملكوت فيشاهد الأرواح المجردة عن غشاوة القوالب. وأعني بهذه الأرواح الحقائق المحض المجردة عن كسوة التلبيس وغشاوة الأشكال، وهذا العالم لا نهاية له. وأما العوالم المحسوسات والمتخيلات والموهومات، فمتناهية لأنها متجاورة للأجسام وملتصقة بها، والأجسام لا يتصوّر أن تكون غير متناهية والسير في هذا العالم مثاله الخيالي المشي على الماء، ثم يترقى منه إلى المشي على الهواء، وأما ليزداد على المحسوسات فهو كالمشي على الأرض وفيها تتولد درجات الشياطين معنى يتجاوز الإنسان عوالم البهائم فينتهي إلى عالم الشياطين، ومنه يسافر إلى عالم الملائكة وقد ينزل فيه ويستقر، وفي هذه العوالم كلها منازل الهدى، والهدى المنسوب إلى الله تعالى يوجد في العالم الرابع وهو عالم الأرواح، وهو قوله تعالى: ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ [آل عمران: ٧٣] ومقام كل إنسان ومحله ومنزلته في العلو والسفل بقدر إدراكه، وهو معنى قول علي رضي الله عنه: الناس أبنـاء ما يحسنون، فالإنسان بين أن يكون دوداً أو حماراً أو فرساً أو شيطاناً ثم يجاوز ذلك فيصير ملكاً. والملائكة درجات: فمنهم الأرضية، ومنهم السماوية، ومنهم المقربون المرتفعون عن الالتفات إلى السماء والأرض القاصرون نظرهم على جمال حضرة الربوبية وملاحظة الوجه الكريم خاصة، وهم أبداً في دار البقاء إذ ملحوظهم هو الوجه الباقي، وأما ما عدا ذلك فالفناء مصيره. أعني السموات والأرض وما يتعلق بها من المحسوسات والمتخيلات والموهومات وهو معنى قوله تعالى: ﴿كل ما عليها فان★ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] وهذه العوالم منازل سفر الإنسان ليترقى من حضيض درجة البهائم إلى يفاع رتبة الملائكة، ثم يترقى من رتبهم إلى رتبة العشاق وهم منهم فهم العاكفون على ملاحظة جمال الوجه يسبحون الوجه الكريم ويقدسونه بالليل والنهار لا يفترون، فانظر الآن إلى خسة الإنسان وإلى شرفه إلى بعد مراقيه في معراجه وإلى استحطاط درجاته في سفله، وكل الآدميين مردودون إلى أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يترقون منها فلهم أجر غير ممنون، وهو ملاحظة جمال الوجه. وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية. لأن معنى الأمانة التعرض للعهدة لخطر الثواب والعقاب في الطاعة والمعصية، ولا خطر على سكان الأرض هم البهائم إذ ليس لهم إمكان الترقي من المنزل الثاني، ولا خطر على الملائكة إذ ليس لهم خوف الانحطاط إلى حضيض علم البهائم، فانظر إلى الإنسان وعجائب عوالمه كيف يعرج إلى سماء العلو رقياً ويهوي إلى الأرض السافلة للحقارة هوياً متقلداً. هذا الخطر العظيم الذي لم يتقلده في الوجود غيره، فيا مسكين كيف تقهرني بالعاقبة وتخوّفني بمجاوزة الجمهور ومخالفة المشهور، وبذلك فرحي وسروري إن الذي تكرهونه مني هو الذي يشتهيه قلبي، فاطوطور الهذيان ولا تقعقع بعد هذا بالشنان وأما مطالبتك

بتفصيل عذاب الآخرة، وذكر أصنافه، فلا تطمع في التفصيل فذلك داعية إلى الإملال والتطويل، فقد ظهر لي بالمشاهدة ظهوراً أوضح من العيان أن أصناف عذاب الآخرة ثلاثة. أعني الروحاني منها حرقة فرقة المشتهيات وخزي خجلة المفضحات وحسرة فوات المحبوبات، فهذه ثلاثة أنواع من النيران الروحانية تتعاقب على روح من آثر الحياة الدنيا إلى أن ينتهي إلى مقاساة النار الجسماني، فإن ذلك يكون في آخر الأمر، فخذ الآن شرح هذه الأصناف.

الصنف الأول: حرقة فرقة المشتهيات، فصورته المستعارة من عالم الحس والتخيل التنين وضعه الشارع ﷺ وعدد رؤوسه وهي بعدد الشهوات ورذائل الصفات، يلدغ صميم الفؤاد لدغاً مؤلماً، وإن كان البدن بمعزل عنه فقد رقي عالمك هذا ملكاً مستولياً على جميع الأرض متمكناً من جميع البلاد مستهتراً بالوجوه الحسان متهلكاً عليها مشغوفاً باستعباد الخلق بالطاعة مطاعاً فيهم، فقصده رجل فاسترقه ليستعمله في تعهد الكلاب وصار يتمتع بأهله وجواريه بين يديه ويتصرف في خزائنه وذخائر أمواله فيفرقها على أعدائه ومعانديه، فانظر الآن هل ترى على قلبه تنيناً إذا رؤوس كثيرة يلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل عنه، وهو يوّد أنه لو يبتلى بدنه بأمراض وآلام ليتخلص منه فتوهم هذا، فربما تشتم قليلاً من رائحة الحطمة التي فيها نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة أعدت لمن جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده. واعلم أن عذاب كل ميت بعدد رؤوس هذا التنين وعدد الرؤوس بعدد المشتهيات، ومن كان أفقر وتمتعه بالدنيا أقل كان العذاب عليهم أخف، ومن لا علاقة له مع الدنيا أصلاً فلا عقاب عليه أصلاً.

الصنف الثاني: خزي خجلة المفضحات فقدر رجلاً خسيساً رذلاً فقيراً عاجزاً قربه ملك من الملوك وقواه وخلع عليه وسلم إليه نيابة ملكه ومكنه من دخول حريمه وخزائنه اعتماداً على أمانته، فلما عظمت عليه النعمة طغى وبغى وصار يخون في خزائنه ويفجر بأهل الملك وبناته وسرياته، وهو في جميع ذلك يظهر الأمانة للملك ويعتقد أنه غير مطلع على خيانته، فبينما هو في غمرة فجوره وخيانته إذ لاحظ روزنة، فرأى الملك يطلع عليه منها وعلم أنه كان يطلع عليه كل يوم، لكن كان يغضي عنه ويمهله حتى يزداد خبثاً وفجوراً ويزداد استحقاقاً للنكال لتنصب عليه بالآخرة أنواع العذاب، فانظر إلى قلبه كيف يحرق بنيران خزي الخجلة وبدنه بمعزل عنه، وكيف يود أن يعذب بدنه بكل عذاب وينكتم خزيه، فكذلك أنت تتعاطى في الدنيا أعمالاً لها حقائق خبيثة قبيحة وأنت جاهل بها، فتنكشف لك في الآخرة حقائقها في صورها القبيحة فتختزي وتخجل خجلة تؤثر عليها آلام بدنك.

فإن قلت: كيف تنكشف لي حقائقها؟ فاعلم أنك لا تفهمه إلا بمثال، وجملته مثلاً أن يؤذن مؤذن في رمضان قبل الصبح فيرى في المنام أن في يده خاتماً يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فيقول له ابن سيرين: هذا رأيته لأذانك قبل الصبح، فتأمل الآن أنه لما بعد بالنوم قليلاً عن عالم

....

الحس انكشف له روح عمله لما كان بعد في عالم التخيل، لأن النائم لا يزيل تخيله غشاوة الخيال إلا بمثال متخيل وهو الخاتم والختم به لكنه مثقال أدل على روح العمل من نفس الأذان، لأن عالم المنام أقرب إلى عالم الآخرة، والتلبس به أضعف قليلاً وليس يخلو عن تلبيس ولأجله يحتاج إلى التعبير، فلو قال قائل لهذا المؤذن: أما تستحي أن تختم أفواه الرجال وفروج النساء؟ لقال: معاذ الله أن أفعل هذا ولأن أقوم فيضرب عنقي أحب إليّ من أن أفعل هذا فينكره لأنه يجهله مع أنه فعل لأن روحه قاصرة عن إدراك أرواح الأشياء، وكذلك لو أكلت لحماً طرياً على اعتقاد أنه لحم طير فقال قائل: أما تستحي أن تأكل لحم أخيك الميت فلان؟ لقلت: معاذ الله أن أفعل ذلك ولأن أموت جوعاً أهون عليّ من ذلك، فنظرت فإذا هو لحم أخيك الميت قد طبخ وقدم إليك ولبس عليك، فانظر كيف تختزي وتفتضح به وبدنك بمعزل عن ألمه، وكذلك المغتاب يرى نفسه في الآخرة لأن روح الغيبة تمزيق أعراض الإخوان والتفكه بها وفي عالم الآخرة تنكشف أرواح الأشياء وحقائقها، وهذا روح حسدك لاخيك فإنك تحسده ولا يضره وينعكس عليك ويهلك دينك وتنقل حسناتك إلى ديوانه وهي قرة عينك لأنها سبب سعادة الأبد، فهي أعذب من حرقة الولد، فإذا انكشف لك هذا الروح فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة وبدنك بمعزل عنه، فالقرآن كثيراً ما يعبر عن الأرواح فلذلك قال تعالى في الغيبة: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ [الحجرات: ١٢] وقال في الحسود: ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾ [يونس: ٢٣] ويكفيك في الامثال مثال الاذان والغيبة والحسد، وقس عليه كل فعل نهاك الشرع عنه، فذلك يفتح لك معرفة روح الفعل وحقيقته، وحسن ظاهره كحسن البصر الظاهر، وقبح باطنه كقبح البصيرة الباطنة من مشكاة نور الله تعالى، وعن هذا عبّر الشارع ﷺ حيث قال «تعرض الدنيا يوم القيامة في صورة شوهاء زرقاء صفتها كيت وكيت لا يراها أحد إلا ويقول أعوذ بالله منها» فيقال: هذه دنياكم التي كنتم بها تتهاوشون عليها فيصادفون في أنفسهم من الخزي والفضيحة ما يؤثرون النار عليه، وإن أردت أن تفهم كيفية هذه الخجلة فاسمع حكاية الرجل من أبناء الملوك تزوج بأجمل امرأة من بنات الملوك، فشرب تلك الليلة وسكر واخطأ باب الحجرة وخرج وضلّ ورأى ضوء سراج فقصده على ظن أنه في حجرته، فدخل الموضع فرأى جماعة قياماً فصاح بهم فلم يجيبوه، وظن انهم قيام فطلب الغروس فرأى واحدة نائمة في ثياب جديدة، فظن أنها العروس فضاجعها وأخذ يقبلها ويغشاها وجعل لسانه في فيها ولسانها في فيه ويمتص ريقها متلذذاً بذلك في سكره غاية التلذذ، ويتمسح بالرطوبات التي تصيبه من جميع بدنها على ظن أن ذلك عطر ادخرته له، فلما أصبح أفاق فإذا هو في ناروس المجوس، وإذا النيام موتى، وهذه عجوز شوهاء قريبة العهد بالموت عليها الحنوط وكفن جديد، وإذا هو من فرقه إلى قدمه ملطخ من قاذوراتها، ثم يتفكر في غشيانه لها وابتلاع ريقها ومخاطها فيهجم على قلبه من الخزي ما تمنى أن يخسف الله به الأرض حتى نسي ما جرى عليه، ولا يزال يعاوده ذكره ولا ينساه أصلاً بل يجد نفسه ما عملت من سوء محضراً تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً وبدنه بمعزل عن هذا الخزي والألم وهو في

عذاب دائم من الغثيان والقيء، ويذكر تلك المخازي ويتحرى أن يطلع عليه أحد فيتضاعف خزيه، فإذا هو بأبيه وجميع حشمه جاؤوا في طلبه واطلعوا على جميع مخازيه؛ فهذا حال من تمتع بالدنيا ينكشف له ذلك في الآخرة روحه وحقيقته وهو معنى قوله تعالى: ﴿وحصل ما في الصدور﴾ [العاديات: ١٠] وهو أن يعرض عليه حاصلها وهو روحها وحقيقتها، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ [الطارق: ٩] أي ينكشف من أسرار الأعمال وأرواحها القبيحة والحسنة، وكما أن أطيب الأطعمة رجيعها أقذر وأنتن، كذلك تنعمات الدنيا حاصلها وسرها في الآخرة أقبح وأفضح، ولذلك شبه رسول الله ﷺ الدنيا بالطعام وعاقبتها بالرجيع.

الصنف الثالث: حسرة فوات المحبوبات، فقدر نفسك كونك في جماعة من أقرانك دخلوا في ظلمة فكان فيها حجارة لا ترى ألوانها فقال أقرانك: تحمل من هذا ما نطيق فلعله يكون فيه ما ينتفع به إذا خرجنا من الظلمة. فقلت: ماذا أصنع بها أتحمل في الحال ثقلها وأكد نفسي فيها وأنا لا أدري عاقبتها ما هذا إلا جهل عظيم، فإن العاقل لا يترك الراحة فقداً لما يتوقعه نسيئة ولا يستيقنه، فأخذ كل واحد من أقرانك ما أطاق وأعرضت أنت عن ذلك وسخرت منهم لأنهم يئنون تحت أعبائه وثقله وأنت مترفه في الطريق تغدو وتضحك منهم، فلما جاوزوا الظلمة نظروا فإذا هي جواهر ويواقيت يساوي كل واحدة ألف دينار، فأقبلوا على بيعها وتوصلوا بها على الجاه والنعمة وأصبحوا ملوك الأرضين، فأخذوك واستخروك لتعهد دوابهم وينفقون عليك كل يوم قدراً يسيراً من فضلات الطعام، فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة في قلبك وبدنك بمعزل عنه، وكم تقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ويا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل، ويقول لهم: أفيضوا علينا مما أفيض عليكم، فيقولون: هذا حرام عليك ألم تكن تسخر منا وتضحك علينا، فلا بدّ أن نسخر منك اليوم كما كنت تسخر منا، فلا يزال ينقطع نياط قلبك من التسخر ولا ينفعك، ولكن تتسلى وتقول: الموت يخلصني من هذا كله.

واعلم ان هذا الحال حال تارك الطاعات في الآخرة، وكذلك ينكشف له ولكن لا مطمع في الموت المخلص بل حسرته أبدية وألمها يتضاعف كل يوم، وإن كان البدن بمعزل عنها وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمها على الكافرين﴾ [الأعراف: ٥٠] وكذلك أنه تعالى يفيض على أهل المعرفة والطاعة من أنوار جمال الوجه ما يحصل به اللذة مبلغاً لا يوازيه نعيم الدنيا، بل يعطي آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد به الخبر: لا بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة بل بتضاعف الأرواح، كما أن الجوهرة تكون قيمتها عشرة أمثال الفرس لا بالوزن والمقدار، بل بروح المالية إذ قيمتها عشر أمثاله.

واعلم ان تحريم تلك الذات وإفاضتها عليهم ليس من جنس تحريم الرجل نعمته على عبده بغضب أو باختبار حتى يتصور تغير بل هو كتحريم الله تعالى على الأبيض أن يكون أسود في حالة البياض، وعلى الحار أن يكون بارداً في حال حرارته، وذلك لا يتصور فيه التبديل بل مثال ذلك

....

أن يقول للعامل الكامل رجل شيخ هرم وهو من الجهال الذي كان بليداً في أصل الفطرة ولم يمارس قط علماً ولم يتعلم قط لغة: أفض علي من دقائق علومك. فيقول: إن الله تعالى حرمه على الجاهلين. معناه أن الاستعداد لقبوله إنما يكتسب بذكاء فطري وممارسة طويلة للعلم بعد تعلم اللغة والعربية وأمور أخر كثيرة، وإذا بطل الاستعداد وفات استحالت الافاضة كما يستحيل إفاضة الحرارة على البارد مع بقاء البرودة، فلا تظن ان الله تعالى يغضب عليك ويعاقبك انتقاماً، ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول: لم يعذبني ولم تضره معصيتي، بل يلزم العقاب من المعصية كما يلزم الموت من السم.

واعلم أن هذه الحسرة دائمة لأن منشأها تضاد صفتين لا يزول تضادهما أبداً. مثاله أن الذي تعلق بحبل في عنقه أو رجله إنما يتألم لتضاد صفتين لا لصورة الحبل والتعليق، ولكن صفته الطبيعية تطلب الهوى إلى أسفل، والمنع القهري بالحبل يمانع الصفة الطبيعية فيتولد الألم فيه من تمانعها، فكذلك الروح الانساني الإلهي بأصل فطرته له بحكم الطبع حنين وشوق إلى عالم العلوي عالم الأرواح إلى موافقة الملأ الأعلى، ولكن اغلال الشهوات وسلاسلها تجذبه إلى أسفل السافلين وهي شهوات الدنيا التي هي صفة عارضة قهرت الصفة الطبيعية ومنعتها عن نيل مقتضاها والألم يتولد من بينهما، فالنار أيضاً إنما تؤلم للمضادة فإن الملائم للتركيب بقاء الاتصال والنار تضاد الاتصال بالتفريق بالأجزاء، ولو لم تكن قد رأيت النار فحدثت بأن شيئاً لطيفاً ليناً يماس بدنك فيؤلمك لاستنكرته وقلت شيء لا صلابة فيه كيف يؤلمني. فاعلم أن التضاد مؤلم سواء كان بسبب خارج أو داخل، فإن سم العقرب يبقى بالعضو، ويؤلم لفرط برودته المضادة لحرارة البدن، فلا تظنن أن الآلام كلها تدخل من خارج.

فإن قلت: إن العقرب إنما لدغته من خارج؟ فاعلم أن ألم العين وألم السن لا يقصر عنه وإنما سببه انصباب خلط من داخل مضاد لمزاج العين والسن، وليس ذلك بأهون من لدغ الحية والعقرب. فاعلم أن تضاد الصفات على القلب يؤلم القلب إيلاماً لا ينقص عما يؤلم السن والعين، ومثاله في تضعيف الصفات أن البخيل المرائي إذا طلب منه عطية على ملأ من الناس عند من يريد أن يعرفوه بالسخاء يتألم قلبه لتضاد الصفتين، إذ البخل يتقاضاه أن لا يعطي، وحب الجاه يتقاضاه أن يعطي وقلبه بين هاتين الصفتين كشخص ينشر بمنشار نصفين؛ فهذا مثال حسرة الفوات وعظمها وما ينكشف من جلاله بقدر الفائت ولا يعلمه بالحقيقة في هذا العالم، بل في عالم الكشف وهو نبأ عظيم أنت عنه معرضون.

واعلم ان هذه الأصناف الثلاثة لها ترتيب. فالصنف الأوّل: الذي يلقاه الميت المعذب هو حرقة فرقة المشتهيات، وذلك تنين حب الدنيا، ولذلك أضيف ذلك إلى القبر، وإنما يسبق هذا لأن أغلب الأشياء على قلب الميت في حال فراقه ما يفوته من الدنيا من مال وجاه ومنصب ونعمة، ثم بعد ذلك تنكشف له أرواح الأعمال وحقائقها القبيحة، وذلك عند الانغمار التام في الموت وبعد

بيان سؤال منكر ونكير وصورتها وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر:

قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: « إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير، فيقولان له: ما كنت تقول في النبي؟ فإن كان مؤمناً قال

العهد بغشاوة صفات الدنيا، فكلما كانت صفاته في الموت أشد فهو للكشف أقبل، فيفيض عند ذلك خزي الفضيحة، ولذلك أضيف هذا إلى القيامة لأنه وسط بين منزلة القبر وبين دار القرار، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ [التحريم: ٨] أي يوم القيامة. وأما حسرة فوات المحبوبات فتتولى عليه آخراً عند القرار في النار، ففيها يقول: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم﴾ [الأعراف: ٥٠] وذلك أن بعد العهد من الدنيا ربما يخفف عنه عذاب النوع إليها، وطول العهد بالكشف يوجب خروجه عن خزي الافتضاح، فإن صورة عذاب الخزي تكون عند هجوم الافتضاح، ثم يألف الخزي والفضيحة إلفاً مّا، ثم عند فتورهما قليلاً تنبعث حسرة الفوت إذ يظهر جلالة الفائت. ثم تبقى حسرة الفوت أخرى، ويشبه أن يكون ذلك لا آخر له، وهذا كله تعرفه قطعاً إذا عرفت نفسك وعرفت أنك لا تموت، لكن تعمي عينك وتصم أذنك وتفلج أعضاؤك. وأما الحقيقة التي أنت بها فلا تفنى بالموت أصلاً بل يتغير حالك ويبقى جميع معارفك وإدراكاتك الباطنة وشؤنك، وإنما يزيد تعذيبك بفراق ما تحب وافتضاحك بظهور ما ينكشف في تلك الحال وتحسرك على فوات ما تعرف قدره بعد الموت لا قبله، وهذا كله مقدمات العذاب الحسي البدني، وذلك أيضاً حق وله ميعاد معلوم كما وردت به الآيات والأخبار، فاقنع الآن بهذا القدر فإن هذا الكلام يكاد يجاوز حدّه مثل هذا الكتاب، ولا بد أن يحرك سلسلة الحمقى والجاهلين، ولكنهم أخس من أن يلتفت إليهم قال الله عز وجل: ﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ★ ذلك مبلغهم من العلم﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠] ولنقتصر على هذا إلى هنا سياق المصنف في آخر كتاب الأربعين الذي ختم به كتابه جواهر القرآن والله الموفق.

بيان سؤال منكر ونكير وصورتها وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر:

اعلم ان فتنة القبر هي سؤال الملكين. وقد تواترت الأحاديث بذلك عن أبي هريرة والبراء وتميم الداري وعمر بن الخطاب وأنس وبشير بن أكال وثوبان وجابر بن عبد الله وحذيفة وعبادة بن الصامت وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن مسعود وعثمان بن عفان وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وأبي أمامة وأبي الدرداء وأبي رافع وأبي سعيد الخدري وأبي قتادة وأبي موسى وأسماء وعائشة رضي الله عنهم.

أما حديث أبي هريرة فله طرق منها ما أشار إليه المصنف فقال: **(قال أبو هريرة)** رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ « إذا مات العبد)** وفي رواية إذا قبر الميت **(أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له: ما كنت تقول في النبي)**؟ وفي رواية

هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ **فيقولان**: إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً وينوّر له في قبره ثم يقال له: نم؛ فيقول دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقال له: نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئاً وكنت أقوله، فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك».

في هذا الرجل (**فإن كان مؤمناً قال: هو عبد الله ورسوله**) وفي رواية فيقول: ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله. (**أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**) وفي رواية عبده ورسوله. (**فيقولان: إنا كنا نعلم أنك لتقول ذلك**) وفي رواية لتقول هذا، (**ثم يفسح له في قبره سبعين ذراعاً في سبعين ذراعاً**) وفي رواية: ثم يفسح له قبره سبعون ذراعاً في سبعين (**وينوّر له قبره**) وفي رواية: ثم ينور له فيه، (**ثم يقال**) وفي رواية فيقال (**له: نم، فيقول: دعوني ارجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقال له: نم فينام كنومة العروس**) وفي رواية: فيقولان نم كنومة العروس (**الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: لا أدري. كنت أسمع الناس يقولون شيئاً وكنت أقوله**) وفي رواية قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري. (**فيقولان: إنا كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يقال للأرض: التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه**) وفي رواية فتختلف أضلاعه، (**فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله**) عز وجل (**من مضجعه ذلك»**) **قال العراقي**: رواه الترمذي وحسنه وابن حبان مع اختلاف اهـ.

قلت: قال الترمذي: حدثنا أبو سلمة يحي بن خلف، حدثنا بشر بن المفضل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رفعه «إذا قبر الميت ـ أو قال أحدكم ـ أتاه» فذكره إلى آخره وقال حسن غريب. ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والآجري في كتاب الشريعة، وابن أبي عاصم في كتاب السنّة، والبيهقي في عذاب القبر. وأما لفظ ابن حبان فسيأتي للمصنف قريباً، وفيه مع سياق الترمذي اختلاف كثير وتباين في الاسنادين، ولذلك قال مع اختلاف.

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه الطبراني في الأوسط، وابن مردويه عنه قال: شهدنا جنازة مع رسول الله ﷺ، فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال: «إنه الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس، وأنيابهما مثل صياصي البقر، وأصواتهما مثل الرعد، فيجلسانه فيسألانه ما كان يعبد ومن كان نبيه فإن كان ممن يعبد الله قال: كنت أعبد الله ونبيّي محمد ﷺ جاءنا بالبينات فآمنا به واتبعناه فذلك قول الله تعالى: ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول

....

الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة﴾ [إبراهيم: ٢٧] فيقال له: على اليقين حييت وعليه مت وعليه تبعث، ثم يفتح له باب إلى الجنة ويوسع له في حفرته، وإن كان من أهل الشك قال: لا أدري. سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيقال له: على الشك حييت وعليه مت وعليه تبعث، ثم يفتح له باب إلى النار ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفخ أحدهم في الدنيا ما أنبتت شيئاً تنهسه، وتؤمر الأرض فتنضم عليه حتى تختلف أضلاعه». قال الطبراني: بعد أن رواه عن عبيد الله بن محمد البرقي، حدثنا عمرو بن خالد الحراني، حدثنا ابن لهيعة، عن موسى بن جبير الحذاء أنه سمع أبا أمامة بن سهل بن حنيف، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان يحدثان عن أبي هريرة فذكره. ولم يروه عن أبي أمامة ومحمد إلا موسى تفرد به ابن لهيعة. وقد رواه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه.

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه ابن ماجه عنه مرفوعاً «إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشغوف ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام. فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه. فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: لا ما ينبغي لأحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً. فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: هذا مقعدك. ويقال له: على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشغوفاً فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت، فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: انظر إلى ما صرفه الله عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال: هذا مقعدك على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى».

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمر: «كيف أنت إذا رأيت منكراً ونكيراً»؟ قال: وما منكر ونكير؟ قال: «فتانا القبر أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يطآن في أشعارهما، ويحفران بأنيابهما معهما عصا من حديد لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلوها».

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه البزار وابن جرير في تهذيب الآثار عنه رفعه «إن المؤمن يجلس في قبره فيسأل: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقول: من نبيك؟ فيقول: نبيي محمد ﷺ. فيقول: ماذا دينك؟ قال: ديني الإسلام فيفتح له باب في قبره، فيقال: انظر إلى مجلسك نم قرير العين فيبعثه الله يوم القيامة فكأنما كانت رقدة، وإذا كان عدوّ الله ونزل به الموت فإذا جلس في قبره يقال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري. فيقال: لا دريت. فيقال: من نبيك؟ فيقول: لا أدري. فيقال: لا دريت. فيقال: ما دينك؟ فيقول: لا أدري فيقال: لا دريت، فيفتح له باب من جهنم ثم يضرب ضربة تسمع كل دابة إلا الثقلين، ثم يقال له نم كما ينام المنهوس» قيل لأبي هريرة: ما المنهوس؟ قال: الذي تنهشه الدواب والحيات، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

وعن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: « يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك، ثم احتملوك حتى يضعوك فيه، ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويبحثان القبر بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر؟ فقال عمر: ويكون معي مثل عقلي

وأما حديث البراء وتميم الداري؛ فقد تقدم ذكرهما آنفاً.

وأما حديث عمر بن الخطاب؛ فقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا مفضل ـ يعني ابن صالح بن جبلة ـ حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي شمر، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كيف أنت في أربع أذرع في ذراعين ورأيت منكراً ونكيراً؟ » قلت: يا رسول الله وما منكر ونكير؟ قال « فتانا القبر يبحثان الأرض بانيابهما ويطآن في أشعارهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها هي أيسر عليهما من عصاي هذه، فامتحناك فإن تعاييت أو تعاييت أو تلويت ضرباك بها ضربة تصير بها رماداً »، قلت: يا رسول الله وأنا على حالي هذه؟ قال: « نعم » قلت: إذاً أكفيكهما. وقد رواه كذلك الحاكم في التاريخ، والبيهقي في عذاب القبر. قال السيوطي في أمالي الدرة: هذا حديث ضعيف، ومفضل أخرج له الترمذي وقال: ليس بذلك الحافظ. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن حبان: يروي المقلوبات عن الثقات، فوجب ترك الاحتجاج به، وله شاهد مرسل أشار إليه المصنف بقوله.

(وعن عطاء بن يسار) الهلالي أبي محمد المدني مولى ميمونة **(قال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه « يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع)** كذا في النسخ والرواية ثلاثة أذرع وشبراً في ذراع وشبر، **(ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه، ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف)** أي الشديد المتجلجل، **(وأبصارهما كالبرق الخاطف)** أي الذي يخطف الأبصار، **(يجران أشعارهما)** لطولها، **(ويحثيان القبر)** وفي رواية يبحثان **(بأنيابهما)** ومن قوله: يجران إلى هنا لا يوجد في أكثر روايات هذا المرسل عند الجماعة وإنما هو في حديث عمر المتقدم ذكره، **(فتلتلاك)** هو بمثناتين أي زعزعاك وأقلقاك وأزعجاك **(وترتراك)** هو أيضاً بمثناتين بمعنى الأول، وضبطه السيوطي بمثلثتين وفسره بكثرة الكلام وتزيده وأنت خبير بأن هذا المعنى لا يوافق سياق الحديث، وفي رواية هنا زيادة وهولاك والتهويل التفزيع **(كيف بك)** وفي رواية فكيف بك **(عند ذلك يا عمر؟» فقال عمر)** رضي الله عنه: يا رسول الله **(ويكون معي مثل عقلي**

الآن؟ قال: « نعم » قال: « إذا أكفيكها »، وهذا نص صريح في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء. فيكون الميت عاقلاً مدركاً عالماً بالآلام واللذات كما كان، لا يتغير من عقله شيء. وليس العقل المدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك الأشياء. ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء المدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان العاقل

الآن) وفي الرواية يا رسول الله ومعي عقلي؟ **(فقال « نعم » قال: إذاً أكفيكها)**. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلاً ورجاله ثقات. قال البيهقي في الاعتقاد: ورويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلاً.

قلت: وصله ابن بطة في الابانة من حديث ابن عباس، ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال: غريب بهذا الاسناد تفرد به مفضل، ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو فقال عمر: أترد إلينا عقولنا؟ فقال: « نعم كهيئتكم اليوم » فقال عمر: بفيه الحجر اهـ.

قلت: هذا المرسل رواه كذلك أبو نعيم في الحلية، والآجري في الشريعة، والبيهقي في عذاب القبر. قال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن يوسف، أخبرنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا سعيد بن ابراهيم، حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عطاء بن يسار فذكره.

وأما حديث ابن عباس الذي أشار إليه بأنه وصله ابن بطة، فقد رواه أيضاً البيهقي في عذاب القبر عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كيف بك يا عمر إذا انتهى بك إلى الأرض فحفر لك ثلاثة أذرع وشبر في ذراع وشبر، ثم أتاك منكر ونكير أسودان يجران أشعارهما كأن أصواتهما الرعد القاصف، وكأن أعينهما البرق الخاطف يحفران الأرض بأنيابهما فأجلساك فزعاً فتلتلاك وتوهلاك » قال: يا رسول الله وأنا يومئذ ما أنا عليه؟ قال « نعم » قال: اكفيكهما باذن الله تعالى يا رسول الله.

وأما قوله تفرد به مفضل فقد تقدم الكلام عليه قبل هذا قريباً، وأما ما أشار إليه من حديث عبدالله بن عمرو فقال، أحمد في المسند، حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حيّ بن عبدالله أن أبا عبد الرحمن حدثه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ ذكر فتاني القبر فقال عمر: أترد إلينا عقولنا؟ فذكره. وهو حديث صحيح الإسناد أخرجه الطبراني في الكبير بسند رجاله رجال الصحيح، وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والآجري في الشريعة وابن عدي وغيرهم.

(وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء) بالزمانة فيها **(فيكون الميت عاقلاً مدركاً عالماً بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الأعضاء، بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض، بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للأشياء، ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء**

بكماله قائماً باقياً وهو كذلك بعد الموت، فإن ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم.

المدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان العاقل بكماله قائماً باقياً، وهو كذلك بعد الموت فإن ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم).

وأما حديث أنس؛ فاخرج الشيخان وغيرهما من طريق قتادة عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبرة وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم» قال: «يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟» زاد ابن مردويه «الذي كان بين أظهركم الذي يقال له محمد» قال «فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار فقد أبدلك الله به مقعداً من الجنة». قال النبي ﷺ «فيراهما جميعاً». قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً. «وأما المنافق أو الكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين».

وروى أحمد وأبو داود في سننه، والبيهقي في عذاب القبر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها وان المؤمن إذا وضع في قبره أتاه فسأله ما كنت تعبد؟ فإن الله هداه قال أعبد الله فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله. فما يسأل عن شيء بعدها فينطلق به إلى بيت كان له في النار فيقال له هذا بيتك كان لك في النار ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك به بيتاً في الجنة فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي، فيقال له: اسكن. وان الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فينتهره فيقول له: ما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؛ فيقول: كنت أقول ما يقول الناس فيضربونه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين».

وأخرج الديلمي من حديث أنس رفعه «يدخل منكر ونكير على الميت في قبره فيقعدانه فإن كان مؤمناً قالا له: من ربك؟ قال: الله. قالا: ومن نبيك؟ قال: محمد. وقالا: ومن امامك؟ قال: القرآن فيوسعان عليه قبره، وإن كان كافراً يقولان له من ربك؟ قال: لا أدري. قالا: ومن نبيك؟ قال: لا أدري قالا: ومن إمامك؟ قال: لا أدري فيضربانه بالعمود ضربة حتى يلتهب القبر ناراً ويضيق عليه حتى تختلف أعضاؤه».

وأما حديث بشير بن أكال؛ فاخرجه البزار والطبراني وابن السكن عن أيوب بن بشير عن أبيه قال: كانت ثائرة في بني معاوية، فذهب رسول الله ﷺ يصلح بينهم فالتفت إلى قبر فقال: لا دريت. فقيل له فقال: «إن هذا يسأل عني فقال: لا أدري».

وأما حديث ثوبان: فاخرجه أبو نعيم عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا مات المؤمن كانت

الصلاة عند رأسه والصدقة عن يمينه والصيام عند صدره » وذكر حديث القبر نحو حديث البراء. هكذا أورده في الحلية ولم يسقه.

وأما حديث جابر بن عبد الله؛ فاخرج أحمد والطبراني في الأوسط، وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريق ابن الزبير انه سأل جابر بن عبد الله عن فتاني القبر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن هذه الامة تبتلى في قبورها فإذا ادخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانتهار فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: أقول إنه رسول الله وعبده. فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان من النار قد أنجاك الله منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي. فيقال له: اسكن، وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة قد أبدلك الله مكانه مقعدك من النار » قال جابر: فسمعت النبي ﷺ يقول: « يبعث كل عبد في القبر على ما مات عليه المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه ».

وأخرج ابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم في السنَّة عن جابر رفعه « إذا أدخل الميت قبره مثلت له الشمس عندَ غروبها فيجلس يمسح عينيه ويقول: دعوني أصلي ».

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو نعيم عن جابر رفعه « إذا أدخل الميت قبره ردّ الروح في جسده وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان » الحديث.

وروى ابن أبي عاصم وابن مردويه والبيهقي من طريق أبي سفيان عن جابر رفعه: « إذا وضع المؤمن في القبر أتاه ملكان فانتهراه فقام يهب كما يهب النائم فيقال له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي فينادي مناد: أن صدق فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة فيقول: دعوني أخبر أهلي، فيقال له اسكن ».

وأما حديث حذيفة فقد تقدم عند ذكر معرفة الميت لمن يغسله ويكفنه.

وأما حديث عبادة بن الصامت؛ فقد تقدم ذكره مختصراً وهو طويل رواه ابن أبي الدنيا في التهجد، وابن الضريس في فضائل القرآن وحميد بن زنجويه في فضائل الأعمال وأوّله: « إذا قام أحدكم في الليل فليجهر بقراءته » الحديث وفيه « فيصعد القرآن إلى ربه فيسأل له فراشاً ودثاراً فيؤمر له بفراش ودثار وقنديل من نور الجنة وياسمين من الجنة فيحمله ألف ملك من مقربي السماء الدنيا » وفيه « فيوسع له مسيرة أربعمائة عام » قال أبو موسى المديني: هذا خبر حسن رواه أحمد وأبو خيثمة وطبقتهما عن أبي عبد الرحمن المقري بسنده إلى عبادة، وقد أخرجه العقيلي في الضعفاء، وابن الجوزي في الموضوعات من وجه آخر عن عبادة مرفوعاً وقال: لا يصح.

وأما حديث ابن عباس؛ فاخرج البيهقي بسند حسن عنه رفعه « إن الميت يسمع خفق نعالهم

....

حين يولون» قال: «ثم يجلس فيقال له: من ربك؟ فيقول: الله، ثم يقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام. ثم يقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد. فيقال: وما علمك؟ فيقول: عرفته وآمنت به وصدقت بما جاء به من الكتاب، ثم يفسح له في قبره مدّ بصره وتجعل روحه مع أرواح المؤمنين». وروى الطبراني في الأوسط بسند حسن عنه قال: اسم الملكين اللذين يأتيان في القبر منكر ونكير.

وروى ابن أبي حاتم والبيهقي عنه قال: «إذا دفن المؤمن أجلس في قبره فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقال له: من رسولك؟ فيقول: محمد. فيقال له: ما شهادتك؟ فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية فيوسع له في قبره مدّ بصره، وأما الكافر فتنزل الملائكة فيبسطون أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت، فإذا أدخل قبره أقعد فقيل له: من ربك؟ فلم يرجع إليهم شيئاً وأنساه الله ذكر ذلك، وإذا قيل له: من الرسول الذي بعث إليكم، لم يهتد له ولم يرجع إليهم شيئاً فذلك قوله تعالى: ﴿ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ [إبراهيم: ٢٧] ولحديث ابن عباس طريق أخرى تقدم ذكرها في ذكر حديث عمر بن الخطاب، وطريق أخرى رواها جويبر في التفسير عن الضحاك عنه بأطول مما ذكر يشبه سياقه سياق حديث البراء.

وأما حديث ابن عمر؛ فأخرجه الديلمي في مسند الفردوس عنه رفعه «الظوا ألسنتكم قول لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإن الله ربنا والإسلام ديننا ومحمداً نبينا فإنكم تسألون عنها في قبوركم».

وأما حديث عبد الله بن عمرو؛ فقد تقدم في ترجمة حديث عمر بن الخطاب.

وأما حديث ابن مسعود؛ فله طرق منها ما أخرج الطبراني في الكبير بسند حسن، والبيهقي في عذاب القبر عنه قال: «إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له: ما ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، فيوسع له في قبره ويفرج له فيه ثم قرأ ﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ الآية. وان الكافر إذا أدخل في قبره أجلس فيه فقيل له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري فيضيق عليه قبره ويعذب فيه ثم قرأ ابن مسعود ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ [طه: ١٢٤] الآية.

ومنها: ما أخرج ابن أبي شيبة، والبيهقي عنه قال: «إن أحدكم ليجلس في قبره إجلاساً فيقال له: ما أنت؟ فإن كان مؤمناً قال: أنا عبدالله حياً وميتاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيفسح له في قبره ما شاء فيرى مكانه من الجنة، وينزل عليه كسوة يلبسها من الجنة. وأما الكافر فيقال له: ما أنت؟ فيقول: لا أدري فيقال: لادريت ثلاثاً فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويرسل عليه حيات من جوانب قبره تنتهسه وتأكله، فإذا جزع فصاح قمع بمقمع من نار أو حديد ويفتح له باب إلى النار».

ومنها: ما روى الآجرى في الشريعة عنه قال: « إذا توفـي العبد بعث الله إليه ملائكة فيقبضون روحه في أكفانه، فإذا وضع في قبره بعث الله إليه ملكين ينتهرانه فيقولان: من ربك؟ قال: ربي الله. قالا: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام. قالا: من نبيك؟ قال: نبيّي محمد. قالا: صدقت كذلك كنت افرشوه من الجنة والبسوه منها وأروه مقعده منها. وأما الكافر فيضرب ضربة يلتهب قبره منها ناراً ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه، وتبعث حيات من حيات القبر كأعناق الإبل ».

ومنها: ما روى الخلال في كتاب شرح السنة عنه قال: « إن المؤمن إذا نزل به الموت أتاه ملك الموت » فساقه وفيه: « فإذا وضع في قبره اجلس وجيء بالروح وجعلت فيه فيقال له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيّي محمد ﷺ. فيقال له: صدقت فيوسع له في قبره مدّ بصره، ثم ترفع روحه فتجعل في أعلى عليين». الحديث.

وأما حديث عثمان؛ فاخرج أبو داود والحاكم والبيهقي عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ بجنازة عند قبر وصاحبه يدفن فقال: « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل ».

وأما حديث عمرو بن العاص، فقد تقدم ذكره في كلام المحتضرين.

وأما حديث معاذ؛ فروى البزار عنه رفعه: « إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نور » فساقه وفيه: « فإذا وضع في قبره وسوى عليه وتفرق عنه أصحابه أتاه منكر ونكير فيجلسانه في قبره » الحديث وفيه: « فيقول القرآن ليس عليك بعد مسألة منكر ونكير هم ولا حـزن، فيسـألـه منكر ونكير ويصعدان ويبقى هو والقرآن » الحديث بطولـه وهـو غـريـب وفي إسنـاده جهـالـة وانقطاع.

وأما حديث أبي أمامة؛ فقد تقدم في التلقين.

وأما حديث أبي الدرداء، فاخرج ابن المبارك في الزهد، وابن أبي شيبة والآجرى في الشريعة، والبيهقي عنه أن رجلاً قال له: علمني خيراً ينفعني الله به فقال: « امـا لا فـاعقـل كيـف أنـت إذا لم يكن لك من الأرض إلا موضع أربعة أذرع في ذراعين جاء بك أهلك الذين كانوا يكرهون فراقك، وإخوانك الذين كانوا يتحزبون لأمرك فتلوك في ذلك ثم سدوا عليك من اللبن وأكثروا عليك من التراب، فجاءك ملكان أزرقان جعدان يقال لهما منكر ونكير فقالا: من ربك وما دينك ومن نبيك، فإن قلت: ربي الله وديني الإسلام ونبيّي محمد فقد والله هديت ونجوت ولن تستطيع ذلك إلا بتثبيت من الله تعالى مع ما ترى من الشدة والتخويف، وإن قلت لا أدري فقد والله هويت ».

وأما حديث أبي سعيد الخدري، فاخرج أحمد والبزار وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم في السنة

....

وابن مردويه والبيهقي بسند صحيح عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فاقعده قال: ما تقول في هذا الرجل؟ إن كان مؤمناً قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول له: صدقت ثم يفتح له باب إلى النار فيقول: هذا منزلك لو كفرت بربك فأما إذا آمنت فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن ويفسح له في قبره، وإن كان كافراً أو منافقاً قيل له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فيقال: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذا كفرت به فإن الله أبدلك به هذا ويفتح له إلى النار ثم يقمعه مقمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين» فقال بعض القوم: يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت».

وأما حديث أبي رافع، فاخرج الطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة عنه أن رسول الله ﷺ مرّ على قبر فقال: «اف اف اف» فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما معك غيري فمني أففت؟ قال: «لا ولكني أففت من صاحب هذا القبر الذي سئل عني فشك فيّ».

وروي البزار والطبراني والبيهقي عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد وأنا أمشي خلفه إذ قال: «لاهديت ولا اهتديت» قلت: مالي يا رسول الله. قال: «لست إياك أردت ولكن أريد صاحب هذا القبر الذي سئل عني فزعم أنه لا يعرفني، فإذا قبر مرشوش عليه ماء حين دفن في القبر صاحبه».

وأما حديث أبي قتادة، فاخرجه ابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن منده عنه قال: «إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له: من ربك؟ فيقول: الله تعالى. فيقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد بن عبدالله، فيقال له ذلك ثلاث مرات، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال: انظر إلى منزلك لو زغت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال: انظر إلى منزلك في الجنة إذ ثبت، وإذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له: من ربك من نبيك؟ فيقول: لا أدري كنت أسمع الناس يقولون. فيقال له: لا دريت ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال: انظر إلى منزلك لو ثبت، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له انظر إلى منزلك إذ زغت فذلك قوله تعالى ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾ قال لا إله إلا الله وفي الآخرة قال المسألة في القبر».

وأما حديث أبي موسى، فأخرجه البيهقي في عذاب القبر عقب حديث ابن مسعود ولم يسق لفظه بل أحاله عليه.

وأما حديث أسماء بنت أبي بكر، فأخرج ابن أبي شيبة والبخاري عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور. فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن

وقال محمد بن المنكدر: بلغني أن الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في رأسه مثل غرب الجمل تضربه به إلى يوم القيامة. لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه.

أو الموقن فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأحببنا واتبعنا. فيقال له: قد علمنا إن كنت لمؤمناً ثم صالحاً، وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري سمعت الناس شيئاً يقولونه فقلته».

وروى أحمد عنها رفعته: «إذا أدخل الإنسان في قبره يأتيه الملك فيناديه: اجلس فيجلس فيقول له: ما تقول في هذا الرجل - يعني النبي ﷺ؟ قال: من قال محمد قال أشهد أنه رسول الله قال: يقول على ذلك عشت، وعليه مت وعليه تبعث، وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملك فأجلسه ويقول: ما تقول في هذا الرجل؟ قال: أي رجل؟ قال: محمد. قال: يقول والله ما أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. قال: فيقول له الملك على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث» الحديث.

وأما حديث عائشة؛ فاخرج أحمد والبيهقي بسند صحيح عنها قالت: جاءت يهودية فاستطعمت على بابي فقالت: اطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر فساق الحديث. وفيه فقال النبي ﷺ: «فأما فتنة القبر في تفتنون وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال: فيم كنت؟ فيقول: في الإسلام. فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال: هذا مقعدك منها. ويقال: على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى، وإذا كان الرجل السوء جلس في قبره فزعاً مشعوفاً فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا، فيفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها. فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ويقال: هذا مقعدك بها على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث ثم يعذب».

وأخرج البزار عنها قالت: قلت يا رسول الله تبتلى هذه الأمة في قبورها فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة؟ قال: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة». فهذه جملة الأخبار التي وردت في سؤال الملكين.

(وقال محمد بن المنكدر) التيمي رحمه الله: **(بلغني أن الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في رأسه مثل عرف الجمل تضربه به إلى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه)**. رواه ابن أبي الدنيا هكذا عنه بلاغاً. ورواه أحمد في المسند موصولاً من روايته عن أسماء بنت أبي بكر رفعته فقال: حدثنا حجين بن المثنى، حدثناعبد

وقال أبو هريرة: إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته، فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن. وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه، وإن أتاه من قبل يده قالت اليدان: والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه، وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه، وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما إني لو رأيت خللاً لكنت أنا صاحبه. قال سفيان: تجاحش عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده، ثم يقال له عند ذلك: بارك الله في مضجعك فنعم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أصحابك.

العزيز يعني ابن أبي سلمة الماجشون، عن محمد بن المنكدر قال: كانت أسماء تحدث عن النبي ﷺ قالت: «إذا دخل الإنسان في قبره فإن كان مؤمناً أحف به عمله الصلاة والصيام فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده، ومن نحو الصيام فيرده، فيناديه: اجلس فيجلس فيقول له» ثم ساق الحديث على نحو ما ذكر قريباً وفي آخره: «وتسلط عليه دابة في قبره معها سوط ثمره جمرة مثل عرف البعير تضربه ما شاء الله لا تسمع صوته فترحمه». وقد أخرج الطبراني طرفاً منه في الكبير، وحديثها في الصحيح باختصار وقد تقدم لفظه. قال في الصحاح. ثمر السوط عقد أطرافها، وعرف البعير والفرس الشعر النابت على المعرفة.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن، وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه، وإن أتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه من قبلي، وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه، وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول: أما أني لو رأيت خللاً لكنت أنا صاحبه. قال سفيان)** الثوري راويه: **(تجاحش)** بجيم ثم حاء مهملة ثم شين معجمة أي تدافع **(عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده، ثم يقال له عند ذلك: بارك الله في مضجعك، فنعم الأخلاء أخلاؤك، ونعم الأصحاب أصحابك)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وفيه قال: وكذلك الصلاة. قال: والصبر ناحية فيقول: أما أني لو رأيت خللاً كنت صاحبه وتجاحش عنه أعماله الخ، ولم يقل قال سفيان.

وروى ابن منده والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رفعه قال: «يؤتى الرجل في قبره فإذا أتي من قبل رأسه دفعه تلاوة القرآن، وإن أتي من قبل يديه دفعته الصدقة، وإذا أتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المساجد والصبر حجرة فقال: أما أني لو رأيت خللاً كنت صاحبه». قوله حجرة بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وراء أي ناحية.

وروى هناد في الزهد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه وابن مردويه والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة: «والذي نفسي بيده إن الميت إذا

....

وقع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حتى يولون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن شماله وفعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس من قبل رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ليس قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ليس قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس ليس قبلي مدخل، فيقال له اجلس وقد مثلت له الشمس وقد قربت للغروب فيقال: أخبرنا عما نسألك. فيقول: عم تسألوني؟ فيقال: ما تقول في هذا الرجل» فساقوا الحديث بطوله. وهذه إحدى طرق حديث أبي هريرة في إثبات السؤال.

وروى ابن أبي الدنيا وابن منده عن أبي هريرة قال: «إذا احتضر المؤمن فخرج روحه من جسده تقول الملائكة: روح طيبة من جسد طيب، فإذا خرج من بيته إلى قبره فهو يحب ما أسرع به فإذا أدخل في قبره آتاه آت ليأخذ برأسه فيحول سجوده بينه وبينه، ويأتيه ليأخذ ببطنه فيحول صيامه بينه وبينه، ويأتيه ليأخذ بيده فتحول صدقته بينه وبينه، ويأتيه ليأخذ برجليه فيحول قيامه عليهما في الصلاة وممشاه عليهما إلى الصلاة بينه وبينه، فما يفزع المؤمن بعدها أبداً وإن من شاء الله من الخلق ليفزع، فإذا رأى مقعده وما أعِدله قال: رب بلغني إلى منزلي، فيقال له: إن لك اخواناً وأخوات لم يلحقوا بك فنم قرير العين» الحديث.

وروى ابن أبي الدنيا عن عائشة قالت: «إذا أخرج بسرير المؤمن نادى أنشدكم بالله لما أسرعتم بي فإذا أدخل قبره حفه عمله فتجيء الصلاة فتكون عن يمينه ويجيء الوضوء فيكون عن يساره ويجيء عمله بالمعروف فيكون عند رجليه، فتقول الصلاة: ليس لكم قبلي مدخل كان يصلي بي، فيأتيه من قبل يساره فيقول الصوم: إنه كان يصوم ويعطش فلا يجدون موضعاً، فيأتون من قبل رجليه فتخاصم عنه أعماله فلا يجدون مسلكاً، وإذا كان الآخر نادى بصوت يسمعه كل شيء إلا الإنسان فإنه لو سمعه صعق أو جزع».

فصل

في فوائد منثورة تتعلق بالسؤال:

الأولى: روى أحمد في الزهد عن طاوس قال: إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً، فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام.

الثانية: قال الحكيم في نوادر الأصول عن سفيان الثوري قال: إذا سئل الميت من ربك تراءى له الشيطان في صورة فيشير إلى نفسه أنا ربك. قال الحكيم: ويؤيده من الأخبار قوله ﷺ عند دفن الميت «اللهم أجره من الشيطان» فلو لم يكن هناك للشيطان سبيل ما دعا ﷺ بذلك.

الثالثة: قال ابن شاهين في السنة: حدثنا عبدالله بن سليمان، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا بقية، حدثني صفوان، حدثني راشد قال: كان النبي ﷺ يقول: «تعلموا حجتكم فإنكم

....

مسؤولون » حتى إن كان أهل البيت من الأنصار يحضر الرجل منهم الموت فيوصونه والغلام إذا عقل فيقولون له إذا سألوك عن ربك ؟ فقل : الله ربي ، وما دينك ؟ فقل الإسلام ديني ، ومن نبيك فقل محمد نبيي .

الرابعة: قال القرطبي : جاء في رواية سؤال ملكين وفي أخرى سؤال ملك واحد ، ولا تعارض بل ذلك بالنسبة إلى الأشخاص فربّ شخص يأتيه اثنان معاً عند انصراف الناس ليكون أهول في حقه وأشد بحسب ما اقترف من الآثام ، وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه تخفيفاً عليه لحصول أنسه بهم ، وآخر يأتيه ملك واحد فيكون أخف عليه وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح . قال : ويحتمل أن يأتي الاثنان ويكون السائل أحدهما وإن أشتركا في الإتيان ، فتحمل رواية الواحد على هذا . قال السيوطي في شرح الصدور : هذا الثاني هو الصواب فإن ذكر الملكين هو الموجود في غالب الأحاديث .

الخامسة: قال القرطبي : اختلف الأحاديث في كيفية السؤال والجواب ، وذلك بحسب الأشخاص أيضاً ، فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ، ومنهم من يسأل عن كلها . قال : ويحتمل أن يكون الاقتصار على البعض من بعض الرواة وأتى به غيره تاماً قال السيوطي : هذا الثاني هو الصواب لاتفاق أكثر الأحاديث عليه . نعم يؤخذ منها خصوصاً من رواية أبي داود عن أنس ، فما يسأل عن شيء بعدها . ولفظ ابن مردويه : فما يسأل عن شيء غيرها . إنه لا يسأل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة ، وصرح في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا ﴾ [إبراهيم : ٢٧] الآية . قال : الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم . قيل لعكرمة ما هو ؟ قال : يسألون عن الإيمان بمحمد وأمر التوحيد .

السادسة: ورد في رواية أنه يسأل في المجلس الواحد ثلاث مرات ، وباقي الروايات ساكتة عن ذلك ، فيحمل علي ذلك أو يختلف الحال بالنسبة إلى الأشخاص ، وقد تقدم عن طاوس أنهم يفتنون سبعة أيام .

السابعة: قال الباقلاني : إن من لم يدفن ممن بقي على وجه الأرض يقع لهم السؤال والعذاب ، ويحجب الله أبصار المكلفين عن رؤية ذلك كما حجبها عن رؤية الملائكة والشياطين . قال بعضهم : وترد الحياة إلى المصلوب ونحن لا نشعر به ، كما أنا نحسب المغمى عليه ميتاً ، وكذلك يضيق عليه الجوّ كضمة القبر ولا يستنكر شيئاً من ذلك من خالط الإيمان قلبه ، وكذلك من تفرقت أجزاؤه يخلق الله الحياة في بعضها أو كلها ويوجه السؤال إليها . قاله إمام الحرمين . قال بعضهم : وليس هذا بأبعد من الذر الذي أخرجه الله من صلب آدم ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

الثامنة: قال ابن عبد البر : لا يكون السؤال إلا لمؤمن أو منافق كان منسوباً إلى دين الإسلام

بظاهر الشهادة، بخلاف الكافر فإنه لا يسأل. وخالفه القرطبي، وابن القيم فقالا: أحاديث السؤال فيها التصريح بأن الكافر والمنافق يسألان.

قال السيوطي في شرح الصدور: وما قالاه ممنوع فإنه لم يجمع بينهما في شيء من الأحاديث، وإنما ورد في بعضها ذكر المنافق وفي بعضها بدله ذكر الكافر وهو محمول بأن المراد به المنافق بدليل قوله في حديث أسماء: «وأما المنافق أو المرتاب» ولم يذكر الكافر انتهى.

وقال في أمالي الدرة لطيفة: رأيت في النوم في العام الماضي أني أملي حديث السؤال وأني أقول في آخره: «وأما الفاسق فيمتحن بما كان يعمل في الدنيا» أو كلمة تشبه هذه، ولعمري وهذا وإن لم يذكر في الحديث حتى تعرض له بعض الأئمة وسأل عن حكمته لأن المسؤول إما مؤمن فيجاب بالنعيم أولا فيجاب بالجحيم، فهل المؤمن الفاسق كالأوّل أولا؟ فلا يبعد أن يقال: إنه يسأل عما كان يفسق به بأن يقال مثلاً لتارك الصلاة ما تقول في الصلاة ونحو ذلك، ثم يرى مقعده من الجنة بعد تعذيبه على فسقه، ثم وجدت حديثاً يشعر بذلك فاخرج الديلمي في مسند الفردوس: «إذا احتضر المسلم العاصي قيل له ابشر بالجنة بعد انتقام كذا وكذا».

التاسعة: روى صاحب الحلية عن ضمرة بن حبيب قال: فتان القبر ثلاثة: أنكر، وناكور، ورومان. وروى ابن لال، وابن الجوزي في الموضوعات عنه مرفوعاً «فتانو القبر أربعة: منكر ونكير وناكور وسيدهم رومان». قال ابن الجوزي: هذا الحديث لا أصل له، وضمرة تابعي ورواية الوقف عليه أثبت انتهى.

وسئل الحافظ ابن حجر: هل يأتي الميت ملك اسمه رومان؟ فاجاب: أنه ورد بسند فيه لين.

قلت: ولعل المصنف رحمه الله تعالى نظر إلى هذا فذكر في الدرة الفاخرة رومان، وعزاه إلى حديث ابن مسعود، وأنكر السيوطي في أمالي الدرة هذا وقال: ليس في طرق أحاديث السؤال ذكر رومان ولا فتانين قبل منكر ونكير بل هما الفتانان.

العاشرة: قال الحكيم الترمذي: سؤال القبر خاص بهذه الأمة، لأن الأمم قبلها كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالرحمة أمسك عنهم العذاب، وأعطي السيف حتى يدخل دين الإسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الإيمان في قلبه، فمن هنا ظهر النفاق، فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر فلما ماتوا قيض الله لهم فتاني القبر ليستخرج سرّهم بالسؤال وليميز الخبيث من الطيب انتهى.

وخالفه آخرون فقالوا: السؤال لهذه الأمة ولغيرها، قال ابن عبد البر ويدل على الاختصاص قوله: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها. وقوله: أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم. وقوله: «بي تفتنون وعني تسألون».

الحادية عشر: قال الحكيم أيضاً: إنما سمي فتانا القبر لأن في سؤالهما انتهاراً وفي خلقتهما صعوبة وسمّيا منكراً ونكيراً لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق

....

الهوام، بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما، جعلهما الله تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصره وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب. قال السيوطي: وهذا إنما يدل على أن الاسم منكر بفتح الكاف وهو المجزوم به وفي القاموس، وذكر ابن يونس من أصحابنا الشافعية أن اسم ملكي المؤمن مبشر وبشير.

الثانية عشر: قال القرطبي: إن قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الأماكن المتباعدة في الوقت الواحد؟ فالجواب: إن عظم جثتهما يقتضي ذلك فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل واحد من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه، ويمنعه الله من سماع جواب بقية الموتى. قال السيوطي: ويحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك كما في الحفظة ونحوهم، ثم رأيت الحليمي من أصحابنا ذهب إليه فقال في منهاجه: والذي يشبه أن يكون ملائكة السؤال جماعة كثيرة يسمى بعضهم منكراً وبعضهم يسمى نكيراً، فيبعث إلى كل ميت اثنان منهم كما كان الموكل عليه لكتابة عمله ملكين.

الثالثة عشر: وقع في فتاوى العلم البلقيني: إن الميت يجيب السؤال بالسريانية. قال السيوطي: ولم أقف لذلك على مستند، وسئل الحافظ ابن حجر عن ذلك فقال: ظاهر الحديث أنه بالعربي قال: ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كل واحد بلسانه.

الرابعة عشر: في أسئلة تتعلق بهذا الباب سئلها الحافظ ابن حجر. سئل عن الميت إذا سئل هل يقعد أم يسأل وهو راقد؟ فأجاب يقعد. وسئل: عن الروح هل تلبس الجثة حينئذ كما كانت؟ فأجاب: نعم، لكن ظاهر الخبر أنها تحل في نصفه الأعلى. وسئل: هل يكشف له حتى يرى النبي ﷺ؟ فأجاب: إنه لم يرد في حديث وإنما ادعاه بعض من لا يحتج به بغير مستند سوى قوله في هذا الرجل ولا حجة فيه، لأن الإشارة إلى الحاضر في الذهن. وسئل عن الأطفال: هل يسألون؟ فأجاب: الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفاً.

الخامسة عشر: قال ابن القيم: الأحاديث مصرحة بإعادة الروح إلى البدن عند السؤال، لكن هذه الإعادة لا تحصل بها الحياة المعهودة التي تقوم بها الروح بالبدن وتدبره ويحتاج معها إلى الطعام ونحوه، وإنما يحصل بها للبدن حياة أخرى يحصل بها الامتحان بالسؤال، وكما أن حياة النائم وهو حي غير حياة المستيقظ، فإن النوم أخو الموت ولا ينفي عن النائم إطلاق الحياة، فكذلك حياة الميت عند الإعادة غير حياة الحي وهي حياة لا تنفي عند انطلاق اسم الموت، بل أمر متوسط بينهما، ولا دلالة في الحديث على أنها مستقرة، وإنما تدل على تعلق مالها من البدن وهي لا تزال متعلقة به، وإن بلي وتمزق وتقسم وتفرق. وقال ابن تيمية: الأحاديث متواترة على عود الروح إلى البدن وقت السؤال وسؤال البدن بلا روح قول طائفة منهم ابن الزاغوني. وحكي عن ابن جرير وأنكره الجمهور وقابلهم آخرون، فقالوا: السؤال للروح بلا بدن قاله ابن حزم، وآخرون منهم ابن عقيل وابن الجوزي وهو غلط، وإلا لم يكن للقبر بذلك اختصاص وقد تقدم ذلك في أول الباب.

وعن حذيفة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال: «يضغط المؤمن في هذا ضغطة ترد منها حمائله». **وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن**

السادسة عشر: قال اليافعي في روض الرياحين عن شقيق البلخي أنه قال: طلبنا خمساً فوجدناها في خمس. طلبنا ترك الذنوب فوجدناه في صلاة الضحى، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن، وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة، وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة.

السابعة عشر: قال البزازي من الحنفية في فتاويه: السؤال فيما يستقر فيه الميت حتى لو أكله سبع، فالسؤال في بطنه فإن جعل في تابوت لنقله إلى مكان آخر لا يسأل ما لم يدفن، ولما فرغ المصنف من بيان سؤال منكر ونكير وصورتها شرع في بيان ضغطة القبر التي هي من جملة الفتن فقال:

(وعن حذيفة) بن اليمان رضي الله عنهما **(قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على رأس القبر)** وفي رواية. فلما انتهينا إلى القبر قعد على شفته **(ثم جعل ينظر فيه)** وفي رواية فجعل يردد بصره فيه **(ثم قال: « يضغط المؤمن في هذا)** وفي رواية يضغط فيه المؤمن **(ضغطة ترد منها حمائله »)** وفي رواية تزول منها حمائله. قال الأزهري: الحمائل هنا عروق الانثيين. قال: ويحتمل أن يراد موضع حمائل السيف أي عواتقه وصدره وإضلاعه. قال العراقي: رواه أحمد بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر، والبيهقي في عذاب بزيادة: «ويملأ على الكافر فيه ناراً». وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، ورد عليه الحافظ ابن حجر في القول المسدد.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: « إن للقبر ضغطة ولو سلم منها أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ ») قال العراقي: رواه أحمد بسند جيد اهـ.

قلت: لفظ أحمد: «لو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن معاذ». وكذلك رواه البيهقي. وروى أحمد والحكيم والطبراني والبيهقي عن جابر بن عبدالله قال: لما دفن سعد بن معاذ سبّح النبي ﷺ وسبّح الناس معه طويلاً ثم كبر وكبر الناس، ثم قالوا: يا رسول الله لم سبحت؟ قال: «لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه». وروى سعيد بن منصور والحكيم والطبراني والبيهقي عن ابن عباس أن النبي ﷺ يوم دفن سعد بن معاذ وهو قاعد على قبره قال: «لو نجا من ضمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ ولقد ضم ضمة ثم أرخي عنه». وروى النسائي والبيهقي عن ابن عمر رفعه قال: «هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهد جنازته سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه» يعني سعد بن معاذ. قال الحسن: تحرك له العرش فرحاً بروحه أخرجه البيهقي في الدلائل. وروى الترمذي والحاكم والبيهقي عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ قبر سعد بن معاذ فاحتبس فلما خرج قيل: يا رسول الله ما حبسك؟ قال: ضم سعد في القبر

معاذ». وعن أنس رضي الله عنه: توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ وكانت امرأة مسقامة، فتبعها رسول الله ﷺ فساءنا حاله، فلما انتهينا إلى القبر فدخله التمع وجهه صفرة، فلما خرج أسفر وجهه، فقلنا: يا رسول الله رأينا منك شأناً فممّ ذلك؟ قال: «ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر، فأتيت فأخبرت أن الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين».

ضمة فدعوت الله أن يكشف عنه». وروى هناد في الزهد عن ابن أبي مليكة قال: «ما أجير من ضغطة القبر أحد إلا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله في الجنة خير من الدنيا وما فيها». وقال ابن سعد: أنبأنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان قال: بلغني أن النبي ﷺ قال وهو قائم عند قبر سعد بن معاذ: «لقد ضغط ضغطة أو همز همزة لو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد». وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن أبيه أن نافعاً مولى ابن عمر لما حضرته الوفاة جعل يبكي فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت سعداً وضغطة القبر. وروي عن عبد الرزاق عن مجاهد قال: أشد حديث سمعناه من النبي ﷺ قوله في سعد بن معاذ وقوله في أمر القبر. وروى الحكيم والبيهقي من طريق ابن إسحاق قال: حدثني أمية بن عبدالله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا؟ فقالوا ذكر لنا أن رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «كان يقصر في بعض الطهور من البول».

قلت: روى هناد في الزهد عن الحسن أن النبي ﷺ قال حين دفن سعد بن معاذ: «إنه ضم في القبر ضمة حتى صار مثل الشعرة فدعوت الله أن يرفع عنه وذلك بأنه كان يستبرىء من البول». وروى ابن سعد في الطبقات قال: أخبرنا شبابة بن سوار، أخبرني أبو معشر عن سعيد المقبري قال: لما دفن رسول الله ﷺ سعداً قال: «لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد ولقد ضم ضمة اختلفت منها أضلاعه من أثر البول». وهذه الأخبار تؤيد قول من قال: إن المراد به تقصيره من بول نفسه، وهو الظاهر. ويرد قول من وجه بأنه كان له إبل كثيرة فلعله كان يدخل بينها فيصيب ثوبه أو بدنه منها وهو لا يعلم.

(وعن أنس) رضي الله عنه **(قال: توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ)** رضي عنها وكان وفاتها في أول سنة ثمان من الهجرة، **(وكانت امرأة مسقامة)** أي كثيرة الأمراض، **(فتبعها رسول الله ﷺ فساءنا حاله، فلما انتهينا إلى القبر فدخله التمع وجهه صفرة، فلما خرج اسفر وجهه فقلنا: يا رسول الله رأينا منك شأناً فمم ذلك؟ قال: «ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية الأعمش عن أنس ولم يسمع منه اهـ.

قلت: رأى الاعمش أنساً. قال ابن المديني. ولم يحمل عنه إنما رآه يخضب، ورآه يصلي وإنما

....

سمعها من يزيد الرقاشي وأبان عن أنس، وقال ابن معين: كل ما روى الأعمش عن أنس فهو مرسل. وعن وكيع عن الأعمش قال: رأيت أنساً وما منعني أن أسمع منه إلا استغنائي بأصحابي.

قلت: وروي عن أنس في سنن أبي داود والترمذي، وقد روى الطبراني من هذا الوجه عن أنس قال: توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ فخرجنا معه فرأيناه مهتماً شديد الحزن، فقعد على القبر هنيهة وجعل ينظر إلى السماء ثم نزل فيه فرأيته يزداد حزناً، ثم خرج فرأيته سري عنه وتبسم فسألناه فقال: «كنت أذكر ضيق القبر وغمه وضعف زينب فكان ذلك يشق علي فدعوت الله أن يخفف عنها ففعل، ولكن ضغطها ضغطة سمعها من بين الخافقين إلا الجن والانس».

وقد روي نحو ذلك في ابنته رقية رضي الله عنها روى سعيد بن منصور وابن أبي الدنيا عن زاذان أبي عمر قال: لما دفن رسول الله ﷺ ابنته رقية جلس عند القبر فتربد وجهه ثم سري عنه فسأله أصحابه عن ذلك فقال: «ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها وأيم الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين».

وقد عرف مما تقدم من الأخبار والآثار أن ضمة القبر لكل أحد فدخل فيه الصبيان الذين ماتوا صغاراً. ومما يشهد لذلك ما رواه الطبراني بسند صحيح عن أبي أيوب أن صبياً دفن فقال رسول الله ﷺ: «لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي» وروى الطبراني في الأوسط عن أنس أن النبي ﷺ صلّى على صبي أو صبية فقال: «لو أن أحداً نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي» وروى علي بن معبد في كتاب الطاعة والعصيان من طريق إبراهيم الغنوي عن رجل قال: كنت عند عائشة فمرت جنازة صبي فبكت فقلت لها: ما يبكيك؟ قالت: هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر. وروى عمر بن شبة في كتاب المدنية عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «ما عفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد» قيل: يا رسول الله ولا القاسم ابنك؟ قال «ولا إبراهيم». وكان اصغرهما. ومن الغريب ما قال الزبير بن بكار في الموفقيات: حدثني أبو غزية الأنصاري، عن إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق قال: قال عبد الله بن عمرو: توفي سعد بن معاذ فخرج إليه رسول الله ﷺ فبينما هم يمشون إذ تخلف فوقفوا حتى أدركهم فقالوا: يا نبي الله ما خلفك عنا؟ قال «سمعت سعد بن معاذ حين ضم في قبره» قالوا: ضم في قبره وقد اهتزله عرش الرحمن؟ فقال: «سعد أكرم على الله أم يحي بن زكريا فوالذي نفسي بيده لقد ضم لأنه شبع شبعة من خبز شعير».

قال السيوطي: هذا حديث منكر بمرة واسناده معضل، والمعروف ان الأنبياء لا يضغطون. قال أبو القاسم السعدي في كتاب الروح له: لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح غير أن الفرق بين المسلم والكافر فيها دوام الضغطة للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره ثم يعود إلى الافساح له فيه. قال: والمراد بضغطة القبر التقاء جانبيه على جسد الميت. وقال الحكيم الترمذي: سبب هذه الضغطة انه ما من أحد إلا وقد ألم بخطيئة مّا وإن كان صالحاً فجعلت هذه

....

الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة، ولذلك ضغط سعد بن معاذ في التقصير من البول. قال: وأما الأنبياء عليهم السلام فلا نعلم أن لهم في القبور ضمة ولا سؤالاً لعصمتهم.

وقال النسفي في بحر الكلام: المؤمن المطيع لا يكون له عذاب القبر وتكون له ضغطة القبر فيجد هول ذلك وخوفه لما أنه تنعم بنعمة الله تعالى ولم يشكر النعمة. وروى ابن أبي الدنيا، عن محمد التيمي قال: كان يقال إن ضمة القبر إنما أصلها أنها أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما ردّ إليها أولادها ضمتهم ضمة الوالدة التي غاب عنها ولدها، ثم قدم عليها فمن كان لله مطيعاً ضمته برأفة ورفق، ومن كان عاصياً ضمته بعنف سخطاً منها عليه لربها. وروى البيهقي وابن منده والديلمي وابن النجار عن سعيد بن المسيب أن عائشة قالت: يا رسول الله منذ يوم حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال: «يا عائشة إن أصوات منكر ونكير في أسماع المؤمنين كالاثمد في العين وأن ضغطة القبر على المؤمن كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداع فتغمز رأسه غمزاً رفيقاً ولكن يا عائشة ويل للشاكّين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة».

فائدة:

قال بعضهم: من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بعشرة أسباب أن يتوب فيتاب عليه، أو يستغفر فيغفر له، أو يعمل حسنات فتمحوها، أو يبتلى في الدنيا بمصائب فتكفر عنه، أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فتكفر عنه، أو يدعو له إخوانه من المؤمنين ويستغفرون له، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه، أو يبتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه أو تدركه شفاعة نبيه أو رحمة ربه.

الباب الثامن
فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومن مناهج الاعتبار، تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء. ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف بذلك أصلاً، فإنا إن عوّلنا على إيمان زيد وعمرو فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له؟ وإن عوّلنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره؟ فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّما يتقبَّلُ اللهُ من الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٣٧]، فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه، وإذا مات فقد تحوّل من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة، وإنما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان، ولكن الإنسان جعل عليها

الباب الثامن

فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

(**اعلم**) بصرك الله تعالى بانوار هدايته (**أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله وسنّة رسوله** ﷺ ، **ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء، ولكن حال زيد وعمرو**) منهم (**بعينه فلا ينكشف به أصلاً فإنا إن عوّلنا على إيمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له**) عند موته. (**وإن عوّلنا على صلاحه الظاهر**) فيما يبدو لنا (**فالتقوى محله القلب**) كما ورد في الخبر «التقوى ههنا» وأشار إلى القلب، (**وهو غامض يخفي على صاحب التقوى**) بنفسه فكيف على غيره (**بلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن. قال الله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه، وإذا مات فقد تحوّل من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت، فلا ترى العين الظاهرة**) لقصورها (**وإنما تدرك بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان**) وهي عين البصيرة، (**ولكن الإنسان جعل**

غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها ، ولا يتصوّر أن يبصر بها شيئاً من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عينْ قلبه .

ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه ، والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا . ولذلك رأى رسول الله ﷺ ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته . وكذلك حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقعده بين يديه ليس بينهما ستر . ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم .

وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة ، إلا أنها أيضاً مشاهدة نبوية وأعني بها المشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوّة . قال رسول الله ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة » . وهو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة

عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيويــة فصار لا يبصر بها) إذ صارت محجوبة ، **(ولا يتصوّر أن يبصر بها شيئاً من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه)** بالتهذيب والتصفية .

(ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام) من أصل الفطرة **(فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه ، والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا)** عن أحوالهم سعادة وشقاوة . **(ولذلك رأى رسول الله ﷺ ضغطة القبر في حق سعد بن معـاذ)** رضي الله عنه **(وفي حق زينب ابنته)** رضي الله عنها كما تقدم في الذي قبله قريباً ، **(وكذلك حال)** عبدالله بن حرام **(أبي جابر)** رضي الله عنهما **(لما أستشهد)** بأحد **(إذ أخبره أن الله)** عز وجل **(أقعده بين يديــه ليس بينهما ستر)** أي حجـاب كما تقـدم في الذي قبلـه ، **(ومثـل هـذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الأنبيـاء)** عليهـم السلام **(و)** لغير **(الأوليـاء الذيـن تقـرب درجتهم منهم)** أي من الأنبياء .

(وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضاً مشاهدة نبوية وأعني به المشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوّة قال رسول الله ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة ») رواه البخاري من حديث أبي سعيد ، ومسلم من حديث ابن عمر ، وأبي هريرة وأحمد والطيالسي وابن ماجه من حديث أبي رزين ، وقد تقدم زاد الطيالسي « وهي معلقة برجل طائر ما لم يحدث بها » . وروى مالك وأحمد والبخاري والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة وابن خزيمة من حديث أنس بلفظ « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة » . **(وهو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب ، فلذلك لا يوثق إلا**

عن القلب، فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه، ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بالطهارة عند النوم لينام طاهراً. وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضاً فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها. ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل، كما انكشف دخول مكة لرسول الله ﷺ في النوم حتى نزل قوله تعالى: ﴿لقد صدَقَ اللهُ رسوله الرُّؤيا بالحقِّ﴾ [الفتح: ٢٧]. وقلما يخلو

برؤيا الرجل الصالح) كما وقع به التقييد في حديث أنس **(الصادق)** أي الذي عوّد لسانه بالصدق، **(ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه)** فإن كثرة الكذب موجبة للذنوب، فقد روى العسكري في الأمثال من حديث ابن عمر « من كثر كذبه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به » ومنشأ ذلك من كثرة الكلام. وروى الديلمي من حديث أنس « أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً ». **(ومن كثر فساده ومعاصيه)** التي منشأها كثرة الكذب **(أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام)** لوجود حجاب الظلمة على القلب، فلا ينكشف له الأمر على حقيقته والأضغاث أنواع: الأول: تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كان يرى أنه قطع رأسه، والثاني أن يرى بعض الأنبياء يأمره بمحرم أو محال. الثالث: ما تتحدث به النفس في اليقظة تمنياً فيراه كما هو في المنام، **(ولذلك أمر رسول الله ﷺ بالطهارة عند النوم لينام طاهراً)** قال العراقي: متفق عليه من حديث البراء « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة » الحديث اهـ.

قلت: وتمامه « ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوّضت أمري إليك والجأت ظهري إليك » الحديث وفيه « فان مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به ». ورواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة.

(وهو اشارة إلى طهارة الباطن أيضاً فهو الأصل، وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها، ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل) من الحوادث الكونية، **(كما انكشف دخول مكة لرسول الله ﷺ في النوم حتى نزل قوله تعالى: ﴿لقد صدَقَ الله رسوله الرؤيا بالحق)** لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم﴾ [الفتح: ٢٧] الآية. قال العراقي: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره من رواية مجاهد مرسلاً اهـ.

قلت: ولفظه رأى رسول الله ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين، فلما نحر الهدي بالحديبية قال له أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فانزل الله تعالى ﴿لقد صدق الله رسوله بالرؤيا بالحق﴾ إلى قوله ﴿فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ فرجعوا ففتحوا خيبر، ثم اعتمر بعد ذلك فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة. وهكذا رواه أيضاً الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، والبيهقي في الدلائل. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس

الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة، والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت، والخلق غافلون عنه كغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة.

ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود، وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الأمور، وأن ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح، وتارة بالكتاب المبين، وتارة بإمام مبين؛ كما ورد في القرآن. فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشاً لا يشاهد بهذه العين. ولا تظنن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم، وإن الكتاب من كاغد أو رق، بل ينبغي أن تفهم قطعاً أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق، وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق، كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم. بل إن كنت تطلب له مثالاً يقربه إلى فهمك فاعلم أن ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه، فإنه

قال: كان تأويل رؤياه في عمرة القضاء. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: أرى في المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام وأنهم آمنون محلقين رؤسهم ومقصرين. (**وقلما يخلو الانسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة، والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي، وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت، والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم، والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة، فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة.**

ولكن القدر الذي يمكن ذكره هنا مثال يفهمك المقصود، وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءىء فيها الصور وحقائق الأمور) على ما هي عليها، (**وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بإمام مبين كما ورد**) كل ذلك (**في القرآن**) والمعنى به واحد، (**فجميع ما جرى في العالم وما سيجري**) فيما بعد (**مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشاً لا يشاهد بهذه العين، ولا تظنن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم**) أو غير ذلك، (**وأن الكتاب من كاغد أو رق**) أو غير ذلك، (**بل ينبغي أن تفهم قطعاً أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق، وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق، كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم، بل ان كنت تطلب له مثالاً يقربه إلى فهمك فاعلم أن ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فإنه مسطور فيه حتى**

مسطور فيه حتى كأنه حين يقرأه ينظر إليه، ولو فتشت دماغه جزءاً جزءاً لم تشاهد من ذلك الخط حرفاً. وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه. واللوح في المثال كمرآة ظهر فيها الصور، فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب، فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم، واللوح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها، واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت، فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف، وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب. وما دام متيقظاً فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة، وهو حجاب عن عالم الملكوت.

ومعنى النوم أن تركد الحواس عليه فلا توردە على القلب، فإذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافياً في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ، فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما، إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعاً للخيال عن عمله وعن تحركه، فما يقع

كأنه حيث يقرأه ينظر إليه، ولو فتشت دماغه جزءاً جزءاً لم تشاهد من ذلك الخط حرفاً، فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه. واللوح في المثال كمرآة ظهر فيها الصور، فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت تلك المرآة تتراءى في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب) يمنع من الرؤية، **(فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو في عالم الملكوت، فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم)** وهو النادر **(وقد لا يدوم)** بل ينمحي بالكلية **(وهو الغالب، وما دام متيقظاً فهو مشغول بما توردە الحواس)** الظاهرة والباطنة **(عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت.**

ومعنى النوم أن تركد الحواس) أي تسكن **(فلا تورد على القلب، فإذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافياً في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما، إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعاً للخيال عن عمله وتحركه، فما يقع في**

في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه، وتكون المتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ، فإذا انتبه لم يتذكر إلا الخيال، فيحتاج المعبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني، وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير. ويكفيك مثال واحد وهو أن رجلاً قال لابن سيرين: رأيت كأن بيدي خاتماً أختم به أفواه الرجال وفروج النساء. فقال: أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان، قال: صدقت! فانظر أن روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم. وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه، وهو كونه مانعاً للناس من الأكل والشرب، ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية.

فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبه! وكيف لا وهو أخو الموت، وإنما الموت هو عجب من العجائب وهذا لأنه يشبهه من وجه ضعيف أثر في كشف الغطاء عن عالم الغيب، حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية، حتى يرى الإنسان عند انقطاع

القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ، فإذا أثبته لم يتذكر إلا الخيال فيحتاج المعبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني، وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير، ويكفيك مثال واحد وهو أن رجلاً قال لابن سيرين) وهو إمام المعبرين: **(رأيت كأن بيدي خاتماً اختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال)** في تعبيره: **(أنت مؤذن)** في مسجد القوم **(تؤذن قبل الصبح في رمضان)** فيمتنعون بذلك من الأكل والشرب والجماع، **(قال: صدقت فانظر أن روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم، وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعاً للناس من الأكل والشرب)** والجماع، **(ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى، ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية.**

فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو) أي النوم **(أخو الموت)** وقد روى البيهقي من حديث جابر «النوم أخو الموت» ولا يموت أهل الجنة **(وإنما الموت هو عجب من العجائب، وهذا لأنه يشبهه من وجه ضعيف أثر في كشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل، فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير**

النفس من غير تأخير نفسه إما محفوفة بالأنكال والمخازي والفضائح ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وإما مكنوفاً بنعيم مقيم وملك كبيرلا آخر له، وعند هذا يقال للأشقياء وقد انكشف الغطاء ﴿لقدْ كُنْتَ في غفلةٍ منْ هَذا فكَشفْنَا عنكَ غطاءَكَ فبصرُكَ اليوم حدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، ويقال: ﴿أفسِحْرٌ هذا أم أنتُم لا تُبصِرُونَ ★ اصْلوْهَا فاصْبِرُوا أو لا تصبِرُوا سوَاءٌ عليْكُمْ إنَّما تُجزَوْنَ ما كُنْتُم تعمَلُونَ﴾ [الطور: ١٥ـ١٦]، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وبَدا لَهُم مِنَ اللهِ ما لم يكُونُوا يحتسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فاعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم إلا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشفُ عنه الغطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة، لكان ذلك كافياً في استغراق جميع العمر.

والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا! وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وذريتنا بل بأعضائنا وسمعنا وبصرنا! مع أنا نعلم مفارقة جميع ذلك يقيناً، ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه فيقول له: ما قال لسيد النبيين: «أحبب من أحببت فإنك مفارقه، وعش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك

تأخير) أي متصلاً بالانقطاع (**نفسه إما محفوفة بالانكال والمخازي والفضائح ـ نعوذ بالله من ذلك ـ واما مكنوفاً بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له**) كما وردت به الآثار وتقدم ذكر بعضها. (**وعند هذا يقال للأشقياء وقد انكشف الغطاء ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ ويقال**) لهم أيضاً (**﴿أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون★ اصلوها**) أي النار (**فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾**) أي ما لم يكن لهم في حسبانهم. (**فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم إلا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة، لكان ذلك كافياً في استغراق جميع العمر**).

(**والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا**) ولا بدّ لك منها: (**وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وذرياتنا**) واتباعنا (**بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا: مع أنا نعلم مفارقة جميع ذلك يقيناً، ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه**) أي قلبه (**فيقول له ما قال لسيد النبيين**) ﷺ: (**«أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك**

مجزى بـه »، فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، ولم يتخذ حبيباً ولا خليلاً. نعم قال: « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن »، فبين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعاً لخليل ولا حبيب! وقد قال لأمته: ﴿إن كُنتُم تحبُّون الله فاتبعوني يُحبِبْكم اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فإنما أمته من اتبعه، وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة، فإنه مـا دعا إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة، فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته، وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أمته، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فأمَّا من طَغى * وآثر الحياة الدُّنيا * فإنَّ الجحِيمَ هي المأوى﴾ [النازعات:

ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به ») تقدم ذلك. (**فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل**). وقد روى أحمد وابن ماجه أن النبي ﷺ أخذ ببعض جسد عبد الله بن عمر فقال: « يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » (**لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة**) تقدم ذلك، (**ولم يخلف ديناراً ولا درهماً**) تقدم ذلك، (**ولم يتخذ خليلاً ولا حبيباً نعم قال « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن »**) رواه مسلم من حديث ابن مسعود بلفظ « لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل » وقد تقدم. (**فبين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعاً لخليل ولا حبيب**) وإليه أشار الشاعر بقوله:

قـد تخللـت مسلـك الحب مني ... ولـذا سمـي الخليـل خليلا

قد تقدم الكلام عليه (**وقد قال تعالى لأمته ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾**) فجعل محبته موجبة لمحبة الله تعالى، (**فإنما أمته من اتبعه**) وسلك منهاجه (**وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة، فإنه ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة، فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه، وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته، وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أمته**) على الحقيقة، (**وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى﴾ فلو خرجت من مكمن الغرور وأنصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك**

٣٧ ـ ٣٩]، فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل ـ وكلنا ذلك الرجل ـ لعلمت أنك من حين تصبح إلى حين تمسي لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة، ولا تتحرك ولا تسكن إلا لعاجل الدنيا ثم تطمع أن تكون غداً من أمته وأتباعه! ما أبعد ظنك وما أبرد طمعك ﴿أفنجعل المسلمين كالْمُجرِمين ۞ مَا لَكُم كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

ولنرجع إلى ما كنا فيه وبصدده فقد امتدّ عنان الكلام إلى غير مقصده، ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوّة وبقيت المبشرات وليس ذلك إلا المنامات.

بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة في الآخرة:

فمن ذلك رؤيا رسول الله ﷺ وقد قال عليه السلام: « من رآني في المنام فقد

الرجل) أي كلنا داخلون تحت هذا الخطاب، **(لعلمت أنك من حين تصبح إلى حين تمسي لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة، ولا تتحرك ولا تسكن إلا لعاجل الدنيا)**، ولا يخطر ببالك أمر من أمور الآخرة. **(ثم تطمع أن تكون غداً من أمته واتباعه)** وزمرته وأشياعه **(ما أبعد ظنك وما أبرد طمعك ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين ۞ ما لكم كيف تحكمون﴾)**.

(ولنرجع إلى ما كنا فيه وبصدده) وهو انكشاف بعض الأمور الغيبية في النوم، **(فقد امتد عنان الكلام إلى غير مقصده، ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به)** عند سماعه **(إذ ذهبت النبوّة وبقيت المبشرات)** وهو لفظ الحديث. رواه أحمد وابن ماجه من حديث أم كرز الكعبية، **(وليس ذلك إلا المنامات)** وقد جاء هكذا مفسراً في حديث حذيفة بن أسيد « ذهبت النبوّة فلا نبوّة بعدي إلا المبشرات » قيل: وما المبشرات؟ قال « الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ». رواه الطبراني والضياء من رواية أبي الطفيل عنه وهو عند البزار بلفظ « لم يبق من مبشرات النبوّة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له » وروى البخاري من حديث أبي هريرة « لم يبق من النبوّة إلا المبشرات » قالوا: وما المبشرات؟ قال: « الرؤيا الصالحة » ورواه البيهقي من حديث عائشة بنحو حديث حذيفة.

بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة:

(فمن ذلك رؤيا رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ « من رآني) أي في نومه **(فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي »)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: المتفق عليه من حديث أبي هريرة لفظه « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي » وهكذا أورده أبو داود أيضاً. ورواه الطبراني من حديث مالك بن عبدالله الخثعمي،

....

وأما لفظ المصنف فقد رواه الديلمي من طريق يحي بن سعيد العطار، عن سعيد بن ميسرة وهما واهيان عن أنس. وقد روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة وروايات متعددة.

منها «من رآني في المنام فقد رآني» رواه أحمد وابن أبي شيبة والسراج والبغوي والدارقطني في الافراد من رواية أبي مالك الأشجعي عن أبيه مرفوعاً.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني إن الشيطان لا يتمثل في صورتي» رواه ابن أبي شيبة من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وجابر.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتصوّر بصورتي» رواه ابن النجار من حديث البراء.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي» رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن مسعود، ورواه أحمد وابن ماجه والطبراني من حديث ابن عباس، والخطيب عن أبي مالك الاشجعي عن أبيه، وابن أبي شيبة وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري، وابن النجار من حديث عمران بن حصين.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتصور بي» رواه الروياني والضياء من حديث البراء.

ومنها «من رآني في المنام فكأنما رآني في اليقظة فمن رآني فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي» رواه الطبراني من حديث ابن عمر، وابن عساكر من حديث عمر، وابن ماجه وأبو يعلى والطبراني من جديث أبي جحيفة.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتشبه بي» رواه ابن عساكر من حديث أبي جحيفــة.

ومنها «من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتراءى بي» رواه أحمد والشيخان من حديث أبي قتادة.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي» رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن ماجه من حديث جابر، ورواه أحمد من حديث ابن مسعود.

ومنها «من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكوّنني» رواه أحمد والبخاري من حديث أبي سعيد الخدري.

ومنها «من رآني فإني أنا هو فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي» رواه الترمذي من حديث أبي هريرة.

ومنها « من رآني في المنام فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتشبه بي » رواه أحمد من حديث أبي هريرة.

ومنها « من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة » رواه ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري والترمذي في الشمائل، وأبو عوانة من حديث أنس. ورواه أحمد أيضاً ومسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة.

ومنها « من رآني في المنام فقد رآني فإني أرى في كل صورة » رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة.

ومنها « من رآني في المنام فقد رأى الحق إن الشيطان لا يتمثل بي » رواه الخطيب في المتفق والمفترق عن ثابت بن عبيد بن أبي بكرة عن أبيه عن جده.

فهذه ألفاظ هذا الحديث وهو متواتر كما ذكره السيوطي وغيره، والمعنى: من رآني في المنام بصفتي التي أنا عليها وكذا بغيرها على ما يأتي بيانها فقد رآني أي فليبشر بأنه رآني حقيقة أي رأى حقيقتي كما هي، فلم يتحد الشرط والجزاء وهو في معنى الاخبار. أي من رآني فاخبره بأن رؤيته حق ليست بأضغاث أحلامية ولا تخيلات شيطانية، ثم أردف ذلك بما هو تتميم للمعنى وتعليل للحكم فقال: « فإن الشيطان لا يتمثل بي » فإنه ﷺ وإن ظهر بجميع أسماء الحق وصفاته تخلقاً وتحققاً فمقتضى رسالته للخلق أن يكون الأظهر فيه حكماً وسلطنة من صفات الحق الهداية والاسم الهادي والشيطان مظهر الاسم المضل والظاهر بصفة الضلالة وهما ضدان، فلا يظهر أحدهما بصورة الآخر، والنبي خلق للهداية، فلو ساغ ظهور ابليس بصورته زال الاعتماد عليه، فلذلك عصم صورته عن أن يظهر بها شيطان.

فإن قيل: عظمة الحق تعالى أتم من عظمة كل عظيم مع أن اللعين يتراءى لكثير ويخاطبهم بأنه الحق فيضلهم. قلنا: كل عاقل يعلم أن الحق تعالى لا صورة له معينة توجب الاشتباه بخلاف النبي، وأيضاً مقتضى حكمة الحق أن يضل ويهدي من يشاء بخلاف النبي فإنه مقيد بالهداية ظاهر بصورتها، فتجب عصمة صورته من مظهرية الشيطان.

وقال عياض: لم يختلف العلماء في جواز صحة رؤية الله تعالى في النوم، وان رؤي على صفة لا تليق بجلاله من صفات الأجسام ليحقق أن المرئي غير ذات الله، إذ لا يجوز عليه التجسم ولا اختلاف الحالات بخلاف النبي، فكانت رؤية الله تعالى في النوم من باب التمثيل والتخييل.

وقال القرطبي: اختلف في الحديث فقال قوم من القاصرين: هو على ظاهره فمن رآه في النوم رآه حقيقة كما يرى في اليقظة وهو قول يدرك فساده ببادىء العقل، إذ يلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن يراه اثنان في وقت واحد في مكانين، وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويخاطب الناس ويخلو قبره عنه فيزار غير جثته ويسلم على غائب لأنه يرى ليلاً ونهاراً على

رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي »، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فرأيته لا ينظر إلي فقلت: يا رسول الله ما شأني! فالتفت إليّ وقال: « ألست المقبّل وأنت صائم »؟ قال: والذي نفسي بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبداً. وقال العباس رضي الله عنه: كنت وداً لعمر فاشتهيت أن أراه في المنام، فما رأيته

اتصال الأوقات، وهذه جهالات لا يثق بالتزامها من له أدنى مسكة من عقل وملتزم ذلك مختل مجنون. وقال قوم: من رآه بصفته فرؤياه حق أو بغيرها فأضغاث أحلام، ومعلوم انه قد يرى على حالة مخالفة، ومع ذلك تكون تلك الرؤيا حقاً كما لو رؤي قد ملأ بلداً أو داراً بجسمه، فإنه يدل على امتلاء تلك البلد بالحق والشرع وتلك الدار بالبركة، وكثيراً ما وقع ذلك قال: والصحيح أن رؤيته على أي حال كان غير باطلة ولا من الاضغاث بل حق في نفسها، وتصوير تلك الصورة وتمثيل ذلك المثال ليس من الشيطان بل مثل الله ذلك للرائي بشرى فيتسبب للخير، أو انذاري فيتبرأ عن الشر، أو تنبيهاً على خير يحصل، وقد ذكرنا أن المرئي في المنام أمثلة المرئيات لا أنفسها غير أن تلك الامثلة تارة تطابق حقيقة المرئي وتارة لا، ثم المطابقة قد تظهر في الصفة على نحو ما أدرك في النوم وقد لا فإذا لم تظهر في اليقظة كذلك. فالمقصود بتلك الصورة معناها لا عينها، وكذا مخالفة المثال صورة المرئي بزيادة أو نقص أو تغير لون أو زيادة عضو أو نقصه، فكله تنبيه على معاني تلك الأمور انتهى.

قال المناوي في شرح الجامع: وحاصل كلامه أن رؤيته بصفته إدراك لذاته وبغيرها إدراك لمثاله، فالأولى لا تحتاج لتعبير والثانية تحتاجه. قال: ولسلفنا الصوفية ما يوافق معناه ذلك وإن اختلف اللفظ حيث قالوا هنا ميزان التنبيه له، وهو أن الرؤية الصحيحة أن يرى بصورته الثابتة بالنقل الصحيح، فإن رآه بغيرها كطويل أو قصير أو شيخ أو شديد السمرة لم يكن رآه وحصول الجزم في نفس الرائي بأنه رأى النبي غير حجة، بل ذلك المرائي صورة الشرع بالنسبة لاعتقاد الرائي أو حاله أو صفته، أو حكم من أحكام الإسلام أو بالنسبة للمحل الذي رأى فيه تلك الصورة. قال القونوي: كابن عربي قد جربناه فوجدناه لم ينخرم والله الموفق.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فرأيته لا ينظر إليَّ فقلت: يا رسول الله ما شأني؟ فالتفت إلي وقال: « ألست المقبل وأنت صائم » قال: والذي نفسي بيده لا أقبّل امرأة وأنا صائم أبداً). رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو بكر الطلحي، حدثنا عبيد بن غنام، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، حدثنا عمر بن حمزة، أخبرنا سالم عن ابن عمر قال: قال عمر: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فذكره وفيه: « ألست الذي تقبل وأنت صائم » فقلت: والذي بعثك بالحق لا أقبل وأنا صائم.

(وقال العباس) بن عبد المطلب **(رضي الله عنه: كنت وداً)** أي خليلاً **(لعمر)** بن الخطاب **(فاشتهيت أن أراه في المنام فما رأيته إلا عند رأس الحول، فرأيته يمسح العرق عن**

إلا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول: هذا أوان فراغي إن كان عرشي ليهد لولا أني لقيته رؤوفاً رحيماً. وقال الحسن بن علي: قال لي علي رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ سنح لي الليلة في منامي فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك؟ قال: ادع عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم وأبدلهم بي من هو شر لهم مني! فخرج فضربه ابن ملجم. وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا

جبينه وهو يقول: هذا أوان فراغي إن كان عرشي ليهد لولا أني لقيته رؤوفاً رحيماً) رواه أحمد في الزهد وابن سعد في الطبقات بلفظ: كان عمر بن الخطاب لي خليلاً وأنه لما توفي لبثت حولاً أدعو الله أن يرينيه في المنام. قال: فرأيته على رأس الحول يمسح العرق عن جبهته قلت: يا أمير المؤمنين ما فعل بك ربك؟ قال: هذا أوان فرغت وإن كان عرشي ليهد لولا أني لقيت ربي رؤوفاً رحيماً.

وأخرج ابن سعد عن سالم بن عبدالله قال: سمعت رجلاً من الأنصار يقول: دعوت الله أن يريني عمر في النوم فرأيته بعد عشر سنين وهو يمسح العرق عن جبهته فقلت: يا أمير المؤمنين ما فعلت؟ فقال: الآن فرغت ولولا رحمة ربي لهلكت.

وأخرج أيضاً عن عبدالله بن عمرو قال: ما كان شيء أعمله أحب إلي أن أعلمه من أمر عمر فرأيت في المنام قصراً فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لعمر، فخرج من القصر عليه ملحفة كأنه قد اغتسل، فقلت: كيف صنعت؟ فقال: خيراً كاد عرشي يهوي لولا أني لقيت رباً غفوراً. قلت: كيف صنعت؟ قال: متى فارقتكم؟ قلت: منذ اثنتي عشرة سنة. قال: إنما انفلت الآن من الحساب.

(وقال الحسن بن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه: **(قال لي عليّ رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ سنح لي الليلة في منامي فقلت: يا رسول الله ما)** ذا **(لقيت من أمتك)** اللدد والأدد؟ **(قال: ادع عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلني بهم من هو شر لهم مني، فخرج)** لصلاة الصبح **(فضربه ابن ملجم)** تقدم عند ذكر وفاته. وأخرج الحاكم في المستدرك، والبيهقي في الدلائل عن كثير بن الصلت قال: أغمي على عثمان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا فقال: «إنك شاهد معنا الجمعة». وأخرجاه أيضاً عن ابن عمر أن عثمان أصبح فحدث فقال: إني رأيت النبي ﷺ الليلة في المنام فقال: «يا عثمان افطر عندنا» فاصبح عثمان صائماً فقتل من يومه، وهذا قد تقدم عند ذكر وفاته. وأخرج ابن عساكر عن مطرف، أنه رأى عثمان بن عفان في النوم فقال: رأيت عليه ثياباً خضراً فقلت: يا أمير المؤمنين كيف فعل الله بك؟ قال: فعل الله بي خيراً. قلت: أي الدين خير؟ قال: الدين القيم ليس بسفك الدم.

رسول الله استغفر لي ، فأعرض عني فقلت : يا رسول الله إن سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله أنك لم تسأل شيئاً قط فقلت : لا ، فأقبل علي فقال : « غفر الله لك » .

وروي عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت مؤاخياً لأبي لهب مصاحباً له ، فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمني أمره فسألت الله تعالى حولاً أن يريني إياه في المنام قال: فرأيته يلتهب ناراً فسألته عن حاله فقال: صرت إلى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الاثنين في كل الأيام والليالي ! قلت: وكيف ذلك ؟ قال: ولد في تلك الليلة محمد ﷺ فجاءتني أميمة فبشرتني بولادة آمنة إياه ففرحت به وأعتقت وليدة لي فرحاً به ، فأثابني الله بذلك أن رفع عني العذاب في كل ليلة الاثنين.

وقال عبد الواحد بن زيد : خرجت حاجاً فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا

(**وقال بعض الشيوخ: رأيت رسول الله ﷺ**) في النوم (**فقلت: يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني، فقلت: يا رسول الله إن سفيان بن عيينة، حدثنا عن محمد بن المنكدر**) التيمي، (**عن جابر بن عبدالله**) الأنصاري رضي الله عنه (**أنك لم تسأل شيئاً قط . فقلت: لا فأقبل علي . فقال: « غفر الله لك »**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات، والحديث المذكور قد رواه مسلم وتقدم.

(**وروي عن العباس بن عبد المطلب**) رضي الله عنه (**قال: كنت مؤاخياً لأبي لهب**) عبد العزي (**مصاحباً له**) أي في الجاهلية، (**فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر**) وهو قوله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ إلى آخر السورة. (**حزنت عليه وأهمني أمره**) وفاء لحق المؤاخاة والنسب ، (**فسألت الله حولاً أن يريني إياه في المنام قال: فرأيته يلتهب ناراً ، فسألته عن حاله؟ فقال: صرت إلى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الإثنين في كل الأيام والليالي، قلت: وكيف ذلك؟ قال: ولد في تلك الليلة محمد ﷺ فجاءتني أميمة**) تصغير أمة أي جويرية (**فبشرتني بولادة آمنة**) بنت وهب (**إياه ففرحت به واعتقت وليدة لي**) أي جارية (**فرحاً به فأثابني الله بذلك أن رفع عني العذاب في كل ليلة إثنين**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. وأخرج ابن عساكر بسند فيه الكديمي عن أبي سعيد الخدري رفعه: « بعثت ولي أربع عمومة فأما العباس فيكنى بأبي الفضل فلولده الفضل إلى يوم القيامة، وأما حمزة فيكنى بأبي يعلى فأعلى الله قدره في الدنيا والآخرة، وأما عبد العزى فيكنى بأبي لهب فادخله الله النار وألهبها عليه، وأما عبد مناف فيكنى بأبي طالب فله ولولده المطاولة والرفعة إلى يوم القيامة » .

(**وقال عبد الواحد بن زيد**) البصري التابعي رحمه الله تعالى: (**خرجت حاجاً فصحبني**

يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ﷺ، فسألته عن ذلك فقال: أخبرك عن ذلك، خرجت أول مرة إلى مكة ومعي أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل، فبينا أنا نائم إذ أتاني آت فقال لي: قم فقد أمات الله أباك واسود وجهه! قال: فقمت مذعوراً فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه، فداخلني من ذلك رعب، فبينا أنا في ذلك الغم إذ غلبتني عيني فنمت فإذا على رأس أبي أربعة سودان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم: تنحوا، فمسح وجهه بيده ثم أتاني فقال: قم فقد بيض الله وجه أبيك! فقلت له: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقال: أنا محمد. قال: فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض! فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله ﷺ.

وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده ـ فسلمت وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية فأدخلا بيتاً وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي رضي الله عنه وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة.

رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ﷺ فسألته عن ذلك فقال: أخبرك عن ذلك. خرجت أول مرة إلى مكة ومعي أبي، فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينما أنا نائم إذا أتاني آت فقال لي: قم فقد أمات الله أباك وسوّد وجهه. قال: فقمت مذعوراً فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه، فدخلني من ذلك رعب، فبينما أنا في ذلك الغم إذ غلبتني عيني فنمت فإذا على رأس أبي أربعة سودان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم: تنحوا فمسح وجهه بيده ثم أتاني فقال: قم فقد بيض الله وجه أبيك، فقلت له: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقال: أنا محمد. قال: فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض! فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله ﷺ) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. وأورده الحافظ السخاوي في القول البديع.

(وعن عمر بن عبد العزيز) رحمه الله **(قال: رأيت رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية فادخلا بيتاً وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع أن خرج علي رضي الله عنه وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة. وما كان بأسرع ان خرج معاوية على أثره وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

واستيقظ ابن عباس رضي الله عنهما مرة من نومه فأسترجع وقال: قتل الحسين والله! ـ وكان ذلك قبل قتله ـ فأنكره أصحابه فقال: رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم فقال: ألا تعلم ما صنعت أمتي بعدي؟ قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله تعالى. فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوماً بقتله في اليوم الذي رآه.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا إبراهيم بن بكر البصري، حدثنا يسار خادم عمر قال: دخلت على عمر فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره ورأيت عثمان وهو يقول: خصمت علياً ورب الكعبة، وعلي يقول غفر لي ورب الكعبة. وأخرج من طريق أبي هاشم الرماني أن رجلاً جاء إلى عمر فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام وبنو هاشم يشكون إليه الحاجة فقال لهم: فأين عمر بن عبد العزيز؟ وأخرج من طريق أبي المليح عن خصاف أخي خصيف قال: رأيت النبي ﷺ في المنام عن يمينه أبو بكر وعن يساره عمر وميمون بن مهران جالس أمام ذلك، فأتيت ميمون ابن مهران فقلت: من هذا؟ قال: هذا رسول الله ﷺ. قلت: من هذا؟ قال: هذا أبو بكر عن يمينه وهذا عمر عن يساره، فجاء عمر بن عبد العزيز ليجلس بين أبي بكر وبين النبي ﷺ فشح أبو بكر بمكانه، ثم جاء ليجلس بين عمر وبين النبي ﷺ فشح عمر بمكانه، فدعاه رسول الله ﷺ فأجلسه في حجره. ومن طريق أبي هاشم الرماني قال: جاء رجل إلى عمر فقال: رأيت النبي ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله فذكر نحوه. ومن طريق عراك بن حجرة عن عمر قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: ادن يا عمر فدنوت حتى كدت أصافحه. قال: فإذا كهلان قد اكتنفاه، فقال: «إذا وليت من أمر أمتي فاعمل في ولايتك نحو ما عمل هذان في ولايتها». قلت: من هذان؟ قال: هذا أبو بكر وهذا عمر.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال: رأيت كأني أدخلت الجنة فإذا قباب مضروبة قلت: لمن هذه؟ قالوا: لذي الكلاع وحوشب وكانا ممن قتل مع معاوية. قلت: فأين عمار وأصحابه؟ قالوا: أمامك. قلت: وقد قتل بعضهم بعضاً. قيل: إنهم لقوا الله فوجدوه واسع المغفرة. قلت: فما فعل أهل النهر؟ يعني الخوارج. قال: لقوا برحاً.

(واستيقظ ابن عباس رضي الله عنه مرة من نومه فاسترجع وقال: قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فأنكره أصحابه، فقال: رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم فقال: «ألا تعلم ما صنعت أمتي بعدي قتلوا إبني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله» فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوماً بقتله في اليوم الذي رآه) رواه ابن الدنيا في كتاب المنامات. وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: «شهدت قتل الحسين آنفاً».

ورؤي الصديق رضي الله عنه فقيل له: إنك كنت تقول أبداً في لسانك: هذا أوردني الموارد، فماذا فعل الله بك؟ قال: قلت به لا إله إلا الله فأوردني في الجنة.

(ورؤي) أبو بكر (الصديق رضي الله عنه) في النوم (فقيل له: إنك كنت تقول أبداً في لسانك هذا أوردني الموارد فماذا فعل الله بك؟ قال: قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. وأما قوله هذا أوردني الموارد فرواه عبدالله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد قال: حدثني مصعب الزبيري، حدثني مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر دخل على أبي بكر وهو يجبذ لسانه فقال عمر: مه غفر الله لك، فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد.

فصل

قال أبو محمد خلف بن عمر العكبري في فوائده: حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري، حدثنا إسماعيل بن بهرام العكبري، حدثنا الأشجعي، عن شيخ، عن ابن سيرين قال: ما حدثك الميت بشيء في النوم فهو حق لأنه في دار الحق.

وأخرج أبو الشيخ في كتاب الوصايا، والحاكم في المستدرك، والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل عن عطاء الخراساني قال: حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس أن ثابتاً قتل يوم اليمامة وعليه درع نفيسة، فمرّ به رجل من المسلمين فأخذها، فبينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال: أوصيك بوصية فاياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أمس مرّبي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله، وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل، فأت خالد بن الوليد فمره أن يبعث إلي درعي فيأخذها، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ، يعني أبا بكر الصديق فقل له: إن عليّ من الدين كذا، وفلان من رقيقي عتيق وفلان، فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث إلي الدرع فأتى بها، وحدثت أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته. قال: ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا هاشم بن القاسم الحراني، حدثنا بشر بن بكير التنيسي، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عطاء الخراساني قال: أتيت المدينة فلقيت بها رجلاً. قلت: حدثني بحديث ثابت بن قيس بن شماس يرحمك الله، فقال: قم معي فانطلقت معه حتى انتهينا إلى باب دار فدخل فلبث لبثة ثم خرج إلي فادخلني، فإذا بامرأة جالسة فقال: هذه ابنة ثابت بن قيس فاسألها عما بدا لك قلت: حدثيني عن أبيك رحمه الله. قالت: لما أنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] الآية. أغلق عليه بابه وطفق يبكي فساق الحديث، وفيه قوله ﷺ: «لست منهم ولكن تعيش حميداً وتقتل شهيداً ويدخلك الله الجنة بسلام» فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة وفيه وكانت على ثابت درع نفيسة، وفيه: فرأى رجل من الصحابة في منامه أتاه ثابت

بيان منامات المشايخ رضي الله عنهم أجمعين:

قال بعض المشايخ: رأيت متماً الدورقي في المنام فقلت: يا سيدي ما فعل الله بك؟ فقال: دير بي في الجنان فقيل لي: يا متمم هل استحسنت فيها شيئاً؟ قلت: لا يا سيدي،

فساقه إلى آخره نحو السياق الأوّل، وفيه: قالت ولا نرى أحداً من المسلمين أجيزت وصيته بعد موته إلا وصية ثابت بن قيس.

وأخرج الحاكم في المستدرك عن حسين بن خارجة قال: لما جاءت الفتنة الأولى أشكلت علي، فقلت: اللهم أرني من الحق أمراً أمسك به فأريتُ فيما يرى النائم الدنيا والآخرة وكان بينهما حائط غير طويل، وإذا أنا تحته فقلت: لو تسفلت هذا الحائط حتى أنظر إلى قتل أشجع فيخبروني، قال: فانهبطت بأرض ذات شجر فإذا بنفر جلوس فقلت: أنتم الشهداء؟ قالوا: نحن الملائكة. قلت: فأين الشهداء؟ قالوا: تقدم إلى الدرجات فارتفعت درجة الله أعلم من الحسن والسعة، فإذا أنا بمحمد: ﷺ وإذا إبراهيم شيخ وإذا هو يقول لإبراهيم: استغفر لأمتي وإبراهيم يقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك أهراقوا دماءهم وقتلوا إمامهم فهلا فعلوا كما فعل سعد خليلي، فقلت: والله لقد رأيت رؤيا لعل الله أن ينفعني بها إذهب فانظر مكان سعد فأكون معه، فأتيت سعداً فقصصت عليه القصة فما أكثر بها فرحاً، وقال قد خاب من لم يكن إبراهيم خليله. قلت: مع أي الطائفتين أنت؟ قال: أنا مع واحد منهما، فقلت: فما تأمرني؟ قال: ألك غنم. قلت: لا. قال: فاشتر شيئاً فكن فيها حتى تنجلي.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات، وابن سعد في الطبقات عن محمد بن زياد الالهاني أن غضيف بن الحرث قال لعبدالله بن عائذ الصحابي حين حضرته الوفاة: إن استطعت أن تلقانا فتخبرنا ما لقيت بعد الموت فلقيه في منامه بعد حين فقال له: ألا تخبرنا؟ قال: نجونا ولم نكد أن ننجو. نجونا بعد المشيبات، فوجدنا ربنا خير رب غفر الذنب وتجاوز عن السيئة إلا ما كان من الأحراض. قلت له: وما الأحراض؟ قال: الذين يشار إليهم بالأصابع في الشر.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الزاهرية قال: عاد عبد الأعلى عدي بن أبي بلال الخزاعي فقال له عبد الأعلى: اقرأ رسول الله ﷺ مني السلام وإن استطعت إن تلقانا فتعلمني بذلك، وكانت أم عبدالله أخت أبي الزاهرية تحت ابن أبي بلال فرأته في منامه بعد وفاته بثلاثة أيام فقال: إن ابنتي بعد ثلاث لاحقتي فهل تعرفين عبد الأعلى؟ قالت: لا. قال: فاسألي عنه، ثم أخبريه إني قد أقرأت رسول الله ﷺ منه السلام، فردّ عليه فاخبرت أخاها أبا الزاهرية بذلك فابلغه.

بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين:

(قال بعض المشايخ: رأيت متماً الدورقي في المنام فقلت له: يا سيدي ما فعل الله بك؟ فقال: دير بي في الجنان فقيل لي: يا متمم هل استحسنت فيها شيئاً؟ قلت: لا يا سيدي.

فقال: لو استحسنت منها شيئاً لوكلتك إليه ولم أوصلك إلي. ورؤي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي؛ قيل: بماذا؟ قال: ما خلطت جداً بهزل. وعن منصور بن إسماعيل قال: رأيت عبدالله البزار في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنباً واحداً فإني استحييت أن أقربه، فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت: ما كان ذلك الذنب؟ قال: نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله أن أذكره.

وقال أبو جعفر الصيدلاني: رأيت رسول الله ﷺ في النوم وحوله جماعة من الفقراء، فبينما نحن كذلك إذا انشقت السماء فنزل ملكان، أحدهما: بيده طشت، وبيد

فقال: لو استحسنت منها شيئاً لوكلتك إليه ولم أوصلك إلي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

(ورؤي يوسف بن الحسين) أبو يعقوب الرازي شيخ الري والجبال في وقته وكان نسيج وحده في إسقاط التصنع صحب ذا النون وأبا تراب ورافق أبا سعيد الخراز توفي سنة أربع وثلاثمائة **(فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي قيل: بماذا قال)** لأني **(ما خلطت جداً بهزل)** نقله القشيري في الرسالة وفيه إشارة إلى كمال ورعه، وأن أكثر أحواله جدّ وإن مزح فمزحه حق. وقال ابن الملقن في الطبقات: رؤي يوسف بن الحسين في المنام بقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: ياعبد السوء فعلت وصنعت. قلت: يا سيدي لم أبلغ عنك هذا بلغت أنك كريم والكريم إذا قدر عفا. فقال: تملقت لي بقولك هبني لمن شئت من خلقك اذهب فقد وهبتك لك. وروى ابن عساكر في التاريخ عن أبي خلف الوزان قال: رؤي يوسف بن الحسين الرازي الصوفي في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وغفر لي قيل: بماذا؟ قال: بكلمات قلتها عند الموت. قلت: اللهم نصحت الناس قولاً وخنت نفسي فعلا فهب خيانة فعلي لنصحة قولي.

(وعن منصور بن إسماعيل) المغربي هو شيخ القشيري **(قال: رأيت عبدالله البراد)** كذا في نسخة وفي أخرى البزاز والصواب أبا عبدالله الزراد كما هو نص الرسالة **(في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنباً واحداً، فإني استحييت أن أقربه فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي)** ثم غفر لي، **(فقلت)** له: **(ما كان ذلك الذنب)** أي ما سببه؟ **(قال: نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله تعالى أن أذكره)** رواه القشيري في الرسالة بلفظ: ورؤي أبو عبدالله الزراد في المنام فقيل له: والباقي سواء، وفيه: إن الاستحياء من ذكر الذنب يوم القيامة لا يفيد لأن ذلك اليوم ليس يوم عمل وإنما هو يوم جزاء.

(وقال أبو جعفر الصيدلاني) رحمه الله تعالى **(رأيت رسول الله ﷺ في النوم وحوله جماعة من الفقراء، فبينما نحن كذلك)** وفي بعض نسخ الرسالة فبينما هو كذلك وفي أخرى فبينما

الآخر: ابريق، فوضع الطشت بين يدي رسول الله ﷺ فغسل يده ثم أمر حتى غسلوا، ثم وضع الطشت بين يدي فقال أحدهما للآخر: لا تصب على يده فإنه ليس منهم! فقلت: يا رسول الله أليس قد روي عنك أنك قلت: «المرء مع من أحب»؟ قال: بلى، قلت: يا رسول الله فإني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء! فقال ﷺ: «صب على يده فإنه منهم».

وقال الجنيد: رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال: أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا؟ فقلت: عمل خفي بميزان وفي! فولى الملك وهو يقول: كلام موفق والله.

ورؤي مجمع في النوم فقيل له: كيف رأيت الأمر؟ فقال: رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة. وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد: رأيتك في النوم كأنك في الجنة! فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال: لعل الشيطان أراد أمراً فعصمت منه

هم كذلك (إذا انشقت السماء فنزل ملكان أحدهما بيده طست وبيد الآخر ابريق، فوضع الطست بين يدي رسول الله ﷺ فغسل يده) الكريمة من الإبريق، (ثم أمر) الملكين بمثل ذلك مع الجماعة وأمر بمثل ما فعله هو (حتى غسلوا) أيديهم، (ثم وضع الطست بين يدي فقال أحدهما للآخر: لا تصب عليه فإنه ليس منهم، فقلت: يا رسول الله أليس قد روي عنك أنك قلت: «المرء مع من أحب») ورواه الشيخان من وجوه وقد تقدم. (قال: «بلى» قلت: يا رسول الله فإني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء. فقال ﷺ: «صب على يده فإنه منهم) حكماً». رواه القشيري في الرسالة بلفظ: «وحكي عن بعضهم أنه قال: رأيت فذكره.

(وقال) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره: (رأيت) في المنام (كأني أتكلم على الناس) أي أوعظهم (فوقف علي ملك) في صورة آدمي (فقال) لي: (أقرب) أي أفضل (ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا؟ فقلت) له (عمل خفي) أي مستور عن الأغيار (بميزان وفي) أي بوقوعه على وجهه شرعاً ففي الخبر: إن عمل السر يزيد على عمل العلانية بسبعين ضعفاً لكونه بين العبد وربه، قال الجنيد: (فولى الملك وهو يقول: كلام موفق والله) رواه القشيري في الرسالة (ورؤي مجمع) كمحدث ابن صمعان التيمي الورع السبخي من رجال الحلية (في النوم فقيل له: كيف رأيت الأمر؟ قال: رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. (وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد) بن مطر العدوي البصري أبي نصر أحد العباد ثقة روى له النسائي وابن ماجه: (رأيتك في النوم كأنك في الجنة فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال له: لعل الشيطان أراد أمراً) أعصي الله به (فعصمت منه فأشخص) أي أرسل إليه (رجلاً) وهو أنت (يقتلني) هكذا في النسخ ولفظ

فأشخص رجلاً يقتلني! وقال محمد بن واسع: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره. وقال صالح بن

الرسالة وقال رجل للعلاء بن زياد: رأيت في النوم كأنك من أهل الجنة فقال: لعل الشيطان أراد مني أمراً فعصمت منه فأشخص إلي رجلاً بعينه أي على مقصوده من اضلا.

وقال أحمد في الزهد: حدثنا محمد بن مصعب سمعت مخلد بن الحسين ذكر أن العلاء بن زياد قال له رجل: رأيتك كأنك في الجنة. فقال: ويحك أما وجد الشيطان أحداً سخر به غيري وغيرك.

وأما حديث رجل من أهل الشام فقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا عبدالله بن أبي زياد، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يسأل هشام بن زياد العدوي عن هذا الحديث فحدثنا به يومئذ قال: تجهز رجل من أهل الشام وهو يريد الحج فاتاه آت في منامه فقال له: أئت العراق ثم ائت البصرة ثم أئت بني عدي، فائت بها العلاء بن زياد فإنه رجل ربعة أقصم الثنية بسام فبشره بالجنة. قال: فقال رؤيا ليست بشيء حتى إذا كانت الليلة الثانية رقد فأتاه آت فقال: ألا تأتي العراق فذكر مثل ذلك، حتى إذا كانت الليلة الثالثة جاءه بوعيد فقال: ألا تأتي العراق؟ فقال مثل ذلك. قال: أصبح فأعد جهازه إلى العراق، فلما خرج من البيوت إذ الذي آتاه في منامه يسير بين يديه ما سار فإذا نزل فقده فلم يزل يراه حتى دخل الكوفة ففقده. قال: فتجهز من الكوفة فخرج فرآه يسير بين يديه حتى قدم البصرة فأتى بني عدي فدخل دار العلاء بن زياد، فوقف الرجل على باب العلاء فسلم قال هشام: فخرجت إليه فقال لي: أنت العلاء بن زياد؟ فقلت: لا. قلت: إنزل رحمك الله فتضع رحلك وتضع متاعك. قال: لا أين العلاء بن زياد؟ قال: قلت هو في المسجد. قال: وكان العلاء يجلس في المسجد يدعو بدعوات ويتحدث. قال هشام: فأتيت العلاء فخفف من حديثه وصلى ركعتين ثم جاء، فلما رآه العلاء تبسم فبدت ثنيته فقال: هذا والله صاحبي قال؛ فقال العلاء: هلا حططت رحل الرجل ألا أنزلته؟ قال: قلت له: فأبي. قال: فقال العلاء: انزل رحمك الله. قال؛ فقال: أخلني. قال: فدخل العلاء منزله. وقال: يا أسماء تحوّلي إلى البيت الآخر، ودخل الرجل فبشره بالرؤيا ثم خرج فركب فقام العلاء فأغلق بابه فبكى ثلاثة أيام أو قال سبعة لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً ولا يفتح بابه. قال هشام: فسمعته يقول في حال بكائه أنا أنا. قال: فكنا نهابه أن نفتح بابه وخشيت، أن يموت فاتيت الحسن فذكرت ذلك له. قلت: لا أراه إلا ميتاً يأكل ولا يشرب باكياً. قال: فجاء الحسن حتى ضرب عليه بابه وقال: افتح يا أخي، فلما سمع كلام الحسن قام ففتح بابه وبه من الضر شيء الله به عليم وكلمه الحسن ثم قال: يرحمك الله ومن أهل الجنة إن شاء الله أتقاتل نفسك أنت؟ قال هشام: حدثنا العلاء لي وللحسن بالرؤيا قال: لا تحدثوا بها ما كنت حياً.

(وقال محمد بن واسع) البصري العابد رحمه الله تعالى: **(الرؤيا تسر المؤمن)** أي تبشره بالسرور **(ولا تغره)** أي لا توقعه في الغرور. رواه أبو نعيم في الحلية. **(وقال)** أبو بشر **(صالح**

بشير: رأيت عطاء السلمي في النوم فقلت له: رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا، قال: أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحاً دائماً، فقلت: في أي الدرجات أنت؟ فقال: ﴿معَ الذِينَ أنعَم الله عليهم من النبيينَ والصدّيقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ [النساء: ٦٩] الآية.

وسئل زرارة بن أبي أوفى في المنام: أي الأعمال أفضل عندكم؟ فقال: الرضا وقصر الأمل. وقال يزيد بن مذعور: رأيت الأوزاعي في المنام فقلت: يا أبا عمرو دلني على عمل أتقرب به إلى الله تعالى! قال: ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين. قال: وكان يزيد شيخاً كبيراً، فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناه. وقال ابن عيينة: رأيت أخي في المنام فقلت: يا أخي ما فعل الله بك؟ فقال: كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم أستغفر منه لم يغفر لي. وقال علي الطلحي: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت: من أنت؟ فقالت: حوراء، فقلت: زوّجيني نفسك، قالت:

ابن بشر) بن وادع المري القاص روى له الترمذي: (رأيت عطاء السلمي) البصري العابد (في النوم) وكان شديد الود له (فقلت له: رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا) أي على التقصير في حق الله تعالى فما فعل الله بك؟ (قال: أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحاً دائم، فقلت: في أي الدرجات أنت؟ فقال: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ الآية) رواه القشيري في الرسالة بلفظ. وقيل: رؤي عطاء السليمي في المنام فقيل له فساقه.

(وسئل) أبو حاجب (زرارة بن أبي أوفى) العامري الحرشي البصري ثقة عابد مات فجأة في الصلاة وروى له الجماعة (في المنام: أي الأعمال أفضل عندكم؟ فقال: الرضا) بالله وعن الله (وقصر الأمل) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (وقال يزيد بن مذعور: رأيت) أبا عمرو عبد الرحمن بن عمرو (الاوزاعي) رحمه الله (في المنام فقلت: يا أبا عمرو دلني على عمل أتقرب إلى الله تعالى. قال: ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال) الراوي: (وكان يزيد شيخاً كبيراً فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات وابن عساكر في التاريخ وهو في الرسالة للقشيري مختصراً بلفظ. ورؤي الاوزاعي في المنام فقال: ما رأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين.
(وقال) سفيان (بن عيينة) رحمه الله تعالى: (رأيت أخي) محمداً وهو صدوق له أوهام مات قبل أخيه (في المنام فقلت: يا أخي ما فعل الله بك؟ فقال: كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (وقال علي الطلحي) منسوب إلى جده طلحة: (رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت: من أنت؟ فقالت:

اخطبني إلى سيدي وأمهرني، قلت: وما مهرك؟ قالت: حبس نفسك عن آفاتها. وقال ابراهيم بن إسحاق الحربي: رأيت زبيدة في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي، فقلت لها: بما أنفقت في طريق مكة؟ قالت: أما النفقات التي أنفقتها رجعت أجورها إلى أربابها، وغفر لي بنيتي. ولما مات سفيان الثوري رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: وضعت أول قدمي على الصراط والثاني في الجنة. وقال أحمد بن أبي الحواري: رأيت فيما يرى النائم جارية - ما رأيت أحسن منها وكان يتلألأ وجهها نوراً - فقلت لها: مماذا ضوء وجهك؟ قالت: تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها؟ قلت: نعم، قالت: أخذت دمعك فمسحت به وجهي، فمن ثم ضوء وجهي كما ترى.

حوراء. قلت: زوّجيني نفسك. قالت: اخطبني إلى سيدي وامهرني. قلت: وما مهرك؟ قالت: حبس نفسك عن آفاتها) رواه ابن أبي الدنيا في الكتاب المذكور. **(وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي)** منسوب إلى الحربية إحدى محال بغداد إمام فاضل له تصانيف منها غريب الحديث وغيره ولد سنة ١٩٨ وتوفي سنة ٢٥٨: **(رأيت)** أم جعفر **(زبيدة)** بنت أبي الفضل جعفر الأكبر بن المنصور العباسية وهي زوج هارون الرشيد بنى بها في سنة ١٦٥ في قصر العباسية **(في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قالت غفر لي فقلت لها: بما أنفقت في طريق مكة)** من أبنية وسبل فيها مرافق للحاج وأجرت عينا من عرفات إلى مكة وصرفت على كل ذلك أموالاً هائلة **(قالت: أما النفقات التي أنفقتها رجعت أجورها إلى أربابها)** إذ الأموال السلطانية الغالب عليها أنها لم تؤخذ بوجه شرعي وأنها باقية على ملك أربابها، **(ولكن غفر لي بنيتها)** يعني بقصدها للناس الخير، وفيه إشارة إلى أن الأموال إذا أخذت من غير وجهها وتاب آخذها ولم يعرف أربابها ليردها إليهم تصرف في وجوه البر ويكون أجرها لأربابها وللصارف أجر طاعته ونيته، وذلك بعد توبته وصدق نيته. رواه ابن الدنيا في كتاب المنامات. وأورده القشيري في الرسالة بلفظ، وقيل: رأيت زبيدة فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي فقيل: بكثرة نفقتك في طريق مكة فقالت. لا. أما أن أجرها عاد إلى أربابها ولكن غفر لي بنيتي. **(ولما مات سفيان الثوري)** رحمه الله **(رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: وضعت أول قدمي في الصراط والثاني في الجنة)** أورده القشيري في الرسالة وهذا من التسهيل في جواز الصراط. **(وقال)** أبو الحسن **(أحمد بن أبي الحواري)** بفتح المهملة والواو الخفيفة وكسر الراء عبدالله بن ميمون بن العباس بن الحرث التغلبي الدمشقي ثقة زاهد مات سنة ستة وأربعين كذا في التهذيب أي بعد مائتين، وعند السلمي والقشيري ثلاثين ومائتين. والصواب سنة أربعين كما نبه عليه ابن عساكر عن اثنتين وثمانين سنة، وروى له أبو داود وابن ماجه: **(رأيت فيما يرى النائم جارية)** من الحور العين **(ما رأيت أحسن منها وكان يتلألأ وجهها نوراً فقلت لها: مماذا ضوء وجهك؟ قالت: تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها. قلت: نعم. قالت: أخذت دمعك)** أي شيئاً منه **(فمسحت به وجهي فمن ثم ضَوْء وجهي كما ترى)** أورده القشيري في الرسالة وفيه فقلت: ما أنور وجهك

وقال الكتاني: رأيت الجنيد في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا إلا على ركعتين كنا نصليها في الليل. ورؤيت زبيدة في المنام فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بهذه الكلمات الأربع: لا إله إلا الله أفني بها عمري، لا إله إلا الله أدخل بها قبري، لا إله إلا الله أخلو بها وحدي لا إله إلا الله ألقى بها ربي. ورؤي بشر في المنام فقيل له: ما فعل الله بك: قال رحمني ربي عز وجل وقال: يا بشر أما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف. ورؤي أبو سليمان في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وما كان شيء أضر عليّ من إشارات القوم إليّ. وقال أبو بكر الكتاني: رأيت في النوم شاباً لم أرَ أحسن منه فقلت له: من أنت؟ قال: التقوى! قلت: فأين تسكن؟ قال: كل قلب حزين! ثم التفت فإذا امرأة سوداء فقلت: من أنت؟ قالت: أنا السقم! قلت: فأين تسكنين؟ قالت: كل

وفيه فقالت حملت إلي دمعتك فمسحت وجهي فصار وجهي هكذا.

(وقال) أبو بكر محمد بن علي بن جعفر (الكتاني) قدس سره: (رأيت) أبا القاسم (الجنيد) قدس سره (في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا إلا على ركعتين كنا نصليها في الليل) ولفظ الرسالة: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: رأى الجريري الجنيد في المنام فقال له: كيف حالك يا أبا القاسم؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات. (ورؤيت) أم جعفر (زبيدة) بنت جعفر رحمها الله تعالى (في المنام فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بهذه الكلمات الأربع لا إله إلا الله أفني بها عمري، لا إله إلا الله أدخل بها قبري، لا إله إلا الله أخلو بها وحدي، لا إله إلا الله ألقى بها ربي. ورؤي بشر الحافي) رحمه الله (في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني ربي عز وجل وقال) قبل أن يرحمني على وجه العتاب اللطيف: (يا بشر أما استحييت مني) حيث (كنت تخافني كل ذلك الخوف) الذي يخشى منه أن يكون قنوطا رواه القشيري في الرسالة بلفظ غفر لي بدل رحمني. ورواه ابن عساكر في التاريخ من طريق خشنام ابن أخت بشر الحافي قال: رأيت خالي في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وجعل يذكر ما فعل الله به من الكرامة. فقلت: ما قال لك شيئاً؟ قال لي: نعم. قال لي: يا بشر ما استحييت مني تخاف ذلك الخوف كله على نفس هي لي.

(ورؤي) الإمام (أبو سليمان) الداراني رحمه الله (في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وما كان شيء أضر عليّ من إشارات القوم إليّ) رواه القشيري في الرسالة ولم يذكر إليّ. (وقال أبو بكر) ويقال أبو عبدالله محمد بن علي بن جعفر (الكتاني) رحمه الله تعالى: رأيت في النوم شاباً لم أر أحسن منه فقلت له: (من أنت؟ قال:) أنا (التقوى. قلت) له. (فأين تسكن؟ قال: في كل قلب حزين، ثم التفت فإذا امرأة سوداء فقلت) لها: (من

قلب فرح مرح! قال: فانتبهت وتعاهدت أن لا أضحك إلا غلبة. وقال أبو سعيد الخراز: رأيت في المنام كأن إبليس وثب علي، فأخذت العصا لأضربه فلم يفزع منها، فهتف بي هاتف: إن هذا لا يخاف من هذه، وإنما يخاف من نور يكون في القلب. وقال المسوحي: رأيت إبليس في النوم يمشي عرياناً فقلت: ألا تستحيي من الناس! فقال: بالله هؤلاء ناس! لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة! بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي، وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية. وقال أبو سعيد الخراز: كنت في دمشق فرأيت في المنام كأن النبي ﷺ جاءني متكئاً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فجاء فوقف علي وأنا أقول شيئاً من الأصوات وأدق في صدري، فقال: شر هذا أكثر من خيره. وعن ابن عيينة قال: رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول: ﴿لِمثلِ هذَا

أنت؟ قالت: أنا السقم. قلت) لها: (**فأين تسكنين؟ قالت:**) في (**كل قلب فرح**) أي مسرور (**مرح**) أي شديد الفرح لدلالتها على كمال الغفلة وتمكن القسوة. قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦] والمراد الفرح بالدنيا إما لفرح بنعم الله تعالى وبما يرد منه من اللطف والبر فمحمود قال الله تعالى: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ [آل عمران: ١٧٠] (**قال: فانتبهت واعتقدت**) أي عزمت على (**أن لا أضحك إلا غلبة**) رواه القشيري في الرسالة إلا أنه قال: أنا الضحك بدل السقم.

(**وقال أبو سعيد**) أحمد بن عيسى (**الخراز**) رحمه الله تعالى: (**رأيت في المنام كأن إبليس وثب عليّ فأخذت العصا لأضربه فلم يفزع منها فهتف لي هاتف: إن هذا لا يخاف من هذه، وإنما يخاف من نور يكون في القلب**) نقله القشيري في الرسالة والمراد بالنور كمال معرفة الله. (**وقال المسوحي**) هو أبو علي أحمد بن أيوب من كبار المشايخ صحب السري وسمع ذا النون وعنه جعفر الخلدي: (**رأيت إبليس في النوم**) وهو (**يمشي عرياناً فقلت: ألا تستحي من الناس؟ فقال: بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة، بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية. وقال أبو سعيد**) أحمد بن عيسى (**الخراز**) رحمه الله تعالى: (**كنت في دمشق**) المدينة المعروفة (**فرأيت في المنام كأن النبي ﷺ جاءني متكئاً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فجاء ووقف علي وأنا أقول شيئاً من الأصوات**) أي من الأنغام المعروفة (**وأدق في صدري**) كهيئة الواجد (**فقال: شر هذا أكثر من خيره**) وقد تقدم في كتاب السماع والوجد. (**وعن**) سفيان (**بن عيينة**) رحمه الله تعالى (**قال: رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة ويقول: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾**

فليعَمل العامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] فقلت له: أوصني، قال: أقلل من معرفة الناس. وروى أبو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال: رأيت سفيان الثوري فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال:

نظرت إلى ربي كفاحاً فقال لي ... هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواماً إذا أظلم الدجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته ... وزرني فإني منك غير بعيد

ورؤي الشبلي بعد موته بثلاثة أيام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: ناقشني حتى أيست، فلما رأى يأسي تغمدني برحمته. ورؤي مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وجعلني حجة على المحبين. ورؤي الثوري في المنام

فقلت له: أوصني، قال: أقل من معرفة الناس) رواه ابن عساكر في التاريخ بزيادة قلت زدني قال سترد فتعلم. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا محمد بن موسى، حدثنا محمد بن ميمون قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول قال لي بشر بن منصور الزاهد: يا سفيان أقلل من معرفة الناس لعله أن يكون في القيامة هذا أقل لفضيحتك إذا نودي عليك بسوء عملك.

(وروى أبو حاتم) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي **(الرازي)** منسوب إلى الري مدينة من بلاد الديلم مشهورة أحد الحفاظ مات سنة سبع وسبعين روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه في كتاب التفسير له، **(عن)** أبي عامر **(قبيصة بن عقبة)** بن محمد بن سفيان السوائي الكوفي صدوق مات سنة خمس عشرة روى له الجماعة **(قال: رأيت سفيان الثوري)** في النوم **(فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال:**

نظرت إلى ربي شفاها فقال لي ... هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قوّاماً إذا أظلم الدجا ... بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته ... وزرني فإني منك غير بعيدِ)

رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن الحسن بن أحمد بن ميمون الميموني قال: سمعت أبا موسى هارون بن موسى بن حيان قال: سمعت أباك الحسن بن أحمد بن ميمون يقول: سمعت أبا حاتم الرازي يقول: سمعت قبيصة يقول: رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت: ما فعل بك ربك؟ فقال: وساق الأبيات إلا أنه قال كفاحاً بدل شفاهاً وأقبل بدل أظلم.

(ورؤي أبو بكر الشبلي) رحمه الله **(بعد موته بثلاثة أيام)** في المنام **(فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: ناقشني)** في الحساب **(حتى أيست)** من نفسي، **(فلما رأى يأسي تغمدني)** أي غمرني **(برحمته)** وفضله رواه القشيري في الرسالة ولم يقل بعد موته بثلاثة أيام. **(ورؤى مجنون بني عامر)** قيس بن الملوح **(بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي**

فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمني ، فقيل له : ما حال عبدالله بن المبارك ؟ فقال : هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين . ورؤي بعضهم فسئل عن حاله فقال : حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا .

ورؤي مالك بن أنس فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت . ورؤي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كأن أبواب السماء مفتحة ، وكأن منادياً ينادي ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض . ورؤي الجاحظ فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال :

ولا تكتــب بخطــك غير شيء ... يسرك في القيامــة أن تــراه

وجعلني حجة على المحبين) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات . **(ورؤي)** سفيان **(الثوري** في المنام **فقيل له: ما فعل الله بك، قال: رحمني . فقيل له: ما حال عبدالله بن المبارك؟ فقال: هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين)** رواه القشيري في الرسالة . **(ورؤي بعضهم)** في المنام **(فسئل عن حاله فقال: حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا)** رواه القشيري في الرسالة .

(ورؤي مالك بن أنس) الإمام رحمه الله تعالى في النوم **(فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت)** هكذا هو في الرسالة مالك بن أنس . وقال صاحب كتاب المتفجعين : حدثنا محمد ابن علي بن ميمون ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد عن رجل رأى مالك بن دينار في نومه فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي . قال : بأي شيء قال : بكلمة بلغني أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقولها إذا رأى الجنازة لا إله إلا الله الحي الذي لا يموت .

(ورؤي في الليلة التي مات الحسن البصري) رحمه الله **(كأن أبواب السماء مفتحة وكان منادياً ينادي ألا أن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض)** نقله القشيري في الرسالة . **(ورأى)** عمرو بن بحر أبو عثمان البصري **(الجاحظ)** لقب به لأنه كانت عيناه جاحظتين روى عن يزيد بن هارون وأبي يوسف القاضي وعنه يموت بـن المزرع ، وإليه تنتسب الجاحظية من المعتزلة مات سنة خمس وخمسين ومائتين . قال الذهبي في الديوان : قال ثعلب : الجاحظ ليس بثقة ولا مأمون ، **(فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال:**

ولا تكتــب بخطــك غير شيء ... يسرك في القيامــة أن تــراه)

نقله القشيري في الرسالة .

ورأى الجنيد إبليس في المنام عرياناً فقال: ألا تستحي من الناس؟ فقال وهؤلاء ناس! الناس أقوام في مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي! قال الجنيد: فلما انتبهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون، فلما رأوني قالوا: لا يغرنك حديث الخبيث. ورؤي النصرأباذي بمكة ـ بعد وفاته ـ في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم: أبعد الاتصال انفصال؟ فقلت: لا يا ذا الجلال، فما وضعت في اللحد حتى لحقت بربي. ورأى

(ورأى) أبو القاسم (**الجنيد**) قدس سره (**إبليس في المنام**) وهو (**عريان**) على عادته من التظاهر يكشف عورته عند أهل الشر ليحسن لهم ذلك ويتعودوا به (**فقال له: ألا تستحي من الناس**) تكشف عورتك؟ (**فقال: وهؤلاء ناس**) أي ليسوا بناس يستحى منهم إنما (**الناس**) الذين يستحى منهم (**أقوام في مسجد الشونيزية**) أحد مساجد بغداد وفي نسخة الشونيزي (**قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي**) بكثرة مراقبتهم وتوجههم إلى الله تعالى. (**قال الجنيد: فلما انتبهت غدوت إلى المسجد**) المذكور (**فرأيت جماعة**) استقبلوا القبلة (**قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون**) في آلاء الله ويذكرون الله، (**فلما رأوني، قالوا**) لي: مكاشفة بما رأيته في النوم (**لا يغرنك حديث الخبيث**) يعني إبليس فإن كل ما يقوله شر لا خير فيه هكذا نقله القشيري في الرسالة. ولفظ ابن الملقن في الطبقات قال الجنيد: رأيت إبليس في المنام كأنه عريان فقلت له: أما تستحي من الناس؟ فقال: بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا منهم لما تلاعبت بهم كما تتلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير هؤلاء. فقلت: ومن هم؟ قال: قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأنحلوا جسمي كلما هممت بهم أشاروا بالله فأكاد أحرق، فانتبهت فلبست ثيابي وأتيت مسجد الشونيزي وعلي ليل، فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس جلوس رؤوسهم في مرقعاتهم فلما أحسوا بي قد دخلت أخرج أحدهم رأسه، وقال: يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيء تقبل.

(ورؤي) أبو القاسم إبراهيم بن محمد (**النصراباذي**) شيخ خراسان في وقته صحب الشبلي وأبا علي الروذباري والمرتعش جاور بمكة سنة ست وستين ومات بها سنة سبع وستين وثلاثمائة وكان عالماً بالحديث كثير الرواية (**بمكة بعد وفاته في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: عوتبت عتاب الأشراف**) أي عتاباً يسيراً (**ثم نوديت: يا أبا القاسم**) نودي بكنيته زيادة في تكرمته (**أبعد الاتصال انفصال**) أي أيليق بعد أن أوصلناك أن تلتفت لغيرنا هكذا قاله شارح الرسالة. والأنسب للسياق أيليق بعد أن أوصلناك أن نقطعك عنا؟ (**فقلت: لا ياذا الجلال**) أي لا يليق بكرمك، (**فما وضعت في اللحد حتى لحقت بربي**) رواه القشيري في الرسالة إلا أنه قال: حتى لحقت بالأحد أي صرت عند الله في منزلة رفيعة من التقريب والإكرام، وهذا من تتمة جواب ما فعل الله بك ولهم في الاتصال والانفصال اختلاف، وقد فرقوا بين الوصول والاتصال بما هو مذكور في آخر العوارف.

عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت: يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الأعمال شيئاً فيحال بيني وبينك، فقال عتبة: طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لي عليها حتى ألقاك. وقيل: رأى أيوب السختياني جنازة عاص، فدخل الدهليز كيلا يصلي عليها. فرأى الميت بعضهم في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وقال: قل لأيوب: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠]. وقال بعضهم: رأيت في الليلة التي مات فيها داود الطائي نوراً، وملائكة نزولاً وملائكة صعوداً، فقلت: أي ليلة هذه؟ فقالوا: ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه. وقال أبو سعيد الشحام: رأيت سهلاً الصعلوكي في المنام فقلت: أيها الشيخ! قال: دع التشييخ، قلت: تلك الأحوال التي

(ورأى عتبة) بن أبان (الغلام) رحمه الله تعالى (حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت: يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر) أن (لا تعمل من الأعمال شيئاً يحال) به (بيني وبينك. فقال) ليطمئن قلبها: (طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لي عليها حتى ألقاك) نقله القشيري في الرسالة واستشهد عتبة باذنة بقرية الحباب. أخرج أبو نعيم عن مخلد بن الحسين قال: رأيت شاباً في المنام بعد ما قتل عتبة بسنة فقلت له: ما صنع الله بك؟ قال: ألحقني بالشهداء المرزوقين. فقلت: فأخبرني عن عتبة وأصحابه لك بهم علم؟ قال: قتلى قرية الحباب. قلت: نعم. قال: إنهم معروفون في ملكوت السموات.

(وقيل: رؤي) أبو بكر (أيوب) بن أبي تميمة كيسان (السختياني) البصري الفقيه الثبت مات سنة إحدى وثلاثين روى له الجماعة (جنازة عاص) يمر بها، (فدخل الدهليز) واختفى فيه (لئلا يصلي عليها) قصد بذلك الزجر لأمثاله عن المعصية. (فرأى) ذلك (الميت بعضهم في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. وقال) ذلك الميت: (قل لأيوب) السختياني: (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم) أي لبخلتم (خشية الإنفاق﴾ أي خوف نفادها) نقله القشيري في الرسالة وفيه إشارة إلى سعة رحمة الله. (وقال بعضهم: رأيت الليلة التي مات فيها) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (نوراً وملائكة نزولاً إلى الأرض وملائكة صعوداً) إلى السماء (فقلت: أي ليلة هذه؟ فقالوا): هذه (ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه) على أهلها نقله القشيري في الرسالة. (وقال أبو سعيد الشحام) نسبة إلى ربيع الشحم من مشايخ القشيري: (رأيت) أبا الطيب (سهلاً) بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسى بن عيسى العجلي النيسابوري إمام الشافعية (الصعلوكي) بفتح الصاد روى عن أبي بكر بن خزيمة وأبي العباس السراج وتفقه على أبي بكر الثقفي روى عنه الحاكم أبو عبدالله توفي سنة ٣٩٦ (في المنام فقلت) له، (أيها الشيخ! قال: دع التشييخ) أي اترك الدعاء بلفظ المشيخة (قلت) له: أين (تلك

شاهدتها، فقال: لم تغن عنا! فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بمسائل كان يسأل عنها العجز. وقال أبو بكر الرشيدي: رأيت محمد الطوسي المعلم ـ في النوم ـ فقال لي: قل لأبي سعيد الصفار المؤدب:

وكنا على أن لا نحول عن الهوى ... فقد ـ وحياة الحب ـ حلتم وما حلنا

قال: فانتبهت فذكرت ذلك له فقال: كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة. وقال ابن راشد: رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى، قلت: فما صنع الله بك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب، قلت: فسفيان الثوري؟ قال: بخ بخ ذاك: ﴿مِنَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: ٦٩] الآية، وقال الربيع بن سليمان: رأيت الشافعي رحمة الله عليه

الأحوال التي شاهدتها) فيك؟ **(فقال)** لي: **(لم تغن عنا)** شيئاً **(فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بمسائل كان يسأل عنها العجز)** بضمتين جمع عاجز يعني بهم العوام من الناس فأجيبهم عنها. نقله القشيري سماعاً عن أبي سعيد الشحام وفيه دلالة على فضيلة المفتي للعوام فيما يحتاجون إلى معرفة الأحكام.

(وقال أبو بكر) محمد بن محمود بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن القاسم النيسابوري **(الرشيدي)** الفقيه رحمه الله: **(رأيت)** رباني هذه الأمة **(محمداً)** بن أسلم **(الطوسي المعلم)** من الطوس على مرحلتين من نيسابور **(في النوم فقال لي: قل لأبي سعيد الصفار المؤدب:**

وكنا على أن لا نحول عن الهوى ... فقد وحياة القلب حلتم وما حلنا

قال: فانتبهت فذكرت ذلك له) أي لأبي سعيد **(فقال لي)** إني **(كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة)**. نقله القشيري في الرسالة سماعاً عن أبي بكر الرشيدي، ومعنى البيت: كنا متعاهدين على أن لا نتغير عن الحب فقد حلتم عن الهوى وما حلنا عنه، فقوله فقد داخلة على حلتم. وقوله: وحياة القلب قسم معترض بينهما وفي بعض نسخ الرسالة بعد هذا البيت:

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا ... وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا

لعل الذي يقضي الأمور بعلمه ... سيجمعنا بعد الممات كما كنا

(وقال ابن راشد): هو محمد بن راشد المكحولي الخزاعي الدمشقي نزيل البصرة روى له الأربعة: **(رأيت)** عبدالله **(ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت)** له: **(أليس: قد مت؟ قال: بلى. قلت: فما صنع الله بك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب. قلت: فسفيان الثوري. قال: بخ بخ ذاك ﴿من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين﴾ الآية)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. **(وقال الربيع بن سليمان)** المرادي: **(رأيت)** محمد بن إدريس **(الشافعي رحمة الله عليه بعد وفاته في المنام فقلت)** له: يا أبا عبدالله **(ما صنع الله**

بعد وفاته في المنام فقلت: يا أبا عبدالله ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر عليّ اللؤلؤ الرطب. ورأى رجل من أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كأن منادياً ينادي ﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين﴾ واصطفى الحسن البصري على أهل زمانه. وقال أبو يعقوب القاريّ الدقيقي: رأيت في منامي رجلاً آدم طوالاً والناس يتبعونه فقلت: من هذا؟ قالوا: أويس القرني، فأتيته فقلت: أوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت: مسترشد لا متعنت فأرشدني أرشدك الله، فأقبل عليّ وقال: اتبع رحمة ربِّك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك، ثم ولّى وتركني.

وقال أبو بكر بن أبي مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت: ما فعلت يا ورقاء؟ قال: نجوت بعد كل جهد قلت: فأي الأعمال وجدتموها أفضل قال: البكاء من خشية الله. وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون الجارف فرآها أبوها في المنام فقال لها:

بك؟ قال: اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب) رواه ابن عساكر في التاريخ والبيهقي في المناقب. **(ورأى رجل من أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كأن منادياً ينادي ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ واصطفى الحسن بن أبي الحسن البصري على أهل زمانه)** ولفظ الرسالة. ورؤي الليلة التي مات فيها الحسن البصري كأن أبواب السماء مفتحة وكأن منادياً ينادي: ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض. **(وقال أبو يعقوب القاري الدقيقي)** نسبة إلى عمل الدقيق وبيعه: **(رأيت في منامي رجلاً آدم طوالاً والناس يتبعونه فقلت: من هذا فقالوا: أويس القرني)** التابعي الزاهد المعروف، **(فاتبعته فقلت)** له. **(أوصني رحمك الله فكلح في وجهي)** أي عبس **(فقلت: مسترشد لا متعنت، فارشدني أرشدك الله، فأقبل عليّ وقال: اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك، ثم ولّى وتركني)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

(وقال أبو بكر) بن عبدالله **(بن أبي مريم)** الغساني الشامي وقد ينسب إلى جده قيل: اسمه بكير، وقيل: عبد السلام ضعيف مات سنة ست وخمسين روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه: **(رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت)** له: **(ما فعلت يا ورقاء)** وما فعل بك؟ **(قال: نجوت بعد كل جهد)** أي مشقة. **(قلت: فأي الأعمال وجدتموها أفضل؟ قال: البكاء من خشية الله)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

(وقال يزيد بن نعامة) الضبي أبو عودة البصري تابعي روى عن أنس مقبول روى له الترمذي: **(هلكت جارية في الطاعون الجارف)** الذي كان وقع بالبصرة وكان عظيماً سمي

يا بنية أخبريني عن الآخرة! قالت : يا أبت قدمنا على أمر عظيم ، نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون ، والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في فسحة عمل أحب إليّ من الدنيا وما فيها . وقال بعض أصحاب عتبة الغلام : رأيت عتبة في المنام فقلت ، ما صنع الله بك ؛ قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك ! قال : فلما أصبحت جئت إلى بيتي فإذا خط عتبة الغلام في حائط البيت : (يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين إرحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين ، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين) ، وقال موسى بن حماد : رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت : يا أبا عبدالله بمَ نلت هذا ؟ قال : بالورع ، قلت : فما بال علي بن عاصم ؟ قال : ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب . ورأى رجل من التابعين

بالجارف لكونه جرف الناس بأجمعهم فلم يبق منهم إلا القليل وهو من أعظم طواعين الإسلام ، (فرآها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة . قالت : يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون ، والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في فسحة عمل أحب إلي من الدنيا وما فيها) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات .

(وقال بعض أصحاب عتبة) بن أبان (الغلام) هو قدامة بن أيوب العتكي قال : (رأيت عتبة في المنام فقلت : ما صنع الله بك ؟ قال : دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك . قال : فلما أصبحت جئت إلى بيتي ، فإذا خط عتبة الغلام في حائط البيت مكتوب « يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين إرحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين ، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين « رب العالمين » . رواه أبو نعيم في الحلية فقال : حدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا أبو زرعة ، حدثنا هارون ، سيار قال : حدثني قدامة ابن أيوب العتكي وكان من أصحاب عتبة الغلام قال : رأيت عتبة في المنام فقلت : يا أبا عبدالله ما صنع الله بك ؟ قال : يا قدامة دخلت الجنة بتلك الدعوة فساقه . وفيه : ذا الخطر اليسير والذنب العظيم والباقي سواء .

(وقال موسى بن حماد : رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت : يا أبا عبد الله بم نلت هذا ؟ قال : بالورع . قلت : فما بال علي بن عاصم) ابن صهيب الواسطي مات سنة إحدى ومائتين وقد جاوز التسعين روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه ؟ . (قال : ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات .

النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله عظني، قال: نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له.

وقال الشافعي رحمة الله عليه: دهمني في هذه الأيام أمر أمضني وآلمني ولم يطلع عليه غير الله عز وجل، فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال لي: يا محمد بن إدريس قل اللهم إني لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أتقي إلا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية، فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه، فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها. فهذه من جملة

(ورأى رجل من التابعين النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله عظني قال: «نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له») رواه البيهقي في الزهد من رواية عبد العزيز بن أبي رواد أنه رأى النبي ﷺ في النوم فقال: يا رسول الله أوصني. فقال: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شراً فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان فالموت خير له، ومن اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات» وقد تقدم ذلك. ورواه الديلمي من رواية محمد بن سوقة غن الحرث عن علي به مرفوعاً وسنده ضعيف.

(وقال) محمد بن إدريس (الشافعي رحمة الله عليه: دهمني في هذه الأيام أمر أمضني) أي أقلقني وآلمني (ولم يطلع عليه غير الله عز وجل، فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال: يا محمد بن إدريس قل اللهم إني لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا اتقي إلا ما وقيتني: اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية). قال: (فلما أصبحت أعدت ذلك) أي كررته، (فلما ترحل النهار) أي ارتفع (أعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه) من الشدة، (فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها). رواه البيهقي في المناقب. وقد بقي على المصنف رحمه الله تعالى مما أورده القشيري في هذا الباب من الرسالة ما لفظه: وسمعت الأستاذ أبا علي يقول: تعوّد شاه الكرماني السهر فغلبه النوم مرة فرأى الحق سبحانه وتعالى في النوم، فكان يتكلف النوم بعد ذلك فقيل له في ذلك؟ فقال:

رأيـت سرور قلبي في منـــامـــي ... فـــاحببــت التنعس والمنـــامـــا

وقال بعضهم: في النوم معان ليست في اليقظة. منها أنه يرى المصطفى ﷺ والصحابة والسلف الصالحين في النوم، ولا يراهم في اليقظة، وكذلك يرى الحق في النوم وهذه مزية عظيمة. وقيل: رأى أبو بكر الآجري الحق سبحانه وتعالى في النوم فقال: سل حاجتك. فقال: اللهم اغفر لجميع عصاة أمة محمد ﷺ، فقال: أنا أولى بهذا منك سل حاجتك. وقال الكتاني رأيت النبي ﷺ في

....

المنام فقال: من تزين للناس بشيء يعلم الله منه خلافه شانه الله. وقال أيضاً: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: ادع الله تعالى أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت فإنه لا يموت قلبك ويكون قلبك حياً أبداً. ورأى الحسن بن علي رضي الله عنه عيسى ابن مريم عليه السلام فقال: إني أريد أن أتخذ خاتماً فما الذي أكتب عليه؟ فقال: اكتب عليه لا إله إلا الله الملك الحق المبين فإنه آخر الإنجيل. وروى عن أبي يزيد أنه قال: رأيت ربي في المنام فقلت: كيف الطريق إليك، فقال: اترك نفسك وتعال. وقيل: رأى أحمد بن خضرويه ربه في المنام فقال: يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني. وقال يحي بن سعيد القطان: رأيت ربي في المنام فقلت: يا رب كم أدعوك فلا تستجيب لي. فقال: يا يحي إني أحب أن أسمع صوتك. وقال بشر بن الحرث: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت: يا أمير المؤمنين عظني. فقال: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً لثواب الله، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله، فقلت: يا أمير المؤمنين زدني فقال:

قد كنت ميتاً فصرت حياً ... وعن قريب تصير ميتا
عز بدار الفناء بيت ... فابن لدار البقاء بيتا

قلت: وأخرجه ابن عساكر في التاريخ، عن أبي يزيد البسطامي قال: رأيت علي بن أبي طالب في النوم فقلت: يا أمير المؤمنين علمني كلمة تنفعني فساقه، وفيه: تواضع بدل عطف، وفيه ثقة بما عند الله، وفيه قلت زدني ففتح كفه فإذا فيها مكتوب بماء الذهب، فذكر البيتين والبيت الثاني:

فابن بدار البقاء بيتاً ... واهدم بدار الفناء بيتاً

ثم قال القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي يقول: رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام، وكان الزجاجي يقول بوعيد الأبد، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال الزجاجي: الأمر ههنا أسهل مما كنا نظنه. ورؤي الحسن بن عاصم الشيباني في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: وأيش يكون من الكريم إلا الكرم. ورؤي حبيب العجمي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك يا حبيبي العجمي؟ فقال: هيهات هيهات ذهبت العجمة وبقيت في النعمة، وقيل: دخل الحسن البصري مسجداً ليصلي المغرب فوجد أمامه حبيباً العجمي فلم يصل خلفه لأنه خاف أن يلحن لعجمة في لسانه فرأى في المنام تلك الليلة قائلاً يقول له: لو صليت خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك. سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول: رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي في النوم على حالة حسنة فقلت: يا أستاذ بم وجدت هذا؟ قال: بحسن ظني بربي. ورؤي ذو النون المصري في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: كنت أسأله ثلاث حوائج في الدنيا فأعطاني البعض، وأرجو أن يعطيني الباقي كنت أسأله أ يعطيني من العشرة التي على يد رضوان واحد أو يعطيني بنفسه وأن يعذبني عن الواحد الذي بيد مالك بعشرة، ويقول: هو: وأن يرزقني أن أذكره بلساني الأبدية. وقيل: رؤي الشبلي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يطالبني بالبراهين على الدعاوى إلا على شيء واحد. قلت يوماً لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار. فقال لي:

....

وأي خسارة أعظم من خسران لقائي. وقال البناجي: اشتهيت شيئاً فرأيت في المنام قائلاً يقول: أيجمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد؟ وقال ابن الجلاء: دخلت المدينة وبي فاقة فتقدمت إلى القبر وقلت: أنا ضيفك فغفوت، فرأيت النبي ﷺ وقد أعطاني رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النصف الآخر. وقال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في المنام يقول: زوروا ابن عوف فإنه يحب الله ورسوله. سمعت منصوراً المغربي يقول: رأيت شيخاً في بلاد الشام كبير الشأن، وكان الغالب عليه الانقباض فقيل لي: إن أردت ينبسط هذا الشيخ معك فسلّم عليه وقل له: رزقك الله الحور العين فإنه يرضى منك بهذا الدعاء، فسألت عن سببه فقيل: إنه رأى شيئاً من الحور في منامه فبقي في قلبه شيء من ذلك، فمضيت إليه وسلمت عليه وقلت: رزقك الله الحور العين فانبسط الشيخ معي. وقيل رؤي الليلة التي مات فيها مالك بن دينار كأن أبواب السماء قد فتحت وقائلاً يقول: ألا إن مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة. قال: ورأيت الأستاذ أبا علي في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: ليس للمغفرة ههنا كبير خطر أقل من حضرها ههنا خطراً فلان أعطى كذا وكذا ووقع لي في المنام أن ذلك الإنسان الذي عناه قتل نفساً بغير حق: وقيل: لما مات كرز بن وبرة رأى في المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض فقيل: ما هذا؟ فقالوا: إن أهل القبور كسوا لباساً جدداً بيضاً لقدوم كرز عليهم.

وحكي عن بعضهم أنه كان يقول: أبداً العافية العافية، فقيل له: ما معنى هذا الدعاء؟ فقال: كنت حمالاً في ابتداء أمري وكنت حملت يوماً صدراً من الدقيق فوضعته لأستريح، فكنت أقول: يا رب لو أعطيتني كل يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكتفي بهما، فإذا رجلان يختصمان فتقدمت أصلح بينهما فضرب أحدهما رأسي بشيء أراد أن يضرب به خصمه فدمى وجهي، فجاء صاحب الربع وأخذهما، فلما رآني ملوثاً بالدم أخذني فظن أني ممن تشاجر، فأدخلني في السجن فبقيت فيه مدة أوتى كل يوم رغيفين، فرأيت ليلة في المنام أنك سألتني الرغيفين كل يوم من غير نصب ولم تسألني العافية فانتبهت وقلت: العافية العافية فرأيت باب السجن يقرع. وقيل: أين عمر الحمال وأخرجوني وخلوا سبيلي.

ويحكى عن الكتاني أنه قال: كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه فقيل له: ألا تعالجها؟ فقال: عزمت أن لا أعالجها حتى تبرأ. قال: فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول: لو كان هذا العزم على أهل النار كلهم لأخرجناهم من النار.

وقال البناجي: قيل لي في المنام: من وثق بالله في رزقه زيد في حسن خلقه، وسمحت نفسه في نفقته، وقلت وساوسه في صلاته. وقيل: رأى يزيد الرقاشي النبي ﷺ في المنام فقرأ عليه، فقال: هذه القراءة فأين البكاء؟ وقال الجنيد: رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما: ما الصدق؟ فقلت: الوفاء بالعهد. فقال الآخر: صدق ثم صعدوا. وقال علي بن الموفق: كنت أفكر يوماً في سبب عيالي والفقر الذي بهم، فرأيت في المنام رقعة مكتوباً فيها: بسم الله الرحمن الرحيم يا

ابن الموفق أتخشى الفقر وأنا ربك؟ فلما كان وقت الغلس أتاني رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال: خذها إليك يا ضعيف اليقين. وقال الجنيد: رأيت في المنام كأني واقف بين يدي الله تعالى فقال لي: يا أبا القاسم من أين لك هذا الكلام الذي تقول؟ فقلت: لا أقول إلا حقاً. قال: صدقت.

وحكي عن أبي عبدالله بن خفيف قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام كأنه قال لي: من عرف طريقاً إلى الله تعالى فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله عذاباً لم يعذب به أحداً من العالمين.

وقال أبو عثمان المغربي: رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: يا أبا عثمان اتق الله في الفقراء ولو بقدر سمسمة. وقيل: كان بعضهم يقول في دعائه: اللهم الشيء الذي لا يضرك وينفعنا لاتمنعه عنا، فرأى في المنام كأنه قيل له: فأنت فالشيء يضرك ولا ينفعك فدعه.

وحكي عن أبي الفضل الأصبهاني أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت له: يا رسول الله سل الله تعالى أن لا يسلبني الإيمان فقال: ذلك شيء قد فرغ الله منه. وروي عن سماك بن حرب أنه قال: كف بصري فرأيت في المنام كأن قائلاً لي: ائت الفرات فانغمس فيه وافتح عينك. قال: ففعلت فابصرت. وقيل: رؤي بشر الحافي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لما رأيت ربي عز وجل قال لي: مرحباً يا بشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على وجه الأرض أحب إلي منك اهـ. نص القشيري في الرسالة، وقد تركت منها بعض أشياء تقدم للمصنف ذكرها فيما سبق.

ومما نقلته من تاريخ ابن عساكر أخرج فيه عن أبي بكر الفزاري قال: بلغني أن بعض إخوان أحمد بن حنبل رآه في النوم فقال: يا أحمد ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال لي: يا أحمد صبرت على الضرب إن قلت ولم تتغير أن كلامي منزل غير مخلوق، وعزتي لا سمعتك كلامي إلى يوم القيامة، فأنا أسمع كلام ربي عز وجل. وعن محمد بن عوف قال: رأيت محمد بن المصفى الحمصي في النوم فقلت: إلام صرت؟ قال: إلى خير، ومع ذلك فنحن نرى ربنا كل يوم مرتين فقلت: يا أبا عبدالله صاحب سنة في الدنيا وصاحب سنة في الآخرة، فتبسم إلي. وعن محمد بن مفضل قال: رأيت منصور بن عمار في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال لي: كنت تخلط ولكن قد غفرت لك لأنك كنت تحبّبني إلى خلقي قم فمجدني بين ملائكتي كما كنت تمجدني في الدنيا، فوضع لي كرسي فمجدت الله بين ملائكته.

ومن طريق أبي الحسن الشعراني قال: رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: قال لي أنت منصور بن عمار؟ قلت: بلى يا رب قال: أنت الذي كنت تزهد الناس في الدنيا وترغب فيها؟ قلت: قد كان ذلك ولكني ما اتخذت مجلساً إلا بدأت بالثناء عليك، وثنيت بالصلاة على نبيك، وثلثت بالنصيحة لعبادك. قال: صدق ضعوا له كرسياً يمجدني في سمائي كما مجدني في أرضي بين عبادي. وعن سليم بن منصور بن عمار قال: رأيت أبي في المنام فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: قربني وأدناني. وقال لي: يا شيخ السوء تدري لم غفرت لك؟ قلت: لا يا إلهي. قال:

....

إنك جلست للناس يوماً مجلساً فبكيتهم فبكى فيهم عبد من عبادي لم يبك من خشيتي قط فغفرت له، ووهبت أهل المجلس كلهم له ووهبتك فيمن وهبته له. وعن سلمة بن عفان قال: رأيت وكيعاً في المنام فقلت له: ما صنع بك ربك؟ قال: أدخلني الجنة. قلت: بأي شيء؟ قال: بالعلم. وعن أبي يحيى مستملي بن همام قال: رأيت أبا همام في المنام وعلى رأسه قناديل معلقة فقلت: يا أبا همام بماذا نلت هذه القناديل؟ قال: هذا بحديث الحوض، وهذا بحديث الشفاعة، وهذا بحديث كذا، وهذا بحديث كذا. وعن أبي الربيع الزهراني قال: حدثني جار لي قال: رأيت ابن عون في النوم فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: ما غربت الشمس من يوم الإثنين حتى عرضت علي صحيفتي وغفر لي وكان مات يوم الإثنين. وعن أبي عمرو الخفاف قال: رأيت محمد بن يحيى الذهبي في النوم فقلت: ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لي قلت: فما فعل علمك قال: كتب بماء الذهب ورفع في عليين. وعن الأستاذ أبي الوليد قال: رأيت أبا العباس الأصم في المنام فقلت: ماذا انتهى حالك أيها الشيخ؟ فقال: أنا مع أبي يعقوب البويطي والربيع بن سليمان في جوار أبي عبدالله الشافعي نحضر كل يوم ضيافته. وعن سهيل القطعي أخي حزم قال: رأيت مالك بن دينار بعد موته فقلت له: ماذا قدمت به على الله؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة نحاها عني حسن الظن بالله. وعن امرأة من أهل اليمن قالت: رأيت رجاء بن حيوة في النوم فقلت: ألم تمت؟ قال: بلى، ولكن نودي في أهل الجنة أن تلقوا الجراح بن عبدالله وذلك قبل أن يأتي خبر الجراح، ثم جاء نعي الجراح فحسب فوجدته استشهد بأذربيجان ذلك اليوم. وعن عقبة بن أبي حكيم عن امرأة من بيت المقدس قالت: كان رجاء ابن حيوة جليساً لنا وكان نعم الجليس، فمات فرأيته بعد شهر فقلت: إلام صرتم؟ قال: إلى خير، ولكنا فزعنا بعدكم فزعة ظننا أن القيامة قد قامت قلت: وفيم ذلك؟ قال: دخل الجراح وأصحابه الجنة بأثقالهم حتى ازدحموا على بابها. وعن الأصمعي عن أبيه قال: رأى رجل في المنام جرير الشاعر فقال له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. قال: بماذا؟ قال: بتكبيرة كبرتها في ظهر ماء بالبادية، قال: فما فعل أخوك الفرزدق قال: إنما أهلكه قذف المحصنات. وعن ثور بن يزيد الشامي قال: رأيت الكميت بن يزيد في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ونصب لي كرسياً وأجلسني عليه وأمر بإنشاد طريب، فلما بلغت إلى قولي:

حنانيك رب الناس من أن يغرني كما غرهم شرب الحياة المصر

قال: صدقت يا كميت إنه ما غرك ما غرهم، فقد غفرت لك بصدقك في صفوتي من بريتي وخيرتي من خليقتي، وجعلت لك بكل منشد أنشد بيتاً من مدحك آل محمد رتبة أرفعها لك في الآخرة إلى يوم القيامة. وعن ابن الشعشاع المصري قال: رأيت أبا بكر النابلسي أحد من قتله بنو عبيد على السنة بعد ما قتل في المنام وهو في أحسن هيئة فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: حباني مالكي بدوام عزه ووعدني بقرب الانتصار وأدناني إليه. وقال: انعم بعيش في جواري. وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يكن إلا أن وضعت في اللحد ووقفت بين يدي الله فحاسبني حساباً يسيراً ثم أمر بي إلى الجنة، فبينا أنا بين

رياحينها وأشجارها لا أسمع حساً ولا حركة فإذا بصوت يقول: يا سفيان بن سعيد هل تعلم أنك آثرت الله على نفسك فقلت: أي والله فأخذتني صواني النشار من كل جانب. وعن أحمد بن حنبل قال: رايت الشافعي في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي وتوجني وزوّجني وقال لي: هذا بما لم تزه بما أرضيتك ولم تتكبر فيما أعطيتك. وعن إسماعيل بن إبراهيم الفقيه قال: رأيت الحافظ أبا أحمد الحاكم في النوم فقلت: أي الفراق أكثر نجاة عندكم؟ فقال: أهل السنة. وعن خيثمة بن سليمان قال: رأيت عاصماً الاطرابلسي أحد الغزاة في النوم بعد ما توفي فقلت: إيش حالك يا أبا علي؟ فقال: إنا لا نكنى بعد الموت ولم يجبني بغير هذا. فقلت: إيش حالك يا عاصم وإلام صرت؟ قال: صرت إلى رحمة واسعة وإلى جنة عالية. قلت: بماذا قال: بكثرة جهادي في البحر. وعن مالك بن دينار قال: رأيت مسلم بن يسار في النوم فقلت: ماذا لقيت بعد الموت؟ قال: لقيت أهوالاً وزلازل عظاماً شداداً. قلت: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم قبل مني الحسنات وعفا لنا عن السيئات وضمن لنا التبعات. وعن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي قال: رأيت أبا جعفر محمد ابن جرير الطبري في النوم فقلت: كيف رأيت الموت؟ قال: ما رأيت إلا خيراً. قلت: كيف رأيت هول المطلع؟ قال: ما رأيت إلا خيراً فقلت: إن ربك بك حفي اذكرنا عند ربك. قال: يا أبا علي تقول اذكرنا عند ربك ونحن نتوسل بكم إلى رسول الله ﷺ. وعن حبيش بن بشر قال: رأيت يحي بن معين في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قربني وأعطاني وأدناني وحياني وزوّجني ثلاثمائة حوراء، وأدخلني عليه مرتين فقلت: بماذا؟ فأخرج شيئاً من كمه قال: بهذا يعني الحديث وعن سليمان العمري قال: رأيت أبا جعفر يزيد بن القعقاع القاري في النوم فقال: اقرأ إخواني مني السلام واخبرهم أن الله جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين، واقرأ أبا حازم السلام وقل له يقول لك أبو جعفر: الكيس الكيس فإن الله وملائكته يتراؤن مجلسك بالعشيات. وعن زكريا بن عدي قال: رأيت ابن المبارك في النوم فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي. وعن محمد بن فضيل ابن عياض قال: رأيت ابن المبارك في النوم فقلت: أي العمل وجدت أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه. قال: الرباط والجهاد؟ قال: نعم. وعن عبد العزيز قال: رأيت أبي في النوم بعد موته فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الاستغفار يا بني. وعن عبدالله بن عبد الرحمن قال: رأيت الخليفة المتوكل في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: غفر لك وقد عملت ما عملت؟ قال: نعم بالقليل من السنة التي أظهرتها. وعن عبدالله بن صالح الصوفي قال: رؤي بعض أصحاب الحديث في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي قيل: بأي شيء؟ قال: بصلاتي في كتبي على رسول الله ﷺ. وعن يزيد بن نعامة قال: رأى رجل ميتاً فقال له الميت: يا فلان أخبر الناس أن وجه عامر بن قيس يوم القيامة مثل القمر ليلة البدر. وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: رأيت أبي في المنام وعليه قلنسوة طويلة فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: زينني بزينة العلم. قلت: فأين مالك بن أنس؟ قال: مالك فوق فوق فلم يزل يقول فوق فوق ويرفع رأسه حتى سقطت القلنسوة من رأسه. وعن يحي بن إسماعيل المحاملي قال: رأيت القاشاني في النوم فقلت: ما فعل الله

بك ؟ فأومأ إلي أنه نجا بعد شدة. قلت : فما تقول في أحمد ابن حنبل ؟ قال : غفر الله له . قلت : فبشر الحافي ؟ قال : تجيئه الكرامة من الله في كل يوم مرتين . وعن عاصم الحربي قال . رأيت في المنام كأني دخلت درب هشام ، فلقيني بشر الحافي فقلت : من أين ؟ قال : من عليين . قلت : ما فعل أحمد بن حنبل ؟ قال : تركت الساعة أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدي الله يأكلان ويشربان ويتنعمان . قلت : فأنت ؟ قال : علم الله قلة رغبتي في الطعام فأباحني النظر إليه . وعن أبي جعفر السقاء قال : رأيت بشر الحافي ومعروفاً الكرخي في النوم كأنهما جائيان فقلت : من أين ؟ فقالا : من جنة الفردوس وقد زرنا موسى كليم الرحمن عز وجل . وعن القاسم بن منبه قال : رأيت بشراً الحافي في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وقال لي : يا بشر قد غفرت لك ولكل من تبع جنازتك ، فقلت : يا رب ولكل من أحبني ؟ قال : ولكل من أحبك إلى يوم القيامة . وعن أحمد الدورقي قال : مات جار لي فرأيته في النوم وعليه حلتان قلت : إيش قصتك ؟ قال : دفن في مقبرتنا بشر الحافي فكسي أهل المقبرة حلتان حلتان . وعن حجاج بن الشاعر قال : رؤي بشر الحافي في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي . وقال : يا بشر ما عبدتني على قدر ما نوّهت باسمك . وعن رجل أنه رأى بشراً في النوم فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وقال لي : يا بشر لو سجدت لي على الجمر ما كافأت ما جعلت لك في قلوب عبادي . وعن محمد بن خزيمة قال : لما مات أحمد بن حنبل اغتممت غماً شديداً فبت ليلتي فرأيته في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت : يا أبا عبد الله أي مشية هذه ؟ فقال : مشية الخدام في دار السلام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وتوّجني والبسني نعلين من ذهب . وقال : يا أحمد هذا بقولك : إن القرآن كلامي ، ثم قال لي : يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي كنت تدعو بها في دار الدنيا ، فقلت : يا رب كل شيء ؟ فقال : هيه فقلت بقدرتك على كل شيء . فقال لي : صدقت ، فقلت : لا تسألني عن شيء وٱغفر لي كل شيء . قال : قد فعلت . ثم قال : يا أحمد هذه الجنة فقم فادخل إليها بسلام ، فدخلت فإذا بسفيان الثوري وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة ويقول : ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ [الزمر : ٧٤] فقلت له : ما فعل عبد الوهاب الوراق ؟ قال : تركته في بحر من نور في زلال من نور يزار به الملك الغفور . قلت : فما فعل بشر الحافي ؟ فقال : بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل يقبل عليه ويقول : كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب وانعم يا من لم يتنعم في دار الدنيا . وعن دلف بن أبي دلف العجلي قال : رأيت أبي في المنام في دار وحشة وعرة سوداء الحيطان وإذا في أرضها أثر الرماد وإذا أبي عريان واضعاً رأسه بين ركبتيه فقال لي كالمستفهم دلف ؟ قلت : نعم اصلح الله الامير فأنشأ يقول :

ابلغــن أهلهــا ولا تخف عنهــم ... مــا لقينــا في البرزخ الخنــاقِ

قد سئلنـا عـن كـل مـا قـد فعلنـا ... فـارحموا وحشتي ومـا قـد ألاقــي

أفهمت ؟ قلت : نعم ثم أنشأ يقول :

....

فلــو، أنــا إذا متنــا تــركنــا لكــل الموت راحــة كــل حـــي
ولكنــــا إذا متنــــا بعثنــــا فنســـأل بعـــده عـــن كـــل شيء

انصرف. قال: فانتبهت.

وعن الأصمعي عن أبيه قال: رأيت الحجاج في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قتلني بكل قتلة قتلت بها إنساناً، ثم رأيته بعد حول فقلت: ما صنع الله بك؟ فقال: أما سألت عن هذا عام أول؟ وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت في النوم جيفة ملقاة فقلت: ما هذا؟ قالوا: إنك إن كلمته كلمك فوكزته برجلي فرفع رأسه إلي وفتح عينيـه فقلت له: من أنت؟ قال: أنا الحجاج قدمت على الله فوجدته شديد العقاب بكل قتلة قتلة، وها أنا ذا موقوف بين يدي الله انتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم إما إلى جنة وإما إلى نار. وعن أبي الحسين قال: رأيت فيما يرى النائم كأني أدخلت موضعاً واسعاً، وإذا رجل على السرير قاعد وبين يديه رجل يقلى. قلت: من هذا القاعد؟ قيل: إن ذا يزيد النحوي، وهذا أبو مسلم يعني الخراساني صاحب الدعـوة يقلى بين يـديـه. قلت: فما حال إبراهيم الصائغ؟ قال: ذاك في أعلى عليين من يصل إليه. وعن أحمد بن عبد الرحمن المعبر قال: رأيت صالح بن عبد القدوس ضاحكاً مستبشراً فقلت: ما فعل بك ربك؟ وكنت أتخوف مما كنت ترمى به من الزندقة؟ قال: إني وردت على رب لا تخفى عليه خافية فاستقبلني برحمته وقال: قد علمت براءتك مما كنت ترمى به. وعن بعض المكيين قال: رأيت سعيد بن سالم القداح في النوم فقلت: من أفضل من في هذه المقبرة؟ قال: صاحب هذا القبر. قلت: بم فضلكم؟ قال: إنه ابتلي فصبر. قلت: ما فعل فضيل بن عياض؟ قال: هيهات كسي حلة لا تقوم لها الدنيا بحواشيها. وعن أبي الفرج غيث بن علي الأرمنازي قال: رأيت أبا الحسن العاقولي المقري في النوم في هيئة صالحة فسألته عن حاله فذكر خيراً. قلت: أليس قد مت؟ قال، بلى قلت: فيكف رأيت الموت؟ قال: حسن أوجيد وهو مستبشر. قلت: غفر لك ودخلت الجنة؟ قال: نعم. قلت: فأي الأعمال أنفع؟ قال: ما ثم شيء أنفع من الاستغفار أكثر منه. وعن الحسن بن قريش الحراني قال: رأيت أبا جور الأمير في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا قال: بضبطي لطرق المسلمين وطريق الحاج. وعن أبي نصر بن ماكولا قال: رأيت في المنام كأني أسأل عن حال أبي الحسن الدارقطني في الآخرة، فقيل لي ذاك يدعى في الجنة الإمام. وعن عبدالله بن صالح قـال: رؤي أبو نواس في المنام وهو في نعمة كبيرة فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي واعطاني هذه النعمة. قيل: وبماذا وقد كنت مخلطاً؟ قال: جاء بعض الصالحين إلى المقابر في ليلة من الليالي فبسط رداءه وصلى ركعتين قرأ فيهما ألفي مرة قل هو الله أحد، وجعل ثوابها لأهل المقابر فغفر الله لأهل المقابر عن آخرهم، فدخلت أنا في جملتهم. وعن محمد بن نافع قال قال: رأيت أبا نواس وأنا بين النائم واليقظان فقلت: أبو نواس! قال: لات حين كنية. قلت: الحسن بن هانيء؟ قال: نعم قلت: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي بأبيات قلتها هي تحت الوسادة، فأتيت أهله فرفعت الوسادة فإذا برقعة فيها مكتوب:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة   فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا محسن   فمن الذي يدعو ويرجو المجرمُ
ادعوك رب كما أمرت تضرعاً   فإذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ
مالي إليك وسيلة إلا الرجا   وجميل عفوك ثم إني مسلمُ

وعن أبي بكر الأصبهاني قال: رؤي أبو نواس في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها في النرجس:

تأمل في نبات الأرض وانظر   إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون في لجين فاخرات   وأحداق كما الذهب السبيكُ
على قضب الزبرجد شاهدات   بأن الله ليس له شريكُ

وعن عبدان بن محمد المروزي قال: مات يعقوب بن سفيان الحافظ فرأيته في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأمرني أن أحدث في السماء كما كنت أحدث في الأرض، فحدثت في السماء الرابعة فاجتمع علي الملائكة واستملى علي جبريل وكتبوا بأقلام من ذهب. وعن أبي عبيد بن حربويه أن رجلاً حضر جنازة السري السقطي، فلما كان في بعض الليل رآه في النوم فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلى علي. قال: فإني ممن حضر جنازتك، وصلى عليك فأخرج درجاً فنظر فيه فلم يرفيه اسمه. فقال: بلى قد حضرت. قال: فنظر فإذا اسمه في الحاشية. وعن أبي القاسم ثابت بن أحمد بن الحسين البغدادي قال: رأيت أبا القاسم سعد بن محمد الزنجاني في النوم يقول لي مرة بعد أخرى: يا أبا القاسم إن الله عز وجل يبني لأهل الحديث بكل مجلس يجلسونه بيتاً في الجنة. وعن محمد بن مسلم بن دارة قال: رأيت أبا زرعة في المنام فقلت له: ما حالك؟ قال: أحمد الله على الأحوال كلها إني أحضرت فوقفت بين يدي الله تعالى فقال لي: يا عبيد الله لم تذرعت في القول في عبادي؟ قلت: يا رب إنهم حاولوا دينك. قال: صدقت ثم أتى بطاهر الخلقاني فاستعديت عليه إلى ربي فضربه الحدَّ مائة، ثم أمر به إلى الحبس، ثم اطلقوا عبيد الله بأصحابه بأبي عبدالله وأبي عبدالله وأبي عبد الله سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل. وعن حفص بن عبدالله قال: رأيت أبا زرعة في النوم بعد موته يصلي في سماء الدنيا بالملائكة. قلت: بم نلت هذا؟ قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث أقول فيها على النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً. وعن يزيد بن مخلد الطرسوسي قال: رأيت أبا زرعة بعد موته يصلي في السماء الدنيا بقوم عليهم ثياب بيض وعليه ثياب بيض وهم يرفعون أيديهم في الصلاة فقلت: يا أبا زرعة من هؤلاء؟ قال: الملائكة. قلت: بأي شيء أدركت هذا؟ قال: برفع اليدين في الصلاة، فقلت: إن الجهيمة قد آذوا أصحابنا بالري قال: اسكت فإن أحمد بن حنبل قد سدّ عليهم الماء من فوق. وعن أبي العباس المرادي قال: رأيت أبا زرعة في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: لقيت ربي فقال لي: يا أبا زرعة إني أوتى بالطفل فآمر به إلى الجنة، فكيف بمن حفظ السنن على عبادي». فتبوأ من الجنة حيث شئت. انتهى ما اخترته من تاريخ ابن عساكر.

....

ومما انتقيته من كتاب المنامات لابن أبي الدنيا. أخرج عن شهر بن حوشب أن الصعب بن جثامة، وعوف بن مالك كانا متواخيين فقال الصعب لعوف: أي أخي أينا مات قبل صاحبه فليتراءى له. قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم فمات الصعب فرآه عوف في المنام فقال: ما فعل بك؟ قال: غفر لي بعد المشاق. قال: ورأيت لمعة سوداء في عنقه قلت ما هذه؟ قال: عشرة دنانير أسلفتها من فلان اليهودي فهي في قرني. والقرن محركة جعبة النشاب فاعطوه أياها، واعلم أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا قد لحق بي خبره حتى هرة ماتت منذ أيام، واعلم أن بنتي تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفاً. قال عوف: فلما أصبحت أتيت أهله فنظرت إلى القرن فأنزلته فإذا فيه عشرة دنانير في صرة فبعثت إلى اليهودي فقلت له: هل كان لك على صعب شيء فقال: رحم الله صعباً كان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ أسلفته عشرة دنانير فنبذتها إليه قال: هي والله بأعيانها فقلت: هل حدث فيكم حدث بعد موت الصعب؟ قالوا: نعم حدث فينا كذا حدث فينا فما زالوا يذكرون حتى ذكروا موت الهرة. قلت: أين أبنة أخي؟ قالوا: تلعب فمسستها فإذا هي محمومة، فقلت: استوصوا بها معروفاً فماتت لستة أيام. وعن محمد بن النضر الحارثي قال: رأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين ليت شعري إلى أي الحالات صرت بعد الموت؟ قال: يا مسلمة هذا أوان فراغي والله ما استرحت إلى الآن. قلت: فأين أنت؟ قال: أنا مع أئمة الهدى في جنات عدن. وعن أبي بكر الخياط قال رأيت كأني دخلت المقابر فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم بين أيديهم الريحان، وإذا أنا بمحفوظ قائماً فيما بينهم يذهب ويجيء فقلت: يا محفوظ ما صنع بك ربك؟ أو ليس قد مت؟ قال: بلى ثم قال:

موت التقي حياة لانفاد لها قد مات قوم وهم في الناس أحياء

وعن سلمة البصري قال: رأيت بزيع بن مسور العابد في منامي وكان كثير الذكر لله كثير الذكر للموت طويل الاجتهاد. قلت: كيف رأيت موضعك؟ قال:

وليس يعلم ما في القبر داخله إلا الإله وساكن الأجداثِ

وعن بشر بن المفضل قال: رأيت بشر بن منصور في النوم فقلت له: يا أبا محمد ما صنع بك ربك؟ قال: وجدت الأمر أهون مما كنت أحمل على نفسي. وعن حفص المرهبي قال: رأيت داود الطائي في منامي فقلت: أبا سليمان كيف رأيت خير الآخرة؟ قال: رأيت خير الآخرة كثيراً. قلت: فماذا صرت إليه؟ قال: صرت إلى خير والحمد لله. قلت: فهل لك من علم بسفيان بن عيينة فقد كان يحب الخير وأهله؟ قال: فتبسم ثم قال: رقاه الخير إلى درجة أهل الخير. وعن عتبة بن حمزة عن أبيه قال: لقيت عمتي في المنام فقلت: كيف أنت؟ قالت: بخير قد وفيت عملي حتى أعطيت ثواب خلاط أطعمته. والخلاط: اللبن بالبقل. وعن عبد الملك الليثي قال: رأيت عامر بن قيس في النوم فقلت: ما وجدت؟ قال: خيراً. قلت: أي العمل وجدت أفضل؟ قال: كل شيء أريد به وجه الله عز وجل. وعن أبي عبد الله الحجري قال: مات عم لي فرأيته في النوم وهو يقول: الدنيا غرور والآخرة للعاملين سرور، ولم نر شيئاً مثل اليقين والنصح لله وللمسلمين، لا تحقرن من

المعروف شيئاً واعمل عمل من يعلم أنه مقصر . وعن الأصمعي قال: رأيت شيخاً من البصريين من أصحاب يونس بن عبيد وقد مات فقلت: من أين أقبلت ؟ قال: من عند يونس الطبيب. قلت: من يونس الطبيب ؟ قال: الفقيه اللبيب. قلت: ابن عبيد ؟ قال: نعم. قلت: وأين هو ؟ قال: في مجالس الأرجوان مع الجواري الأبكار قرت عيناه بصحة تقواه. وعن ميمون الكردي قال: رأيت عروة البزاز في النوم بعد موته فقال: إن لفلان السقاء عليَّ درهماً وهو في كوّة في بيتي فخذه وادفعه إليه. قال: فلما أصبحت لقيت السقاء فقلت له: لك عند عروة شيء ؟ فقال: نعم درهم فدخلت بيته فوجدت الدرهم في الكوة فدفعته إلى السقاء. وعن رجل من أهل الكوفة قال: رأيت سويد بن عمرو الكلبي في النوم بعد ما مات في حال حسنة. قلت: يا سويد ما هذه الحال الحسنة ؟ قال: إني كنت أكثر من قول لا إله إلا الله فاكثر منها. ثم قال: إن داود الطائي ومحمد بن النضر الحارثي طلبا أمراً فأدركاه. وعن إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: رأيت الضحاك بن عثمان في النوم فقلت: ما فعل بك ربك ؟ قال: في السماء تماريد من قال لا إله إلا الله تعلق بها، ومن لم يقلها هوى، وعن محمد بن عبد الرحمن المخزومي قال: رأى رجل ابن عائشة التميمي في النوم فقال له: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي بحبي إياه. وعن السري بن يحيى، عن والان بن عيسى، عن رجل من قزوين وكان من الصالحين قال: اغترَّ بي القمر ليلة فخرجت إلى المسجد فصليت وسبحت ودعوت فغلبتني عيناي، فرأيت جماعة اعلم أنهم ليسوا بالآدميين بأيديهم أطباق عليها أربعة أرغفة ببياض الثلج فوق كل رغيف دراً مثال الرمان، فقالوا: كل فقلت: إني أريد الصوم. قال: يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لاحتمله، فقيل لي: دعه نغرسه لك شجراً ينبت لك خيراً من هذا. قلت: أين ؟ قال: في دار لا تخرب وثمر لا يتغير وملك لا ينقطع وثياب لا تبلى فيها رضوى وعيناه وقرة عين أزواج رضيات مرضيات راضيات لا يتغيرن، فعليك بالانكماش فيما أنت فيه، فإنما هي غفوة حتى ترتاح فتنزل الدار. قال: فما مكث إلا جمعتين حتى توفي قال السري: فرأيته في الليلة التي توفي فيها وهو يقول لي: ألا تعجب من شجر غرس لي يوم حدثتك وقد حمل. قلت: حمل ماذا ؟ قال: لا تسأل ما لا يقدر على صفته أحد لم نر مثل الكريم إذا حل به مطيع. وعن إسماعيل بن عبد الله بن ميمون قال: رأيت علي بن محمد بن عمران بن أبي ليلى في النوم فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل ؟ قال: المعرفة. قلت: ما تقول في الرجل يقول: حدثنا وأخبرنا ؟ فقال: قال إني أبغض المباهاة. وعن بعض أصحاب مالك بن دينار أنه رأى مالك بن دينار في النوم فقال: ما صنع الله بك ؟ قال: خيراً لم نر مثل العمل الصالح، لم نر مثل الصحابة الصالحين، لم نر مثل السلف الصالح، لم نر مثل مجالس الصالحين. وعن عبد الوهاب ابن يزيد الكندي قال: رأيت أبا عمر الضرير فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي ورحمني قلت: فأي الأعمال وجدت أفضل ؟ قال: ما أنتم عليه من السنة والعلم. قلت: فأي الأعمال وجدت شراً ؟ قال: احذر الأسماء. قلت: وما الأسماء ؟ قال: قدري ومعتزلي ومرجيء، فجعل يعد أسماء أصحاب الأهواء. وعن أبي بكر الصيرفي قال: مات رجل كان يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويرى

المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأعمال المقربة إلى الله زلفى ، فلنذكر بعدها ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار إما في الجنة أو في النار ، والحمد لله حمد الشاكرين.

رأي جهم فأريه رجل في النوم كأنه عريان وعلى رأسه خرقة سوداء وعلى عورته أخرى فقال: ما فعل الله بك؟ قال: جعلني مع بكر القس وعون بن الأعسر ، وهذان نصرانيان. وعن شيخ قال: مات جار لي وكان ممن يخوض في هذه الأمور فأريته في النوم كأنه أعور فقلت: يا فلان ما هذا الذي أرى بك؟ قال: تنقصت أصحاب محمد ﷺ فنقصني هذا ووضع يده على عينه الذاهبة. وعن أبي جعفر المديني قال: رأيت محمود بن حميد في منامي وكان من العاملين وعليه ثوبان أخضران فقلت: الإم صرت بعد الموت؟ فنظر إلي ثم أنشأ يقول:

نعم المتقون في الخلد حقاً بجوار نواهد أبكار

قال أبو جعفر: ما سمعته من أحد قبله. وعن إياس بن دغفل قال: رأيت أبا العلاء يزيد بن عبد الله فيما يرى النائم فقلت: كيف وجدت طعم الموت؟ قال: وجدته مراً كريهاً. قلت: فماذا صرت إليه بعد الموت؟ قال: صرت إلى روح وريحان ورب غير غضبان. قلت: فأخوك مطرف؟ قال: فاتني بيقينه. وعن المنكدر بن محمد بن المنكدر قال: رأيت في منامي كأني دخلت مسجد رسول الله ﷺ فإذا الناس مجتمعون على رجل في الروضة فقلت: من هذا قيل: رجل قدم من الآخرة يخبر الناس عن موتاهم، فجئت أنظر فإذا الرجل صفوان بن سليم. قال: والناس يسألونه وهو يخبرهم فقال: أما ههنا أحد يسألني عن محمد بن المنكدر فطفق الناس يقولون: هذا ابنه هذا ابنه ففرجت الناس فقلت: أخبرنا رحمك الله. قال: أعطاه الله من الجنة كذا وأعطاه وأرضاه واسكنه منازل في الجنة وبوّأه فلا طغي عليه ولا موت. وعن أبي كريمة قال: جاءني رجل قال: رأيت كأني أدخلت الجنة فانتهيت إلى روضة فيها أيوب ويونس وابن عون والتميمي فقلت: أين سفيان الثوري؟ قالوا: ما نرى ذاك إلا كما نرى الكوكب الدري. وعن مالك بن دينار قال: رأيت محمد بن واسع في الجنة، ورأيت محمد بن سيرين في الجنة فقلت: أين الحسن؟ قالوا: عند سدرة المنتهى. وعن يزيد بن هارون قال: رأيت محمد بن يزيد الواسطي في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي قلت: بماذا قال: بمجلس جلسه إلينا أبو عمرو البصري يوم جمعة بعد العصر فدعا وأمنا فغفر لنا. وعن عقبة بن أبي ثبيت قال: رأيت خليد بن سعيد في منامي بعد موته فقلت: ما صنعت؟ قال أفلتنا ولم نكد. قلت: متى عهدك بالقرآن؟ قال: لا عهد لنا به منذ فارقناكم انتهى نص ابن أبي الدنيا.

(فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأحوال المقربة إلى الله زلفي، فلنذكر بعدها ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار. إما في الجنة أو في النار والحمد لله حمد الشاكرين) وبه انقضى ذكر الأبواب الثمانية التي هي من الشطر الأول من هذا الكتاب، وهذا شروع في ذكر الشطر الثاني قال رحمه الله تعالى:

الشطر الثاني

الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار.

وفيه بيان نفخة الصور. وصفة أرض المحشر وأهله، وصفة عرق أهل المحشر. وصفة طول يوم القيامة. وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها. وصفة المساءلة عن الذنوب. وصفة الميزان، وصفة الخصماء ورد المظالم، وصفة الصراط. وصفة الشفاعة. وصفة الحوض. وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها. وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم، وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان. وصفة النظر إلى وجه الله تعالى. وباب في سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى.

صفة نفخة الصور:

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه، ثم لمنكر ونكير وسؤالهما، ثم لعذاب القبر وخطره إن كان

الشطر الثاني
من كتاب ذكر الموت

(في) بيان **(أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار)** أي الشدائد والأمور العظيمة.

(وفيه بيان نفخة الصور، وصفة أرض المحشر وأهله، وصفة عرق المحشر، وصفة طول يوم القيامة، وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها، وصفة المسألة عن الذنوب، وصفة الميزان، وصفة الخصماء ورد المظالم، وصفة الصراط، وصفة الشفاعة، وصفة الحوض، وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها، وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم، وصفة طعامهم، وصفة الحور العين والولدان، وصفة النظر إلى وجه الله تعالى وباب في سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى) ختم الله بالصالحات أعمالنا.

صفة نفخ الصور:

اعلم أيدك الله بنور البصيرة **(قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت)** مما يلقاه **(في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساة ظلمة القبر وديدانه)** وضيقه ووحشته،

مغضوباً عليه. وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير، ونصب الميزان لمعرفة المقادير، ثم جواز الصراط مع دقته وحدّته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء. فهذه أحوال وأهوال لا بدّ لك من معرفتها، ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق، ثم تطويل الفكر في ذلك لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها، وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحرّ جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال، بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم، ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه ـ الذي أخبره ـ صدقت، ثم مد يده لتناوله؛ كان مصدقاً بلسانه ومكذباً بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان. وقد قال النبي ﷺ: «قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني، أما شتمه إياي فيقول

(ثم لمنكر ونكير وسؤالهما) وانتهارهما، (ثم لعذاب القبر وخطره إن كان معتوباً عليه. وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير، ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع رقته وحدته، ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال وأهوال لا بدّ لك من معرفتها) أولاً، (ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق) العاريين عن الريب والتردد، (ثم تطويل الفكر في ذلك لتنبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها)، فمن لم يستعد لها لم تفده معرفته شيئاً والاستعداد إنما يحصل أولاً بمزاولة الفكر ومعاودته مرة بعد أخرى، (وأكثر الناس) إن تاملت في أحوالهم (لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم) لفقدان علاماته. (ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها) وأي نسبة بينهما (مع ما تكتنفه) أي تحيط به (من المصائب والأهوال. نعم إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم) بأنه حق، (ثم غفلت عنه قلوبهم و) أنت خبير بأن (من أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم، فقال لصاحبه الذي أخبره: صدقت ثم مد يده لتناوله كان مصدقاً بلسانه مكذباً بعمله، وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي ﷺ: قال الله تعالى شمتني ابن آدم) هكذا بلفظ الماضي، وروي بلفظ المضارع، والشتم: الوصف بما يقتضي النقص وهو عموم يراد به الخصوص وهم بعض بني آدم ممن أنكر البعث ومن ادعى نداً (وما ينبغي له أن يشتمني) أي لا يجوز له أن يصفني بما يقتضي النقص، (وكذبني وما ينبغي أن يكذبني) أي

إن لي ولداً وأما تكذيبه فقوله: لن يعبدني كما بدأني »، وإنما فتور البواطن عن قوّة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لأمثال تلك الأمور: ولو لم

ليس له ذلك من حق مقام العبودية مع الربوبية. (**أما شتمه إياي فيقول**) وفي رواية فقوله: (**إن لي ولداً**) لاستلزامه الإمكان المتداعي للحدوث وذلك غاية النقص في حق الباري، (**وأما تكذيبه**) إياي (**فقوله: لن يعيدنا كما بدأنا »**) قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: لفظ البخاري: أما شتمه إياي فقوله إن لي ولداً وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله ليس يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ». وهكذا رواه أحمد والنسائي ولفظ البخاري في تفسيره سورة البقرة من حديث ابن عباس: « كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شمته إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً.

قال الطيبي: فإن قيل: أي الأمرين أعظم؟ قلنا: كلاهما عظيم لكن التكذيب أقدم لأن المكونات لم تكوّن إلا للجزاء فمن أنكر الجزاء لزمه العبث في التكوين أو إعدام السموات والأرض، فينتفي جميع الصفات التي أثبتها الشارع فيلزم منه التعطيل على أن الصفات الثبوتية إذا انتفت يلزم منه انتفاء الذات وكذا السلبية.

وقال القاضي: في الحديث إشارة إلى برهان تحقق المعاد وإمكان الإعادة وهو أن ما يتوقف عليه تحقق البدن من مواده وأجزائه وصورته لو لم يكن وجوده ممكناً لما وجد أولاً وقد وجد، وإذا أمكن لم يمتنع لذاته وجوده ثانياً، وإلا لزم انقلاب الممكن لذاته ممتنعاً لذاته وهو محال وتنبيه على تمثيل يرشد العامي وهو ما يرى في الشاهد أن من عمد إلى اختراع صفة لم ير مثلها صعب ذلك عليه وتعب وافتقر إلى مكابدة أفعال ومعاونة أعوان ومرور أزمان، ومع ذلك كثيراً ما لا يتم له الأمر، ومن أراد إصلاح منكسر وإعادة منهدم هان عليه، فيا معشر الغواة أتحيلون إعادة أبدانكم وانكم معترفون بجواز ما هو أصعب منها بالنسبة لقدركم، وأما بالنسبة لله فيستوى عنده تكوين بعوض طيار وتخليق فلك دوار: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ [القمر: ٥٠].

وقال الطيبي: ومما في التكذيب والشتم من الفظاعة والهول أن المكذب منكر للحشر يجعل الله كاذباً والقرآن الذي هو مشحون بإثباته مفترى، ويجعل حكمة الله في خلق السماء والأرض عبثاً، والشاتم يحاول إزالة المخلوقات بأسرها ويزاول تخريب السموات من أصلها ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً ★ أن دعوا للرحمن ولدا﴾ [مريم: ٩٠، ٩١].

(**وإنما فترور البواطن عن قوّة اليقين والتصديق بالبعث والنشور**) فإنه (**لقلة الفهم لأمثال تلك الأمور**) وعدم الفهم بها. (**ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له: إن**

يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له: إن صانعاً يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصوّر العاقل المتكلم المتصرف لاشتدّ نفور باطنه عن التصديق به، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يرَ الإنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فإذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سدى ★ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنيٍّ يُمْنى ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٣٩]، ففي خلق الآدمي ـ مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه ـ أعاجيب تزيد على الأعاجيب في بعثه وإعادته، فكيف ينكر ذلك من قدر الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته؟ فإن كان في إيمانك ضعف فقوّ الإيمان بالنظر في النشأة الأولى، فإن الثانية مثلها وأسهل منها، وإن كنت قوي الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار، لتسلب عن قلبك الراحة والقرار، فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار، وتفكر أوّلاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور، فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة

صانعاً يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصوّر العاقل المتكلم المتصرف) في الأمور **(لاشتد نفور باطنه عن التصديق به، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾)** فيه تسلية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشر، وفيه تقبيح بليغ لإنكاره حيث عجب منه وجعله إفراطاً في الخصومة بيننا، ومنافاة الجحود والقدرة على ما هو أهون مما عمله في بداية خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من أخس شيء وامهنه شريفاً مكرماً بالعقوق والتكذيب، وقيل: معنى ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً مميز منطبق قادر على الخصام معرب عما في نفسه. **(وقال تعالى:)** ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين★ فجعلناه في قرار مكين★ إلى قدر معلوم★ فقدرنا فنعم القادرون★ ويل يومئذ للمكذبين﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢٤] أي بقدرتنا أو على الإعادة. وقال تعالى: **(أيحسب الإنسان أن يترك سدى)** أي مهملاً لا يكلف ولا يجازى. **(ألم يك نطفة من مني يمنى★ ثم كان علقة فخلق فسوى)** أي قدره فعدله، **(ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تزيد على الأعاجيب في بعثه وإعادته، فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته، فإن كان في إيمانك ضعف فقو الإيمان بالنظر في النشأة الأولى، فإن الثانية مثلها وأسهل منها)** كما مر في الحديث المتقدم، وليس أول الخلق بأهون عليه من إعادته، **(وإن كنت قوي الإيمان بها فاشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار، وأكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار، فتشتغل بالتشمر)** والتهيؤ **(للعرض على الجبار)** جل جلاله، **(وتفكر أولاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى**

واحدة. فتوهم نفسك وقد وثبت متغيراً وجهك مغبراً بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتاً من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم، وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافاً إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدّة الانتظار لعاقبة الأمر، كما قال تعالى: ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ في السَّمواتِ ومَنْ في الأرْضِ إلاَّ منْ شاء اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخْرى فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿فإذا نُقِرَ في النَّاقُورِ ★ فذَلِكَ يَومئِذٍ يومٌ عَسيرٌ ★ عَلَى الكافرينَ غَيْرُ يَسيرٍ﴾ [المدثر: ٨ - ١٠]، وقال تعالى: ﴿ويَقُولُونَ متَى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ★ مَا يَنْظُرونَ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخْصِّمونَ★ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ توصِيَةً ولاَ إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ★ ونُفِخَ في الصُّورِ فإذا هُمْ مِنَ الأجْدَاثِ إلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ★ قالُوا يَا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقِدنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحمنُ

فيثورون) منها (دفعة واحدة) كما نطق به القرآن، (فتوهم نفسك وقد وثبت) من القبر (مغبراً بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتاً) أي متحيراً (من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافاً إلى ما كان عندهم من الغموم والهموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر كما قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور) يعني المرة الأولى (فصعق من في السموات ومن في الأرض) أي خرَّ ميتاً أو مغشياً عليه (إلا من شاء الله﴾) سيأتي قريباً (﴿ثم نفخ فيه أخرى) أي نفخة أخرى (فإذا هم قيام) أي قائمون من قبورهم أو متوفقون (﴿ينظرون﴾) أي يقلبون أبصارهم من الجوانب كالمبهوتين وينظرون ما يفعل بهم وأشار إلى النفخة الأولى بقوله: فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة، وهذه النفخة عندها خراب العالم. (وقال تعالى: ﴿فإذا نقر﴾) أي نفخ (﴿في الناقور﴾) أي الصور فعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت (فذلك يومئذ يوم عسير ★ على الكافرين غير يسير﴾ ; وقال تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾) يعنون وعد البعث (﴿ما ينظرون﴾) ما ينتظرون (﴿إلا صيحة واحدة﴾) هي النفخة الأولى (تأخذهم وهم يخصمون) يتخاصمون في معاملاتهم لا يخطر ببالهم أمر ما (فلا يستطيعون توصية﴾) عن شيء من أمورهم (﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾) فيروا حالهم بل يموتوا في حيث تبغتهم (﴿ونفخ في الصور﴾) أي مرة ثانية (﴿فإذا هم من الأجداث﴾) أي القبور (﴿إلى ربهم ينسلون﴾) يسرعون. (﴿قالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾) فيه رمز وإشعار بأنهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياماً. (﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾) وهو من كلامهم، وقيل: جواب للملائكة أو المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيراً لكفرهم، وتقريعاً لهم عليه، وتنبيهاً بأن الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا: ابعثكم

وصدقَ الْمُرسَلون﴾ [يس: ٤٨ - ٥٢]، فلو لم يكن بين يدي الموتى إلاّ هول تلك النفخة لكان ذلك جديراً بأن يتقي فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض - يعني يموتون بها - إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة. ولذلك قال رسول الله ﷺ: « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحني الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ ».

قال مقاتل: الصور هو القرن؛ وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن

الرحمن الذي وعدكم البعث لو أرسل إليكم الرسل فصدقوكم، وليس الأمر كما تظنونه فإنه ليس بعث النائم فهمكم السؤال عن الباعث، وإنما هو البعث الأكبر ذو الأهوال، (**فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديراً بأن يتقي فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض يعني يموتون بها**) أو يغشى عليهم وبكل منها فسرت الآية (**إلا من شاء الله وهو**) أي المستثنى (**بعض الملائكة**) قيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وأنهم لا يموتون بعد، وقيل: حملة العرش كما سيأتي قريباً، (**ولذلك قال رسول الله ﷺ: « كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة**) أي أمالها (**وأصغى بالأذن**) ليستمع (**متى يؤمر**) بالنفخ (**فينفخ »**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال: حسن، ورواه ابن ماجه بلفظ: « إن صاحبي القرن بأيديهما - أو في أيديهما - قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران » وفي رواية ابن ماجه الحجاج بن ارطأة مختلف فيه اهـ.

قلت: حديث أبي سعيد رواه أيضاً سعيد بن منصور، وأحمد وعبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن حبان، وابن خزيمة، وابن المنذر، وأبو الشيخ في العظمة، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في البعث، والضياء في المختارة بزيادة قالوا: يا رسول الله كيف نصنع ؟ قال: « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ». ورواه أحمد أيضاً والطبراني من حديث زيد بن أرقم وأحمد أيضاً والطبراني في الأوسط، والحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس. ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث جابر، وأبو الشيخ في العظمة من حديث أبي هريرة، والباوردي من حديث الأرقم بن الأرقم وقال: كذا في كتابي ولا أدري مني أو ممن حدثني. وقال أيوب زيد بن أرقم. ورواه أيضاً من حديث أنس. وروى الخطيب من حديث أنس بلفظ: « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى ظهره ينظر تجاه العرش كأن عينيه كوكبان دريان لم يطرف قط مخافة أن يؤمر من قبل ذلك ». وأما لفظ ابن ماجه؛ فرواه كذلك البزار وابن مردويه، وقد روي نحو ذلك من حديث ابن عمر: « النافخان في السماء الثانية رأس أحدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب ينتظران متى يؤمران فينفخان » رواه أحمد والحاكم.

(**قال مقاتل**) بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي أبو بسطام صدوق فاضل روى له أبو داود في كتاب المسائل له: (**الصور هو القرن، وذلك أن إسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة**

كهيئة البوق، ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى، فإذا نفخ صعق من في السموات والأرض أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله، وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل، ثم روح ميكائيل، ثم روح إسرافيل، ثم يأمر ملك الموت فيموت. ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة، ثم يحيي الله إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى: ﴿ثم نُفِخَ فيهِ أخرى فإذَا هم قيامٌ يَنظُرونَ﴾ [الزمر: جزء من الآية: ٦٨] على أرجلهم ينظرون إلى

البوق، ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض، وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى، فإذا نفخ صعق من في السموات ومن في الأرض أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرافيل، ثم يأمر ملك الموت فيموت، ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة، ثم يحيي الله إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله: ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ على أرجلهم ينظرون إلى البعث) قوله: الصور هو القرن هذا قد روي مرفوعاً من حديث ابن عمر: أن اعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الصور فقال: «قرن ينفخ فيه» رواه ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه والنسائي وابن المنذر وابن حبان والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث، وابن مردويه، وقد روي نحو ذلك عن ابن مسعود عند عبد بن حميد ومسدد.

وروى أبو الشيخ عن عكرمة قال: الصور مع إسرافيل وفيه أرواح كل شيء تكون فيه فينفخ فيه نفخة الصعقة فإذا نفخ فيه نفخة البعث قال الله عز وجل: ليرجعن كل روح إلى جسده. قال: ودارة منها أعظم من سبع سموات ومن الأرض، وإسرافيل شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر بالنفخ فينفخ في الصور، واختلف في المستثنى من الصعق فقيل: جبريل وميكائيل وملك الموت. رواه ابن مردويه من حديث أنس، وقيل: زيادة على هؤلاء الثلاثة إسرافيل وحملة العرش رواه الفريابي وابن جرير من حديث أنس أيضاً، وقيل موسى عليه السلام لأنه صعق قبل رواه ابن المنذر عن جابر، وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة: «فاكون أول من رفع رأسه فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان فيمن استثنى الله» وقال عكرمة ﴿إلا من شاء الله﴾ هم حملة العرش. رواه عبد بن حميد وابن المنذر، وقيل: إلا من شاء الله هم الشهداء ثنية الله. رواه أبو يعلى والدارقطني في الأفراد وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي من حديث أبي هريرة.

ورواه سعيد بن منصور، وهناد عن سعيد بن جبير، أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرني عبدالله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ عن النور علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن عبدالله

....

أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر الحافظ، أخبرني عبد الرحمن بن أحمد الفخري قراءة على أبي الحسن الدمشقي أن أبا العباس الصالحي أخبره، عن جعفر بن علي، عن الحافظ أبي طاهر السلفي قال: اخبرنا محمد بن الحسن، أخبرنا أحمد بن عبدالله المحاملي، أخبرنا محمد بن عبدالله الشافعي قال: حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، حدثنا أبو عاصم النبيل، حدثنا إسماعيل بن رافع بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة قال: حدثنا رسول الله ﷺ فقال: « إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال: « القرن » قلت: كيف هو؟ قال: « عظيم إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، فيأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع فينفخ فيفزع أهل السماء والأرض إلا من شاء الله فيسير الله الجبال فتمر كمر السحاب فتكون سراباً وترتجّ الأرض بأهلها رجاً فتكون كالسّفينة الموقرة في البحر تضربها الأمواج أو كالقنديل المعلق بالعرش تخرجه الأرواح، فتميل الأرض بالناس على ظهرها تذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضاً، فبينما هم كذلك تصدعت الأرض فانصدعت من قطر إلى قطر، فرأوا أمراً عظيماً. ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل، ثم انشقت فانتشرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها. قال رسول الله ﷺ: « والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك ». قلت: فمن استثنى الله في قوله: ﴿إلا من شاء الله﴾ قال: « أولئك الشهداء فيمكثون في ذلك ما شاء الله ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فيقول ملك الموت: قد مات أهل السماء والأرض إلا من شئت، فيقول الله وهو أعلم: فمن بقي؟ فيقول: أي رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت حملة العرش، وبقي جبريل وميكائيل، وبقيت أنا. فيقول الله تعالى: فليمت جبريل وميكائيل فيموتان، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول: رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى: فليمت حملة العرش فيموتوا ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول: رب قد مات حملة عرشك، فيقول: وهو أعلم فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا، (فيقول الله تعالى: أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت فإذا لم يبقَ إلا الله الواحد طوى السماء والأرض كطي السجل للكتاب وقال: أنا الجبار ﴿لمن الملك اليوم﴾ ـ ثلاث مرات ـ فلا يجيبه أحد، ثم يقول لنفسه: ﴿لله الواحد القهار﴾ ويبدل الله الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه المبدلة في مثل ما كانوا فيه من الأولى، فمن كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعاً، ثم يأمر

....

الله الأجساد أن تنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم وكانت لحماً كما كانت قال الله تعالى: ليحي حملة العرش فيحيون، ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضم على فيه ثم يقول ليحـي جبريل وميكائيل، ثم يدعو الله بالأرواح فيـؤتـى بها تتـوهـج أرواح المسلمين نـوراً والأخرى ظلمة، فيقبضها جميعاً ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول الله: ليرجع كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنكم وأنا أول من تنشق عنه الأرض». الحديث بطوله في نحو ثلاثة أوراق أخرجه هكذا بطوله عبد بن حميد وعلي بن معبد في كتاب العصيان والطاعة، وابن جرير في تفسيره، والطبراني في الطوالات، وأبو يعلى في مسنده، وأبو الحسن القطان في الطوالات، وأبو الشيخ العظمة، والبيهقي في البعث، ومداره على إسماعيل بن رافع وهو قاص أهل المدينة وتكلم فيه بسبب هذا الحديث وفي بعض سياقه نكارة. وقيل: إنه جمعه من طرق وأماكن متفرقة وساقه سياقاً واحداً. ورواه عنه الوليد بن مسلم، وعبدة بن سليمان، ومكي بن إبراهيم، وآخرون. واختلف عليه فيه فقيل: عن محمد ابن زياد، عن محمد بن كعب، عن رجل، عن أبي هريرة. ومنهم من أسقط الرجل، ومنهم من زاد رجلاً من الأنصار بين ابن زياد وابن كعب غير الرجل المبهم. وقال أبو موسى المديني: هذا الحديث وإن كان في إسناده من تكلم فيه، فالذي فيه يروى مفرقاً في أسانيد ثابتة والله أعلم.

وروى الفريابي وابن جرير وابن مردويه من حديث أنس: «إذا قبض الله أرواح الخلائق قال لملك الموت: من بقـي؟ وهـو أعلم، فيقـول: سبحـانـك ربي بقـي إسرافيـل، فيقـول: خـذ نفس إسرافيل، فيقول: يا ملك الموت من بقي؟ فيقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام بقي جبريل وميكائيل. فيقول: خذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول: يا ملك الموت من بقي؟ فيقول: سبحانك ربي يا ذا الجلال والإكرام بقي جبريل وهو من الله بالمكان الذي هو به، فيقول: يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجداً يخفق بجناحيه يقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام أنت الباقي وجبريل الميت الفاني، فيأخـذ روحـه في الخلقـة التي يخلـق فيها». زاد ابن مردويه: «ثم ينادي: أنا بدأت الخلق ثم أعيده فأين الجبارون المتكبرون؟ فلا يجيبه أحد، ثم ينادي ﴿لمن الملك اليوم﴾ فلا يجيبه أحد فيقول الله: ﴿لله الواحد القهار﴾ ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون». وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة: «ينفخ في الصور والصور كهيئة القرن فصعق من في السموات والأرض وبين النفختين أربعون عاماً، يمطر الله في تلك الأربعين مطراً فينبتون من الأرض كما ينبت البقل». وروى ابن المبارك عن الحسن قال: بين النفختين أربعون سنة الأولى يميت الله بها كل حي، والثانية يحيي الله بها كل ميت. روى أبو الشيخ في العظمة عن أبي بكر الهذلي قال: إن ملك الصور الذي وكل به إحدى قدميه لفي الأرض السابعة وهو جاث على ركبتيه شاخص بصره إلى إسرافيل ما طرف منذ خلقه ينظر متى يشير إليه

البعث. وقال ﷺ: « حين بعث إليّ بعث إلى صاحب الصورة فأهوى به إلى فيه وقدم رجلاً وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة »، فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة، وانتظاراً لما يقضي عليهم من سعادة أو شقاوة، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم. بل إن كنت في الدنيا من المترفهين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطأون بالأقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش

فينفخ في الصور. وروي أيضاً عن وهب بن منبه قال: خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة، ثم قال للعرش: خذ الصور فتعلق به، ثم كن فكان إسرافيل فأمره أن يأخذ الصور فأخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة، وفي وسط الصور كوّة كاستدارة السماء والأرض وإسرافيل واضع فمه على تلك الكرة، ثم قال له الرب: قد وكلتك بالصور فأنت للنفخة والصيحة فلم يطرف منذ خلقه الله لينظر ما يؤمر به.

(وقال ﷺ: « حين بعث إلي بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فمه وقدم رجلاً وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة ») قال العراقي: لم أجده هكذا، بل قد ورد أن إسرافيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخاري في التاريخ، وأبو الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة: « إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قال البخاري: ولم يصح وفي رواية لأبي الشيخ: ما طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان وإسنادها جيد انتهى.

قلت: بل رواه عبد بن حميد في تفسيره من حديث ابن عمر بلفظ: « لما بعث إلي بعث إلى صاحب الصور فأخذه فأهوى بيده إلى فيه فقدم رجلاً وأخر رجلاً متى يؤمر فينفخ فاتقوا النفخة ». وأما حديث: « ما طرف صاحب الصور » الخ فرواه أيضاً الحاكم وصححه ابن مردويه.

(فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة وانتظاراً لما يقضي عليهم من سعادة أو شقاوة، وأنت فيما بينهم) ومن جملتهم **(منكسراً كانكسارهم متحيراً كتحيرهم، بل إن كنت في الدنيا من المترفهين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض في ذلك اليوم هم أذل أهل الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطأون بالأقدام مثل الذر)** يشير إلى ما رواه أحمد والترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رفعه: « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان » الحديث وقد تقدم، **(وعند ذلك يقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة**

من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ، ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة ، وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير : ٥] ، ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لنحشُرَنَّهُم والشياطِينَ ثم لنُحضِرنَّهُم حولَ جهنَّم جثياً ﴾ [مريم : ٦٨] ، فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك .

صفة أرض المحشر وأهله :

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلاً إلى أرض المحشر ، أرض

بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ، ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾) قال البيضاوي : أي جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص ، ثم ردت تراباً أو أميتت من قولهم : إذا أجحفت السنة الناس حشرتهم وقرىء بالتشديد اهـ .

وقال أبي بن كعب : حشرت أي اختلطت ، وذلك إذا وقعت الجبال على الأرض فتحركت واضطربت ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم في بعض . رواه ابن أبي الدنيا في الأهوال ، وابن جرير وابن أبي حاتم . وقال الضحاك : حشرت أي ماتت . رواه عبد بن حميد . وروى عكرمة عن ابن عباس قال : حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة . رواه الحاكم وصححه . وقال الربيع بن خيثم : حشرت أي أتى عليها أمر الله رواه سعيد بن منصور . وقال قتادة : إن هذه الخلائق موافية يوم القيامة فيقضي الله فيها ما يشاء . رواه عبد بن حميد .

(**ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله**) . روى الطبراني وغيره من حديث أبي هريرة الطويل المتقدم ذكره قريباً : « وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع » الحديث (**تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾**) أي قعوداً على ركبهم رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس . وروى البيهقي في البعث من حديث عبدالله بن باباه كأني أراكم بالكوم دون جهنم جاثين ، وقيل : جثيا أي قياماً . رواه ابن أبي حاتم عن السدي ، (**فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك**) كيف يكون إن كنت من المتيقظين .

صفة أرض المحشر وأهله :

(**ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور**) من قبورهم (**وهم حفاة**) جمع حاف

بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها، ولا وهدة يتخفض عن الأعين فيها، بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليه زمراً، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة، والراجفة هي النفخة الأولى والرادفة هي الثانية، وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة الأبصار ولتلك أن تكون خاشعة، قال

(**عراة**) جمع عار (**غرلا**) جمع أغرل وهو الأقلف (**إلى أرض المحشر**) وهي (**بيضاء**) كأنها در مكة (**قاع صفصف**) مستو (**لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً**) العوج: محركة يقال فيما يدرك بالبصر كالخشب المنصوب ونحوه، وبالكسر فيما يدرك بفكر وبصيرة، وقد يكون في أرض بسيط عوج يعرف تفاوته بالبصر. وروى الحاكم من طريق ورقاء بن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿قاعاً صفصفا﴾ قال: مستوياً لا ترى فيها عوجاً أي تخفضاً ولا أمتاً أي مرتفعاً. (**ولا ترى عليها ربوة**) أي بقعة مرتفعة (**يختفي الإنسان وراءها ولا وهدة**) بقعة منخفضة (**ينخفض عن الأعين فيها، بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليه زمراً**) أي جماعة كما قال تعالى: ﴿فتأتون أفواجاً﴾ [النبأ: ١٨] (**فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم**) من الإنس والجن والشياطين والوحوش والطيور (**من أقطار الأرض**) أي جوانبها. وروى الحكيم من حديث ابن عمرو: «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدّ الأديم وحشر الله الخلائق الإنس والجن والدواب والوحوش» الحديث. ومن حديث جابر: «تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم ثم لا يكون لابن آدم منها إلا موضع قدميه». (**إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة، والراجفة هي**) الواقعة التي ترجف الأجرام عندها وهي (**النفخة الأولى**) لأنها ترجفهم وتزلزلهم عن مواضعهم، (**والرادفة هي**) النفخة (**الثانية**) لأنها تردفها أي تتبعها، وبينهما أربعون عاماً كما في حديث أبي هريرة، وبه فسر قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة ★ تتبعها الرادفة﴾ [النازعات: ٦، ٧] وقيل: المراد بالرادفة الأجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالأرض والجبال لقوله تعالى: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ [المزمل: ١٤] والرادفة هي السماء والكواكب تنشق وتنشر، وما ذكره المصنف هو المنقول عن أبي صالح رواه عبد بن حميد. وروي أيضاً عن قتادة: قال هما الصيحتان. أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله تعالى، وأما الأخرى فتحيي كل شيء بإذن الله تعالى. وروى نحوه عن الحسن. وروى أبو الشيخ وابن مردويه من حديث أبي هريرة ترجف الأرض رجفاً وتزلزل بأهلها وهي التي يقول الله: ﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾ يقول: مثل السفينة في البحر تكفأ بأهلها، أو مثل القنديل المعلق بأرجائه. وروى أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه، والبيهقي في الشعب من حديث أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: «أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه» وقد تقدم في أول هذا الكتاب، (**فحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة**) أي وجلة متحركة أو خائفة مضطربة من الوجيف وهو شدة الاضطراب والخفقان،

رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد » .

قال الراوي : والعفرة : بياض ليس بالناصع . والنقي : هو النقي عن القشر والنخالة . ومعلم : أي لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر .

ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها إلا في الاسم . قال تعالى : ﴿يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غَيرَ الأرضِ والسَّمواتُ﴾ [إبراهيم : ٤٨] ، قال ابن عباس : يزاد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظي ، أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة ، والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها . فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته ، فإنه إذا اجتمع

(**ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة**) أي ذليلة من الخوف . (**قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص**) وفي لفظ كقرصة (**النقي ليس فيها معلم لأحد »**) قال العراقي : متفق عليه من حديث سهل بن سعد ، وفصل البخاري قوله ليس فيها معلم لأحد فجعلها من قول سهل أو غيره وأدرجها مسلم فيها اهـ .

قلت : وكذلك رواه ابن حبان في الصحيح ، وابن جرير وابن مردويه كلهم كرواية مسلم . وروى ابن أبي حاتم عن سهل بن سعد في تفسيره قوله تعالى : ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ [النازعات : ١٤] قال : أرض بيضاء عفراء كالخبزة من النقي .

(**قال الراوي**) حين سئل عن المعنى ، (**فالعفرة**) بالضم (**بياض ليس بالناصع**) أي الخالص هكذا قاله الخطابي ، وقال عياض : بياض يضرب إلى حمرة قليلة . وقال ابن فارس : معنى عفراء خالصة البياض . وقال الداودي : شديدة البياض كذا قال : والأول المعتمد كذا في الفتح . (**والنقي**) كأمير (**هو النقي**) المخلص (**من القشر والنخالة**) ولذلك جاء تشبيهها في حديث آخر بالدرمكة وهي الخبز النقي ، (**و**) قوله (**لا معلم**) فيها لأحد (**أي لابناء يستر ولا تفاوت يرد البصر**) وهو مفعل من العلامة مصدر ميمي ، (**ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا**) في الهيئة والصفة هيهات (**لا تساويها إلا في الاسم**) فقط (**قال تعالى : ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾**) عطف على الأرض ، وتقديره : السموات غير السموات ، والتبديل يكون في الذات وفي الصفة والآية تحتملها ويدل على الثاني ما (**قال ابن عباس**) رضي الله عنهما : (**يزاد فيها وينقص**) منها (**وتذهب أشجارها**) وآكامها (**وجبالها وأوديتها وما فيها وتمدّ مدّ الأديم العكاظي**) منسوب إلى عكاظ وهو موضع بالحجاز ينسب إليه السوق والأديم الجلد منسوب إليه ، (**أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها**) . رواه البيهقي في البعث والنشور هكذا

الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر ، وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبينما هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم

موقوفاً على ابن عباس، وقد روي نحوه من حديث ابن مسعود في تفسير هذه الآية قال: أرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم تعمل فيها خطيئة. رواه البزار وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث هكذا عنه مرفوعاً. وروي عنه أيضاً موقوفاً عليه. وهكذا رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه. وقال البيهقي في البعث: والموقوف أصح. وروى ابن جرير وابن مردويه عن زيد بن ثابت قال: أتى اليهود النبي ﷺ يسألونه فقال: « جاؤوا يسائلوني سأخبرهم قبل أن يسألوني: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ قال: أرض بيضاء كالفضة. فسألهم فقالوا: أرض بيضاء كالنقي ». وروي الشيخان وابن جرير وابن مردويه من حديث أبي سعيد: « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفرة » الحديث. وروى ابن مردويه عن أفلح مولى أبي أيوب أن رجلاً من اليهود سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: « ما الذي تبدل به؟ قال: « خبزة » فقال اليهودي: درمكة بأبي أنت. قال: فضحك ثم قال: « قاتل الله اليهود هل تدرون ما الدرمكة لباب الخبز ». وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه، وروى البيهقي في البعث عن عكرمة قال: تبدل الأرض بيضاء مثل الخبزة يأكل منها أهل الإسلام حتى يفرغوا من الحساب. وروى ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم.

ومما يدل على القول الأول: ما رواه ابن جرير وابن مردويه عن أنس قال: يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة لم يعمل عليها الخطايا ثم ينزل عليها الجبار عز وجل. وروي ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي قال: تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب. وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: أرض كأنها فضة والسموات كذلك. وروى عبد بن حميد عن عكرمة قال: بلغنا أن هذه الأرض تطوى وإلى جنبها أخرى يحشر الناس منها إليها. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بن كعب قال: تغير السموات جناناً ويصير مكان البحر ناراً، وتبدل الأرض غيرها. وروى ابن جرير عن ابن مسعود قال: الأرض كلها نار يوم القيامة.

(فانظر يا مسكين في هول اليوم وشدته فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء) كما قال تعالى: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ [الانفطار: ٢] أي تساقطت متفرقة، **(وطمس الشمس والقمر)** كما قال تعالى: ﴿وإذا النجوم طمست﴾ [المرسلات: ٨] أي ذهب ضوؤها. وقال تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكوير: ١] أي لف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره، **(وأظلمت الأرض لخمود سراجها)** وذهاب ضوئه، **(فبينما أنت كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت)** بالغمام لقوله تعالى:

وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام، والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها! ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان، وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن، واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة. قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان» قالت سودة ـ زوج النبي ﷺ راوية الحديث ـ قلت: يا رسول الله واسوأتاه أينظر

﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ الفرقان: ٢٥] أو لنزول الملائكة كما قال تعالى: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ [الحاقة: ١٦] وروى ابن أبي حاتم عن علي قال: تتشقق السماء من المجرة (**مع غلظها وشدتها خمسمائة عام**) كما تقدم في كتاب التفكر، (**والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها**) كما قال تعالى: ﴿والملك على أرجائها﴾ أي جوانبها، وهو تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها إلى أطرافها وحواليها. (**فيا هول صوت انشقاقها في سمعك! ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها، ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان**). روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: فكانت وردة يقول حمراء مثل الدهان. قال: هو الأديم الأحمر. وروى ابن جرير عنه قال: كالدهان يقول تغير لونها. وروى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه قال: مثل لون الفرس الورد. وروى عبد بن حميد وابن جرير عن الضحاك قال: حمراء كالدابة الوردة. وروى عبد بن حميد عن أبي الجوزاء ﴿فكانت وردة كالدهان﴾ قال: وردة الجبل كالدهان قال: لصفاء الدهن. وروى أبو الشيخ في العظمة عن عطاء قال: لون السماء كلون دهن الورد في الصفرة وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال: هي اليوم خضراء كما ترون وإن لها يوم القيامة لوناً آخر. وروى محمد بن نصر عن لقمان بن عامر الحنفي أن النبي ﷺ مر بشاب وهو يقرأ: ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ [الرحمن: ٣٧] فوقف فاقشعر وخنقته العبرة فجعل يبكي ويقول: ويلي من يوم تنشق فيه السماء. فقال النبي ﷺ مثل ما تأتي فوالذي نفسي بيده لقد بكت الملائكة من بكائك. (**وصارت السماء كالمهل**) الرصاص المذاب. وروى السدي عن مرة عن ابن مسعود: قال: السماء تكون ألواناً تكون كالمهل، وتكون وردة كالدهان، وتكون واهية وتشقق فتكون حالاً بعد حال. (**وصارت الجبال كالعهن**) الصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال ألوان مختلفة، فإذا نسفت وتطيرت في الهواء أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح، (**واشتبك الناس كالفراش المبثوث**) أي المنتشر في الجوّ وكل ذلك في القرآن (**وهم عراة حفاة مشاة. قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان» قالت سودة زوج النبي ﷺ راوية الحديث**) هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس ابن عبد شمس القرشية العامرية، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة. رواه ابن

بعضنا إلى بعض؟ فقال: شغل الناس عن ذلك بهم: ﴿لكُلِّ امرئٍ مِنهُمْ يومئِذٍ شأن

إسحاق وهي التي جعلت يومها وليلتها لعائشة. توفيت سنة أربع وخمسين في قول الواقدي، **(قلت: يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال)** ﷺ **(«شغل الناس عن ذلك ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» ﴾)** قال العراقي: رواه الثعلبي والبغوي وهو في الصحيحين من حديث عائشة وهي القائلة واسوأتاه اهـ.

قلت: وروى أيضاً الطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث.

وأما حديث عائشة، قال أبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث: حدثنا محمد بن مصفى، عن بقية بن الوليد قال: حدثني الزبيري، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً» قالت عائشة: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ قال: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾» وأخرجه الشيخان من طريق حاتم بن أبي صعيرة عن عبدالله بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة. ورواه كذلك الحاكم وابن مردويه. وروى ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن أنس أن عائشة سألت رسول الله ﷺ فقالت: كيف يحشر الناس؟ قال: «حفاة عراة» قالت: واسوأتاه قال: «إنه نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثيابك أولا». قالت: أي آية هي؟ قال: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ وروى الطبراني في الأوسط بسند صحيح من حديث أم سلمة: «يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة» فقلت: يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «شغل الناس» قلت: ما شغلهم؟ قال: «نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل». وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر: «يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة غرلاً» قالت عائشة: ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «شغل الناس يومئذ عن النظر وسموا بأبصارهم إلى السماء موقوفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون». وفي رواية لمسلم قالت عائشة: يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض» وكذلك رواه الحاكم والبيهقي وعند الطبراني من حديث سهل بن سعد: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً قيل: يا رسول الله ينظر الرجال إلى النساء؟ فقال: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شان بغنيه﴾ ومن حديث الحسن بن علي: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة» قالت امرأة: يا رسول الله فكيف يرى بعضنا بعضا؟ قال: «إن الأبصار يومئذ شاخصة». وروى عبد بن حميد والترمذي والحاكم وصححاه وابن مردويه والبيهقي في البعث من حديث ابن عباس: «يحشرون حفاة عراة غرلاً» فقالت زوجته: أينظر بعضنا إلى عورة بعض؟ فقال: «يا فلانة لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه». وروى الشيخان من طرق عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بوعظه فقال: «إنكم محشورون عراة غرلاً فأول الخلائق يكسى إبراهيم». وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر: «يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة غرلاً» قالت عائشة: ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «شغل الناس يومئذ عن النظر وسموا بأبصارهم إلى

يَغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات. كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركباناً ومشاة على وجوههم، فقال رجل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: « الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم »، وفي طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها

السماء موقوفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ». وروى أحمد وأبو يعلى والخرائطي في مساوىء الأخلاق والطبراني والحاكم والضياء من حديث عبدالله بن أنيس الأنصاري: يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة عراة غرلاً بهماً » قال: « ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان ويكون القصاص بالحسنات والسيئات ».

(فاعظم بيوم تكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات) لشغلهم عن ذلك، (كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم. قال أبو هريرة) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ: « يحشر الناس يوم القيامة ثلاث أصناف: ركباناً ومشاة وعلى وجوههم » فقال رجل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: « الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ») قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وفي الصحيحين من حديث أنس أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: « أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة » اهـ.

قلت: لفظ الترمذي: « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم » قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: « إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك ». ورواه كذلك أحمد.

وأما حديث أنس؛ فرواه كذلك البخاري عن عبيد الله بن محمد ومسلم عن زهير بن حرب وغيرهم كلهم عن يونس بن محمد عن شيبان عن قتادة، وعن أنس رواه الشاشي عن عبد بن حميد عن يونس به. وفي حديث أبي ذر: « إن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج: فوج طاعمين كاسين راكبين، وفوج يمشون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشر الناس من ورائهم ». رواه أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي من رواية أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد عن أبي ذر وهم ثلاثة صحابيون.

(وفي طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على

كالبرق الخاطف لأنكر تصوّر المشي على غير رجل، والمشي بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها! فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عارياً مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقوة وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة.

صفة العرق:

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم، حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وأنس وشيطان ووحش وسبع وطير، فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها، ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين. ولم

بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشي على غير رجل، والمشي بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها، فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عارياً) عن اللباس **(مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء، وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة)**.

صفة العرق:

وهو محركة ما سال من بدن الإنسان مما تخرجه فوهات العروق ومسامها. قال ابن فارس: ولم يسمع له جمع.

(ثم تفكر) يا مسكين **(في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع و)** أهل **(الأرض السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير)** أوّلهم وآخرهم بحيث لا يشذ منهم أحد. **(فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرّها)** واشتد وهجها **(وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها، ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين)** كناية عن كمال القرب يقال: إنها تكون منهم على ميل كما سيأتي. وقد روي نحو هذا السياق عن سلمان رواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد قال: تعطى الشمسُ يوم القيامة حرّ عشر سنين، ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين، فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل. قال

يمكن من الاستظلال به إلا المقربون، فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها، ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضاً لشدة الزحام واختلاف الأقدام، وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء، فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة. ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله، فبعضهم بلغ العرق ركبتيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمة أذنيه، وبعضهم كاد يغيب فيه. قال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «يوم يقوم الناس لرب العالمين، حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»، وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «يعرق الناس يوم القيامة حتى

سلمان: حتى يقول الرجل غرغر. (**فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين، ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقربون**) أضاف الظل إلى العرش لأنه محل الكرامة، وإلا فالشمس وسائر العالم تحت العرش في القيامة حتى تدنو الشمس من رؤوس الخلائق. روى ابن المبارك في الزهد عن سلمان قال: بعد أن ساق كل ما ذكر قريباً: ولا يضرّ حرها مؤمناً ولا مؤمنة. قال القرطبي: المراد من يكون كامل الإيمان كما يدل عليه حديث المقداد وغيره: إنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم، (**فمن بين مستظل بالعرش**) وهم أصناف ذوو خصال متعددة كما وردت به الأخبار، وقد جمعها الحافظ ابن حجر في أماليه، ثم أفردها بكتاب سماه معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال، ثم ألف في ذلك بعده الحافظ السخاوي والحافظ السيوطي ومجموعها نحو تسعين خصلة، (**وبين مضح لحر الشمس قد صهرته**) أي أحرقته (**بحرّها واشتد كربه وغمه من وهجها**) محركة هو شدة اللهيب، (**ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضها بعضاً لشدة الزحام واختلاف الأقدام**) حتى أنه ما يملك أحد منهم إلا موضع قدميه كما جاء في الخبر، (**وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء**) واحتراق القلوب (**من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء**) جل جلاله، (**فاجتمع وهج الشمس وحرّ الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف، ففاض العرق**) أي سال (**من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة**) وهو موقفهم، (**ثم ارتفع إلى أبدانهم على قدر منازلهم عند الله، فبعضهم بلغ العرق ركبتيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمة أذنيه، وبعضهم كاد يغيب فيه. قال ابن عمر**) رضي الله عنهما: (**قال رسول الله ﷺ: «يوم يقدم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»**) قال العراقي: متفق عليه.

قلت: رواه كذلك مالك وهناد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن مردويه، ورواه البخاري أيضاً وابن ماجه بلفظ: «**يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**».

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ: «يعرق الناس يوم القيامة**

يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح. وفي حديث آخر: « قياماً شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب »، وقال عقبة بن عامر: قال رسول الله ﷺ: « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه ـ وأشار بيده فألجمها فاه ـ ومنهم من يغطيه العرق ـ وضرب بيده على رأسه

حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً ويلجمهم ويبلغ آذانهم» كذا رواه البخاري ومسلم) كلاهما **(في الصحيح)** هو كما قال. وفي لفظ ذراعاً بدل باعاً وفي آخره حتى يبلغ. **(وفي حديث آخر: « قياماً شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب »)** قال العراقي: رواه ابن عدي من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى بن سليمان الجرجاني ضعفه ابن معين. وقال ابن عدي: لا أظن أنه كان يتعمد الكذب لكن لعله يشبه عليه اهـ.

قلت: ورواه البيهقي في البعث بلفظ: « إذا حشر الناس قاموا أربعين عاماً شاخصة أبصارهم إلى السماء لا يكلمهم الله والشمس على رؤوسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر ». ورواه محمد ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة عن ابن مسعود موقوفاً عليه. ومن حديث أبي هريرة نحوه.

قلت: وحديث أبي هريرة هو الأقرب لسياق المصنف من حديث ابن مسعود. رواه البيهقي في البعث ولفظه: « يحشر الناس قياماً شاخصة أبصارهم إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب ».

(وقال عقبة بن عامر) رضي الله عنه. **(قال رسول الله ﷺ: « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه، ومنهم من يبلغ نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم ىن يبلغ فخذه، ومنهم من يبلغ فاه ـ وأشار بيده فالجمها فاه ـ)** هو تفسير لما أشار به يعني أنه جعل يده في فمه كما يجعل اللجام في الفم، **(ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكـذا ـ »)** قال العراقي: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت: هذا السياق هو للحاكم، وأما سياق أحمد المشار إليه: « فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ حلقه، ومنهم من يلجمه، ومنهم من يغمره ». وكذلك رواه الطبراني والحاكم أيضاً من وجه آخر، وقد روي ذلك من حديث أبي أمامة والمقداد بن معدي كرب والمقداد بن الأسود.

أما حديث أبي أمامة؛ فرواه أحمد وابن منيع والطبراني: « تدنو الشمس يوم القيامة على قدر

هكذا ـ »، فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم، وفيهم من ينادي فيقول: رب أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً فإنك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق.

واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله ـ من حج وجهاد وصيام وقيام

ميل ويزاد في حرها كذا وكذا تغلي منه الهوام كما تغلي القدور على الأثافي يعرقون منها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق» والهوام جمع هامة وهي قمة الرأس.

وأما حديث المقدام بن معدي كرب، فرواه الطبراني في الكبير: «تدنو الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من الناس على قدر ميلين ويزداد في حرها فيضجرهم فيكونوا في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه العرق إلى كعبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاماً».

وأما حديث المقداد، فرواه مسلم: «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً» وهذا ظاهر في أنهم يستوون في وصول العرق إليهم، ويتفاوتون في حصوله منهم.

فإن قلت: الشمس محلها السماء، وقد قال الله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطيّ السجل﴾ [الأنبياء: ١٠٤] والألف واللام في السماء للجنس بدليل: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] فما طريق الجمع؟ قلت: يجوز أن تقام بنفسها دانية من الناس في الحشر ليقوى هوله وكربه. وقال ابن أبي هبيرة: ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك، ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله فأشدهم الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم.

(فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم، وأن فيهم من ينادي ويقول: رب أرحني من هذا الكرب والانتظار، ولو إلى النار) فيود أن يذهب إلى النار ولا يصطلي بنار الانتظار، ومن هنا قولهم: الوقوع في البلاء ولا الانتظار فيه. وقولهم: الانتظار أشد من النار. وروى أبو يعلى وابن حبان وصححه والطبراني من حديث ابن مسعود: «إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول يا رب أرحني ولو إلى النار» وهذا صريح في أن ذلك كله في الموقف. **(وكل ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً)** ولم يظهر لهم عاقبة الأمر، **(فإنك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق)**. وما أظن إلا أنه يلجمك إلجاماً إلا أن يتداركك الله بعفوه.

(واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد

وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر ـ فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة، فإنه يوم عظيمة شدته طويلة مدته.

صفة طول يوم القيامة:

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم، يقفون ثلاثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم. قال كعب وقتادة: ﴿يَوم يَقُومُ النَّاسُ لربِّ العالمين﴾ [المطففين: ٦] قال: يقومون مقدار ثلاثمائة عام. بل قال عبدالله بن عمر، وتلا رسول الله ﷺ هذه الآية ثم

في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر، فيستخرجه الحياء والخوف) غداً (**في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب**) وتشتد المشقة. (**ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم شديد**) كربه (**طويلة مدته**) وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ليوم عظيم﴾ [المطففين: ٥].

صفة طول يوم القيامة:

(**يوم يقف فيه الخلائق**) بأجمعهم جنهم وأنسهم وملكهم ودوابهم ووحوشهم (**شاخصة أبصارهم**) إلى السماء، (**منفطرة قلوبهم**) من الخوف والرعب، (**لا يكلمون**) ولا يخاطبون (**ولا ينظر في أمورهم يقفون**) في ذلك الصعيد الواسع (**ثلاثمائة عام**) كما في الخبر الآتي، (**لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة**) وهم في شغل عن ذلك كما مرّ ذلك في حديث ابن عمر، (**ولا يجدون فيه روح نسيم**) ولا ولي حيم. (**قال كعب**) الأحبار، (**وقتادة**) بن دعامة البصري رحمهما الله تعالى في قوله تعالى: (﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ **قال**) كل منهما: (**يقومون مقدار ثلاثمائة عام**). أما قول كعب: فرواه ابن المنذر بزيادة لا يؤذن لهم بالقعود، وأما قول قتادة؛ فرواه عبد بن حميد بلفظ: سنة بدل عام. وقد روي نحو هذا عن حذيفة. قال: يقوم الناس على أقدامهم يوم القيامة مقدار ثلاثمائة سنة. رواه ابن مردويه، وروى ابن مردويه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لبشير الغفاري: «كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس لرب العالمين مقدار ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا لا يأتيهم خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر» قال بشير: المستعان بالله يا رسول الله. الحديث. ورواه ابن النجار في تاريخه بلفظ آخر يأتي ذكره قريباً، (**حتى قال عبدالله بن عمر**) هكذا في النسخ وفي بعضها عبدالله بن عمرو (**تلا رسول الله ﷺ هذه الآية**) يعني قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (**ثم قال:**

قال: « كيف بكم إذا جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم » . وقال الحسن: ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم، فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم وقال: دعوني! نفسي نفسي! شغلني أمري

« كيف بكم إذا جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم ») قال العراقي: إنما هو عبدالله بن عمر، ورواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكر له ابن أبي حاتم راوياً غير ابن وهب ولهم عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أربعة هذا أحدهم مصري والثلاثة الآخرون شاميون اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث، وعن عبد الرحمن بن ميسرة المصري يكنى أبا ميسرة مقبول مات سنة ثمان وثمانين وله سبعون سنة، ولم يخرج له في الستة شيء، وعبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أبو سلمة الحمصي مقبول أيضاً، روى له أبو داود وابن ماجه وعبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أبو شريح مجهول، روى عنه شيء من كلامه في التفسير، وعبد الرحمن بن ميسرة الكلبي أو الحضرمي أبو سليمان الدمشقي مقبول، وهذان لم يرو لهما شيء في السنة. وروى ابن النجار في تاريخه من حديث أبي هريرة أن رجلاً كان له من رسول الله ﷺ مقعد يقال له بشير ففقده فذكر الحديث، وفيه: « فكيف بيوم مقداره خمسون ألف سنة يوم يقوم الناس لرب العالمين ». وروى أحمد في الزهد عن القاسم بن أبي بزة قال: حدثني من سمع عمر قرأ: ﴿ويل للمطففين﴾ حتى بلغ ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ قال: بمقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة. وروى الطبراني عن ابن عمر وأنه قال: يا رسول الله كم تقام الناس بين يدي رب العالمين يوم القيامة؟ قال: « ألف سنة لا يؤذن لهم » وروى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن عبدالله بن العيزار قال: إن الأقدام في يوم القيامة كمثل النبل في القرن، والسعيد من وجد لقدمه موضعاً. وروى النقاش من رواية ابن مسعود عن علي بن أبي طالب: إن في القيامة لخمسين موقفاً كل موقف منها ألف سنة الحديث بطوله، وفيه عجائب وإسناده مظلم.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى يصف أهوال ذلك اليوم: **(ما ظنك في يوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به طلب بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم، فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم وقال: دعوني نفسي**

عن أمر غيري. واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال: قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن له فيه: ﴿لا تنفع الشفاعة إلا من أذِنَ لهُ الرَّحْمَنُ ورضِيَ له قولاً﴾ [طه: ١٠٩] فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر.

واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة، قال رسول الله ﷺ لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال: « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا »، فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس

نفسي شغلني أمري عن أمر غيري، واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى. وقال: قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن لهم فيه ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾) رواه أبو نعيم في الحلية وسيأتي بعضه مرفوعاً في حديث الشفاعة.

(**فتأمل**) يا مسكين (**في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي**) والمخالفات (**في عمرك**) القصير (**المختصر، واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة. قال رسول الله ﷺ لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال: « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا »**) قال العراقي: رواه أبو يعلى والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه ابن لهيعة. ورواه ابن وهب عن عمرو بن الحرث بدل ابن لهيعة وهو حسن، ولأبي يعلى من حديث أبي هريرة بإسناد جيد: « يهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب ». ورواه البيهقي في الشعب إلا أنه قال: أظنه رفعه بلفظ: « إن الله ليخفف على من يشاء من عباده طول ذلك اليوم كوقت صلاة مفروضة » اهـ.

قلت: حديث أبي سعيد رواه أيضاً أحمد وابن جرير وابن حبان والضياء في المختارة بلفظ: « من صلاة مكتوبة ». وروى أحمد في الزهد عن القاسم بن أبي بزة عمن سمع عمر يقول: « يهون ذلك اليوم على المؤمن كتدلي الشمس من الغروب حتى تغرب » وروى ابن المنذر عن كعب: « فأما المؤمن فيهون عليه كالصلاة » وروى عبد بن حميد عن قتادة: « يخفف الله ذلك اليوم ويقصره على المؤمن كمقدار نصف يوم أو كصلاة مكتوبة ». وروى ابن مردويه عن حذيفة قال: « يهون ذلك اليوم على المؤمن كقدر الصلاة المكتوبة ».

من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيديك، فاعمل في أيام قصار لأيام طوال تربح ربحاً لا منتهى لسروره، واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة، فإنك لو صبرت سبعة آلاف سنة، مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفاً لكان ربحك كثيراً وتعبك يسيراً.

صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه:

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه، المديد زمانه، القاهر سلطانه، القريب أوانه، يوم ترى السماء فيه قد انفطرت، والكواكب من هوله قد انتثرت، والنجوم الزواهر قد انكدرت، والشمس قد كوّرت، والجبال قد سيرت، والعشار قد عطلت، والوحوش قد حشرت، والبحار قد سجرت، والنفوس إلى الأبدان قد زوجت، والجحيم قد سعرت، والجنة قد أزلفت، والجبال قد نسفت، والأرض قد مدت يوم

(فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيديك، واعمل في أيام قصار لأيام طوال تربح ربحاً منتهى لسروره، واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة) بالهلالي يزيد منها نحو مائتين سنة، **(فإنك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلاً لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفاً لكان ربحك كثيراً وتعبك يسيراً)**.

صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه:

(فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر سلطانه) الشديد هوله وحسابه وجزاؤه **(القريب أوانه)** لقوله تعالى: ﴿إنهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً﴾ [المعارج: ٦، ٧] لأنه آت وكل آت قريب **(يوم ترى السماء فيه قد انفطرت)** أي انشقت، **(والكواكب من هـوله قد انتشرت)** أي وقعت متفرقة، **(والنجوم الزواهر)** أي المضيئة **(قد انكدرت)** أي تغيرت ألوانها، **(والشمس قد كوّرت)** أي لفت كما تلف العمامة أو لف ضوءها فذهب أثره أو ألقيت مجتمعة، **(والجبال قد سيرت)** عن وجه الأرض أو في الجوّ، **(والعشار قد عطلت)** جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وعطلت أي تركت مهملة أو السحائب عطلت عن المطر، **(والوحوش قد حشرت)** أي جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص ثم ردت تراباً، أو أميتت من قولهم: إذا أجحفت السنة بالناس حشرتهم، **(والبحار قد سجرت)** أي اججت وأحميت أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً من سجر التنور إذا ملاه بالحطب ليحميه، **(والنفوس إلى الأبدان قد زوجت)** أي قرنت بها أو المعنى قرن كل منها بشكلها أو بكتابها أو بعلمها، أو نفوس بالحور، ونفوس الكافرين بالشياطين، **(والجحيم قد سعرت)** أوقدت إيقاداً شديداً، **(والجنة قد أزلفت)** قربت من المؤمنين، **(والجبال قد نسفت)**

ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، يومئذ تعرضون ولا تخفى منكم خافية، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة، يوم ترج الأرض فيه رجاً وتبس الجبال بساً فكانت هباء منبثاً، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار، يوم تنسف

أي جعلت كالرمل حتى صارت قاعاً مستوياً، **(والأرض قد مدت)** بسطت بأن تزال جبالها وآكامها، **(يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها)** اضطرابها المقدر لها عند النفخة الأولى أو الثانية أو الممكن لها أو اللائق بها في الحكمة، **(وأخرجت الأرض أثقالها)** ما في جوفها من الدفائن والأموات، **(يومئذ يصدر الناس)** من مخارجهم من القبور إلى الموقف **(أشتاتاً)** متفرقين بحسب مراتبهم **(ليروا أعمالهم)** أي جزاء أعمالهم. **(يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة)** أي بسطتا بسطة واحدة. يقال: أكمة دكاء أي منبسطة، **(فيومئذ وقعت الواقعة)** أي حدثت القيامة سميت واقعة لتحقق وقوعها، **(وانشقت السماء)** لنزول الملائكة **(فهي يومئذ واهية)** أي ضعيفة، **(والملك على أرجائها)** أي أطرافها وجوانبها **(ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)**، وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الأرض السفلى والأرضون والسموات إلى حجرهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل بالتسبيح كما ورد ذلك في الخبر، **(يومئذ تعرضون على ربكم)** لأجل الحساب **(لا تخفى منكم خافية. يوم تسير الجبال)** أي تقلع من الأرض فتجعل هباء منثوراً **(وترى الأرض بارزة)** بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها، **(يوم ترج الأرض رجاً)** أي تحرك تحركاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل، **(وتبّس الجبال بساً)** أي تفنى حتى تصير كالسويق الملتوت من بس السويق إذا لتّ أو تسار سيراً من بسّ الغنم إذا ساقها، **(فكانت هباء)** غباراً **(منبثاً)** منشراً. **(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)** في كثرتهم وانتشارهم واضطرابهم، **(وتكون الجبال كالعهن)** أي كالصوف ذي الألوان **(المنفوش)** المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها في الجوّ، **(يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت)** الذهول: الذهاب عن الأمر بدهشة، والمقصود أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت، **(وتضع كل ذات حمل حملها)** أي جنينها، **(وترى الناس سكارى)** أي كأنهم سكارى **(وما هم بسكارى)** على الحقيقة، **(ولكن عذاب الله شديد)** فارهقهم هوله بحيث طير عقلهم وأذهب تمييزهم. **(يوم تبدل الأرض غير الأرض)** إما في الذات أو في الصفات وقد تقدم، **(والسموات)** غير

فيه الجبال نسفاً فتترك قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا امتا، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان، فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان، يوم يمنع فيه العاصي من الكلام، ولا يُسأل فيه عن الإجرام بل يؤخذ بالنواصي والأقدام، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتهد ما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين، إذ قال له الصديق رضي الله عنه: أراك قد شبت يا رسول الله قال: « شيبتني هود وأخواتها »، وهي الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كوّرت، فيا أيها القارىء العاجز إنما حظك من قراءتك أن تمجمج القرآن وتحرك به اللسان، ولو كنت متفكراً فيما تقرأه، لكنت جديراً بأن تنشق مرارتك مما شاب منه شعر سيد المرسلين،

السموات، (**وبرزوا لله الواحد القهار**) في أرض المحشر لأجل الحساب. (**يوم تنسف فيه الجبال نسفاً**) أي تصير كالرمل فتنسفه الريح، (**فتترك قاعاً صفصفاً**) مستوياً (**لا ترى فيها عوجاً**) وهدة (**ولا أمتا**) ولا ارتفاعاً. (**يوم ترى الجبال تحسبها جامدة**) أي ثابتة قارة (**وهي تمرّ مر السحاب**) في سرعة مروره. (**يوم تنشق فيه السماء**) بالغمام (**فتكون وردة**) صفراء (**كالدهان**) الأديم الأحمر أي على هيئة لونه، (**فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان**) لأنهم لا يعرفون بسيماهم، وذلك حين يخرجون من قبورهم ويحشرون إلى الموقف ذوداً ذوداً على اختلاف مراتبهم وأما قوله: ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾ [الحجر: ٩٢] ونحوه فحين يحاسبون في المجمع. (**يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسأل فيه عن الإجرام**) جمع جرم بالضم وهو الذنب، (**بل يؤخذ بالنواصي والأقدام**) مجموعاً بينهما أو يؤخذون بالنواصي تارة وبالأقدام أخرى. (**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً. يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت**) من خير أو شر، (**وتشهد ما قدمت**) من عمل أو صدقة (**وأخرت**) من سيئة أو تركة ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع، (**يوم تخرس فيه الألسن**) بعد أن كانت فصاحاً، (**وتنطق الجوارح**) وأوّل من ينطق منها الفخذ كما ورد في الخبر. (**يوم شيب ذكره سيد المرسلين**) ﷺ (**إذ قال له**) أبو بكر (**الصديق رضي الله عنه: أراك قد شبت يا رسول الله؟ قال: « شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كوّرت »**) رواه الترمذي وقال حسن غريب، والحاكم من حديث ابن عباس، ورواه الحاكم أيضاً عنه عن أبي بكر. وعند الطبراني وابن مردويه من حديث سهل بن سعد: « شيبتني هود وأخواتها الواقعة والحاقة وإذا الشمس كوّرت » وقد تقدم الكلام عليه مفصلاً. (**فيا أيها القارىء العاجز إنما حظك من قراءتك أن تجمع القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكراً فيما تقرأه**) متأملاً فيما في باطن ألفاظه من المعاني (**لكنت**

وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن، فالقيامة أحد ما ذكر فيه. وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر من أساميها لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها، فليس المقصود بكثرة الأسامي تكرير الأسامي والألقاب بل الغرض تنبيه أولي الألباب، فتحت كل اسم من أسماء القيامة سرّ وفي كل نعت من نعوتها معنى، فاحرص على معرفة معانيها.

ونحن الآن نجمع لك أساميها. وهي: يوم القيامة، ويوم الحسرة، ويوم الندامة، ويوم

جديراً بأن تنشق مرارتك فيما شاب منه شعر سيد المرسلين) ﷺ، **(وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن، فالقيامة أحد ما ذكر فيه، وقد وصف الله بعض دواهيها)**.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق عن عبدالله بن بجير، عن عبد الرحمن بن يزيد الصغاني، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة رأي عين فليقرأ إذا الشمس كوّرت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت». ورواه الترمذي عن عباس العنبري عن عبد الرزاق به وحسنه وقال: روى هشام بن يوسف وغيره هذا الحديث بهذا الإسناد ولم يذكروا إذا السماء انشقت وإذا السماء انفطرت. **(وأكثر من أساميها)** وصفاتها في مواضع منه متعددة **(لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها، فليس المقصود تكرير الأسامي والألقاب، بل الغرض تنبيه أولي الألباب)** وتذكيرهم بها ليتنبهوا لدرك معانيها **(فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر، وفي كل نعت من نعوتها معنى)** غريب، **(فاحرص على معرفة معانيها)** إن كنت من أولي الألباب المتنبهين.

(ونحن الآن نجمع لك أساميها وهي يوم القيامة) وهو أشهر أسمائها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه بهذا الاسم في مواضع كثيرة. ومنها سورة مخصوصة بهذا الاسم وإنما سميت بها لمفتتحها ولقوله: ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ [القيامة: ٦] ولاشتمالها على بيان هول القيامة وهيبتها، وبيان إثبات البعث وتأثير القيامة في أعيان العالم والوعد باللقاء والرؤية والخبر عن حال السكرة والرجوع إلى برهان القيامة، وتقرير القدرة على بعث الأموات. وأصل القيامة قوامة قلبت الواو ياء جوازاً مع الكسرة والتاء للصفة، سمي اليوم بها لأن الناس يقومون فيه أي ينتصبون لرب العالمين فلا يؤذن لهم بالقعود. وقال المناوي: القيامة عبارة عن قيام الساعة وأصلها ما يكون من الإنسان دفعة واحدة. **(ويوم الحسرة)** لأن الناس يتحسرون فيه، فالمسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه. **(ويوم الندامة)**: لأنهم يندمون فيه على ما فاتهم من الأعمال الصالحة والحسرة الغم على ما فات والندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، وعبر بعضهم بقوله: الحسرة بلوغ النهاية في التلهف حتى يبقى القلب حسيراً لا موضع فيه لزيادات التلهف، والندامة التحسر من تغير رأي في أمر فائت. وقيل: هو أن يلوم نفسه على تفريط وقع منه، وقيل: غم يصحب

المحاسبة، ويوم المساءلة، ويوم المسابقة، ويوم المناقشة، ويوم المنافسة، ويوم الزلزلة، ويوم الدمدمة، ويوم الصاعقة، ويوم الواقعة، ويوم القارعة، ويوم الراجفة، ويوم الرادفة، ويوم الغاشية، ويوم الداهية، ويوم الآزفة، ويوم الحاقة، ويوم الطامة، ويوم الصاخة، ويوم التلاق، ويوم الفراق، ويوم المساق، ويوم القصاص، ويوم التناد، ويوم

الإنسان يتسى أن ما وقع منه لم يقع. (**ويوم المحاسبة**): وهو مفاعلة من الحساب وهو استيفاء الإعداد فيما للمرء وعليه فهم يحاسبون فيه أعمالهم على القليل والكثير. (**ويوم المساءلة**): مفاعلة من السؤال وهو استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة فهم يسألون فيه عن كل شيء جليل وحقير. (**ويوم المسابقة**): مفاعله من السبق لأنهم بعد فراغهم من الحساب يتسابقون إلى مراتبهم. (**ويوم المناقشة**): مفاعلة من النتش وهو التدقيق في الحساب فهم يدقق عليهم في كل قليل وكثير. (**ويوم المنافسة**): مفاعلة من النفس وحقيقتها مجاهدة النفس باللحوق إلى درجات الصالحين. (**ويوم الزلزلة**): أي الاضطراب فإن الجبال والأرضين تضطرب فيه فتزول عن مواضعها. (**ويوم الدمدمة**): سمي بذلك لأنه يدمدم عليهم العذاب فيه أي يطبق من قولهم: ناقة مدمدة إذا كسبها السمن، (**ويوم الصاعقة**) لأنه يصعق من في السموات والأرض. (**ويوم الواقعة**) ولا يقال إلا في الشدة والمكروه، وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ وقع جاء في العذاب والشدائد نحو: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ أي القيامة. (**ويوم القارعة**): سمي باسم الساعة أو الحالة التي تقرع الناس بالإقراع والإجرام بالانفطار والانتثار. (**ويوم الراجفة**): سمي باسم الساعة أو الحالة وهي النفخة التي ترجف الناس والأجرام أي تزلزلهم عن مواضعهم. (**ويوم الرادفة**): سمي باسم النفخة الثانية فإنها تردف الأولى أي تتبعها وبينهما أربعون سنة كما تقدم. (**ويوم الغاشية**): سمي باسم الساعة أو الحالة التي تغشى الناس بشدائدها، (**ويوم الداهية**) التي تدهي الناس بشدائدها وهي النائبة والنازلة، والجمع الدواهي وهي اسم فاعل من دهاه الأمر يدهاه إذا نزل به، (**ويوم الآزفة**): بالمد سمي باسم الساعة القريبة لدنوها وقربها أزفت الآزفة أي دنت القيامة، وقد أزف الرحيل كتعب أزفاً وأزوفاً دنا وقرب، (**ويوم الحاقة**): بتشديد القاف سمي باسم الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها أو التي تحق فيها الأمور. أي تعرف حقيقتها أو تقع فيه حواق الأمور من الحساب والجزاء على الإسناد المجازي. (**ويوم الطامة**): بتشديد الميم يقال: طم الماء طموماً غمر، وطم الإناء ملأه والركية دفنها وسوّاها والشيء كثر وعلا، وسميت القيامة طامة لذلك. (**ويوم الصاخة**): بتشديد الخاء وهي في الأصل شدة صوت ذي النطق. صخ يصخ صخاً سميت القيامة به لأنهم يصخون فيه لشدة اضطرابهم واختلاطهم. (**ويوم التلاق**): وهو تفاعل من اللقي لأنهم يلاقي بعضهم فيه بعضاً. (**ويوم الفراق**): لأنهم يفارقون فيه مألوفاتهم. (**ويوم المساق**): لأنهم يساقون فيه إلى المحشر، (**ويوم القصاص**) لأنهم يقاصون فيه حتى تقتص الشاة القرناء من الشاة الجماء، (**ويوم التناد**) بتخفيف الدال لأنهم ينادون فيه بعضهم بعضاً لشدة

الحساب، ويوم المآب، ويوم العذاب، ويوم الفرار، ويوم القرار، ويوم اللقاء، ويوم البقاء، ويوم القضاء، ويوم الجزاء، ويوم البلاء، ويوم البكاء، ويوم الحشر، ويوم الوعيد، ويوم العرض، ويوم الوزن، ويوم الحق، ويوم الحكم، ويوم الفصل، ويوم الجمع، ويوم البعث، ويوم الفتح، ويوم الخزي، ويوم عظيم، ويوم عقيم، ويوم عسير، ويوم الدين، ويوم اليقين، ويوم النشور، ويوم المصير، ويوم النفخة، ويوم الصيحة، ويوم الرجفة، ويوم الرجة، ويوم الزجرة، ويوم السكرة، ويوم الفزع، ويوم الجزع،

اضطرابهم، **(ويوم الحساب)** : وهو ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه، **(ويوم المآب)** : أي المرجع لأنهم يرجعون فيه إلى الله أو يرجعون إلى إحدى الدارين الجنة أو النار، **(ويوم العذاب)** : وهو كل عقوبة مؤلمة واستعير للأمور الشاقة فإنهم يعاقبون فيه بقدر معاصيهم، **(ويوم الفرار)** لأنه يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه، **(ويوم القرار)** : لأنهم يستقرون فيه إما في جنة أو في نار، **(ويوم اللقاء)** : لأنهم يلاقون فيه ربهم، **(ويوم البقاء)** : لأنهم يثبتون فيه على أحوالهم التي قرروا فيها، **(ويوم القضاء)** لأنه يقضى فيه وينفذ الأمر المقدر، **(ويوم الجزاء)** : لأنهم يجازون فيه بأعمالهم، **(ويوم البلاء)** : وهو الشدة والامتحان لأنهم يمتحنون فيه ويشتد عليهم الأمر فيه، **(ويوم البكاء)** : لأنهم يبكون فيه على أنفسهم حسرة وندامة، **(ويوم الحشر)** : لأنه يحشر فيه الخلق باجمعهم إلى الصعيد الواسع، **(ويوم الوعيد)** لأنه يحقق فيه إيعادهم بالشر وينجز، **(ويوم العرض)** لأنه تعرض فيه أعمالهم على الله تعالى ويوصف بالأكبر فيقال يوم العرض الأكبر، **(ويوم الوزن)** لأنه توزن فيه أعمالهم بالميزان، **(ويوم الحق)** لأنه يحق فيه العذاب والثواب أو تحق فيها الأمور أن تعرف حقيقتها، **(ويوم الحكم)** لأن الله تعالى يحكم فيه بحكمه لا معقب لحكمه ولا رادّ له، **(ويوم الفصل)** لأنه تفصل فيه الأحكام، **(ويوم الجمع)** لأنه يجمع فيه الأوّلون والآخرون. **(ويوم البعث)** : لأنه تبعث فيه الأرواح فتدخل في الأجسام، **(ويوم الفتح)** لأنه يزال فيه الانغلاق والأشكال فتنكشف الأمور على حقيقتها. **(ويوم الخزي)**: لأنه نظهر فيه القبائح التي يستحيا من إظهارها عقوبة فيلحق بذلك الغم والانكسار والهوان، **(ويوم عظيم)** لعظم هوله وحسابه وجزائه، **(ويوم عسير)** لعسره وشدته. **(ويوم الدين)** : أي يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان، وقيل: الدين الشريعة، وقيل: الطاعة، والمعنى يوم جزاء الدين، وتخصيص اليوم بالإضافة إما لتعظيمه أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمور فيه. **(ويوم اليقين)** لأنه تظهر فيه الحقائق ظهوراً لا مجال للشك فيه. **(ويوم النشور)** : لأنه تنشر فيه الأجسام من القبور إلى الموقف: **(ويوم المصير)** : أي المرجع إلى الله تعالى. **(ويوم النفخة)** : لأنه ينفخ فيه الصور. **(ويوم الصيحة)** : لأن الله تعالى يأمر إسرافيل في النفخة الأولى أن يمدها ويطولها فلا يفتر، وهو الذي يقول الله فيها: ﴿ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق﴾ [ص: ١٥] كما في خبر أبي هريرة. **(ويوم الرجفة)** أي الاضطراب الشديد ترجف فيه الجبال والأرضون. **(ويوم الرجة)** : ترج فيه الأرض بأهلها فتميد الناس على ظهرها. **(ويوم**

ويوم المنتهى، ويوم المأوى، ويوم الميقات، ويوم الميعاد، ويوم المرصاد، ويوم الفلق، ويوم العرق، ويوم الافتقار، ويوم الانكدار، ويوم الانتشار، ويوم الانشقاق، ويوم الوقوف، ويوم الخروج، ويوم الخلود، ويوم التغابن، ويوم عبوس، ويوم معلوم، ويوم موعود، ويوم مشهود، ويوم لا ريب فيه، ويوم تبلى السرائر، ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا، ويوم تشخص فيه الأبصار، ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً، ويوم لا تملك

الزجرة): لأن الملائكة تزجر فيه العصاة والمذنبين **(ويوم السكرة)**: لأنه تسكر فيه العقول لشدة هوله. **(ويوم الفزع)**: لما يعتري لهم فيه من الانقباض والخوف ويقال: يوم الفزع الأكبر. **(ويوم الجزع)**: لما يعتري لهم فيه من الحزن الذي يصرفهم عما هم بصدده ويقطعهم عنه **(ويوم المنتهى)** لأنه ينتهي فيه الأمر إلى الله تعالى. **(ويوم المأوى)** أي المرجع إما إلى الجنة أو إلى النار، **(ويوم الميقات)** أي الوقت وهو مقدار من الزمان مفروض لأمر ما فهو ميقات مقدر له غاية، **(ويوم الميعاد)**: وهو يكون زماناً ومكاناً **(ويوم المرصاد)**: لأنه يرتقب فيه وينتظر لما يحل من الثواب والعقاب. **(ويوم الغلق)**: محركة لأنه تغلق فيه الأمور وتتغير الأحوال ويبدل السرور بالوحشة والوحشة بالسرور، **(ويوم العرق)**: محركة لأنه تسيل فيه الأعراق فتجتمع تحت القدمين وتفور إلى فوق، فمنهم من يوسطه، ومنهم من يغمره كما في الخبر السابق. **(ويوم الافتقار)**: لأنه يظهر فيه شدة الاحتياج إلى المعين والشفيع، **(ويوم الانكدار)** لأنه تتكدر فيه النجوم أي يتغير لونها. **(ويوم الانتشار)**: لأنه تنتشر فيه النجوم أي تتساقط على الأرض مبددة. **(ويوم الانشقاق)**: لأنه تنشق فيه السموات لنزول الملائكة. **(ويوم الوقوف)**: لأنهم يقفون فيه أربعين يوماً لا يؤذن لهم بالقعود. **(ويوم الخروج)**: أي البروز من مقارهم وهي القبور. **(ويوم الخلود)**: أي البقاء إما في الجنة أو في النار. **(ويوم التغابن)**: سمي به لظهور الغبن في المبايعة المشار إليها بقوله: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ [البقرة: ٢٠٧] وقوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ [التوبة: ١١١] وقوله: ﴿الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً﴾ [آل عمران: ٧٧] فعلموا أنهم قد غبنوا فيما تركوا من المبايعة، وفيما تعاطوا من ذلك جيعاً. وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقال: تبدو الأشياء لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا، وقيل: سمي بذلك لأن أهل الجنة يغبن أهل النار، **(ويوم عبوس)**: أي شديد يقال: عبس اليوم إذا اشتد، ومنه قولهم: أعوذ بالله من ليلة بوس ويوم عبوس. **(ويوم معلوم)**: لأنهم قد علموه وأخبرهم الرسل بذلك فهو لا يتقدم ولا يتأخر، **(ويوم موعود)**: قد وعد الله بذلك وهو حق، **(ويوم مشهود)**: لأنه تشهد الملائكة أو لأنه يشهده الأوّلون والآخرون. **(ويوم لا ريب فيه)**: أي لا شك ولا تردد، **(ويوم تبلى السرائر)**: أي تمتحن البواطن فتنكشف على جليتها. **(ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً)** لكمال شغلهم بأنفسهم، **(ويوم تشخص فيه الأبصار)**: أي ترتفع نحو السماء لما يعتريهم من الذهول. **(ويوم لا يغني**

نفس لنفس شيئاً ، ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ، ويوم يسحبون في النار على وجوههم ، ويوم تقلب وجوههم في النار ، ويوم لا يجزي والد عن ولده ، ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون ، يوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . يوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الأستار . يوم تخشع فيه الأبصار ، وتسكن الأصوات ويقل فيه الالتفات ، وتبرز الخفيات ، وتظهر الخطيئات ، يوم يساق العباد ومعهم الأشهاد ، ويشيب الصغير ويسكر

مولى عن مولى شيئاً ، ويوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أي يدفعون إليها دفعاً شديداً . **(ويوم يسحبون في النار على وجوههم)** : يتقون بوجوههم كل حدب وشوك . **(ويوم تقلب وجوههم في النار ، ويوم لا يجزي والدعن ولده)** ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، **(ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه)** ، وهم الأقربون إليه فيفر منهم لشغله بما دهاه من الفزع . روى أبو عبيد وابن المنذر عن قتادة قال : ليس شيء أشد على الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يكون يطلبه بمظلمة . **(ويوم لا ينطقون)** : لغلبة الذهول عليهم ، **(ولا يؤذن لهم)** باعتذار **(فيعتذرون)** . روى ابن مردويه عن عبدالله بن الصامت قال : قلت لعبد الله بن عمرو : أرأيت قول الله هذا : ﴿يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] قال : ان يوم القيامة يوم له حالات وتارات في حال لا ينطقون وفي حال ينطقون ، وفي حال يعتذرون . وروى الحاكم وصححه من طريق عكرمة أن نافع ابن الأزرق سأل ابن عباس عن قوله : ﴿يوم لا ينطقون﴾ ولا تسمع إلا همساً ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وهاؤم اقرأوا كتابيه . قال : ويحك هل سألت عن هذا أحداً قبلي ؟ قال : لا . قال : إنك لو كنت سألت هلكت أليس قال الله تعالى : ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج : ٤٧] قال : بلى . قال : إن لكل مقدار يوم من الأيام لوناً من الألوان . **(يوم لا مردّ له من الله يوم هم بارزون)** أي ظاهرون من قبورهم لا يسترهم شيء . **(يوم هم على النار يفتنون)** : أي يمتحنون ، **(يوم لا ينفع مال ولا بنون . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . يوم ترد فيه المعاذر)** جمع معذرة **(وتبلى)** فيه **(السرائر)** أي البواطن ، **(وتظهر)** فيه **(الضمائر)** أي ما أضمر وأخفي ، **(وتكشف)** فيه **(الأستار . يوم تخشع فيه الأبصار)** أي تذل لشدته ، **(وتسكن)** فيه **(الأصوات)** فلا تكون إلا كالهمس والسرار ، **(ويقل فيه الالتفات)** إلى يمين وشمال ، **(وتبرز)** فيه **(الخفيات)** الأمور المكتوبة ، **(وتظهر)** فيه **(الخطيئات)** بعد أن كانت مكتوبة . **(يوم يساق العباد)** إلى العرض ، **(ومعهم الأشهاد)** جمع شاهد كصاحب وأصحاب والمراد بهم أعضاؤهم فإنها تشهد عليهم ، **(ويشيب)** فيه **(الصغير)** أي يهرم ، **(ويسكر الكبير)** أي يذهل عقله كهيئة السكران .

الكبير، فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين، وبرزت الجحيم وأغلي الحميم، وزفرت النار ويئس الكفار، وسعرت النيران وتغيرت الألوان، وخرس اللسان ونطقت جوارح الإنسان.

فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور، واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور، فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك؟ فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين، يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب

ومما بقي عليه من أسمائه الساعة وهو من أشهر الأسماء، وإنما عبّر بها عنها تشبيهاً بذلك لسرعة حسابها كما قال تعالى: ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ [الأنعام: ٦٢] وكما نبه عليه بقوله: ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ [الروم: ٥٥] فالأولى القيامة والثانية الوقت اليسير، وقيل: الساعات التي هي القيامة ثلاث الساعة الكبرى: وهي البعث للحساب ومنه الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وحتى يعبد الدرهم والدينار» وذكر أموراً لم تحدث في زمانه ولا بعده، والساعة الوسطى: وهي موت أهل القرن الواحد، وذلك نحو ما ورد أنه رأى ﷺ عبدالله بن أنيس فقال: «إن يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة» فقيل: إنه كان آخر من مات من الصحابة. والساعة الصغرى: هي موت الإنسان فساعة كل إنسان موته، وهي المشار إليها بقوله: ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا﴾ [الأنعام: ٣١] ومعلوم أن هذه الحسرة تنال الإنسان عند موته كقوله: ﴿لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾ [المنافقون: ١٠] وروي أنه ﷺ كان إذا هبت الريح تغير لونه وقال: «تخوفت الساعة» وقال: «ما أمد طرفي ولا أغضها إلا وأظن الساعة قد قامت» يعني موته ﷺ والله أعلم.

ومن نعوته: يوم ثقيل، ويوم الوعيد، ويوم الوعد، والخافضة، والرافعة، ويوم تغشى وجوههم النار، ويوم ينفع الصادقين صدقهم.

(**فيومئذ وضعت الموازين**) لوزن الأعمال، (**ونشرت الدواوين**) هي صحائف الأعمال، (**وبرزت الجحيم**) أي أظهرت (**وأغلي الحميم**) أي أوقد، (**وزفرت النار**) أي رددت نفسها، (**ويئس الكفار وسعرت النيران**) أي أججت، (**وتغيرت الألون**) إلى صفرة وزرقة وحمرة وكدرة وغبرة بحسب اختلاف الأحوال، (**وخرس اللسان**) عن النطق، (**ونطقت الجوارح**) فشهدت بالخير والشر.

(**فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور، واستترت عن الخلائق ففارقت الفجور**) وشققت ستر الديانة ولا يخفى حالك على الخالق، (**فما تفعل وقد شهدت عليك جوارحك**) وأبرزوا منك كل ما سترته، (**فالويل كل الويل لنا**

المبين، ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين، ثم يعرفنا غفلتنا ويقول: ﴿اقتَرَبَ للنَّاس حِسابُهُم وهُم في غفلةٍ مُعرِضُونَ ★ ما يأتِيهم من ذِكر من ربِّهم مُحدثٍ إلا استمعُوهُ وهُمْ يلعَبُون ★ لاهية قُلُوبُهُم﴾ [الأنبياء: ١-٣] ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول: ﴿اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ﴾ [القمر: ١] ﴿إنهُم يَرونَه بعِيداً ★ ونراهُ قريباً﴾ [المعارج: ٦ - ٧] ﴿وما يُدرِيك لعلَّ الساعة تكونُ قريباً﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملاً فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولنستعد للتخلص من دواهيه. فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يداركنا الله بواسع رحمته.

صفة المساءلة:

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاهاً من غير ترجمان، فتُسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير. فبينا أنت في كرب القيامة وعرقها

معاشر الغافلين، يرسل الله تعالى لنا سيد المرسلين) ﷺ، **(وينزل عليه الكتاب المبين)** المفصل لكل شيء، **(ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين، ثم يعرفنا غفلتنا ويقول ﴿اقترب للناس حسابهم﴾)** بالإضافة إلى ما مضى أو عند الله أو لأن كل ما هو آت قريب، وإنما البعيد ما انقرض ومضى، والمراد بالناس الكفار لتقييدهم بقوله: **﴿وهم في غفلة معرضون﴾** عن التفكر فيه: **(﴿ما يأتيهم من ذكر﴾)** ينبهم عن سنة الغفلة والجهالة **﴿من ربهم محدث﴾** تنزيله كي يتعظوا **﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾** يستهزئون ويسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب **﴿لاهية قلوبهم﴾** أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتسلي والذهول عن التفكر فيه. **(ثم يعرفنا قرب القيامة)** بالإضافة لما عنده **(فيقول ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾)** ويقول: **﴿إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً﴾** ويقول: **﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾** ويقول: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ إلى قوله ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج: ٤٧] **(ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملاً فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه، ولا نستعد للتخلص من دواهيه، فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يتداركنا الله بواسع رحمته)** وهو الموفق.

صفة المساءلة:

(ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال) وما ذكر من الأهوال **(فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها)** أي مشافهة **(من غير ترجمان)** أي واسطة يترجم لك وعنك، **(فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير)** والجليل والحقير، **(فبينا أنت في كرب القيامة وعرقها**

وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين إلى موقف العرض على الجبار. قال رسول الله ﷺ: «إن لله عز وجل ملكاً بين شفري عينه مسيرة مائة عام»، فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض، وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده. وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفاً من أن يكونوا هم المأخوذين. فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين؟ وعند ذلك يبادر أقوام من

وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء) أي جوانبها وأقطارها (**بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين**) مجمعة إلى أقدامهم، (**إلى موقف العرض على الجبار**) جل جلاله. (**قال رسول الله ﷺ «إن لله عز وجل ملكاً بين شفري عينيه**) أي طرفيها (**مسيرة مائة عام»**) قال العراقي: لم أره بهذا اللفظ. ولأبي داود من حديث جابر «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملك الله بين حملة العرش إن ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقه سبعمائة عام» انتهى.

قلت: وحديث جابر رواه بهذا اللفظ أيضاً ابن عساكر والضياء، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديثه، ومن حديث ابن عباس بلفظ: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السابعة السفلى على قرنه العرش ومن شحمة أذنه إلى عاتقه خفقات الطير مسيرة مائة عام». وروى أبو الشيخ في العظمة من حديث جابر بلفظ «إن لله ملائكة ما بين شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطير السريع الطيران». ورواه ابن عساكر بلفظ «إن لله ملائكة وهم الأكروبيون من شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطائر السريع في انحطاطه». وروى الخطيب في المتفق والمفترق من حديث ابن عمر «أذن لي أن أحدث عن ملك من الملائكة حملة العرش ما بين عاتقه إلى شحمة أذنه مسيرة سبعمائة سنة خفقان الطير قدماه في الأرض السابعة والعرش على قرنه يقول: سبحانك حيثما كنت» وفي سنده أبو معشر المدني وهو ضعيف.

(**فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك**) فيجروك (**إلى مقام العرض**) على الله تعالى. روى ابن منده في التوحيد، والديلمي من حديث معاذ «إن الله تعالى ينادي يوم القيامة: يا ملائكة أقيموا عبادي صفوناً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب». (**وتراهم على عظم أشخاصهم**) وهائل خلقتهم (**منكسرين**) اذلاء (**لشدة اليوم**) وصعوبته، (**مستشعرين مما بدا من غضب الجبار**) جل جلاله (**على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفاً من أن يكونوا هم المأخوذين**) نظراً إلى خوف مكر الله تعالى. (**فهذا حال المقربين، فما ظنك بالعصاة المجرمين**) من المؤمنين؟ (**وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة:**

شدة الفزع فيقولون للملائكة: أفيكم ربنا؟ وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لخالقهم عن أن يكون فيهم، فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا: سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد! وعند ذلك تقوم الملائكة صفاً محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهانة لشدة اليوم.

وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقوله: ﴿فوربِّك لنسأَلَنَّهُمْ أجمَعِين * عمَّا كَانُوا يعمَلُون﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]، فيبدأ سبحانه بالأنبياء: ﴿يومَ

أفيكم ربنا؟ وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم. فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لخالقهم) وتنزيهاً له **(عن أن يكون فيهم، فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا: سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد، وعند ذلك تقوم الملائكة صفاً محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم)** كما قال تعالى: ﴿وجاء ربّك والملك صَفاً صفاً﴾ [الفجر: ٢٢] روى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال في الآية: جاء أهل السموات كل سماء صفاً.

(وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾) قال ابن عباس: أي نسأل الناس عما أجابوا المرسلين، ونسأل المرسلين عما بلغوا، فلنقصن عليهم بعلم قال: يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون، رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. وقال سفيان الثوري: فلنسألن الذين أرسل إليهم هل بلغكم الرسل؟ ولنسألن المرسلين ماذا ردوا عليكم؟ رواه ابن أبي حاتم، وقال مجاهد في الآية: الناس نسألهم عن لا إله إلا الله، ولنسألن المرسلين: قال جبريل. رواه ابن أبي حاتم، وقال: يزيدهم الأنبياء والمرسلون والملائكة. **(وقوله ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾ فيبدأ بالملائكة)** روى عبد بن حميد وأبو الشيخ عن وهيب بن الورد قال: بلغني ان أقرب الخلق إلى الله اسرافيل والعرش على كاهله، فإذا نزل الوحي دلى اللوح من نحو العرش، فيقرع جبهة اسرافيل فينظر فيه فيرسل إلى جبريل فيدعوه فيرسله، فإذا كان يوم القيامة دعي إسرافيل فيؤتى به ترعد فرائصه فيقال له: ما صنعت فيما أدى إليك اللوح؟ فيقول: رب إني أديته إلى جبريل، فيدعى جبريل فيؤتي به ترعد فرائصه فيقال له: ما صنعت فيما أدى إليك اسرافيل؟ فيقول: أي رب بلغت الرسل بهم، فيدعى الرسل فيؤتى بهم ترعد فرائصهم فيقال: ما صنعتم بما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون: أي رب بلغنا الناس فهو قوله ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾. وروى أبو الشيخ في العظمة عن أبي سنان قال:

يجمَعُ اللهُ الرُّسلَ فيقُولُ ماذا أجَبْتُم قالُوا لا عِلمَ لنا إنَّك أنت علام الغيُوبُ﴾ [المائدة: ١٠٩]، فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة، إذ يقال لهم: ماذا أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون، فيقولون من شدة الهيبة: لا علم لنا إنك أنت علاّم الغيوب. وهم في ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقويهم الله تعالى، فيدعى نوح عليه السلام فيقال له: هل بلغت، فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم فيقولون: ما أتانا من نذير. ويؤتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له: ﴿أأنْتَ قُلتَ للنَّاسِ اتخِذُوني وأمِّي إلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [المائدة: ١١٦] فيبقى متشحطاً تحت هيبة هذا السؤال سنين، فيا لعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل

أقرب الخلق من الله اللوح وهو معلق بالعرش، فإذا أراد الله أن يوحي بشيء كتب في اللوح فيجيء اللوح حتى يقرع جبهة اسرافيل واسرافيل قد غطى بصره بجناحيه إعظاماً له فينظر فيه، فإن كان إلى أهل السماء دفعه إلى ميكائيل وإن كان إلى أهل الأرض دفعه إلى جبريل، فأوّل من يحاسب يوم القيامة اللوح يدعى به ترعد فرائصه فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقول ربنا: من يشهد لك؟ فيقول: اسرافيل، فيدعى اسرافيل فترعد فرائصه فيقال له: هل بلغك اللوح؟ فإذا قال نعم قال اللوح الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب، ثم كذلك، (**ثم بالأنبياء**) كما قال تعالى: (**﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا﴾ فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة إذ يقال لهم: ماذا أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق، وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون ماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة ﴿لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ وهم في ذلك الوقت صادقون**) . في قولهم (**إذ طارت فيه العقول**) وطاشت الحلوم، (**وانمحت العلوم إلى أن يقوّيهم الله تعالى**) بتسكين قلوبهم من الرعب، (**فيدعى نوح**) عليه السلام (**فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم**) يا رب قد بلغت ما أرسلت به، (**فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير**) ينذرنا من عقابك، (**ويؤتى بعيسى**) عليه السلام (**فيقول الله تعالى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ فيبقى متشحطاً تحت هذا السؤال سنين**) روى ابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله، إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم ودعي كل أناس بامامهم قال: ويدعى عيسى فيقول له: ﴿يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ فيقول: ﴿سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ الآية إلى قوله ﴿صدقهم﴾ وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ميسرة قال: لما قال الله يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله أرعد كل مفصل منه حتى وقع. وروى ابن أبي حاتم عن الحسن بن صالح قال لما قال ﴿أأنت قلت للناس﴾ الآية زال كل مفصل عن مكانه خيفة.

الملائكة فينادون واحداً واحداً يا فلان ابن فلانة هلم إلى موقف العرض. وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول، ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار. ولا يكشف سترهم على ملا الخلائق.

وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش: ﴿وأشرَقَتِ الأرضُ بنُور ربِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، وأيقن كل عبد بإقبال الجبار، لمساءلة العباد، وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وأنه المقصود بالأخذ والسؤال دون من عداه، فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك: يا جبريل ائتني بالنار، فيجيء لها جبريل ويقول: يا جهنم أجيبي خالقك ومليكك. فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها، فلم يلبث بعد ندائه أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها، وانتهضت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضباً على من عصى الله تعالى وخالف أمره، فأخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب

(فيا لعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال، ثم تقبل الملائكة فينادون واحداً واحداً يا فلان بن فلانة) ويسمونه باسمه واسم أمه **(هلم إلى موقف العرض، وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار، ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار)** جل جلاله، **(ولا يكشف ستره على تلك الخلائق)**.

(وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾) وروى أبو الشيخ في العظمة، والبيهقي في البعث من حديث أبي هريرة الطويل المتقدم ذكر بعضه: « فبينما نحن وقوف إذ سمعنا حساً من السماء شديداً فينزل أهل السماء الدنيا بمثل من في الأرض من الجن والانس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل ما نزل من الملائكة ومثل من فيها من الجن والانس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، ثم ينزل أهل السماء الثالثة بمثل من نزل من الملائكة وبمثل من فيها من الجن والانس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف إلى السموات السبع، ثم ينزل الجبار في ظلل من الغمام » الحديث. **(وأيقن كل عبد باقبال الجبار)** جل جلاله **(لمساءلة العباد وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وأنه المقصود بالأخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك: يا جبريل ائتني بالنار فجاءها جبريل)** عليه السلام **(وقال: يا جهنم أجيبي خالقك ومالكك فيصادفها جبريل)** عليه السلام **(على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه)** لها **(أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلائق وشهقت)**، والزفير أوّل صوت الحمار والشهيق آخره، ثم استعير ذلك للنار لها زفير وشهيق، **(وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانهضت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضباً على من عصى**

العباد وقد امتلأت فزعاً ورعباً فتساقطوا جثياً على الركب وولوا مدبرين يوم ﴿ترى كل أمَّةٍ جاثيةٍ﴾ [الجاثية: ٢٨] وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادي العصاة والظالمون بالويل والثبور، وينادي الصديقون نفسي نفسي. فبينما هم كذلك إذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون، ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع، وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين، وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين.

وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبتم، فإذا رأوا ما قد أقيم من

الله تعالى وخالف أمره). وروى ابن المنذر عن ابن جريج في قوله سمعوا لها شهيقاً قال: صياحاً. وروى عبد بن حميد عن يحيي قال: إن الرجل ليجر إلى النار فتشهق إليه النار شهيق البغلة إلى الشعير، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف. وروى هناد عن مجاهد في قوله ﴿وهي تفور﴾ [الملك: ٧] وقال: تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير. وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿تميز من الغيظ﴾ [الملك: ٨] قال: أي تتفرق. وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد « يجيء بجهنم سبعون ألف ملك يقدرونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت أهل الجمع » ومن حديث علي نحوه. وروى مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ».

(فاخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعاً ورعباً) من مشاهدة هول ذلك الموقف، **(فتساقطوا جثياً على الركب)** كما هو شأن كل مرعوب، **(وولوا مدبرين)** على أعقابهم ﴿**يوم ترى كل أمة جاثية**﴾ أي مستوفزين على الركب قاله مجاهد، وزاد الضحاك عند الحساب. وروى البيهقي في البعث من حديث عبد الله بن باباه « كأني أراكم بالكوم دون جهنم جاثين » ثم قرأ سفيان ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ **(وسقط بعضهم على الوجوه منكبين، وينادي العصاة والظالمون بالويل والثبور)** على أنفسهم وهم أصحاب الكبائر، **(وينادي الصديقون والصالحون: نفسي نفسي)** كما سيأتي في حديث الشفاعة، **(فبينما هم كذلك إذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم)** أي تراخت، **(وظنوا أنهم مأخوذون)** لا محالة، **(ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم)** منكبين **(وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع)** أي ذليل منكسر، **(وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين)** أي انكسرت، **(فبلغت الحناجر)** أي الحلوق **(كاظمين)** ساترين حنقهم، **(وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين، وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال: ماذا أجبتم)** فيما أرسلتم؟ **(فإذا رأوا ما قد أقيم من السياسة على الأنبياء اشتد**

السياسة على الأنبياء اشتدّ الفزع على العصاة، ففر الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته، وبقي كل واحد منتظراً لأمره، يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه وأعضائه، قال أبو هريرة: قالوا: يا رسول الله؛ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: « هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب » قالوا: لا، قال: « فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب » قالوا: لا، قال: « فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوّجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع، فيقول العبد: بلى، فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فأنا

الفزع على العصاة) وكادوا يذوبون، **(ففر الوالد من ولده، والأخ من أخيه، والزوج من زوجته، وبقي كل واحد منتظراً لأمره، ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاهاً عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه وأعضائه. قال أبو هريرة)** رضي الله عنه، **(قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال « هل تضارون)** بتشديد الراء مفاعلة من الضرر **(في رؤية الشمس في الظهيرة)** أي وسط النهار **(ليس دونها سحاب »)** يمنع من الرؤية **(قالوا: لا. قال « فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب» قالوا: لا. قال « فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسوّدك)** أي أجعلك سيداً أي رئيساً **(وأزوّجك واسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس)** على الناس **(وتربع)** يقال: ربع القوم يربعهم من حد منع إذا أخذ منهم المرباع وهو ربع الغنيمة، وكان رئيس القوم يأخذه لنفسه في الجاهلية **(فيقول العبد: بلى. فيقول: أظننت أنك ملاقيّ)** بتشديد الياء أي ملاق إياي؟ **(فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني »)** قال العراقي: متفق عليه دون قوله « فيلقى العبد » الخ فانفرد بها مسلم اهـ.

قلت: الا ان لفظ مسلم « فيلقى العبد فيقول: أي قل » وزاد بعد قوله « كما نسيتني » ثم يلقى الثاني فيقول: أي قل ألم أكرمك فساقه مثل الأوّل، وفيه: ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع. فيقول: ههنا أذن ثم يقال: الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه، ويقال لفخذه: انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذي يسخط الله عليه. وروى البيهقي في البعث بلفظ « يقول الله لعبده يوم القيامة يا ابن آدم ألم أحملك على الخيل والإبل وأزوّجك النساء وأجعلك تربع وترأس؟ فيقول: بلى أي رب، فيقول: أين شكر ذلك ». وروي أيضاً من حديث عبد الله بن سلام « يقول الله للعبد يوم القيامة ألم تدعني لمرض كذا وكذا فعافيتك ألم تدعني أن أزوّجك كريمة قومها فزوّجتك ألم ألم ». ورواه كذلك أبو الشيخ.

أنساك كما نسيتني ». فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاها ، فيقول لك : ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته ، ألم أمهل لك في العمر ففيماذا أفنيته ، ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيماذا أنفقته ، ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت . فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك ، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك . قال أنس رضي الله عنه كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال : « أتدرون ممّ أضحك » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم » قال : « يقول بلى » قال : فيقول : « فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين شهوداً » قال : « فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي » قال : « فتنطق بأعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بعداً لكن وسحقاً

(**فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاهاً فيقول لك : ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته ، ألم أمهل لك في العمر ففيماذا أفنيته ، ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيماذا أنفقته ، ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت**) ؟ روى ابن أبي حاتم عن القاسم بن عبد الرحمن أنه تلا هذه الآية ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ﴾ [الأحزاب : ٦٣] الآية . فقال : يسأل العبد يوم القيامة عن أربع خصال يقول ربك : ألم أجعل لك جسداً ففيم أبليته ؟ ألم أجل لك علماً ففيم عملت بما علمت ؟ ألم أجعل لك مالاً ففيم أنفقته في طاعتي أم في معصيتي ؟ ألم أجل لك عمراً ففيم أفنيته ؟ وقد روى نحو ذلك من حديث ابن مسعود وابن عباس كما سيأتي قريباً .

(**فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساوئك فإن أنكرت**) وطلبت شاهداً (**شهدت عليك جوارحك ، قال أنس**) رضي الله عنه : (**كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ، ثم قال « أتدرون مم أضحك » ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم . قال « من مخاطبة العبد ربه يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم » قال ؛ يقول : بلى . قال فيقول « فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً » قال : « فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي » قال : « فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه : بُعداً لكنّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل »**) أي أدافع رواه أحمد ومسلم والنسائي وقال غريب ، وأبو عوانة وابن حبان والحاكم وقد أغفله العراقي وكأنه سقط من نسخته . وروى أحمد من حديث معاوية بن حيدة أن ربي داعيّ وسائلي : هل بلغت عبادي وإني قائل يا رب إني قد بلغتهم ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، ثم إنكم تدعون مقدم أفواهكم بالقدام إن أوّل ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفه .

فعنكن كنت أناضل ». فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء، إلا ان الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره.

سأل ابن عمر رجل فقال له: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول: عملت كذا وكذا فيقول: نعم، ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم »، وقد قال رسول الله ﷺ: « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة »، فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستره

(فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء إلا ان الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره) فقد روي انه **(سأل ابن عمر)** رضي الله عنه **(رجل فقال له: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال قال رسول الله ﷺ « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم ثم يقول إني سترتها)** عليك **(في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم »)** قال العراقي: رواه مسلم انتهى.

قلت: وفي رواية له إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين، وهكذا رواه أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجه.

(وقد قال رسول الله ﷺ: « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة ») رواه عبد الرزاق في مصنفه من حديث عقبة بن عامر بلفظ « من ستر مؤمناً في الدنيا على عورة ستره الله يوم القيامة » وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة » وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عمر « من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » وروى أحمد من حديث رجل من الصحابة لم يسم « من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة » وقد تقدم.

(فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عوراتهم) وفي نسخة عيوبهم، **(واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوئهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة، وهب أنه قد ستره عن غيرك أليس قد**

عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء إلى العرض؟ فيكفيك تلك الروعة جزء عن ذنوبك، إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم، فقدر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، فتوهم نفسك أنك في أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه: يا ابن آدم ادن مني، فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر، وأعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها. وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها؟ فكم لك من خجل وجبن؟ وكم لك من حصر وعجز؟ فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تعقل ما تقول؟ ثم تفكر في عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاها إذ يقول: يا عبدي! أما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجميل، أكنت أهون عليك من سائر عبادي، استخففت بنظري إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري، ألم أنعم عليك؟ فماذا غرك بي أظننت أني لا

قرع سمعك النداء إلى العرض، فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير، والعالم من شدة الهول مظلم. فقدر في نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب) أي المجرور في الموكب، **(وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم)** ينظرون إليك، **(فتوهم نفسك في أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه: يا ابن آدم أدن مني فدنوت منه بقلب خافق)** مضطرب **(محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر)** أي لا يترك **(صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)** ضبطها وعدها، **(فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها؟ وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشفت لك عن مساوئها؟ فكم لك من خجل وجبن؟ وكم لك من حصر وعجز؟ فليت شعري بأي قدم تقف به بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تعقل ما تقول؟ ثم تفكر في عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك)** واحداً واحداً **(شفاهاً إذ يقول: يا عبدي أما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي وأظهرت لهم الجميل، أكنت أهون عليك من سائر عبادي، استخففت بنظري إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري الم أنعم عليك؟ فماذا غرك بي أظننت أني لا أراك وأنك لا تلقاني. قال رسول**

أراك وأنك لا تلقاني. قال رسول الله ﷺ: « ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان » . وقال رسول الله ﷺ : « ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالاً ؟ فيقول: بلى فيقول: ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فيقول: بلى. ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار ، فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة » ، وقال ابن مسعود : ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، ثم يقول: يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما

الله ﷺ: « ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان ») قال العراقي: متفق عليه من حديث عدي بن حاتم بلفظ « إلا سيكلمه الله » الحديث اهـ.

قلت: وتمامه « يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة » وهكذا رواه أيضاً أحمد والترمذي وابن ماجه.

(وقال رسول الله ﷺ : « ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له: ألم أنعم عليك، ألم أوتك مالاً ؟ فيقول: بلى . فيقول: ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فيقول: بلى ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة ») قال العراقي: رواه البخاري من حديث عدي بن حاتم اهـ.

قلت: سياق البخاري هو الذي قدمه قبل هذا الحديث وهو عند الترمذي وقال حسن غريب « يقي أحدكم وجهه حر جهنم ولو بتمرة ولو بشق تمرة فإن أحدكم لاقي الله وقائل له ما أقول لكم ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أجعل لك مالاً وولداً فيقول: بلى، فيقول له: أين ما قدمت لنفسك ؟ فينظر قدامه وبعده وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيئاً يقي به وجهه حر جهنم ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة فإني لا أخاف عليكم الفاقة فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الظعينة بين يثرب والحيرة أكثر ما يخاف على مطيتها السرق ». وعند الطبراني في الأوسط « ليتصدق ذو الدينار من ديناره، وذو الدرهم من درهمه، وذو البر من بره، وذو الشعير من شعيره، وذو التمر من تمره من قبل أن يأتي عليه يوم فينظر أمامه فلا يرى إلى النار ، وينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ، وينظر عن شماله فلا يرى إلا النار ، وينظر من قدامه فلا يرى إلا النار ».

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(ما منكم من أحدٌ إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، ثم يقول: يا ابن آدم ما غرك بي، يا ابن آدم ما عملت فيما**

علمت، يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين، يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك ألم أكن رقيباً على أذنيك، وهكذا حتى عد سائر أعضائه، وقال مجاهد: لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل فيه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيماذا أنفقه؟ فأعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ـ فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأولون والآخرون ـ وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه، وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديراً بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعث آخرتك من دنيا دنيئة لم تبق معك!.

علمت، يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين، يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك، ألم أكن رقيباً على أذنيك؟ وهكذا حتى عدّ سائر أعضائه). رواه أبو نعيم في الحلية مختصراً فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا أبو عوانة عن هلال الوزان عن عبد الله بن حكيم قال: سمعت ابن مسعود في هذا المسجد يبدأ باليمين قبل الكلام فقال: ما منكم من أحد إلا أن ربه سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر. فيقول: يا ابن آدم ما غرك بي؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت.

(وقال مجاهد) رحمه الله تعالى: **(لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل فيه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيماذا أنفقه)**. وقد روي ذلك من حديث ابن مسعود ولفظه: لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه، وماذا عمل فيما علم. رواه الترمذي وضعفه وأبو يعلى والطبراني وابن عدي والبيهقي وابن عساكر. ورواه الطبراني أيضاً من حديث ابن عباس نحوه مع تقديم وتأخير، ومع زيادة خامسة «وعن خباء أهل البيت».

(فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأولون والآخرون، وإما أن يقال للملائكة: خذوا هذا العبد السوء فغلّوه) أي شدوه بالغل في عنقه. **(ثم الجحيم صلوه، وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديراً بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت آخرتك عن دنيا دنية لم تبق معك)** والله الموفق.

صفة الميزان:

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان. وتطاير الكتب إلى الأيمان والشمائل، فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق:

صفة الميزان:

ولما فرغ المصنف عن ذكر الموقف والحساب ذكر الميزان لأن وزن الأعمال يكون بعد انقضاء الحساب إذ الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بجنسها فقال: (**ثم لا تغفل عن التفكر في الميزان**) ذي الكفتين واللسان توزن فيه أعمال العباد حسَنها وسيئها والإيمان به واجب وهو مذهب أهل السنة والجماعة ـ كما تقدم في كتاب قواعد العقائد ـ خلافاً لمن أنكره من الجهمية والقدرية وقوم من قدماء المعتزلة يقال لهم الوزنية أنكروا الميزان وقالوا: إنما هو العدل وهو اختيار الجهمية، ومنهم من شك في ذلك لكن قال: يجوز أن ينصب الله تعالى في القيامة ميزاناً يجعل رجحانه علامة لمن يدخل الجنة وخفته علامة لمن يدخل النار. ويروى عن مجاهد والضحاك والأعمش أن الميزان بمعنى العدل والقضاء. قال القرطبي في التذكرة. وهذا القول ليس بشيء وإن كان شائعاً في اللغة للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي، ووصفه بكفتين، ولسان وأن كل كفة منها طباق السموات والارض. قال: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما ترد على الأرواح دون الأجسام من الأحزان والأفراح والشياطين والجن على الاخلاق المذمومة، وهذا كله فاسد لما جاء به الصادق ﷺ اهـ.

وممن كان ينكر الميزان أبو سلمة عثمان بن مقسم البري وهو ثقة صدوق إلا أنه سقط الوثوق به لهذه البدعة، ولذا قال أبو داود فيه أنه قدري معتزلي. وقال حنبل بن إسحاق: من أنكر الميزان فقد ردّ على الله سبحانه وردّ على رسوله ﷺ، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الميزان بلفظ الجمع، وجاءت السنة بلفظ الإفراد والجمع فقيل: إن صورة الافراد محمولة على أن المراد الجنس جمعاً بين الكلامين. وقال بعضهم: يحتمل أن يكون تعددها بتعدد الأعمال فيكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله، وذهبت طائفة إلى أنها ميزان واحد يوزن بها للجميع، وإنما ورد في الآية بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد وهو نظير قوله تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ [الشعراء: ١٠٥] والمراد رسول واحد وهذا هو المعتمد وعليه الأكثرون، والله أعلم.

(**ثم انظر في تطاير الكتب**)هي صحف أعمال العباد التي أثبتها الكرام الكاتبون من حسن وسيء (**إلى الإيمان والشمائل**)، فمنهم من يعطى صحيفته بيمينه وأولئك السعداء، ومنهم من يعطى بشماله وأولئك الأشقياء، (**فإن الناس بعد**) الفراغ من (**السؤال ثلاث فرق**).

فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار، فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها.

وقسم آخر: لا سيئة لهم فينادي مناد: ليقم الحامدون لله على كل حال؛ فيقومون ويسرحون إلى الجنة، ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل، ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى. وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها.

(**فرقة: ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم**) على رؤوس الاشهاد: لقد شقوا (**شقاوة لا سعادة بعدها**). وروى أحمد والترمذي وابن مردويه والبيهقي من حديث أبي هريرة « يخرج عنق النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد، وكل من دعا مع الله الهاً آخر، وبالمصوّرين ». وروى أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد « يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول: إني وكلت اليوم بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلهاً آخر فتنطوي عليهم فتطرحهم في غمرات جهنم » ورواه ابن أبي شيبة وأبو داود وأبو يعلى أيضاً والطبراني في الأوسط والدارقطني والخرائطي في مساوىء الأخلاق بلفظ: « يخرج من النار يوم القيامة عنق أشد سواداً من النار فيتكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بها ولسان تكلم به فتقول: إني أمرت بكل جبار عنيد، ومن دعا مع الله الهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس فتنضم عليهم فتقذفهم في النار قبل الناس بخمسمائة سنة ».

(**وقسم آخر: لا سيئة لهم فينادي مناد:**) ألا (**ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة، ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل، ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى**) يشير بذلك إلى ما رواه ابن ماجه وهناد في الزهد، ومحمد بن نصر في الصلاة، وابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أسماء بنت يزيد « يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي: أين الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون ». وروى الحاكم وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم من حديث عقبة بن عامر « يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي وينادي مناد: سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم. ثلاث مرات: ثم يقول: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، ثم يقول: أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ثم ينادي مناد: أين الحامدون الذين كانوا يحمدون ربهم ». (**وينادى عليهم**) على رؤوس الاشهاد: قد سعدوا (**سعادة لا شقاوة بعدها**)، ويلحق بهؤلاء العافون عن

ويبقى قسم ثالث: وهم الأكثرون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم، ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب، فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال؟ ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات؟ وهذه حالة

الناس. روى الخطيب من حديث ابن عباس «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من بطنان العرش: ليقم من على الله أجره فلا يقوم إلا من عفا عن ذنب أخيه».

(ويبقى قسم ثالث: هم الأكثرون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم، ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب). وهذا أحد أوجه الحكمة في نصب الميزان بين الخلق. والوجه الثاني: أن ذلك لامتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، والثالث: لإظهار علامة السعادة والشقاوة يوم القيامة. والرابع: لإقامة الحجج عليهم، والخامس: ليعرف العباد ما لهم من خير وشر. وهذه الأقوال كلها ذكرها الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في منهاج الاستقامة. ومما يستأنس لهذا التقسيم قول ابن عباس فيما أخرجه ابن أبي حاتم قال: «يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣] الآيتين. ثم قال: إن الميزان يخفف بمثقال حبة ويرجح ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط». **(فتطاير الصحف والكتب)** هي كتب الأعمال **(منطوية على الحسنات والسيئات وتنصب الميزان)** واختلف في كيفية وضعها، والذي جاء في أكثر الأخبار أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش وتنصب الميزان بين يدي الله تعالى، فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيئات مقابل النار. ذكره الحكيم في نوادر الأصول. **(وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال، ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو الحسنات)**؟ واختلف في الموزون نفسه، فالمشهور الراجح أنه توزن الصحف التي كتب فيها أعمال العباد وأقوالهم، ويدل لذلك حديث البطاقة المشهور الآتي ذكره في آخر الكتاب. وقال بعضهم: توزن الأجسام بأن يخلق الله عز وجل بإزاء كل عمل جسماً، فتحمل الاجسام التي تقابل الحسنات في كفة والاجسام التي تقابل السيئات في كفة فأي الكفتين حصل فيها الرجحان وقع بها الاعتبار، ومن قال: إن الثواب والعقاب يصيران أجساماً وتوزن فقد أخطأ لأن من الثواب ما لا نهاية له، وكذلك العقاب، ولا يصح وزن ما لا نهاية له، وكذلك لا يثبت قول من قال: إن الحسنات والسيئات تتراءى في الميزان كما يتراءى الوجه في المرآة وإن لم يكن في الحقيقة فيها، وهل توزن الأعمال جميعها أو بعضها؟ فقيل: إنما يوزن من الأعمال بخواتيمها، فإذا أراد الله بعبد خيراً ختم

هائلة تطيش فيها عقول الخلائق.

وروى الحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس، فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خدّ رسول الله ﷺ فانتبه فقال: «ما يبكيك يا عائشة» قالت: ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن، فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه: إذا وضعت

الله له بخير عمله، وإذا أراد لله به شراً ختم له بشر عمله. رواه أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه، وروي عن وهب أيضاً أنه قال: يوزن أوّل الأعمال وآخرها، والمشهور ما ذكرناه أوّلا.

تنبيه:

قد ورد أن صاحب الميزان جبريل عليه السلام. قال حنبل بن إسحاق: حدثنا أبو نعيم، حدثنا يوسف بن صهيب، حدثنا موسى بن أبي المختار، عن بلال العبسي، عن حذيفة رضي الله عنه قال: «صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام يرد من بعضهم على بعض» ورواه البخاري في تاريخه الكبير، ويعقوب وسفيان في فوائده، وأبو الشيخ في كتاب السنة بنحوه. وفي بعض طرقه: أن جبريل عليه السلام يقول له ربه عز وجل: زن بينهم، وردّ من بعضهم على بعض، ويروى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال: إن ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش إحدى كفتي الميزان على الجنة والأخرى على جهنم، ولو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن وجبريل عليه السلام آخذ بعموده ينظر إلى لسانه.

(وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق) فإن قلت: إن شأن الميزان أن يوضع في كفته شيء وفي الأخرى ضده فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، والذي يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان يأتي عبد واحد بالكفر والإيمان معاً حتى يوضع الإيمان في كفة والكفر في أخرى؟ أجاب الحكيم في النوادر: بأنه ليس المراد وضع شهادة التوحيد في كفة الميزان، وإنما المراد وضع الحسنة المرتبة على النطق بهذه الكلمة مع سائر الحسنات اهـ.

وروى النقاش في تفسيره عن علي رضي الله عنه قال: يحشر الناس إلى الميزان فيقومون عنده ألف عام، فمن رجح ميزانه بحسناته فاز ونجا في طرفة عين، ومن خف ميزانه من حسناته وثقلت سيئاته حبس عند الميزان ألف عام في الغم والهم والحزن والعذاب والجوع والعطش، وإسناده مظلم.

(وروى الحسن) البصري رحمه الله **(أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خدّ رسول الله ﷺ فانتبه فقال: «ما يبكيك يا عائشة»؟ قالت: ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه إذا**

الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل. وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله، وعند الصراط».

وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أتخف ميزانه أم تثقل، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله، وعند الصراط») قال العراقي: رواه أبو داود من رواية الحسن عنها أنها ذكرت النار فبكت فقال: «وما يبكيك» دون كون رأسه ﷺ في حجرها وأنه نغس واسناده جيد انتهى.

قلت: وتمامه عند أبي داود قالت: ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «أما في ثلاث مواطن: فلا يذكر أحد أحداً حيث يوضع الميزان حتى يعلم أتخف ميزانه أم تثقل، وعند تطاير الكتب حتى يقال: ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ [الحاقة: ١٩] حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أو من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثيرة يحبس الله بها من يشاء من خلقه حتى يعلم أينجو أم لا». وهكذا رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وعبد بن حميد والآجري في الشريعة، والحاكم وصححه والبيهقي في البعث.

وأما سياق المصنف؛ فرواه الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري في كتاب الزهد والرقاق من طريق عصام بن طليق، وهو واه عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ في حجري فقطرت دموعي على خدّه فاستيقظ فقال: «ما يبكيك»؟ فقلت ذكرت القيامة وهولها فهل تذكرون أهاليكم يا رسول الله؟ فقال: «يا عائشة ثلاث مواطن لا يذكر فيها أحد إلا نفسه: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الصحف حتى يأخذ صحيفته بيمينه أو بشماله، وعند الصراط حتى يجاوزه».

وروى يعقوب بن سفيان في فوائده من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة الباهلي قالت عائشة: يا رسول الله كيف نكون يوم لا يغني عنا من الله شيئاً؟ قال «نعم في ثلاثة مواطن» وذكر الحديث بمعنى الذي قبله واسناده واه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحي بن إسحاق، أخبرنا ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: «يا عائشة أما عند ثلاث فلا: أما عند الميزان حتى تثقل أو تخف فلا، وأما عند تطاير الكتب فاما ان يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا، ثم حين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم ويتغلظ عليهم ويقول ذلك العنق وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة. وكلت بمن دعا مع الله إلهاً آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووكلت بكل جبار عنيد» قال: «فينطوي عليهم ويرمي بهم في غمرات جهنم». اسناده ثقات سوى ابن لهيعة. وروى عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ [المؤمنون: ١٠٢] قال قال للنبي

وعن أنس قال: « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً. وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله ﷺ في يوم القيامة: « إنه

ﷺ بعض أهله هل يذكر الناس أهليهم يوم القيامة؟ قال « أما في ثلاث مواطن فلا. عند الميزان، وعند تطاير الصحف في الأيدي، وعند الصراط ».

(وعن أنس) رضي الله عنه **(قال: « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خفت ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار »)** هكذا ذكره موقوفاً على أنس. وقد رواه البزار في مسنده مرفوعاً فقال: حدثنا إسماعيل بن أبي الحرث، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا صالح المري، عن ثابت وجعفر بن يزيد ومنصور بن زاذان، عن أنس رفعه « إن ملكاً موكلاً بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي الميزان فإن رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف نادى الملك: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً » قال البزار: لا نعلمه، رواه عن ثابت عن أنس إلا صالح المري ولا عن جعفر أيضاً إلاّ صالح.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية وقال: تفرد به داود بن المحبر، وكذلك رواه ابن مردويه واللالكائي في كتاب السنة، والبيهقي في البعث، وقال أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده في فوائده: أخبرني عماي أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه كتابة، حدثنا أبو محمد بن عبد الملك بن محمد بن عبد الوهاب البغوي، حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد بن إسحاق البصري، حدثتنا حكامة بنت عثمان بن دينار قالت: حدثني أبي عثمان بن دينار، عن أخيه مالك بن دينار، عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « إذا وضع العبد في الميزان فرجحت حسناته على سيئاته نادى مناد: ألا سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن رجحت سيئاته على حسناته نادى مناد: ألا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً ».

وروى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن عبد الله بن العيزار قال: عند الميزان ملك ينادي: فلان بن فلان ثقلت موازينه وسعد سعادة لم يشق بعدها أبداً إلا أن فلان بن فلان خفت موازينه وشقي شقاوة لم يسعد بعدها أبداً ».

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال: حدثنا محمد بن العباس بن محمد، حدثنا عبد الله بن

يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له: قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول: وكم بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون» فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة، فلما رأى رسول الله ﷺ ما عند أصحابه قال: «اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني إبليس» قالوا: وما هما يا رسول الله؟ قال: «يأجوج ومأجوج» قال: فسري عن القوم فقال: «اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة».

صالح العجلي، حدثنا أبو الأحوص قال: افتخرت قريش عن سلمان فقال سلمان: لكني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم يؤتى بالميزان فإن ثقلت فأنا كريم وإن خفت فأنا لئيم. قال أبو الأحوص: تدري من أي شيء نجا إذا ثقل ميزان عبد نودي في مجمع فيه الأوّلون والآخرون: ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإذا خف ميزانه نودي على رؤوس الخلائق: ألا إن فلان بن فلان قد شقي شقاء لا يسعد بعده أبداً.

(**قال رسول الله ﷺ في يوم القيامة: «إنه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول: قم يا آدم فابعث بعث النار. فيقول: وكم بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون» فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة، فلما رأى رسول الله ﷺ الذي عند أصحابه قال: «اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني إبليس» قالوا: وما هما يا رسول الله؟ قال: «يأجوج ومأجوج» قال: فسري عن القوم. فقال: «اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي سعيد، ورواه البخاري من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم اهـ.

قلت: لفظ المتفق عليه «يقول الله تعالى: يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك. فيقول: اخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ قال: ابشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأموج ألف، والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور اسود أو كالرقمة في ذراع الحمار» رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد.



صفة الخصماء ورد المظالم:

قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الأعين شاخصة إلى لسان الميزان ﴿ فأمَّا من ثَقُلَتْ موازِينُه ★ فهُو في عيشةٍ راضيةٍ ★ وأمَّا مَنْ خَفَّت موازينُه ★ فأمُّه هاوية ★ وما أدراك ماهَيه ★ نارٌ حامية﴾ [القارعة: ٦ - ١١].

واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل

وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء « يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم قم فجهز من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة » فبكا أصحابه وبكوا. فقال: « ارفعوا رؤوسكم فوالذي نفسي بيده ما أمتي في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود » ورواه أحمد بلفظ « إن الله تعالى يقول: يوم القيامة لآدم: قم فجهز » الحديث. وفي المتفق عليه من حديث ابن مسعود « والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » وذلك ان الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر ».

صفة الخصماء ورد المظالم:

(**اعلم أنك قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الاعين شاخصة إلى لسان الميزان**) وهو عذبته ﴿ **فأمّا من ثقلت موازينه** ﴾ بالحسنات ﴿ **فهو في عيشة راضية** ﴾ أي عيشة ذات رضا أي مرضية هي الجنة قاله قتادة رواه عبد بن حميد وابن جرير ﴿ **وأما من خفت موازينه** ﴾ عنها بان لم تكن له حسنة يعبأ بها أو ترجحت سيئاته على حسناته ﴿ **فامه هاوية** ﴾ هي النار مأواهم وأمهم ومصيرهم، قاله قتادة. وقال عكرمة: أم رأسه هاوية في جهنم رواه ابن أبي حاتم، وروى عن الوالبي مثله. وقال أبو صالح: يهوون في النار على رؤوسهم. رواه ابن جرير. وعند الميزان ملك ينادي: ألا إن فلان ابن فلان ثقلت موازينه، الا إن فلان بن فلان خفت موازينه. رواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن العيزار كما تقدم. ومما يؤيد قول من قال: إن الهاوية من أسماء النار قوله: ﴿ **وما أدراك ماهيه ★ نارٌ حامية** ﴾ أي ذات حمى.

(**واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان**) يوم القيامة (**إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته، كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا قبل أن توزنوا**) رواه كثير بن هشام عن جعفر بن برقان أن عمر كتب إلى عامل له: حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة فمن فعل رجع إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته وشغله أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة، فتذكر ما توعظ به لكيما

الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى، ويرد المظالم حبة بعد حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، وإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلببه، هذا يقول ظلمتني، وهذايقول شتمتني، وهذا يقول استهزأت بي، وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني، وهذا يقول: جاورتني فأسأت جواري، وهذا يقول عاملتني فغششتني، وهذا يقول: بايعتني فغبنتني وأخفيت عني عيب سلعتك، وهذا يقول كذبت في سعر متاعك، وهذا يقول رأيتني محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتني، وهذا يقول وجدتني مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم عني فداهنت الظالم وما راعيتني: فبينا أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم ـ حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم ـ إذ قرع

تنتهي عما تنتهي عنه وتكون عند الموعظة إلى النهي، **(وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً)** خالصة لا يخالجها العزم على العود، **(ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى ويرد المظالم)** إلى أهلها **(حبة بعد حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه)** بالشتم والغيبة **(ويده)** بالضرب والإشارة **(وسوء ظنه بقلبه، ويطيب قلوبهم)** على قدر الإمكان **(حتى يموت ولم تبق عليه مظلمة)** لأحد **(ولا فريضة)** لله تعالى. **(فهذا يدخل الجنة بغير حساب)** فهو من القسم الثاني من الأقسام الثلاثة المذكورة في أول المحاسبة، **(وإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤه. فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلببه)** أي بعنقه، **(وهذا يقول: ظلمتني، وهذا)** يقول **(شتمتني، وهذا يقول استهزأت بي، وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني، وهذا يقول جاورتني فأسأت جواري، وهذا يقول عاملتني فغششتني، وهذا يقول بايعتني فغبنتني وأخفيت عني عيب سلعتك، وهذا يقول كذبت في سعر متاعك، وهذا يقول رأيتني محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتني، وهذا يقول وجدتني مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم عني فداهنت الظالم وما راعيتني. فبينا أنت كذلك قد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم، إذ قرع**

سمعك نداء الجبار رجل جلاله ﴿اليوْمَ تُجْزَى كلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اليَوم﴾ [المؤمن : ١٧] ، فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار ، وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال : ﴿ولا تحسبنَّ الله غافلاً عما يَعْمَل الظَّالمون إنما يؤخِّرُهُمْ ليومٍ تشخص فيه الأبصار ★ مُهْطِعينَ مُقْنِعي رؤوسِهِمْ لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدَتُهُم هواء ★ وأنذرِ النَّاس﴾ [ابراهيم : ٤٢ - ٤٤] .

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم! وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً ! فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضاً عن حقوقهم . قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « هل تدرون من المفلس ؟ » قلنا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع ، قال : « المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب

سمعك نداء الجبار جل جلاله : ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾ فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار) أي الهلاك ، **(وتتذكر ما أنذرك الله تعالى)** به **(على لسان رسوله)** ﷺ **(حيث قال ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾)** قال ميمون بن مهران : هي تعزية المظلوم ووعيد للظالم رواه ابن جرير : **﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ★ مهطعين﴾** مديمي النظر رواه ابن جرير عن مجاهد وقال قتادة مسرعين **﴿مقنعي رؤوسهم﴾** أي رافعين **﴿لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾** تمور في أفواههم إلى حلوقهم ليس لها مكان يستقر فيه . رواه ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير وقال مرة أي متخوّفة لا تغني شيئاً رواه ابن جرير ، وروى ابن أبي شيبة عن أبي صالح قال : يحشر الناس هكذا ووضع رأسه بيمينه على شماله عند صدره .

(فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم! وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين) أي ذليل **(لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً ! فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضاً عن حقوقهم . قال أبو هريرة)** رضي الله عنه : **(قال رسول الله ﷺ « هل تدرون من المفلس » ؟ قلنا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع قال « المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، فيأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا**

هذا فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ». فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكائد الشيطان، فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل، لعلمت أنه لا ينقضي عنك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك! فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء؟ فقد روى أبو ذر: أن رسول الله ﷺ رأى شاتين ينتطحان فقال: « يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان؟ » قلت: لا. قال: « ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة ».

وقال أبو هريرة في قوله عز وجل: ﴿وَمَا مِنْ دابَّةٍ في الأَرْضِ ولاَ طائرٍ يطيرُ بجناحيْه إلاَّ أممٌ أمثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]، أنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة ـ البهائم

فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، وإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ») رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم. (**فانظر إلى معصيتك في مثل هذا اليوم إذ ليس تسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان، فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا ينقضي عليك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء**) هي الشاة التي لا قرن لها (**من القرناء**) هي التي لها قرون؟ (**فقد روى أبو ذر**) الغفاري رضي الله عنه: (**أن رسول الله ﷺ رأى شاتين ينتطحان فقال: « يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان »؟ قلت: لا. قال: « ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة »**) قال العراقي: رواه أحمد من رواية أشياخ لم يسموا عن أبي ذر اهـ.

قلت: رواه كذلك الطيالسي في مسنده، وروى أحمد بسند حسن من حديث أبي هريرة « ليختصمن يوم القيامة كل شيء حتى الشاتان فيما انتطحتا ». ومن حديث أبي سعيد الخدري « والذي نفسي بيده ليختصم يوم القيامة كل شيء حتى الشاتان فيما انتطحتا ».

(**وقال أبو هريرة في**) تفسير (**قوله عز وجل ﴿وما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم﴾ يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء**

والدواب والطير وكل شيء - فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول كوني تراباً، فذلك حين يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول: أين حسناتي؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك. وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتدّ بسبب الكف عنها عناؤك فتقول: يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط! فقال: هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة.

قال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: « إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات، فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعـات فيرى أنهن

فيبلغ من عذاب) كذا في النسخ وهو غلط من النساخ، والصواب من عدل، **(الله عز وجل أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول: كوني تراباً فذلك حين يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً)** رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. وقال يحي بن جعدة: إن أوّل خلق الله يحاسب يوم القيامة الدواب والهوام حتى يقضي بينهما حتى لا يذهب شيء بظلامة ثم يجعلها تراباً، ثم يبعث الثقلين الجن والانس فيومئذ يتمنى الكافر أن يكون تراباً. رواه الدينوري في المجالسة. وقال مجاهد: تقاد المنقورة من الناقرة، والمركوضة من الراكضة، والجلحاء من ذات القرنين، والناس ينظرون. ثم يقال: كوني تراباً لا جنة ولا نـاراً. رواه ابـن المنـذر، وقـال أبو الزناد: إذا قضي بين الناس وأمر أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار قيل لسائر الأمم ولمؤمني الجن: عودوا تراباً فيعودون. رواه ابن شاهين في كتاب العجائب والغرائب.

(فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك. فتقول: أين حسناتي؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائـك؟ وتـرى صحيفتـك مشحـونـة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتدّ بسبب الكف عنها عناؤك فتقول: يا ربّ هذه سيئات ما قارفتها قط: فيقال: هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكـرة والمدارسـة وسائـر أصناف المعاملة).

(قال ابن مسعود) رضي الله عنـه: **(قـال رسـول الله ﷺ: « إن الشيطـان قـد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب، ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن العبد يجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات**

سينجينه فما يزال عبد يجيء فيقول: رب إن فلاناً ظلمني بمظلمة. فيقول: امحِ من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء، وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا». وكذلك الذنوب. ولما نزل قوله تعالى: ﴿إنَّك ميِّتٌ وإنَّهم

فيرى أنهن ستنجيه، فما يزال عبد يجيء فيقول: يا رب إن فلاناً ظلمني بمظلمة فيقول: امح من حسناته، فما يزال كذلك حتى ما يبقى من حسناته شيء وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا وكذلك الذنوب»). قال العراقي: رواه أحمد والبيهقي في الشعب مقتصراً على آخره: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وأن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً» الحديث وإسناده جيد. أما أوّل الحديث؛ فرواه مسلم مختصراً من حديث جابر: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» اهـ.

قلت: أوّل الحديث قد روي من طرق منها: حديث عبادة بن الصامت: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب». رواه الطبراني في الكبير والضياء في المختارة وفي لفظ للطبراني: «أن تعبد الأصنام في جزيرة العرب». ورواه كذلك من حديث أبي الدرداء.

ومنها: حديث ابن عباس: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا» الحديث رواه الحاكم.

ومنها: حديث العباس بن عبد المطلب: «إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب، ولكن خفت أن يضل من يبقى منهم بالنجوم» رواه الطبراني في الكبير.

ومنها: حديث أبي هريرة: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم هذه ولكن رضي منكم بما تحقرون» رواه أبو نعيم في الحلية.

ومنها: حديث معاذ: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضي هذه ولكنه قد رضي بالمحقرات من أعمالكم» رواه الطبراني في الكبير.

وأما حديث جابر فلفظه: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم» رواه أحمد ومسلم والترمذي والتحريش: هو إغراء بعض على بعض.

وأما لفظ حديث ابن مسعود عند أحمد والبيهقي: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه كرجل كان في أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل يجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا من ذلك سواداً وأججوا ناراً فانضجوا ما فيها» وكذلك رواه الطبراني: وقد روي نحو ذلك من حديث سهل بن سعد: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ وجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما انضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه». رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

ميتون ★ ثُمَّ إنَّكُم يَوْمَ القيامةِ عندَ ربِّكُم تختصمون﴾ [الزمر : ٣٠ ، ٣١] قال الزبير : يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال : « نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه » قال الزبير : والله إن الأمر لشديد . فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم ! قال أنس : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الله العباد عراة غبراً بهماً » قال : قلنا ما بهماً ؟ قال : « ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن

وروى الخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث ابن مسعود : « اتقوا المظالم ما استطعتم فإن الرجل يجيء يوم القيامة بحسنات يرى أنها ستنجيه فما يزال عند ذلك يقول : إن لفلان قبلك مظلمة فيقول : امحوا من حسناته فما تبقى له حسنة ، ومثل ذلك كمثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فاحتطبوا للنار وانضجوا ما أرادوا فكذلك الذنوب » . وهذا السياق هو الذي عناه المصنف .

وروى الخرائطي أيضاً من حديث أبي أمامة : « إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشوراً فيقول : رب ألم أعمل حسنة يوم كذا وكذا فيقال له : محيت عنك باغتيابك الناس » . وإسناده ضعيف .

(ولما نزل قوله تعالى : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون ★ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزبير) بن العوّام رضي الله عنه : **(يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال : « نعم ليكررن عليكم)** ذلك **(حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه » قال الزبير : والله إن الأمر لشديد)** . قال العراقي : رواه أحمد واللفظ له والترمذي من حديث الزبير وقال : حسن صحيح اهـ .

قلت : ورواه كذلك عبد الرزاق وابن منيع وابن أبي عمر وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في البعث . ورواه ابن جرير والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم من حديث عبد الله بن الزبير بمثل سياق المصنف .

(فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم . قال أنس) رضي الله عنه : هكذا في سائر النسخ وهو غلط صوابه عبدالله بن أنيس ـ كما سيأتي ـ **(سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الله العباد عراة غبراً بهماً » قال : قلنا ما بهماً ؟ قال : « ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة**

يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى اقتصه منه، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى اقتصه منه؛ حتى اللطمة» قلنا: وكيف وإنما نأتي الله عز وجل عراة غبراً بهماً! فقال: «بالحسنات والسيئات» فاتقوا الله

ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى اقتصه منه، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى اقتصه منه حتى اللطمة» . قلنا: وكيف إنما نأتي الله عراة غبراً بهماً؟ فقال: «بالحسنات والسيئات») قال العراقي: ليس من حديث أنس، وإنما هو عبدالله بن أنيس رواه أحمد بإسناد حسن وقال: غرلاً بدل بهماً اهـ.

قلت: ورواه أبو يعلى والخرائطي في مساوىء الأخلاق، والطبراني في الكبير، والحاكم والضياء ولفظهم: «بهماً» كما عند المصنف وعبدالله بن أنيس جهمي حالف بني سلمة من الأنصار، فلذلك يقال له الأنصاري: قال ابن يونس: صلى إلى القبلتين، ودخل مصر وخرج إلى إفريقية.

قلت: وهو المدفون في جربة وحديثه هذا في القصاص وهو الذي رحل له جابر لسماعه منه إلى مصر. رواه أحمد وغيره من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: بلغني حديث في القصاص وصاحبه بمصر فرحلت إليه مسيرة شهر فذكره. وقال البخاري في كتاب العلم من الصحيح، ورحل جابر إلى عبد الله بن أنيس مسيرة شهر».

وقال في كتاب التوحيد: ويذكر عن عبد الله بن أنيس فذكر طرفاً من الحديث: أخبرنا عبد الخالق بن أبي بكر الزبيري، أخبرنا محمد بن أحمد بن سعيد، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا علي بن يحيي، أخبرنا يوسف بن عبد الله الحسني، أخبرنا أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الحافظ، أنبانا محمد بن مقبل الحلبي مكاتبة عن أبي طلحة محمد بن علي بن يوسف الحرادي، أخبرنا الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، أخبرنا أبو زكريا يحيي بن عبد الرحمن الحنبلي، أخبرنا أبو طاهر الخشوعي، أخبرنا أبو محمد هبة الله بن الأكفاني، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب في كتابه الرحلة في طلب الحديث ما لفظه: ذكر عن رجل في حديث واحد من الصحابة الأكرمين رضوان الله عليهم أجمعين، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يوسف الصياد، والحسن بن أبي بكر قالا: أخبرنا أحمد بن يوسف بن خلاد العطار ح.

وأخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا محمد بن محمد بن أحمد بن مالك الأسكافي قالا: حدثنا الحرث بن محمد بن أبي أسامة ح.

وأخبرتنا أم الفرج فاطمة بنت هلال بن أحمد الكرخي قالت: أخبرنا عثمان بن أحمد بن عبدالله الدقاق، حدثنا الحرث بن أبي أسامة التميمي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا همام بن يحيي، عن القاسم بن عبد الواحد المكي ح.

....

وحدثني أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن علي السوذرجاني لفظاً باصبهان وسياق الحديث له، حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي المقري، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا شيبان، حدثنا همام، حدثنا القاسم بن عبد الواحد، حدثني عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب أن جابر بن عبد الله حدثه قال: بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم أسمعه منه قال: فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى لُتيت الشام، فإذا هو عبدالله بن أنيس الأنصاري قال: فأرسلت إليه أن جابراً على الباب قال: فرجع إلى الرسول، فقال: جابر بن عبدالله؟ قلت: نعم. قال: فرجع الرسول إليه فخرج إلي فاعتنقني واعتنقته. قال: قلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول اللهُ ﷺ في المظالمْ لم أسمعه، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الله العباد أو قال يحشر الله الناس» قال: وأومأ بيده إلى الشام: «عراة غرلاً بهماً» فساقه مثل سياق المصنف.

قال الخطيب: وهكذا رواه عبد الوارث بن سعيد، عن القاسم بن عبد الواحد، أخبرنا علي بن أحمد بن عمر المقري، أخبرنا محمد بن عبدالله بن إبراهيم الشافعي، حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا مسدد، حدثنا عبد الوارث، عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر ابن عبدالله قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فاشتريت بعيراً فشددت عليه رحلاً ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت مصر. قال: فخرج إليَّ غلام أسود فقلت: استأذن على فلان. قال: فدخل فقال: إن اعرابياً بالباب يستأذن فأخرج إليه فقال له: من أنت؟ قال: فقال له: أخبره أني جابر بن عبدالله؟ قال: فخرج إليه فالتزم كل واحد منهما صاحبه قال: فقال: ما جاء بك؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ في القصاص ما أعلم أن أحداً يحفظه غيرك، فأحببت أن تذاكرنيه. قال: نعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة حشر الله عباده عراة غرلاً بهماً فيناديهم بصوت يسمعه من بعد منهم كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا تظالموا اليوم لا ينبغي لأحد» فساقه وفيه: قالوا يا رسول الله وكيف وإنما نأتي الله عراة غرلاً بُهماً، قال: «من الحسنات والسيئات».

قال: وروي عن أبي جارود العبسي، عن جابر أخبرنيه عبد العزيز بن علي الأزجي، حدثنا علي ابن عمر بن محمد الحربي، حدثنا حامد بن بلال البخاري حدثنا محمد بن عبدالله المقري البخاري، حدثنا بحير بن النضر، حدثنا عيسى غنجار، عن عمر بن الصبح، عن مقاتل بن حيان، عن أبي جارود العبسي أن جابر بن عبدالله قال: بلغني حديث في القصاص وكان صاحب الحديث بمصر، فاشتريت بعيراً وشددت عليه رحلاً ثم سرت شهراً حتى وردت مصر، فسألت عن صاحب الحديث فدلك عليه، فإذا هو باب لاطيء، فقرعت الباب فخرج إليَّ مملوك له أسود فقلت: ههنا أبو فلان؟ فسكت عني فدخل فقال لمولاه: بالباب اعرابي يطلبك. فقال: اذهب فقل له من أنت؟ فقلت: جابر بن عبدالله صاحب رسول الله ﷺ. قال: فخرج إليَّ فرحب بي وأخذ بيدي قلت: حديث في القصاص لا أعلم أحداً ممن بقي أحفظ له منك. فقال: أجل سمعت رسول الله ﷺ

عباد الله، ومظالم العباد يأخذ أموالهم والتعرض لأعواضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله، فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم، كما روي عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر: ما يضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته فقال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء، فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب يتحمل عني من أوزاري» قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: «إن ذلك

يقول: «إن الله يبعثكم يوم القيامة حفاة عراة غرلاً وهو تعالى على عرشه ينادي بصوت له رفيع غير فظيع يسمع البعيد كما يسمع القريب يقول: أنا الديان لا ظلم عندي وعزتي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم ولو لطمة ولو ضرب يد على يد ولأقتص للجماء من القرناء ولأسألن الحجر لم نكب الحجر، ولأسألن العود لم خدش صاحبه في ذلك أنزل علي في كتابه ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾ [الأنبياء: ٤٧] ثم قال رسول الله ﷺ: إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط، ألا فليرقب أمتي العذاب إذا تكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء».

(فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر) أي ليخف **(ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله، فعساه يقربه)** ذلك **(إلى الله تعالى فينال لطفه الذي ادخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم، كما روي عن أنس)** رضي الله عنه، **(عن رسول الله ﷺ أنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر)** رضي الله عنه: **(ما يضحكك)** وفي نسخة ما أضحكك **(يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي العزة. فقال احدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: اعط أخاك مظلمته. فقال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء. فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب يتحمل عني من أوزاري». قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: «إن ذلك ليوم عظيم يوم**

ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم » قال: « فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا ؟ أو لأي شهيد هذا ؟ قال: لمن أعطاني الثمن ، قال: يا رب ومن يملك ثمنه ؟ قال: أنت تملكه ، قال: وما هو ؟ قال: عفوك من أخيك ، قال: يا رب إني قد عفوت عنه ، قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين » وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق.

يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم » قال: فقال الله للطالب: ارفع رأسك) وفي رواية ارفع بصرك (**فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا ؟ قال: لمن أعطاني الثمن. قال: يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال: أنت تملكه. قال: ما هو؟ قال عفوك عن أخيك؟ قال: يا رب إني قد عفوت عنه. قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخله الجنة »**) وفي رواية: « فادخلا الجنة » (**ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله والحاكم في المستدرك وقد تقدم اهـ.

قلت: ورواه كذلك أبو يعلى والبيهقي في البعث وقد صححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بأن في سنده عباد بن شيبة الحبطي روى عنه عبد الله بن بكر السهمي ضعف وبقية رجاله ثقات.

(**وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق**). وقد تقدم الكلام على معنى التخلق بأخلاق الله. ونقل صاحب المواهب عن المصنف أنه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة يرجح ميزانه وقد اعتدلت بالتسوية فيقول الله تعالى له رحمة منه: اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فما يجد أحداً يكلمه في ذلك الأمر إلا قال له: أنا أحوج لذلك منك فييأس فيقول له رجل: لقد لقيت الله فما وجدت في صحيفتي إلا حسنة واحدة وما أظنها تغني عني شيئاً خذها هبة فينطلق بها فرحاً مسروراً فيقول الله له: ما بالك وهو أعلم. فيقول: يا رب اتفق من أمري كيت وكيت. قال: فينادي الله صاحبه الذي وهبه الحسنة فيقول له تعالى: كرمي أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة، وكذا تستوي كفتا الميزان برجل، فيقول الله تعالى له: لست من أهل الجنة ولا من أهل النار، فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب أف فترجح على الحسنات لأنها كلمة عقوق فيؤمر به إلى النار. قال: فيطلب الرجل أن يرد إلى الله فيقول الله: ردوه فيقول له: أيها العبد العاق لأي شيء تطلب الرجوع إليّ؟ فيقول: إلهي إني سائر إلى النار وكنت عاقاً لأبي وهو سائر إلى النار

فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد. كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء. وعند ذلك طار قلبك سروراً وفرحاً وابيضّ وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعاً رأسك خالياً عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك، وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشهاد: هذا فلان ابن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً! أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك، وتصنعك وتزينك؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك إلا به.

وإن تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة

مثلي فضعف علي العذاب انقذه منها. قال: فيضحك الله ويقول: عققته في الدنيا وبررته في الآخرة خذ بيد أبيك وانطلقا إلى الجنة.

(فتفكر الآن في نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أن تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في منصرفك عن مفصل القضاء، وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاوة ونعيم لا يدور بحواشيه الفناء، وعند ذلك طار قلبك سروراً فرحاً وابيضّ وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعاً رأسك خالياً عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك، وخلق الأوّلين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك، وينادون على رؤوس الأشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً) . وقد تقدم معنى ذلك من حديث أنس من عند صاحب الحلية. وروي نحوه عن سلمان في كتاب الأهوال لابن أبي الدنيا. **(فترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك، فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه المرتبة)** العالية **(بالإخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله تعالى فلن تدرك ذلك إلا به)** .

(وإن تكن الأخرى والعياذ بالله تعالى بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة

وهي عند الله عظيمة فمقتك لأجلها فقال: عليك لعنتي يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك، فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون: وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجعين، وعند ذلك تنثال إليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وذعارتها وصورها المنكرة، فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك، وأنت تنادي بالويل والثبور، وهم يقولون لك ﴿لا تَدْعُوا اليوْمَ ثبوراً واحداً وادْعُوا ثبوراً كثيراً﴾ [الفرقان: ١٤] وتنادي الملائكة ويقولون: هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلباً للمكانة في قلوبهم أو خوفاً من الافتضاح عندهم، فما أعظم جهلك إذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق بأيدي الزبانية إلى سواء الجحيم، فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط.

وهي عند الله عظيمة) ولو نحو أف للوالدين (**فمقتك لأجلها فقال: عليك لعنتي يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك**) بل هي مردودة عليك. (**فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون: وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين، وعند ذلك ينثال إليك الزبانية**) وهم الملائكة الموكلة بالنار، (**وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وذعارتها وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك**) وأقدامك (**يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق، وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون: ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيرا﴾ وتنادي الملائكة ويقولون: هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً**) كما روي معناه في حديث أنس المتقدم. (**وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله، أو طلباً للمكانة في قلوبهم، أو خوفاً من الافتضاح عندهم، فما أعظم جهلك إذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة**) الفانية عن قرب، (**ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملأ العظيم**) وقد ورد: فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة كما تقدم (**مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم، والسياق بأيدي الزبانية إلى سواء الجحيم. فهذه أحوالك وأنت لم تشعر**) بعد (**بالخطر الأعظم**) والخطب الأفزع الأهم (**وهو خطر الصراط**).

صفة الصراط:

ثم تفكر بعد هذه الأهوال في قول الله تعالى: ﴿يومَ نحشُرُ المتقِينَ إلى الرحمنِ وفداً ★ ونسوقُ المجرمينَ إلى جهنم ورداً﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]، وفي قوله تعالى: ﴿فاهدُوهُم إلى صِرَاط الجحيم ★ وقِفُوهُم إنهم مسؤولون﴾ [الصافات: ٢٣ - ٢٤]، فالناس بعد هذه الأهوال يساقون إلى الصراط - وهو جسر ممدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر - فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر في أول قدم من الصراط وتردى. فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل

صفة الصراط:

(ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأهوال في قول الله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾) أي ركباناً **(﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً)** أي عطاشاً. **(وفي قوله تعالى: ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم ★ وقفوهم إنهم مسؤولون﴾)** أي عن أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، **(فالناس بعد هذه الأهوال)** في الموقف **(يساقون إلى الصراط وهو)** كما في الأخبار الواردة **(جسر ممدود على متن النار أحدّ من السيف وأدق من الشعر، فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم)** المشار إليه بقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] وقد اختلف في تفسيره على أقوال كثيرة أشهرها: طريق الحق **(خف على صراط الآخرة ونجا. ومن عدل على الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر في أول قدم من الصراط وتردى)**.

وروى الحاكم عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أمامكم عقبة كؤد لا يجوزها المثقلون » وذكر صاحب المواهب أن في الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو يلتقطه عنق من النار، فإذا خلص من خلص من الصراط الأكبر حبسوا على صراط آخر لهم، ولا يرجع إلى النار أحد من هؤلاء إن شاء الله تعالى لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم، وقد روى البخاري من حديث أبي سعيد: « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى في الجنة بمنزلة في الدنيا ».

(فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها) وزفيرها، **(وقد كلفت أن تمشي**

ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشي على بساط الأرض فضلاً عن حدة الصراط ، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته ، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون ، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب ، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتتسفل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم ، فيا له من منظر ما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه ! فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك ، تلتفت يميناً وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون في النار والرسول عليه السلام يقول : « يا رب سلم سلم » والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق ، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك ؟ فناديت بالويل والثبور وقلت : هذا ما كنت أخافه فيا ليتني قدمت لحياتي ! يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ! يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ! يا ليتني كنت تراباً ! يا ليتني كنت نسياً منسياً ! يا ليت أمي لم تلدني ! وعند ذلك تختطفك النيران ـ والعياذ بالله ـ وينادي المنادي : ﴿ أخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] ، فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس

على الصراط مع ضعف حالك واضطرب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض فضلاً عن حدة الصراط ، فكيف بك إذ وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية ، والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب ، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتنسبل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم ، فيا له من منظر ما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه ! فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يميناً وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون) أي يتساقطون (في النار والرسول عليه السلام يقول : « يا رب سلم سلم ») وكذلك الملائكة وهو شعار المؤمنين يومئذ كما في الخبر وسيأتي (والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق ، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور ، وقلت : هذا ما كنت أخافه) في الدنيا ، (فياليتني قدمت لحياتي ! يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ! يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ! ياليتني كنت تراباً يا ليتني كنت نسياً منسياً ! ياليت أمي لم تلدني) والقائلون ذلك المجرمون والكفار كما ورد التصريح بذلك في بعضها وفي بعضها بمناسبة السياق ، ويدل لذلك قوله : (وعند ذلك تخطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي : ﴿ اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾ فلا يبقى سبيل إلى الصياح والأنين والتنفس

والاستغاثة، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك؟ فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم، وإن كنت به مؤمناً وعنه غافلاً وبالاستعداد له متهاوناً فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه! فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه ـ وإن سلمت ـ فناهيك به هولاً وفزعاً ورعباً! قال رسول الله ﷺ: «يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجيز بأمته من الرسل، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم اللهم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تختطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو».

والاستغاثة، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك؟ فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم؟ وإن كنت به (**مؤمناً وعنه غافلاً وبالاستعداد متهاوناً فما أعظم خسرانك وطغيانك؟ وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه؟ فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه، وإن سلمت فناهيك به هولاً وفزعاً ورعباً.**
قال رسول الله ﷺ: «يضرب الصراط بين ظهري) وفي لفظ بين ظهراني (**جهنم**) أي أجزائها (**فأكون**) أنا (**أول من يجيز بأمته من الرسل**) وفي لفظ: فأكون أنا وأمتي أول من يجوز. (**ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان**) وهو نبت بالبادية شوكه مفرطح (**هل رأيتم شوك السعدان**»؟ **قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «فإنها مثل شوك السعدان**) في الصورة والهيئة (**غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تختطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل**) أي يصير قطعاً كالخردل (**ثم ينجو**») الحديث بطوله. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث طويل اهـ.

قلت: أخرجاه من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد، عن أبي هريرة. وعند مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة: «ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى يعجز أعمال العباد حتى يأتي الرجل لا يستطيع السير إلا زحفاً» قال: «وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكردس في النار» وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في الحديث: «حفت النار بالشهوات» فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوات سقط في النار قاله ابن العربي ويؤخذ من قوله: فمخدوش الخ أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف: ناج

وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: « يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يميناً وشمالاً وعلى جنبيه ملائكة يقولون: اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون،وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً، ثم يؤذن في الشفاعة » وذكر إلى آخر الحديث.

بلا خدش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو. وفي حديث المغيرة عند الترمذي: « شعار المؤمنين يومئذ على الصراط رب سلم رب سلم » ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به، بل ينطق به الرسل يدعون للمؤمنين فيسمى ذلك شعاراً لهم.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف الناس يميناً وشمالاً وعلى جنبيه)** أي على طرفي الجسر **(ملائكة يقولون: اللهم سلم، فمن الناس من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس المجري، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً، ثم يؤذن في الشفاعة » وذكر إلى آخر الحديث)** وتمامه: « فيؤخذون ضبارات فيقذفون على نهر من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل. أما رأيتم الصبغاء شجرة تنبت في الغثاء فيكون في آخر من أخرج من النار رجل على شفتها فيقول: يا رب اصرف وجهي عنها. فيقول: عهدك وذمتك لا تسألني غيرها، وعلى الصراط ثلاث شجرات فيقول: يا رب حوّلني إلى هذه الشجرة آكل من ثمرها وأكون في ظلها فيقول: عهدك وذمتك لا تسألني غيرها، ثم يرى أخرى هي أحسن منها فيقول: يا رب حوّلني إلى هذه آكل من ثمرها وأكون في ظلها. فيقول: عهدك وذمتك لا تسألني غيرها. ثم يرى أخرى فيقول: يا رب حوّلني إلى هذه آكل من ثمرها وأكون في ظلها، ثم يرى سواد الناس ويسمع كلامهم فيقول: يا رب أدخلني الجنة فيعطى الدنيا ومثلها ». قال العراقي: متفق عليه مع اختلاف ألفاظه اهـ.

قلت: هذا السياق بتمامه لأحمد وأبي يعلى وابن حبان والحاكم ولأحمد وعبد بن حميد من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معاً: « آخر من يخرج من النار رجلان يقول الله عز وجل لأحدهما: يا ابن آدم ما أعددتِ لهذا اليوم؟ هل عملت خيراً قط؟ هل رجوتني؟ فيقول: لا يا رب فيؤمر به إلى النار، فهو أشد أهل النار حسرة ويقول للآخر: يا ابن آدم ما أعددت لهذا اليوم؟ هل عملت

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: « **يجمع الله الأوّلين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء** » وذكر الحديث إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال: « **ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نور مثل الجبل**

خيراً قط ورجوتني؟ فيقول: لا يا رب إلا أني كنت أرجوك فترفع له شجرة » فساق الحديث نحو السياق المتقدم.

وروى مسلم من طريق جعفر بن عون، أخبرنا هشام بن سعيد، أخبرنا زيد بن أسلم، عن عطاء ابن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال؛ قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فساق الحديث. وفيه: « إذا كان يوم القيامة نادى مناد لتلحق كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد ما كـان يعبـد صنماً ولا وثناً ولا صورة إلا ذهبوا يتساقطون في النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب » قال: « ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ثم يضرب الجسر على جهنم. قلنا: وما الجسر يا رسول الله بأبينا وأمنا؟ قال: « دحض مزلة له كلاليب وخطاطيف وحسك تكون بنجد يقال لها عقيقاء يقال له السعدان، فيمر المؤمن كلمح البرق وكالطرف وكالريح وكالطير وكأجود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم، فوالذي نفسي بيده ما أحد بأشد مناشدة في الحق يراه مضيئاً له من المؤمنين في إخوانهم ».

وأول الحديث عند البخاري: « هل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ هل تمارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ فإنكم ترونه كذلك يحشر الله الناس يوم القيامة » فساق الحديث وفيه: « ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته » ثم ساقه كما ساق المصنف. وقال بعد قوله « ثم ينجو » « حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئـاً ممن يقـول لا إله إلا الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود » الحديث بطوله. وفي آخره: « حتى إذا انتهت به الأماني قال الله عز وجل لك مثل ذلك وعشرة أمثاله ». ورواه كذلك أحمد ومسلم. ورواه كذلك أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة إلا أن في حديث أبي هريرة: « لك ذلك ومثله معه ».

(وعن ابن مسعود) رضي الله عنه **(أنه ﷺ قال: « يجمع الله الأوّلين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء » وذكر الحديث إلى وقت سجود المؤمنين قال ثم يقول: « ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهـم من يعطي نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه،**

العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه فيضيء مرة ويخبو مرة فإذا أضاء قدم قدمه فمشى وإذا أظلم قام » ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم « فمنهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي أعطي نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار » قال: « فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال: الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل ».

ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك،ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه فيضيء مرة ويخبو مرة، فإذا أضاء قدّم قدمه فمشى، وإذا أظلم قام »، ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم: « فمنهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم كشد الرجل) أي كجريه (حتى يمر الذي أعطى نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى، وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار » قال: « فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال: الحمد لله لقد أعطاني ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل ») قال العراقي: رواه ابن عدي والحاكم وقد تقدم بعضه مختصراً اهـ.

قلت: هذا السياق بتمامه رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال. وقد روي بعض ذلك من قول ابن مسعود.روى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه ابن مسعود وقال: « يؤتون نورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه يطفأ مرة ويقد أخرى » وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: « إن من المؤمنين يوم القيامة من يضيء له نوره كما بين المدينة إلى عدن أبين إلى صنعاء فدون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه » وروى أحمد ومسلم والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود: « آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ما

وقال أنس بن مالك: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي وإني لأقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير ».

أعطاه أحداً من الأوّلين والآخرين فترفع له شجرة فيقول: أي رب ادنني من هذه الشجرة» الحديث بطوله.

(**وقال أنس بن مالك**) رضي الله عنه: (**سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وأن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وأن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي وإني لأقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير »**) قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب وقال هذا إسناده ضعيف. قال: وروي عن زياد النميري عن أنس مرفوعاً: « الصراط كحد الشعرة أو كحد السيف» قال: وهي رواية صحيحة اهـ.

ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت وروى مسلم عن أبي سعيد قال: « بلغني أن الصراط أحد من السيف وأرق من الشعرة» وفي رواية ابن منده من هذا الوجه قال سعيد بن هلال: بلغني. ووصله البيهقي عن أنس رفعه مجزوماً به، وفي سنده لين، وقيل: إنه شعرة من جفن مالك خازن النار ولم ير له مستند، ولابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير أن الصراط مثل السيف وبجنبيه كلاليب إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر. وأخرجه ابن أبي الدنيا من هذا الوجه وفيه: « والملائكة على جنبيه يقولون رب سلم سلم» وروى ابن عساكر عن الفضيل بن عياض قال: بلغنا أن الصراط مسيرة خمس عشرة ألف سنة خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف مستوى أدق من الشعر وأحدّ من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله. قال الحافظ في الفتح: وهذا معضل لا يثبت. قال: وعن سعيد بن هلال: بلغنا أن الصراط أرق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع. رواه ابن المبارك وهو مرسل أو معضل، وقد ذهب بعض الناس إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] الجواز على الصراط لأنه ممدود على النار. وروي عن ابن عباس، وابن مسعود، وكعب الأحبار أنهم قالوا: الورود المرور على الصراط. وقيل: الورود الدخول. وروي ذلك عن جابر بن عبدالله مرفوعاً رواه أحمد والبيهقي بإسناد حسن. ويروى مرفوعاً: « الزالون على الصراط كثير وأكثر من يزل عنه النساء ».

قال ابن الجوزي في روضة المشتاق: إذا صار الناس على طرفي الصراط نادى ملك من تحت العرش: يا فرط الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم، فيا لها من ساعة ما أعظم خوفها وأشد حرها يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفاً مهيناً ويتأخر عنها من كان فيها عظيماً مكيناً، ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك في الجواز على الصراط على قدر أعمالهم فإذا عصف

فهذه أهوال الصراط وعظائمه، فطول فيه فكرك. فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا، فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد، فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة. ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك. فماذا من الخوف في شيء. بل من خاف شيئاً هرب منه، ومن رجا شيئاً طلبه، فلا ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته. وأبعد من رقة النساء خوف

الصراط بأمة محمد ﷺ نادوا: وامحمداه وامحمداه! فيبادر ﷺ من شدة إشفاقه عليهم وجبريل آخذ بحجزته فينادي رافعاً صوته: «رب أمتي أمتي لا أسأل اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي» والملائكة قيام عن يمين الصراط وعن يساره ينادون رب سلم وقد عظمت الأهوال واشتدت الأوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال، وينادونهم: أما نهيتم عن كسب الأوزار، أما أنذرتم كل الإنذار، أما جاءكم النبي المختار؟ اهـ نقله صاحب المواهب.

وروى القرطبي عن ابن المبارك عن عبدالله بن سلام: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبياً نبياً وأمة أمة ويضرب الجسر على جهنم وينادي: أين أحمد وأمته؟ فيقوم رسول الله ﷺ وتتبعه أمته برها وفاجرها حتى إذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون في النار يميناً وشمالاً، ويمضي النبي ﷺ والصالحون بعد فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهي إلى ربه فيوضع له كرسي عن يمين العرش.

وحكى القرطبي عن بعض أهل العلم: لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر، فأما القنطرة الأولى فيسأل عن الإيمان بالله وهو شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها مخلصاً جاز، ثم يسأل في القنطرة الثانية عن الصلاة فإن جاء بها مخلصاً جاز، ثم يسأل في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فإن جاء به تاماً جاز، ثم يسأل في القنطرة الرابعة عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في الخامسة عن الحج والعمرة فإن جاء بهما تامين جاز إلى القنطرة السادسة، فيسأل عن الغسل والوضوء فإن جاء بهما تامين جاز، ثم يسأل في القنطرة السابعة عن ظلمات الناس وليس في القناطر أصعب منها.

(**فهذه أهوال الصرط وعظائمه**) أي شدائده، (**فطوّل فيه فكرك فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيه فكره في الدنيا، فإن الله لا يجمع على عبد بين خوفين**) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم في الرجاء والخوف، (**فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة**) لا محالة. (**ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك. فماذا من الخوف في شيء. بل من خاف شيئاً هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه**) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم. (**فلا ينجيك**) من هول ذلك اليوم. (**إلا خوف يمنعك من معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وأبعد من رقة**

الحمقى إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم: استعنت بالله نعوذ بالله اللهم سلم سلم. وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم. فالشيطان يضحك من استعاذتهم. كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن، فإذا رأى أنياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه: أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وأحكام أركانه! فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى يغني ذلك عنه من السبع. وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول: « لا إله إلا الله » صادقاً ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره. ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد من الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه، فإن عجزت عن ذلك كله فكن محباً لرسول الله ﷺ حريصاً على تعظيم سنته ومتشوقاً إلى قلوب مراعاة

النساء خوف **الحمقي**) الذين عدموا جوهر العقل (**إذا سمعوا**) تلك (**الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة، فقال أحدهم: استعنت بالله**) أو المستعان بالله، أو (**نعوذ بالله**) من تلك الأهوال، أو رب (**سلم سلم**) أو ما أشبه هذه الكلمات. (**وهم مع ذلك مصرون على المعاصي**) ومقيمون على القبائح والزلات (**التي هي سبب هلاكهم، فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن**) منيع يمكنه أن يفر من بين يديه ويتحصن بذلك الحصن، (**فإذا رأى أنياب السبع وصولته من بُعد قال بلسانه: أعوذ بهذا الحصن الحصين**) من شر هذا السبع، (**واستعين بشدة بنيانه وأحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى يغني عنه ذلك من السبع، وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول لا إله إلا الله صادقاً**) فمن قالها صادقاً تحصن من تلك الأهوال وأمن شرها.

وروى ابن النجار من حديث علي قال الله عز وجل: « لا إله إلا الله كلامي وأنا هو، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عقابي » ورواه الشيرازي في الألقاب بلفظ: « قال الله عز وجل إني أنا الله لا إله إلا أنا من أقرّ لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي » وروى ابن النجار من رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه: « من قال لا إله إلا الله يصدق لسانه قلبه دخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء ». وروى أحمد والبيهقي من حديث معاذ: « من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه دخل الجنة ».

(**ومعنى صدقه أن لا يكون لك مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه**)، وهو المفهوم من خبر أبي سعيد: « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » رواه البزار والطبراني في الأوسط. (**فإن عجزت عن ذلك كله فكن محباً لرسول الله ﷺ حريصاً على تعظيم سنته ومتشوقاً إلى**

الصالحين من أمته ومتبركاً بأدعيتهم. فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة.

صفة الشفاعة:

اعلم إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصدّيقين، بل شفاعة العلماء والصالحين، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة، فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه، فكن حريصاً على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة، وذلك بأن لا تحقر آدمياً أصلاً فإن الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله، ولا تستصغر معصية أصلاً، فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه، ولا تستحقر أصلاً طاعة، فإن الله

مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركاً بأدعيتهم، فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة) والله الموفق.

صفة الشفاعة:

اعلم أنه قد أنكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل المذنبين النار وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [المدثر: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ [غافر: ١٨].

وأجاب أهل السنة بأن هذه الآيات في الكفار. قال القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً لصريح قوله تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾ [طه: ١٠٩] وقوله: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ [الإسراء: ٧٩] المفسر بها عند الأكثرين كما سيأتي. وقد جاءت الروايات من الأخبار التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين. وقد أشار المصنف إلى ذلك فقال:

(اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل شفاعة الأنبياء والصديقين، بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله جاه وحسن معاملة، فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه، فكن حريصاً على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة، وذلك بأن لا تحقر آدمياً أصلاً، فإن الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصيته أصلاً، فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه، فلعل غضب الله فيه. ولا تستحق طاعة أصلاً فإن الله تعالى خبأ رضاه

تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه. ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة أو ما يجري مجراه.

وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة. قال الله تعالى: ﴿ولسوفَ يعطيك ربك

في طاعته فلعل رضا الله فيه) نقل هذا السياق عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين كما في القوت وتقدم وساقه بأطول منه الزندويستي في كتابه روضة العلماء. (**ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة**) الصغيرة (**أو النية الحسنة أو ما يجري مجراه**).

(**وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار**) المروية (**كثيرة**) ومن أدلها (**ما قال الله تعالى**) في كتابه العزيز ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ اتفق المفسرون على أن كلمة: «عسى» من الله واجبة. قال أهل المعاني: لأن لفظه عسى تفيد الأطماع، ومن أطمع إنساناً في شيء ثم أحرمه كان عاراً والله تعالى أكرم من أن يطمع أحداً في شيء ثم لا يعطيه ذلك، فقد اختلف في تفسير المقام المحمود على أقوال:

أحدها: أنه الشفاعة قال الواحدي: أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما قال ﷺ في هذه الآية: «هو المقام الذي أشفع فيه» قال الفخر الرازي: اللفظ مشعر بذلك لأن الإنسان إنما يصير محموداً إذا حمده حامد والحمد إنما يكون على الإنعام، فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقاماً ما أنعم فيه رسول الله ﷺ على قوم فحمدوه على ذلك الإنعام، لا يجوز أن يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لأن ذلك كان حاصلاً في الحال. وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ يدل على أنه يحصل للنبي ﷺ في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل، ومن المعلوم أن حمد الإنسان على سعيه في التخلص من العقاب أعظم من سعيه في زيادة من الثواب ولا حاجة به إليها، لأن احتياج الإنسان في دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه إلى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة إلى تحصيلها، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ هو الشفاعة في إسقاط العذاب على ما هو مذهب أهل السنة، ثم وردت الأخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في الصحيحين من حديث ابن عمر وغيره، فيجب حمل اللفظ عليه. وقال ابن الجوزي: الأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة، وادعى الإمام فخر الدين الإتفاق عليه.

القول الثاني: في مقام الدعاء كما في حديث حذيفة عند الطبراني.

القول الثالث: مقام تحمد عاقبته وضعفها الفخر.

القول الرابع: هو إجلاسه ﷺ على العرش أو على الكرسي، وقد روي ذلك عن ابن مسعود ومجاهد، وضعفه الواحدي جداً، وبالغ في رده. وأجاب ابن عطية بقوله: وهو كذلك إذا حمل على ما يليق به. وقال الحافظ في الفتح: هو غير مدفوع لا من جهة النقل ولا من جهة النظر.

ومن شواهد الشفاعة قوله تعالى: (﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾) قال الحسن: هي

فترضى﴾ [الضحى: ٥]. روى عمرو بن العاص: إن رسول الله ﷺ تلا قول ابراهيم عليه السلام: ﴿ربِّ انهنَّ أضللن كثيراً من الناسِ فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفورٌ رحيمٌ﴾ [ابراهيم ٣٦]، وقول عيسى عليه السلام: ﴿أن تعذِّبهم فإنهم عبادُك﴾ [المائدة: ١١٨]، ثم رفع يديه وقال: « أمتي أمتي » ثم بكى فقال الله عز وجل: يا جبريل إذهب إلى محمد فسله ما يبكيك، فأتاه جبريل فسأله فأخبره والله أعلم به ـ فقال: يا جبريل إذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. وقال ﷺ:

الشفاعة رواه ابن أبي حاتم، وروى ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي؟ قال: أي والله! حدثني عمي محمد بن الحنفية، عن علي أن رسول الله ﷺ قال: « اشفع لأمتي حتى يناديني ربي رضيت يا محمد. فأقول: نعم يا رب رضيت ». ثم أقبل علي فقال: إنكم لتقولون يا معشر أهل العراق أرجى آية في كتاب الله: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ [الزمر: ٥٣] قلت: إنا لنقول كذلك قال: فكلنا أهل البيت نقول إن أرجى آية في كتاب الله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وهي الشفاعة.

قلت: وكون أرجى آية في القرآن: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا﴾ الآية. قد رواه الشيرازي في الألقاب وابن مردويه من حديث ابن مسعود، ولا تعارض بين القولين. وقد ذكر السيوطي في الاتقان في أرجى آية في القرآن بضعة عشر قولاً. وروى ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس قال: في الآية من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، وعند البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن جبير عنه بلفظ: رضاه أن تدخل أمته الجنة كلهم، وعند الخطيب في تلخيص المتشابه من وجه آخر عنه قال: لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار.

(وروى عمرو بن العاص) رضي الله عنه كذا في نسخ الكتاب وصوابه عبدالله بن عمرو **(أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ وقول عيسى عليه السلام، ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ ثم رفع يديه وقال: « أمتي أمتي » ثم بكي فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك؟ فأتاه فسأله فأخبره والله أعلم به. فقال: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)**. قال العراقي: ليس هو من حديث عمرو بن العاص، وإنما هو من حديث ابنه عبدالله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم، ولعله سقط من الإحياء ذكر عبدالله من بعض النساخ اهـ.

قلت: رواه مسلم عن يونس بن عبد الأعلى، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحرث

«اعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأعطيت الشفاعة، وكل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس

أن بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو فذكره، ورواه اللالكائي في كتاب السنة من هذا الوجه.

(**وقال** ﷺ: «**أعطيت خمساً**) أي من الخصال قاله في تبوك آخر غزواته (**لم يعطهن**) الفعلان مبنيان للمفعول والفاعل الله (**أحد**) من الأنبياء (**قبلي**) أي لم تجتمع لأحد منهم، أو كل واحدة لم تكن لأحد منهم فهي من الخصائص وليست خصائصه منحصرة في الخمس، بل هي تزيد على ثلاثمائة كما بينه الأئمة، والتخصيص بالعدد لا ينفي الزيادة ولا مانع من كونه اطلع أولاً على البعض ثم على البقية. فإن قيل: ذا إنما يتم لو ثبت تأخر الدال على الزيادة؟ قلنا إن ثبت فذاك وإلا حمل على أنه إخبار عن زيادة مستقبلاً عبر عنه بالماضي تحقيقاً لوقوعه: (**نصرت بالرعب**) بالضم الفزع أو الخوف مما يتوقع نزوله (**مسيرة شهر**) أي نصرني الله بالقاء الخوف في قلوبِ أعدائي من مسيرة شهر بيني وبينهم من سائر نواحي المدينة، وجعل الغاية شهراً إشارة إلى أنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر إذ ذاك فلا ينافي أن ملك أمته يزيد على ذلك بكثير وهذا خصوصية له ولو بلا عسكر، وليس المراد بالخصوصية مجرد حصول الرعب بل هو وما ينشأ عنه من الظفر بالعدوّ، وفي اختصاص أمته بذلك احتمالات رجح بعضهم منها أنهم رزقوا منه حظاً وافراً، لكن ذكر ابن جماعة أنه جاء في رواية أنهم مثله. (**وأحلت لي الغنائم**) جمع غنيمة اسم لما أخذ من الكفار بقهر وغيره فيعم الفيء إذ كل منهما إذا انفرد عم الآخر، والمراد بإحلالها أنه جعل له التصرف فيها كما شاء وقسمتها كما أراد، أو المراد اختصاصه بها هو وأمته دون الأنبياء فإن منهم من لم يؤذن بالجهاد فلم تكن له غنائم، ومنهم المأذون الممنوع منها فتجيء نار فتحرقه إلا الذرية ويرجح الثانية قوله: (**ولم تحل**) يجوز بناؤه للفاعل وللمفعول (**لأحد**) من الأمم السابقة وفائدة التقييد بقوله (**قبلي**) التنبيه على المخصص عليه من الأنبياء وأنه أفضلهم حيث خص بما لم يخصوا، (**وجعلت لي الأرض**) زاد أحمد: ولأمتي (**مسجداً**) أي محل سجود ولو بغير مسجد فلا يختص بمحل بخلاف الأمم السابقة، فإن الصلاة لا تصح منهم إلا في مواضع مخصوصة من نحو بيعة أو كنيسة فابيحت الصلاة لنا بأي محل كان. ثم خص منه نحو حمام ومقبرة ومحل نجس على اختلاف المذاهب تحريماً وكراهة. (**وترابها طهوراً**) وفي رواية: وتربتها لنا طهوراً أي مطهراً، ومنهم من فسره فقال: أي طاهراً إلا أن الخصوصية هنا في التطهير لا في الطاهرية، واستدل به على أن الطهور هو المطهر لغيره لأن الطهور لو كان المراد به طاهراً لم تثبت الخصوصية، والحديث إنما سيق لإثباتها وفسر المسجد بقوله: (**فأيما رجل من أمتي**) وفائدته بشارتهم بهذا الحكم التيسيري (**أدركته الصلاة**) أي صلاة كانت (**فليصل**) بوضوء أو تيمّم ذكر ذلك لدفع توهم أنه خاص به، (**وأعطيت الشفاعة**) العامة والخاصة الخاصتان فاللام للعهد إن

....

عهد اختصاص وإلا فللجنس والمراد المختصة بي، **(وكل نبي بعث إلى قومه خاصة)** وهو صريح في اختصاص عموم البعثة واستشكل بآدم فإنه بعث لجميع بنيه، وكذا نوح بعد خروجه من السفينة، وأجيب بأجوبة أصحها أن المراد البعثة إلى الاصناف والأقوام وأهل الملل المختلفة وآدم ونوح ليسا كذلك، **(وبعثت إلى الناس عامة »)** وفي رواية لمسلم: « كافة » بدل عامة. والمراد ناس في زمنه، فمن بعدهم إلى يوم القيامة، ولم يذكر الجن لأن الإنس أصل أو مقصود بالذات أو المتنازع فيه أو أكثر اعتناء أو أن الناس يشمل الثقلين بل خبر، وأرسلت إلى الخلق يفيد إرساله للملائكة كما عليه السبكي. قال العراقي: متفق عليه من حديث جابر اهـ.

قلت: روياه في الصلاة وغيرها.

ورواه أيضاً النسائي في الطهارة، والدارمي وعبد بن حميد وأبو عوانة وابن حبان ولفظهم جميعاً أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فإيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس عامة ».

وروى أحمد والحكيم من حديث ابن عباس: « أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي ولا أقوله فخراً بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود، وكان النبي قبلي يبعث إلى قومه، ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي فهي لمن لم يشرك بالله شيئاً ».

وعند البيهقي في البعث بلفظ: « جعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ولم يكن نبي من الأنبياء يصلي حتى يبلغ محرابه وأعطيت الرعب مسيرة شهر يكون بيني وبين المشركين مسيرة شهر فيقذف الله الرعب في قلوبهم وكان النبي يبعث إلى خاصة قومه وبعثت إلى الجن والإنس، وكانت الأنبياء يعزلون الخمس فتجيء النار فتأكله، وأمرت أن أقسمها في فقراء أمتي ولم يبق نبي إلا أعطي سؤله وأخرت شفاعتي لأمتي ».

وروى الطيالسي وأحمد والدارمي وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والضياء من حديث أبي ذر: « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي. أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر، وجعلت الأرض لي مساجد، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي، ونصرت بالرعب فيرعب العدوّ وهو مني مسيرة شهر، وقيل لي سل تعطه فاختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله تعالى من لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئاً ».

وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس: « أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي. أرسلت إلى الأحمر والأسود وكان النبي يرسل إلى الناس خاصة، ونصرت بالرعب حتى أن العدوّ ليخافني من مسيرة شهر أو شهرين، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً

عامة »، وقال ﷺ: « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر »، وقال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أوّل من تنشق الأرض عنه وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه ». وقال

وطهوراً، وقيل لي سل تعطه فادخرت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن مات لا يشرك بالله شيئاً ».

وروي أيضاً من حديث ابن عمر: « أعطيت خمساً لم يعطها نبي قبلي بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود وإنما كان يبعث كل نبي إلى قريته، ونصرت بالرعب يرعب مني العدوّ مسيرة شهر، وأعطيت المغنم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي ». ورواه كذلك الحكيم في النوادر.

وروى أحمد والطبراني من حديث أبي موسى: « أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي. بعثت إلى الأحمر والأسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي كان قبلي، وأعطيت الشفاعة وأنه ليس من نبي إلا وقد سأل شفاعة وإني أخرت شفاعتي ثم جعلتها لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً ».

(وقال ﷺ: « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر ») قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي بن كعب قال الترمذي حسن صحيح اهـ.

قلت. ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى والروياني والحاكم والضياء.

(وقال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم) في الدنيا والآخرة **(ولا فخر)** حال مؤكدة أي أقول هذا ولا فخر أي لا أفتخر بذلك بل فخرى بمن أعطاني هذه الرتبة، وهذا قاله للتحدث بالنعمة واعلاماً لامة ليعتقدوا فضله على جميع الأنبياء **(وأنا أوّل من تنشق الأرض عنه)** وفي رواية عن جمجمتي أي أوّل من يعجل الله إحياءه مبالغة في الإكرام وتعجيلاً لجزيل الإنعام، **(وأنا أول شافع)** يوم القيامة أو في الجنة لرفع الدرجات، وقد جاء في الخبر عند مسلم: « أنا أول شافع في الجنة » **(وأول مشفع)** بقبول شفاعته في جميع أقسام الشفاعة له **(بيدي لواء الحمد)** أي علمه يأوي تحته الأوّلون والآخرون وأضيف اللواء إلى الحمد الذي هو الثناء على الله بما هو أهله لأن ذلك هو منصبه في ذلك الوقت دون غيره من الأنبياء **(تحته آدم فمن دونه »)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري اهـ.

قلت: سياق المصنف رواه الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن سلام إلا أنه قال: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » والباقي سواء.

وأما سياق حديث أبي سعيد عند الترمذي فهو: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر

ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة نأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه قائماً بين يدي ربي منتصباً مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا رب أمتي فيقول الله عز وجل: يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكاً برجال قد بعث بهم إلى النار وحتى ان مالكاً خازن النار يقول: يا محمد ما تركت النار

وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر» ورواه كذلك أحمد وللترمذي من حديث أبي سعيد سياق آخر طويل أوله: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر فيفزع الناس ثلاث فزعات» الحديث وسيأتي تمامه. ورواه كذلك ابن خزيمة في الصحيح.

(وقال ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فاريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة») قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس. ورواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: روي ذلك من حديث أبي هريرة وجابر وأبي سعيد، فحديث أبي هريرة: رواه أحمد والشيخان بلفظ: «لكل نبي دعوة يدعو بها فأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» وفي رواية لمسلم: لكل نبي دعوة مستجابة يدعو فيستجاب له فيؤتاها وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة». وفي رواية للشيخين: «لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وإني أريد إن شاء الله أن أدخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة». وفي رواية لمسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» ورواه كذلك الترمذي وابن ماجه.

وأما حديث جابر، فرواه أحمد ومسلم وابن خزيمة بلفظ: «لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

وأما حديث أبي سعيد الخدري، فرواه عبد بن حميد وأبو يعلى وابن عساكر بلفظ: «كل نبي قد أعطي عطية فتنجزها وإني اختبأت عطيتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «تنصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري)** فارغاً **(لا أجلس عليه)** لكن أقوم **(قائماً بين يدي ربي منتصباً مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا أمتي. فيقول الله عز وجل: يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكاً برجال قد بعث بهم إلى النار وحتى أن مالكاً خازن النار يقول: يا محمد تركت**

لغضب ربك في أمتك من بقية ». وقال ﷺ: « إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر ».

وقال أبو هريرة أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: « أنا سيد المرسلين، يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس بعضهم لبعض: ألا

النار لغضب ربك في أمتك من بقية ») قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط وفي إسناده محمد ابن ثابت البناني ضعيف اهـ.

قلت: هو محمد بن ثابت بن أسلم روى له الترمذي ضعفه النسائي وغير واحد، وقال الحاكم لا بأس به.

(وقال ﷺ: « إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر ») قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث بريدة بسند حسن اهـ.

قلت: لكن بزيادة وشجر بعد ومدر، وكذلك رواه البغوي وابن شاهين وابن قانع والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية من حديث أنيس الأنصاري قال الطبراني: هو عندي البياضي قال الحافظ في الإصابة: روى البغوي وابن شاهين والطبراني في الأوسط من حديث عباد بن راشد، عن ميمون بن سياه، عن شهر بن حوشب قال: قام رجال خطباء يشتمون علياً ويقعون فيه، فقام رجل من الأنصار يقال له أنيس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم قد أكثرتم اليوم في سب هذا الرجل وشتمه، وأقسم بالله لأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر» أترون شفاعته تصل إليكم ويعجز عن أهل بيته؟ قال الطبراني في الأوسط: لا يروي عن أنيس إلا بهذا الإسناد. قال: وأنيس الذي روى هذا الحديث هو عندي البياضي له ذكر في المغازي وتبعه أبو موسى المديني.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة)** روي بالمهملة وبالمعجمة وعلى الإهمال اقتصر ابن السكيت، والمعنى قبض عليها وتناولها بمقدم أسنانه، وفرق بينهما الليث وتبعه ابن القوطية وقال ثعلب: بالمهملة يكون بأطراف الأسنان وبالمعجمة وبالأضراس وتمام البحث في شرحي على القاموس. **(ثم قال: « أنا سيد المرسلين)** وفي لفظ: « أنا سيد الناس » **(يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر)** وفي لفظ فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، **(وتدنو الشمس)** أي تقرب من جماجمهم كما تقدم **(فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون)** أي لما يصيبهم من المشقة والخزي **(فيقول الناس

ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ **فيقول بعض الناس لبعض**: عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له: أنت **أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ** فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك إشفع لنا إلى ربك **ألا ترى ما نحن فيه ألا** ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم آدم عليه السلام: **إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب** قبله مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، **نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى** نوح. فيأتون نوحاً عليه السلام، فيقولون: يا نوح أنت أوّل الرسل **إلى أهل الأرض وقد** سماك الله عبداً شكوراً إشفع لنا إلى ربك **ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد** غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله **ولا يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة** دعوتها على قومي، **نفسي نفسي! اذهبوا إلى ابراهيم خليل الله. فيأتون ابراهيم خليل الله** عليه السلام فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض إشفع لنا إلى **ربك ألا ترى** ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم **غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب** بعده مثله وإني كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها، **نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري**

بعضهم لبعض: ألا ترون) إلى ما أنتم فيه، ألا ترون (**ما قد بلغكم**) وفي رواية إلى ما بلغتم، (**ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم عليه السلام**) وفي رواية ائتوا آدم، (**فيأتون آدم فيقولون له:**) يا آدم (**أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك**) وفي رواية بزيادة وأسكنك الجنة (**اشفع**) وفي رواية ألا تشفع (**لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولـن يغضب بعده مثله**) وفي رواية: ولا يغضب، (**وأنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته؛ نفسي نفسي**) نفسي! (**اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه**) وفي رواية: ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك، (**فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله**) ولا يغضب بعده مثله، (**وأنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي**) وفي رواية: دعوت بها على قومي. **أي فاستجيب له فلم تبـق لي دعـوة أخـرى**. وفي رواية فيقول: لست هنا كم ويذكر خطيئة سؤله ربه ما ليس له به علم كما قال تعالى: إخباراً عنه ﴿ونادى ربه﴾ [هود: ٤٥] الآية (**نفسي نفسي**) نفسي! (**اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله، فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا عند ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعـده مثـه، وإني كنـت كـذبـت ثلاث كـذبـات**

اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس إشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها. نفسي نفسي! إذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى عيسى عليه السلام، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد إشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: عيسى عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً. نفسي نفسي! إذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر إشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع، فارفع رأسي فأقول: أمتي أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب

ويذكرها) وفي رواية فذكرها وهي قوله: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله لامرأته: قولي لهم إني أخته (**نفسي نفسي**) نفسي! (**اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته**) وفي رواية: برسالاته (**وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني**) قد (**قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها: نفسي نفسي**) نفسي! (**اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي**) قد (**غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً. نفسي نفسي**) نفسي! (**اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني**) وفي رواية فيأتون محمداً ﷺ (**فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين**) وفي رواية الأنبياء (و) قد (**غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي**) ثم (**يفتح الله لي**) وفي رواية عليَّ (**من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه**) كذا في النسخ وهكذا هو في حديث أنس عند البخاري والرواية هنا تعط بلا هاء، وهي تحتمل أن تكون هاء السكت أو ضميراً والمفعول محذوف تقديره وسل ما شئت تعط (**واشفع تشفع**) أي تقبل شفاعتك، (**فأرفع رأسي فأقول: أمتي**) يا رب (**أمتي يا رب فيقال: يا محمد أدخل من**

عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب »، ثم قال: « والذي نفسي بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى ».

وفي حديث آخر: هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابراهيم، وهو قوله في الكوكب هذا ربي، وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا، وقوله: إني سقيم. فهذه شفاعة رسول الله

أمتك من لا حساب عليهم) وفي رواية عليه **(من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » ثم قال: « والذي نفسي بيده إن بين المصراعين من مصاريع أبواب الجنة كما بين مكة وحميري)** بضم الحاء المهملة وآخره ألف مقصورة كذا في النسخ وهو تحريف من النساخ والصواب هجر، **(وكما بين مكة وبصرى »)** بضم الموحدة موضع بالشام وفي لفظ أو كما.

(وفي حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا إبراهيم عليه السلام وهو قوله في الكوكب ﴿هذا ربي﴾ وقوله لآلهتهم ﴿بل فعله كبيرهم﴾ وقوله: ﴿إني سقيم﴾) قال العراقي: متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجها مسلم اهـ.

قلت: وقد روياه من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة، ورواه كذلك أحمد والترمذي.

وللشيخين أيضاً من حديث أنس: « يجمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون: لو استشفعنا على ربنا فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناكم ويذكر ذنبه الذي أصابه فيستحي ربه عز وجل من ذلك ويقول: ولكن ائتوا نوحاً فإنه أوّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم ويذكر لهم خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي ربه من ذلك، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن فيأتونه فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا موسى عبداً كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم ويذكر لهم النفس الذي قتل بغير نفس فيستحي ربه من ذلك ولكن ائتوا عيسى عبدالله ورسوله وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى أستاذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي تبارك وتعالى فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه ادعوه الثانية، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي تبارك وتعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فارفع رأسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فادخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي تبارك وتعالى فيدعني ما يشاء أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد قل يسمع وسل

....

تعطه واشفع تشفع، فارفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيجد لي حداً فادخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة فأقول: يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة». وهكذا رواه أيضاً الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن خزيمة وابن حبان.

وروى مسلم والنسائي وابن خزيمة وأبو عوانة والحاكم من حديث أبي هريرة وحذيفة معاً: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك؟ إذهبوا إلى إبراهيم خليل الله فيقول: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً وراء وراء اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرحال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول يا رب سلم سلم» الحديث. وقد تقدم تمامه عند ذكر الصراط.

وروى أحمد والنسائي والدارمي وابن خزيمة والضياء من حديث أنس: «إني لأوّل الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل من يدخل الجنة ولا فخر، وآتى باب الجنة فإذا الجبار عز وجل مستقبلي فاسجد له فيقول: ارفع رأسك فإذا بقي من بقي من أمتي في النار قال أهل النار: ما اغني عنكم إنكم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به شيئاً. فيقول الجبار: فبعزتي لأعتقنهم من النار فيخرجون وقد امتحشوا ويدخلون في نهر الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبة في غثاء السيل، ويكتب بين أعينهم هؤلاء عتقاء الله عز وجل، فيقول أهل الجنة. هؤلاء الجهنميون فيقول الجبار: بل هؤلاء عتقاء الجبار».

وروى أحمد وابن خزيمة والضياء من حديثه أيضاً: «إني لقائم أنتظر أمتي تعبر الصراط إذ جاءني عيسى فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث شاء الله لغم ما هم فيه والخلق ملجمون في العرق، وأما المؤمن فهو عليه كالزكمة. وأما الكافر فيغشاه الموت فقال: انتظر حتى أرجع إليك، فذهب نبي الله فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد فقل له: ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع، فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً، فما زلت أتردد إلى ربي عز وجل فلا أقوم منه مقاماً إلا شفعت حتى أعطاني الله من ذلك أن قال: يا محمد ادخل من أمتك من خلق الله عز وجل من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات على ذلك».

....

وروى أبو داود والبيهقي من حديث عامر بن سعد عن أبيه رفعه: « إني سألت ربي وشفعت لأمتي فاعطاني ثلث أمتي فخررت ساجداً شكراً لربي، ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجداً لربي شكراً، ثم رفعت رأسي فسألت لأمتي فأعطاني الثلث الآخر فخررت ساجداً لربي ».

وروى الحاكم وابن عساكر من حديث عبادة بن الصامت: « إني لسيد الناس يوم القيامة غير فخر ولا رياء وما من الناس من أحد إلا وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج، وإن بيدي للواء الحمد فامشي ويمشي الناس معه حتى آتي باب الجنة فاستفتح فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد. فيقال: مرحباً بمحمد فإذا رأيت ربي عز وجل خررت له ساجداً شكراً له فيقال: ارفع رأسك وقل تطاع واشفع تشفع، ويخرج من النار من قد احترق برحمة الله وشفاعتي ».

وروى الترمذي وابن خزيمة من حديث أبي سعيد: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » الحديث وفيه: « فيفزع الناس ثلاث فزعات: فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربك. فيقول: إني أذنبت ذنباً أهبطت منه إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحاً فيأتون نوحاً فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فاهلكوا، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات ما منها كذبة إلا ما حلّ بها عن دين الله، ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول: إني قد قتلت نفساً ولكن ائتوا عيسى، فيأتون عيسى فيقول: إني عبدت من دون الله، ولكن ائتوا محمد فيأتوني فانطلق معهم فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال: من هذا فأقول محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحباً فأخر ساجداً فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال: ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود ».

وروى ابن أبي شيبة من حديث سلمان: « يأتون محمداً فيقولون: يا نبي الله أنت فتح الله بك وختم وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وجئت في هذا اليوم وترى ما نحن فيه، فقم فاشفع لنا إلى ربنا. فيقول: أنا صاحبكم فيجوس الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة ».

وروى البخاري واللالكائي في السنة من طريق أبي الأحوص عن آدم بن علي قال: سمعت ابن عمر يقول: الناس يوم القيامة يصيرون جثاء كل أمة تتبع نبيها تقول: يلا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله مقاماً محموداً. وروى البخاري من حديث ابن عمر: « إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما كذلك استغاثوا يا نوح فيقول: لست بصاحب ذلك. ثم موسى فيقول: كذلك، ثم محمد بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً ».

وروى الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو: « يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصي عددهم إلا الله بما عصوا الله واجترموا على معصيته وخالفوا طاعته فيؤذن لي في الشفاعة فأثني على الله ساجداً كما أثني عليه قائماً فيقال: ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع ».

....

فصل

في الكلام على بعض ما يتعلق بالأخبار المتقدمة:

قال الحافظ في الفتح: قد استشكل في حديث البخاري قولهم لنوح: أنت أول الرسل من أهل الأرض، فإن آدم نبي مرسل، وكذا شيت وإدريس وهم قبل نوح. وأجيب بما حاصله: إن الأوّلية مقيدة بقوله أهل الأرض، لأن آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا إلى أهل الأرض أو أن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً، وإلى هذا جنح ابن بطال في حق وتعقبه القاضي عياض بما صححه ابن حبان من حديث أبي ذر، فإنه كالصريح في أنه كان مرسلاً، وفيه التصريح بإنزال الصحف على شيث وهو من علامات الإرسال ومن الأجوبة أن رسالة آدم كانت إلى بنيه وهم موجودون ليعلمهم شريعته، ونوح رسالته كانت إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد وذكر المصنف رحمه الله تعالى في الدرة الفاخرة أن بين إتيان أهل الموقف آدم وإتيانهم نوحاً ألف سنة، وكذا بين كل نبي ونبي إلى نبينا ﷺ. قال الحافظ في الفتح: ولم أقف لذلك على أصل، ولقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها، فلا يغتر بشيء منها، ووقع في رواية حذيفة وأبي هريرة معاً قول الخليل عليه السلام: إنما كنت خليلاً من وراء وراء هو يفتح الهمزة بلا تنوين، ويجوز البناء على الضم للقطع عن الإضافة نحو من قبل ومن بعد، واختاره أبو البقاء ويجوز فيه النصب والتنوين جوازاً جيداً، والمعنى لم أكن في التقريب والإدلال بمنزلة الحبيب، وقيل: المراد أن الفضل الذي أعطيته كان بسفارة جبريل، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة، وكرر وراء إشارة إلى نبينا ﷺ لأنه حصلت له الرؤيا والسماع بلا واسطة فكأنه قال: أنا من وراء موسى الذي هو وراء محمد، وأما ما ذكره من الكلمات الثلاث فقال البيضاوي: الحق أنها إنما كانت في معاريض الكلام، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استقصاراً لنفسه عن الشفاعة، لأن من كان أعرف بالله وأقرب إليه منزلة كان أعظم خوفاً. وأما قوله عن عيسى أنه لم يذكر ذنباً فوقع في حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي: إني اتخذت إلهاً من دون الله. وفي حديث أنس عند أحمد وابن خزيمة إني لقائم أنتظر أمتي عند الصراط الخ أفادت هذه الرواية تعيين موقف النبي ﷺ حينئذ، وإن هذا الذي وصف من كلام أهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار في النار، وإن عيسى هو الذي يخاطب نبينا ﷺ، وأن جميع الأنبياء يسألونه في ذلك. وفي حديث سلمان عند ابن أبي شيبة: حتى ينتهي إلى باب الجنة قد يقال: ما الحكمة في انتقاله ﷺ من مكانه إلى الجنة؟ أجيب بأن أرض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مكان مخافة وإشفاق، ومقام الشافع يناسب أن يكون في مكان إكرام. وفي حديث أبي بن كعب عند أبي يعلى: فاسجد له سجدة يرضى بها عني ثم أمتدحه بمدحة يرضى بها عني. وفي حديث أبي بكر الصديق: فينطلق إليه جبريل فيخر ساجداً قدر جمعة فيقال: يا محمد ارفع رأسك. وفي حديث

....

أنس فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد فقل له ارفع رأسك، وعلى هذا فالمعنى يقول على لسان جبريل، والظاهر أنه ﷺ يلهم التحميد قبل سجوده وبعده، وفيه: ويكون في كل مكان ما يليق به فإنه ورد في رواية: فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا أقدر عليها ثم أخر ساجداً. وفي رواية فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني. وفي رواية: فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد. وعند البخاري من حديث أنس: ثم اشفع فيحد لي حداً. قال الطيبي: أي يبين لي كل طور من أطوار الشفاعة حداً أقف عنده فلا أتعداه مثل أن يقول: شفعتك فيمن أخل بالجماعة، ثم فيمن أخلّ بالصلاة، ثم فيمن شرب الخمر، ثم فيمن زنى هكذا وهكذا على هذا الأسلوب، والذي يدل عليه سياق الأخبار أن المراد بها تفصيل مراتب المخرجين في الأعمال الصالحة. وفي رواية ثابت عند أحمد فأقول: أي رب أمتي أمتي فيقول أخرج من كان في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة، وزاد في حديث سلمان ثم حبة خردل، وفي رواية أبي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير. قال عياض قيل معنى الخير اليقين، وأما قوله في رواية أنس عند البخاري: فاخرجهم من النار، فقال الداودي: كان راوي هذا الحديث ركب شيئاً على غير أصله، وذلك أن أول الحديث في الشفاعة في الإراحة من كرب الموقف وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار. يعني: وذلك إنما يكون بعد التحوّل من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار، ثم تقع بعد ذلك الشفاعة في الإخراج وهو إشكال قوي. وقد أجاب عنه النووي تبعاً لعياض بأنه قد وقع في حديث حذيفة وأبي هريرة فيأتون محمداً ويؤذن له في الشفاعة وترسل معه الأمانة والرحم فيقومان جنبي الصراط أي يقفان في ناحيته، فبهذا ينفصل الكلام لأن الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها هي لإراحة الناس من كرب الموقف، ثم تجيء الشفاعة في الإخراج انتهى.

والمعنى في قيام الأمانة والرحم أنهما لعظم شأنهما ومخافة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان للأمين والخائن وللواصل والقاطع فيحاجان عن المحق، ويشهدان على المبطل. وقد وقع في حديث أبي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الأمر بإتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم يميز بين المنافقين من المؤمنين ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه، فكان الأمر بإتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أوّل فصل القضاء والإراحة من كرب الموقف، وبهذا تجمع متون الأحاديث وتترتب معانيها، وقد ظهر أنه ﷺ أوّل ما يشفع ليقضي بين الخلق أوان الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك، وأن العرض والميزان وتطاير الصحف يقع في هذا الموطن ثم ينادي: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فتسقط الكفار في النار، ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق، ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نوّر المنافقين فيسقطون في النار أيضاً، ويمر المؤمنون عليه إلى الجنة، فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة.

....

فصل

في تفصيل الشفاعات هي خمس كما قاله النووي تبعاً لعياض:

الأولى: في الإراحة من هول الموقف.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

الثالثة: في إدخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا.

الرابعة: في إخراج من أدخل النار من العصاة.

الخامسة: في رفع الدرجات اهـ.

قال العراقي: في شرح التقريب: وإنما أنكر الخوارج وبعض المعتزلة من هذه الأقسام إخراج قوم من النار بعد دخولهم فيها، والشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب ولا عذاب، وفي قوم حوسبوا واستوجبوا النار في عدم دخولهم إياها، فهذه أقسام ثلاثة ولم ينكروا الشفاعة العظمى للإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب والشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها اهـ.

ولكل هذه الأقسام دلائل مستنبطة من الاخبار المتقدم، فالشفاعة الأولى: يدل عليها حديث أبي هزيرة المتقدم، وحديث أنس: حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم، وأما الثانية: فيدل عليها ما في آخر حديث أبي هريرة المتقدم: فارفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن. وأما الثالثة: فيدل عليها قوله في حديث حذيفة: ونبيكم على الصراط يقول رب سلم. وأما الرابعة: فحديث عمران بن الحصين عند البخاري: يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين. وأما الخامسة: وهي في رفع الدرجات فقال النووي في الروضة: إنها من خصائصه ﷺ ولم يذكر لذلك مستنداً، وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب كما في الصحيح وجدته في غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح، وزاد بعضهم سابعة وهي الشفاعة لأهل المدينة لحديث: كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة. وتعقبه الحافظ في الفتح بأن متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس المذكورة، وبأنه لو عدّ مثل ذلك لعد حديث عبد الملك بن عباد رفعه: «أوّل من أشفع له أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف». رواه البزار. وأخرى لمن زار قبره الشريف، وأخرى لمن أجاب المؤذن ثم ﷺ، وأخرى في التجاوز عن تقصير الصلحاء، لكن هذه مندرجة في الخامسة. وزاد القرطبي: «أنه أوّل شافع في دخول أمته الجنة قبل الناس» وزاد في الفتح أخرى فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة وهم أهل الأعراف، وشفاعة أخرى وهي شفاعته ﷺ فيمن قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيراً قط كما في حديث أنس قالوا: ويرد على الخمسة أربعة وما عداها لا يرد كما لا ترد الشفاعة في التخفيف عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة أحوال الدنيا.

فإن قلت: فأي شفاعة ادخرها ﷺ لأمته؟ أما الأولى: فلا تختص بهم بل هي لإراحة الجمع

كلهم وهي المقام المحمود كما تقدم، وكذلك باقي الشفاعات. الظاهر أنه يشاركهم فيها بقية الأمم. والجواب: أنه يحتمل أن المراد الشفاعة العظمى التي للإراحة من هول الموقف وهي وإن كانت غير مختصة بهذه الأمم لكنهم الأصل فيها وغيرهم تبع لهم، ويحتمل أن تكون الشفاعة الثانية وهي التي في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهي المختصة بهذه الأمة، فإن الحديث الوارد فيها: « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب». ولم ينقل ذلك في بقية الأمم ويحتمل أن يكون المراد مطلق الشفاعة المشتركة بين الشفاعات الخمس، وكون هذه الأمة يشاركونهم فيها أو في بعضها لا ينافي أن يكون عليه السلام أخر دعوته بشفاعته لأمته، فلعله لا يشفع لغيرهم من الأمم بل يشفع لهم أنبياؤهم، ويحتمل أن تكون لغيرهم تبعاً كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى، والله أعلم.

فصل

ومما يدل على إثبات مطلق الشفاعة ما قال الترمذي في السنن: حدثنا عبد الله بن الصباح، حدثنا بدل بن محبر، حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب، حدثنا النضر بن أنس عن أبيه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال « أنا فاعل » قال: قلت يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال « أوّل ما تطلبني على الصراط » قال: قلت فإن لم ألقك على الصراط؟ قال « فاطلبني عند الميزان » قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: « فاطلبني عند الحوض فإني لا اخطىء هذه الثلاثة مواطن » قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال الحافظ ابن ناصر الدين في منهاج السلامة: وقد روي من وجه آخر إلى حرب رواه القاسم بن عبد الله الروذباري فقال: حدثنا إسحاق بن الحسن الحربي، حدثني حربي بن حفص، حدثنا حرب بن ميمون الأنصاري، حدثنا النضر بن أنس، عن أنس بن مالك قال: قلت يا رسول الله خويدمك أنس اشفع له يوم القيامة. قال « أنا فاعل » قلت: فأين أطلبك؟ قال: « اطلبني أوّل ما تطلبني عند الصراط فإن وجدتني وإلا فأنا عند الميزان فإن وجدتني وإلا عند حوضي لا أخطىء هذه الثلاثة المواضع » وحدث به ابن أبي خيثمة في تاريخه مختصراً عن حربي بن حفص، وحدث به الإمام أحمد في مسنده عن يونس عن حرب فذكره هذا حديث رجاله ثقات سوى حرب بن ميمون.

ومن أحاديث الشفاعة ما رواه الترمذي والبيهقي من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ثابت، عن أنس رفعه « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم. وقال الترمذي: إنه حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقال البيهقي: إنه اسناد صحيح، وأخرجه أيضاً هو وأحمد وأبو داود وابن خزيمة من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بلفظ « الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي » وهو وحده من طريق مالك بن دينار عن أنس بزيادة وتلا هذه الآية: ﴿إنْ تجتنبوا كبائر ما تنهوْن عنه﴾ [النساء: ٣١] الآية. ومن طريق يزيد الرقاشي عن أنس بلفظ: قلنا يا رسول الله لمن تشفع؟ قال « لأهل الكبائر من أمتي وأهل العظائم وأهل الدماء ». ومن

ﷺ، ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضاً حتى قال رسول الله ﷺ: « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر ». وقال ﷺ: « يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله ».

طريق زياد النميري عن أنس بلفظ « إن شفاعتي أو أن الشفاعة لأهل الكبائر ». وفي الباب عن جابر وكعب بن عجرة وحذيفة بن اليمان وغيرهم، وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب التوبة.

(فهذه شفاعة رسول الله ﷺ، ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضاً حتى قال رسول الله ﷺ « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر ») قال العراقي: رويناه في جزء ابن عمرو بن السماك من حديث أبي أمامة إلا أنه قال « مثل أحد الحيين ربيعة ومضر » وفيه: فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل هو عثمان بن عفان وإسناده حسن، وللترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبي الجدعاء « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من تميم » قالوا: سواك يا رسول الله؟ قال « سواي » قال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح قيل: أراد بالرجل أويساً انتهى.

قلت: سياق المصنف رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي وابن عساكر عن الحسن مرسلاً. قال الحسن: هو أويس القرني.

وأما حديث أبي أمامة، فرواه شبابة بن سوار وغيره، حدثنا حريز بن عثمان، عن عبد الله بن ميسرة وحبيب بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة. قال الذهبي: حديث صالح السند غريب. قال: ويروى بإسناد لا يصح عن ابن عباس مرفوعاً « ليدخلن بشفاعة عثمان الجنة سبعون ألفاً ».

قلت: رواه الطبراني في الكبير.

وأما حديث عبد الله بن أبي الجدعاء؛ فرواه الثوري ويزيد بن زريع، عن خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: جلست إلى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ منهم ابن أبي الجدعاء فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليدخلن الجنة » فساقه وزاد يزيد عن الحذاء في حديثه قال: أظن الرجل عثمان ولم يسم يزيد في حديثه ابن أبي الجدعاء بل قال: رجل قاله الذهبي.

قلت: رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب. ورواه البيهقي في الدلائل قال: وليس لابن أبي الجدعاء غيره. ورواه ابن عساكر من حديث ابن عباس، ورواه أبو نعيم وابن عساكر أيضاً من حديث واثلة بن الأسقع وقد تقدم. ورواه هناد من حديث الحرث بن أقيس وليس له غيره « إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر » ورواه أحمد وأبو يعلى بلفظ « لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر ».

(وقال ﷺ: « يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: « إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول: يا فلان هل تعرفني؟ فيقول: لا والله ما أعرفك من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك، قال: قد عرفت، قال: فاشفع لي بها عند ربك! فيسأل الله تعالى ذكره ويقول: إني أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال: هل تعرفني؟ فقلت: لا، من أنت؟ فقال: أنا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه، فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار »، وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا أول

« إن من أمتي من يشفع للفئام، ومنهم من يشفع للقبيلة » الحديث. وقال حسن، وللبزار من حديث أنس « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والقبيلة » اهـ.

قلت: حديث أبي سعيد رواه أيضاً أحمد وأبو يعلى وابن خزيمة وتمامه « ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة » وأما حديث أنس؛ فرواه أيضاً ابن خزيمة بلفظ « يشفع للرجلين والثلاثة والرجل للرجل ». وروى الطبراني من حديث أبي أمامة « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد من مضر، ويشفع الرجل في أهل بيته، ويشفع على قدر عمله ».

ومما يدل على إثبات الشفاعة لغير الأنبياء ما رواه ابن ماجه من حديث عثمان « يشفع يوم القيامة ثلاثة: الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء » وروى أبو داود والطبراني والبيهقي من حديث أبي الدرداء « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته يوم القيامة ».

(**وقال أنس**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول: يا فلان هل تعرفني؟ فيقول: لا والله ما أعرفك من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك. قال: قد عرفت. قال: فاشفع لي بها عند ربك، فيسأل الله تعالى ذكره ويقول: إني أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال: هل تعرفني؟ فقلت: لا من أنت؟ فقال: أنا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار »**) قال العراقي: رواه أبو يعلى بسند ضعيف وله عنده إسنادان: أحدهما حسن بالفاظ أخر انتهى.

قلت: لفظ أبي يعلى « إن الرجل من أهل الجنة يشرف على أهل النار » وفيه « فيقول: لا والله ما أعرفك من أنت؟ ويحك ». وفيه « فيدخل ذلك الرجل على الله في زوره فيقول: يا رب إني أشرفت » والباقي سواء.

(**وعن أنس**) رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا أوّل الناس خروجاً إذا**

الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر »، وقال رسول الله ﷺ: « إني أقوم بين يدي ربي عز وجل فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ ابراهيم خليلاً! وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً! وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه! وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم ﷺ وقال: « قد سمعت كلامكم وتعجبكم إن ابراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم

بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر »). قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن غريب اهـ.

قلت: ورواه الدارمي كذلك في رواية للترمذي بعد قوله: « إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وخطيبهم إذا انصتوا وشفيعهم إذا حبسوا » وفي آخره زيادة « يطوف علي ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور » وروى ابن النجار من حديث أم كرز بلفظ « أنا سيد المرسلين إذا بعثوا وسابقهم إذا وردوا ومبشرهم إذا أبلسوا وإمامهم إذا سجدوا وأقربهم مجلساً إذا اجتمعوا. أتكلم فيصدقني وأشفع فيشفعني وأسأل فيعطيني ».

(فقال رسول الله ﷺ: « فاكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح انتهى.

قلت: وأول الحديث عنده « أنا أول من تنشق عنه الأرض فاكسى » الخ.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما: (جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ ابراهيم خليلاً. وقال الآخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً. وقال الآخر: فعيسى كلمة الله وروحه! وقال آخر: آدم اصطفاه الله. فخرج عليهم فسلم وقال: « قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول

القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر».

صفة الحوض:

اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا ﷺ وقد اشتملت الأخبار على وصفه، ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه، فإن من صفاته أن من شرب منه لم يظمأ أبداً. قال أنس: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه

شافع وأوّل مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر») قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب اهـ.

قلت لا انه قال: فيدخلنيها بدل فادخلها والباقي سواء. ورواه الديلمي مقتصراً على قوله «أنا أوّل من يأخذ بحلقة باب الجنة فيفتحها الله لي فيدخلنيه الله ومعي فقراء المؤمنين، وأنا سيد الأولين والآخرين من النبيين ولا فخر» وروى ابن النجار من حديث أنس «أنا أوّل من يدق باب الجنة فلم تسمع الآذان أحسن من طنين الحلق على تلك المصاريع» وروى أحمد وأبو يعلى والدارمي والترمذي من حديثه أيضاً «أنا أوّل من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها» وعند مسلم عنه «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أوّل من يقرع باب الجنة».

صفة الحوض:

(اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله به نبينا ﷺ، وقد اشتملت الأخبار على وصفه، ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه، فإن من صفاته أن من شرب منه لم يظمأ أبداً). لما فرغ المصنف من بيان أحوال الموقف من شدة الازدحام والانضمام واجتماع الانس والجان ومن يجمع معهم من سائر أصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزاد في حرها ويضاعف في وهجها ولا ظل هناك إلا ظل عرش ربك مع انضمام ذلك من حرّ الناس لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكروب، ولا ريب أن هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة الالتهاب والماء، ثم آخر موجود وأعظم مفقود فلا منهل مورود إلا حوض صاحب المقام المحمود ﷺ، فذكر صفة الحوض ولا شك في كونه مكرمة عظيمة، وكونه خص به نبينا ﷺ فهو المشهور الذي لا يعرف سواه.

قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله تعالى قد خص حبيبه ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عنه ﷺ من الصحابة ما نيف على الثلاثين منهم في

....

الصحيحين ما نيف على العشرين وفي غيرها بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواه عن المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعافهم وهلم جرا. واجتمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف اهـ.

ومنهم من قال: إن لكل نبي من الأنبياء حوضاً هناك يقوم عليه كنبينا ﷺ، ففي حديث سمرة عند الترمذي «إن لكل نبي حوضاً» كما يأتي للمصنف. ورواه ابن أبي الدنيا من مرسل الحسن وزاد «وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته ألا وأنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً».

وروى الطبراني من حديث أبي سعيد «وكل نبي يدعو أمته ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام، ومنهم من يأتيه العصبة، ومنهم من يأتيه الواحد، ومنهم من يأتيه الاثنان، ومنهم من لا يأتيه أحد، وإني لاكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة». فإن ثبت ما في هذه الأخبار، فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في سورة الكوثر كذا في الفتح، وأما ما ذكر من صفاته: أن من شرب منه لم يظمأ أبداً. فقد ثبت ذلك في أخبار الحوض، ومنه ما يأتي ذكره للمصنف، ومن حديث أنس عند البزار «ومن شرب منه شربة لم يظمأ أبداً ومن لم يشرب منه لم يرو أبداً» وزاد في حديث أبي امامة عند أحمد وابن حبان «ولم يسود وجهه أبداً» وفي حديث عبد الله بن عمرو «من شرب منه لا يظمأ أبداً».

فصل

في تعيين محله:

قال القرطبي في التذكرة: ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، وذهب آخرون إلى العكس، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين: أحدهما في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكل منهما يسمى كوثراً. وتعقبه الحافظ في الفتح بأن الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثراً لكونه يمدّ منه، فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط لأن الناس يردون الموقف وهو عطاش فيرد المؤمنون وتتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا: ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كأنها سراب، فيقال: ألا ترون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها. وفي حديث أبي ذر مما رواه مسلم «إن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة» وهو حجة على القرطبي لا له، لأن الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة، والمؤمنون يمرون عليه لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه لحالت النار بين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض. وظاهر الحديث: أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها. وقال عياض: ظاهر قوله ﷺ: «من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً» يدل على أن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار، لأن ظاهر حال من لم يظمأ أن لا يعذب بالنار، ولكن

متبسماً فقالوا له: يا رسول الله لم ضحكت؟ فقال: «آية أنزلت علي آنفاً» وقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر﴾ حتى ختمها ثم قال: «هل تدرون ما الكوثر»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء»، وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك

يحتمل أن من قدر عليه التعذيب منهم أن لا يعذب فيها بالظمأ بل بغيره والله أعلم. وقد شرع المصنف في ذكر الأخبار الواردة في الحوض فقال:

(قال أنس) رضي الله عنه: **(أغفى رسول الله ﷺ اغفاءة فرفع رأسه متبسماً فقالوا له: يا رسول الله لم ضحكت؟ فقال «آية انزلت علي آنفاً وقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ★ إنا أعطيناك الكوثر﴾ حتى ختمها ثم قال: هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال «إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء»)** قال العراقي: رواه مسلم انتهى.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في السنن ولفظهم جميعاً «إنه أنزلت علي آنفاً سورة فقرأ» وفي رواية لهم «آنيته عدد الكواكب» ولفظ ابن أبي شيبة «وعدني ربي عليه خير كثير هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم» وعند الجميع زيادة في آخره «يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك». ورواه مسلم والبيهقي من وجه آخر بلفظ «ثم رفع رأسه فقرأ» الخ قال البيهقي: والمشهور فيما بين أهل التفسير والمغازي أن هذه السورة مكية، وهذا اللفظ لا يخالفه فيشبه أن يكون أولى.

قلت: وكون هذه السورة مكية روي عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة. نقل ذلك ابن مردويه في التفسير وقد روي عن أنس حديث الحوض بألفاظ مختلفة. منها هذا الذي ذكر.

ومنها قوله: **(وقال أنس)** رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوّف. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر»)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن صحيح، ورواه البخاري من قول أنس: لما عرج بالنبي ﷺ الحديث. وهو مرفوع، وان لم يكن صرح به عن النبي ﷺ اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن حبان ولفظهم «بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوّف. قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله، ثم ضرب بيده إلى

أذفر » ، وقال: كان رسول الله ﷺ يقول: « ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء ـ أو مثل ما بين المدينة وعمان ـ ».

وروى ابن عمر: إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، قال رسول الله ﷺ: « هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب ، شرابه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل

طينه فاستخرج مسكاً ثم رفعت لي سدرة المنتهى فرأيت عندها نوراً عظيماً » وفي بعض ألفاظه « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أذفر. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله » هكذا رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه.

ومنها قوله: (**وقال**) أنس أيضاً: (**كان رسول الله ﷺ يقول « ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء ـ أو مثل ما بين المدينة وعمان ـ »**) صنعاء مدينة باليمن ، وعمان ضبطه ابن الأثير بتشديد الميم وقال: إنها مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء ، فأما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين اهـ.

قال العراقي: رواه مسلم اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الطيالسي وأحمد وابن ماجه وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان ولفظهم جميعاً: ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة ـ أو كما بين المدينة وعمان ـ ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء أو أكثر » وروى أحمد وابن المنذر وابن مردويه عن أنس أنه قرأ هذه الآية ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال ، قال رسول الله ﷺ: « أعطيت الكوثر فإذا هو نهر في الجنة يجري ولم يشق شقاً وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي إلى تربته فإذا هو مسكة ذفرة وإذا حصاؤه اللؤلؤ » فهذه روايات ثلاثة لحديث أنس.

وروى أحمد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه من حديثه ان رجلاً قال: يا رسول الله ما الكوثر؟ قال: « نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر: يا رسول الله إنها الناعمة: قال « آكلها انعم منها يا عمر ». ورواه هناد بلفظ « الكوثر نهر كما بين صنعاء إلى أيلة من أرض الشام آنيته عدد نجوم السماء يرده طير لها أعناق كأعناق البخت آكلها أنعم منها » وروى ابن مردويه من حديثه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: « قد أعطيت الكوثر » قلت: يا رسول الله ما الكوثر؟ قال: « نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب منه أحد فيظمأ ، ولا يتوضأ أحد فيتشعث أبداً ، لا يشرب منه من أخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي ».

(**وروى ابن عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال رسول الله ﷺ: « هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من**

وأطيب ريحاً من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان » ، **وقال ثوبان** ـ مولى رسول الله ﷺ ـ قال رسول الله ﷺ : « **إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً** ، أوّل الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين » ، **فقال عمر بن الخطاب : ومن هم** يا رسول الله؟ قال: « **هم الشعث رؤوساً الدنس ثياباً الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد** » **فقال عمر بن عبد العزيز : والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة**

العسل وأطيب ريحاً من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان ») قال العراقي: رواه الترمذي مع اختلاف لفظ وقال: حسن صحيح. ورواه الدارمي في مسنده وهو أقرب إلى لفظ المصنف اهـ.

قلت: رواه الترمذي من طريق عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت: حدثنا عن ابن عباس انه قال: هو الخير الكثير. فقال: صدقت. والله إنه للخير الكثير، ولكن حدثنا ابن عمر قال: نزلت ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ فقال رسول الله ﷺ: « الكوثر نهَر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب ريحاً من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضاً من الثلج » وهكذا رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد وهناد وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه، وعند أحمد والطبراني من حديث ابن عمر « حوضي كما بين عدن وعمان أبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحاً من المسك أكاويبه مثل نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أوّل الناس وروداً عليه صعاليك المهاجرين الشعثة رؤوسهم الشحبة وجوهم الدنسة ثيابهم الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المتنعمات، الذين يعطون كل الذي عليهم ولا يأخذون الذي لهم ».

(**وقال ثوبان**) بن بجدد (**مولى رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : « إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين » فقال عمر بن الخطاب**) رضي الله عنه: (**ومن هم يا رسول الله؟ قال: « هم الشعث رؤوساً، الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد »**) قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه اهـ.

قلت: قال الترمذي: حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن صالح، حدثنا محمد بن مهاجر، عن العباس، عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إلي عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين لقد شق على مركبي البريد، فقال: يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك، ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبي ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني

بنت عبد الملك وفتحت لي أبواب السدد إلا أن يرحمني الله، لا جرم لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ.

وعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: « والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية، من شرب منه لم يظمأ. آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وأيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ».

به. قال أبو سلام: حدثني ثوبان، عن رسول الله ﷺ قال: « حوضي من عدن إلى عمان البلقاء » فساقه وليس فيه ذكر عمر بن الخطاب. وقال « ولا تفتح لهم السدد ».

(**فقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى: (**والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك**) بن مروان بن الحكم (**وفتحت لي أبواب السدد إلا أن يرحمني الله لا جرم لا أدهن رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ**)، لفظ الترمذي قال عمر: لكني نكحت المتنعمات وفتحت لي السدد، نكحت فاطمة بنت عبد الملك، لا جرم أني لا أغسل رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ. قال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان، عن النبي ﷺ وأبو سلام اسمه ممطور اهـ.

وقد رواه الحاكم بهذا اللفظ، وقال ابن ماجه في سننه: حدثنا محمود بن خالد الدمشقي، حدثنا مروان بن محمد، حدثني العباس بن سالم الدمشقي قال: نبئت عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إلي عمر بن عبد العزيز فأتيته وذكر الحديث بطوله. وقد رواه أيضاً الطيالسي وأحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وابن أبي عاصم وأبو يعلى والباوردي والطبراني والحاكم وأبو نعيم والضياء، واللفظ لأبي يعلى: بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبي سلام الحبشي فحمل على البريد، فلما قدم على عمر قال: يا أمير المؤمنين قد شق علي محمل البريد ولقد أشققت على رجلي فقال عمر: ما أردنا بك المشقة يا أبا سلام، ولكني بلغني عنك حديث ثوبان في الحوض، فأحببت ان أشافهك به. فقال أبو سلام: سمعت ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن حوضي من عدن إلى عمان البلقاء » فساقه وقال: « وأكاويبه » وفيه ذكر لعمر بن الخطاب كما ساقه المصنف. وفيه: « المتمنعات » في الموضعين بدل المتنعمات. وقال « ولا تفتح لهم أبواب السدد » وقال: « يلي جلدي » والباقي سواء. وعند ابن أبي عاصم في السنة زيادة بعد قوله « ولا تفتح لهم أبواب السدد الذين يعطون الحق الذي عليهم ولا يعطون الذي لهم ».

(**وعن أبي ذر**) رضي الله عنه (**قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: « والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية، من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل »**) قال العراقي: رواه مسلم اهـ.

....

قلت: ورواه كذلك أحمد والترمذي وعندهم بعد قوله المصحية آنيته في الجنة من شرب منها، والضمير راجع إلى الآنية. وقد ساق المصنف حديث أربعة من الصحابة: أنس، وابن عمر، وثوبان، وأبي ذر. وقد ورد فيه عن غيرهم منهم: عبد الله بن عمرو بن العاص، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وبريدة بن الحصيب، وابن مسعود، وجندب البجلي، وجابر بن سمرة، وأبو سمرة، وأبو برزة الأسلمي، وأبو امامة الباهلي، وابن عباس، وعقبة بن عبد السلمي، وحارثة بن وهب الخزاعي، والمستورد بن شداد الفهري، وأبي بن كعب، وعائشة، وأبو لبابة، والبراء بن عازب، وجبير بن مطعم، وأسامة بن زيد، وحمزة بن عبد المطلب، وأم محمد خولة بنت قيس، وحذيفة بن أسيد، وخباب بن الأرت، وزيد بن أرقم، وأوس بن الأرقم، وزيد بن أبي أوفى، وزيد بن ثابت، وسويد بن عامر، وأبو بكرة، وأبو الدرداء، والصنابح بن الاعسر، وسهل بن سعد، وأسماء بنت أبي بكر، وأم سلمة، وعقبة بن عامر، والصنابحي وهو غير الصنابح بن الاعسر، وعلي بن أبي طالب، والحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

أما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه؛ فروى الشيخان والبغوي واللالكائي في السنة بلفظ « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً » وفي رواية لهما: « الحوض مسيرة شهر » والباقي سواء. وفي أخرى « ولا ينقص من شرب منه إلا كما ينقص المحيط من الماء إذا شرب منه » والبخاري وحده « حوضي ما بين عمان واليمن فيه آنية عدد النجوم ماؤه أحلى من العسل وأبيض من اللبن وألين من الزبد، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً » وللدارقطني في الافراد « الحوض عرضه مثل طوله أبيض من الفضة وأحلى من العسل، من شرب منه شربة لم يظمأ آخر ما عليه » وروى ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكوثر؟ قال « نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله، عرضه ما بين ايلة وعدن » قالوا: يا رسول الله أله طين أو حال؟ قال « نعم المسك الأبيض » قال: أله رضراض حصى؟ قال « نعم رضراضه الجوهر وحصباؤه اللؤلؤ » قال: أله شجر؟ قال « نعم حافتاه قضبان ذهب رطبة شارعة عليه » قال: لتلك القضبان ثمار؟ قال « نعم تنبت أصناف الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر فيه أكواب وآنية وأقداح تسعى إلى من أراد أن يشرب منها منشره في وسطه بها كأنها الكوكب الدري ».

وأما حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ فرواه أبو بكر بن أبي داود فقال: حدثنا يزيد بن محمد بن المغيرة المهلبي، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، سمعت عاصماً يحدث عن ذر عن حذيفة قال: « إن حوض محمد ﷺ يوم القيامة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك وأن آنيته عدد نجوم السماء » تابعه علي بن حرب الطائي، عن وهب بن جرير بن حازم. وقال عبد الله بن أحمد: حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن عاصم عن ذر

عن حذيفة أنه قال « ما بين طرفي حوض النبي ﷺ كما بين إيلة ومضر، آنيته أكثر أو مثل عدد نجوم السماء، ماؤه أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً » ورواه ابن أبي عامر في كتاب السنّة عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به. ورواه الطبراني في كتاب السنّة عن عبد الله بن أحمد عن هدبة به. وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن عاصم، عن ذر عن حذيفة قال « الحوض أبيض مثل اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك آنيته عدد نجوم السماء ما بين إيلة وصنعاء من شرب منه لم يظمأ بعد ذلك أبداً » وحدث به ابن أبي عاصم في كتاب السنّة عن أبي بكر هو ابن أبي شيبة. ومن طريقه رواه الطبراني في كتاب السنة فقال: حدثنا عبيد بن غنام، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حسين بن علي الجعفي فذكره. وهو في جميع طرقه المتقدمة موقوف، لكن مثله لا يقال من قبل الرأي فهو مرفوع، وقد صح ذكر الحوض من رواية حذيفة مرفوعاً قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا محمد بن فضيل، عن حصين، عن أبي وائل عن حذيفة قال رسول الله ﷺ: « ليردن علي حوضي أقوام فيختلجون دوني » ورواه الطبراني في كتاب السنّة عن عبيد بن غنام عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعلقه البخاري في صحيحه فقال: وقال حصين عن أبي وائل، عن حذيفة، عن النبي ﷺ. ووصله مسلم باختصار متنه، فقال عقيب حديث الأعمش ومغيرة، عن أبي وائل عن ابن مسعود. وحدثناه سعيد بن عمرو الأشعثي، أنبأنا عبثر، وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا ابن فضيل كلاهما عن حصين عن أبي وائل، عن حذيفة، عن النبي ﷺ نحو حديث الأعمش ومغيرة. ورواه ابن أبي خيثمة في تاريخه، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، عن حصين، عن أبي وائل عن حذيفة قال النبي ﷺ « ليردن على الحوض أقوام حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ». وقال أبو بكر محمد بن هارون الروياني في مسنده، حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن فضيل، عن حصين، عن شقيق عن حذيفة قال رسول الله ﷺ فساقه مثله.

وقال الخلعي في فوائده: أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي المشطاحي، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر، عن سعد بن طارق، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان قال رسول الله ﷺ: « إن حوضي لأبعد من أيلة وعدن، والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد النجوم وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه » قال: قيل وتعرفنا يومئذ؟ قال: « نعم تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم » تابعه أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص، وأبو الحسين محمد بن عبدالله ابن الحسين الدقاق ابن أخي سمي، فروياه عن عبدالله البغوي، وعن المخلص رواه اللالكائي في كتاب السنة تابعه مسلم وابن ماجه فحدثا به في كتابيهما عن عثمان بن أبي شيبة به. وروى الطبراني

في الأوسط عن حذيفة قال: «الكوثر نهر في الجنة أجوف في آنية من الذهب والفضة لا يعلمها إلا الله» وهذا موقوف له حكم الرفع.

وأما حديث جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه؟ فقال الإمام أحمد: حدثنا روح، حدثنا زكريا بن إسحاق، حدثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ «الحوض مسيرة شهر وزواياه سواء يعني عرضه مثل طوله وكيزانه مثل نجوم السماء وهو أطيب ريحاً من المسك وأشد بياضاً من اللبن، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً» هذا الحديث على رسم مسلم، فقد روي من طريق روح عن زكريا عن أبي الزبير عن جابر ستة أحاديث غير هذا. قاله الإمام الضياء محمد بن عبد الواحد الحافظ، وروى البزار من طريق الشعبي عن جابر رفعه: «إني فرطكم على الحوض وإني مكاثر بكم الأمم فلا ترجعوا بعدي كفاراً يقتل بعضكم بعضاً» فقال رجل: يا رسول الله ما عرضه؟ قال: «ما بين إيلة ـ أحسبه قال إلى مكة ـ فيه مكاكي أكثر من عدد النجوم لا يتناول مؤمن منها واحداً فيضعه من يده حتى يتناول آخر» قوله: مكاكي جمع مكوك على البدل وهو طاس يشرب به ومكيال بالعراق. قاله صاحب العين: وفيه رد على ابن الأنباري حيث منع أن يجمع مكوك على مكاكي، وإنما جمعه مكاكيك، والجمعان جائزان والمكوك له معنيان كما ذكرا. والأول يفسر به الحديث. وقد نبهنا عليه في شرح القاموس.

وقال الطبراني في كتاب السنة: حدثنا العباس بن الفضل، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير، عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «أنا فرط لكم بين أيديكم فإن لم تجدوني فأنا على الحوض ما بين إيلة إلى مكة وسيأتي رجال ونساء فيطردون عنه فلا يطعمون منه شيئاً».

وقال المحاملي: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس فساقه ولفظه: «وسيأتي رجال ونساء بقرب وآنية فلا يطعمون منه شيئاً».

وأخرجه اللالكائي في كتاب السنة من طريقين إلى أبي عاصم، أخبرني ابن جريج أنه سمع جابر ابن عبدالله يقول: سمعت رسول الله ﷺ فذكره في إحداهما: «سيأتي رجال ونساء بآنية وقرب» وفي الثاني: «يأتونه ثم لا يذوقون منه شيئاً».

وأما حديث أبي هريرة، فرواه أبو طاهر المخلص في فوائده، وعنه اللالكائي في كتاب السنة من طريق ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن موسى، عن أبي عثمان، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أطمع أن يكون حوضي إن شاء الله أوسع مما بين إيلة إلى الكعبة وأن فيه الأباريق لأكثر من عدد الكواكب». وروى مسلم في صحيحه بلفظ: «إن حوضي أبعد من إيلة من عدن لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه» قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال:

....

« نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غراً محجلين من أثر الوضوء » وروى ابن عساكر من طريق الفرزدق، عن أبي هريرة رفعه: « إن لي حوضاً كما بين إيلة وعمان ».

وأما حديث أبي سعيد الخدري: فرواه أبو القاسم البغوي فقال: حدثنا محمد بن سليمان، حدثنا عيسى بن يونس، عن زكريا عن عطية عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: « إن لي حوضاً طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس أشد بياضاً من اللبن آنيته عدد النجوم، وكل نبي يدعو أمته ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام، ومنهم من يأتيه العصبة، ومنهم من يأتيه النفر، ومنهم من يأتيه الرجلان والرجل، ومنهم من لا يأتيه أحد وإني أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة » تابعه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال فقال: حدثنا محمد بن سليمان الأسدي، حدثنا عيسى بن يونس فذكره بطوله. ورواه اللالكائي في السنة من طريق الوليد بن القاسم، حدثنا زكريا بن زائدة، عن عطية العوفي عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: « إن لي حوضاً » فذكره وفيه بعد قوله: أحد فيقال قد بلغت وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة. ورواه الأعمش عن عطية عن أبي سعيد رفعه: « إني كأني قد دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي وإنهما لن يزالا جميعاً حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما ».

وقال محمد بن سعد في الطبقات: أخبرنا أنس بن عياض، وصفوان بن عيسى، ومحمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن أنس بن أبي يحيى، عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن جلوس في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ في المرض الذي توفي فيه عاصباً رأسه بخرقة فخرج يمشي حتى قام على المنبر فلما استوى عليه قال: « والذي نفسي بيده إني لقائم على الحوض الساعة ». الحديث.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا زكريا، عن عطية عن أبي سعيد الخدري رفعه: « إن لي حوضاً طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس أبيض مثل اللبن وآنيته عدد النجوم وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة » أخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي بكر بن أبي شيبة.

وأما حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه؛ فقال اللالكائي في كتاب السنة: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا عبد الله بن الوضاح اللؤلؤي، حدثنا يحيى بن يمان، عن عائذ بن نسير، عن علقمة بن مرثد، عن أبي بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « حوضي ما بين عمان واليمن فيه آنية عدد النجوم أحلى من العسل وأبيض من اللبن وألين من الزبد، من شرب منه شربة لم يظمأ أبعدها أبداً ». تابعه يحيى بن معين عن يحيى بن يمان. أخرجه كذلك أبو يعلى فقال: حدثنا يحيى بن معين، حدثنا يحيى بن يمان فذكره. وأخرجه الروياني في مسنده فقال: حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين. تابعهما أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي، عن

....

يحي بن معين. يحي بن يمان ليس بالقوي وشيخه عائذ ضعفوه، واسم أبيه نسير بضم النون وفتح السين المهملة، وابن بريدة هوعبد الله.

وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ فرواه اللالكائي في السنة: أخبرنا عيسى بن علي، أنبانا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا عبيد الله العبسي، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن ذر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض». ورواه البخاري من طريق الأعمش، عن شقيق عن عبدالله بن مسعود. ورواه الطبراني والخطيب وابن عساكر بزيادة: «وإني مكاثر بكم الأمم فلا تقتتلوا بعدي» ورواه أحمد والشيخان بزيادة: «ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم فأقول: يا رب أصحاب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وأما حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه؛ فاخرجه الحافظ أبو طاهر السلفي من طريق محمد بن أبي السري البخاري، عن سفيان بن عيينة قال: سمعت عبد الملك بن عمير يقول: سمعت جندب بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني فرطكم على الحوض» رواه كذلك الحميدي عن سفيان عن عبد الملك بن عمير، وفيه قال سفيان وذكر فيه شيئاً آخر. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا وكيع، عن مسعر، عن عبد الملك بن عمير، عن جندب سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض» حدث به مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة. ورواه أبو الغنائم محمد بن علي الحافظ بالكوفة في فوائده من طريق قيس، ويزيد بن عمر الهمداني، وأبي كدينة يحي بن المهلب البجلي الكوفي وحماد بن حجاج أخي شعبة كلهم عن عبد الملك بن عمير بمثله. وقد رواه عن عبد الملك بن عمير جماعة آخرون. منهم زائدة عند مسلم، وشعبة بن الحجاج عند البخاري، وابن أبي شيبة، وإبراهيم بن سليمان المؤدب عند أبي عبيد في كتابه غريب الحديث، ونسب جندباً إلى جده سفيان فيظن أنهما اثنان وهما واحد. وقد تابعهم عن عبد الملك ابن عمير جماعة: منهم شعيب بن صفوان الثقفي، وأبو عوانة اليشكري، وأبو المحياة يحي بن يعلى التميمي الكوفي.

وأما حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، فقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو همام هو الوليد ابن شجاع، حدثنا أبي، حدثني زياد بن خيثمة، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إني فرطكم على الحوض وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وايلة كأن الأباريق فيه النجوم» رواه مسلم عن الوليد بن شجاع بلفظ: «ألا أني فرط لكم على الحوض» والباقي سواء تابعها يعقوب بن سفيان عن أبي همام، وقال أبو بكر بن سمرة أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: فكتب إلي سمعته يقول: «أنا الفرط على الحوض» خرجه مسلم في صحيحه فقال: وحدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة قالا: حدثنا حاتم بن إسماعيل فذكره وفيه: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع. والباقي سواء. وأخرجه اللالكائي في كتاب السنّة من طريق عباد بن يعقوب، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن مهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد قال: كتب إلي جابر بن سمرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض».

وأما حديث أبيه سمرة بن جنادة السوائي العامري له ولابنه صحبة فسيأتي حديثه للمصنف قريباً.

وأما حديث أبي برزة الأسلمي فقال اللالكائي في كتاب السنة: أخبرنا عبد الله بن مسلم بن يحي أخبرنا الحسين بن إسماعيل، حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا روح بن أسلم، حدثنا شداد، عن أبي الوازع قال: سمعت أبا برزة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين جنبي حوضي ما بين إيلة إلى صنعاء مسيرة شهر، عرضه كطوله. فيه مزرابان يثعبان من الجنة من ورق وذهب أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج، فيه أباريق عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة» إسناد صحيح على شرط مسلم. وروى أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي، أخبرنا المؤمل بن الحسن، حدثنا محمد بن يحي، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن مطر الوراق، عن عبدالله بن بريدة الأسلمي قال: شك عبيد الله بن زياد في الحوض وكان في حرورية فقال: أرأيتم الحوض الذي يذكر ما أراه شيئاً فقال له ناس من صحابته: فإن ههنا رهطاً من أصحاب النبي ﷺ، فأرسل إليهم فسألهم. قال: فأرسل إلى رجل من مزينة، فسأله عن الحوض فحدثه، ثم أرسل إلى أبي برزة الأسلمي فأتاه وعليه ثوبا حبرة وقد ائتزر بواحد وارتدى بالآخر، وكان رجلاً لحيماً إلى القصر، فلما رآه عبيد الله ضحك ثم قال: إن محمديكم هذا الدحداح ففهمها الشيخ فقال: يا عجباً إلا أراني قد بقيت في قوم يعدون صحابة رسول الله ﷺ عاراً فقال له جلساء عبيد الله: إنما أرسل إليك الأمير ليسألك عن الحوض: هل سمعت من رسول الله ﷺ فيه شيئاً؟ قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يذكره، فمن كذب به فلا سقاه الله منه. قال: ثم نفض رداءه وانصرف غضباً.

وأما حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه؛ فرواه أحمد والطبراني وابن حبان وسمويه بلفظ: «حوض مثل ما بين عدن وعمان وهو أوسع فيه مثعبان من ذهب وفضة، شرابه أبيض من اللبن وأحلى مذاقة من العسل وأطيب ريحاً من المسك، من شرب منه لم يظمأ بعدها ولم يسود وجهه أبداً». ورواه الطبراني والضياء بلفظ: «حوضي كما بين عدن وعمان فيه أكاويب عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً وأن ممن يرد علي من أمتي الشعثة رؤسهم الدنسة ثيابهم لا ينكحون المتنعمات ولا يحضرون السدد يعني أبواب السلطان الذي يعطون كل الذي عليهم ولا يعطون كل الذي لهم» والأكاويب جمع كوب.

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنه: فرواه الطبراني في الكبير بلفظ: «حوضي مسيرة شهر زواياه سواء أكوازه عدد نجوم السماء ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل وأطيب من المسك، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً» ورواه أيضاً بلفظ: «أنا آخذ بحجزكم عن النار أقول إياكم وجهنم وإياكم والحدود فإذا مت فأنا فرطكم وموعدكم الحوض، فمن ورد أفلح ويأتي قوم فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك مرتدين على أعقابهم»

....

وروى نحوه عبدالله بن أحمد والسجزي في الآبانة. وروى ابن مردويه بلفظ: «أوتيت الكوثر آنيته عدد النجوم» وروى أيضاً من قوله: «الكوثر نهر أعطاه الله محمداً في الجنة» وهو موقوف له حكم الرفع ورواه ابن جرير عنه من قوله: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل» وهذا أيضاً موقوف له حكم الرفع. وروى ابن مردويه عنه من قوله: «الكوثر نهر في الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، شاطئاه الدر والياقوت والزبرجد خص الله به نبيه محمداً ﷺ دون الأنبياء». وهذا أيضاً له حكم الرفع. وروى البخاري وابن جرير والحاكم من طريق ابن بشير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه» قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمونه أنه نهر في الجنة. قال: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه إياه. وروى الطستي في فوائده أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الكوثر فقال: «نهر في بطنان العرش حافتاه قباب الدر والياقوت فيه أزواجه وخدمه» وهذا أيضاً موقوف له حكم الرفع.

وأما حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه؛ فرواه الطبراني في الكبير بلفظ: «حوضي كما بين البيضاء إلى بصري يمدني الله فيه بكراع لا يدري إنسان ممن خلق أين طرفاه».

وأما حديث حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه؛ فرواه أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أحمد بن صالح، حدثني حرمي بن عمارة، حدثنا شعبة عن معبد بن خالد، سمعت حارثة بن وهب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تصدقوا فيوشك الرجل أن يخرج بماله فلا يجد من يتصدق عليه» ثم ذكر حوضه فقال: هو ما بين كذا إلى كذا» تابعه علي بن المديني عن حرمي بن عمارة لكنه بين مبهم مسافة الحوض قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبدالله، حدثنا علي بن عبدالله بن جعفر، حدثنا حرمي، حدثنا شعبة بن معبد بن خالد، سمعت حارثة بن وهب يقول: سمعت النبي ﷺ ذكر الحوض فقال: «هو ما بين المدينة وصنعاء» رواه البخاري عن علي بن المديني فقال: حدثنا علي بن عبدالله وهو ابن المديني، حدثنا جرير بن عمارة، حدثنا شعبة عن معبد بن خالد أنه سمع حارثة بن وهب يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: وذكر الحوض فقال: «كما بين المدينة وصنعاء».

وأما حديث المستورد بين شداد الفهري رضي الله عنه؛ فرواه البخاري معلقاً وهذا لفظه في سياق حديث حارثة رضي الله عنه زاد ابن عدي، عن شعبة، عن معبد بن خالد، عن حارثة سمع النبي ﷺ قال: «حوضه ما بين صنعاء والمدينة» فقال له المستورد: ألم تسمعه قال: «الأواني» قال: لا. قال المستورد: «ترى فيه الآنية مثل الكواكب» وهذا قدر رواه مسلم في صحيحه فقال: حدثني محمد بن عبدالله بن بزيع، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن معبد بن خالد عن حارثة أنه سمع النبي ﷺ قال: «حوضه ما بين صنعاء والمدينة» فقال له المستورد: ألم تسمعه قال: «الأواني» قال: لا. فقال: «ترى فيه الآنية مثل الكواكب». ومن هذه الطريق رواه الطبراني في كتاب السنة

....

فقال: حدثنا زكريا بن يحيى الساجي، حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، حدثنا محمد بن أبي عدي فذكره. خالفهما بكر بن بكار عن شعبة في المسافة. ووافق ابن أبي عدي في الزيادة. رواه أبو بكر بن شاذان من طريق محمد بن مرزوق: حدثنا بكر بن بكار، حدثنا شعبة، حدثنا معبد بن خالد سمعت حارثة رجلاً من خزاعة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن ما بين حوضي كما بين مكة وصنعاء» فقال له المستورد: ما سمعت شيئاً غير هذا؟ قال: لا. قال المستورد: وفيه آنية كالكواكب».

وأما حديث أبي بن كعب رضي الله عنه؛ فرواه الحكيم في النوادر بلفظ: «أوّل من يدعى يوم القيامة أنا» وساق الحديث وفيه: «يقومون غراً محجلين من آثار الوضوء فيردون على الحوض ما بين بصرى إلى صنعاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك فيه من الآنية عدد نجوم السماء من ورده فشرب منه لم يظمأ بعده أبداً ومن صرف عنه لم يره بعده أبداً».

وأما حديث عائشة رضي الله عنها، فرواه أحمد ومسلم بلفظ: «إني على الحوض حتى انتظر من يرد علي منكم وسيؤخذ أناس دوني فأقول: يارب مني ومن أمتي؟ فيقال: هل شعرت بما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم». وروى ابن مردويه بلفظ: «أوتيت الكوثر آنيته عدد النجوم» وروى ابن أبي شيبة والبخاري وابن جرير وابن مردويه أنها سئلت عن الكوثر فقالت: «هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ في بطنان الجنة شاطئاه عليه در مجوف فيه من الآنية والأباريق عدد النجوم» وهذا موقوف له حكم الرفع. وروى هناد وابن جرير عنها قالت: «من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه».

وأما حديث أبي لبابة رضي الله عنه؛ فقد رواه أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص في فوائده عن أبي القاسم البغوي في أثناء حديث أنس من طريق الحسن وقتادة أوله: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله يمنع سوادي ودمامتي دخول الجنة؟ قال: «لا والذي نفسي بيده ما اتقيت الله وآمنت بما جاء به رسوله» فذكر الحديث بطوله وفيه: «تزويجه بابنة حارثة بن وهب الثقفي ثم شهادته قبل أن يدخل بها» وقوله ﷺ فيه: «إنه ورد الحوض ورب الكعبة» فقال أبو لبابة بأبي أنت وأمي وما الحوض؟ قال: «حوض أعطانيه ربي عز وجل ما بين صنعاء إلى بصرى حافتاه مكلل بالدر والياقوت آنيته كعدد نجوم السماء ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، من شرب شربة لم يظمأ بعدها أبداً» الحديث ورجاله ثقات سوى محمد بن عمر الكلاعي، فقال ابن عدي، فيه: أنه يحدث عن الثقات بالمناكير، وقد تابع البغوي جماعة منهم الحسن بن إسحاق بن يزيد العطار، واحمد بن الجعد الوشاء. ومن طريقهما خرجه الحافظ أبو بكر موسى المديني في كتاب التتمة.

وأما حديث البراء بن عازب رضي الله عنه؛ فقال أبو القاسم البغوي: حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي، حدثني موسى بن عثمان الحضرمي، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب رفعه:

....

« ألا أني فرطكم على الحوض ومكاثر بكم الأمم يوم القيامة » وقال الحسن بن سفيان الضوي في مسنده: حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن يحي بن سلمة بن كهيل، حدثني أبي، عن أبيه، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب رفعه: « إن لي حوضاً لأذود الأمم عنه يوم القيامة » قيل: يا رسول الله كيف تعرفهم؟ قال: « إن أمتي غر محجلون وأن عرضه كما بين إيلة وبصري وإلى صنعاء وآنيته أكثر من عدد النجوم ولهو أطيب من ريح المسك وأحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج ». وروى أحمد وأبو يعلى والمحاملي من طريق شعبة عن يزيد بن أبي زياد قال: سمعت ابن أبي ليلى يقول: سمعت البراء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول للأنصار: « إنكم ستلقون بعدي أثره » قالوا: فما تأمرنا؟ قال: « اصبروا حتى تلقوني على الحوض ».

وأما حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه فقال البزار في مسنده: حدثنا يعقوب بن حميد، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت، حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن المطلب، عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: « فإني فرط لكم على الحوض يوم القيامة » رواه الطبراني في كتاب السنة، عن عبد الله بن أحمد عن يعقوب بن حميد بن كاسب به.

وأما حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه؛ فرواه ابن جرير وابن مردويه عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بيت حمزة بن عبد المطلب يوماً فلم يجده فسأل امرأته عنه فقالت: خرج آنفاً أو لا تدخل يا رسول الله؟ فدخل فقدمت إليه حيساً فأكل فقالت: هنيئاً لك يا رسول الله ومريئاً لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك. أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهراً في الجنة يدعى الكوثر. فقال: « أجل وأرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ » رواه الحسن بن سفيان في مسنده فقال: حدثنا أحمد بن حسين اللهبي المديني، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن حرام بن عثمان، عن الأعرج، عن المسور بن مخرمة، عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ أتى بيت حمزة فذكره. ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: « أعطيت نهراً في الجنة يدعى الكوثر وعرصته ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ هو والله مثل ما بين صنعاء وإيلة فيه أباريق مثل عدد نجوم السماء » هكذا أورده من حديث أسامة.

وأما حديث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه؛ فهو الذي تقدم قبله. وأبو عمارة كنية حمزة. ورواه محمد بن عبد الله الشافعي، عن عبد الله بن محمد بن ناجية قال: حدثني كعب أبو عبد الله الذراع، حدثني يحي بن عبد الحميد، حدثني عبد العزيز بن محمد هو الدراوردي، عن حرام بن عثمان، عن عبد الرحمن الأعرج، عن المسور بن مخرمة، عن أسامة بن زيد، عن امرأة حمزة بن عبد المطلب، عن حمزة بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ قال: « أعطيت نهراً في الجنة الكوثر أرضه الياقوت والمرجان ولؤلؤ وزبرجد ووصف حوضاً ».

وأما حديث أم محمد خولة بنت قيس الأنصارية رضي الله عنها؛ وهي زوجة حمزة بن عبد المطلب فهو الذي تقدم قبله. قال كعب: أبو عبدالله الذراع المتقدم ذكره، وحدثني يحي بن عبد

....

الحميد الحماني مرة أخرى فقال: عن امرأة حمزة، عن النبي ﷺ، وتقدم لفظ الحديث في ترجمة أسامة وهو عند الطبراني نحوه كما سقناه في حديث أسامة. وفي آخره زيادة وهي: «واجب واردها إلى قومك يا ابنة فهد» وهذه الزيادة تؤيد أن الحديث المذكور من روايتها، وقد نسبها ﷺ إلى جدها إذ هي خولة بنت قيس بن قهد بالقاف ابن قيس بن ثعلبة من الأنصار.

وأما حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه؛ فرواه أبو عمر وعثمان بن أحمد بن السماك في فوائده فقال: أخبرنا أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا زيد بن الحسن القرشي، حدثنا معروف بن خربوذ، حدثنا أبو الطفيل هو عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لما صدر رسول الله ﷺ عن حجة الوداع نزل الجحفة ونهى عن شجرات أن ينزل تحتهن فساق الحديث، وفيه ثم قال: «ألا أني فرطكم وأنكم واردون على الحوض حوضاً أعرض ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سائلكم حين تردون علي». تابعه سمويه في فوائده وغيره.

قال أبو نعيم الأصبهاني: أخبرنا عبدالله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله سمويه، حدثنا سعيد بن سليمان فذكره ولفظه: لما صدر النبي ﷺ عن حجة الوداع قال: «أيها الناس إني فرطكم على الحوض وإنكم واردون على حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه آنية عدد النجوم».

وقال الطبراني في كتاب السنة: حدثنا أحمد بن القاسم بن سادر، حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي ح.

وحدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي. وزكريا بن يحيى الساجي قالا: حدثنا نصر بن عبد الرحمن الوشاء قالا: حدثنا زيد بن الحسن الانماطي، حدثنا معروف بن خربوذ فذكره بلفظ: «أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون على الحوض حوضاً أعرض مما بين بصرى وصنعاء فيه عدد نجوم السماء قدحان من فضة».

ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثني نصر بن عبد الرحمن الوشاء فذكره. بلفظ: «أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر: كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا. وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير بأنهما لم يتفرقا حتى يردا على الحوض».

وأما حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه؛ فرواه أحمد وابن أبي عاصم والطبراني كلاهما في كتاب السنة من طريق سماك بن حرب عن عبدالله بن خباب عن أبيه رفعه: «سيكون عليكم امراء فلا تعينوهم على ظلمهم ولا تصدقوهم بكذبهم فإن من أعانهم علم ظلمهم وصدقهم بكذبهم فلن يرد على الحوض».

....

وأما حديث زيد بن الأرقم رضي الله عنه، فقال أبو القاسم البغوي: حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي، حدثنا موسى بن عثمان الحضرمي، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم رفعه: «ألا إني فرطكم على الحوض ومكاثر بكم الأمم يوم القيامة» وذكر الحديث وتقدم في ترجمة البراء بن عازب. ورواه أبو علي بن شاذان في فوائده من طريق الأعمش، عن صهيب بن ثابت، عن زيد بن أرقم رفعه: «إني كأني دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين» الحديث وقد تقدم في ترجمة أبي سعيد الخدري.

قال أبو داود في سننه: حدثنا حفص بن عمر النميري، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلاً قال: «ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض» قال قلت كم كنتم يومئذ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة في تاريخه: حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، أخبرني عمرو بن مرة قال: سمعت أبا حمزة الأنصاري يقول: سمعت زيد بن أرقم يقول: قال لنا رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في منزل نزلوه: «ما أنتم بجزء من مائة يعني ألف جزء - ممن يرد على الحوض من أمتي» قال أبو حمزة: قلت لزيد بن أرقم كم كنتم يومئذ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة. أبو حمزة هو طلحة بن يزيد الأنصاري مولاهم الكوفي روى له الجماعة سوى مسلم وجاء مصرحاً باسمه في الحديث.

قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة عن طلحة مولى قرظة، عن زيد بن أرقم رفعه «ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض» قلنا لزيد: كم كنتم يومئذ؟ قال: ما بين الستمائة إلى السبعمائة، حدث أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنة، عن أبي بكر بن أبي شيبة به. تابعه جرير بن عبد الحميد الضبي عن الأعمش.

قال ابن أبي خيثمة في تاريخه: وحدثنا أبي حدثنا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن طلحة بن يزيد الأنصاري. قال قال زيد بن أرقم قال رسول الله ﷺ: «ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض» قلت: كم كنتم يومئذ؟ قال: ستمائة أو سبعمائة.

وأما حديث أوس بن الأرقم رضي الله عنه؛ وهو أخو زيد بن الارقم المتقدم بذكره استشهد يوم أحد روى أبو محمد المخلدي بسنده المتقدم في ترجمة أخيه زيد إلى عبد الله بن بريدة الاسلمي أن عبد الله بن زياد كان يشك في الحوض وكان فيه حرورية وأنه قال: أرأيتم الحوض الذي يذكر ما أراه شيئاً فقال له ناس من صحابته: فإن ههنا رهطاً من أصحاب رسول الله ﷺ، فأرسل إليهم فسألهم وساق القصة وفيها: فارسل إلى زيد بن أرقم فسأله عن الحوض، فحدثه حديثاً مونقاً أعجبه قال: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: لا. ولكن حدثنيه أخي قال: لا حاجة لنا في حديث أخيك. ورواه أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنة مثله. قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي: أوس بن أرقم ذكره ابن منده في المعرفة وانه أخو زيد بن الأرقم، لكنه قال عن أوس لا يعرف له حديث فيرد عليه ما رويناه من رواية أخيه زيد عنه، وما ورد من الحديث أن زيداً لم

....

يسمع حديث الحوض من النبي ﷺ يحتمل أنه ذلك الحديث الذي حدث به يومئذ بعينه، وإلاَّ فقد حدث زيد في الحوض باحاديث تقدم ذكر بعضها من طرق كل فيها التصريح بأن زيداً سمع حديث الحوض من النبي ﷺ.

وأما حديث زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه، وهو أخو عبدالله بن أبي أوفى فيما جزم به ابن حبان، فرواه ابن أبي حاتم والبخاري في التاريخ الصغير والطبراني وأبو نعيم في الحلية وأبو موسى المديني في طوالات الاخبار والحسن بن سفيان وابن شاهين والبغوي وابن أبي خيثمة كلهم من طريق عبد الله بن شرحبيل، عن رجل من قريش، عن زيد بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله ﷺ مسجد المدينة فجعل يقول «أين فلان بن فلان» فساقوا الحديث بطوله في مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه، وفيه: ثم نظر في وجوه أصحابه فقال: «ابشروا وقروا عيناً فأنتم أوّل من يرد علي الحوض وأنتم في أعلى الغرف» الحديث. قال أبو موسى المديني: هذا حديث غريب، وزيد بن أبي أوفي عدوه في أهل البصرة لا يعرف بغير هذا الحديث.

وأما حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه؛ فرواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، وأبو بكر بن أبي شيبة والطبراني في كتاب السنة من طريق القاسم بن حيان، عن زيد بن ثابت رفعه «إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» ورواه الترمذي وقال حسن غريب، وابن الأنباري في المصاحف والحاكم بلفظ «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما». ورواه عبد بن حميد وابن الانباري أيضاً بلفظ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به بعدي لم تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لم يتفرقا حتى يردا على الحوض». ورواه الطبراني بلفظ: «إني لكم فرط وإنكم واردون على الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين» الحديث.

وأما حديث سويد بن عامر رضي الله عنه؛ فأخرجه حميد بن زنجويه وابن عساكر والعقيلي في الضعفاء بلفظ «حوضي اشرب منه يوم القيامة ومن اتبعني ومن استسقاني من الأنبياء» الحديث وهو حديث منكر، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، ووافقه الذهبي.

وأما حديث أبي بكرة رضي الله عنه؛ فرواه أحمد وتمام وابن عساكر بلفظ «أنا فرطكم على الحوض».

وأما حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، فرواه الطبراني في الأوسط بلفظ: «أنا فرطكم على الحوض أنتظر من يرد علي منكم فلألفين ما نوزعت في أحدكم فأقول: إنه من أمتي فيقال: لا تدري ما أحدث بعدك».

وأما حديث الصنابح بن الاعسر رضي الله عنه؛ فرواه أحمد والبغوي وأبو يعلى وابن حبان

وابن قانع والطبراني والضياء بلفظ « أنا فرطكم على الحوض وإني مكاثر بكم الامم فلا تقتتلوا بعدي » ورواه البغوي ونعيم بن حماد في الفتن بلفظ « أنا فرطكم على الحوض وإني مكاثر بكم الامم فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ».

وأما حديث سهل بن سعد رضي الله عنه؛ فرواه أحمد والشيخان بلفظ « أنا فرطكم على الحوض من ورد يشرب ومن يشرب لم يظمأ أبداً وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول انهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك. فأقول: سحقا لمن بدل بعدي » وفي رواية « إني فرطكم على الحوض من مرّ علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً » والباقي سواء. ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: « إن لكل قوم فارطاً وإني فرطكم على الحوض فمن ورد على الحوض فشرب لم يظمأ ومن لم يظمأ دخل الجنة ».

وأما حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها؛ فرواه الشيخان بلفظ « إني على الحوض حتى أنتظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ أناس دوني فاقول: يا رب مني ومن أمتي. فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم ». ورواه اللالكائي في كتاب السنة مقتصراً على قوله « أنا فرطكم على الحوض ».

وأما حديث أم سلمة رضي الله عنها؛ فرواه مسلم بلفظ: « إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتيني أحدكم فيدب عني كما يذب البعير الضال. فأقول: فيم هذا؟ فيقال: لأنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً ».

وأما حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه؛ فرواه أحمد والشيخان بلفظ: « إني بين أيديكم فرط لكم وإني شهيد عليكم وإن موعدكم الحوض وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها ». ورواه ابن المبارك والطبراني بنحوه. وفي رواية لمسلم « إني فرطكم على الحوض وأن عرضه كما بين إيلة إلى الجحفة، إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم ».

وأما حديث الصنابحي رضي الله عنه، واسمه عبد الله له صحبة وهو غير الصنابح بن الاعسر المذكور، وغير أبي عبد الله الصنابحي، واسمه عبد الرحمن بن عسيلة فإنه تابعي؛ فرواه ابن ماجه وابن أبي شيبة والشيرازي في الألقاب بلفظ: « أنا فرطكم على الحوض واني مكاثر بكم الأمم فلا تقتتلوا بعدي ».

وأما حديث علي رضي الله عنه؛ فرواه الديلمي في مسند الفردوس بلفظ « أول من يرد علي الحوض أهل بيتي ومن أحبني من أمتي ».

وأما حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، فرواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة من طريق

وعن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة »، فهذا رجاء رسول الله ﷺ فليرج

علي بن أبي طلحة مولى بني أمية قال: حج معاوية بن أبي سفيان، وحج معه معاوية بن خديج، فمرَّ في مسجد الرسول ﷺ فدعاه فقال له الحسن بن علي رضي الله عنه: أنت السابّ لعلي رضي الله عنه؟ أما والله لتردن عليه الحوض وما أراك ترده فتجده مشمر الازار على ساق يذود عنه لا يأتي المنافقون ذود غريبة الإبل. قول الصادق المصدوق ﷺ: « وقد خاب من افترى ». ورواه الطبراني في كتاب السنة من طريق أبي كثير قال: قال الحسن بن علي: « إياك وبغض أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فإنك إن وردت عليه الحوض وما أراك ترد عليه لتجدنه مشمراً حاسراً عن ساعديه يذود المنافقين عن حوض رسول الله ﷺ كما تذاد غريبة الابل » قول الصادق المصدوق أبي القاسم ﷺ، ورواه الخطيب هكذا في كتاب من وافقت كنيته اسم أبيه من طريق الطبراني، ورواه بعضهم من حديث الحسن عن أبيه علي رضي الله عنهما، لكنه من رواية سفيان بن الليل الكوفي، ولا يصح حديثه والله أعلم.

فهذا ما تيسر لي من جمع أحاديث الحوض في وقت الكتابة، ولو استوفيت النظر في مجموع ما عندي من الفوائد والأجزاء والتعاليق والتخاريج ربما بلغ أكثر مما ذكرت والله الموفق. ولنعد إلى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى:

(**وعن سمرة**) بن جنادة بن جندب بن حجير بن زباب بن حبيب بن سوآة بن عامر بن صعصعة العامري ثم السوائي روى له الشيخان وأبو داود والترمذي: (« **إن لكل نبي حوضاً وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني ارجو أن أكون أكثرهم واردة** ») قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب. قال: وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح اهـ.

قلت: ووصله الطبراني كذلك، وأشار الترمذي إلى وصله وصحح إرساله، والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن رفعه « إن لكل نبي حوضاً وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته ألا وانهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً » قالو: والحكمة في ذوده ﷺ عن الحوض هو إرشاد كل أحد إلى حوض نبيه، فيكون هذا من إنصافه ﷺ ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلاً عليهم بالماء، ويحتمل أن يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض، والله أعلم.

تنبيه:

تقدم في أحاديث الحوض في ذكر المسافة أنه ما بين الكعبة إلى بيت المقدس، وفي بعضها ما بين ناحيتي حوضي كما بين إيلة وصنعاء مسيرة شهر عرضه كطوله، وفي بعضها من صنعاء إلى بصرى، وفي بعضها ما بين عدن وعمان، وفي بعضها عرضه من مقامي إلى عمان، وهذه المسافات كلها

كل عبد أن يكون في جملة الواردين ، وليحذر أن يكون متمنياً ومغتراً وهو يظن أنه راج ، فإن الراجي للحصاد من بث البذر ونقي الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد ، فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتنقية

متقاربة . وظن بعضهم أنه وقع اضطراب في ذلك وليس كذلك . وأجاب النووي عن ذلك بأنه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة ، فالأكثر ثابت بالحديث فلا يعارضه ، وحاصله يشير إلى أنه أخبر أوّلاً بالمسافة اليسيرة ، ثم اعلم بالمسافة الطويلة ، فاخبر بما كان الله عز وجل تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شيء ، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة . وقال الحافظ في الفتح في حديث ابن عمر : وإن الحوض مسيرة شهر ، وزاد في رواية مسلم من هذا الوجه . وزواياه سواء ، وهذه الزيادة تدفع تأويل بين مختلف الأحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول . ونقل صاحب المواهب عن أبي سعيد في شرف النبوّة والغيلاني من حديث أنس رفعه « لحوضي أربعة أركان : الأوّل بيد أبي بكر ، والثاني بيد عمر ، والثالث بيد عثمان ، والرابع بيد علي ، فمن كان محباً لأبي بكر مبغضاً لعمر لا يسقيه أبو بكر ، ومن كان محباً لعلي مبغضاً لعثمان لا يسقيه علي » اهـ .

قلت : رواه أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان من طريق علي بن عاصم عن حميد عن أنس رفعه « إن على حوضي أربعة أركان : فأوّل ركن منها في يد أبي بكر ، والركن الثاني بيد عمر ، والركن الثالث بيد عثمان ، والركن الرابع بيد علي ، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ، ومن أحب عثمان وأبغض علياً لم يسقه عثمان ، ومن أحب علياً وأبغض عثمان لم يسقه علي ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين ، ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحسن القول في عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحسن القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، ومن أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن » وإسناده واهٍ .

وفي كتاب الثواب لأبي الشيخ من حديث جابر « لحوضي أربعة أركان : ركن عليه أبو بكر ، وركن عليه عمر ، وركن عليه عثمان ، وركن عليه علي ، فمن جاء محباً لهم سقوه ، ومن جاء مبغضاً لهم لم يسقوه » قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي : لم أقف له على اسناد .

(فهذا رجاء رسول الله ﷺ فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين) عليه ، (وليحذر أن يكون متمنياً ومغتراً وهو يظن أنه راج ، فإن الراجي للحصاد من بث البذار) أي نثره (ونقى الأرض) وحرثها (وسقاها الماء) في وقته ، (ثم جلس يرجو فضل الله) تعالى (بالإنبات ودفع العوائق إلى أوان الحصاد) ، فهذا هو الذي يعطى رجاءه . (فأما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب

الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة، فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شيء! وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى. نعوذ بالله من الغرور والغفلة، فإن الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى: ﴿فلا تغرنَّكُم الحياةُ الدنيا ولا يغرنَّكم باللهِ الغَرور﴾ [لقمان: ٣٣].

القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها:

يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه وأصرف التفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: ﴿وإن منكُم إلا واردُها كان على ربِّك حتماً مقضِياً ★ ثم ننجِّي الذينَ اتَّقُوا ونَذِر الظالمين فيها جِثياً﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢]، فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك. فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد

والفاكهة، فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شيء، وهكذا رجاء أكثر الخلق وهذا غرور الحمقي. نعوذ بالله من الغرور والغفلة فإن الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾) والله الموفق.

القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها:

أعاذنا الله والمسلمين منها وجهنم بتشديد النون اسم لنار الآخرة من الجهامة وهي كراهة المنظر قيل: فارسي معرب أصله جهنام، وقيل عربي سميت به نار الآخرة لبعد قعرها من قولهم بئر جهنام أي بعيد القعر، والاهوال: الشدائد، والانكال: أنواع العذاب **(أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا)** الدنية **(المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه)** عن قرب وكان قد **(واصرف الفكر إلى موردك)** أي محل ورودك، **(فإنك)** قد **(أخبرت)** على لسان الصادق المصدوق **(بأن النار مورد للجميع)** أي ممر أو مدخل على اختلاف في معنى الورود **(إذ قيل: ﴿وان منكم إلاَّ واردها)** أي داخلها أو مار عليها أو واصلها وحاضر دونها **(وكان على ربك حتماً مقضياً﴾)** أي كان ذلك الورود واجباً أوجبه الله على نفسه وقضى بأن وعد به وعداً لا يمكن تخلفه، وقيل: اقسم عليه **﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾** فيساقون إلى الجنة وقرىء ثم بفتح الثاء أي هناك **﴿ونذر الظالمين﴾** على أنفسهم أي نتركهم **﴿فيها﴾** أي في النار **﴿جثيا﴾** منهارة بهم كما كانوا، وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهار بهم على هيئاتهم، **(وأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك)** وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الخوف والرجاء، **(فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه،**

للنجاة منه ، وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا ، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها ، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب ، وأظلت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيراً وجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب . وخرج المنادي من الزبانية : قائلاً أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل ؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان : ٢٩] ، فاسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ومالهم منها فكاك ، قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة

وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا ، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها بشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات الشعب) الثلاثة في مقابلة الحس والخيال والوهم ، (**وأظلت عليهم نار ذات لهب**) أي التهاب ، وتلك الظلمات من دخان جهنم وانما تتشعب لعظمها ، (**وسمعوا لها زفيراً**) أي ترديد نفس (**وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب**) كما قال تعالى : ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ [الفرقان : ١٢] وقال تعالى : ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ [الملك : ٨] (**فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب**) أي الهلاك (**وجثت الأمم على الركب**) كما قال تعالى : ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ [الجاثية : ٢٨] (**حتى أشفق**) أي خاف (**البرآء**) جمع بريء وهو من لم يذنب (**من سوء المنقلب ، وخرج المنادي من الزبانية**) وهم خزنة النار (**قائلاً : أين فلان بن فلان المسوّف نفسه في الدنيا بطول الأمل ، المضيع عمره في سوء العمل ؟ فيبادرونه بمقامع**) جمع المقمعة بكسر الميم وهي خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه ليذل ويهان ، ثم بيَّن ان تلك المقامع (**من حديد**) وهو أقوى من مقامع الخشب ، (**ويستقبلونه بعظائم التهديد**) أي التخويف والزجر ، (**ويسوقونه**) ذليلاً مهاناً مجرجراً (**إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم**) أي يجعلون رأسه في القعر ورجليه إلى فوق ، (**ويقولون له**) من باب التهكم : (﴿**ذق إنك أنت العزيز الكريم**﴾ **فاسكنوا داراً ضيقة الأرجاء**) أي الجوانب (**مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ويؤبد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم**) أي الماء الحار ، (**ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم**) أي تضربهم بالمقامع (**والهاوية تجمعهم**) لأنها أمهم ، (**أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك**) أي خلاص ، (**قد شدت أقدامهم**) مجموعة (**إلى**

المعاصي، ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولا أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكبّون على وجوههم مغلولين، النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم، فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها، تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم

النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها) أي جوانبها **(ويصيحون في نواحيها واطرافها يا مالك)** وهو رئيس خزنة النار: **(قد حق علينا الوعيد)** أي ثبت ووجب، **(يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا جلودنا، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود)** إلى ما كنا فيه، **(وتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولو اخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون، فعند ذلك يقنطون)** ولا ينطقون، **(وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم)** ومناخرهم **(مغلولين)** مقيدين. **(النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن إيمانهم والنار عن شمائلهم)** قد أحاطت بجوانبهم الأربع، **(فهم غرقي في بحر النار، طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران)** جمع مقطعة وهي الجبب الضيقة الاكمام **(وسرابيل القطران)** جمع سربال بالكسر قميص أو درع والقطران ما يتحلب من شجر الابهل عند طبخه ويطلى به الابل وغيرها، وفيه لغتان: فتح القاف وكسر الطاء، وبه قرأ السبعة في قوله تعالى: ﴿سرابيلهم من قطران﴾ [إبراهيم: ٥٠] والثانية كسر القاف وسكون الطاء. **(وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون)** أي يضطربون **(في مضايقها يتحطمون)** أي يتكسرون **(في دركاتها)** أو يدفعون، **(ويضطربون بين غواشيها)** أي أطرافها **(تغلي بهم النار كغلي القدور)** على النيران، **(ويهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به)** أي يذوب به **(ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم)** أي تكسرها **(فيتفجر الصديد من أفواههم، وتنقطع من العطش**

فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها، بل جلودها، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون! فكيف بك لو نظرت إليهم وقد اسودت وجوههم أشد سواداً من الحميم، وأعميت أبصارهم، وأبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، وكسرت عظامهم، وجدعت آذانهم، ومزقت جلودهم، وغلت أيديهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم. وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

وانظر الآن في تفصيل أهوالهم وتفكر أيضاً في أودية جهنم وشعابها، فقد قال ﷺ: «إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله»، وقال علي

أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، ويسقط من الوجنات لحومها) الوجنة ما ارتفع من الخد والأشهر فتح الواو. وحكي التثليث والجمع وجنات كسجدة وسجدات، **(ويتمعط)** أي يتساقط **(من الأطراف شعورها بل جلودها، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها)** ليتضاعف العذاب مجدداً، **(وعريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب، وهي تنش)** أي تيبس **(في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت)** الذي هو أيضاً هائل للخروج من تلك الأهوال والخلاص منها. **(فكيف بك لو نظرت إليهم وقد اسودت وجوههم)** من لفح تلك النيران **(أشد سواداً من الحمم)** أي الفحم، **(وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت)** أي قطعت **(آذانهم وأنوفهم ومزقت جلودهم وغلّت أيديهم إلى أعناقهم)** بالجامعة **(وجمع بين نواصيهم وأقدامهم)** أي مجموعة إليها، **(وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذه جملة أحوالهم)** أي بطريق الإجمال.

(وانظر الآن تفصيل أهوالهم وتفكر أيضاً في أودية جهنم وشعابها، فقد قال النبي ﷺ: «إن في جهنم سبعين ألف وادٍ، في كل واد سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله»). قال العراقي: لم أجده هكذا بجملته، وسيأتي بعده ما ورد في الحيات والعقارب اهـ.

كرّم الله وجهه: قال رسول الله ﷺ: « تعوّذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن » قيل: يا رسول الله وما وادي ـ أوجب ـ الحزن؟ قال: « واد في جهنم تتعوّذ منها جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين ». فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها. وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الأعلى: جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية،

قلت: بل أخرجه ابن قانع في معجمه وغيره من طريق يحي بن أبي كثير، عن أبي سلام، عن حجاج بن عبد الشمالي، وكان قد رأى النبي ﷺ وشهد معه حجة الوداع أن سفيان بن مجيب الشمالي حدثه، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: « إن في جهنم سبعة آلاف واد » الحديث. ووقع عند ابن قانع بخيت مصغر بخت بدل مجيب، وفيه اختلاف. ذكره الحافظ في الاصابة. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: لا يصح.

(وقال علي كرم الله وجهه، قال رسول الله ﷺ: « نعوذ بالله من جب الحزن ـ أو) قال **(وادي الحزن ـ »)** شك من الراوي **(قيل: يا رسول الله وما وادي الحزن ـ أوجب الحزن ـ؟ قال « واد في جهنم تتعوّذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين »)** قال العراقي: رواه ابن عدي بلفظ: « وادي الحزن » وقال: باطل، وأبو نعيم الاصبهاني بسند ضعيف، ورواه الترمذي وقال غريب، وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ « جب الحزن » وضعفه ابن عدي وتقدم في ذم الجاه والرياء اهـ.

قلت: لفظ الترمذي، وابن ماجه « تتعوّذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة يدخلة القراء المراؤن بأعمالهم وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء » وكذلك رواه البخاري في التاريخ، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس بلفظ: « إن في جهنم لوادياً تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله، وللمصدق في غير ذات الله، وللحاج إلى بيت الله، وللخارج في سبيل الله ». ولفظ أبي نعيم من حديث أبي هريرة « إن في جهنم لوادياً يقال له لملم إن أودية جهنم لتستعيذ بالله من حره ». ولفظ ابن عدي من حديث أبي هريرة: « إن في جهنم وادياً تستعيذ جهنم منه في كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم، وإن أبغض الخلق إلى الله عالم السلطان ». وروى البيهقي عن بكر بن محمد العابد قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إن في جهنم لجباً تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء الزائرين للسلطان.

(فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها، وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصي العبد. بعضها فوق بعض) وهي الدركات: **(الأعلى جهنم، ثم سقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية)**.

قال صاحب القاموس في كتاب البصائر: أصل السقر بالسين والصاد تغير اللون يقال: سقرته

فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا، فكما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه، فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها. قال أبو هريرة: كنا مع رسول الله ﷺ: « فسمعنا وجبة فقال رسول الله ﷺ: « أتدون ما هذا؟ » قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً الآن انتهى إلى قعرها ».

انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً، فكما ان إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك بمستكثر كالغريق فيها، ومن خائض فيها

الشمس وصقرته إذا لوّحته، وجعل سقر علماً لجهنم، ولما كان السقر يقتضي التلويح في الأصل نبه بقوله ﴿وما أدراك ما سقر ★ لا تبقى ولا تذر ★ لواحة للبشر﴾ [المدثر: ٢٧ - ٢٩] إن ذلك مخالف لما تعرفه من أحوال السقر في الشاهد، واللظى: النار. وقيل: لهب النار الخالص عن الدخان. ولظى: معرفة اسم جهم، ولظيت النار بالكسر لظى والتظت التهبت. والحطمة: النار التي من شأنها أنهم تحطم كل ما يطرح فيها، والسعير: فعيـل بمعنى مفعول، وقد سعر النار وأسعرها وسعرها ألهبها. والجحيم: من الجحمة وهي شدة تأجج النار، وكل نار بعضها فوقها فوق بعض جحيم وجحمة وجحمها أوقدها. والجاحم الجمر الشديد الاشتعال والمكان الشديد الحر. والهاوية: من هوى إذا سقط على رأسه سميت نار الآخرة لأنهم يتساقطون فيها منكوسين.

(**فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حدّ لعمقها كما لا حدّ لعمق شهوات الدنيا، كما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه، فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها**). وذكر صاحب القاموس في البصائر: إن في بعض الآثار ان دركات النار سبعة: هاوية للفراعنة، ولظى لعبدة الأوثان، وسقر للمجوس، والجحيم لليهود، والحطمة للنصارى، والسعير للصابئين، وجهنم لعصاة المؤمنين. قال: وورد الجحيم في القرآن على وجهين: أحدهما: بمعنى النار التي أوقدها نمروذ اللعين للخليل عليه السلام: ﴿قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم﴾ [الصافات: ٩٧] الثاني: بمعنى النار التي أعدها الله للمجرمين والكفار.

(**قال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**كنا مع رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة**) أي سقطة ومادة وجب تدل على سقوط الشيء ووقوعه، (**فقال رسول الله ﷺ: « أتدرون ما هذا؟ » قلنا: الله ورسوله أعلم. قال « هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً الآن حين انتهى الى قعرها »**) قال العراقي: رواه مسلم.

(**ثم انظر إلى تفاوت الدركات، فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً، فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت**) تفاوتاً مختلفاً، (**فمن منهمك**) عليها (**مستكثر**) منها (**كالغريق فيها**) لا يستفيق من انهماكه، (**ومن خائض فيها إلى حدّ محدود**) أي معلوم،

إلى حد محدود، فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة، فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان، بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه، إلا أن أقلهم عذاباً لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله ﷺ: « إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة يتنعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه »، فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه. ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به. ثم اعلم أنك أخطأت في القياس، فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم، ولكن لما كان

(**فكذلك تناول النار لهم متفاوت، فإن الله لا يظلم مثقال ذرة**) أي خيراً أو شراً، (**فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيف كان، بل لكل واحد حدّ معلوم**) لا يتعدى (**على قدر عصيانه وذنبه، إلا أن أقلهم عذاباً لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى به من شدة ما هو فيه**)، فقد روى أحمد وعبد بن حميد ومسلم والنسائي وابن حبان والحاكم في أثناء حديث أنس: « يقول الله تعالى لرجل من أهل النار: أتفتدي منه بطلاع الأرض ذهباً فيقول: أي رب نعم. فيقول: قد كذبت » الحديث.

(**قال رسول الله ﷺ: « إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث النعمان بن بشير اهـ.

قلت: لفظ البخاري « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل بالقمقم » ولفظ مسلم « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وأنه لأهونهم عذاباً » وروى الحاكم من حديث أبي هريرة: « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل يحذى له نعلان من نار يغلي منهما دماغه ». وروى مسلم من حديث ابن عباس « إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه ». وفي رواية مسلم من حديث أبي سعيد في حديث طويل آخره « وأدنى أهل النار عذاباً ينعل من نار بنعلين يغلي دماغه من حرارة نعليه ». وروى هناد من مرسل عبيد بن عمير « إن أدنى أهل النار عذاباً بالرجل عليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه كأنه مرجل، مسامعه جمر وأدراسه جمر وأشفاره لهب النار، تخرج احشاء جنبيه من قدميه وسائرهم كالحب القليل في الماء الكثير فهو يفور » وفي الصحيح من حديث أبي سعيد في حق أبي طالب « لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه ».

(**فانظر الآن إلى من خفف عنه واعتبر به ومن شدد عليه، ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به**) كما كان يفعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والأحنف بن قيس وقد تقدم. (**ثم اعلم أنك أخطأت في القياس، فإن نار الدنيا لا تناسب**

أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات! لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هرباً مما هم فيه. وعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل: «إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا»،

نار جهنم) ولا تقاربها، (**ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها**) تقريباً للأذهان، (**وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هرباً مما هم فيه، وعن هذا عبرّ في بعض الأخبار حيث قيل: «إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا»**) قال العراقي: ذكره ابن عبد البر من حديث ابن عباس. وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات، ولولا ذلك ما انتفع بها. وللبزار من حديث أنس بسند ضعيف وما وصلت إليكم حتى احسبه قال نضجت مرتين بالماء لتضيء لكم اهـ.

قلت: قال الترمذي حدثنا عباس بن محمد الدوري، أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا شيبان، عن فراس، عن عطية عن أبي سعيد رفعه: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم لكل جزء منها حرها» قال الترمذي: حسن غريب. وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبي ويعلى قالا: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن نفيع بن داود عن أنس رفعه: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم لولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وأنها لتدعو الله تعالى أن لا يعيدها» فيها رجاله ثقات إلا نفيع بن الحارث فإنه متروك. ورواه الحاكم مثله وصححه. وأخرج البيهقي في البعث مثله من حديث أبي هريرة من طريق سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عنه، وعن ابن مسعود موقوفاً. ورواه ابن مردويه من حديث أبي هريرة بلفظ: «ولولا أنها ضربت في اليم سبع مرات لما انتفع بها بنو آدم». وروى مالك في الموطأ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رفعه: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية. قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً وهو حديث صحيح أخرجه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس عن مالك. ومسلم عن قتيبة عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد. ورواه أحمد والبيهقي في البعث بمثله.

وقوله: «بتسعة وستين» قال العراقي: في شرح التقريب: وقفت على نسخة صحيحة من التهم بتسعة وتسعين وعليها خط المصنف، وصوابه وستين، فهو الذي في الحديث. ولعل التسعين سبق قلم من الناسخ، وما قيل من أن المذكور أولاً بالنسبة للقدر والعدد، وثانياً بالنسبة للحدّ غير متعين، والذي يظهر أن الكلام أولاً وثانياً إنما هو بالنسبة للحدّ، ولهذا قال في الأول جزء واحد من سبعين جزءاً من حر جهنم، ولا يضر تأكيد الكلام وتكرره، فإنه ﷺ لما ذكر تفضيل جهنم في الحر بهذه الأجزاء. وقال الصحابة: إن حر نار الدنيا كان كافياً في العقوبة والانتقام أكد النبي ﷺ ما أخبر به أولاً بعد سؤال الصحابة. وقال: إنها فضلت عليها بهذا القدر في الجزاء. والله أعلم.

بل صرح رسول الله ﷺ بصفة نار جهنم فقال: «أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة»، وقال ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدونه في الصيف من حرها وأشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها».

(بل صرح رسول الله ﷺ بصفة نار جهنم فقال: أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة») قال البيهقي في الشعب: أخبرنا أبو الحسن بن عبدان، حدثنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا الكديمي هو محمد بن يونس، حدثنا سهل بن حماد، حدثنا مبارك بن فضالة، حدثنا ثابت البناني، عن أنس قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ [البقرة: ٢٤] فقال: «أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة» قال: وبين يدي رسول الله ﷺ أسود يهتف بالبكاء، فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد من هذا الباكي بين يديك؟ قال: «رجل من الحبشة وأثنى عليه معروفاً قال: فإن الله يقول: وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي لا تبكي عين عبد في الدنيا من مخافتي إلا أكثرت ضحكها معي في الجنة». رجاله ثقات إلا الكديمي، ولأوّله شاهد. قال يعقوب بن سفيان في مسنده: حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا يحيى بن أبي بكر، أخبرنا شريك، عن عاصم عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه: «أوقدت النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة» أخرجه الترمذي عن العباس به وقال: لا نعلم أحداً رفعه إلا يحيى عن شريك، ثم رواه من طريق أخرى عن أبي هريرة موقوفاً وقال: هذا أصح. وأخرجه البيهقي في البعث من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه، عن علقمة، عن عاصم عن أبي صالح عن كعب وقال: هذا أصح. فتبين بهذا أنه من الإسرائيليات. وروى مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة أنه قال: «أترونها حمراء مثل ناركم هذه التي توقدون إنها لأشد سواداً من القار». هذا موقوف صحيح. وأخرجه البيهقي في البعث من طريق عبد العزيز بن سهيل مرفوعاً».

(وقال ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدونه في الصيف من حرّها وأشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها»). قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه كذلك مالك والشافعي وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وابن ماجه وابن مردويه بلفظ المصنف، وفي رواية لهم: «فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير».

وقال أنس بن مالك : يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال : اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له : هل رأيت نعياً قط ؟ فيقول : لا ، ويؤتى بأشد الناس ضراً في الدنيا فيقال : اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له : هل رأيت ضراً قط ؟ فيقول : لا . وقال أبو هريرة : لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا . وقد قال بعض العلماء في قوله : ﴿تلفحُ وجُوهَهُمُ النارُ﴾ [المؤمنون : ١٠٤] ، إنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحماً على عظم إلا ألقته عند أعقابهم.

ورواه الترمذي وقال حسن صحيح بلفظ : « فأما نفسها في الشتاء فزمهرير وأما نفسها في الصيف فسموم » . وروى عبد بن حميد عن قتادة قال : ذكر لنا أن النبي ﷺ حدث : « أن جهنم اشتكت إلى ربها فنفسها في كل عام نفسين فشدة الحر من حرها وشدة البرد من زمهريرها » .

(وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه : **(يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال: اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت نعياً قط ؟ فيقول: لا ، ويؤتى بأشد الناس ضراً في الدنيا فيقال: اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له: هل رأيت ضراً قط؟ فيقول: لا)** . رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى من حديث أنس مرفوعاً بلفظ : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في جهنم صبغة ثم يقال له : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ، هل مربك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب . ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ، هل مرّ بك شدة قط ؟ فيقول : لا . والله يا رب ما مرّ بي بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط » . ولما لم يصرح المصنف برفعه لم يتعرض له العراقي بالتخريج وهو واجب التنبيه .

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه . **(لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا)** وهذا أيضاً ذكره موقوفاً وهو مرفوع من حديثه . رواه البزار وأبو يعلى والبيهقي في البعث بلفظ : « لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لأحرق المسجد ومن فيه » . وروى الديلمي من حديث أبي سعيد : « لو أخرج رجل من أهل النار ثم أقيم بالمشرق وأقيم رجل بالمغرب لمات ذلك الرجل من نتن ريحه » . وروى ابن مردويه عن الحسن عن أبي هريرة الأسلمي من قوله بنحوه . **(وقد قال بعض العلماء في)** تفسير قوله تعالى : **(﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾)** يقال لفحته الشمس والسموم غيرت لونه بحرها **(أنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحماً على عظم إلا ألقته عند أعقابهم)** . والمراد ببعض العلماء ابن مسعود . هكذا رواه صاحب الحلية . ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن أبي الهذيل مثله . وقد روي نحوه من حديث أبي الدرداء : « تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على أعقابهم » رواه ابن مردويه والضياء في صفة النار . ومن حديث أبي هريرة : « إن جهنم

ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق، قال أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لو إن دلواً من غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض». فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وأن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً.

ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى: ﴿ثم إنَّكم أيُّها الضالون المكذِّبــون★ لآكلون من شجرٍ من زَقُّوم★ فمالئونَ منها البطون★ فشارِبونَ عليه من الحميم★

لما سيق إليها أهلها لقيتهم بعنف فلفحتهم لفحة فلم تدع لحماً على عظم إلا ألقته على العرقوب». رواه ابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية.

(ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقوا فيه وهو **الغساق**) بالتخفيف والتشديد اسم لما يقطر من جلود أهل النار، وفي الأساس ما يسيل من جلودهم أسود من غسقت العين وعين غاسقة إذا أظلمت ودمعت انتهى. وقيل: هو البارد المنتن، وقيل: هو الزمهرير، وروي ذلك عن أبي العالية. (**قال أبو سعيد الخدري**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «لو أن دلواً من غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض»**) قال العراقي: رواه الترمذي وقال: إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد وفيه ضعف اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي في الشعب بلفظ: «لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا» وصححه الحاكم وأقره عليه الذهبي، وقوله: أهل الأرض بالرفع أي صاروا ذا نتن أو تغيروا ونصب أهل غير صواب، وفي رواية للحاكم: «ولو أن دلواً من غسلين يهراق في الدنيا لانتن أهل الدنيا».

(**فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقي أحدهم من ماء صديد يتجرعه**) أي يشربه جرعة جرعة (**ولا يكاد يسيغه**) إذ قد كتب الله عليهم الخلود في النار إلى ما شاءه، (**وإن يستغيثوا**) من شدة العطش (**يغاثوا بماء كالمهل**) أي النحاس المذاب، أو كدردي الزيت (**يشوي الوجوه**) أي يحرقها إذا أدنيت منه (**بئس الشراب**) المهل (**وساءت**) النار (**مرتفقاً**) متكأ. وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله: ﴿حسنت مرتفقاً﴾ [الكهف: ٣١] وإلا فلا ارتفاق لأهل النار.

(**ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم**) اسم شجرة في جهنم مرة خبيثة كريهة الطعم والريح، (**كما قال تعالى: ﴿ثم إنكم أيها الضالون**) عن الهدى (**المكذبون﴾**) بالبعث (**﴿لآكلون من شجــر من زقوم﴾**) من الأولى للابتداء والثانية للبيان (**﴿فمالئون منها البطون﴾**) أي من شدة الجوع (**﴿فشاربون عليه من الحميم﴾**) لغلبة العطش (**﴿فشاربون شرب الهيم﴾**)

فشاربون شرب الهيم﴾ [الواقعة : ٥١ ـ ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ إنّها شجرةٌ تخرجُ في أصلِ الجحيم ★ طلعُها كأنَّه رؤوسُ الشياطين ★ فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ★ثم إن لَهُم عليها لَشُوباً من حميم ★ ثم إن مرجعُهم لإلى الجحيم﴾ [الصافات : ٦٤ ـ ٦٨] ، وقال تعالى : ﴿تصلَى ناراً حامية ★ تُسقى من عينٍ آنية﴾ [الغاشية : ٤ ـ ٥] ، وقال تعالى : ﴿ إن لدينَا أنْكالاً وجحيماً ★ وطعاماً ذا غُصَّةٍ وعذاباً أليماً﴾ [المزمل : ١٢ـ ١٣] ، وقال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم » فكيف من يكون طعامه ذلك ؟ وقال أنس : قال رسول الله ﷺ : « ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم ، فإنه لو كان قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبتها لكم ، ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم » . وقال أبو

الإبل التي بها داء الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء ، وقيل : هي الرمال التي لا تتماسك على أنه جمع هيام كسحاب جمع على هيم كسحب ثم خفف ، وفعل بها ما فعل بجمع أبيض ، وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر فلا تحاد . (**وقال تعالى : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ★ طلعها كأنه رؤوس الشياطين**) في غاية الفظاعة وقبح المنظر . (**﴿ فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ★ ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم﴾**) أي خلطا من ماء حار (**وقال تعالى : تصلى﴾**) أي تدخل **﴿ ناراً حامية﴾** متناهية في الحر (**﴿ تسقى من عين آنية﴾**) بلغت إناها في الحر ، والضميران للوجوه المتقدم ذكره قبل الآية . (**وقال تعالى : ﴿ إن لدينا أنكالاً﴾**) أي قيوداً وأثقالاً (**وجحيماً ★ وطعماً ذا غصة**) ينشب في الحلق (**وعذاباً أليماً﴾**) أي ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يعرف كنهه إلا الله تعالى ، ولما كانت العقوبات مما تشترك فيها الأشباح والأرواح ، فإن النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق عن التخلص إلى عالم المجردات منحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي أنوار ، فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى . (**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه : (**قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم**) الذي هو طعام أهل النار (**قطرت في دار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك »**) قال العراقي : رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه اهـ .

قلت : ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي .

(**وقال أنس**) رضي الله عنه : (**قال رسول الله ﷺ : « ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوّفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها لكم »**) قال العراقي : لم أجد له إسناداً اهـ .

الدرداء: قال رسول الله ﷺ: « يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم، قال: فيدعون خزنة جهنم أن ﴿ادعوا ربكم يخفِّفْ عنَّا يوماً من العذاب ★ قالوا أوَلَم تك تأتيكُم رسُلُكم بالبيِّناتِ قالُوا بلى قالوا فادعُوا وما دعاءُ الكافِرينَ إلا في ضلال﴾ [غافر: ٤٩ ـ ٥٠]، قال: « فيقولون ادعوا مالكاً فيدعون فيقولون: يا مالك ليقض علينا ربك » قال: « فيجيبهم إنكم ماكثون ».

قال الأعمش: أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال: فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون: ﴿ربَّنا غَلِبتْ علينا شِقوتُنا وكنَّا قوماً ضالين★ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالِمُون﴾ قال: فيجيبهم: ﴿اخسأوا فيهَا ولا

قلت: بل أخرجه البيهقي في البعث والنشور كذا وجدته في هامش المغني بخط الحافظ ابن حجر والله أعلم.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ: « يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع) وهو يابس الشبرق (لا يسمن ولا يغني من جوع، ويستغيثون بالطعام) ثانياً (فيغاثون بطعام ذي غصة) لا يقدرون على إساغته (فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب) لإساغة ما نشب في حلوقهم، (فيرفع) وفي نسخة فيدفع (إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم) أي تلك الكلاليب، (فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم) من الأمعاء والأحشاء (فيقولون) لبعضهم: (ادعوا خزنة جهنم أن ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا: أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ قال: فيقولون ادعوا مالكاً) رئيس الخزنة (فيدعون، فيقولون: ﴿يا مالك ليقض علينا ربك قال﴾ فيجيبهم ﴿إنكم ماكثون﴾ [الزخرف: ٧٧] »).

(قال الأعمش) سليمان بن مهران الكوفي أحد رواة هذا الحديث: (أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام) وهذه الجملة مدرجة من الأعمش في الحديث، ثم رجع إلى الحديث (قال: « فيقولون: ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين★ ربنا أخرجنا

تكلِمُون﴾ [المؤمنون: ١٠٦ ـ ١٠٨] ، قال فعند ذلك يئسوا من كل خير ، وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل. وقال أبو أمامة: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ويُسقَى من ماءٍ صديد ★ يتجرعُهُ ولا يكاد يسِيغُهُ﴾ [ابراهيم: ١٦ ـ ١٧] ، قال: « يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه. فإذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره » يقول الله تعالى: ﴿وسُقُوا ماء حمِيماً فقطع أمعَاءَهُم﴾ [محمد: ١٥] ، وقال تعالى: ﴿وإنْ يَستغيثوا يُغَاثوا بماءٍ كالْمُهْلِ يشْوي الوجوه﴾

منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ قال فيجيبهم ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل ») قال العراقي: رواه الترمذي من رواية شهر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء. قال الدارمي: والناس لا يرفعون هذا الحديث، وإنما روي عن الأعمش عن شهر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث مرفوعاً هكذا وروى ابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي عن عبدالله بن عمرو قال: « إن أهل جهنم ينادون مالكاً ﴿يا مالك ليقض علينا ربك﴾ فيذرهم أربعين عاماً لا يجيبهم ثم يجيبهم ﴿إنكم ماكثون﴾ ثم ينادون ربهم ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ فيذرهم مثلي الدنيا لا يجيبهم ثم يجيبهم ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ قال: فما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق ». وروي عن ابن جريج نحو ذلك كما عند ابن جرير وابن المنذر. وروى ابن أبي الدنيا في صفة النار من حديث حذيفة: « إن الله إذا قال لأهل النار: ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ عادت وجوههم قطعة لحم ليس فيها أفواه ولا مناخير يتردد النفس في أجوافهم ».

(وقال أبو أمامة) الباهلي رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ويسقي من ماء صديد ★ يتجرعه ولا يكاد يسيغه﴾ قال: « يقرب إليه) وفي رواية إلى فيه (فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه) أي جلدته، (فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره» يقول الله تعالى ﴿وسقوا ماء حمياً فقطع امعاءهم﴾ وقال تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾) قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب اهـ.

قلت: رواه كذلك أحمد والنسائي وابن أبي الدنيا في صفة النار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والنشور. وروى ابن أبي شيبة عن مغيث بن سمي قال: إذا جيء بالرجل إلى النار قيل: انتظر حتى

[الكهف: ٢٩]، فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم.

فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على أهلها واغريت بهم، فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة! وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهازمه ـ يعني أشداقه ـ فيقول: أنا مالك أنا كنزك »، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الذينَ يبخلُونَ بما آتاهُـمُ الله من فضله﴾ [آل عمران: ١٨] الآية. وقال الرسول ﷺ: « إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً وهذه الحيات والعقارب، إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه

نتحفك فيؤتى بكأس بسم الأساود والأفاعي إذا أدناها من فيه نشرت اللحم على حدة والعظم على حدة.

(**فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم، فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاظة منظرها، وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة**). فالنهش للحيات واللدغ للعقارب. (**قال أبو هريرة**) رضي الله عنه (**قال رسول الله ﷺ: « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهـازمه أي اشداقه فيقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ الآية »**) قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث جابر نحوه اهـ.

قلت: وكذلك رواه النسائي ولفظها: « ثم يأخذ بلهزمتيه » يعني بشدقيه ثم يقول.

(**وقال الرسول ﷺ: « إنِ في النار لحيات مثل أعناق البخت**) جمع بختي بالضم وهو نوع من الجمال موصوف بعظم الأعناق (**يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وأن فيها العقارب كالبغال الموكفة**) أي المشدودة عليها بالأكاف (**ويلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً »**) قال العراقي: رواه أحمد من رواية ابن لهيعة عن دراج عن عبدالله بن الحرث بن جزء اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن حبان والطبراني والحاكم والضياء ولفظهم: « تلسع احداهن اللسعة ».

(**وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقي ذلك**) في دنياه (**وفي هذه الحيات**) والعقارب (**فلم تمثل له**) في

الحيات فلم تمثل له »، ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فإن الله تعالى يـزيـد في أجسامهم طولاً وعرضاً حتى يتزايد عذابهم بسببه، فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي. قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « ضرس الكافر في النار مثل أُحُد وغلظ جلده مسيرة ثلاث » وقال رسول الله ﷺ: « شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت على وجهه »، وقال عليه السلام: « إن الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطأه الناس »، ومع عظم

الآخرة (**ثم تفكر بعد ذلك في تعظيم أجسام أهل النار فإن الله تعالى يزيد في أشخاصهم طولاً وعرضاً حتى يتزايد عقابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقـارب والحيـات**) مـن جميع (**أجزائها دفعة واحدة على التوالي. قال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « ضرس الكافر في النار مثل أحد**) وهو الجبل المعروف، (**وغلظ جلده مسيرة ثلاث »**) قال العراقي: رواه مسلم اهـ.

قلت: ورواه كذلك الترمذي، ورواه البزار من حديث ثوبان بلفظ: « وغلظ جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار ». وفي لفظ للترمذي من حديث أبي هريرة: « ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة ». وقال حسن غريب وفي لفظ له والحاكم: « إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبـار وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة ». ورواه أحمد والحاكم بلفظ: « ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعاً وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده في النار ما بيني وبين الربذة ». ورواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد: « إن الكافر ليعظم حتى أن ضرسه لأعظم من أحد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه ».

(**قال رسول الله ﷺ: « شفته السفلى ساقطة على صـدره والعليـا قـالصـة قـد غطـت وجهه »**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن صحيح غريب اهـ.

قلت: رواه في تفسير قوله تعالى: ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ [المؤمنون: ١٠٤] قال: تشربه النار فتقلص شفته حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته. وهكذا رواه أحمد وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة النار، وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية. وروي عن ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم.

(**وقال ﷺ: « إن الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطأه الناس »**) أي يطأونـه بأرجلهم. قال العراقي: رواه الترمذي من رواية أبي المخارق عن ابن عمر وقال غريب، وأبو المخارق لا يعرف اهـ.

قلت: وكذلك رواه هناد والبيهقي ولفظهم: « ليسحب لسانه يوم القيامة الفرسخ والفرسخين »

الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم. قال الحسن في قوله تعالى: ﴿ كلّما نضَجتْ جلودُهُم بدّلناهم جُلوداً غيرها ﴾ [النساء: ١١]، قال: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا.

ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور، فإن ذلك يسلط عليهم في أول إلقائهم في النار، قال رسول الله ﷺ: « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك »، وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: « يرسل على

والباقي سواء. ورواه أحمد بلفظ: « ليجر لسانه يوم القيامة وراءه قدر فرسخين. ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: إن أهل النار يعظمون في النار حتى يصير ما بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وغلظ جلد أحدهم أربعين ذراعاً وضرسه أعظم من جبل أحد ».

(**ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم. قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: (**﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾ قال:**) بلغني أنه (**تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا**) كما كنتم (**فيعودون كما كانوا**). رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وقال كعب: يبدلون في كل ساعة مائة وعشرين مرة، وسمعه عمر رضي الله عنه فصدقه على ذلك وقال: هكذا سمعته من رسول الله ﷺ. رواه أبو نعيم في الحلية.

(**ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار و**) زفيرهم (**وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور**) والحسرة، (**فإن ذلك يسلط عليهم في أول إلقائهم في النار**) وعند مشاهدة أهوالها. (**قال رسول الله ﷺ: « يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: وكذلك رواه الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بزيادة: « يجرونها في الآخر » ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والترمذي أيضاً وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير عن ابن مسعود قال: « جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها ». وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد: « يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ». ومن حديث علي: « إذا كان يوم القيامة تقاد جهنم بسبعين ألف زمام بيد سبعين ألف ملك فتشرد شردة لولا أن الله حبسها لأحرقت السمو ت والأرض ». وروى ابن وهب في كتاب الأهوال عن زيد بن أسلم مرسلاً رفعه: « تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام يقوده سبعون ألف ملك فبينما هم انشردت عليهم شردة انفلتت من أيديهم، فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من في الجمع فأخذوها ».

(**وقال أنس**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « يرسل على أهل النار البكاء**

أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضاً من ذلك » . قال محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة ، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون : ﴿ربَّنا أمَتَّنا اثنتينْ وأحْيَيْتَنا اثنتين فاعترفْنَا بذنُوبِنَا فهلْ إلى خروجٍ من سَبيل﴾ [غافر : ١١] ، فيقول الله تعالى مجيباً لهم : ﴿ذلِكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتُم وإن يُشرَكْ بِهِ تُؤمِنُوا فالحكْم لله العلي الكبير﴾ [غافر : ١٢] ، ثم يقولون : ﴿ربّنا أخِّرْنا إلى أجلٍ قريبٍ نُجِبْ دعوتك وَنتّبع الرُّسُل﴾ فيجيبهم الله تعالى : ﴿أوَلم تكونوا أَقْسَمْتُم مِنْ قَبْلُ مَالَكُم مِنْ زَوَالٍ﴾ [ابراهيم : ٤٤] ، فيقولون : ﴿ربَّنا أخْرِجْنَا نعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ ، فيجيبهم الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ نعمِّرْكُم ما يَتَذَكَّرُ فيه من تَذَكَّر وجاءَكُمْ النذيرُ فذوقُوا فما للظّالمين من

فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت») قال العراقي : رواه ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس والرقاشي ضعيف اهـ.

قلت : ورواه كذلك ابن عساكر ، وروى الحاكم من حديث أبي موسى الأشعري : « **إن أهل النار يبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت ، وأنهم ليبكون الدم** » . والرقاشي غلب عليه الزهد والانفراد ، ومع ذلك فقد روى عنه الأعلام كالأعمش والأوزاعي وحجاج بن ارطأة وزيد العمى ومحمد بن المنكدر وصفوان بن سليم وعطاء بن السائب والحمادان وغيرهم ، وقد روى له البخاري في التاريخ والترمذي وابن ماجه.

(**وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستراح**) ومتسلى ، (**ولكنهم يمنعون أيضاً من ذلك. قال محمد**) بن كعب القرظي المدني التابعي : (**لأهل النار خمس دعوات: يجيبهم الله عز وجل في أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون: ﴿ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾ فيقول الله تعالى مجيباً لهم: ﴿ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير﴾ ثم يقولون: ﴿ربنا أخّرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال﴾ فيقولون: ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ ثم**

نصير ﴾ [فاطر : ٣٧] ، ثم يقولون : ﴿ ربَّنَا غَلَبْت علَيْنا شِقْوَتَنَا وكنّا قوماً ضالّين ★ ربّنا أخْرِجنا مِنْهَا فإنْ عُدْنَا فإنَّا ظَالِمُون ﴾ فيجيبهم الله تعالى : ﴿ اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ - ١٠٨] ، فلا يتكلمون بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس رضي الله عنه : قال زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ سَواءٌ عَلينَا أجزعنا أم صبرنا ما لنَا من محيص ﴾ [ابراهيم : ٢١] ، قال : صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا : سواء علينا أجزعنا أم صبرنا . وقال ﷺ : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » ، وعن الحسن قال : يخرج من النار رجل

يقولون : ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوما ضالين ★ ربنا اخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ فيجيبهم الله تعالى : ﴿ اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾ فلا يتكلمون بعد هذا أبداً . وذلك غاية شدة العذاب) . رواه سعيد بن منصور وابن جرير في التفسير وابن المنذر والبيهقي في الشعب . **(قال مالك بن أنس)** الإمام رحمه الله تعالى ، **(قال)** أبو أسامة **(زيد بن أسلم)** العدوي مولاهم التابعي الثقة . **(في قوله تعالى : ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ قال : صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا : ﴿ سواء علينا اجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾)** رواه أبو نعيم في الحلية قال : حدثنا محمد بن علي ، حدثنا أحمد بن علي بن المثنى ، حدثنا سعيد بن عبد الجبار ، حدثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم فذكره ولفظه : جزعوا مائة سنة وصبروا مائة سنة .

(وقال ﷺ : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ، ويقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت ») . قال العراقي : رواه البخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد وقد تقدم اهـ .

قلت : ورواه الطبراني من حديث ابن عمر بلفظ : « يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم . ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم . هذا الموت . فيؤمر به فيذبح ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت » وروي عن أنس مختصراً : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح » هكذا رواه أبو يعلى والضياء عنه .

وللترمذي من حديث أبي سعيد « يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة فيشرئبون ، ويقال : يا أهل النار فيشرئبون . فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت فيضجع ويذبح فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً ، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لماتوا ترحاً » .

بعد ألف عام وليتني كنت ذلك الرجل. ورؤي الحسن رضي الله عنه جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له: لِمَ تبكي؟ فقال: أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي.

فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة، وتفصيل عمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها

روى هناد وأحمد وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة «يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين: كلاكما خلود فيما تجدون لا موت فيها أبداً».

وللبخاري من حديث ابن عمر «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم: يا أهل النار لا موت خلود ويا أهل الجنة لا موت خلود». ورواه مسلم نحوه وفيه «كُلٌّ خالد فيما هو فيه». وروى الطبراني من حديث ابن مسعود «لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد».

(وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى (قال: **يخرج من النار رجل بعد ألف عام، وليتني كنت ذلك الرجل**) يشير إلى ما رواه أحمد وابن خزيمة والبيهقي من حديث أنس «إن عبداً في جهنم ينادي ألف سنة: يا حنان يا منان، فيقول الله لجبريل: اذهب فائتني بعبدي هذا، فينطلق جبريل» الحديث وفيه «فيقول دعوا عبدي». تقدم في كتاب الخوف والرجاء.

(**ورؤي الحسين**) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (**جالساً في زاوية**) من زوايا البيت (**وهو يبكي فقيل**) له: (**لم تبكي؟ فقال: أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي**) نزع به إلى الخبر «إن الله تعالى قبض قبضة من بني آدم فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى فقال: وهؤلاء في النار ولا أبالي» كما تقدم. وإيراد المصنف هذين القولين هنا إشارة إلى تهويل أمر النار، وأنه مما ينبغي أن يتصوّر السالك ذلك في نفسه ويشتد خوفه.

(**فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له**). ومن ذلك ما رواه أبو يعلى والعقيل وابن عدي والطبراني وأبو نعيم في الحلية والحاكم من حديث أبي موسى الأشعري «إن في جهنم وادياً وفي ذلك الوادي بئر يقال له «هبهب» حق على الله أن يسكنه كل جبار». وتقدم ذلك للمصنف.

وروى ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس «إن في جهنم رحا تطحن علماء السوء طحناً». ورواه ابن عساكر أيضاً من حديث ابن عمر بلفظ «تطحن جبابرة العلماء طحناً» وفيه إبراهيم بن عبد الله بن همام كذاب.

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة « إن في جهنم أرحية تدور بالعلماء فيشرف عليهم من كان عرفهم في الدنيا فيقولون: ما صيركم إلى هذا وإنما كنا نتعلم منكم؟ فيقولون: إنا كنا نأمركم بأمر ونخالفكم إلى غيره ».

وروى الحاكم من حديث أسامة بن زيد « يؤتى بالوالي الذي كان يطاع في معصية الله فيؤمر به إلى النار فيقذف فيها فتندلق بها أقتابه فيستدير فيها كما يستدير الحمار في الرحى، فيأتي على أهل طاعته من الناس فيقولون: أي: قل أين ما كنت تأمرنا. فيقول: كنت آمركم بأمر وأخالفكم إلى غيره ». وروى الحميدي والعدني نحوه. وروى مثله في علماء السوء من حديث أبي أمامة وتقدم للمصنف.

وروى البزار من حديث سعد « إن في النار حجراً يقال له ويل يصعد عليه العرفاء وينزلون فيه ».

وروى أحمد والترمذي وصححه والطبراني والحاكم من حديث ابن عمر « لو أن رصاصة مثل هذه ـ وأشار إلى مثل الجمجمة ـ أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها ».

وروى الطبراني وابن مردويه من حديث أنس « لو أن شررة من شرر جهنم بالمشرق لوجد حرها من بالمغرب » وفي رواية له « لو أن شررة من جهنم وقعت في وسط الأرض لأنتن ريحه وشدة حره ما بين المشرق والمغرب ».

وروى الطبراني وابن جرير والبيهقي من حديث أبي امامة « لو أن صخرة وزنت عشرة خلفات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفاً حتى ينتهي إلى غي وأثام » قيل: وما غي وأثام؟ قال « بئران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار ». ورواه الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ « لو أخذ سبع خلفات بشحومهن فألقين من شفير جهنم ما انتهين إلى آخرها سبعين عاماً ».

وروى ابن جرير عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿يلق أثاماً﴾ [الفرقان: ٦٨] قال: واد في جهنم، وزاد مجاهد فقال: من قيح ودم رواه الفريابي. وقال عكرمة: أثام أودية في جهنم فيها الزناة. رواه ابن جرير. وقال قتادة: كنا نحدث أنه واد في جهنم رواه عبد بن حميد. وروى ابن المبارك في الزهد عن شفي الأصبحي قال « إن في جهنم وادياً يدعى أثاماً فيه حيات وعقارب في فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من السم والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة ».

وروى أحمد وأبو يعلى وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء من حديث أبي سعيد « لو أن قمعاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد كما يضرب أهل النار لتفتت وعاد غباراً ».

لا نهاية له، فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس ودراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة وكانت غير صافية، بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في أنفسهم: واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا! وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياماً قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان! فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها، ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم. فقد قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها، فيقولون: يا ربنا أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا، فيقول الله تعالى: ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم

وروى هناد من حديث أبي موسى «لو أن حجراً قذف به في جهنم لهوى سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها.

(**فاعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة، وفوت لقاء الله، وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس ودراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة**) بشوائب الغموم الطارقة والهموم المترادفة، (**فيقولون في أنفسهم: واحسرتاه! كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا، وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياماً قلائل! ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان، فيالحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به، ولم يبق شيء معهم من نعيم الدنيا ولذاتها**) لانقضائها بمفارقتهم لها، (**ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم**) ويشاهدونها بالقرب منهم، (**فقد قال رسول الله ﷺ: «يؤمر يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها**) وتقربوا لها (**واستنشقوا رائحتها**) وأن رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام، (**ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا: أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأوّلون والآخرون بمثلها، فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل ان ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا. فيقول: ذاك أردت منكم**) يا أشقياء، (**كنتم إذا خلوتم**

مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم » . قال أحمد بن حرب : إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود : إلهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ؟ ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك ؟

فانظر يا مسكين في هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وإن هذا أمر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى :

بارزتموني بالعظائم) أي بكبائر المعاصي وشدائد المخالفات ، **(وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين)** أي خاشعين **(تراؤن الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم ، هبتم الناس)** أي خفتموهم **(ولم تهابوني ، وأجللتم الناس ولم تجلوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي ، فاليوم أذيقكم العذاب الأليم)** أي المؤلم الموجع **(مع ما حرمتكم من الثواب المقيم »)** قال العراقي : رويناه في الأربعين لأبي هدبة عن أنس ، وأبو هدبة إبراهيم بن هدبة هالك اهـ .

قلت : لكن رواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر وابن النجار من حديث عدي بن حاتم وليس فيه أبو هدبة المذكور ، وله شاهد جيد من حديث سالم مولى أبي حذيفة عند ابن قانع « يؤتى بأقوام من ولد آدم يوم القيامة معهم حسنات كالجبال حتى إذا دنوا وأشرفوا على الجنة نودوا لا نصيب لكم فيها » .

(قال أحمد بن حرب) النيسابوري الزاهد : **(إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ، ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود)** عليه السلام في بعض مناجاته : **(إلهي لا صبر لي على حرّ شمسك ، فكيف صبري على حر نارك ؟ ولا صبر لي على صوت رحمتك)** وهو الرعد ، **(فكيف صبري على صوت عذابك)** ؟ وقد خاطب به عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك وهم بعرفة وقد أرعدت السماء فقال له : هذا صوت رحمته وقد خفت منه ، فكيف بصوت عذابه غداً ؟ كما في الحلية .

(فانظر يا مسكين في هذه الأهوال ، واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون ، وأن هذا أمر قد قضي وفرغ منه) . روى الطبراني في الأوسط والصغير ، والخطيب في تاريخه من حديث أبي هريرة « إن الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها أهلاً بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ، وخلق النار وخلق لها أهلاً بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم اعملوا فكل ميسر لما خلق له » وروى أحمد من حديث ابن عمرو « إن

﴿وأنذِرهُم يومَ الحسرَة إذ قُضِي الأمْر وهُم في غفلةٍ وهم لا يُؤمنون﴾ [مريم : ٣٩] ، ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة ، بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء ، فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك .

فإن قلت : فليت شعري ماذا موردي وإلى ماذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي ؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك ، فإن كلا ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فإنك مبعد عن النار ، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضي عليك ، فإن دلالة هذا على العاقبة

الله تعالى خلق خلقه ثم جعلهم في ظلمة ثم أخذ من نوره ما شاء فألقاه عليهم فأصاب النور من شاء أن يصيبه وأخطأ من شاء ، فلذلك أقول جف القلم بما هو كائن » .

(قال الله تعالى : ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة) إذ يوم الحسرة هو يوم القيامة كما تقدم ، (بل في أزل الأزل) وهو القدم الذي ليس له ابتداء ، (ولكن اظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء ، فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدينا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك) ، ومن كان بهذه المثابة فيحق له أن يبكي ويحزن .

(فإن قلت : فليت شعري ماذ موردي وإلى ماذا مآلي ومرجعي ، وما الذي سبق به القضاء في حقي؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها ، وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلاً ميسر لما خلق له) . وقد تقدم حديث أبي هريرة قريباً « اعملوا فكل امرىء ميسر لما خلق له » . وروى الطبراني من حديث عمران بن الحصين « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . وفي رواية « لما يهدى له من القول » . وروى أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي أن الله تعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال : « هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي » . قيل : يا رسول الله على ماذا نعمل ؟ قال « على مواقع القدر » . (فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فإنك مبعد عن النار ، وان كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بكل العوائق) أي الموانع (فتدفعه) وتمنعك عن فعله (ولا تقصد شراً إلا وتتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضي عليك) . ومصداق هذا ما رواه مالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والآجري في الشريعة وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات ، والضياء من حديث عمر « إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه

كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار . فقد قال الله تعالى : ﴿ إنَّ الأبرارَ لفي نعيم ★ وإن الفُجارَ لفي جحيم﴾ [الانفطار : ١٣ ـ ١٤] ، فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم .

القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها :

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى ، فتأمل نعيمها وسرورها ، فإن من بعد من أحدهما استقـر لا محالة في الأخرى . فاستأثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنات ، وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم ، فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم ، فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ، جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من

ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال : « إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار » (**فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ، ودلالة الدخان على النار**) فإنها دلالة قوية لا تكاد تخلف ، (**فقد قال الله تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ★ وإن الفجار لفي جحيم﴾ فاعرض نفسك على الآيتين**) المذكورتين ، (**وقد عرفت مستقرك من الدارين**) إما دار نعيم إن كنت براً من الأبرار وعملك كعملهم ، أو دار جحيم إن كنت فاجراً من الفجار وعملك كعملهم ، والله الموفق .

القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها :

اللهم اجعلنا من أهلها وارزقنا من نعيمها . (**اعلم**) أجاب الله دعاءك (**أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها**) وما فيها من الأهوال والأنكاد (**تقابلها دار أخرى ، فتأمل نعيمها وسرورها فإن من بَعُد من إحداهما استقر لا محالة في الأخرى ، فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان ، وسق نفسك بسوط الخوف ، وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم**) إذ الأمر منوط بين الخوف والرجاء ، (**فبذلك تنال الملك العظيم**) والنعيم المقيم (**وتسلم من العذاب الأليم**) في نار الجحيم ، (**فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم**) أي طراوته وبهجته (**يسقون من رحيق**) أي من خمر الجنة ، (**مختوم**) بالمسك (**جالسين على منابر الياقوت**

اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقري الأخضر متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهم الياقوت والمرجان لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان، يمشين في درجات الجنان إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفاً من الولدان، عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان، شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان، قاصرات الطرف عين، ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين، ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون، في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ينظرون فيها إلى وجه

الأحمر) وهو البهرماني وهو أجود أنواعه وأغلاها ثمناً في الدنيا، **(في خيام)** منصوبة **(من اللؤلؤ الرطب الأبيض)** كأنه ماء منعقد أي منضودة به، **(فيها بسط)** جمع بساط هو ما يفرش **(من العبقري الأخضر)** منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب الصنعة، ثم إن الأخضر إنما وقع صفة للرفرف في القرآن لا للعبقري، **(متكئين)** فيها **(على الأرائك)** جمع أريكة وهي على هيئة كرسي يقعد عليه، **(منصوبة)** قد نصبت في مقدم المجلس **(على أطراف أنهار مطردة)** يقال: اطردت الأنهار بالتشديد أي جرت **(بالخمر والعسل)** بدلاً من الماء، **(محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان)** والأصل فيه الخيرات بالتشديد ثم خفف، **(كأنهن)** في بياض لون الجسد وحمرة الخدود والشفاه **(الياقوت والمرجان)** وهو اللؤلؤ الأبيض **(لم يطمثهن)** أي لم يمسهن قط **(إنس ولا جان)** أي لم يمس الإنسيات انس ولا الجنيات جن، **(إذا اختالت في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفاً من الوالدان عليها)** أي الارائك **(من طرائف الحرير الأبيض)** أي أنواعه المستملحة **(ما تتحير فيه الأبصار)** أي تندهش ويحتمل عود الضمير إلى الحور، **(مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان، شكلات)** أي ذات شكلة بالكسر أي دل **(غنجات)** ذات غنج **(عطرات)** طيبة الرائحة **(آمنات من الهرم)** هو الطعن في السن **(والبؤس)** هو ضد النعومة، **(مقصورات)** أي مخدرات **(في قصور)** مبنية **(من)** قطع **(الياقوت)** الاحمر **(بنيت وسط روضات الجنات، قاصرات الطرف)** عن غير أزواجهن **(عين)** جمع عيناء وهي واسعة العين، **(ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين، ويطوف عليهم)** برسم الخدمة **(خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون)** في صفاء لونهم **(جزاء بما كانوا يعملون، وهم في مقام أمين)** مأمون من المكدرات، **(في جنّات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ينظرون فيها إلى وجه الملك**

الملك الكريم، وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم، لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون، فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون، وهم من ريب المنون آمنون، فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبناً وخمراً وعسلاً في أنهار أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان، وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران، ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور، ويؤتون بأكواب وأي أكواب بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب، كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته، لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته، في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في إشراقها، ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه. فيا عجباً لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل

الكريم) كفاحا من غير حجاب، **(وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم)** أي تلألأت، **(لا يرهقهم)** أي لا يصيبهم **(قترة)** أي غبرة **(ولا ذلة بل عباد مكرمون بأنواع التحف من ربهم يتعاهدون)** أي يأتيهم كل حين، **(فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون ولا يحزنون، وهم عن ريب المنون)** أي الداهية **(آمنون فهم فيما يتنعمون ويأكلون عن أطعمتها)** اللذيذة ويشربون من أنهارها المطردة **(لبناً)** تارة **(وخمراً وعسلاً)** أخرى، **(في أنهار أرضها من فضة)** مضيئة **(وحصباؤها مرجان)** اللؤلؤ الأبيض، **(وعلى أرض ترابها مسك أذفر)** ظاهر الرائحة شديدها **(ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين)** بكسر النون وسكون السين المهملة مشموم معروف فارسي معرب وهو فعليل أو فعلين. وقال الأزهري: لا أدري أعربي أم لا. **(على كثبان الكافور)** جمع كثيب وهو التل المرتفع **(ويؤتون بأكواب)** جمع كوب بالضم وهو من الكيزان ما لا عروة له **(وأي أكواب)** ويجمع على الأكاويب **(باكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان، كوب منها فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب)** أي ماء من عين السلسبيل، **(كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصغه آدمي فيقصر في تسوية صنعته)** واتقانها **(في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في إشراقها)** وانارتها، **(ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه)** وقد لاحظ هذا المعنى مجنون بني عامر فقال يخاطب ليلى:

أنيري مكان البدر إن أفل البدر ... وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجرُ
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها ... وليس لها منك التبسم والثغرُ

(فيا عجباً لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن

الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ويتهنأ بعيش دونها ؟ والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها ! وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته ! كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون، وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون، وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون، وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون. قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « ينادي منادياً أهل الجنة إن لكم أن

نزل بفنائها) أي بساحتها، **(ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها)** لا منهم منها، **(كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها)** وزوالها، **(و)** كيف **(يتهنأ بعيش دونها، والله لو لم يكن فيها)** أي في الدار الاخرى **(إلا سلامة الأبدان)** من العلل **(مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها، وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته)**. وإن كانت النفوس تكل عن حمل أعباء المصائب وتعيا وتتقاعس عن إجابة دعاة الموت بل تغالط به حتى صار عندها نسياً لكونها مفطورة على كراهة المؤلمات والنفرة عن مفارقة المألوفات، إلا أنها إذا انكشفت لها عواقب الأمور المريرة من النتائج النفيسة والخيور الكثيرة أقدمت على اخطار تلك الأمور وتوصلت بكآبة الدواء على ما في الشفاء من السرور. **(كيف وأهلها ملوك آمنون)** لأن الهيئات المذكورة والحالات المسطورة إنما تتيسر للملوك ويشير إليه قوله تعالى: ﴿رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ [الإنسان: ٢٠] **(وفي أنواع السرور ممتعون لهم، فيها كل ما يشتهون، وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون، وإلى وجه الله الكريم ينظرون، وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان، ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون)**.
ومن جملة تلك النعم على الإجمال تسليم الملائكة عليهم في كل حين وملاقاة أهلهم وهدايتهم إلى قصورهم وما تشتمل عليه مساكنهم من الطرف والتحف وارتفاعها واتساعها وغزارة أنهارها والتفات أشجارها وتنوع ثمارها، وملابسهم وحليهم وحللهم وأوانيهم وفرشهم وسلامة عيشهم من النقصان واجتماعهم مع أحبابهم في أنعم الحالات وأكمل المسرات، وجلوسهم على منابر النور، ومرافقتهم للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وتنعمهم بمشاهدتهم ومجالساتهم وزياراتهم لربهم سبحانه وتعالى، وحضورهم عنده في مقعد صدق وتشنف أسماعهم بمخاطباته تعالى لهم وإضافتهم إليه بالعندية وكمال طمأنينتهم برضاه عنهم واستقرار البسط التام بدوام رضاه سبحانه، وغير ذلك من النعم والكرامات مما لا يدخل تحت حصر النقول ولا إحصاء العقول.

(قال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « ينادي مناد يوم القيامة: إن**

تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبداً ، فذلك قوله عز وجل: ﴿وتَوَدُّوا أنْ تلكُمُ الجنةَ أورثتمُوهَا بما كنتم تعملون﴾ [الأعراف: ٤٣] ».

ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان، واقرأ من قوله تعالى: ﴿ولِمنْ خافَ مقامَ ربهِ جَنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] ، إلى آخر سورة الرحمن، واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور، وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها، وتأمل أولاً.

عدد الجنان:

قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ قال: « جنتان

لكم) يا أهل الجنة (**أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿ونودوا أن تلكمُ الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾**) » قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وعبد بن حميد والدارمي والترمذي والنسائي.

(**ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة**) وما أعد فيها من النعيم، (**فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله بيان، واقرأ من قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ إلى آخر سورة الرحمن. واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور، وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها**) وهو أيضاً تفصيل نسبي، وإلاَّ فكيف يحاط بالجنة علماً على جهة التفصيل الحقيقي والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة: ١٧] وثبت في الحديث القدسي « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وإنما ذكر المصنف هنا بعض الآيات والاخبار المنبهة على الجنة، وما تشتمل عليه من جليل النعم وخطر الكرم منبهاً بها على كمال صفاتها وعظم قدر كراماتها، وابتدأ بذكر عددها ثم بأبوابها واتساعها، ثم في غرفها وحائطها وأشجارها وأنهارها، ثم في لباسهم فيها وطعامهم وشرابهم، ثم في صفة حورها وولدانها، ثم في رؤية الله عز وجل فقال:

(**وتأمل أولاً: عدد الجنان.**

قال رسول الله ﷺ في قوله ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ قال) فيما أخبرناه عبد الخالق

من فضة آنيتها وما فيها ، وجنتان من ذهب آنيتها وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » ، ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها

ابن أبي بكر الزبيري قال : أخبرنا محمد بن إبراهيم الكوراني ، أخبرنا الحسن بن علي بن يحيى ، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد القادر الطبري ، أخبرنا عبد الواحد بن إبراهيم الحصاري ، أخبرنا الشرف عبد الحق بن محمد السنباطي ، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد المتبولي ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخي ، أخبرنا أحمد بن أبي طالب الحجار ، أخبرنا أبو النجا عبد الله بن عمر بن علي البغدادي ، أخبرنا سعيد بن أحمد بن الحسن بن البناء ، أخبرنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن علي الوراق ، حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث ، حدثنا محمد بن بشار ونصر بن علي قالا : حدثنا أبو عبد الصمد العمى ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : (**« جنتان من ذهب آنيتها وما فيها ، وجنتان من فضة آنيتها وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »**) هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من هذا الوجه .

ورواه أحمد والطبراني بلفظ « جنان الفردوس أربع : جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، وهذه الأنهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك أنهاراً » . ورواه الطبراني أيضاً وابن أبي حاتم بلفظ : « جنتان من ذهب للمقربين ، ومن دونهما جنتان من ورق لاصحاب اليمين » قال الحافظ في الفتح : وظاهر الحديث أن الجنتين من ذهب لا فضة فيهما وبالعكس ، ويعارضه حديث أبي هريرة قلنا : يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال « لبنة من ذهب ولبنة من فضة » أخرجه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان وجمع بأن الأوّل صفة ما في كل جنّة من آنية وغيرها ، والثاني صفة حوائط الجنان اهـ .

وقوله : إلا رداء الكبرياء . قال النووي : لما كان تستعمل الاستعارات للتفهيم عبّر عن مانع رؤيته تقدس برداء الكبرياء ، فإذا تجلى الله عليهم يكون إزالة لذلك . وقال غيره : المراد أنه إذا دخل المؤمنون الجنة وتبوأوا مقاعدهم رفع ما بينهم وبين النظر إلى ربهم من الموانع والحجب التي منشؤها كدورة الجسم ونقص البشرية والانهاك في المحسوسات الحادثة ، ولم يبق ما يحجزهم عن رؤيته إلا هيبة الجلال وسبحات الجمال وأبهة الكبرياء ، فلا يرفع ذلك عنهم إلا برأفة ورحمة منه تفضلاً على عباده . وقال عياض : استعار لعظيم سلطان الله وكبريائه وعظمته وجلاله المانع لإدراك أبصار البشر مع ضعفها لذلك رداء الكبرياء ، فإذا شاء تقوية أبصارهم وقلوبهم كشف عنهم حجاب هيبته وموانع عظمته .

وقوله : في جنة عدن راجع إلى القوم أي وهم في جنة عدن لا إلى الله لتنزهه عن أن تحويه

كثيرة بحسب أصول الطاعات، كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي.

الأمكنة. قاله عياض: وقال القرطبي: يتعلق بمحذوف في كل الحال من القول أي كائنين في جنة عدن، وقيل: متعلق بمعنى الاستقرار في الظرف فيفيد انتفاء هذا الحصر في غير الجنة. وقال الهروي: بين به أن النظر لا يحصل إلا بعد الإذن لهم في الدخول في جنة عدن، سميت بها لأنها محل قرار رؤية الله تعالى، ومنه العدن لمستقر الجواهر. وقال الحكيم الترمذي: الفردوس سرة الجنة ووسطها والفردوس جنات عدن فعدن كالمدينة والفردوس كالقرى حولها، فإذا تجلى الوهاب لأهل الفردوس رفع الحجاب، وهو المراد برداء الكبرياء هنا فينظرون إلى جلاله وجماله فيضاعف عليهم من إحسانه ونواله.

فصل

اعلم أن للجنة أسماء عديدة باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذواتها، فهي مترادفة من هذه الوجه مختلفة باعتبار صفاتها، فاسم الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الذوات وما اشتملت عليه من النعيم والسرور وقرة العين، وهذه اللفظة مشتقة من الجن وهو الستر، ومنه سمي البستان جنة لأنه يستر داخله بالأشجار والجنان كثيرة جداً كما جاء في الخبر أنه ﷺ قال لأم حارثة لما قتل ابنها حارثة في بدر «يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وان ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى». وقال تعالى: ﴿من دونهما جنتان﴾ [الرحمن: ٦٢] فذكرهما ثم قال: ومن دونهما جنتان. وفي حديث أبي موسى عن الشيخين الذي ذكره المصنف: «جنتان من ذهب وجنتان من فضة» فهن أربع كما دلت عليه رواية الطبراني «الجنان أربع».

وقال القرطبي: هي سبع وعدّها وأعلاهن جنة عدن وهي منازل المرسلين والشهداء والصديقين، وقد ورد في الخبر أنه تعالى غرسها وهي قصبة الجنة وفيه الكثيب الذي تقع فيه الرؤية، وعليها تدور ثمانية أسوار بين كل سورين جنة، فالتي تلي جنة عدن من الجنان جنة الفردوس، وأصلها البستان وهي أوسط الجنان الذي دون جنة عدن وأفضلها، ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم، ثم جنة المأوى، ثم دار السلام، ثم دار المقامة. ومنهم من قسم الجنان بالنسبة إلى الداخلين فيها ثلاثة: جنة اختصاص إلهي وهي التي تدخلها الأطفال وأهل الفترة. الثانية: ميراث ينالها كل من دخل الجنة من المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها. الثالثة: جنة الأعمال وهي التي تنزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر، وسواء ان الفاضل دون المفضول أو لم يكن غير أن فضله في هذا المقام بهذه الحالة فما من عمل من الأعمال إلا وله جنة، ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم والله أعلم.

(**ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة**) لا تحصر وكثرتها (**بحسب أصول الطاعات، كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي**) وقد استدل المصنف على تعددها بالأخبار فقال: (**قال**

قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد »، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي فهل يدعى أحد منها كلها؟ قال: « نعم وأرجو أن تكون منهم ».

أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة كلها، وللجنة أبواب. فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد » فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي، فهل يدعى أحد منها كلها؟ قال: « نعم وأرجو أن تكون منهم »)** ورواه مالك والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان ولفظهم: « من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبدالله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة ». الخ ولفظ ابن حبان: « من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبدالله هذا خير وللجنة أبواب » الخ. وفي لفظ فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فهذا الحديث دال على أن كثرة الأبواب بحسب أصول الطاعات، والمشهور أن أبواب الجنة ثمانية، واستدل عليه بما رواه ابن زنجويه وابن أبي الدنيا وأبو يعلى والطبراني والحاكم من حديث ابن مسعود: « للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة. حتى تطلع الشمس من نحوه ». وروى البخاري من حديث سهل بن سعد: « إن للجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون، فإذا دخل أحدهم أغلق فلا يدخل منه أحد ». وبما في الصحيح من حديث عمر: « ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ». ورواه الترمذي بنحوه إلا أنه قال: « من أبواب الجنة » بزيادة: « من ». قال القرطبي: وهو يدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية. وفي خبر آخر عند ابن ماجه: « ما من مسلم يتوفى له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل ».

ومن أبواب الجنة: الباب الأيمن تقدم ذكره في حديث أبي هريرة، وباب هذه الأمة فقد روى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة: « أتاني جبريل فأخذ بيدي وأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي ». فقال أبو بكر: يا رسول الله وددت أن أكون معك حتى أنظر إليه! فقال ﷺ: « أما إنك يا أبا بكر أوّل من يدخل الجنة من أمتي ». وقد دل هذا على أن لهذه الأمة باباً مختصاً يدخلون منه

وعن عاصم بن ضمرة عن علي كرّم الله وجهه إنه ذكر النار فعظم أمرها ذكراً لا أحفظه ثم قال: ﴿وسيقَ الذينَ اتَّقَوْا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ [الزمر: ٧٣]، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو بـأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبداً ولا تشعث رؤوسهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى الجنـة، فقـال لهم خـزنتهـا. ﴿سلامٌ عليكُم طِبتُمْ فادخلُوها خالِدِين﴾ [الزمر: ٧٣]، ثم تلقاهم الولدان يطيفـون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة، يقولون له: أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا، قال: فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا ـ فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته وهو بأثري، فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى اسكفة بابها، فإذا انتهى

الجنة دون سائر الأمم. وباب محمد ﷺ وهو باب الرحمة وباب التوبة وباب الضحى، وقد روى الديلمي من حديث أبي هريرة: « إن للجنة باباً يقال له الضحى لا يدخل منه إلا أصحاب صلاة الضحى » فهذه خمسة أبواب تضاف على الثمانية فتبلغ ثلاثة عشر باباً، ولعل القرطبي لحظ إلى هذا فقال: وانتهى عددها إلى ثلاثة عشر باباً والله أعلم.

(**وعن عاصم بن ضمرة**) السلوي الكوفي صدوق مات سنة أربع وسبعين روى له الأربعة، (**عن علي كرم الله وجهه أنه ذكر النار فعظم أمرها ذكراً لا أحفظه، ثم قال: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾**) ﴿حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها﴾ الآيات وهذا بعد أن قال: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ [الزمر: ٧١] فلا جرم أن المراد بالمتقين هنا الموحدون. إلا أن الموحد الكامل يتقي المعاصي كما يتقي الشرك، (**حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا**) أي قصدوا (**إلى إحداهما كما أمروا به فشربوا منها، فاذهبت ما في بطونهم من أذى أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا سنها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبداً ولا تشعث رؤوسهم، كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهو إلى**) خزنة (**الجنة فقالوا: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم**) أي القريب (**يقدم عليهم من غيبة**) أي من سفر غاب فيه (**يقولون له: أبشر**) فقد (**أعد الله لك من الكرامة كذا، فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول: قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا ـ فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته وهو بأثري**) أي خلفي يتبعني، (**فيستخفها الفـرح حتى تقـدم إلى أسكفـة**

إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون، ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره لألم أن يذهب بصره، ثم يطأطىء رأسه فإذا أزواجه ﴿وأكوابٌ موضوعةٌ ★ ونمارقُ مصفوفةٌ وزرابيُ مبثوثة﴾ [الغاشية: ١٤ - ١٦]، ثم اتكأ فقال: ﴿الحمد لله الذي هَدَانَا لهذا وما كُنَّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣]، ثم ينادي منادٍ: تحيون فلا تموتون أبداً وتقيمون فلا تظعنون أبداً وتصحون فلا تمرضون أبداً. وقال رسول الله ﷺ:

بابها، فإذا انتهى إلى منزلة نظر إلى أساس بنيانه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر ومن كل لون، ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا مثل البرق، ولولا أن الله تعالى قدره) أي أمسكه بقدرته (لألم) أي لقرب وكاد (أن يذهب بصره) من شعاع السقف، (ثم يطأطىء رأسه، فإذا أزواجه ﴿وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة﴾، ثم اتكأ) على أرائكه فقال: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ ثم ﴿ينادي مناد: تحيون فلا تموتون أبداً. وتقيمون فلا تظعنون أبداً. وتصحون فلا تمرضون أبداً). هكذا أورده موقوفاً عن علي رضي الله عنه. أخرجه ابن المبارك في الزهد، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبغوي في الجعديات، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في صفة الجنة، والبيهقي في الشعب والضياء كلهم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن عاصم بن عمرة. وسياق المصنف هو سياق أبي بكر بن أبي شيبة رواه عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق.

ولفظ بعضهم: يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى اذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما فشربوا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تعفر أبدانهم بعدها أبداً، ولم تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة ثم ساقوه مثل سياق المصنف.

وقال الشيخ ناصر الدين بن الميلق الشاذلي في كتابه حادي القلوب إلى لقاء المحبوب ما نصه: وروى ابن أبي الدنيا بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ [مريم: ٨٥] قال: قلت يا رسول الله ما الوفد إلا ركب؟ قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر، وينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة تنبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من إحداهما جرت في وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً، فيضربون الحلقة بالصفحة فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستحثها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب، فلولا أن الله عز وجل عرفه نفسه

« آتي يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول : بك

لخرّ له ساجداً مما يرى من النور والبهاء ، فيقول : أنا قيمك الذي وكلتُ بأمرك فيتبعه فيقفوه أثره فيأتي زوجته فتستحثها العجلة ، فتخرج من الخيمة تعانقه وتقول : أنت حبي وأنا حبك ، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً ، وأنا الناعمة فلا أباس أبداً وأنا الخالدة فلا أظعن أبداً ، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع مبني على جندل اللؤلؤ والياقوت ، طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر ما منها طريقه تشاكل صاحبتها فيأتي الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً عليها سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضي جماعهن في مقدار ليلة ، تجري من تحتهم أنهار مطردة من ماء صاف غير آسن ليس فيه كدر ، وأنها من عسل مصفى لم يخرج من بطن النحل ، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامهم ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطن الماشية ، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أي الألوان شاؤوا ، ثم تطير فتذهب وفيها ثمار مدلاة إذا اشتهوها انبعث الغصن إليهم فيأكلون من أي الثمار شاؤوا ، إن شاؤوا قائمين ، وإن شاؤوا نياماً ، وإن شاؤوا متكئين ، وذلك قوله تعالى : ﴿وجنا الجنتين دان﴾ وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ » .

قلت : هذا السياق رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن علي . ورواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن جعفر البجلي قال : سمعت أبا معاذ البصري أن علياً قال : قال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون بنوق بيض » الخ قال ابن الميلق : وهذا الحديث وإن كان إسناده ضعيفاً والمعروف أنه موقوف على عليّ رضي الله عنه ، فله شواهد من الأحاديث الصحيحة وهو جامع لكثير من أمور الجنة . قال : وقوله وجدوا باباً فيه حلقة من ياقوته حمراء على صفائح الذهب ، فهو محمول على الباب الكبير الشامل لجميع جنات المؤمنين الذي هو باب الجنة الكبرى ، فإن ذلك الباب يفتحه النبي ﷺ أولاً ثم يصير مفتوحاً للمؤمنين .

(**وقال رسول الله ﷺ : « آتي يوم القيامة باب الجنة**) كذا في النسخ وفي لفظ بتقديم باب الجنة على يوم القيامة ، والمعنى أجيء بعد الانصراف من الحشر للحساب إلى أعظم المنافذ التي يتوصل منها إلى دار الثواب ، وهو باب الرحمة أو باب التوبة ، وفي إيثار لفظ الإتيان إشعار بأن مجيئه يكون بصفة من ألبس خلعة الرضوان ، فجاء على تمهل وأمان من غير نصب في الإتيان إذ الإتيان هو المجيء بسهولة والمجيء أعم كما بيناه في شرح القاموس ، (**فاستفتح**) أي أطلب انفراجه وإزالة غلقه بالقرع لا بالصوت لما في الخبر : « آخذ بحلقة الباب فاقرع » وفي خبر آخر : « أنا أول من يدق باب الجنة » والفاء سببية أي تسبب عن الإتيان الاستفتاح أو للتعقيب وهو الأوجه ، وفيه إشارة إلى أن الله سبحانه قد صان نبيه ﷺ عن ذلك الوقوف وأذن له في الدخول ابتداء بحيث صار الخازن مأموره منتظراً قدومه ، (**فيقول الخازن**) ، أي الموكل بحفظ الجنة وهم كثيرون ومقدمهم رضوان عليهم السلام : (**من أنت**) ؟ أجاب بالاستفهام وأكده بالخطاب تلذذاً

أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك ».

ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات

بمناجاته وإلا فأبواب الجنة شفافة وهو العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس وقد رآه الخازن قبل ذلك وعرفه أتم معرفة، ومن ثم اكتفى بقوله: (**فأقول محمد**) وإن كان المسمى به كثيراً ولم يقل: أنـا لإبهامه مع ما فيه من الإشعار بتعظيم المرء نفسه وهو سيد المتواضعين، (**فيقول**) الخازن: (**بك أمرت**) الباء متعلقة بالفعل بعدها ثم هي إما سببية قدمت للتخصيص أي بسببك خاصة أو صلة للفعل وأمرت بالبناء للمفعول والفاعل الله (**أن لا أفتح لأحد**) من الخلق (**قبلك** ») أي أمرت بفتح الباب لك قبل غيرك من الأنبياء. وقوله: أن لا أفتح هكذا في نسخ الكتاب، ومثله في الجامعين الصغير والكبير للسيوطي. قال المناوي: والذي وقفت عليه في نسخ صحيح مسلم المصححة المقروءة لا أفتح بإسقاط « أن » قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وابن منيع. وروى الحاكم من حديث معاذ: « آتي باب الجنة فاستفتح فيقال: من هذا فأقول محمد، فيقال: مرحباً بمحمد، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً أنظر إليه ». قال الحاكم: على شرطهما وتعقب بأن فيه انقطاعاً. وروى ابن النجار من حديث ابن عباس: « آتي يوم القيامة باب الجنة فيفتح لي فأرى ربي وهو على كرسيه فيتجلى لي فأخرّ ساجداً ».

فصل

وحيث ذكر المصنف أبواب الجنة وما يتعلق بها، فلنذكر اتساعها. روى أحمد من حديث معاوية بن حيدة: « ما بين مصراعين من مصاريع الجنة أربعون عاماً وليأتين عليه يوم وأنه لكظيظ » وفي رواية « له باب أمتي الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب ثلاثاً ثم إنهم لا يضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول » وللشيخين من حديث أبي هريرة: « والذي نفس محمد بيده إن مـا بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر » وفي رواية « لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى » وتقدم للمصنف. وروى ابن أبي شيبة عن عتبة بن غزوان أنه خطب فقال: « إن ما بين المصراعين من أبواب الجنة لمسيرة أربعين، وليأتين على أبواب الجنة يوم وليس منها باب إلا وهو كظيظ ». وعن كعب الأحبار قال: « ما بين مصراعي الجنة أربعون خريفاً للراكب المجد، وليأتين عليهم يوم وهو كظيظ الزحام » قال صاحب حادي القلوب: إن أبواب الجنة بعضها فوق بعض، كما أن الجنان بعضها فوق بعض، وقد صرح علي رضي الله عنه في ارتفاع أبواب الجنة بأن بعضها فوق بعض، وإذا كان كذلك فالظاهر كما نبه عليه بعضهم أن باب الجنة المرتفعة أوسع من الجنة التي تحتها والله أعلم.

(ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها، فإن الآخرة أكبر درجات

وأكبر تفضيلاً. وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتاً ظاهراً، فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر، فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى: ﴿سابِقُوا إلى مغفرة مِنْ رِبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وفي ذلِكَ فليتَنافس الْمُتنافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك، وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها، فقد قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغائر في

وأكبر تفضيلاً) كما قال تعالى في كتابه العزيز. انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً أي التفاوت في الآخرة أكبر، لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض أي في الدنيا وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً وأن للمؤمنين في الجنة منازل، وأن لهم فضائل بأعمالهم، وذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «إن بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم درجة كالنجم يرى في مشارق الأرض ومغاربها». وروى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك قال: إن أهل الجنة بعضهم فوق بعض درجات الأعلى يرى فضله على من هو أسفل منه، والأسفل لا يرى أن فوقه أحداً. وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه من حديث سلمان: ما من عبد يريد أن يرتفع في الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله في الآخرة درجة أكبر منها وأطول، ثم قرأ هذه الآية. وروى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن ابن عمر قال: لا يصيب عبد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله تعالى وإن كان عليه كريماً. **(وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتاً ظاهراً، فكذلك فيما يجازون به)** في الآخرة **(تفاوت ظاهر، فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى، فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربك)** وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ **(وقال تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾)** أي ليرغب فيه الراغبون على وجه المباراة. **(والعجب أنه لو يقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك، وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها)** أي بجملتها، **(فقد قال أبو سعيد الخدري)** رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون)** الترائي تفاعل من الرؤية وهو على وجوه. يقال: تراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضاً وتراءى لي الشيء ظهر لي حتى

الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : « بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » . وقال أيضاً : « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما » ، وقال جابر : قال لنا رسول الله ﷺ : « ألا

رأيته وتراءى القوم الهلال إذا رأوه بأجمعهم (**أهل الغرف**) أي ينظرونها ، والغرف جمع غرفة وهي بيت صغير يكون فوق الدار ، والمراد هنا القصور العالية في الجنة من (**فوقهم كما تتراءون**) أنتم يا أهل الدنيا (**الكوكب الغابر**) أي الباقي في الأفق بعد انتشار الفجر ، وحينئذ يرى أضوأ (**في الأفق**) أي ناحية السماء (**من المشرق والمغرب**) وفي لفظ : أو المغرب شبَّه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المضيء في جانب الشرق والغرب في الإضاءة مع البعد (**لتفاضل ما بينهم »**) يعني يرى أهل الغرف كذلك لتزايد درجاتهم على من عداهم ، وإنما قال : من المشرق أو المغرب ولم يقل في السماء أي في كبدها لأنه لو قيل في السماء كان القصد الأوّل بيان الرفعة ويلزم منه البعد ، وفي ذكر المشرق أو المغرب القصد الأول منه البعد وتلزم منه الرفعة ، وفيه شمة من معنى التقصير بخلاف الأوّل فإن فيه نوع اعتذار ذكره الطيبي . (**قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : « بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »**) رواه أحمد والدارمي والشيخان وابن حبان هكذا من حديث أبي سعيد كما ذكره المصنف ، ورواه ابن حبان أيضاً من حديث سهل بن سعد ، ورواه أحمد أيضاً والترمذي من حديث أبي هريرة ولفظ الكل : « الكوكب الدري الغابر » ووقع في الموطأ الغائر بالهمز بدل الموحدة بمعنى الساقط الذاهب الذي قد تدلى للغروب ودنا منه وانحط إلى الجانب الغربي ، ووقع عند الترمذي الغارب بتقديم الراء على الموحدة . وفي التمثيل به دون بقية الكواكب المسامتة للرأس وهي أعلى فائدتان . إحداهما : بعده عن العيون ، والثانية : أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض ، وإن لم تسامت العليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله ذكره ابن القيم ، وبه يعرف أن ما زعمه التوربشتي من أن رواية الهمز تصحيف لما فيها من الركاكة لأن الساقط في الأفق لا يراه إلا بعض الناس ، وأهل الجنة يراهم جميع أهلها غفلة من هذا التوجيه الوجيه . ومما يصرح بردّه ما رواه أحمد : « إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع في الدرجات » فقوله : الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غارباً وبكونه طالعاً . وقد صرح في خبر أبي هريرة عند ابن المبارك : « إن أهل الجنة ليتراءون في الغرف كما يرى الكوكب الشرقي والكوكب الغربي في الأفق في تفاضل الدرجات » قاله المناوي . وروى أحمد والدارمي والشيخان من حديث سهل بن سعد : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء » والمعنى أنهم يضيئون لأهل الجنة إضاءة الكواكب لأهل الأرض .

(وقال) ﷺ (أيضاً : « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم) منزلة (كما ترون النجم الطالع في أفقَ من آفاق السماء وإن أبا بكر وعمر) رضي الله عنهما (منهم وأنعما »)

أحدثكم بغرف الجنة »؟ قال: قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك، بأبينا أنت وأمنا قال: « إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال: قلت: يا رسول الله ولمن هذه الغرف؟ قال: « لمن أفشى السلام وأطعم

أي زادا في الرتبة وتجاوزا تلك المنزلة. فقوله: وأنعما عطف على المقدر في منهم أي: أنهما استقرا منهم وأنعما. وقيل: أراد بأنعما زاد في النعيم، وفي الفائق للزمخشري كلمة نعم استعملت في حد كل شيء واستجادته وتفضيله على جنسه، ثم قيل: إذا عملت عملاً فانعمه أي فاجده وجيء به على وجه يثني عليه بنعم العمل هذا، ومنه دق الدواء فأنعما ودقه فأنعمه، ومنه قوله هنا وأنعما أي فضلاً وزادا على كونهما من جملة أهل عليين. قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلي وابن حبان ولفظهم: « ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء » والباقي سواء. وعند بعضهم: الدري بدل الطالع وهو منسوب إلى الدر لصفاء لونه وخلوص نوره. ورواه الطبراني والبغوي وابن عساكر من حديث جابر بن سمرة. ورواه ابن النجار من حديث أنس وابن عساكر أيضاً من حديث أبي هريرة. وقد روي حديث أبي سعيد بلفظ آخر: « إن أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لأهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لأهل الدنيا وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما ». رواه أبو إسحاق المزكي وابن عساكر وفيه إشعار بأن أصل ألوان أهل الجنة البياض كما سيأتي. وقد روى الطبراني من حديث ابن عمر أنه جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ فقال: فضلتم بالصور والألوان والنبوة أفرأيت إن آمنت بمثل ما آمنت به وعملت بمثل ما عملت به إني لكائن معك في الجنة؟ قال: « نعم والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام » وروى ابن عساكر من حديث ابن عمر: « إن أهل الدرجات العلى لينظر إليهم من هو أسفل منهم كما ينظر أحدكم إلى الكوكب الدري الغابر في أفق من آفاق السماء وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعما ».

(وقال جابر) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: **(قال لنا رسول الله ﷺ: « ألا أحدثكم بغرف الجنة »؟ قال: قلت بلى يا رسول الله ﷺ بأبينا أنت وأمنا. قال: « إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كله)** فبعضها من اللؤلؤ، وبعضها من الياقوت بأنواعه، وبعضها من الزمـــرد، وبعضها من الماس وغير ذلك من أصناف الجواهر **(يرى)** بالبناء للمفعول أي يرى أهل الجنة **(ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها)** لكونها شفافة لا تحجب ما وراءها **(وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت)** في الدنيا **(ولا أذن سمعت »)** فيها **(قال)** جابر: **(قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف؟ فقال: « لمن أفشى السلام)** أي على من عرف ومن لم يعرف **(وأطعم الطعام)** للعيال والفقراء والأضياف والإخوان **(وأدام**

الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » قال: قلنا: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: « أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام » يعني اليهود والنصارى

الصيام) وفي رواية تابع وفي أخرى: واصل. قال الشيخ الأكبر قدس سره: عنى به الصيام المعروف كرمضان والأيام المشهود لها بالفضل على الوجه المشروع مع بقاء القوة دون استيفاء الزمان كله ولا استيفاء القوة بأسرها، وإنما تكسر الشهوة مع بقاء القوة. وقال بعض الصوفية: الصيام هنا الإمساك على كل مكروه فيمسك قلبه عن اعتقاد الباطل ولسانه عن القول الفاسد ويده عن الفعل المذموم. **(وصلى بالليل والناس نيام »)** أي تهجد فيه. **(قال)** جابر: **(قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: « أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك. من لقي أخاه فسلم عليه أو ردّ عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام)** البيض أو مفرقاً **(فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام » يعني اليهود والنصارى والمجوس)**. قال العراقي: رواه أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر اهـ.

قلت ورويناه في جزء ابن السماك. ورواه البيهقي وضعفه ابن عدي لكن أقام له ابن القيم شواهد يعتضد بها. وقال صاحب حادي القلوب بعد أن أورده من فوائد ابن السماك: هذا الحديث وإن كان ضعيفاً إلا أنه روي من طرق يقوّي بعضها بعضاً. قلت: ومع ملاحظته لا يمكن التفسير بغيره.

ومن شواهده ما روى الخطيب من حديث ابن عباس: « إن في الجنة لغرفاً » إذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خارجها، وإذا خرج منها لم يخف عليه ما فيها » قيل: لمن هي يا رسول الله؟ قال: « لمن أطاب الكلام وأدام الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام » قيل: يا رسول الله وما طيب الكلام؟ قال: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد إنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومعقبات ومجنبات » قيل: فما إدامة الصيام؟ قال: « من أدركه رمضان فصامه ثم أدرك رمضان فصامه » قيل: فما إطعام الطعام؟ قال: « كل من قات عياله وأطعمهم » قيل: فما إفشاء السلام؟ قال: « مصافحة أخيك إذا لقيته وتحيته » قيل: فما الصلاة والناس نيام؟ قال: « صلاة عشاء الآخرة واليهود والنصارى نيام ». ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق إلى قوله: « والناس نيام ». ويروى عن أبي مالك الأشعري: « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام،

والمجوس. وسئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿ومسَـاكِـنَ طيبـةً في جَنَـاتِ عَـدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، قال: «قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون داراً من ياقوت أحمر، في كل دار سبعون بيتاً من زمرد أخضر، في كل بيت سرير، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة. على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفة، ويعطى المؤمن في كل غداة ـ يعني من القوة ـ ما يأتي على ذلك أجمع».

صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها:

تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها لقناعته بالدنيا عوضاً عنها فقد قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك»، وسئل ﷺ عن تربة الجنة فقال:

وصلى بالليل والناس نيام» رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والطبراني والبيهقي. ورواه هناد والترمذي وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن السني والبيهقي من حديث علي. ورواه أحمد ومحمد بن نصر والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو.

(**وسئل رسول الله ﷺ عن قوله**) عز وجل: ﴿**ومساكن طيبة في جنات عدن**﴾ **قال: «قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمرد أخضر، في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفة، ويعطى المؤمن في كل غداة ـ يعني من القوّة ـ ما يأتي على ذلك أجمع»**) قال العراقي: رواه أبو الشيخ في العظمة والآجري في كتاب الصحبة من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال: سألت أبا هريرة وعمران بن حصين عن هذه الآية ولا يصح، والحسن بن خليفة لم يعرفه ابن أبي حاتم، والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة على قول الجمهور اهـ.

قلت: وفي كتاب الآجري زيادة عما هنا في كل بيت سبعون سريراً وفي كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة.

صفة حائط الجنة وأرضها وأشجارها وأنهارها:

(**تأمل**) هداك الله تعالى (**في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها لقناعته بالدنيا**) الفانية (**عوضاً عنها، فقد قال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك»**) قال

....

العراقي: رواه الترمذي بلفظ: « وبلاطها المسك » وقال: ليس إسناده بذاك القوي، وليس عندي بمتصل. ورواه البزار من رواية أبي سعيد بإسناد فيه مقال. ورواه موقوفاً عليه بإسناد صحيح اهـ.

قلت: سياق المصنف أورده البيهقي في البعث من طريق يزيد بن رزيع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة.

ومن هذا الطريق أخرجه البزار في مسنده وفي الغيلانيات حدثنا أبو بكر الشافعي، حدثنا أحمد بن محمد بن عبيدة، حدثنا أحمد بن حفص، حدثني أبي، حدثنا إبراهيم، عن مطر بن طهمان، عن العلاء بن زياد، عن أبي هريرة رفعه: « حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ومحابرهم اللؤلؤ وأمشاطهم الذهب » رجال هذا السند رجال الصحيح. أخرجه البيهقي في البعث عن أبي الحسن العلوي عن أبي حامد البزاز عن أحمد بن حفص به مختصراً هكذا.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا فاروق وحبيب في جماعة قالوا: حدثنا أبو مسلم الكشي، حدثنا عمرو بن مرزوق، حدثنا عمران القطان، عن قتادة، عن العلاء بن زياد، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة » رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مثله. وزاد: « ترابها الزعفران وطينها المسك ».

حدثناه أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا محمد بن المنهال، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها الزعفران وطينها المسك ». ورواه معمر عن قتادة عن العلاء عن أبي هريرة موقوفاً: درجها الياقوت رضراض أنهارها اللؤلؤ وترابها الزعفران.

قلت: ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة نحوه.

وأخبرنا عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد المكي، وأبو طاهر محمد بن إبراهيم المدني قالا: أخبرنا الحسن بن علي بن يحيى، أخبرنا علي بن عبد القادر الطبري، أخبرنا والدي، أخبرنا جدي إمام المقام يحيى بن مكرم الطبري، أخبرنا الحافظ أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، أخبرنا الحافظ شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني أخبرنا إبراهيم بن أحمد البعلي، أخبرنا أحمد بن أبي طالب، أخبرنا عبد الله بن عمر، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا أبو محمد السرخسي، أخبرنا إبراهيم بن خزيم، أخبرنا عبد بن حميد قال: حدثنا سليمان بن داود، عن زهير بن معاوية، حدثنا سعد أبو مجاهد الطائي، حدثني أبو المدله أنه سمع أبا هريرة يقول: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: « لبنة من ذهب ولبنة من فضة وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وملاطها المسك وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » هذا حديث حسن ورجال رجال الصحيح إلا أبا المدله مولى عائشة واسمه عبيد الله وقد وثقه ابن حبان. رواه أحمد وهناد في الزهد وابن حبان والبيهقي في البعث من هذا الوجه. وأخرجه الترمذي من طريق حمزة

« درمكة بيضاء مسك خالص » ، وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « من سره أن

الزيات عن زياد الطائي عن أبي هريرة وقال : ليس إسناده بالقوي ولا بالمتصل وله إسناد آخر إلى أبي هريرة اهـ . وكأنه يشير إلى ما تقدم من رواية العلاء بن زياد عن أبي هريرة .

وله شاهد آخر بالسند السابق إلى الحافظ العسقلاني ، عن مريم بنت أحمد الأذرعية ، عن يونس ابن إبراهيم قال : أنبأنا أبو الحسن بن المقير ، أخبرنا أبو الفضل بن ناصر في كتابه عن أبي القسم بن منده قال : أخبرنا أحمد بن علي الأصبهاني ، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا علي بن صالح ، عن عمرو بن ربيعة ، عن الحسن عن ابن عمر قال : سئل النبي ﷺ عن الجنة كيف هي ؟ قال : « من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » قيل : يا رسول الله كيف بناؤها ؟ قال : « لبنة من فضة ولبنة من ذهب ملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران » رجاله رجال الصحيح إلا عمرو بن ربيعة ومن هذا الوجه رواه ابن أبي شيبة ، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، والطبراني وابن مردويه .

وأما قول العراقي ورواه البزار من حديث أبي سعيد الخ فقال البيهقي في البعث : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا محمد بن يونس ، حدثنا سهل بن بكار ، حدثنا وهب بن خالد ، عن الجريري ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، ثم شقق الأنهار غرس فيها الأشجار فلما نظرت الملائكة إلى حسنها وزهرتها قالت : طوباك منازل الملوك » محمد بن يونس هو الكديمي حافظ لكنه منهم بالوضع ، لكن لم ينفرد به فقد أخرجه البزار ، عن محمد بن المثنى ، عن حجاج ، عن حماد بن سلمة عن جريري به موقوفاً . وعن بشر بن آدم ، عن يونس بن عبيدالله ، عن عدي بن الفضل ، عن الجريري به مرفوعاً . وقال : لا نعلم أحداً رفعه إلا عدي وليس بالحافظ . قال الحافظ السيوطي في أمال الدرة : وهب بن خالد تابعه على رفعه اهـ .

قلت : ورواه من هذا الوجه الطبراني وابن مردويه والله أعلم .

(وسئل ﷺ عن تربة الجنة فقال : « درمكة بيضاء مسك خالص ») قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي سعيد أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن ذلك فذكره اهـ .

قلت : وكذلك رواه ابن أبي شيبة وأحمد .

وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة من حديث أبي هريرة : « أرض الجنة بيضاء عرصاتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك على كثبان الرمل ، فيها أنهار مطردة فيجتمع فيها أهل الجنة أولهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فيهيج عليهم المسك فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسناً وطيباً ، فتقول : لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد إعجاباً » .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن جبير قال : « أرض الجنة فضة » .

يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا، ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا» وقال: «أنهار الجنة تنفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك» «ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها»، وقال أبو هريرة: قال رسول

وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وأبو الشيخ في العظمة عن أبي زميل أنه سأل ابن عباس ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة. قال: ما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تطلع فيها الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير. قال: ما انهارها أفي أخدود؟ قال: لا، ولكنها تفيض على وجه الأرض لا تفيض ههنا ولا ههنا. قال: فما حللها؟ قال: فيها الشجر فيها ثمر كأنه الرمان فإذا اراد ولي الله منها كسوة انحدرت إليه من أغصانها فانفعلت له عن سبعين حلة ألواناً بعد ألوان، ثم تنطبق فترجع كما كانت. وروى البزار من حديث ابن عباس: «إن الله خلق الجنة بيضاء».

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا، ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا»**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، والنسائي بإسناد صحيح: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة» اهـ.

قلت: فهم الحافظ العراقي أن الحديث تم إلى هنا، فلذا احتاج أن يورد عن الطبراني والنسائي ما في معناه.

ثم قال حديث: (**«أنهار الجنة تفجر من تحت تلال**) المسك (ـ **أو**) قال (**تحت جبال المسك ـ»**) شك من الراوي رواه العقيلي في الضعفاء من حديث أبي هريرة. ثم قال حديث: (**«لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها»**) رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد حسن انتهى.

وإنما هو كله حديث واحد من رواية أبي هريرة من أول قوله: «من سره» إلى قوله: «جميعها». وهكذا رواه البيهقي في البعث والنشور، وابن عساكر في التاريخ مجموعاً في متن واحد من حديث أبي هريرة وقال: تحت تلال المسك، وقالا: عدلت الحلية أهل الدنيا جميعها. والباقي سواء. ولو كان مراد المصنف تفريق الحديث لميز كل قطعة منه على عادته بقوله: وقال ﷺ فافهم. وأما ما رواه عن الطبراني والنسائي فقد رواه أيضاً الحاكم وابن عساكر بلفظ: «لم يكسه في الآخرة» وفيه زيادة ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة». وأما قوله: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو جبال

....

المسك » فقد رواه ابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث من حديث أبي هريرة: « أنهار الجنة من جبال مسك ». ورواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن حبان في التفسير والبيهقي في البعث وصححه عن ابن مسعود قال: « إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك » وقال صاحب حادي القلوب: وأما أنهار الجنة فقد مدحها القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾ [محمد: ١٥] وثبت في الصحيح أن أنهار الجنة تفجر من الفردوس، وأن الفردوس من وسط الجنة وأعلاها. وثبت أيضاً أن الكوثر في الجنة وتقدم وصفه عند ذكر الحوض، وروى الترمذي وصححه أنه ﷺ قال: « إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد » وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال: « أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض لا والله إنها السائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والآخر الياقوت وطينه المسك الأذفر » قال: والأذفر الذي لا خلط معه. وقد ذكر الله سبحانه عيون الجنة في مواضع من كتابه العزيز قال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ [الحجر: ٤٥] وقال تعالى: ﴿عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ [الإنسان: ٦] وقال تعالى: ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ [الإنسان: ١٨] وقال تعالى: ﴿فيهما عينان تجريان﴾ [الرحمن: ٥٠] وقال تعالى: ﴿فيهما عينان نضاختان﴾ [الرحمن: ٦٦] ومشارب الجنة منوّعة منها ما نبه عليه قوله تعالى: ﴿يسقون من رحيق مختوم ★ ختامه مسك﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦] وقوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ [الصافات: ٤٥] الآية. وقوله تعالى: ﴿وكأساً دهاقاً﴾ [النبأ: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون ★ بأكواب وأباريق﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨] الآية. وبالجملة فأنهار الجنة وعيونها وجميع ما فيها فوق ما تبلغه الأماني من الحسن والكمال اهـ.

قلت: ما رواه عن الترمذي وصححه فهو من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه رفعه. وكذلك رواه أحمد والطبراني، وما أورده موقوفاً على أنس من رواية ابن أبي الدنيا ؛ فقد رواه ابن مردويه وأبو نعيم والضياء المقدسي كلاهما في صفة الجنة عن أنس مرفوعاً. وفيه: « لعلكم تظنون » وفيه: قلت يا رسول الله ما الأذفر ؛ قال: « الذي لا خلط معه ». وروى ابن أبي الدنيا وابن مردويه والضياء من حديث أبي موسى: « إن أنهار الجنة تشخب من جنة عدن من جوب ثم تصدع بعد أنهار ». وروى أحمد في الزهد والدارقطني في المديح، عن المعتمر بن سليمان قال: « إن في الجنة نهراً ينبت الجواري الأبكار ». وروى ابن عساكر من حديث أنس في الجنة نهر يقال له الريان عليه مدينة من مرجان لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة لحامل القرآن فيه كثير بن سليم متروك. وروى ابن المبارك وابن أبي شيبة وهناد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في البعث عن مسروق قال: « أنهار الجنة تجري في غير أخدود ونخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما فرغت ثمرة عادت كما كانت مكانها أخرى والعنقود اثنا عشر ذراعاً ». وروى

الله ﷺ : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا إن شئتم ﴿وظِلٍ ممدُود﴾ [الواقعة : ٣٠] » ، وقال أبو أمامة : كان أصحاب رسول الله ﷺ

أبو الشيخ في العظمة ، والحاكم في التاريخ ، والديلمي من حديث أبي سعيد : « إن في الجنة لنهراً ما يدخله جبريل من دخلة فيخرج منه فينتفض إلا خلق الله عز وجل من كل قطرة تقطر منه ملكاً » . ومن جملة أنهار الجنة نهر يقال له : « رجب » . وروي في الخبر : « إن في الجنة نهراً يقال له رجب ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر » . رواه الشيرازي في الألقاب ، وأبو الشيخ في العظمة ، وابن شاهين في الترغيب ، وأبو الشيخ في الثواب ، والبيهقي والخليل بن عبد الجبار القزويني في كتاب فضائل رجب وشعبان ورمضان ، وابن النجار من طرق عن أنس مرفوعاً . ومن أنهار الجنة نهر يقال له : « البيذخ » سيأتي ذكره للمصنف بعد ، ولما فرغ من ذكر أنهار الجنة شرع في ذكر أشجارها فقال :

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه : **(قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة شجرة)** قيل : هي شجرة طوبى ، وقيل : غيرها والشجر من النبات ما قام على ساق أو ما سما بنفسه دق أوجل **(يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها)** واستشكل بأنه من أين هذا الظل والشمس قد كوّرت ، وليس في الجنة شمس . وأجاب السبكي بأنه لا يلزم من تكوير الشمس عدم الظل ، وإنما الناس ألفوا أن الظل ما تنسخه الشمس وليس كذلك ، بل الظل مخلوق لله تعالى وليس بعدم بل هو أمر وجودي له نفع في الأبدان وغيرها . **(اقرأوا إن شئتم ﴿وظل ممدود » ﴾)** قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : ورواه كذلك عبد الرزاق وابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميّد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه . زاد ابن أبي شيبة بعد أن رواه عن يعلى بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن أبي هريرة قال : فبلغ ذلك كعباً . فقال : صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى والقرآن على لسان محمد ﷺ لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم أدار بأهل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرماً إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها من وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا يخرج من أصل تلك الشجرة . وروى أحمد والبخاري والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه من حديث أنس : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وإن شئتم فاقرأوا ﴿وظل ممدود ★ وماء مسكوب﴾ » وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد : « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وذاك الظل الممدود . ويروى : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها » . رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والبخاري والترمذي من حديث أنس ، والشيخان من حديث سهل بن سعد ، وأحمد وهناد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ، وأحمد وهناد والترمذي من حديث أبي سعيد . والجواد : هو الفرس الفائق السابق الجيد ، والمضمر

يقولون: إن الله عز وجل ينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابي فقال: يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أدري أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما هي»؟ قال: السدر فإن لها شوكاً، فقال: «قد قال الله تعالى: ﴿في سدر مخضود﴾ [الواقعة: ٢٨] يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام ما منها لون يشبه

الذي قلل علفه تدريجاً ليشتد جريه قال الزركشي: هو بنصب الجواد وفتح الميم الثانية من المضمر ونصب الراء نعت لمفعول الراكب، وضبطه الأصيلي بضم المضمر. والجواد صفة للراكب فيكون على هذا بكسر الميم الثانية وقد يكون على البدل اهـ.

وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها على قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام، فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا. وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال: في الجنة شجرة لا تحمل يستظل به. وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمرو بن ميمون ﴿وظل ممدود﴾ قال: مسيرة سبعين ألف سنة.

(وقال أبو أمامة) الباهلي رضي الله عنه: **(كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله عز وجل ينفعنا بالأعراب)** وهم سكان البادية الأجلاف **(ومسائلهم)** أي لجراءتهم على السؤال عن كل شيء يخطر ببالهم من غير محاشاة ولا التزام أدب بخلاف الصحابة المستمرين لمشاهدته ﷺ ما كانوا يجترئون عليه في السؤال لاستغراقهم وكمال أدبهم، ومن ذلك أنه **(أقبل أعرابي)** من البادية **(فقال: يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها. فقال رسول الله ﷺ: «ما هي»؟ قال: السدر فإن لها شوكاً. فقال)** ﷺ: **(«قد قال الله تعالى: ﴿في سدر مخضود﴾)** أي **(يخضد الله شوكه)** أي يكسره **(فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام ما منها لون يشبه الآخر»)** قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد عن صفوان ابن عمرو عن سليم بن عامر مرسلاً عن غير ذكر لأبي أمامة اهـ.

قلت: سياق المصنف أورده الحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في البعث. وروى أبو بكر ابن أبي داود في البعث والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه عن عتبة بن عبد السلمي قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ فجاءه اعرابي فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها ـ يعني الطلح ـ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصية التيس الملبود ـ يعني المخصي ـ فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لون الآخر».

الآخر ». وقال جرير بن عبدالله: نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه، فقلت للغلام: أنطلق بهذا النطع فأظله فانطلق فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال: يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري! قال: ظلم الناس بعضهم بعضاً، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه من صغره فقال: يا جرير لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده، قلت: يا أبا عبدالله، فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر.

(**وقال جرير بن عبد الله**) البجلي رضي الله عنه: (**نزلنا الصفاح**) اسم موضع، (**فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه فقلت للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله، فلما استيقظ إذا هو سلمان، فأتيته أسلم عليه فقال: يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري. قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه من صغره فقال: يا جرير لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده. قلت: يا أبا عبدالله**) وهي كنية سلمان، (**فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر**).

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلم، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن جرير قال: قال سلمان: تواضع لله فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري. قال: ظلم الناس بينهم في الدنيا. قال: ثم أخذ عويداً لا أكاد أن أراه بين أصبعيه. قال: يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده. قال: قلت يا أبا عبد الله وأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر. رواه جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه نحوه.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن جرير عن سلمان قال: الشجر والنخل أصولها وسوقها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر، وبهذا السند قال: الشجر والنخل أصولها وسوقها اللؤلؤ. ورواه البيهقي مثل ذلك. وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد أنه ﷺ سئل عن نخل الجنة فقال: « أصولها فضة وجذوعها ذهب وسعفه حلل وحمله الرطب أشد بياضاً من اللبن وأحلى من الشهد وألين من الزبد ».

ومما يناسب إيراده في هذا الفصل ما رواه الطبراني من حديث سمرة: « إن في الجنة شجرة مستقلة على ساق واحدة وعرض ساقها سير سبعين سنة » وروي أيضاً من حديث الحسن بن علي بسند ضعيف: « إن في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يرفع لهم

....

ديوان ولا ينصب لهم ميزان يصب عليهم الأجر صباً وقرأ ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾. [الزمر : ١٠].

وروى أبو الشيخ في العظمة، والخطيب من حديث علي: « إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت لا تروث ولا تبول ذوات أجنحة، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاؤا فيقول الذين أسفل منهم: يا أهل الجنة ناصفونا يا رب ما بلغ بهؤلاء هذه الكرامة؟ فقال الله: إنهم كانوا يصومون وكنتم تفطرون، وكانوا يقومون الليل وكنتم تنامون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يجاهدون العدو وكنتم تجبنون ».

وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا أبو خالد الأحمر عن حميد عن أنس رفعه: « لما انتهيت إلى السدرة إذا ورقها أمثال آذان الفيلة، وإذا نبقها أمثال القلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحوّلت فذكرت الياقوت ».

حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن حسان، عن معتب بن نجي في قوله طوبى. قال: « هي شجرة في الجنة ليس من أهل الجنة دار إلا يظلهم غصن من أغصانها فيها من ألوان الثمر » الحديث.

حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي صالح قال: « طوبى شجرة في الجنة لو أن راكباً جذعة أو حقة فأطاف بها ما بلغ الموضع الذي يركب فيه حتى يدركه الهرم ».

حدثنا مروان بن معاوية عن علي بن أبي الوليد قال: سئل مجاهد هل في الجنة سماع؟ قال: إن في الجنة لشجراً لها سماع لم يسمع السامعون إلى مثله.

وفي حادي القلوب روى أحمد في مسنده مرفوعاً: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً أو مائة سنة هي شجرة الخلد » ويروى: « طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها »، وإذا تقرر أن الراكب يسير في ظل هذه الشجرة مائة عام، فيحتمل أن يكون المراد بالسير المذكور السير في ظلها حول أصلها، ويدل عليه ما في مسند أحمد من بعض حديث أنه ﷺ قال للاعرابي الذي سأله عن طوبى: « لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماً ».

وروى ابن المبارك في الزهد عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكربها من ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرتها أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم ». والكرب: محركة أصول السعف. وروى الترمذي حديثاً مرفوعاً: ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب ». وفي بعض المسانيد في ذكر سدرة المنتهى: يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة. أو قال: يستظل في الفنن منها مائة

صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم:

قال الله تعالى: ﴿ يحلَّوْنَ فيهَا مِن أساوِرِ من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسُهُم فيهَا حرير ﴾ [الحج: ٢٣]، والآيات في ذلك كثيرة وإنما تفصيله في الأخبار، فقد روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وقال رجل: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسج تنسج؟ فسكت رسول الله ﷺ وضحك

راكب، فيها فراش الذهب كانت ثمرها القلال. وروى ابن المبارك عن مجاهد قال: أصل الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائماً لم يؤذه، ومن أكل جالساً لم يؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه وذللت قطوفها تذليلاً.

صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم:

(**قال الله تعالى: ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ﴾**) وكان ابن الزبير يقول من عند نفسه حين يروي الحديث: من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة إن من لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة، فإن الله تعالى يقول: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ وهو استدلال حسن، وأحسن منه ما رواه أبو سعيد الخدري عند ابن حبان: وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو. (**والآيات في تفصيل ذلك كثيرة، وإنما تفصيله في الأخبار فقد روى أبو هريرة**) رضي الله عنه (**أن النبي ﷺ قال: « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »**) قال العراقي: رواه مسلم دون قوله: « في الجنة ما لا عين رأت » الخ. واتفق عليه الشيخان في حديث آخر لأبي هريرة: « قال الله تعالى أعددت لعبادي ما لا عين رأت » الحديث اهـ.

قلت: أول الحديث رواه ابن أبي شيبة، وابن عساكر من حديث ابن عمر: « من يدخل الجنة يحيا فيها لا يموت وينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » الحديث. وقد تقدم في صفة بناء الجنة قريباً. ورواه عبد بن حميد، والبيهقي في البعث من طريق أبي المدله مولى عائشة عن أبي هريرة: « من يدخلها ينعم فلا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ». ورواه الترمذي من طريق زياد الطائي عن أبي هريرة، وكل ذلك تقدم في صفة بناء الجنة. وروى الطبراني من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده رفعه: « إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ».

(**وقال رجل: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسج تنسج**)؟ وفي نسخة أتخلق خلقاً أم تنسج نسجاً؟ (**فسكت رسول الله ﷺ وضحك بعض القوم، فقال**

بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «مِمّ تضحكون؟ من جاهل سأل عالماً؟ ثم قال رسول الله ﷺ: «بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين»، وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا

رسول الله ﷺ: «مم تضحكون من جاهل سأل عالماً»؟ ثم قال رسول الله ﷺ: «بل تنشق عنها ثمر الجنة مرتين») قال العراقي: رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت: رواه أحمد في المسند بلفظ: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن ثياب الجنة تخلق خلقاً أم تنسج نسجاً؟ فضحك بعض القوم. فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من جاهل سأل عالماً»؟ فسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال: «أين السائل عن ثياب الجنة»؟ قال: ها هو ذا يا رسول الله. قال: «بل تشق عنها ثمر الجنة ثلاث مرار».

وفي كتاب حادي القلوب: روى ابن أبي الدنيا أنه ﷺ قال: «ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء إن شاء أبيض وإن شاء أحمر وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر وإن شاء أسود مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن». وروي أيضاً عن ابن عباس قيل له: ما حلل الجنة؟ قال: فيها شجر فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصونها فانفلقت عن سبعين حلة ألوان بعد ألوان ثم تنطبق فترجع كما كانت. وتقدم في ذكر شجرة طوبى: إن ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دار المؤمن في الجنة لؤلؤة شجرة تنبت الحلل، فيأخذ الرجل بأصبعيه وأشار بالسبابة والإبهام سبعين حلة منطقة باللؤلؤ والمرجان.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر»)**. الزمرة: الجماعة، والزمر الأفواج المتفرقة بعضها أثر بعض، وليلة البدر ليلة تمامه وكماله وهي ليلة أربع عشرة، وبذلك سمي القمر بدراً في تلك الليلة.

وروى البخاري من حديث سهل بن سعد: «ليدخلن من أمتي سبعون ألفاً الجنة أو سبعمائة ألف، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» فتبين بهذه الرواية عدد هذه الزمرة وفيه: «أنهم يدخلون الجنة جماعة بعد جماعة» وقد صرح به في قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ [الزمر: ٧٣] وذلك بحسب الفضل وتفاوت الدرجات. فمن كان أفضل كان إلى الجنة أسبق، وأول من يدخل الجنة نبينا ﷺ كما ثبت في الصحيح: «آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح» الحديث. وتقدم. وأما من يدخلها أولاً بعده ﷺ فأبو بكر؛ فقد روى أبو داود في السنن أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» ثم هؤلاء الزمرة المذكورون في حديث سهل بن سعد جماعة جماعة. وثبت أيضاً: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمادون» وأيضاً «عرض علي أول ثلاثة من أمتي يدخلون الجنة الشهيد، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير عفيف ذو عيال»

يمتخطون ولا يتغوّطون آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية »، وفي زواية : « على كل زوجة سبعون

فالأوّلية نسبية كما لا يخفى. وقوله: على صورة القمر أي أنهم في إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه. وقد ورد في هذا المعنى ما يقتضي ما هو أبلغ من ذلك؟ فروى الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص: « لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس النجوم » قاله العراقي في شرح التقريب، وقد يقال: إنهم يكونون على صورة القمر عند دخولهم الجنة ثم يزداد إشراق أنوارهم فيها، أو أن المذكور هنا إشراق وجوههم من غير حلي، والمذكور ثم إشراق حليهم.

(**لا يبصقون فيها ولا يمتخطون**) فيها (**ولا يتغوّطون**) فيها وهي صفة أهل الجنة مطلقاً ولا يختص ذلك بالزمرة الأولى، (**آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة** ») وفي رواية بحذف « من » وهو يحتمل أن لكل واحد منهم النوعين، ويحتمل أن لبعضهم الذهب ولبعضهم الفضة.

قال أبو العباس القرطبي: أي حاجة في الجنة للأمشاط ولا تتلبد شعورهم ولا تتسخ؟ ويجاب عن ذلك بأن نعيم أهل الجنة ليس عن دفع ما اعتراهم، فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم من نتن، وإنما هي لذات متوالية ونعم متتابعة، وحكمة ذلك أن الله تعالى نعمهم في الجنة بما كانوا يتنعمون به في الدنيا وزاد على ذلك ما لا يعلمه إلا الله اهـ.

(« **ورشحهم**) بفتح فسكون أي أن العرق الذي يترشح منهم (**المسك**) أي رائحته كرائحة المسك وهو قائم مقام التغوّط والبول من غيرهم كما قال في حديث آخر: « لا يبولون ولا يتغوّطون وإنما هو عرق يجري من أعراضهم مثل المسك » يعني من أبدانهم. ولما كانت أغذية الجنة في غاية اللطافة والاعتدال لا عجم لها ولا تفل لم تكن لها فضلة تستقذر، بل تستطاب وتستلذ فعبر عنها بالمسك الذي هو أطيب طيب الدنيا. (**لكل واحد منهم زوجتان**) هكذا هو في هذه الرواية في جميع الطرق بالتاء وهي لغة منكرة في الأحاديث، وكلام العرب والأشهر حذفها وبه جاء القرآن العزيز وأكثر الأحاديث، وفي بعض الروايات زيادة اثنتان وهو لتأكيد التكثير لا للتحديد لخبر: « أدنى أهل الجنة الذي له اثنتان وسبعون زوجة » وبهذا الحديث استدل راويه أبو هريرة رضي الله عنه على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال وفيه خلاف بين العلماء، ولا يعارضه الحديث الآخر: « إني رأيتكن أكثر أهل النار » فإنهن أكثر ساكني الجهتين معاً لكثرتهن. (**يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن**) وفي رواية ساقها يعني من شدة صفاء لحم الساقين كما يرى السلك في جوف الدرة الصافية. (**لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد**) بالإضافة وترك التنوين أي على قلب شخص واحد يريد أنهم مطهرون عن مذموم الأخلاق مكملون بمحاسنهم، (**يسبحون الله بكرة وعشية** ») أي بقدرهما، فأوقات الجنة من الأيام والساعات تقديريات، فإذا ذلك إنما يجيء من اختلاف الليل والنهار وسير الشمس والقمر وليس في الجنة شيء من ذلك.

....

قال أبو العباس القرطبي: هذا التسبيح ليس عن تكليف والزام، لأن الجنة ليست محل تكليف، وإنما هي محل جزاء، وإنما هو تيسير وإلهام كما قال في الرواية الأخرى: يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير كما يلهمون النفس، ووجه الشبه أن تنفس الإنسان لا بدّ له منه ولا كلفة ولا مشقة في فعله وآحاد التنفسات مكتسبة للإنسان وجملتها ضرورية في حقه، إذ يتمكن من جميعها، فكذلك يكون ذكر الله تعالى على ألسنة أهل الجنة، وسر ذلك أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته وأبصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم سوابغ نعمه وامتلأت أفئدتهم بمحبته ومخاللته، فألسنتهم ملازمة ذكره ورهينة شكره فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره اهـ.

وهذا الحديث رواه مسلم من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة بزيادة «ومجامرهم من ألوة» بعد قوله «الذهب والفضة». ورواه البخاري والترمذي من طريق ابن المبارك، عن معمر، عن همام. واتفق عليه الشيخان من طريق عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة وزاد بعد قوله «ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة» وليس فيه قوله «ولكل واحد منهم زوجتان» وإنما فيه «وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء». ورواه البخاري أيضاً من طريق شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة وفيه: «والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة». ورواه مسلم أيضاً من طريق أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة وفيه «والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء». ومن طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ «أول زمرة تلج الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل» الحديث. وذكر عن شيخه أبي بكر بن أبي شيبة على خُلُق رجل أي بضم الخاء واللام وعن شيخه أبي كريب على خلق رجل أي بفتح الخاء وسكون اللام، وفي صحيح مسلم عن محمد بن سيرين قال: اما تفاخروا واما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء؛ فقال أبو هريرة: أولم يقل أبو القاسم ﷺ: «إن أول زمرة تلج الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب». وفي رواية له: اختصم الرجال والنساء أيهم في الجنة أكثر؟ فسئل أبو هريرة فذكره.

(**وفي رواية «على كل زوجة سبعون حلة»**) روي ذلك من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري. أما حديث ابن مسعود، فرواه الطبراني ولفظه «أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوهم ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحللها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء».

وأما حديث أبي سعيد؛ فرواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح، وأبو الشيخ في العظمة

حلة » وقال ﷺ في قوله تعالى: ﴿يحلوْنَ فيها من أساوِرَ من ذهب﴾ [الحج: ٢٣]، قال: « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب »، وقال ﷺ: « الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون »، رواه البخاري في الصحيح. قال ابن عباس: الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله

ولفظه « أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لونها أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها ».

(وقال ﷺ في قوله تعالى:) ﴿جنّاتُ عـدن يدخلونها **(يحلّون فيها من أساور من ذهب﴾ قال: « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب »)**
قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد دون ذكر الآية. وقال: لا نعرفـه إلا من حديث رشدين بن سعد اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحاكم ولفظها « منها » بدل « فيها » ورشدين فيه ضعف. ولحديث أبي سعيد سياق أتم من هذا سيأتي قريباً للمصنف.

(وقال ﷺ « الخيمة) واحدة الخيـام في قـولـه تعـالى: ﴿حـورٌ مقصـورات في الخيـام﴾ [الرحمن: ٧٢] هي **(درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراه الآخرون» رواه البخاري في الصحيح)** من حديث أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه مرفوعاً. ورواه كذلك ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي في البعث، وفي آخره: عند بعضهم يطوف عليهم المؤمن.

(قال ابن عباس) رضي الله عنه: **(الخيمة)** المذكورة في الآية **(درة مجوّفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب)** رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. وفي رواية بعضهم لؤلؤة واحدة مجوفة أربعة فراسخ. وروى ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال « لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من الله تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لا مرحات ولا طماحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنهن بيض مكنون ». وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعاً. وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: الخيام بيوت اللؤلؤ. وروى الأوّلان عن الحسن قال: الخيام الدر المجوف. ومن طريق أبي الأحوص قال: قال عمر: أتدرون ما حور مقصورات في الخيام؟ در مجوف. وروى ابن أبي حاتم من حديث ابن مسعود: الخيام در مجوف. ورواه ابن أبي شيبة من حديث أبي مخلد مثله. وروى عبد الرزاق

ﷺ في قوله تعالى: ﴿وفُرُشٍ مرفوعةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، قال: « ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض ».

وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء قال: الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً من در. وروى ابن أبي شيبة وهناد عن عبيد بن عمير مرسلاً: إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها. وروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال: « دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة فيها أربعون بيتاً في وسطها شجرة تنبت الحلل، فيأتيها فيأخذ باصبعه سبعين حلة منطقة باللؤلؤ والمرجان » وقيل: الخيام الحجال. رواه ابن أبي شيبة وابن جرير عن محمد بن كعب القرظي.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال: « ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض »)** قال العراقي: رواه الترمذي بلفظ: « ارتفاعها لكما بين السماء والأرض خمسمائة سنة ». وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والنسائي وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن حبان وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ في العظمة، والبيهقي في البعث.

وقد روي في الآية عن أبي أمامة وابن عباس والحسن البصري. أما أبو أمامة فروي عنه مرفوعاً وموقوفاً. فالمرفوع سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة قال: « لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف ». والموقوف لفظه: لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها خريفاً. رواه هكذا ابن أبي شيبة وهناد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة.

وأما ابن عباس، فروي عنه مرفوعاً « لو طرح من أعلاها شيء ما بلغ قرارها مائة خريف ». رواه ابن مردويه.

وأما الحسن فقال: « ارتفاع فراش أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة ». هكذا رواه هناد في الزهد.

وقد بقي على المصنف في هذا الفصل بقية ذكر حلية أهل الجنة وسررهم وأرائكهم وفرشهم، فاعلم أن أهل الجنة يحلون كما صرح به في القرآن ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ [الحج: ٢٣] روي ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن كعب قال: إن لله ملكاً منذ خلق يصوغ حلي أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة، لو أن قلباً من حلي أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعد هذا عن حلي أهل الجنة.

وروى الترمذي من حديث سعد: لو أن رجلاً من أهل الجنة طلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم. وفي خبر آخر: أنه ﷺ قال في صفة أهل الجنة « مسوّرون بالذهب والفضة مكللون بالدر عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج

صفة طعام أهل الجنة:

بيان طعام أهل الجنة مذكورة في القرآن من الفواكه والطيور السمان والمنّ والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى: ﴿كلّما رُزِقُوا منها من ثمرة رزقاً

كتاج الملوك، شباب جرد مكحلون، ولما ذكر سبحانه الفرش المرفوعة ذكر أن السرر مرفوعة أيضاً ولا يخفى أن ارتفاع السرير أكثر من ارتفاع الفرش. قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ [الغاشية: ١٣] ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد، والدر والياقوت، والسرير كما بين مكة وايلة.

وعن الكلبي قال: إن طول السرير في السماء مائة عام، وأن السرر مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترفع إلى موضعها. وقال تعالى: ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ [الطور: ٢٠] إعلاماً بتقاربها وحسن ترتيبها وعدم تدابرها وكمال تقابلها. وقال تعالى: ﴿على سرر موضونة★ متكئين عليها متقابلين﴾ [الواقعة: ١٥، ١٦] والموضونة: المرتبة المنضودة التي هي على نسج واحد. وإذا تأملت ارتفاع الفرش وارتفاع الأسرّة ظهر لك من ذلك ان ارتفاع القصور والغرف التي تكون فيها هذه الأسرة لا يكاد يحاط به، وما الظن بارتفاع الغرف التي بعضها فوق بعض. قال الله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار﴾ [الزمر: ٢٠].

وأما الأرائك: فهي السرر التي تكون في الحجال، والحجال هي البشاخين وواحدة الأرائك أريكة. وقال الجوهري في صحاحه: الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت. ومقتضى كلام الجوهري هذا أن الأريكة مجموعة من ثلاثة أشياء وهي: السرير والفرش والقبة أو البيت، وبه صرح غيره. وقد جاء ذكر الأرائك في القرآن ﴿متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ [الإنسان: ١٣] وقال تعالى: ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾ [الرحمن: ٧٦] قال سعيد بن جبير: الرفرف رياض الجنة، والعبقري عتاق الزرابي، وجمع الرفرف رفارف. وقال الحسن ومقاتل: هي البسط. وقال قتادة والضحاك: هي محابس خضر فوق الفرش. وقال ابن كيسان: هي المرافق. وقال ابن عيينة: هي الزرابي والزرابي: هي البسط العريضة ذات الألوان تشبيهاً لها بزرابي البنات وهي ألوانه. قال بعضهم: الزرابي البسط المخملة التي لها أهداب في أثناء قيامها ولحمتها. وقيل: ثوب عريض عند العرب يسمى رفرفاً. وأما العبقري: فقال ابن عباس هي البسط الطنافس، وقريب منه قول الكلبي أنها البسط المخملة. وقال قتادة: هي عتاق الزرابي، وقال مجاهد: هي من الديباج الغليظ. وقال تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة★ وأكواب موضوعة★ ونمارق مصفوفة★ وزرابي مبثوثة﴾ [الغاشية: ١٣ ـ ١٦].

صفة طعام أهل الجنة:

اعلم أن (**بيان طعام أهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه**) الحسان (**والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن، وأصناف كثيرة لا تحصى. قال الله تعالى: ﴿كلما**

قالوا هذا الذي رُزِقنا من قبلُ وأتُوا به مُتشابهاً﴾ [البقرة: ٢٥]، وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة، وقد قال ثوبان ـ مولى رسول الله ﷺ ـ كنت قائماً

رُزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا﴾) قال البيضاوي: صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كان لما قيل: إن لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أو أجناس مختلفة أُخر فاريح بذلك. وكلما: نصب على الظرف، ورزقا مفعول به. ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال، وأصل الكلام ومعناه كل حين ورزقوا مرزوقاً مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات، فابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة، فصاحب الحال الأول رزقاً، وصاحب الحال الثاني ضميره المستسكن في الحال، ويحتمل أن يكون من ثمرة بياناً تقدم كما في قولك: رأيت منك أسداً وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيراً إلى نهر جار: هذا الماء لا ينقطع فإنك لا تعني به العين المشاهدة منه، بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه، وإن كانت الإشارة إلى عينه فالمعنى هذا مثل الذي، ولكن لما استحكم الشبهة بينهما جعل ذاته ذاته كقولك: أبو يوسف أبو حنيفة. ﴿من قبل﴾ هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة كثمر الدنيا أي من جنسه لتميل النفس إليه أوّل ما ترى، فإن الثمار مائلة إلى المألوف منفرد عن غيره وتتبين لها مزية وكنه النعمة فيه، إذ لو كان جنساً لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك أو في الجنة لان طعامها متشابه الصورة، كما حكي عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها، ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك، فتقول الملائكة: كل فاللون واحد والطعم مختلف، أو كما روي أنه ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها» فلعلهم إذا رأوها على الهيئة الأولى قالوا ذلك والأول أظهر لمحافظته على عموم «كلما»، فإنه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا، والداعي إلى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة ﴿وأتوا به متشابها﴾ اعتراض يقرر ذلك، والضمير على الأول راجع إلى ما رزقوا في الدارين، وعلى الثاني إلى الرزق.

فإن قيل: التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرة الدنيا والآخرة. قلت: التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الإسم دون المقدار والطعم، وهو كاف في إطلاق المتشابه هذا، وأن للآية محلاً آخر وهو أن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها، فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا أنه ثوابه، ومن تشابهها تماثلها في الشرف والرتبة وعلو الطبقة، فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى: ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ [العنكبوت: ٥٥] في الوعيد.

(وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة) ومشاربهم منوّعة منها ما نبه عليه قوله تعالى: ﴿يسقون من رحيق مختوم ★ ختامه مسك﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦] وقوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ [الصافات: ٤٥] الآية، وقوله تعالى: ﴿وكأساً دهاقاً﴾ [النبأ:

عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال: فمن أوّل إجازة - يعني على الصراط؟ فقال: « فقراء المهاجرين » قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: « زيادة كبد الحوت »، قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: « ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها » قال: فما شرابهم عليه؟ قال: « من عين فيها تسمى سلسبيلاً » فقال: صدقت. وقال زيد بن أرقم: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ وقال: يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه: إن أقر لي بها خصمته، فقال رسول الله ﷺ: « بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوّة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع »، فقال اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة؟ فقال رسول الله ﷺ: « حاجتهم عرق يفيض من

٣٤] أي متتابعة، وقيل: صافية، وقيل مترعة. وقوله تعالى: ﴿يطوفُ عليهم ولدان مخلدون★ بأكواب﴾ [الواقعة: ١٧ ، ١٨] الآية. فهم يأكلون مما يشتهون ويشربون مما يشتهون ولا يبولون ولا يبصقون ولا يمتخطون، كما ثبت في صحيح مسلم: « يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس » وفي رواية: قالوا: فما بال الطعام؟ قال « جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد ».

(وقال ثوبان مولى رسول الله ﷺ: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال: فمن أوّل إجازة - يعني على الصراط - فقال « فقراء المهاجرين » قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ فقال: « زيادة كبد الحوت » قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال « ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها » قال: فما شرابهم عليه؟ قال « من عين فيها تسمى سلسبيلاً فقال: صدقت) . قال العراقي: رواه مسلم بزيادة في أوله وآخره اهـ.

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حميد عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله ﷺ مقدمه المدينة فسأله: ما أول ما يأكل أهل الجنة؟ فقال: « أخبرني جبريل آنفا أن أوّل ما يأكله أهل الجنة زيادة كبد حوت » اهـ.

والسلسبيل: احدى عيون الجنة الأربعة. قال الضحاك: هي عين الخمرة.

(وعن زيد بن الأرقم) رضي الله عنه قال: **(جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ وقال: يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لاصحابه: إن أقر لي بها خصمته)** أي غلبته بالحجة. **(فقال رسول الله ﷺ: « بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوّة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع » فقال اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة)** أي إلى البراز. **(فقال رسول الله ﷺ: « حاجتهم عرق يفيض من**

جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمر » ، وقال ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ :

جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد طهر ») كذا في النسخ والرواية قد ضمر . قال العراقي : رواه النسائي في الكبرى بإسناد صحيح اهـ .

قلت : ورواه كذلك أحمد ولفظها : « إن رجلاً من أهل الكتاب جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال « نعم والذي نفس محمد بيده » فساق الحديث وفيه بعد قوله : يكون له الحاجة وليس في الجنة أذى . قال « يكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه » . ورواه كذلك ابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث . وروى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن أبي قلابة في قوله ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ [الإنسان : ٢١] قال : إذا أكلوا وشربوا ما شاء الله من الطعام والشراب دعوا الشراب الطهور فيشربون فيطهرهم ، فيكون ما أكلوا وشربوا جشاء بريح مسك يفيض من جلودهم ويضمر لذلك بطونهم .

وروى هناد وعبد بن حميد وابن المنذر عن إبراهيم التيمي في هذه الآية قال : عرق يفيض من أعراضهم مثل ريح المسك . وروى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن إبراهيم التيمي قال : بلغني أنه يقسم للرجل من أهل الجنة شهوة مائة رجل من أهل الدنيا ، فإذا أكل سقي شراباً طهوراً يخرج من جلده رشحاً كرشح المسك ثم تعود شهوته .

وروى ابن عساكر في التاريخ من طريق رجاء بن حيوة ، عن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان قال : بينا أنا أسير في أرض الجزيرة إذ مررت برهبان وقسيسين واساقفة فسلمت فردوا السلام فقلت : أين تريدون ؟ قالوا : نريد راهباً في هذا الدير نأتيه في كل عام فيخبرنا بما يكون في ذلك العام حتى لمثله من قابل فقلت : لآتين هذا الراهب فلأنظر ما عنده وكنت معنياً بالكتب فأتيته على باب ديره فسلمت فردّ السلام ، ثم قال : فمن أنت ؟ فقلت : من المسلمين قال : أمن أمة أحمد ؟ فقلت : نعم . قال : من علمائهم أنت أم من جهالهم ؟ قلت : ما أنا من علمائهم ولا من جهالهم . قال : فإنكم تزعمون أنكم تدخلون الجنة فتأكلون من طعامها وتشربون من شرابها ولا تبولون فيها ولا تتغوّطون ؟ قلت : نحن نقول ذلك وهو كذلك . قال : فإن له مثلاً في الدنيا فاخبرني ما هو ؟ قلت : مثله كمثل الجنين في بطن أمه إنه يأتيه رزق الله في بطنها ولا يبول ولا يتغوّط . قال : فتربَّد وجهه ، ثم قال لي : أما أخبرتني أنك لست من علمائهم ؟ قلت : ما كذبتك . قال : فإنكم تزعمون أنكم تدخلون الجنة فتأكلون من طعامها وتشربون من شرابها ولا ينقص ذلك منها شيئاً ؟ قلت : نعم نقول ذلك وهو كذلك . قال : فإن له مثلاً في الدنيا فأخبرني ما هو ؟ قلت : مثله في الدنيا كمثل الحكمة لو تعلم منها خلق الله أجمعون لم ينقص ذلك منها شيئاً فتربد وجهه ، ثم قال : أمـا أخبرتنـي أنك لست من علمائهم ؟ قلت : ما كذبتك ما أنا من علمائهم ولا أنا من جهالهم .

« إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً » ، وقال حذيفة : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي » ، قال أبو بكر رضي الله عنه : إنها لناعمة يا رسول الله ؟ قال : « أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر » ، وقال عبدالله بن عمرو في قوله تعالى : ﴿يُطافُ عليهِمْ بصحافٍ﴾ [الزخرف : ٧٧] ، قال :

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه : **(قال رسول الله ﷺ : « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهية فيخر بين يديك مشوياً »)** قال العراقي : رواه البزار بسند فيه ضعف اهـ .

قلت : ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في البعث ، وفيه قال لي رسول الله ﷺ فذكره . وروى ابن أبي الدنيا عن ميمونة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيجيء مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير » . وروى عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن في قوله تعالى ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ [الواقعة : ٢١] قال : لا يشتهي منها شيئاً إلا صار بين يديه فيصيب منه حاجته ثم يطير فيذهب . وروى ابن أبي شيبة وهناد عن الحسن مرسلاً : إن في الجنة طيراً كأمثال البخت تأتي الرجل فيصيب منها ثم تذهب كأن لم ينقص منها شيء . وروى ابن مردويه من حديث ابن مسعود : إن في الجنة طيراً له سبعون ألف ريشة فإذا وضع الخوان قدام ولي الله جاء الطير فسقط عليه فانتفض فخرج من كل ريشة لون ألذ من الشهد وألين من الزبد وأحلى من العسل ثم يطير . ورواه هناد من حديث أبي سعيد الخدري مثله .

(وقال حذيفة) رضي الله عنه : **(قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي »)** جمع بختى وهو الجمل العظيم . **(قال أبو بكر رضي الله عنه : إنها لناعمة يا رسول الله ؟ قال : « أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر »)** قال العراقي : غريب من حديث حذيفة ، ولأحمد من حديث أنس بإسناد صحيح « إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في الشجر » قال أبو بكر : يا رسول الله إن هذه الطير ناعمة ؟ قال آكلها أنعم منها ـ قالها ثلاثا ـ وإني أرجو أن تكون ممن يأكل منها » . وهو عند الترمذي من وجه آخر ذكر فيه نهر الكوثر وقال فيه : « طير اعناقها كاعناق الجزر » قال عمر : ان هذه لناعمة ؟ الحديث وليس فيه ذكر لأبي بكر وقال : حسن اهـ .

قلت : سياق المصنف عند البيهقي في كتاب البعث ، وعزاه صاحب حادي القلوب إلى الحاكم ، ورواه ابن أبي حاتم في التفسير موقوفاً على قتادة ، وحديث أنس عند الترمذي تقدم ذكره عند مبحث الحوض . وروى ابن جرير عن أبي أمامة قال : إن الرجل من أهل الجنة يشتهي الطائر وهو يطير فيقع منقلياً نضيجاً في كفه فيأكل منه ما تشتهي نفسه ثم يطير ، ويشتهي الشراب فيقع الإبريق في يده فيشرب ما يريد ثم يرجع إلى مكانه .

(وقال عبدالله بن عمرو) رضي الله عنهما **(في قوله تعالى) : ﴿ يطاف عليهم بصحاف من**

يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى. وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ﴿ومزاجُهُ من تسنيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧]، قال: يمزج لأصحاب اليمين ويشربه المقربون صرفاً. وقال: أبو الدرداء رضي الله عنه في قوله

ذهب﴾ (قال يطاف) عليهم **(بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى)** . ورواه الحاكم في المستدرك وصححه.

وروى ابن المبارك في الزهد، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، والطبراني في الأوسط بسند رجاله ثقات، عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف بيد كل واحد صحفتان من ذهب، والأخرى من فضة في كل واحدة لون ليس في الأخرى مثله، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أوّلها، يجد لآخرها من اللذة والطيب مثل الذي يجد لاوّلها، ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون إخوانا على سرر متقابلين ».

وروى ابن أبي شيبة عن كعب قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة أن له لسبع درجات وهو على السادسة وفوقه الثامنة، وأن له ثلاثمائة خادم يغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحفة من ذهب في كل صحفة لون ليس في الاخرى، وأنه ليلذ أوّله كما يلذ آخره، وأنه يقول: يا رب لو أذنت لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي، وأن له من الحور العين الاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وأن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها عبر ميل من الأرض ».

وروى عبد بن حميد عن عكرمة « إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل دخل الجنة لا يدخل بعده أحد يفسح له في بصره مسيرة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ وما فيها موضع شبر إلا معمور، يغدى عليه كل يوم ويراح بسبعين ألف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة إلا وفيها لون ليس في الاخرى مثله، شهوته في آخرها كشهوته في أوّلها، لو نزل جميع أهل الدنيا لوسع عليهم مما أعطى لا ينقص ذلك مما أوتي شيئاً ».

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه في قوله تعالى: **(﴿ومزاجه من تسنيم﴾ قال: يمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً)** رواه ابن أبي شيبة وابن المبارك وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ولفظه عندهم، عين في الجنة تمزج لأصحاب اليمين ويشرب بها المقربون صرفاً. وقد روي نحوه عن ابن عباس قال: تسنيم أشرف شراب أهل الجنة وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين. رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي. وروى البيهقي عن عطاء قال: التسنيم اسم العين التي يمزج بها الخمر. وروى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن مالك بن الحارث قال: تسنيم عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة. وروي عن قتادة مثله رواه عبد الرزاق. وروى ابن المنذر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: تسنيم عين في عدن يشرب بها المقربون في عدن صرفاً

تعالى : ﴿خِتَامُهُ مسكٌ﴾ [المطففين : ٢٦] ، قال : هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها .

صفة الحور العين والولدان:

قد تكرر في القرآن وصفهم ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه . روى أنس رضي الله

ويجري تحتهم أسفل منهم إلى أصحاب اليمين فتمزج أشربتهم كلها الماء والخمر واللبن والعسل يطيب بها أشربتهم. وروى عبد الرزاق وابن المنذر عن الكلبي قال: تسنيم عين تثب عليهم من فوق وهو شراب المقربين.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (في قوله تعالى ﴿ختامه مسك﴾ قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها) . رواه ابن جرير وابن المنذر والبيهقي ولفظهم: ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه لم يبق ذو روح إلا وجد ريحها . وقال مجاهد : ﴿ختامه مسك﴾ طينه مسك. رواه البيهقي في البعث. وقال سعيد بن جبير : آخر طعمه مسك. رواه ابن أبي شيبة. وقال علقمة : خلطه مسك رواه عبد بن حميد . وقال ابن مسعود : طعمه وريحه مسك رواه ابن المنذر ، وروي عنه أيضاً أنه قال: ليس بخاتم يختم به ولكن خلطه مسك.

صفة الحور العين والولدان:

الحور : بالضم جمع الأحور والحوراء ، والحور محركة ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد ، وقد احورت عينه وذلك نهاية الحسن من العين ، والعين: بالكسر صفة للحور جمع العيناء وهي الواسعة مشق العين. وفي المصباح: حورت العين حوراً من باب تعب اشتد بياض بياضها وسواد سوادها ، ويقال: الحور اسوداد المقلة كلها كعيون الظباء . قالوا : وليس في الانسان حور ، وإنما قيل ذلك في النساء على التشبيه . وفي مختصر العيني: ولا يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها . قال الله تعالى : ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ [الدخان : ٥٤] قال قتادة : بيض عين. رواه ابن جرير ، وقيل: الحوراء هي الشابة الجميلة الفائقة في حسنها . وقال مجاهد : الحوراء هي التي يحار فيها الطرف بادئاً رواه الفريابي وروي عن زيد بن أسلم مثله. وروى الطستي في فوائده: إن نافع بن الازرق سأل ابن عباس عن قوله ﴿حور عين﴾ [الواقعة : ٢٢] قال الحوراء البيضاء المنعمة. قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم أما سمعت الأعشى يقول:

وحورٍ كأمثال الدمى ومناصف ومـاء وريحان وراح يصفق

وقال عطاء : حور عين سود الحدقة عظمية العين رواه البيهقي في البعث.

(قد تكرر في القرآن أوصافهم، ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه) ، واختلف في

عنه أن رسول الله ﷺ قال: « غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها » يعني الخمار. وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ

خلقتهن فقال زيد بن أسلم: أن الله لم يخلق الحور العين من تـراب إنما خلقهـن مـن مسـك وكـافـور وزعفران. رواه ابن المبارك، ومنهم من قال: إنهن خلقن من الزعفران وحده. ورواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث أبي أمامة وابن مردويه والخطيب من حديث أنس، وروى ابن جرير عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أن الحور العين خلقن من الزعفران، ورواه ابن جرير عن مجاهـد وقيـل: إنهن خلقن من تسبيح الملائكة رواه ابن مردويه من حديث عائشة.

(روى أنس) رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال: « غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها » يعني الخمار)** رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان ولفظهم جميعاً « لغدوة » وفيه: « أو موضع قدمه » يعني سوطه في الجنة. ورواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ « لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب، ولقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب ». والشطر الأول من الحديث رواه الطيالسي وعبد الله بن أحمد والطبراني من حديث ابن عمر، وفي رواية لأحمد والشيخين وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس « غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ». ورواه هكذا الطيالسي والترمذي من حديث ابن عباس، ومسلم والترمذي والنسائي من حديث سهل بن سعد، ومسلم وابن ماجه من حديث أبي هـريـرة، وأبـو يعلى والضيـاء من حديث الزبير، وأحمد والطبراني من حديث معاوية بن خديج. وروى أحمد والنسائي من حديث أبي أيوب بلفظ « خير مما طلعت عليه الشمس وغربت ». وروى ابن قانع من حديث سفيان بن وهب الخولاني « غدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » وروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ». وروى أحمد من حديث أبي هريرة « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض » وروى ابن أبي شيبة وهناد وابن ماجه من حديث أبي سعيد « لشبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها ». وروى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه من حديث سهل « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ». وروى الترمذي من حديث سعد « لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بـدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض ».

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى:**

في قوله تعالى: ﴿كأنَّهن الياقوتُ والمرجان﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: « ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ».

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: « لما أسري بي دخلت الجنة موضعاً يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلن: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: يا جبريل ما هذا النداء؟ قال: هؤلاء المقصورات في الخيام استأذنَّ ربهنَّ في السلام عليك، فأذن لهن، فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبداً ونحن الخالدات فلا نظعن أبداً »، وقرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿حورٌ مقصورَاتٌ في الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢] ».

﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ قال « ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة، وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وأنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ») قال العراقي: رواه أبو يعلى من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد بإسناد حسن، ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة، ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية أبي الهيثم عن النبي ﷺ مرسلاً دون ذكر أبي سعيد، وللترمذي من حديث ابن مسعود « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض مخ ساقها من وراء سبعين حلة » الحديث. ورواه عنه موقوفاً. قال: وهذا أصح وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « لكل امرىء منهم زوجتان يرى مخ سوقها من وراء اللحم » اهـ.

قلت: سياق المصنف رواه أيضاً ابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في البعث، وفي رواية لأحمد وأبي يعلى وابن جرير بسند حسن عن أبي سعيد رفعه « إن الرجل ليتكىء في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحوّل ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد عليها السلام ويسألها من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون حلة فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها مما وراء ذلك، وأن عليها التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب » وتقدم للمصنف عند قوله وفي رواية « على كل زوجة سبعون حلة » ذكر حديث أبي سعيد وابن مسعود.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « لما أسري بي دخلت الجنة موضعاً يسمى البيدخ**) كحيدر والدال مهملة وآخره خاء معجمة اسم نهر في الجنة (**عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلن: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: يا جبريل ما هذا النداء؟ قال: هؤلاء المقصورات في الخيام استأذنّ ربهنّ في السلام عليك فأذن لهن فطفق يقلن: نحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن الخالدات فلا نظعن أبداً، وقرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿حور مقصوراتٌ في الخيام﴾ »**) قال العراقي: لم أجده هكذا بتمامه،

....

وللترمذي من حديث علي « إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن أصواتاً لم تسمع الخلائق مثلها قال يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط . طوبى لمن كان لنا وكنا له » . وقال غريب . ولأبي الشيخ في العظمة من حديث ابن أبي أوفى بسند ضعيف « فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات الحديث » انتهى .

قلت : بل ساقه بتمامه ابن مردويه والبيهقي في البعث وفيه « فأتيت على نهر يسمى البيدخ وفيه فنوديت : السلام عليك يا رسول الله . فقلت : يا جبريل ما هذا النداء » ؟ وفي لفظ « ونحن المقيمات » بدل « الخالدات » والباقي سواء .

وأما حديث علي عند الترمذي ؛ فقد رواه أيضاً هناد في الزهد ، وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد .

وأما حديث ابن أبي أوفى ، فقد رواه أيضاً أبو نعيم في صفة الجنة . وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن ابن عباس قال : « إن في الجنة نهراً يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته جوار نابتات يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري ، فإذا عجب رجل منهم بجارية مسّ معصمها فتبعته وتنبت مكانها أخرى » .

وروى ابن جرير والطبراني وابن مردويه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿حور عين﴾ [الواقعة : ٢٢] قال « حور بيض عين ضخام العيون شعر الحور بمنزلة جناح النسر » وفي لفظ لابن مردويه : « شفر الجفون بمنزلة جناح النسر » . قلت : يا رسول الله اخبرني عن قول الله تعالى ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ ؟ [الطور : ٢٤] قال « صفاؤهم كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي » . قلت : فاخبرني عن قول الله عز وجل ﴿فيهن خيرات حسان﴾ [الرحمن : ٧٠] قال « خيرات الأخلاق حسان الوجوه » . قلت : فاخبرني عن قول الله عز وجل ﴿عرباً أتراباً﴾ [الواقعة : ٣٧] قال « هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عرباً متعشقات متحببات أتراباً على ميلاد واحد » . قلت : يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين قال : « نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة » قلت : يا رسول الله وبم ذلك ؟ قال « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله تعالى . ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن : ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً . طوبى لمن كنّا له وكان لنا » . قلت : يا رسول الله المرأة تتزوّج الزوجين والثلاثة والأربعة في الدنيا ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها منهم ؟ قال « إنها تخير فتختار أحسنهم خُلُقاً فتقول : يا رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فزوجنيه . يا أم سلمة ذهب حسن الخُلُق بخير الدنيا والآخرة » اهـ .

وقد وصفهن الله تعالى في كتابه العزيز بأوصاف كثيرة منها قوله تعالى : ﴿فيهن قاصرات

الطرف﴾ [الرحمن: ٥٦] أي قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم، وقيل: قصرن أطراف أزواجهن عليهن بحسنهن، فلا يدعن في أطراف أزواجهن فضلة استحسان لغيرهن. ومنها قوله تعالى: ﴿لم يطمثهنَّ إنس قبلهم ولا جان﴾ [الرحمن: ٥٦] أي لم يمسسهن وقيل: لم يفتضهن أي لم يأخذ فضتهن وهي البكارة. واختلف في المراد بهن فقيل: الحور اللواتي نشأن في الجنة، وقيل: نساء الدنيا أيضاً من أهل الجنة وإن كن في الدنيا ثيبات لأن الله تعالى انشأهن في الجنة إنشاء آخر كما قال تعالى ﴿إنا أنشأناهنَّ إنشاء﴾ [الواقعة: ٣٥] الآية. وقيل: هن اللواتي متن وهن أبكار. وبالجملة؛ فلا شك في أن نساء الجنة من الآدميات، والحور في أكمل الصور جمالاً وحسناً وريحاً طيباً وصفا وضياء لما تقدم من الأخبار.

وروى أبو يعلى في مسنده إلى النبي ﷺ حديثاً فيه أنه ﷺ قال في حق الداخلين إلى الجنة « فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشيء الله واثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشا الله بعبادتها لله في الدنيا. يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون حلة من سندس واستبرق، وأنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وأنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة وكبدها له مرآة، فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها، فبينما هو كذلك إذ نودي: أن قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أنه لا مني ولا منية إلا أن يكون لك أزواج غيرها، فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إلي منك ».

وروى عبد بن حميد عن مجاهد في قوله: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢] قال: لا يخرجن من بيوتهن. وقال الحسن: أي محبوسات ليس بطوافات في الطرق. رواه ابن جرير. وقال مجاهد أيضاً: مقصورات قلوبهن وأبصارهن وأنفسهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ لا يردن غيرهن رواه ابن أبي شيبة وهناد.

وروى ابن مردويه عن أنس قال: حدثني رسول الله ﷺ قال: حدثني جبريل قال « يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة لو أن بعض ثيابها بدا لغلق ضوءه ضوء الشمس والقمر، ولو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها، فبينا هو متكيء عليها مع أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه، فيظن أن الله تعالى قد أشرف على خلقه، فإذا حوراء تناديه: يا ولي اللهأما لنا فيك من دولة؟ فيقول: ومن أنت يا هذه؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله ﴿ولدينا مزيد﴾ [ق: ٣٥] فيتحوّل إليها فإذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الأولى، فبينما هو متكيء معها على أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه، فإذا حوراء أخرى تناديه: يا ولي الله أمالنا فيك من دولة؟ فيقول: ومن أنت يا هذه؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وأزواجٌ مطَهَّرة﴾ [آل عمران: ١٥]، قال: من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد. وقال الأوزاعي: ﴿في شُغُلٍ فاكِهُون﴾ [يس: ٥٥]، قال: شغلهم افتضاض الأبكار. وقال رجل: يا رسول الله

﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧] فلا يزال يتحوّل من زوجة إلى زوجة». وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم من حديث أنس «لو أن حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها» وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عمرو قال: «لشفر المرأة أطول من جناح النسر» وعن ابن عباس قال «لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت معصمها لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض». وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد قال «إنه ليوجد ريح المرأة من الحور العين من مسيرة خمسمائة سنة».

(**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالى (**في قوله تعالى ﴿وأزواج مطهرة﴾ قال: من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد**) رواه وكيع وعبد الرزاق وهناد وعبد بن حميد وابن جرير، وروي نحوه عن عطاء قال: لا يحضن ولا يمنين ولا يلدن ولا يتغوّطن ولا يبلن ولا يبزقن رواه وكيع وهناد. وروى الحاكم وصححه وابن مردويه من حديث أبي سعيد الخدري في قوله ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ [البقرة: ٢٥] قال: من الحيض والغائط والنخامة والبزاق. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس قال: مطهرة من القذر والأذى. وروى ابن جرير عن ابن مسعود قال: لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن. وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة قال: طهرهن الله من كل بول وغائط وقذر ومأثم. هذا مجموع ما قيل في الآية، وحاصل ذلك أنهن طاهرات مطهرات الأبدان من كل ما يستقذر كالحيض والنفاس والمذي والمني والبصاق والمخاط والصنان والعمش والبكاء وطول الأظفار وشعث الأبشار، ونحو ذلك ومطهرات الاخلاق عن كل سوء، ومطهرات في جميع عوالمهن ومعالمهن من كل إثم وقبيح.

(**وقال الاوزاعي**) عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي الفقيه رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم (**﴿في شغل فاكهون﴾ قال: شغلهم افتضاض الأبكار**) هذا القول قد نقل عن ابن عباس كما رواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق. وقد روي عن ابن مسعود بلفظ: العذارى بدل الأبكار. رواه عبد بن حميد وابن أبي الدنيا وعبد الله بن أحمد وابن جرير وابن المنذر. وروى عبد بن حميد عن عكرمة وقتادة مثله.

(**وقال رجل: يا رسول الله أيباضع أهل الجنة؟ قال «يعطى الرجل منهم من القوّة في**

أيباضع أهل الجنة؟ قال: « يعطى الرجل منهم من القوّة في اليوم الواحد أفضل من سبعين

اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم ») قال العراقي: رواه الترمذي وصححه وابن حبان من حديث أنس « يعطى المؤمن في الجنة قوّة كذا وكذا من الجماع » فقيل: أو تطيقون ذلك؟ قال « يعطى قوّة مائة » اهـ.

قلت: سياق المصنف أورده ابن السكن وابن منده وأبو نعيم كلهم في المعرفة، والبيهقي في البعث، والخطيب في المؤتلف والمختلف، وابن عساكر في التاريخ كلهم من طريق سعيد بن سنان عن ربيعة بن يزيد قال: حدثني خارجة بن جزء العذري، سمعت رجلاً يقول يوم تبوك: يا رسول الله أيباضع أهل الجنة؟ الحديث. وفي رواية الخطيب عن ربيعة الجرشي، حدثني خارجة سمعت رجلاً بتبوك قال: يا رسول الله فذكره. وفي الإسناد ضعف.

وأما حديث أنس؛ فرواه أيضاً الطيالسي والضياء ولفظه « قوّة مائة من النساء » وقال الترمذي: صحيح غريب. وروى أبو يعلى والطبراني وابن عدي في الكامل، والبيهقي في البعث عن أبي أمامة أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: هل يتناكح أهل الجنة؟ قال دحاماً دحاماً لا مني ولا منية ». وروى البزار والطبراني والخطيب عن أبي هريرة قال؛ قيل يا رسول الله: هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: « إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء » وروى أبو يعلى والبيهقي في البعث عن ابن عباس قال؛ قيل يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال « والذي نفسي بيده ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء ». وروى ابن أبي حاتم والطبراني عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ يتناكح أهل الجنة؟ فقال « نعم بفرج لا يمل وذكر لا ينثني وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً ». وروى عبد بن حميد وابن أبي الدنيا والبزار عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال « نعم بذكر لا يمل وفرج لا يحفي وشهوة لا تنقطع ». وروى الحارث بن أبي أسامة وابن أبي حاتم عن سليم بن عامر والهيثم الطائي أن النبي ﷺ سئل عن البضع في الجنة؟ قال: « نعم بقبل شهي وذكر لا يمل وأن الرجل ليتكىء فيها المتكأ مقدار أربعين سنة لا يتحوّل عنه ولا يمله يأتيه فيه ما اشتهته نفسه ولذت عينه ». وروى الطبراني عن زيد بن أرقم رفعه: « إن البول والجنابة عرق يسيل من تحت ذوائبهم إلى أقدامهم مسكاً » وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد والأصبهاني في الترغيب عن أبي الدرداء قال « ليس في الجنة مني ولا منية إنما يدحمونهن دحماً » روى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن طاوس قال: « أهل الجنة ينكحون النساء ولا يلدن ليس فيها مني ولا منية » وروياه عن عطاء الخراساني مثله. وروى وكيع وعبد الرزاق وهناد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن إبراهيم النخعي قال « في الجنة جماع ما شئت ولا ولد » قال « فيلتفت فينظر النظرة فتنشأ له الشهوة ثم ينظر النظرة فتنشأ له شهوة أخرى ». وروى الضياء المقدسي في صفة الجنة عن أبي هريرة قال: أنطأ في الجنة يا رسول الله؟ قال « نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً » وروى البزار والطبراني في الصغير، وأبو الشيخ في العظمة من حديث أبي سعيد الخدري « أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً »

منكم». وقال عبدالله بن عمر: أدني أهل الجنة منزلة من يسعى له ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه. وقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوّج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره

وروى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن عبد الله بن عمر وقال «إن المؤمن كلما أراد زوجته وجدها عذراء». وروى ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال «طول الرجل من أهل الجنة تسعون ميلاً وطول المرأة ثلاثون ميلاً ومقعدها جريب، وأن شهوته لتجري في جسدها سبعين عاماً تجد اللذة».

(وقال عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما: **(إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه)**. وهذا موقوف وحكمه حكم المرفوع. وقد روي مرفوعاً بلفظ «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر أزواجه وخدمه وسرره، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين». رواه هكذا أحمد وأبو الشيخ في العظمة والحاكم. ورواه الترمذي والطبراني بلفظ «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ ﴿وجوه يومئذ ناضرة★ إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]» روى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «أخس أهل الجنة منزلاً له سبعون ألف خادم مع كل خادم صحفة من ذهب لو نزل به أهل الأرض جميعهم لأوصلهم لا يستعين عليهم بشيء من غيره، وذلك في قوله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس﴾» [الزخرف: ٧١] وروى أحمد من حديث أبي هريرة «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن له سبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة، وإن له لثلاثمائة خادم» الحديث.

(وقال رسول الله ﷺ «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوّج) كذا في النسخ والرواية ليزوّج **(خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيباً يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا»)** قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب طبقات المحدثين، وفي كتاب العظمة من حديث ابن أبي أوفى إلا انه قال «مائة حوراء» ولم يذكر فيه عناقه لهن واسناده ضعيف وتقدم قبله بحديث اهـ.

قلت: سياق المصنف أورده البيهقي في كتاب البعث. وأما لفظ أبي الشيخ في كتاب العظمة «يزوّج كل رجل من أهل الجنة بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلها: نحن الخالدات فلا نبيد» الحديث وفي آخره «طوبى لمن كان لنا وكنا له». ورواه هكذا أبو نعيم في صفة الجنة، وهذا هو الذي أشار إليه العراقي أنه تقدم قبله بحديث. ورواه أبو الشيخ في العظمة أيضاً عن عبد الرحمن بن سابط قال: «إن الرجل من أهل الجنة يتزوج خمسمائة حوراء وأربعمائة بكر وثمانية آلاف ثيب ما منهن واحدة إلا يعانقها عمر الدنيا كلها لا يأجم واحد منهما عن صاحبه» الحديث.

في الدنيا »، وقال النبي ﷺ : « إن في الجنة سوقاً ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها لمجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له ». وقال أنس رضي الله عنه : قال

(**وقال النبي ﷺ : « إن في الجنة سوقاً**) وفي لفظ: لسوقاً يذكر ويؤنث والتأنيث أفصح، والمراد به هنا مجتمع فيه أهل الجنة وقد حفته الملائكة بما لا يخطر بقلب بشر يأخذون ما يشتهون، وهذا نوع من الاستلذاذ كما قال. (**ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها ، وإن فيها لمجتمع**) كذا في النسخ والرواية لمجتمعاً (**للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراغبات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له »**) قال العراقي: رواه الترمذي فرقه في موضعين من حديث علي، وقد تقدم قبل هذا بحديثين اهـ.

قلت: الحديث الأول إلى قوله « دخل فيها » رواه هناد والترمذي وقال غريب وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ، والحديث الثاني كذلك رواه المذكورون هكذا مفرقاً كل منهما على حدة. ولما رأى المصنف سندهما واحداً ذكرها في سياق واحد. قال ابن أبي شيبة: حدثنا أبو معاوية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد عن علي فذكر الحديثين معاً في متن واحد. وقد ضعفه المنذري لأن فيه عبد الرحمن بن إسحاق قال الذهبي: ضعفوه وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ودندن عليه الحافظ ابن حجر ثم قال: وفي القلب منه شيء، وتبعه السيوطي. ومحصول كلامه: إن له شواهد.

قلت: ومن جملة شواهده ما قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت عن أنس رفعه « إن لأهل الجنة سوقاً يأتونها كل جمعة فيها كثبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت ريح » قال حماد: أحسبه قال شمال « فتملأ وجوههم وثيابهم وبيوتهم مسكاً ويزدادون حسناً وجمالاً » قال « فيأتون أهليهم فيقولون لهن: لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ويقلن لهم وأنتم قد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ». وأراد بالصورة في الحديث الأوّل الشكل والهيئة أي تتغير أوصافه بأوصاف شبيهة بتلك الصورة، فالدخول مجاز عن ذلك أو أراد به التزين بالحلى والحلل وعليها، فالمتغير الصفة لا الذات ذكره الطيبي ونوزع بما لا يجدي.

وذكر الشيخ الأكبر قدس سره ما نصه: حدثني أوحد الدين الكرماني قال: كنت أخدم شيخاً وأنا شاب فمرض بالبطن وكان في محارة، فلما وصلنا تكريت قلت: يا سيدي اتركني أطلب لك دواء من صاحب المارستان، فلما رأى احتراقي قال: رح إليه فرحت له، فإذا هو قاعد في خيمة ورجال قائمون بين يديه ولا يعرفني، فرآني واقفاً بين الناس فقام إليّ وأخذ بيدي وأكرمني

رسول الله ﷺ: « إن الحور في الجنة يتغنين: نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام »، وقال يحي بن كثير في قوله تعالى: ﴿في روضَةٍ يُحبَرون﴾ [الروم: ١٥]، قال: السماع في الجنة. وقال أبو أمامة الباهلي: قال رسول الله ﷺ: « ما من عبد يدخل الجنة إلا

وأعطاني الدواء وخرج معي في خدمتي، فجئت الشيخ وأعطيته الدواء وذكرت له كرامة أمير المارستان. فقال: يا ولدي إني أشفقت عليك لما رأيت من احتراقك من أجلي، فأذنت لك ثم خفت أن يخجلك الأمير بعدم إقباله عليك، فتجردت عن هيكلي ودخلت في هيكل الأمير وقعدت في محله، فلما جئت أكرمتك وفعلت معك ما رأيت، ثم عدت إلى هيكلي هذا ولا حاجة لي في هذا الدواء.

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « إن الحور في الجنة يتغنين نحن الحور الحسان خبئنا)** وفي نسخة خبئن، وفي أخرى خلقن وفي أخرى خلقنا **(لأزواج كرام »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه الحسن بن داود المنكدري. قال البخاري: يتكلمون فيه، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به اهـ.

قلت: ورواه أيضاً من هذا الطريق سمويه في فوائده والحسن بن داود بن محمد بن المنكدر أبو محمد المدني روى عن عبد الرزاق والمعتمر روى له النسائي وابن ماجه، وقد تكلم في سماعه عن المعتمر مات سنة سبع وأربعين. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا شبابة بن سوار، عن ابن أبي ذئب عمن سمع أنساً يقول: « إن الحور العين في الجنة ليغنين يقلن نحن الخيرات الحسان خبئنا لأزواج كرام ».

(وقال يحي بن كثير) هكذا في سائر النسخ والمسمى بهذا الاسم ثلاثة: يحي بن كثير بن درهم الغبري مولاهم البصري أبو غسان ثقة روى له الجماعة مات سن ست ومائتين، ويحي بن كثير الكاهلي الكوفي لين الحديث روى له البخاري في جزء القراءة وأبو داود، ويحي بن كثير أبو النضر صاحب البصري ضعيف روى له ابن ماجه، ثم رأيت في المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير **(في قوله تعالى: ﴿في روضة يحبرون﴾)** قال: الحبر **(السماع في الجنة)**. ويحي بن أبي كثير الطائي روى له الجماعة، وأصل الحبرة السرور البهجة لظهور أثره على صاحبه، وعزاه القشيري في الرسالة إلى مجاهد، ولفظه: « السماع من الحور العين بأصوات شهية نحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً » وروى ابن أبي حاتم نحو ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿في شغل فاكهون﴾ [يس: ٥٥] أي ضرب الأوتار، وعزاه لابن عباس وقال: هو خطأ في السمع، والصواب: افتضاض الأبكار.

(وقال أبو أمامة الباهلي) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ « ما من عبد يدخل الجنة**

ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه ».

بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار :

روى أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: « ألا هل مشمر للجنة إن

إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله) وفي رواية بتمجيد الله **(وتقديسه »)** قال العراقي: رواه الطبراني بإسناد حسن اهـ.

قلت ورواه كذلك أبو نصر السجزي في الإبانة، وابن عساكر في التاريخ.

اعلم أن في الأحاديث الواردة ما يدل على أن سماع أهل الجنة يكون تارة من الحور، وتارة من أصوات الأنهار، وتارة من أصوات الأشجار، وتارة من اسرافيل وتارة من داود عليهما السلام، وتارة من ملائكة آخرين.

وروى البيهقي في البعث عن أبي هريرة قال « إن في الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق حتى ما يرون أن في الجنة لذة مثلها » قلنا: يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال « إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب ».

وروى ابن أبي شيبة، عن مروان بن معاوية، عن علي بن أبي الوليد قال: سئل مجاهد هل في الجنة سماع؟ قال: إن في الجنة لشجراً لها سماع لم يسمع السامعون إلى مثله.

وروى ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي قال: بلغني أنه ليس في خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع فما يبقى ملك في السموات إلا قطع عليه صلاته، فيمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله عز وجل: وعزتي لو علم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري.

وروى أيضاً عن مالك بن دينار قال: إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ثم نودي: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخم الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا. قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان.

وروي أيضاً عن شهر بن حوشب قال: إن الله جل ثناؤه يقول لملائكته: إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي، فاسمعوا عبادي فيأخذون بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثلها قط، والله الموفق.

بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة: وردت بها الأخبار

(روى أسامة بن زيد) بن شرحبيل رضي الله عنهما **(أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «ألاهل مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها)** الخطر محركة القدر **(هي ورب الكعبة نور**

الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام أبداً ونضرة في دار عالية بهية سليمة » قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله قال : « قولوا إن شاء الله تعالى » ثم ذكر الجهاد وحض عليه . وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال : هل في الجنة خيل فإنها تعجبني ؟ قال : « إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت » وقال له رجل : إن الإبل تعجبني فهل في الجنة من إبل ؟ » فقال : يا عبدالله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك » .

يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد) بتشديد الطاء أي جار ، **(وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة)** بفتح فسكون السرور ، **(ونعمة في مقام أبداً ، ونضرة في دار عالية بهية سليمة » قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله . قال : « قولوا إن شاء الله تعالى » ثم ذكر الجهاد وحض عليه)** . أخبرناه عبد الخالق بن أبي بكر الزبيدي ، أخبرنا محمد بن أحمد بن سعيد المكي ، أخبرنا الحسن بن علي بن يحيى ، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ ، أخبرنا علي بن يحيى ، أخبرنا يوسف بن عبد الله الحسني ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر الحافظ قال : قرىء على أم عبد الله بنت أبي أحمد الكناني وأنا أسمع عن أحمد بن أبي بكر المقدسي قال : أخبرنا سليمان بن حمزة ، أخبرنا عبد الله بن عمر البغدادي ، أخبرنا أبو القاسم بن البناء ، أخبرنا أبو نصر الزينبي ، أخبرنا أبو بكر الوراق قال : حدثنا أبو بكر بن أبي داود ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبي عن محمد بن مهاجر ، عن الضحاك المعافري ، عن سليمان بن موسى قال : حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله ﷺ « ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها » فذكره وفيه بعد قوله « مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية » قالوا : نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها . قال « قولوا إن شاء الله » قال القوم : إن شاء الله . هذا حديث رجاله موثقون . قال العراقي : رواه ابن ماجه وابن حبان اهـ .

قلت : روياه من طريق العباس بن عثمان عن الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر ، وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، والبزار وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث .

(وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال : هل في الجنة خيل فإنها تعجبني ؟ قال « إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوته حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت » وقال له رجل : إن الإبل تعجبني فهل في الجنة من إبل ؟ فقال « يا عبدَ الله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك ») قال العراقي : رواه الترمذي من حديث بريدة مع اختلاف لفظه ، وفيه المسعودي مختلف فيه . ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ المصنف من رواية عبد

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة »، وقال رسول الله ﷺ:

الرحمن بن سابط مرسلاً. قال الترمذي: هذا أصح، وقد ذكر أبو موسى المديني عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن منده في الصحابة ولا تصح له صحبة اهـ.

قلت: حديث بريدة رواه الطيالسي وأحمد والترمذي والضياء من طريق المسعودي، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة عن أبيه ولفظه « إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء تطير بك في أي الجنة شئت إلا ركبت ». ورواه الترمذي من طريق الثوري عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط مرسلاً وقال: هذا أصح. ورواه عبد بن حميد وابن جرير من هذا الوجه وزادا، فقال اعرابي: أفي الجنة إبل فإني أحب الإبل فقال: « يا اعرابي إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك ». وروى الترمذي وضعفه والطبراني من حديث أبي أيوب بلفظ: « إن أدخلت الجنة لأتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت » ويروى من حديث عبد الرحمن بن ساعدة رواه الطبراني وابن قانع بلفظ « إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان يطير بك حيث شئت ». روياه من طريق خنيش بن الحرث عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن ساعدة وهو ساعدي صحابي. وقال أبو موسى في الذيل: هذا الحديث قد اختلف فيه على علقمة، فقيل: عنه هكذا أي عن عبد الرحمن بن سابط، وقيل: عن عبد الرحمن بن ساعدة، وقيل: عنه عن عمير بن ساعدة.

(**وقال أبو سعيد الخدري**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه**) وفي نسخة ونشأته (**في ساعة واحدة »**) العراقي: رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب قال: وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم: يكون في الجنة جماع ولا يكون ولد اهـ.

ولأحمد من حديث أبي رزين: « يلذوا بكم مثل لذاتكم في الدنيا ويتلذذون بكم غير أن لا توالد » اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وهناد والدارمي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن حبان والبيهقي في البعث ولفظهم: قلنا يا رسول الله إن الولد من قرة العين وتمام السرور، فهل يولد لأهل الجنة؟ فقال: « إن المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وشبه في ساعة كما اشتهى ». وروى ابن أبي شيبة والترمذي عن ابن عباس أنه سئل في الجنة ولد؟ قال: إن شاؤوا.

ومما يلحق بهذا ما رواه أبو الشيخ في العظمة من حديث أبي هريرة: « إذا دخل أهل الجنة الجنة مر رجل فقال: يا رب ائذن لي في الزرع فأذن له فيبذر حبه فلا يلتفت حتى يبدو كل سنبلة طولها اثنتا عشرة ذراعاً، ثم لا يبرح مكانه حتى يكون منه آكام مثل الجبال ».

« إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان إلى الاخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا يلتقيـان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول: يا أخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا »، وقال رسول الله ﷺ: « إن أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع ». وقال رسول الله ﷺ: « أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم

(وقال ﷺ: « **إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتقيان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا، فيقول: يا أخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا، فدعونا الله عز وجل فغفر لنا** ») قال العراقي: رواه البزار من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس وقال: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد تفرد به أنس اهـ.

والربيع بن صبيح ضعيف جداً. ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب مرسلاً دون ذكر أنس اهـ.

قلت: ورواه أبو الشيخ في العظمة، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في البعث، والخطيب وابن عساكر من حديث أنس، وفيه سعيد بن عبدالله بـن دينار الدمشقي مجهول، ولفظهم: « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير ذا إلى سرير ذا وسرير ذا إلى سرير ذا حتى يلتقيا. فيتكىء ذا ويتكىء ذا فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول: يا أخي تذكر يوم كنا في دار الدنيا في مجلس كذا، فدعونا الله عز وجل فغفر لنا ». وروى ابن مردويـه مـن حديث أبي أمامة: سئل النبي ﷺ هل تتزاور أهل الجنة؟ قال: « أي والذي بعثني بالحق إنهم ليتزاورون على النوق الرمك عليها حشايا الديباج يزور الأعلون الأسفلين ولا يزور الأسفلون الأعلين » قال: « هم درجات ». الحديث.

(وقال ﷺ: « **أهل الجنة جرد**) جمع أجرد من لا شعر له على بدنه (**مرد**) جمع أمرد من لا لحية له (**بيض**) الألوان (**جعاد**) جمع جعد وهو المجتمع الخلق (**مكحلون**) أي على أجفانهم سواد خلقي، (**أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع** ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث معاذ وحسنه دون قوله: بيض جعاد، ودون قوله: على خلق آدم الخ. ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة مختصراً: « أهل الجنة جرد مرد كحل » وقال غريب. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: « على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً » اهـ.

قلت: سياق المصنف لأبي بكر بن شيبة قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوله ستون ذراعاً في عرض

واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب » . وقال ﷺ : « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلف البعير المقتب وإذا طيرها كالبخت ، وإذا فيها جارية فقلت : يا جارية لمن أنت ؟ فقالت : لزيد بن حارثة ، وإذا في

سبعة أذرع » ومن هذا الوجه رواه أحمد وأبو الشيخ في العظمة ، ورواه ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب مرسلاً . وأما لفظ الترمذي مختصراً : « أهل الجنة جرد مرد كحل » وقال فيه إنه غريب فقد زاد فيه بعد قوله كحل « لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم » . وأما حديث معاذ عنده الذي أشار له العراقي فلفظه : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين » . ورواه كذلك أحمد والطبراني وروى الطبراني من حديث ابن مسعود بسند ضعيف : « أهل الجنة جرد مرد إلا موسى عليه السلام فإن له لحية تضرب إلى سرته » . ورواه أيضاً الديلمي من حديث جابر . وروى ابن منيع من حديث أبي هريرة وبسند صحيح : « أهل الجنة أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم ستين ذراعاً » وروى الطبراني والضياء من حديث أنس : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين » .

(**وقال رسول الله ﷺ : « أدنى أهل الجنة**) أي منزلة (**الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء**) وفي نسخة إلى صنعاء وهما موضعان بدمشق أو المراد بصنعاء صنعاء اليمن ، (**وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب** ») قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أبي سعيد مقطعاً من أوله إلى قوله : وإن عليهم التيجان منفرداً . ومن هنا بإسناد أيضاً وقال : لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد اهـ .

قلت : لفظ الترمذي : « أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء » . وهكذا رواه أحمد وابن حبان وأبو يعلى والضياء في صفة الجنة . وأما قوله وإن عليهم التيجان الخ . فرواه الترمذي والحاكم بإسناد فيه رشدين المذكور ، وقد تقدم للمصنف في ذكر لباس أهل الجنة . وروي مثل ذلك عنه في وصف الحور العين رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي في البعث وتقدم ذلك أيضاً .

(**وقال ﷺ : « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلف البعير المقتب**) الجلف : بكسر الجيم جلد الشاة والبعير نقله ابن الأنباري عن الأصمعي ، وقيل : هو الدن الفارغ والمقتب العظيم القتب وفي بعض النسخ كجلد ، (**وإذا طيرها كالبخت**) جمع بختي بالضم وهي العظيمة من الإبل ، (**وإذا فيها جارية فقلت : يا جارية لمن أنت ؟ فقالت : لزيد بن حارثة ، وإذا في**

الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ، وقال كعب : خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الجنة بيده ثم قال لها : تكلمي فقالت : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون : ١] .

الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ») قال العراقي : رواه الثعلبي في تفسيره من رواية أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد ، وأبو هارون واسمه عمارة بن جوين ضعيف جداً . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة : « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . اهـ .

قلت : عمارة بن جوين روى له البخاري في خلق أفعال العباد والترمذي وابن ماجه متروك ، ومنهم من كذبه مات سنة أربع وثلاثين ، وهذا السياق بتمامه رواه من هذا الوجه ابن عساكر في التاريخ ولفظه : « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب » الخ . ورواه ابن أبي حاتم مختصراً ولفظه : « كمثل البعير المقتب » . وروى ابن السني في الطب من حديث ابن عباس : « ما من رمانة من رمانكم هذه إلا وهي تلقح بحبة من رمان الجنة » . وروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن عباس أنه كان يأخذ الحبة من الرمان فيأكلها فقيل له : لم تفعل هذا ؟ قال : بلغني أنه ليس في الأرض رمانة تلقح إلا بحبة من الجنة فلعلها هذه . وروى الروياني وابن عساكر والضياء من رواية عبدالله بن بريدة عن أبيه رفعه : « دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة فقلت : لمن أنت قالت : لزيد بن حارثة . وقوله : « وإذا في الجنة ما لا عين رأت » الخ . رواه الطبراني من حديث سهل بن سعد « إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد » .

(وقال كعب) الأحبار رحمه الله تعالى : (خلق الله تعالى آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الجنة بيده ، ثم قال لها : تكلمي ، فقالت : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾) رواه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة قال : قال كعب : لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده ، ثم قال لها : تكلمي فقالت : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ لما علمت فيها من الكرامة . وقد روي ذلك مرفوعاً من حديث أنس : « خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده وقال لها : تكلمي ، فقالت : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ رواه ابن عدي والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات . ورواه الطبراني في السنة وابن مردويه من حديث ابن عباس مثله . وروى الديلمي من حديث الحرث بن نوفل : « خلق الله ثلاثة أشياء بيده : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده » . وروى الطبراني في السنة وتمام وابن عساكر من حديث ابن عباس : « خلق الله جنة عدن بيده خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها : تكلمي ، فقالت : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ فقال : وعزتي لا يجاورني فيك بخيل » . وروى ابن جرير عن مجاهد قال : « لما غرس الله الجنة نظر إليها فقال : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ وعن أبي العالية قال : لما خلق الله الجنة قال : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ وأنزل به قرآناً .

فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلاً.

وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جملتها فقال: إن رمانها مثل الدلاء، وإن أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الأحلام ولا تصدع منها الرؤوس، وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ملوك ناعمون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعاً في السماء، كحل جرد مرد قد أمنوا العذاب واطمأنت

(**فهذه صفات الجنة ذكرناها**) أولاً (**جملة، ثم نقلناها تفصيلاً، وقد ذكر الحسن**) البصري (**رحمه الله تعالى جملتها**) فيما رواه ابن جرير بسنده إليه (**فقال: إن رمانها مثل الدلاء**) جمع الدلو، رواه ابن أبي حاتم وابن عساكر من حديث أبي سعيد بلفظ: «كجلد البعير المقتب أو كجلف البعير المقتب». وتقدم قريباً. وروى نحو ذلك في حبة العنب، فروى أحمد في مسنده حديث الاعرابي الذي سأل النبي ﷺ عن الجنة هل فيها عنب؟ قال: «نعم» قال: ما عظم العنقود؟ قال: «مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يفتر» قال: فما عظم الحبة؟ قال: «هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً قال: نعم. قال: «فسلخ إهابه فأعطاه أمك وقال اتخذي لنا منه دلواً» قال: نعم. قال الاعرابي: فإن تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي؟ قال: نعم وعامة عشيرتك». وفي حديث سدرة المنتهى فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال وقد تقدم، (**وإن أنهارها لمن ماء غير آسن**) أي غير متغير ليس كمياه الدنيا، (**وأنهار من لبن لم يتغير طعمه**) أي ذوقه، (**وأنهار من عسل مصفى**) أي مخلص من الأوساخ (**لم يضعه الرجال**) بل خلقه الله تعالى هكذا في الجنة، (**وأنهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الأحلام**) أي لا تضعف العقول (**ولا تصدع منه الرؤوس**) كما أخبر الله بذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾ [محمد: ١٥] قال تعالى: ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ [الصافات: ٤٧] والغول: الاغتيال أي إن الخمر المذكور لا تغتال عقولهم ولا تغلب عليها. وقيل: الغول وجع البطن، وقيل: الصداع، وقيل الإثم. وقوله تعالى: ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ على قراءة من فتح الزاي هو السكر أيضاً ومن كسر الزاي فمعناه لا ينفد شرابهم، (**وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**). رواه الطبراني من حديث سهل بن سعد، والشيخان من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم. (**ملوك ناعمون**) رواه ابن وهب عن الحسن مرسلاً إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب وإذا رأيت، ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً. (**أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعاً في السماء**) رواه ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة وقد تقدم، (**كحل جرد مرد**) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وتقدم. (**قد أمنوا العذاب واطمأنت**

بهم الدار ، وإن أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد ، وإن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها إلا الله تعالى ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وإن لهم فيها خيلاً وإبلاً هفافة رحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وأزواجهم الحور العين كأنهم بيض مكنون ، وإن المرأة لتأخذ بين أصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة ، قد طهر الأخلاق من السوء والأجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوّطون وإنما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ، أما إنه ليس يكر الغدوّ على الرواح والرواح على

بهم الدار) وذلك قوله تعالى: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ [الدخان: ٥١] **(وإن أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد)** وبعضها على المسك الاذفر رواه معمر عن قتادة عن العلاء عن أبي هريرة موقوفاً درجها الياقوت ورضراض أنهارها اللؤلؤ قاله أبو نعيم في الحلية. **(وأن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها إلا الله تعالى)**. رواه ابن أبي شيبة من حديث سلمان نحوه. وقد تقدم وروى ابن المبارك عن ابن عباس **قال**: « نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكربها من ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة وثمرها أمثال القلال والدلاء » الحديث وتقدم والكرب: محركة أصول السعف. **(وأن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة)** رواه ابن أبي شيبة عن مجاهد إلا أنه قال: إنه ليوجد ريح المرأة من الحور العين من مسيرة خمسمائة سنة. وأما ريح الجنة فقد ثبت في صحيح البخاري أنها تنشق من مسيرة أربعين عاماً . وفي رواية للترمذي من مسيرة سبعين خريفاً وفي رواية للطبراني مسيرة مائة عام ، ويحتمل هذا الإختلاف أن يكون بحسب اختلاف إدراك أهل الجنة وتفاوت مراتبهم ، فمن كان أعل رتبة نشق من مسيرة خمسمائة عام ، ويحتمل غير ذلك ، والله أعلم.

(وأن لهم فيها خيلاً وإبلاً هفافة) أي سريعة السير **(رحالها وأزمتها)** وهذا راجع للإبل ، **(وسروجها)** وهذا راجع للخيل **(من ياقوت يتزاورون فيها)** بعضهم بعضاً . رواه عبد بن حميد والترمذي وابن جرير من مرسل عبد الرحمن بن سابط ، وأبو الشيخ في العظمة من حديث علي وقد تقدم. **(وأزواجهم)** فيها **(الحور العين كأنهن بيض مكنون)** كما في الكتاب العزيز ، **(وأن المرأة لتأخذ بين أصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة)** رواه ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة. ولفظ الصحيحين: « يرى مُخ ساقها من وراء اللحم » ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ: « حتى يرى مخ مساقها من وراء ذلك ». **(قد طهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من الموت)** كما قال تعالى: ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢٥] **(لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوّطون وإنما هو جشاء ورشح مسك)** كما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وتقدم ، **(لهم رزقهم فيها بكرة وعشياً)** يغدى عليهم ويراح كما هو في الكتاب العزيز ، **(أما إنه ليس يكر الغدوّ على الرواح**

الغدوّ، وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ، ويفسح له في بصره حتى ينظر إلى اقصاه كما ينظر إلى أدناه، يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون ليس في الأخرى ويجد طعم آخره كما يجد طعم أوّله وإن في الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب. وقال مجاهد: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وأرفعهم الذي ينظر إلى ربه بالغداة والعشي. وقال سعيد بن المسيب: ليس أحد من أهل

والرواح على الغدوّ) تقدم الكلام عليه، **(وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة)** أي بالنسبة إلى غيره وإلا فلا أدنى في الجنة **(ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عامة في قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه)** رواه أحمد من حديث ابن عمر بنحوه كما سيأتي قريباً. **(يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون ليس في الأخرى)** رواه الحاكم وصححه عن عبدالله بن عمر وقد تقدم. **(ويجد طعم آخره كما يجد طعم أوّله)** ورواه من أوّل قوله: وإن آخر من يدخل إلى هنا عبد بن حميد عن عكرمة وتقدم، **(وإن في الجنة لياقوته فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فها صدع ولا ثقب)**. رواه ابن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن هشام عن حميد بن هلال عن بشير بن كعب قال، قال كعب: إن في الجنة ياقوتة ليس فيها صدع ولا وصل فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألفاً من الحور العين لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل أو محكم في نفسه. قال: قلنا يا كعب وما المحكم في نفسه؟ قال: الرجل يأخذه العدوّ فيحكمونه بين أن يكفر أو يلزم الإسلام فيقتل فيختار الإسلام. وهذا آخر سياق الحسن البصري رحمه الله تعالى.

(وقال مجاهد) رحمه الله: **(أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وأرفعهم)** منزلة **(الذي ينظر إلى ربه)** عز وجل **(بالغداة والعشي)** روي نحو هذا مرفوعاً من حديث ابن عمر بلفظ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر أزواجه وخدمه وسرره وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين» رواه أحمد وأبو الشيخ في العظمة والحاكم، ورواه الترمذي والطبراني بلفظ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ ﴿وجوه يومئذ ناضرة ★ إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

(وقال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب

الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة، سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن في الجنة حوراء يقال لها: العيناء إذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟ وقال يحي بن معاذ: ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة. وقال أيضاً في طلب الدنيا ذل النفوس، وفي طلب الآخرة عز النفوس، فيا عجب لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى.

ولؤلؤاً﴾ [الحج: ٢٣] (**ليس أحد من أهل الجنة إلا في يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من لؤلؤ، وسوار من فضة**) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر**)؟ وقد جاء ذكر العيناء في كتاب الزهد لهناد بن السري، فروى بسنده إلى ثابت البناني قال: كنت عند أنس بن مالك فقدم عليه ابن له من غزاة يقال له أبو بكر فسأله، ثم قال: ألا أخبرك عن صاحبنا فلان؟ بينما نحن في غزاتنا إذ ثار وهو يقول واأهلاه واأهلاه فنزلت إليه وظننا أن عارضاً عرض له. فقلنا له، فقال: إني كنت أحدث نفسي أن لا أتزوج حتى استشهد فيزوجني الله من الحور العين، فلما طالت عليّ الشهادة حدثت نفسي في سفري إن أنا رجعت تزوّجت فأتاني آتٍ في منامي فقال: أنت القائل إن أنا رجعت تزوّجت قم، فإن الله قد زوّجك العيناء فانطلق إلى روضة خضراء معشبة فيها عشر جوار بيد كل واحدة صنعة تصنعها لم أر مثلهن في الحسن والجمال. قلت: فيكن العيناء؟ قلن: نحن من خدمها وهي أمامك، فانطلقت فإذا بروضة أعشب من الأولى وأحسن فيها عشرون جارية في يد كل واحدة صنعة تصنعها ليس العشر إليهن بشيء من الحسن والجمال. قلت: فيكن العيناء؟ قلن: لا نحن من خدمها وهي أمامك فانطلقت فإذا أنا بياقوته مجوّفة فيها سرير عليه امرأة قد فضل جنبها عن السرير، فقلت: أنت العيناء؟ قالت: نعم مرحباً وذهبت لأضم يدي عليها فقالت: مه إن فيك شيئاً من الروح بعد، ولكن فطرك عندي الليلة فما فرغ الرجل من حديثه حتى نادى مناد: يا خيل الله اركبي فجعلت أنظر إلى الرجل وأنظر إلى الشمس ونحن مصافو العدوّ. واذكر حديثه فما أدري أيهما بدر رأسه أو الشمس سقطت أولاً فقال: أنس رحمه الله.

(**وقال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد، وترك الدنيا مهر الآخرة. وقال**) رحمه الله (**أيضاً في طلب الدنيا ذل النفوس، وفي طلب الجنة عز النفوس، فيا عجباً لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى، ويترك العز في طلب ما يبقى**). قال صاحب حادي القلوب وعلى كل حال فأهل الجنة ملوك وأي ملوك، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ [الإنسان: ٢٠] فتستغلي هذا الملك بما

صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى:

قال الله تعالى: ﴿للذِينَ أحسنُوا الْحُسنى وزيادةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة ـ وقد

فيه ما لا تصل إليه الأماني ولا تبلغه الشهوات ببذل الروح بالموت؟ لا والله هذا والله هو المطلب الأعز والوصل والأخص والقرب الأنفس، كيف بك أيها المؤمن وقد أخذت مداركك كلها مآربها على حسبها، وانتهيت إلى حضرة المواصلة ونلت منها معالي رتبها وحصلت على رضا محبوبك عنك على الدوام، وبلغت ما لم تبلغ حصره المبالغات ولا تحيط بكنهه الأحلام لقد حق لي أن أقول:

شراً مثل هذا الوصل بالموت لا يغلو وكل عناء دون هذا المنى يحلو
إذا كانت العقبي وصالاً وقربة وودّاً وتكريماً فكل عنا سهلُ

اهـ.

قلت: وزاد الشيخ موفق الدين بالمحلة على هذين فقال:

وأي عنا يبقى إذا انكشف الغطاء وقد زالت الآلام واتسع الفضلُ
وشاهدت من يهواه قلبي جهرة وبالأهل والأحباب قد جمع الشملُ
فلست أخاف الموت كلا وأنه لقصدي من الرحمن كي يصل الوصلُ

صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى:

(**قال الله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾**) ولا يرهق وجوههم قترٌ ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ [يونس: ٢٦] (**وهذه الزيادة**) على الحسنى (**هي النظر إلى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة**)، وذلك إذا أشرف عليهم الحق وقال لهم: سلام عليكم يا أهل الجنة ويرونه عياناً، فهذا أجل ما يرد عليهم من المنح النفيسة في الجنة إذ يدعون إلى حضرة قربه ومشهد قدسه وتنصب لهم منابر بين يديه ويشاهدونه كما يشاهد أحدنا القمر ليلة البدر، وتتشنف أسماعهم بكلامه سبحانه لهم وقراءته عليهم وتودده إليهم. وقد روى الشافعي في مسند حديثاً في فضل يوم الجمعة ذكر فيه أن جبريل سمى يوم الجمعة يوم المزيد، وأن النبي ﷺ قال: «يا جبريل وما يوم المزيد»؟ قال إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كثب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من الملائكة وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله: أنا ربكم قد صدقتم وعدي فسلوني أعطيكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك فيقول: قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنيتم ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة مما يعطيهم فيه ربهم من الخير.

وروى أبو نعيم بسنده: إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول: إن الله يأمركم أن تزوروه

ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة ـ وقد شهد لها الكتاب والسنَّة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة. قال جرير بن عبدالله البجلي: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا »، ثم قرأ: ﴿ فسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غُرُوبها ﴾ [طه: ١٣٠]، وهو مخرج في الصحيحين.

فيجتمعون فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد قالوا: يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال: « زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون » فيقولون: لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم فيخرون سجداً فيقال لهم: لستم في دار عمل إنما أنتم في دار جزاء.

(وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة، وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة) من المعتزلة والجهمية.

أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة★ إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وقوله تعالى: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] خبر فيه عن الكفار أنهم محجوبون عن رؤيته فدل على أن المؤمنين ينظرون إلى الله تعالى وإنهم غير محجوبون عن رؤيته. وقوله تعالى: ﴿ تحيتهم يوم يلقونهم سلام﴾ [الأحزاب: ٤٤] ومعلوم أن اللقاء ههنا لا يكون إلا عن معاينة يراهم الله ويرونه ويسلم عليهم ويكلمهم ويكلمونه وغير ذلك.

وأما السنة فقد أشار إليه بقوله: **(قال جرير بن عبدالله البجلي:)** يوسف هذه الأمة رضي الله عنه **(كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر)** أي ليلة تمامه وكماله وهي ليلة أربع عشر من الشهر **(فقال: « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون)** بضم الميم المشددة يروى بالتخفيف **(في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا »)** هما صلاة الغداة والعصر. **(ثم قرأ ﴿ فسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ وهو مخرج في الصحيحين)** وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان ولفظ الجميع: « سترون ». ورواه الطبراني مختصراً ولفظه: « أنكم سترون ربكم يوم القيامة عياناً » قال الطبراني ولفظه: عياناً زائدة تفرد بها أبو شهاب الحناط وهو حافظ متقن من ثقات المسلمين.

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى في كتاب الشريعة: حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحي الحلواني، حدثنا محمد بن الص ح، حدثنا وكيع بن الجراح، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس ابن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: « إنكم ستعرضون على ربكم عز وجل فترونه كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ».

وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿للذين أحسنُوا الحسنى وزيادة﴾ قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه قالوا: ما هذا الموعد؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ » قال: « فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وقد روى

حدثنا أبو بكر بن أبي داود، وحدثنا أحمد بن سنان، حدثنا يزيد بن هارون ويعلى ومحمد ابنا عبيد الطنافسي، عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبدالله البجلي قال: كنا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: « إنكم راؤون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

حدثنا أبو بكر النيسابوري، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا روح، حدثنا شعبة قال: سمعت إسماعيل بن أبي خالد، سمعت قيس بن أبي حازم، سمعت جرير بن عبد الله يقول: كنا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: « إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته إن استطعتم أن لا تغلبوا على هاتين الصلاتين قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » ثم تلا هذه الآية: ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾.

حدثنا أبو بكر بن أبي داود، حدثنا عبدة بن عبد الله حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة بن قدامة، عن بيان، عن قيس بن أبي حازم، حدثنا جرير بن عبدالله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر قال: ونظر إلى القمر فقال: « إنكم ترون ربكم عز وجل يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ».

(وروي مسلم في الصحيح عن صهيب) بن سنانٍ رضي الله عنه **(قال: قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم موعداً يريد أن ينجزكموه » قالوا: ما هذا الموعد ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: « فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه »)**.
ورواه كذلك الطيالسي وهناد وأحمد والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والدارقطني في الرؤية وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات. وعند بعضهم: « فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقرّ لأعينهم ». ورواه الآجرى في الشريعة من طريق الطيالسي وهناد وعند هناد بعد قوله من النظر إليه وهي الزيادة وعند الطيالسي قال: فيتجلى لهم فينظرون إليه.

حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من التنعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى، بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء. وقد أوجزنا في الكلام هنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق والرضا فلا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى. وأما سائر نعيم الجنة فإنه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى.

(**وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة**) رضوان الله عليهم، ومن بعدهم من الاتباع وأتباعهم حتى وصل إلينا ذلك، وقبلها العلماء منهم أحسن القبول كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وعلم الحلال والحرام، كذا قبلوا منهم الأخبار: إن المؤمنين يرون الله عز وجل لا يشكون في ذلك، ثم قالوا: من رد هذه الأخبار فقد كفر.

قال الآجري في الشريعة: حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي، حدثنا محمد بن سليمان لوين قال قيل لسفيان بن عيينة: هذه الأحاديث التي تروى في الرؤية فقال: حق على ما سمعناها ممن نثق به.

وحدثنا جعفر بن محمد الصفدي، حدثنا الفضل بن زياد، سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله عز وجل لا يرى في الآخرة فغضب غضباً شديداً ثم قال: من قال إن الله عز وجل لا يرى في الآخرة فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس، أليس الله عز وجل قال: ﴿وجوه يومئذ ناضرة★ إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل نحو ذلك. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام وذكرت عنده أحاديث الرؤية هذه عندنا حق نقلها الناس بعضهم عن بعض.

(**وهذه**) أي الرؤية (**غاية الحسنى ونهاية النعماء وكل ما فصلناه من التنعم**) لأهل الجنة في الجنة (**عند هذه النعمة ينسى**) ويترك، (**وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى، بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء، وقد أوجزنا في الكلام ههنا لما فصلناه في كتاب المحبة والرضا**) فاكتفينا به، (**فلا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى**) جل وعز، (**فأما سائر نعم الجنة فإنه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى**).

ولنذكر من روى في إثبات الرؤية واللقاء والنظر إليه تعالى في دار الآخرة للمؤمنين من الصحابة ومن بعدهم من أتباعهم ومن جاء بعدهم من الأئمة، فاعلم أن أحاديث الرؤية رواها جلة من الصحابة رضي الله عنهم منهم: جابر بن عبدالله، وصهيب بن سنان، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو رزين العقيلي، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، وأنس بن مالك، وابن عمر، وعدي بن حاتم، وكعب بن عجرة، وأبي بن كعب بحديث جابر وصهيب ذكره المصنف، واقتصر على الحديثين المذكورين لكونهما في الصحيحين، وحديث أبي هريرة رواه الفريابي وأبو بكر بن أبي

....

داود والآجري وأبو الشيخ، وحديث أبي سعيد وأبي رزين رواهما أبو بكر بن أبي داود والآجري، وحديث أبي موسى الأشعري رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني في الرؤية وابن مردويه، وله سياق آخر سيأتي للمصنف في آخر الكتاب. وحديث ابن مسعود والآجري، وحديث ابن عباس رواه أبو بكر بن أبي داود والآجري. وحديث أنس رواه الشافعي في المسند وأبو الشيخ وابن منده في الرد على الجهمية والدارقطني والآجري وابن مردويه والخطيب وابن النجار. وحديث ابن عمر هو حديث النجوى قد تقدم للمصنف، وحديث عدي بن حاتم تقدم للمصنف أيضاً وفي آخره «اتقوا النار ولو بشق تمرة». وحديث كعب بن عجرة رواه ابن جرير وابن مردويه واللالكائي في السنة والبيهقي في كتاب الرؤية. وحديث أبي بن كعب رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني في الرؤية وابن مردويه واللالكائي والبيهقي.

وأما آثار الصحابة؛ فروي في ذلك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في الآية: الحسنى الجنة. والزيادة النظر إلى وجه الله رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن خزيمة وابن المنذر وأبو الشيخ والدارقطني وابن منده وابن مردويه واللالكائي والآجرى والبيهقي كلهم من طريق عامر بن سعد البجلي عنه. وعن علي رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن مردويه من طريق الحارث عنه. وعن حذيفة رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن أبي شيبة وهناد وابن حرير وابن المنذر وأبو الشيخ والدارقطني واللالكائي والآجرى والبيهقي من طريق مسلم بن نذير عنه. وعن ابن عباس رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي، وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن أبي حاتم واللالكائي.

وأما من بعدهم، فقد روي عن محمد بن كعب القرظي أنه قال في قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة﴾ قال: نضرها الله تعالى وحسنها للنظر إليه رواه أبو بكر بن أبي داود والآجري من طريق موسى بن عبيدة عنه. وقال الحسن البصري: أي نظرت إلى ربها عز وجل فنضرت لنوره رواه أبو بكر بن أبي داود من طريق المبارك عنه. وقال عكرمة تنظر إلى ربها عز وجل نظراً رواه الآجري من طريق يزيد النحوي عنه. وقال قتادة في الآية: الزيادة النظر إلى وجه الله رواه أبو الشيخ ويروى عنه أنه قال: وأما الزيادة فهي النظر إلى وجه الرحمن قال: فيتجلى لهم حتى ينظروا إليه رواه ابن جرير والدارقطني. وقال عامر بن سعد البجلي: الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل رواه ابن جرير والدارقطني. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: الزيادة نظرهم إلى ربهم عز وجل. رواه ابن جرير والدارقطني.

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثني مضر القاري، حدثنا عبد الواحد بن زيد قال: سمعت الحسن يقول: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم عز وجل لذابت أنفسهم في الدنيا

نختم الكتاب بباب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك:

فقد كان رسول الله ﷺ يحب الفأل، وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة

وروى الآجري من طريق هشام بن حسان عن الحسن قال: إن الله عز وجل ليتجلى لأهل الجنة فإذا رأوه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة.

وروى أبو بكر بن أبي داود من طريق عبدالله بن الحارث عن كعب الأحبار قال: ما نظر الله عز وجل إلى الجنة قط إلا قال: طيبي لأهلك فزادت ضعفاً على ما كانت حتى يأتيها أهلها، وما من يوم كان لهم عيداً في الدنيا إلا يخرجون في مقداره في رياض الجنة، فيبرز لهم الرب عز وجل فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح بالمسك والطيب ولا يسألون ربهم شيئاً إلا أعطاهم. الحديث.

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا عبدالله بن وهب قال: قال مالك ابن أنس رحمه الله: الناس ينظرون إلى الله عز وجل يوم القيامة بأعينهم.

وقال الآجري: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، حدثنا عبد الوهاب الوراق قال: قلت للأسود بن سالم: هذه الآثار التي تروى في معاني النظر إلى الله عز وجل ونحوها من الأخبار فقال: نحلف عليها بالطلاق والمشي. قال عبد الوهاب: معناه نصدق بها.

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا حنبل بن إسحاق بن حنبل قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: قالت الجهمية: إن الله عز وجل لا يرى في الآخرة. وقال الله عز وجل: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] ولا يكون هذا إلا أن الله عز وجل يرى. وقال عز وجل: ﴿وجوه يومئذ ناضرة★ إلى ربها ناظرة﴾ فهذا النظر إلى الله عز وجل. والأحاديث رويت عن النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم» بروايات صحيحة وأسانيد غير مدفوعة، والقرآن شاهد أن الله عز وجل يرى في الآخرة. قال الآجري: فمن رغب عما كان عليه هؤلاء الأئمة، وخالف الكتاب والسنة ورضي بقول جهم وبشر المريسي وأشباههم فهو كافر بأمور كثيرة مما يجب عيه الإيمان به، والله أعلم.

نختم الكتاب بباب في ذكر سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك:

(**فقد كان رسول الله ﷺ يحب الفأل**) وهو مهموز يجوز التخفيف هو أن تسمع كلاماً حسناً فتتيمن به وإن كان قبيحاً فهو الطيرة، وجعل أبو زيد الفأل في سماع الكلامين. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس في أثناء حديث: «ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة» ولهما من حديث أبي هريرة: «وخيرها الفأل» قالوا. وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم» اهـ.

قال الحليمي: الفرق بين الفأل والطيرة أن الطيرة سوء ظن بالله من غير سبب ظاهر يرجع الظن إليه، والتيمن بالفأل حسن ظن بالله وتعليق تجديد الأمل به وذلك بالإطلاق محمود.

فنقتدي برسول الله ﷺ في التفاؤل، ونرجو أن يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى. فقد قال الله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ لا يغفِرُ أنْ يُشرَك بهِ ويغفِرُ ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء : ٤٨]، وقال تعالى: ﴿قُل يا عبادِي الذين أسرَفوا على أنفُسِهم لا تقنطُوا من رحمةِ الله إن اللهَ يغفُر الذنوبَ جميعاً إنهُ هو الغفورُ الرحيم﴾ [الزمر : ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ومَنْ يَعملْ سُوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفِـر الله يجِد اللهَ غفُوراً رحيماً﴾ [النساء : ١١٠].

ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا، ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا، ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه

وروى ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة: « كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة » قال الحافظ في الفتح: إسناد حسن.

وروى أبو داود من طريق وهيب بن سهيل عن رجل عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فاعجبته فقال: « أخذنا ذلك من فيك ».

وروى العسكري في الأمثال والخلعي في فوائده من طريق محمد بن يونس، حدثنا عون بن عمارة، حدثنا السري بن يحيي، عن الحسن عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن فسمع علياً يوماً يقول: هذه خضرة فقال: « لبيك قد أخذنا فألك من فيك فاخرجوا بنا إلى خضرةِ » قال: فخرجوا إلى خيبر فما سل فيها سيف إلا سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه. زاد العسكري حتى فتحها الله عز وجل.

ومن كلمات الصوفية: ألسنة الخلق أقلام الحق، ومن قول العامة: مصر بأفواهها، **(وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة)** لذنوبنا وتقصيراتنا، **(فنقتدي برسول الله ﷺ في التفاؤل)**. فقد روى أحمد والطبراني من حديث ابن عباس: كان يتفاءل ولا يتطير، وكان يحب الاسم الحسن. **(ونرجو أن يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة، كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وقال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً أنه هو الغفور الرحيم﴾ وقال تعالى: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾)**.

(ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زل به القدم أو طغى به القلم في كتابنا هذا) المسمى بالإحياء، **(وفي سائر كتبنا)** التي ألفناها قبل هذا أو سنؤلفه فيما بعد، **(ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع**

من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه، ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره، ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصّرنا في الوفاء به، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته، ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به، ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه أو استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا، ولمن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً وباطناً فإن الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض. ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه. فقد قال رسول الله ﷺ: « إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون

التقصير فيه، ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره، ونستغفره من كل وعد وعدناه من أنفسنا ثم قصرنا في الوفاء به، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته، ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به، ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه وكلام نظمناه أو علم افدناه أو استفدنا، ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا) مطالعة استفادة واعتبار، **(أو كتبه)** لنفسه أو لغيره، **(أو سمعه)** من لسان آخر في تدريس أو مذاكرة ويدخل في قوله أو كتبه من خدمه بتخريج أخباره وآثاره وشرح كلماته وفك رموزه وأسراره أو بحسن ترتيبه واختصاره **(أن يكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً وباطناً)**. وقد شملتنا بحمد الله تعالى هذه الدعوة الطاهرة، وارجو من الله تعالى أن أكون من جملة من عني به المصنف، وقد كان مجاب الدعوة مقبول الشفاعة. وذكر غير واحد أن من توسل به إلى الله تعالى في حاجة قضيت له، وها أنا متوسل به إلى المولى جل شأنه أن يعيد عليّ وعلى سائر المؤمنين من بركات هذا الكتاب ومؤلفه، ويميتنا على كلمة الإخلاص، وأن يغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر، ويرحم فقرنا ويجبر كسرنا، وينور قبورنا ويثبتنا عند السؤال ويؤنسنا في وحشة القبور ويؤمننا يوم البعث والنشرو ويوفقنا لحسن طاعته ويدخلنا في شفاعة حبيبه محمد ﷺ وشفاعة خواص أمته، وأن يدخلنا الجنة ويرفع درجاتنا فيها، ويجمع شملنا هناك بأحبابنا ويقر أعيننا برضاه عنا ويرينا وجهه الكريم، **(فإن الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض، ونحن خلق الله لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه، فقد قال رسول الله ﷺ: « إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها**

وبها يتراحمون وأخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ».

يتراحمون وأخَّرَ تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وسلمان اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه بعد قوله: يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها والباقي سواء.

ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ: « إن لله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا فمن ثم يعطف الرجل على ولده والطير على فراخه، فإذا كان يوم القيامة صيّرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق ».

ورواه الحاكم بلفظ: « إن لله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة بين أهل الدنيا فوسعتهم إلى آجالهم وأخَّرَ تسعا وتسعين رحمة لأوليائه وأن الله قابض تلك الرحمة التي قسمها بين أهل الدنيا إلى التسع والتسعين فيكملها مائة رحمة لأوليائه يوم القيامة ».

وروى مسدد في مسنده من حديث سلمان بلفظ: « إن لله مائة رحمة منها رحمة تتراحم بها الخلق وتسعة وتسعين ليوم القيامة » ورواته ثقات.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن داود، عن أبي عثمان، عن سلمان قال: « خلق الله مائة رحمة فجعل منها رحمة بين الخلائق كل رحمة أعظم مما بين السماء والأرض فيها تعطف الوالدة على ولدها، وبها يشرب الطير والوحش الماء، فإذا كان يوم القيامة قبضها الله من الخلائق فجعلها، والتسع والتسعين للمتقين فذلك قوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ [الاعراف: ١٥٦] » هكذا رواه موقوفاً. ورواه الحاكم بنحوه من حديث أبي هريرة. ورواه الشيخان من حديث أبي هريرة: « خلق الله مائة رحمة فوضع رحمة واحدة بين خلقه يتراحمون وخبأ عنده مائة إلا واحدة ».

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة فجعل في الأرض منها رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والبهائم بعضها على بعض، وأخَّر تسعاً وتسعين إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة رحمة ». ومن هذا الوجه رواه أحمد وابن ماجه والضياء. ورواه أحمد ومسلم وابن حبان من حديث أبي هريرة بزيادة: « كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض » والباقي سواء.

وروى الشيخان من حديث أبي هريرة: « إن الله عز وجل خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة أرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار ».

ويروى انه إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتاباً من تحت العرش فيه : « إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة » ، وقال رسول الله ﷺ :

وروى الطبراني من حديث ابن عباس : « إن الله تعالى خلق مائة رحمة رحمة منها قسمها بين الخلائق وأخر تسعاً وتسعين إلى يوم القيامة » .

وروى تمام في فوائده وابن عساكر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رفعه : « إن الله خلق مائة رحمة فبث بين خلقه رحمة واحدة فهم يتراحمون بها وادخر عنده لأوليائه تسعاً وتسعين » . ورواه الطبراني بنحوه .

تنبيه :

قال التوربشتي : رحمة الله تعالى غير متناهية فلا يعتورها التقسيم والتجزئة ، وإنما قصد من ذكره ضرب المثل للأمة ليعرفوا التفاوت بين القسطين قسط أهل الإيمان منها في الآخرة ، وقسط كافة المربوبين في الأولى ، فجعل مقدار حظ الفئتين من الرحمة في الدارين على الأقسام المذكورة تنبيهاً على المستعجم وتوقيفاً على المستفهم ، ولم يرد به تحديد ما قد جل عن الحد أو تعديد ما تجاوز العد اهـ .

وقال المهلب : الرحمة رحمتان : رحمة من صفة الذات وهي لا تتعدد ، ورحمة من صفة الفعل وهي هذه . وقال العارف البوني رحمه الله تعالى : الذاتية واحدة ورحمته المتعدية متعددة وهي كما في هذا الخبر مائة ، ففي الأرض منها واحدة يقع بها الارتباط بين الأنواع ، وبها يكون حسن الطباع والميل بين الجن والإنس والبهائم كل شكل إلى شكله ، والتسعة والتسعون حظ الإنسان يوم القيامة تتصل بهذه الرحمة فتكمل مائة فيصعد بها في صرح الجنة حتى يرى ذات المرحم ويشاهد رحمته الذاتية .

(ويروى أنه إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتاباً من تحت العرش فيه : « إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين ، فيخرج من النار مثلا أهل الجنة ») قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة : « لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي » لفظ البخاري . وقال مسلم : « كتب في كتابه على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي » اهـ .

قلت : ولفظ البخاري رواه أيضاً أحمد والدارقطني في الصفات وفي رواية : كتب في كتابه فهو عنده ، وفي أخرى : غلبت بدل سبقت وقد رواه مسلم كذلك . وروى الدارقطني بلفظ : « لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي » وفي المقاصد للسخاوي : « إن رحمتي تغلب غضبي » متفق عليه من حديث المغيرة بن عبد الرحمن الخرابي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رفعه قال : « لما قضى » ولفظ آخر لمسلم : « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي » ولفظ مسلم : « تغلب غضبي » وهو عند البخاري فقط من حديث مالك عن أبي الزناد بلفظ : « إن رحمتي سبقت غضبي » وعند مسلم من حديث ابن عيينة عن أبي الزناد : « قال الله سبقت رحمتي غضبي » وممن رواه عن أبي هريرة أبو صالح وعطاء بن مينا اهـ .

« يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول : أبشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً » ، وقال النبي ﷺ : « يشفع الله

وروى الديلمي من حديث معاذ : « إن الله تعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع : يا عبادي أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » الحديث .

(وقال رسول الله ﷺ : « يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول : ابشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً) قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي موسى : « إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فداؤك من النار » ولأبي داود : « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة » الحديث . فأما أوّل الحديث ، فرواه الطبراني من حديث أبي موسى أيضاً : « يتجلى الله ربنا لنا ضاحكاً يوم القيامة حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجداً ، فيقول : ارفعوا رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة » وفيه علي بن زيد بن جدعان اهـ .

قلت : لفظ مسلم : « إذا كان يوم القيامة أعطى الله كل رجل من هذه الأمة ، رجلاً من الكفار فيقال له : هذا فداؤك من النار » وسيأتي للمصنف . ولفظ الطبراني في الكبير والأوسط : « إذا كان يوم القيامة أعطى الله إلى كل مؤمن ملكاً معه كافر فيقول الملك للمؤمن : هاك هذا الكافر ، فهذا فداؤك من النار » . وكذلك رواه الحاكم في الكنى .

وأما أول الحديث ، فرواه الطبراني في الكبير ، والدارقطني في الصفات : « يتجلى لنا ربنا ضاحكاً يوم القيامة » .

وأما تمام الحديث فأخرجه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة فقال : حدثنا أبو الفضل جعفر ابن محمد الصندلي ، حدثنا زهير بن محمد المروزي ، حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن يزيد ، عن عمارة القرشي عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله عز وجل الخلق يوم القيامة في صعيد واحد فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحموهم النار ، ثم يأتينا ربنا تبارك وتعالى ونحن على مكان رفيع فيقول : من أنتم ؟ فنقول : نحن المسلمون . فيقول : ما تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر ربنا عز وجل ، فيقول : هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم . فيقول : كيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون : إنه لا عدل له فيتجلى لهم ضاحكاً فيقول : أبشروا معاشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً » . وهكذا رواه أحمد . وعلي بن زيد هو ابن جدعان فهذا الذي سقناه هو الأقرب إلى سياق المصنف من الحديث الذي ساقه العراقي من عند الطبراني .

وقوله : ولأبي داود : « أمتي أمة مرحومة » الحديث . قلت : الذي رواه أبو داود من حديث أبي موسى : « أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل

تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف » وقال ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين : هل أحببتم لقائي ؟ فيقولون : نعم يا ربنا ، فيقول : لِمَ ؟ فيقولون : رجونا عفوك ومغفرتك . فيقول : قد أوجبت لكم مغفرتي » ، وقال ﷺ : « يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في

والقتل والبلايا » وكذلك رواه الطبراني والحاكم، ولا يخفى أن هذا السياق لا يناسب هنا ، وإنما المناسب ما رواه الخطيب في المتفق والمفترق، وابن النجار من حديث ابن عباس بسند ضعيف: « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة إذا كان يوم القيامة أعطى الله كل رجل من أمتي رجلاً من أهل الأديان، فكان فداءه من النار » .

والحديث الذي ساقه العراقي من عند الطبراني؛ فقد روي أيضاً من حديث جابر بنحوه أخرجه الآجري في الشريعة من طريق الحسن عنه وفيه: « فيتجلى لهم الجبار جل وعز فإذا رأوه خروا له سجداً فيقول لهم الجبار عز وجل: ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم عمل إنما هو يوم نعيم وكرامة » الحديث . وفي رواية له: « ثم يأتون الجبار عز وجل فإذا تجلى لهم خروا له سجداً فيقول لهم الجبار عز وجل: يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فإن هذه ليست بدار عمل إنما هي دار مقامة ودار نعيم » الحديث .

(وقال النبي ﷺ : « يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف ») قال العراقي : رواه الطبراني من حديث أنس بإسناد ضعيف انتهى .

قلت : وروى الطبراني أيضاً من طريق يزيد الرقاشي عن أبي هريرة رفعه : « آدم أكرم البشر فيعذر الله تعالى إليه يوم القيامة بثلاثة معاذير » فساقه وفيه : « ويقول له : يا آدم قد جعلتك حكماً بيني وبين ذريتك قم عند الميزان وانظر إلى ما يرفع إليك من أعمالهم فمن رجح خيره مثقال ذرة فله الجنة » الحديث . ورواه ابن عساكر من رواية الفضل بن عيسى الرقاشي ، عن الحسن ، عن أبي هريرة : « يعتذر الله إلى آدم يوم القيامة ثلاث معاذير » الحديث . ويزيد والفضل ضعيفان . ورواه ابن عساكر أيضاً عن سعيد بن أنس عن الحسن قوله .

(وقال ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين : هل أحببتم لقائي ؟ فيقولون : نعم يا ربنا . فيقول : لم ؟ فيقولون : رجونا عفوك ومغفرتك . فيقول قد أوجبت لكم مغفرتي ») قال العراقي : رواه أحمد والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف .

(وقال ﷺ : « يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام ») قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أنس وقال : حسن غريب اهـ .

قلت : وكذلك رواه ابن خزيمة والحاكم ولفظهم : « في مقامي » ورواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر والبيهقي وقالا في مقام ولم يقولا يوم القيامة ، وفيه : مبارك بن فضالة وثقه جماعة وضعفه النسائي .

مقام »، وقال رسول الله ﷺ : « إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى فيقولون: ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار؟ فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون، فإذا رأى ذلك الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ربما يودُّ الذينَ كفرُوا لو كانُوا مسلمين﴾ [الحجر: ٢]. وقال رسول الله ﷺ : « لله

(وقال رسول الله ﷺ : « إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين! قالوا: بلى. فيقولون: ما أغنى عنكم إسلامكم إذا أنتم معنا في النار؟ فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا، فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون، فإذا رأى ذلك الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين») . قال العراقي: رواه النسائي في الكبري من حديث جابر نحوه بإسناد صحيح اهـ.

قلت: سياق المصنف رواه ابن أبي عاصم في السنة وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في البعث من حديث أبي موسى الأشعري وفيه: « فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم » وفيه: ثم قرأ رسول الله ﷺ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ★ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ★ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ » [الحجر: ١، ٢] والباقي سواء. وقد أخرجه كذلك الطبراني في الأوسط، وابن مردويه بسند صحيح.

وأما حديث جابر الذي أشار إليه فلفظه: « إن أناساً من أمتي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيروهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله من النار، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ ».

وقد روي ذلك من حديث أبي سعيد وعلي بن أبي طالب وأنس بن مالك: فحديث أبي سعيد رواه إسحاق ابن راهويه وابن حبان والطبراني وابن مردويه أنه سئل هل سمعت من رسول الله ﷺ في هذه الآية شيئاً ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ قال: نعم سمعته يقول: « يخرج الله ناساً من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم لما أدخلهم الله مع المشركين قال لهم المشركون: ألستم كنتم تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا فما بالكم معنا في النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم ». فذلك قول الله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ قال: « فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في

....

وجوههم، فيقولون: ربنا أذهب عنا هذا الاسم فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم».

وأما حديث علي بن أبي طالب؛ فرواه ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة ولفظه: «إن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون بالحميم ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد، وصورهم على النار من أجل السجود، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه إلى عقيبة، ومنهم من تأخذه إلى فخذيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج منها، ومنهم من يمكث فبها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فبها مكثاً بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى، فإذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء فيغضب الله لهم غضباً لم يغضبه بشيء فيما مضى فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراط، فينبتون فيها نبات الطراثيث في حميل السيل، ثم يدخلون الجنة مكتوب في جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن، فيمكثون في الجنة ما شاء الله أن يمكثوا، ثم يسألون الله أن يمحو ذلك الاسم عنهم، فيبعث الله ملكاً فيمحوه، ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار فيطبقونها على من بقي فيها يسمرونها بتلك المسامير فينساهم الله على عرشه، ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين»﴾.

وأما حديث أنس، فاخرجه هناد والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية ولفظه: «إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغني عنكم قول لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار؟ فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحياة فيبرأون من حدقهم كما يبرأ القمر من خسوفه، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين».

وقال ابن عباس: ما يزال الله يشفع ويدخل الجنة ويشفع ويرحم حتى يقول: من كان مسلماً فليدخل الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ رواه سعيد بن منصور وهناد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث. وروي عنه أن تذاكر وأنس هذه الآية فقال: هذا حيث يجمع الله بهن أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار، فيقول المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون؟ فيغضب الله لهم فيخرجهم بفضل رحمته. رواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث.

وعن مجاهد في قوله: ﴿ربما يوم الذين كفروا لو كان مسلمين﴾ قال: إذا خرج من النار من قال لا إله إلا الله. رواه هناد بن السري في الزهد.

أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها »، وقال جابر بن عبدالله: من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة. وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره.

ويروى أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام: يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه. وقال سعد بن بلال: يؤمر يوم

وروى الحاكم في الكنى عن حماد قال: سألت إبراهيم عن هذه الآية فقال: حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون؟ فيغضب الله لهم، فيقول للملائكة والنبيين: اشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون حتى أن إبليس ليتطاول رجاء أن يدخل معهم، فعند ذلك ﴿يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾.

(**وقال ﷺ: « لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب، وفي أوله قصة المرأة من السبي إذ وجدت جنينا في السبي، فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته انتهى.

قلت: وهو آخر حديث ختم المصنف به هذا الكتاب وسيأتي الكلام عليه.

(**وقال جابر بن عبدالله**) رضي الله عنه: (**من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذاك يدخل الجنة بغير حساب، ومن استوت حسناته وسيئاته فذاك يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة، وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه**) أي أهلكها بارتكاب المخالفات، (**وأثقل ظهره**) بالمعاصي. أخرجه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم في صحاحهم والبيهقي من طريق زهير بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين عنه مرفوعاً: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » رواه عن زهير عمرو بن أبي سلمة ومحمد بن ثابت البناني زاد ثانيهما في رواية الطيالسي فقال جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة، وزاد الوليد بن مسلم في روايته له عن زهير فقلت: ما هذا يا جابر؟ قال: نعم يا محمد إنه من زادت حسناته على سيئاته فذكره كسياق المصنف إلا أنه قال: لمن أوبق نفسه أو علق ظهره. وروى البيهقي في البعث من طريق أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان أنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني فيمن تصيبه شفاعة محمد ﷺ قال: إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد ﷺ، ولكن الشفاعة للمذنبين المؤمنين والمسلمين. ورواه ابن أبي شيبة عن وكيع عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبي هند عن ربعي عن حذيفة قال: المؤمنون مستغنون عن الشفاعة إنما هي للمذنبين. وروى البيهقي من طريق يزيد الرقاشي قلنا: يا رسول الله لمن تشفع؟ قال: « لأهل الكبائر من أمتي وأهل العظائم وأهل الدماء ».

(**ويروى أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام: يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه**).

القيامة بإخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى: **ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد**، ويأمر بردهما إلى النار فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما، فيقول الذي عدا إلى النار قد حذرت من وبال المعصية فلم أكن لأتعرض لسخطك ثانية، ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني أن لا تردني إليها بعدما أخرجتني منها، فيأمر بهما إلى الجنة، وقال رسول الله ﷺ: «ينادي منادٍ تحت العرش يوم القيامة: يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي».

(**وقال سعد بن بلال**) كذا في النسخ وفي بعضها سعيد بن بلال وكل منهما خطأ، والصواب بلال بن سعد هو ابن تميم الأشعري أو الكندي أبو عمرو أو أبو زرعة الدمشقي العابد الفاضل، مات في خلافة هشام روى له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود في كتاب القدر والنسائي: (**يؤمر يوم القيامة بإخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى: ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، ويأمر بردهما إلى النار فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها**) أي يدخلها، (**ويتلكأ الآخر**) أي يتباطأ (**فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا إلى النار قد حذرت من وبال المعصية ما لم أكن لأتعرض لسخطك ثانية، ويقول الذي تلكأ: حسن ظني بك كان يشعرني**) أي يعلمني (**أن لا تردني إليها بعد ما أخرجتني منها، فيأمر بهما إلى الجنة**). رواه الصابوني في المائتين فقال: أخبرنا أبو العباس عبد الصمد بن عبدالله المعمري، حدثنا أبو أحمد بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدي، حدثنا سليم بن منصور بن عمار، حدثني أبي عن المعقل بن زياد عن الأوزاعي، عن بلال بن سعد قال: يأمر الله عز وجل بإخراج رجلين من النار فيخرجان بسلاسلهما وأغلالهما، فيوقفان بين يديه فيسألهما ويقول لهما: كيف وجدتما مقيلكما ومصيركما؟ فيقولان: يارب شر مقيل وأسوأ مصير. قال: فيأمر بردهما إلى النار، فأما أحدهما فيمضي بسلاسله وأغلاله حتى يقتحمها، وأما الآخر فيمضي وهو يلتفت. قال: فيأمر بردهما، فيقول للذي مضى بسلاسله وأغلاله إلى النار حتى اقتحمها ما حملك على ما صنعت وقد اختبرتها؟ فيقول: رب ذقت من وبال معصيتك ما لم أكن لأتعرض لسخطك ثانية. ويقول للذي مضى وهو يلتفت: ما حملك على ما صنعت؟ فيقول: رب ما كان ظني بك هذا فيقول: وما كان ظنك؟ فيقول: إنك حين أخرجتني منها ظننت أنك تعيدني إليها. قال: فيقول الله: فإني عند ما ظننت فيأمر بصرفهما إلى الجنة.

(**وقال رسول الله ﷺ: «ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات**) أي حقوق الناس (**فتواهبوها**) أي اطلبوا مسامحتها (**بينكم وادخلوا الجنة برحمتي»**) وهذا يدل على أن حق الخلق مبني على المشاحة، قال

ويروى أن إعرابياً سمع ابن عباس يقرأ : ﴿وكنتُم على شفَا حُفرةٍ مِن النارِ فأنقذكُم منها﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، فقال الأعرابي : والله ما أنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها ، فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه . وقال الصنابحي : دخلت على عبادة بن الصامت ، وهو في مرض الموت فبكيت فقال : مهلاً لِمَ تبكي ؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار » ، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص : قال

العراقي : رويناه في سباعيات أبي الأسعد القشيري من حديث أنس ، وفيه الحسن بن داود البلخي . قال الخطيب : ليس بثقة اهـ .

قلت : قال الذهبي في ديوان الضعفاء : الحسين بن داود أبو علي البلخي يروي عنه أبو بكر الشافعي . قال الخطيب : حديثه موضوع واتهمه الحاكم وغيره .

(**ويروى أن إعرابياً سمع ابن عباس**) رضي الله عنه (**يقرأ**) قوله تعالى : (**﴿وكنتم على شفا حفرة من النار﴾**) أي على جانبها (**﴿فانقذكم منها﴾**) أي خلصكم ونجاكم . (**فقال الاعرابي : والله ما أنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها . فقال ابن عباس**) رضي الله عنه : (**خذوها**) أي كلمة الحكمة (**من غير فقيه**) ، وذلك لأن الاعراب الغالب على طبعهم عدم الإدراك للطائف المعاني .

(**وقال الصنابحي**) عبد الرحمن بن عسيلة بمهملتين مصغر المرادي ، أبو عبد الله ، ثقة من كبار التابعين قدم المدينة بعد موت النبي ﷺ بخمسة أيام ، مات في خلافة عبد الملك ، روى له الجماعة وقد تقدم له ذكر في أحاديث الحوض : (**دخلت على عبادة بن الصامت**) بن قيس الأنصاري أبي الوليد الخزرجي المدني أحد النقباء بدري شهير رضي الله عنه ، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين عن اثنتين وسبعين سنة . وقيل : عاش إلى خلافة معاوية . قال سعيد بن عفير : كان طوله عشرة أشبار روى له الجماعة ، (**وهو في مرض الموت فبكيت فقال : مهلاً لم تبكي ؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم ، وقد أحيط بنفسي . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار »** قال العراقي : رواه مسلم من هذا الوجه ، واتفقا عليه من غير رواية الصنابحي بلفظ آخر انتهى .

قلت : ومن الوجه المذكور رواه كذلك أحمد والترمذي وابن خزيمة وابن حبان ، ولفظ المتفق عليه من غير رواية الصنابحي « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق

رسول الله ﷺ : « إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل منها مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً أظلمتك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : أفلك عذره ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة فيها : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » فيقول : يا رب ما هذا البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم » قال : « فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة » قال : « فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء » . وقال

وأن النار حق وأن البعث حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء » وكذلك رواه أحمد وابن حبان .

(وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما ، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء ، مات في ليالي الحرة على الأصح بالطائف على الراجح ، وروى له الجماعة . (قال رسول الله ﷺ : « إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة) وذلك عند الميزان ، (فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً) أي دفترا فيه أعماله (كل سِجل منها مثل مدّ البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً أظلمتك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة) بالكسر أي رقعة صغيرة (فيها) مكتوب : (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : إنك لا تظلم . قال : فتوضع السجلات في كفة) الميزان (والبطاقة في كفة) أخرى (قال : فطاشت السجلات) أي ارتفعت وخفت (وثقلت البطاقة فلا يثقل مع) اسم (الله شيء ») وهذا الحديث يعرف بحديث البطاقة مشهور ند المحدثين مذكور في مسلسلاتهم ، فقوله في أول الحديث : « إن الله » إلى قوله : « يوم القيامة » هو سياق الترمذي ولفظه سيخلص . وقال ابن ماجه : يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق ثم اتفقا إلى آخره عند قوله : وثقلت البطاقة مع زيادة قوله : فيقول احضر وزنك بعد قوله إن محمداً رسول الله ، وقوله : فلا يثقل مع اسم الله شيء من زيادة الترمذي ، وقد وقع لنا مسلسلاً بالمصريين من شيوخنا إلى منتهاه إلا صحابيه فإنه سكن مصر مع أبيه وأقام بعده مدة يسيرة ثم تحول منها إلى الطائف .

أخبرناه القطب أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحفني الشافعي رحمه الله تعالى ، والشهاب أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الخالدي في آخرين قالوا : أخبرنا الشمس محمد بن منصور الأطفجي ، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ ، أخبرنا النجم محمد بن أحمد بن علي الغيطي ، أخبرنا الشرف عبد الحق بن محمد السنباطي أخبرنا المشايخ الخمسة : البدر أبو محمد الحسن بن محمد بن أيوب

....

الحسني النسابة، والزين عبد الرحمن بن محمد بن عمر الفاقوسي، والنور أبو الحسن علي بن أبي الحسن البلبيسي، وأبو عبدالله محمد بن عبد السلام المنوفي، وأم الفضل هاجر ابنة الشرف القدسي المصريون سماعاً عليهم. قال الأول: أنبأنا عمي البدر حسن بن محمد الحسني النسابة، وقال الثاني: أخبرنا السراج عمر بن الملقن، وقال الآخرون: أخبرنا السراج عمر بن رسلان البلقيني قالوا ثلاثتهم: أخبرنا الصدر أبو الفتح محمد بن محمد الميدومي، أخبرنا أبو عيسى عبدالله بن عبد الواحد بن علاق ح.

وأخبرنا به أبو المعالي الحسن بن علي بن محمد المنطاوي، والشهاب أحمد بن محمد بن شاهين في آخرين قالوا: أخبرنا عبد بن علي بن عساكر النمرسي، أخبرنا الإمام المحدث محمد بن عبد الباقي الزرقاني، أخبرنا الضياء علي بن علي الشبراملسي، أخبرنا أبو محمد عبد الرؤوف بن زين العابدين المناوي، أخبرنا الشمس محمد بن أحمد الرملي، أخبرنا القاضي أبو يحي زكريا بن محمد الأنصاري، أخبرنا الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر قال: قرأت على عبد الله بن عمر السعودي، وعبد الرحمن بن أحمد بن المبارك وقلت لكل منهما: أخبرك جماعة منهم أبو محمد ابراهيم بن علي الحيمي فاقرّا به قال: أخبرنا الحافظ رشيد الدين أبو الحسن يحي بن علي القرشي العطار: قال هو وابن علاق: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت البوصيري قال: حدثنا أبو صادق مرشد بن يحي المديني، أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر الصواف الحراني ح.

وأخبرنا المسند أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف الملوي، والبدر محمد بن أحمد بن حجازي العشماوي في آخرين قالوا: أخبرنا المحدث أبو العز محمد بن الشهاب العجمي، أخبرنا والدي: أخبرنا النور علي بن يحي الزيادي، أخبرنا الشهاب أحمد بن حمزة الرملي، أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير السخاوي، أخبرنا عبد الرحيم بن محمد بن الفرات، أخبرنا عبد العزيز بن جماعة: أخبرنا الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسين العبدي، أخبرنا محمد بن عمار الحراني المصري، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي قاضي الجيزة، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي في فوائده قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج الأشبيلي المصري الشاهد قال هو والحراني: حدثنا أبو القاسم حمزة بن محمد الكناني الحافظ، أخبرنا عمران بن موسى بن حميد الطبيب قال: حدثني يحي بن عبد الله بن بكير قال: حدثني الليث بن سعد عن عامر بن يحي المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فتنشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مدّ البصر ثم يقول الله تعالى: أتنكر من هذا شيئاً فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب العبد فيقول: لا يا رب. فيقول الله عز وجل: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج الله بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة».

....

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى في كتابه منهاج السلامة في ميزان الاستقامة: أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن ابن الحافظ أبي عبد الله الذهبي بقراءتي عليه في ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة بمنزلة بكفر بطنا، أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي، وأحمد بن علي بن مسعود الكلبي، ومحمد بن أحمد بن أبي الهيجاء بن الزراد، ومحمد بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة، وأحمد بن إبراهيم بن عبد الله المقدسي، وأحمد بن الطنبا بن الحلبية المقري وأبو بكر بن يوسف الحريري، ومحمد بن المحب عبد الله بن أحمد، وعبد الرحمن بن إسماعيل المرداوي، وعبد الرحمن بن عبد الخالق بن محمد بن السري، ومحمد بن علي بن سالم المزيان، وفاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عمر بن عوض، وحبيبة بنت عبد الرحمن بن أي بكر ح.

وأخبرنا أبو هريرة، والمعمر أبو المحاسن يوسف بن عثمان بن عمر بن مسلم الصوفي، وأم عبد الله زينب بنت العماد أبي بكر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عباس بن جعوان الأنصاري قالوا: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن القطان قراءة عليه قالت بنت جعوان وأنا حاضرة في الرابعة وقال الأولان ونحن نسمع وقالا أيضاً وأخبرتنا المسندة أم عبد الله زينب بنت الكمال أحمد ابن عبد الرحيم وقالت بنت جعوان وأبو هريرة أيضاً أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي المعالي الزبداني قالت بنت جعوان وأنا شاهدة، وقال أبو هريرة وأنا أسمع، وقال العوفي: وأخبرنا أيضاً القاضي أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسي، وأحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الصرخدي ح.

وأخبرنا المسند أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد البالسي، وزينب بنت جعوان قالا: أخبرنا الملك أسد الدين عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم عيسى قراءة عليه ونحن نسمع حاضران في الرابعة ح.

وأخبرنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الأنصاري بقراءتي عليه بجامع دمشق وغير واحد قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد بن علي بن الحسن الجزري قالوا كلهم وهم ثمانية عشر نفساً، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد المقدسي الخطيب قراءة عليه. قال المزيان والقطان وابن المحب والجزري ونحن حاضرون. وقال الباقون ونحن نسمع ح.

وأخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن أبي العباس الصالحي، أخبرنا أبو محمد القاسم بن محمد الحافظ وأنا شاهد، أنبأنا المعين أحمد بن علي بن يوسف الدمشقي، وأبو عيسى عبد الله بن الواحد الرزاز قالوا ثلاثتهم: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود البوصيري قراءة عليه ونحن نسمع بمصر، أخبرنا أبو صادق مرشد بن يحي المديني ح.

وأخبرنا أبو هريرة بن الذهبي، وابنه أبو عبد الله محمد يوم الأربعاء ثالث ذي القعدة سنة ٧٩٨

بمنزلة بكفر بطنا قالا : أخبرنا النجم أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عنتر السلمي ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي بن الحاسب ح.

وأخبرنا أبو هريرة ، أخبرنا الأمين محمد بن أبي بكر بن أحمد الأسدي سماعاً ، والمرضي إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم الطبري إجازة من مكة شرفها الله تعالى قالا : أخبرنا شعيب بن يحيى سماعاً وأنبأنا أبو هريرة ، أنبأنا أبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم ، أخبرنا أبو الحسن علي بن هبة الله الشافعي سماعاً حينئذ ، وأخبرنا أبو هريرة عن إسماعيل بن يوسف السويدي وأبي الحسن علي بن عمر الكردي أن أبا الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي وأخبرهما قالوا أربعتهم: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ ، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي المعدل بالإسكندرية وغيرها قال هو وأبو صادق المديني : أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر بن حمصة الحراني الصواف بمصر ، حدثنا أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكناني الحافظ إملاء بالجامع العتيق بمصر يوم الجمعة لأربع بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٥٧ ، أخبرنا عمران بن موسى بن حميد الطبيب ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني الليث بن سعد عن عامر بن يحيى المعافري ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي أنه قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ : « يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة » . فذكره الخ وبالإسناد إلى أبي الحسن الحراني قال: لما أملى علينا حمزة هذا الحديث صاح غريب من الحلقة صيحة فاضت نفسه معها ، وأنا ممن حضر جنازته وصلى عليه رحمه الله تعالى.

قلت: ولفظ الاشبيلي لما أملى علينا حمزة هذا الحديث في الجامع العتيق كان في الناس رجل جبار ، فلما سمعه صاح صيحة وتوفي.

قال الحافظ السخاوي في الجواهر المكللة: وكذا رواه أبو الحسن علي بن محمد القابسي عن حمزة وقال إنه لما انتهى في املائه إلى قوله: فطاشت السجلات شهق رجل شهقة ، فلما تم المجلس إذا هو ميت فغسل وكفن وصلي عليه ، وهذا حديث جيد الإسناد عظيم الموقع رواه الحاكم في صحيحه فقال: حدثنا علي بن ممشاد المعدل ، حدثنا عبد بن شريك وأحمد بن إبراهيم بن ملحان قالا : حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير فذكره وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وفي نسخة من المستدرك هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

قال الحافظ بن ناصر الدين: قلنا إن عامر بن يحيى بن جشيب المعافري المصري انفرد به مسلم وقد وثقه أبو داود ، وصار في جاه الصحيح ، لكنه من إفراد الحبلي عن عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت: عامر بن يحيى بن جشيب بن مالك بن سريع المعافري الشرعي أبو خنيس بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة المصري. قال أبو داود والنسائي ثقة ، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. قال أبو سعيد بن يونس: توفي قبل سنة عشرين ومائة روى له مسلم والترمذي وابن ماجه وأبو عبد

الرحمن الحبلي بضم الحاء والموحدة عبد الله بن زيد المعافري ثقة مات سنة مائة بإفريقية. وروى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة.

ثم قال الحافظ بن ناصر الدين: وخرجه الترمذي في جامعه فقال: أخبرنا سويد بن نصر، أخبرنا عبد الله عن ليث بن سعد فذكره بنحوه وقال: هذا حديث حسن غريب.

قلت: عبد الله هو ابن المبارك، وحدث به أبو القاسم الطبراني عن أبي يزيد القراطيسي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا ابن المبارك تابعها عبدالله بن صالح كاتب الليث وسعيد بن عفير وسعيد بن أبي مريم ويونس بن محمد المؤدب وآخرون عن الليث.

وخرجه أبو حاتم بن حبان في صحيحه فقال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد، حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله بن عمر، أخبرنا الليث بن سعد فذكره. وعبد الله بن عمر الخراساني له مناكير فيما قاله ابن عدي، والحديث قد عرف بالليث، حتى قال الحافظ أبو القاسم حمزة الكناني فيما رويناه عنه بالإسناد المذكور لا أعلم روى هذا الحديث غير الليث وهو من أحسن الحديث.

قلت: قد أجاد بقوله: لا اعلم وبالله التوفيق. قال الترمذي: عقب روايته حديث ابن المبارك عن الليث: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة عن عامر بن يحي بهذا الإسناد نحوه اهـ.

فقد تابعه ابن لهيعة وحديثه رويناه من حديث أبي العباس محمد بن إسحاق الثقفي السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهيعة، عن عامر بن يحي، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع في كفة مما أحصى عليه فتميل الميزان قال: فيبعث به إلى النار قال: فإذا أدبر صاح صائح من عند الرحمن عز وجل يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى تميل الميزان» خالفه عمرو بن الحرث بن يعقوب بن عبد الله الأشج أبوامية الأنصاري المصري الحافظ، فرويناه عن بكر بن مضر عنه عن عامر بن يحي عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو فوقفه والحكم لابن لهيعة في رفعه لأن الليث وهو إمام كبير حافظ رفعه.

وأيضاً رويناه من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقري، حدثنا عبد الرحمن بن زياد عن عبدالله بن يزيد هو الحبلي، عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى برجل يوم القيامة، ثم يؤتى بالميزان، ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلاً كل سجل منها مد البصر فيها ذنوبه وخطاياه فتوضع في كفة الميزان ويؤتى بقرطاس مثل هذا وأشار بيده وأمسك إبهامه فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فتوضع في الكفة الأخرى فترجح بخطاياه وذنوبه» رواه عن المقري عبد بن حميد في مسنده والحرث بن أبي أسامة وعبد الصمد بن الفضل، ومحمد بن أحمد بن الجنيد، وهارون بن ملول، ويعقوب بن سفيان. تابعه إسماعيل بن عياش ويعلى بن عبيد عن عبد

رسول الله ﷺ في آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط: « إن الله يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به » فكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث، فاقرأوا إن شئتم ﴿ إن اللهَ لا يظلمُ مثقَالَ ذَرةٍ وإن تكُ حَسنةً يضاعِفها ويُؤتِ من لدنهُ أجراً عظيماً ﴾ [النساء: ٤٠]، قال: « فيقول الله تعالى: « شَفِعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين » فيقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا

الرحمن بن زياد مرفوعاً بنحوه. ورواه عن إسماعيل الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي، وعن يعلى أبو بكر أحمد بن البراء المقري.

والحديث له طرق وهو في سنن ابن ماجه وغيره وله شواهد. ومنها ما قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا فضيل بن محمد الملطي، حدثنا موسى بن داود، حدثنا الهيثم بن جماز عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « يؤتى بعمل العبد يوم القيامة فيوضع في كفة الميزان فلا يرجح حتى يؤتى بصحيفة مختومة من يد الرحمن عز وجل، فتوضع في كفة الميزان فترجح وهو لا إله إلا الله » غريب من حديث ثابت تفرد به الهيثم بن جماز وهو بصري قاص قاله أبو نعيم.

(وقال رسول الله ﷺ في آخر حديث يصف فيه القيامة والصراط: « إن الله يقول للملائكة: من وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه من النار، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه) من النار، **(فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف ذرة من خير فاخرجوه)** من النار، **(فيخرجون خلقاً كثيراً فيقولون: يا ربنا لم نذر فيها خيراً، وكان أبو سعيد)** الخدري راوي هذا الحديث رضي الله عنه **(يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا قول الله تعالى: ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ قال: « فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين » فقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً)** أي فحماً من الاحتراق، **(فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة**

ترونها تكون مما يلي الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل أبيض »، قالوا: يا رسول الله، كأنك كنت ترعى بالبادية ». قال: « فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول الله تعالى: إن لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبداً » رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة) بكسر الحاء **(في حميل السيل)** أي جانبه **(ألا ترونها تكون مما يلي الحجر والشجر أصفر وأخضر، وما يكون منها إلى الظل أبيض». قالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية. قال: فيخرجون كاللؤلؤ)** في الصفاء والبياض وإشراق اللون **(في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكن فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من العالمين، فيقول الله تعالى: إن لكم عندي ما هو أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبداً» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما)** من حديث أبي سعيد الخدري: وكذلك رواه الطيالسي وأحمد وابن خزيمة. وروى النسائي وابن ماجه وابن أبي داود والآجري بعضه.

وأول الحديث في الصحيحين قال أبو سعيد: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا عز وجل؟ فقال رسول الله ﷺ: « هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب، وهل تضارون في القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟ ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية احدهما. إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد ممن كان يعبد غير الله من الأنصاب والأصنام إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبقَ إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فما تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أوفى صورة من التي رأوه فيها. قال: فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد؟ قالوا: يا ربنا فارقنا

الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثا حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم الساق فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء أو رياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم». قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: اخرجوا فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول عز وجل: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه» ثم ساقاه إلى آخر الحديث كما ذكره المصنف.

ورواه البخاري مختصراً في كتاب الإيمان من الصحيح فقال: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن عمرو بن يحيى المازني، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تبارك وتعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياء أو الحياة شك مالك فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية» قال وهيب: حدثنا عمرو الحياة وقال: خردل من خير، ورواه في صفة الجنة والنار هكذا أيضاً مختصراً عن موسى عن وهيب عن عمرو بن يحيى المازني عن حجاج بن الشاعر عن عمرو بن عوف، عن خالد بن عبد الله. ورواه عبدالله بن وهب ومعن بن عيسى عن مالك وليس هو في الموطأ. وقال الدارقطني هو غريب صحيح، وفي رواية الدارقطني من طريق إسماعيل: «يدخل الله» وما أورده البخاري هنا تعليقاً أخرجه مسنداً في كتاب الرقاق عن موسى بن إسماعيل، عن وهيب، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن أبي سعيد به. وساقه أتم من سياق مالك، لكنه قال: من خردل من إيمان كرواية مالك. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده، عن عفان بن مسلم، عن وهيب فقال: «من خردل من خير» كما علقه البخاري.

وقال البخاري في كتاب الإيمان: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام، حدثنا قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا

وروى البخاري أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: « عرضت علي الأمم يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط. فرأيت سواداً كثيراً فرجوت أن تكون أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر فرأيت سواداً كثيراً قد سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً، فقيل لي: هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب »، فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله ﷺ فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون »، فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله فقال: « أنت منهم » ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة، فقال النبي ﷺ: « سبقك بها عكاشة ».

الله وفي قلبه وزن ذرة من خير ». قال البخاري: قال أبان: حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبي ﷺ: « من إيمان » مكان « من خير ».

(**وروى البخاري أيضاً عن ابن عباس**) رضي الله عنهما (**قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: « عرضت علي الأمم يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط، فرأيت سواداً كثيراً فرجوت أن يكون أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ثم قيل انظر فرأيت سواداً كثيراً قد سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً فقيل لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله ﷺ فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة**) بن محصن رضي الله عنه (**فقال: ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله. فقال: « أنت منهم » ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة، فقال النبي ﷺ: « سبقك بها عكاشة »**).

ورواه كذلك أحمد ومسلم كلهم من طريق حصين بن عبد الرحمن بن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولفظهم جميعاً « عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الافق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: أنظر إلى الافق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال « هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم

وعن عمرو بن حزم الأنصاري قال: تغيب عنا رسول الله ﷺ ثلاثاً لا يخرج إلا

يتوكلون». ورواه هكذا الطبراني في الكبير من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه. وقد روي هذا الحديث من رواية عمران بن حصين عن ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ رواه عبد الرزاق في المصنف، وأحمد والطبراني في الكبير والحاكم.

ومن طريق الطبراني أبو نعيم في الحلية واللفظ له قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا خلف بن موسى بن خلف العمي، حدثنا أبي، عن قتادة، عن الحسن والعلاء بن زياد عن عمران بن حصين عن عبد الله بن مسعود قال: تحدثنا ليلة عند رسول الله ﷺ حتى أكرانا الحديث، فلما أصبحنا غدونا على رسول الله ﷺ فقال: «عرضت علي الأنبياء باتباعها من أممها، فإذا النبي معه الثلاثة من أمته، وإذا النبي ليس معه أحد وقد أنبأكم الله عن قوم لوط فقال: ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ [هود: ٧٨] قال: حتى مرّ موسى بن عمران عليه السلام ومن معه من بني اسرائيل فقلت: يا رب فاين أمتي؟ قال: انظر عن يمينك، فإذا الظراب ظراب مكة قد سدّ من وجوه الرجال قال: إن رضيت يا محمد. قلت: رضيت رب. قال: انظر عن يسارك فنظرت فإذا الافق قد سدّ من وجوه الرجال. قال: أرضيت يا محمد؟ قلت: رضيت رب. قال: فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» فأتى عكاشة بن محصن الأسدي فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال «اللهم اجعله منهم» ثم قال رجل آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال «سبقك بها عكاشة» ثم قال لهم النبي ﷺ: «إن استطعتم بأبي أنتم وأمي أن تكونوا من السبعين ألفاً فكونوا، فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أصحاب الظراب، فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أصحاب الأفق، فإني قد رأيت أناساً يتهاوشون كثيراً» ثم قال: «إني لأرجو أن يكون من يتبعني من أمتي ربع الجنة» فكبر القوم ثم قال «إني لأرجو أن يكونوا شطر أهل الجنة» فكبر القوم ثم تلا هذه الآية ﴿ثلة من الأولين★ وقليل من الأخرين﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤]» فتذاكروا بينهم من هؤلاء السبعون الألف، فقال بعضهم: قوم ولدوا في الإسلام فماتوا عليه حتى رفع الحديث إلى النبي ﷺ فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

وللطبراني في الكبير، وعمر بن شبة النميري من طريق نافع مولى بنت شجاع، عن أم قيس بنت محصن هي أخت عكاشة قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيدي حتى أتينا البقيع فقال: «يا أم قيس يبعث من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» فقام رجل فقال: أنا منهم؟ قال «نعم» فقام آخر، فقال: «سبقك بها عكاشة» وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في كتاب التوكل.

(**وعن عمرو بن حزم**) بن زيد بن لوذان (**الأنصاري**) رضي الله عنه يكنى أبا الضحاك شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبي ﷺ على نجران، روى عنه ابنه محمد وجماعة، مات بعد الخمسين على الراجح روى له أبو داود في المراسيل والنسائي وابن ماجه (**قال: تغيب عنا رسول**

لصلاة مكتوبة ثم يرجع ، فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا فقلنا : يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث قال : « لم يحدث إلا خير إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً لا حساب عليهم وإني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربي ماجداً واجداً كريماً فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً » قال : « قلت يا رب وتبلغ أمتي هذا ؟ قال : أكمل لك العدد من الأعراب » .

الله ﷺ ثلاثاً لا يخرج) من منزله (إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع ، فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا فقلنا : يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث قال : « لم يحدث إلا خير إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً لا حساب عليهم وإني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربي ماجداً واجداً كريماً فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً . قال : « قلت يا رب وتبلغ أمتي هذا ؟ قال : أكمل لك العدد من الاعراب ») قال العراقي : رواه البيهقي في البعث ولأحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً ، وفيه رجل لم يسم . ولأحمد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر فقال عمر : فهلا استزدته ؟ فقال : « قد استزدتـه فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً » قال عمر : فهلا استزدته ؟ قال : « قد استزدته فاعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً » قال عمر : فهلا استزدته ؟ قال : « استزدته » . قال : « اعطاني هكذا » وفرج عبد الله بن بكر بين يديه قال عبد الله : وبسط باعيه وحثى عبد الله ، وفيه موسى بن عبيدة الربذي ضعيف اهـ .

قلت : سياق المصنف رواه الطبراني من طريق سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أبي يزيد المدني ، عن عامر بن عمير النميري قال : أتيت النبي ﷺ ثلاثاً لا يخرج إلا لصلاة مكتوبة الحديث الخ . قال الحافظ في الاصابة : وهذا اختلف فيه على ثابت ثم على سليمان ، فأما ثابت فقال حماد بن سلمة عنه عن عمرو بن عمير الأنصاري ، وقال عمارة بن زاذان عن ثابت عن عمارة بن عمير ، وقال الضحاك بن نبراس الأزدي البصري عنه عن عمرو بن حزم ، وأما سليمان فقيل عنه أيضاً عمرو أو عامر على الشك ، وقد اختلف في صحابي هذا المتن فقيل عمرو الأنصاري ، وقيل عمرو بن بلال ، وقيل عمرو بن عمرو اهـ .

قلت : وحديث عمرو بن عمير أخرجه البغوي من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي يزيد المدني عن عمرو بـن عمير الأنصاري قال : إن رسول الله ﷺ غيب عن أصحابه ثلاثاً لا يرونه إلا في صلاة فقال : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب » .

ورواه سليمان بن المغيرة عن ثابت بالشك . قال : عن عمرو بن عمير أو عامر بن عمير أشار إليه الحافظ في ترجمة عمرو بن عمير ، وروى ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن عمير بلفظ « وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون

ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون قلت: أي رب زدني. قال: «لك بكل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً قلت: أي رب إنهم لا يكملون. قال «إذاً نكملهم لك من الاعراب».

ويروى نحو ذلك من حديث عدة من الصحابة منهم: أبو امامة الباهلي رضي الله عنه ولفظه: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعين ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي» رواه الترمذي وقال حسن غريب. وابن ماجه والطبراني وابن حبان والدارقطني في الضعفاء والضياء.

ومنهم أبو سعد الخير رضي الله عنه ولفظه: «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفاً بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفاً ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه إن شاء الله مستوعب مهاجري أمتي ويوفيني الله بشيء من اعرابنا». رواه البغوي والطبراني وابن عساكر، وقد روى البغوي هذا المتن بعينه من حديث أبي سعيد الزرقي رضي الله عنه بلفظ «إن الله وعدني» والباقي سواء.

ومنهم عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه ولفظه «إن ربي تعالى وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً ثم يحثي لي ربي بكفيه ثلاث حثيات» رواه الطبراني في الكبير. زاد ابن الميلق في حادي القلوب: فكبّر عمر رضي الله عنه وقال: إن السبعين الأوّلين يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم، وارجو الله ان يجعلني في إحدى الحثيات الأواخر.

ومنهم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ولفظه «إن ربي خيرني بين سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وبين الحثية عنده. إن ربي زادني يتبع كل ألف سبعون ألفاً والحثية عنده» رواه أبو نعيم في الحلية، ورواه أحمد والطبراني بلفظ «إن ربكم» والباقي سواء.

ومنهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ولفظه: «إن ربي استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم؟ فقلت: ما شئت يا رب. هم خلقك وعبادك فاستشارني في الثانية فقلت له: كذلك، فاستشارني الثالثة فقلت له كذلك، فقال تعالى: إني لن أخزيك في أمتك يا أحمد وبشرني أن أوّل من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب، ثم أرسل إلي ادع تجب وسل تعط» الحديث. رواه أحمد وابن عساكر.

ومنهم: ثوبان رضي الله عنه ولفظه «إن ربي عز وجل وعدني من أمتي سبعين ألفاً يحاسبون كل ألف سبعون ألفاً» رواه الطبراني في الكبير.

ومنهم عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ولفظه «إن ربي تعالى اعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب» قال عمر: يا رسول الله هلا استزدته؟ قال: «قد استزدته فاعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً» قال: هلا استزدته؟ قال: «قد استزدته فاعطاني هكذا» وبسط باعه. رواه أحمد والطبراني، ورواه الحكيم في النوادر بلفظ: «إن الله اعطاني».

وقال أبو ذر: قال رسول الله ﷺ: « عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت: يا جبريل وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم وإن سرق وإن زنى، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زنى. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر »، وقال أبو الدرداء: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مقامَ ربه جِنتان﴾ [الرحمن: ٤٦]، فقلت: وإن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ فقال: « ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان »

ومنهم أبو بكر رضي الله عنه ولفظه: « أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر، وقلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً » رواه أحمد والحكيم وأبو يعلى.

وفي الغيلانيات عن زيد بن أسلم مرسلاً « وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً فاستزدته فزادني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً. وما أدري بقي من أمتي شيء » وورد في بعض الاخبار ثلاثمائة ألف وأربعمائة ألف، فروى الطبراني عن أبي بكر بن عمير عن أبيه رفعه « إن الله تعالى وعدني أن يدخل من أمتي ثلاثمائة ألف الجنة » وروى أحمد وأبو يعلى والضياء من حديث أنس « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف » قال أبو بكر: زدنا يا رسول الله. قال: « وهكذا ». وجمع كفه. قال: زدنا يا رسول الله قال: « وهكذا ».

(وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « عرض لي جبريل في جانب الحرة)** موضع بالمدينة **(فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت: يا جبريل وإن سرق وإن زنى. قال: وإن سرق وإن زنى. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: وان شرب الخمر »)** قال العراقي: متفق عليه بلفظ « أتاني جبريل يبشرني، وفي رواية لهما « أتاني آت من ربي » اهـ.

قلت: سياق المصنف لمسلم ولفظه: « أتاني جبريل فقال: بشر أمتك » الخ. وهكذا رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن خزيمة وابن حبان. وأما لفظ المتفق عليه « أتاني جبريل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وان سرق ». وروى الطبراني عن سلمة بن وردان عن أنس أنه سمعه يقول: أتى معاذ بن جبل فقلت له: من أين جئت يا معاذ؟ فقال: من عند النبي ﷺ فقلت: فما قال لك؟ قال: قال « من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » قلت: فاذهب فاسأل النبي ﷺ. قال: أذهب فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله حدثني معاذ بن جبل أنك قلت كذا وكذا. قال « صدق معاذ صدق معاذ صدق معاذ ».

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(قرأ رسول الله ﷺ)** قوله تعالى: **(﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فقلت: وإن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ فقال)** الثانية: **(﴿ولمن خاف**

فقلت: وإن سرق وإن زنى؟ فقال: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فقلت: وإن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ قال: وإن رغم أنف أبي الدرداء. وقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له: هذا فداؤك من النار».

وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة: أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي

مقام ربه جنتان﴾ فقلت: وإن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ فقال) الثالثة: **(﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فقلت: وإن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ قال)** «نعم **(وإن رغم أنف أبي الدرداء»)** قال العراقي: رواه أحمد باسناد جيد صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي شيبة وابن منيع والحكيم في النوار، والنسائي والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه. وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فقال أبو الدرداء: وإن زنى وان سرق يا رسول الله؟ قال «وإن زنى وإن سرق وإن رغم أنف أبي الدرداء» فكان أبو الدرداء يقص ويقول: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وإن رغم أنف أبي الدرداء، وروى الطبراني وابن مردويه من طريق الجريري عن أخيه، سمعت محمد بن سعد يقرأ هذه الآية ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وإن زنى وإن سرق. فقلت: ليس فيه وإن زنى وإن سرق. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأها كذلك فأنا أقرأها حتى أموت. وروى ابن مردويه من حديث أبي الدرداء «من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله دخل الجنة ثم قرأ ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾». وروى ابن جرير وابن المنذر عن سيار مولى لآل معاوية عن أبي الدرداء في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ قال: قيل يا أبا الدرداء وإن زنى وإن سرق؟ قال: «من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق».

(وقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له: هذا فداؤك من النار») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي موسى نحوه وقد تقدم اهـ.

ولفظ مسلم «إذا كان يوم القيامة أعطى الله كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار، فيقال: هذا فداؤك من النار» وتقدمت رواية الطبراني في الكبير والأوسط.

(وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة) بن أبي موسى الأشعري اسمه الحرث ويقال عامر ويقال اسمه كنيته تابعي فقيه من أهل الكوفة، وولي القضاء بها فعزله الحجاج وولى مكانه أخاه أبا بكر، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل الكوفة، وقال: كان ثقة كثير الحديث. وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة. وقال عبد الله بن عياش عن أبيه: لما ولي يزيد بن المهلب خراسان قال: دلوني على رجل كامل لخصال الخير، فدل على أبي بردة، فلما جاءه رآه رجلاً فائقاً، فلما كلمه رأى من مخبرته أفضل من مرآته. قال: إني وليتك كذا وكذا من عملي فاستعفاه فأبى أن يعفيه، فقال:

موسى عن النبي ﷺ قال: « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهودياً أو نصرانياً »، فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو - ثلاث مرات - أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ فحلف له.

أيها الأمير ألا أخبرك بشيء حدثنيه أبي أنه سمعه من رسول الله ﷺ؟ قال: هاته قال: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « من تولى عملاً وهو يعلم أنه ليس لذلك العمل بأهل فليتبوأ مقعده من النار ». وأنا أشهد أيها الأمير أني لست بأهل لما دعوتني إليه. فقال له يزيد: ما زدت على أن حرضتنا على نفسك ورغبتنا فيك. فاخرج إلى عهدك فإني غير معفيك، فخرج ثم أقام فيهم ما شاء الله أن يقيم، فاستأذنه بالقدوم عليه فأذن له، فقال: أيها الأمير ألا أحدثك بشيء حدثنيه أبي أنه سمعه من رسول الله ﷺ؟ قال: هاته قال: قال « ملعون من سئل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأله هجراً » وقال: أنا أسألك بوجه الله إلا ما أعفيتني أيها الأمير من ذلك فاعفاه. قال علي بن المديني، عن سفيان بن عيينة، قال عمر بن عبد العزيز لأبي بردة: كم أتى عليك؟ قال: أشدان ثمانين سنة، وفي طريق آخر قال: أشدان يعني أربعين وأربعين. قال الواقدي: مات سنة ثلاث ومائة بالكوفة، وقيل سنة أربع، وقيل سنة سبع، روى له الجماعة: **(أنه حدث عمر بن عبد العزيز)** بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي **(عن أبيه أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ قال: « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهودياً أو نصرانياً » فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ فحلف له)**. وهو كما ذكره المصنف رواه مسلم في الصحيح بهذا السياق، وكذلك رواه ابن حبان في الصحيح والطبراني في الكبير.

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة: حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، عن أبي بردة عن أبي موسى قال: وفدت إلى الوليد بن عبد الملك وكان الذي يعمل في حوائجي عمر بن عبد العزيز، فلما قضيت حوائجي أتيته فدعوته وسلمت عليه ثم مضيت، فذكرت حديثاً حدثني به أبي أنه سمعه من رسول الله ﷺ، فأحببت أن أحدثه به لما أولاني في قضاء حوائجي، فرجعت إليه فلما رآني قال: لقد ردّ الشيخ حاجة فلما قربت منه قال: ما ردك أليس قد قضيت حوائجك؟ قلت: بلى، ولكن حديثاً سمعته من أبي سمعه من رسول الله ﷺ، فأحببت أن أحدثك به لما أوليتني. قال: وما هو؟ قلت: حدثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون في الدنيا، ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم: وما تنتظرون وقد ذهب الناس؟ فيقولون: إن لنا رباً كنا نعبده في الدنيا فما نراه. قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم،

وروي أنه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد ـ في يوم صائف شديد الحر ـ فبصرت به امرأة في خباء القوم فأقبلت تشتد وأقبل أصحابها خلفها، حتى أخذت الصبي وألصقته إلى صدرها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر، وقالت: ابني ابني! فبكى الناس وتركوا ما هم فيه، فأقبل رسول الله ﷺ حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال: «أعجبتم من رحمة هذه لابنها»؟ قالوا: نعم، قال ﷺ: «فإن الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعاً من هذه بابنها»، فتفرق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة.

فيقال لهم: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ قالوا: إنه لا شبه له. فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فيخرون له سجداً، ويبقى قوم في ظهورهم مثل صياصي البقر فيريدون السجود فلا يستطيعون، فذلك قول الله عز وجل: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ [القلم: ٤٢] فيقول الله عز وجل: ارفعوا رؤوسكم قد جعلت بدل كل رجل منكم رجلاً من اليهود والنصارى في النار» فقال عمر بن عبد العزيز آلله الذي لا إله إلا هو لحدثك أبوك هذا الحديث سمعه من رسول الله ﷺ، فحلف له ثلاثة أيمان على ذلك، فقال عمر بن عبد العزيز: ما سمعت في أهل التوحيد حديثاً هو أحب إلي من هذا. وقد رواه بسند آخر من طريق الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة وليست فيه هذه الزيادة ولفظه «فيتجلى لهم ضاحكاً فيقول: ابشروا معاشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً» وقد تقدم هذا قريباً، ورواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: «فيتجلى لهم فيخرون سجوداً فيقال لهم: يا أهل التوحيد ارفعوا رؤوسكم فقد أوجب الله لكم الجنة وجعل مكان كل رجل منهم يهودياً أو نصرانياً في النار». ورواه أحمد بلفظ «إذا كان يوم القيامة لم يبق مؤمن إلا أتي بيهودي أو نصراني حتى يدفع إليه فيقال له: هذا فداؤك من النار». ورواه الطبراني في الكبير والأوسط والحاكم في الكنى بلفظ: «إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى كل مؤمن ملكاً معه كافر فيقول الملك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار».

(**وروي**) في الأخبار الصحيحة (**أنه وقف صبي في بعض المغازي ينادي عليه فيمن يزيد**) أي في الثمن، وذلك (**في يوم صائف شديد الحر، فبصرت به امرأة في خباء القوم فأقبلت تشتد وأقبل أصحابها خلفها حتى أخذت الصبي والصقته إلى صدرها، ثم القت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت: ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه، فأقبل رسول الله ﷺ حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسرّ برحمتهم ثم بشرهم فقال «اعجبتم من رحمة هذه لابنها»؟ قالوا: نعم. قال ﷺ «فإن الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعاً من هذه بابنها» فتفرق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة**) قال

فهذه الأحاديث وما أوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى، فنرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته.

العراقي: متفق عليه مختصراً مع اختلاف من حديث عمر بن الخطاب قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال: لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار» قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها» لفظ مسلم. وقال البخاري: «فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى إذ وجدت صبياً» الحديث انتهى.

قلت: ورواه عبد بن حميد من حديث عبد الله بن أبي أوفى بلفظ: «أترون هذه رحيمة بولدها والذي نفسي بيده الله أرحم بالمؤمنين من هذه بولدها». وقد ختم المصنف كتابه بهذا الحديث العظيم الوقع في القلوب لأمور:

منها: اتفاق البخاري ومسلم على إخراجه في كتابيهما، ففيه نوع تبرك.

ومنها: أنه أعظم دليل على سعة رحمة الله تعالى، ولله در القائل:

لم لا نرجي العفو من ربنا ... أم كيف لا نطمع في حلمه
وفي الصحيحين أتى أنه ... بعبده أرأف من أمه

ومنها: حصول ذلك لعامة المؤمنين كما دلت بذلك رواية عبد بن حميد أو لعامة الخلق، وقد روى الطبراني والبيهقي في البعث من حديث حذيفة رضي الله عنه «والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الفاجر في دينه الأحمق في معيشته، والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الذي قد محشته النار بذنبه، والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب بشر، والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها ابليس رجاء أن تصيبه».

ومنها: التلميح بقوله: فتفرق المسلمون إلى ختم الكتاب، فإنه إذا فرغ من شيء تفرق عنه.

ومنها: حسن التفاؤل بقوله: أفضل السرور وأعظم البشارة فيكون حال مطالع هذا الكتاب وكاتبه وخادمه مختتماً بأفضل السرور منتهياً بأعظم البشارة.

(فهذه الأحاديث، وما أوردنا في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى، فنرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه) أي نستوجبه لكمال تقصيرنا، **(ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه)** أي عطائه **(وسعة جوده ورحمته)**. وبه انتهى الكتاب، ووجد في بعض النسخ زيادة والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قال جامعه ومهذبه العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الواسطي خديم علم الحديث بمصر غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه بمنه وكرمه

آمين. هذا آخر ما جرى به قلم المدد في تهذيب شرح إحياء علوم الدين، وسطرته يد الفيض من سوانح لوامع الاتحاف للسادة المتقين، ولم آل جهداً في توضيح مرامه في عباراته وتبيين رموزه وإشاراته، ولا أدعي فيه البراءة من الغلط والنسيان، والمقر بذنبه يسأل الصفح والغفران، فإن أصبت فبتوفيق الله عز وجل وإن أخطأت فمن عوائد البشر الخطأ والخطل، ولما لم أنته من هذا الكتاب إلى غاية أرضاها خفت الفوت فسابقت بابرازه الموت، وذلك وإن كثر لقليل ونزر يسير في جنب ما خص به من الجمع الوافي لمقاصد العلوم، الكافل بابراز ما في المنطوق والمفهوم، ولو تتبعت مظانه لما وسعت بعض بعضه الدفاتر، وكلّت دون مرماه الأقلام وجفت المحابر، سائلاً ممن وقف عليه من الأفاضل ومن كل كامل أنار الله بصيرته، وجبل على الانصاف سريرته أن يصفح بحلمه عن عثاري وزللي، ويسد بسداد فضله خطأي وخللي، فالكريم يقيل العثار ويقبل الاعتذار خصوصاً قدر مثلي مع قصر باعه في الصناعة وكساد سوقه بما لديه من مزجاة البضاعة، لكن أخذت غفلات الظلام الغاسق والليل الواسق فسرقته من أيدي العوائق والليل كما قيل: بعين السارق، واستفتحت مغالق المعاني بمفاتيح الفتوحات الإليهة، واستخرجت من مطالب كنوز الفيوضات نفائس الفوائد البهية حامداً لله على ما أنعم وألهم وعلم ما لم أكن أعلم، مصلياً مسلماً على رسوله محمد أشرف أنبيائه وأفضل مبلغ لانبائه، وعلى آله وأصحابه وأحبابه وخلفائه صلاة لا ينقطع عددها، ولا يفنى أمدها، والله أسأل أن يعم به النفع وينصبه للجزم بالرفع ويجعله كأصله ويصله بوصله، وأن ينفع به جيلاً بعد جيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم مخلصاً من شوائب الرياء ودواعي التعظيم، وأن يرزقني الإنابة والتوفيق لما يحبه ويرضاه، ويبلغني مع سائر أحبابي غاية ما أتمناه، وأن يطيل عمري في طاعته ويلبسني أثواب عافيته ويجمع لي وللمسلمين بين خيري الدنيا والآخرة، ويصرف عنا سوءهما ويمنحنا بما منح به عباده الصالحين مع رضوانه، ويمنعنا بلذة النظر إلى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق، وأستودع الله تعالى نفسي وديني وخواتيم عملي وما أنعم به علي ربي، وهذا الكتاب فإنه سبحانه إذا استودع شيئاً حفظه، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. وكانت مدة إملائه مع شواغل الدهر وإبلائه أحد عشر عاماً إلا أياماً آخرها في الخامسة من نهار الأحد خامس جمادى الثانية من شهور سنة إحدى بعد المائتين وألف من هجرة من له العز والشرف، وذلك بمنزلي في سويقة لالا بمدينة مصر حرسها الله تعالى وسائر بلاد الإسلام، والحمد لله في البدء والختام ما كرت الدهور ومرت الأعوام وصلى الله على نبيه وآله الكرام وسلم.

(تم الجزء الرابع عشر من إتحاف السادة المتقين
وبه يتم الكتاب بحمد الله تعالى)

فهرس الجزء الرابع عشر
من اتحاف السادة المتقين

الموضوع — الصفحة